

المجتمع المدني الفلسطيني

ودوره في الصراع مع الاحتلال

نزار نبيل أبو منشار



جامعة أم درمان الإسلامية
معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي
كلية الدراسات العليا
قسم العلوم السياسية

المجتمع المدني الفلسطيني

ودوره في الصراع مع الاحتلال

الباحث:

نزار نبيل بكر أبو منشار

إشراف:

البروفيسور: حسن الساعوري – مدير جامعة النيلين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبيع المستعنين

شكر وتقدير

لله تعالى الحمد من قبل ومن بعد، والصلاة والسلام على رسوله المعلم الأول، وعلى علماء الأمة الأفاضل إلى يوم الدين.

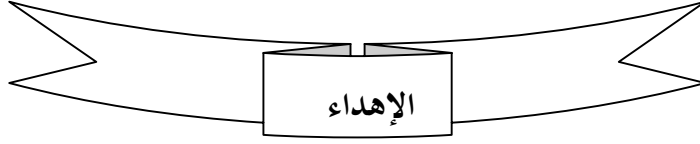
أتوجه بالشكر والتقدير لجامعة أم درمان الإسلامية، ولمعهد دراسات وبحوث العالم الإسلامي لاحتضانهم هذه الدراسة، كما وأنتهز هذه الفرصة لأعبر عن عظيم شكري وامتناني وتقديري للمعلم المخلص، والأستاذ الموجه، والأب العطوف الحاني، حضرة البروفيسور:

حسن علي الساعوري

مدير جامعة النيلين - السودان

الذي تفضل بالإشراف علي والمتابعة لي أثناء كتابة فصول ومباحث هذه الرسالة، وعلى ما بذله من جهد حقيقي وفاعل في تصويب هذه الدراسة؛ حتى خرجت بعون الله تعالى إلى النور بجلتها الحالية.

فبارك الله فيكم وجزاكم الله عني كل خير



أهدي ثواب هذا العمل..

- ❖ لوالدي الكريمن، نموذجاً للصالح والطهر.
- ❖ لزوجتي العزيزة، وطفلي الغاليتين، وأهلي وأنسابي جميعاً.
- ❖ لمن يملك روح المبادرة لتغيير الواقع الفلسطيني والرقى به في ميدان العمل النافع.
- ❖ إلى أساتذتي ومعلمي الأفاضل، كل في موقعه وباسمه ولقبه.

إليهم جميعاً أتقدم بهذا الجهد

ولهم محبتي واحترامي وتقديري

الباحث

الإطار النظري للدراسة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين، ومن سار على درب الهدى إلى يوم يبعثون.. وبعد؛

شهد العالم تحولات مثيرة في نهايات القرن العشرين تمثلت بتبدل المنظومة السياسية الدولية، وانحيار المعسكر الشرقي بقيادة روسيا، وزهواً كبيراً للمعسكر الليبرالي، كما ووجدت على الساحة الدولية معطيات كثيرة على صعيد التبدل في المناخ السياسي، والفكر الممارس سواء من قبل الأنظمة الحاكمة، أو من خلال التيارات السياسية والفكرية الموجودة على امتداد رقعة العالم.

ومع التقدم الحاصل في مجال العلوم الإنسانية، وتوسع الثورة المعرفية المقرونة بالاكتشافات العلمية التي أمنت للعالم اليوم وسائل الإعلام والاتصال والمواصلات الحديثة، وما بات يعرف بظاهرة العولمة التي تقودها الدول الاستعمارية الكبرى في المجالات المختلفة، كان العالم على موعد مع رد فعل طبيعي للتشكيكات والهتات والمنظمات المدنية، للرد على نتائج السياسات التي يتبناها أولئك الذين يحاولون الهيمنة على العالم.

ومع حالة التمدن التي شهدتها العالم المعاصر، والثورة العلمية والمعرفية التي رقدت الإنسان بمقومات قوة جديدة وفاعلة، أصبحت العلوم تأخذ طابع التخصصية الدقيقة المثمرة، تلك التخصصية التي تتواصل مع العلم بجزيئاته ومعطياته التفصيلية، فيما يتعلق بالإنسان والأرض والكون، وظروف وواقع الحياة على حد سواء.

ومع تطور المعارف، أصبح علم السياسة المعاصر واحداً من العلوم الرئيسة في الكليات العلمية والجامعات العالمية، يكسب جمهوراً عريضاً من الناس القدرة على فهم الحياة من خلال فهم سياسي واضح، مبني على رؤية منهجية مدعومة بالوسائل والأساليب، تتحدد

معالمها من خلال نظرة شمولية إلى الإنسان وطبيعته، والحياة وظروفها، والواقع ومدلولاته، والتجارب وآثارها.

وفي هذه الدراسة العلمية، اختار الباحث أن يكتب عن موضوع راج في الحياة السياسية المعاصرة، حتى غدا أنشودة يرددتها كل الساسة، ومصطلحاً يتغنى به كل من أراد أن يتحدث مع الجموع قلت أم كثرت، ليكون بذلك قد ساهم - بجهد المتواضع - في بيان واحد من أهم مفاهيم الحياة المعاصرة، ألا وهو مفهوم المجتمع المدني، ودوره في الحياة العامة.

ولأن المنظمات غير الحكومية تعتبر إطاراً تعبويّاً لتنظيم المواطنين من أجل المشاركة الفاعلة في العملية التنموية؛ المعتمدة أساساً على البشر، وفي كل محاور النمو والنهضة، فإن الحديث عنها يتمتع بسمت خاص، ونكهة مميزة من حيث الدلالة والمعنى.

ولكون فلسطين الطاهرة تشهد احتلالاً صهيونياً (١) هو الأبعث في تاريخ البشرية، ولأن شعبها المسلم الحر يرفض أن ينساق وراء خيارات جلاديه، فقد أراد الباحث أن يسלט الضوء على ملحمة من ملاحم المجد لشعب فلسطين المجاهد الأبي، في صراعه مع مغتصبي أرضه ومقدساته؛ من خلال الوعي المؤسسي، والخبرة الميدانية التي تمت ترجمتها بالنضوج المعرفي، المقرون بالفهم الاجتماعي، من خلال منظومة العمل الأهلي الطوعي النافع.

^١. الصهيونية: هي دعوة وحركة عنصرية - دينية استيطانية إقليمية، مرتبطة نشأة وواقعاً ومصيراً بالإمبريالية العالمية، تطالب بإعادة توطين اليهود وتجميعهم، وإقامة دولة خاصة بهم في فلسطين بواسطة الهجرة والغزو والعنف كحل للمسألة اليهودية. انظر: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي / د. علي خريشة و محمد شريف الزبيق / دار الاعتصام للنشر والتوزيع - القاهرة / الطبعة الأولى / ص ٦٤ - ٦٩، وكذلك.. موقع: المركز الفلسطيني للإعلام / تقرير بعنوان: المرتكزات العنصرية للفكر الصهيوني وتحليلاتها الإرهابية، وفيها حديث طويل وتفصيلي عن أهداف ونشأة ووسائل الصهيونية على مدار الأيام والسنوات السابقة، وقرأ عن الفرق بين الصهيونية واليهودية ومزاعم الطرفين في فلسطين في: المزايم الصهيونية في القدس / فتحي فوزي عبد المعطي / دار المعارف للنشر والتوزيع - مصر / طبعة عام (١٩٦٥ م) / ص ٧ - ١٦.

علاقة هذا العنوان بالعلوم السياسية

إن برنامج العلوم السياسية العصري يتناول جوانب الحياة السياسية من حيث الأنظمة، وسياسات الحكم، وبرامج العمل المؤسساتي الحكومي، والفلسفة السياسية النظرية التي تعتمدها الدول والشعوب في التعبير عن رؤاها وقدراتها السياسية للوصول إلى ما تريده من أهداف.

في فلسطين، أي كمّ بشري - ولو كان مهماً - فهو رقم في المعادلة السياسية وجوداً وهدماً، والدور المؤسساتي عموماً هو حجر الزاوية في المشروع السياسي لأي توجه حزبي أو دولة ناهضة.

ثم إن البناء المؤسساتي الفلسطيني، بكمّ، وتنوعه، وانتشاره، والجوانب التي يغطيها، يشكل تداخلاً بيناً في أوجه العمل السياسي العام، من خلال ما يتصدره من خطاب للرأي العام في المجتمع، ومن خلال أدائه العملي أو فعالياته النقابية وأجسامه التمثيلية.

لعبت المؤسسة الفلسطينية على مدار سنوات الاحتلال دوراً بارزاً في تعزيز أوجه صمود المجتمع، وتفويت الفرصة على العدو كي لا يستفرد بهذا الشعب، تحت ما ييشه من مظاهر التخويف والتجويع، وسياسات الحصار والعزلة.

من هنا، نشأ الترابط الكامل بين دور المؤسسة في منظومة العمل السياسي الفلسطيني، ودور الأفراد المنضوين تحت لوائها، حتى باتت هذه المؤسسات شعلة متقدة في تصدير القيادات المجتمعية للمجتمع الفلسطيني، على مستوى التيارات السياسية والحزبية، وعلى صعيد النقابات العمالية والنخبوية، على اختلاف مسمياتها وتشكيلاتها.

لذلك، كان البحث في دور المنظمات الأهلية والمدنية جوهرياً في علم السياسة الذي يختص بالمجتمع بكل مكوناته وعناصره وتركيباته المجتمعية، صغيرها وكبيرها.

أهمية الدراسة..

تكمن أهمية هذه الدراسة العلمية في القضايا الأساسية والشكلية الآتية:

١. أنها تأتي في معرض الحديث عن السياق السياسي الذي يظل الحياة الفلسطينية على الصعيد العالمي والإقليمي والدولي، وتعطي صورة حقيقية في تشخيص الواقع الفلسطيني بكل مكوناته وعناصره، وأوجه الإشراق والإخفاق فيه، فيما يتعلق بالمجتمع المدني، بكل تشكيلاته وتياراته.

٢. أن هذه الدراسة تربط بين المفهوم النظري للعمل، والواقع التطبيقي الممارس على أرض الواقع من قبل المؤسسات والمنظمات الأهلية في فلسطين، وتعكس حالة من الفهم الشمولي لطبائع التفكير الفلسطيني من الوحدة التركيبية المعقدة فيه، ألا وهي المؤسسة.

٣. التعبيرات والتصورات والأمثلة والشواهد الموجودة تبين الواقع في العمل المؤسساتي في فلسطين بغض النظر عن رؤى التيارات الفكرية والسياسية لها، الأمر الذي يظهر من خلال التدليل على المحاور المطروحة بالأمثلة الشاملة، والتعليق العام المرتبط بموضوع البحث.

٤. أنها لا تنظر بصورة جزئية للواقع المؤسساتي، ولا تتعامل مع المؤسسة ككيان منفصل عن السياق السياسي والاجتماعي، بل تربط المؤسسة كبؤرة مؤثرة في الحدث السياسي الفلسطيني مع دور التيارات السياسية والفكرية، ومدى العلاقة بين النظام الحاكم وهذه المؤسسات، وصورة هذه العلاقة، والظلال التي يتركها الاحتلال في تعامله مع البناء المؤسساتي الفلسطيني.

٥. أنها تختلف عما يصدر من بعض التجمعات التي تدعي الحيادية في الطرح، وتصدر التقارير الخاصة بالعمل المؤسساتي الفلسطيني؛ ليجري تسويقها على المستوى العالمي من

خلال المنظمات الأهلية التي تعمل بنظام التشبيك، والتبادل المعرفي والخبراتي مع مؤسسات غربية وعالمية، فهي تجسيد للواقع في سياقه السليم، بعيداً عن الميول للكسب المادي، أو الرغبة في الظهور، أو الكتابة في عمل جزئي مبتور.

٦. كونها تأتي في زمن بات العمل المدني فيه أنشودة على أفواه الساسة والمنظرين الحزبيين والفكرين، وهي تعبير عن الدور المطلوب من المجتمع المدني الفاعل في تحقيق آمال الشعب، والحفاظ على الملكيات والحقوق العامة والخاصة، الأمر الذي يعني منظومة من المفاهيم والقيم الذهنية والسلوكية المرتبطة بالتخطيط السليم، ليصل العمل إلى مقاصده وأهدافه.

٧. أنها تركز على نقطة محورية، وهي عدم تكرار التجارب الفاشلة أو الجزئية الموضعية، وعدم تكرار الذات في العمل المؤسسي، وتبين أوجه العمل الإبداعي في مجالات التخطيط المؤسسي، والعمل الممارس من خلال الوسائل والأساليب التي تلي طموح النخب المثقفة في الشعب الفلسطيني.

٨. أن هذه الدراسة تعتبر إضافة حقيقية في العلم المؤسسي، من حيث قدرتها على بيان الواقع وشواهد، والربط بين الماضي والحاضر، واستشراف المستقبل في ظل قراءة موضوعية للمعطيات الموجودة في الساحة الفلسطينية المعاصرة، على صعيد الفرد والمؤسسة والتيارات السياسية والاجتماعية، لتجمع ذلك كله من خلال المفهوم الإسلامي العام.

مشكلة الدراسة..

إن هذه الدراسة قد جاءت أصالة لمناقشة إشكالية رئيسة تتعلق بها موضوعاتها ومباحثها.

هذه المشكلة: هي وجود الفهم القاصر عند البعض بكون الإسلام كمفهوم وسلوك تطبيقي فاقداً للقدرة على العمل المنتج المثمر من خلال الاحتكاك بالعمل الجماهيري والنقابي، وأن

الإسلام السياسي سيصطدم بالمعوقات الكثيرة في الجانب المؤسساتي إذا ما خاض التجربة فيه،
ومن التساؤلات المطروحة:

كيف يخوض الإسلاميون الفلسطينيون العمل في المجتمع المدني وهم لا يؤمنون
بالديمقراطية ويرون أنها فكر أرضي مستورد، مع أنها عماد قيام المجتمع المدني؟

هل يمتلك النظام الإسلامي بعداً اجتماعياً يمكن له أن يتساوق مع العصر الحديث؟

هل بإمكان التيارات الإسلامية اليوم المشاركة في تكوين المجتمع المدني برغم
ظروف القمع الموجودة ضدهم؟

هل يمتلك الإسلاميون الفلسطينيون برنامجاً عملياً لتطوير وتأهيل المنظمات الأهلية
لتكون جهات ضغط فاعلة تحقق المصالح العليا في المسارات المختلفة؟

أين هو دور الإسلاميين في معادلة السياسة الاستراتيجية المرسومة لفلسطين في مجال
العمل في المجتمع المدني؟

وقد جاء هذا لبحث ليدلل على قدرة العمل الإسلامي المبارك في فلسطين على أن
يكون أنموذجاً نظرياً رائداً، وطرزاً فريداً في العمل الموضوعي المؤصل في عالم الأداء، ليربط
الحكم بالسياسة، والدين بالواقع، والفهم بالعمل، والنضوج الفعلي في التصور بالجهد المدروس
والتخطيط البشري النافع والمؤثر على صعيد المجتمع، ويقهر فوق هذا وذاك مخططات العدو
الرامية إلى استئصاله من جذوره.

وإن هذا البحث العلمي سيكون من خلال أبوابه وفصوله ومباحثه تمثيلاً حقيقياً
لهذه القدرة الإسلامية، وترجمة واقعية لكل معاني البناء المجتمعي ابتداءً بالإنسان الذي هو لبُّ

الصراع، مروراً بالمؤسسة التي هي جوهر البناء، وانتهاءً بالمجتمع الذي تجري عليه السياسيات من كل الأطراف والاتجاهات، وهو الحكم على الجهد والأثر.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق وإبراز المحاور والحالات الآتية:

١. بيان المفهوم المعاصر للمجتمع المدني في ظل تطوره التاريخي، ووصوله إلى المكانة الحالية في المجتمعات المختلفة.
٢. إبراز الواقع الفلسطيني المعاصر، على صعيد تياراته السياسية والفكرية، والحركات الاجتماعية فيه، وواقع المجتمع المدني بمؤسساته ونقاباته وتشكيلاته المختلفة، مع إظهار البعد الديني والتاريخي والجغرافي لفلسطين الحبيبة.
٣. بيان المخططات الاستعمارية الاستراتيجية المتعلقة بالقضية الفلسطينية، ومدلولاتها على الواقع المؤسسي الفلسطيني، مع إعطاء التصورات المطلوبة عن الواقع بكل عناصره وتشكيلاته والأدوار الرئيسة فيه.
٤. التركيز على الواقع المؤسسي في فلسطين، ومدى فاعليته على الساحة السياسية والاجتماعية والثقافية، وعلاقته بالفكر والوعي الجماهيري، مع بيان مدى تأثيره الحالي والمعاصر في تشكيل الرأي العام الفلسطيني.
٥. الإظهار الشفاف لدور المؤسسات الفلسطينية في ظل سلطة أوسلو، وما ترتب على الواقع العام في فلسطين بعد قيام مشروع أوسلو المشؤوم، وتداعيات العمل السياسي على المجتمع المدني الفلسطيني في تلك الحقبة.
٦. التأكيد على دور المؤسسات الفلسطينية، في مجال الحفاظ على الهوية الفلسطينية والدينية للشعب الفلسطيني، والحماية للإنسان الفلسطيني، من خلال التعزيز الحقيقي

لقيم الصبر والثبات والصمود في وجه المؤامرات الغربية والاستعمارية المنفذة بالأجنحة الصهيونية.

٧. رسم الصورة المتوقعة من العمل المؤسساتي في فلسطين عموماً، في ظل تنامي الوعي الإداري والوعي العام في الشارع الفلسطيني، ومدى الأثر الذي يتركه الوعي والعلم على العمل المدني بتشكيلاته المختلفة على الساحة الفلسطينية.

٨. التركيز على الترابط التام والحيوي بين العمل المؤسساتي والسياق السياسي العام، ودور المؤسسة في العمل التعبوي والتنموي، والتأثير في الحلبة السياسية، مع بيان كيفية النهوض بالعمل، ليصل إلى مرحلة التفكير والتخطيط الاستراتيجي النافع على المستويات القريبة والبعيدة.

٩. إبراز العلاقة الوثيقة بين ثلوث العمل المنهجي في المجتمع المدني: المجتمع، والعقليات التخصصية والإبداعية، والقدرة على التخطيط البناء والمجدي في ظل أقصى الظروف، وهذا الثلوث هو ما يستشفه المرء من خلال الواقع الفلسطيني بكل التداخلات والمتناقضات الموجودة فيه، على المستوى السياسي والاجتماعي والفكري والمؤسسي.

منهج الدراسة..

اعتمد الباحث في هذه الدراسة التي أجراها على واقع المنظمات الفلسطينية ودورها في مواجهة المحتل من خلال برامجها الأدائية والإجرائية، وما ينجم عنها من تعزيز لصمود الشعب الفلسطيني في مواجهة آلة التدمير العنصرية الصهيونية، على منهج وصفي تحليلي بالدرجة الأولى، وعلى منهج قانوني وتاريخي في بعض مباحث الدراسة، وهذا مبني على قراءة الواقع الفلسطيني وواقع المهجمة الشرسة عليه، وتحليلها مع بيان آثارها المترتبة عليها، ووفق المنهجية التالية:

١. إبراز الفعلي لظروف وعوامل نشأة المجتمع الغربي في العالم، ومفكروه ومنظوره، واهتماماته، وتطوره التدريجي حتى وصل إلى قوة حقيقية كبرى في الحياة السياسية في العالم الغربي.

٢. التشخيص الدقيق للواقع الفلسطيني من خلال رسم صورة الحياة الفلسطينية عموماً، ومخاطر العدوان، وتفهم العدو للواقع الفلسطيني ونقاط القوة فيه، وسعيه الدائم لتدمير بنيته المؤسساتية من خلال توثيق مدعم من هذه المؤسسات ومن الجهات المختصة ذات العلاقة في المجتمع الفلسطيني لرصد ومتابعة هذه الأمور.

٣. بيان حجم العمل المؤسساتي الفلسطيني عموماً، ودوره، وكفاءته، والتركيز على واقع المجتمع المدني فيه، من حيث البواعث والنشأة وظروف البيئة السياسية ومحددات العمل، وطبيعة النضوج والخدمات التراكمية التي يقدمها على صعيد المجتمع الفلسطيني.

٤. بيان أوجه الإشراف في العمل المؤسساتي الفلسطيني، وقوة العمل السياسي لهذه المؤسسات ولو في نطاق الظل، وما كان له من أثر ملموس على الحياة السياسية الفلسطينية.

٥. التركيز على الدور المباشر للاحتلال في إعاقة وتحجيم دور المؤسسات الإسلامية، لعلم الاحتلال بدورها السياسي على الحلبة الفلسطينية، مع بيان مظاهر هذا العدوان اليومي المستمر والمتجدد.

٦. التركيز على البعد السياسي الذي تلعبه هذه المنظمات الأهلية بصوره المختلفة، من خلال بيان أوجه نشاطاتها المختلفة، ودورها في ربط سياساتها العامة بالبعد عن مظان الخطر الاحتلالي الذي يترصدها.

٧. بيان ما كان لهذه المؤسسات من دور في تصدير الكفاءات السياسية على مستوى النخب المثقفة، والعقلليات الإبداعية على مستوى النشاط المجتمعي والأدبي والريادي في جوانب الإدارة والسياسة والتكامل المعرفي.

وسيتبع الباحث المنهجية الآتية:

١. سيتم وضع الأطروحات النظرية والإطارات الأساسية في البحث العلمي في مقدمة البحث، ومن خلال الإطار النظري له، بحيث يتم العمل على بيان الأمور المطلوبة على مستوى مشكلة البحث والفرضيات ونحوها مما يلزم طلبة العلم.

٢. سيتم توثيق المصادر والمراجع التي يشتمل عليها البحث من خلال الوقوف الفعلي على هذه المصادر، والتوثيق السليم منها، مع ذكر تفصيلات ومتعلقات هذه المراجع في الهوامش وفق الطريقة المتبعة في البحث العلمي، من خلال ذكر اسم الكتاب، والمؤلف، ودار النشر، ورقم الطبعة، والجزء والصفحة، في المواضيع التي يوضع فيها لأول مرة، والاكتفاء بالإشارة إليه إذا تكرر مجدداً في الهوامش؛ من خلال ذكر اسم الكتاب والجزء ورقم الصفحة فقط.

٣. سيتم تدعيم هذا البحث بكل الإمكانيات الممكنة للباحث، من حيث الإحصاءات والدراسات والبيانات المعرفية، والأشكال والخرائط، لتكون بحالة تثري موضوعاته المختلفة، مع التوثيق لها من مصادرها الأصلية.

٤. سيبتعد هذا البحث عن النمط الروتيني في التوصيف العلمي، على مستوى الفعل والشخص والدور، لينتقل إلى الدور وظلاله، والفعل ومدلولاته، مع التركيز على البعد السياسي في ذلك كله.

٥. لن يتم التعريف بالأعلام الواردة في البحث، وذلك لكون هذه الأعلام معاصرة في الأغلب الأعم، وسيكون التعريف بها غير ذي بال؛ في ظل غياب أسماء الأشخاص والمصادر عن القارئ غير الموجود في الساحة الفلسطينية، أو غير المتابع لها من خلال وسائل الإعلام.

٦. سيتم عمل الفهارس اللازمة وفق النظام العلمي المتبع، على مستوى المصادر والمراجع المعاصرة والقديمة، وفهرس المحتويات والأشعار.. ونحوها، ليسهل الرجوع إليها من كل راغب في ذلك.

٧. سيكون للمواقع الموجودة على شبكة الانترنت حصة واضحة في التوثيق والتدعيم في هذا البحث، مع ما يتوفر من المصادر القديمة، وذلك لكون الموضوع المطروح جديداً على الساحة الفلسطينية، ومستجداً بشكل أكبر على مستوى النخب المثقفة، والكتاب والباحثين، الأمر الذي أدى إلى ندرة المراجع والمصادر المكتوبة، وألجأ الباحث إلى المصادر التي تثري البحث من خلال الإمكانات المكتوبة، من المقالات والنشريات حيث لا أصل ولا مرجع.

٨. نظراً لكون الباحث واحداً من العاملين في الحقل المؤسسي في المنطقة الجغرافية التي هي موضوع البحث، فإن القارئ لهذا البحث سيلمس التوضيحات والمدخلات والتعليقات النابعة من كون الباحث صاحب تجربة ذاتية في هذا السياق، ويرى الباحث - ولا يدري مدى صوابية رؤيته - أن تدعيم الأفكار المطروحة في هذا السياق من خلال رأيه - الذي هو مرجع ميداني واقعي متحرك ومتابع - يفيد ويثري الموضوع، بعيداً عن الاستفاضة المخلة التي لا نفع فيها.

٩. سيتم التركيز على الموضوعات والأطروحات المهمة في ثنايا هذا البحث، مع إشارات مفيدة غير محللة لما هو هامشي، لتتحقق أعلى نسبة استفادة من موضوعاته، كالحديث عن التيارات السياسية الكبرى بتفصيل لا يوجد في التيارات الصغيرة، على سبيل المثال.

فرضيات البحث..

يعتمد هذا البحث على مجموعة من الفرضيات، وهذه الفرضيات متصلة بصورة جذرية ومصيرية بالواقع وصورته، والفعل وأثره، وهذه الفرضيات هي:

١. أن المجتمع المدني الغربي بما وصل إليه من مكانة مرموقة عبر صراعات تاريخية ونمو تراكمي؛ يشكل عصب الحياة الغربية، ومحور السياسات الداخلية والخارجية فيها.

٢. أن العمل المؤسسي الهادف هو مناط الارتقاء بالمجتمع بكل مكوناته وعناصره، وأن الشعوب والأمم المتحضرة تولي هذا الأمر جانباً مميّزاً من سياساتها النظرية والتطبيقية، لكونه ركيزة من ركائز الارتقاء والتطور.

٣. أن الشعب الفلسطيني قد استطاع هضم متغيرات الواقع برغم سوء الأوضاع فيه، وأنه قفز على جراحاته، واستطاع أن يلحق بقطار التمدن والعمل المؤسسي الناضج بشكل يوازي بل ويسبق فيه كثيراً من البلدان العربية والإسلامية الأخرى.

٤. أن القطاع المؤسسي والأهلي في فلسطين هو حجر الزاوية في المعادلة الفلسطينية، وهو العنصر الأهم في معادلة الصراع، لكون المؤسسة محضناً فعلياً للفرد والأسرة والأجيال، وشرائح المجتمع المختلفة.

٥. أن المؤسسات الإسلامية في فلسطين تكتسب طابعاً فريداً من السلوك العملي والمهني في العمل المؤسسي، مما يجعل هذه المؤسسات رائدة في مجالات عطائها وخدمتها المجتمعية.

٦. كيان الصهاينة الغاشم يحاول كل جهده القضاء على شرارة النمو المجتمعي من خلال إخماد هذه الجذوة المتقدة التي تقودها الفعاليات الطليعية في المجتمع المدني على الأرض

الفلسطينية، ويسخر كل طاقاته من أجل القضاء على تباشير النهضة بكل أشكالها، لأنها السبب المستقبلي الأقوى لتقويض وجوده وزعزعة استقراره على أرض فلسطين.

٧. أن نموذج العمل النقابي والمدني الموجود في فلسطين قد ساهم مساهمة فاعلة في تثبيت الهوية الفلسطينية، والوقوف في وجه سياسات التهويد والتجهيل والتلاعب بالعقول والأفكار، من خلال آلة العدو الاستعمارية بكل أسمائها ومضامينها.

٨. هناك نضوج فعلي في مستوى التصور النظري للعمل المؤسساتي الفلسطيني بدأ مع نهاية القرن الماضي، وهو يسير بشكل متسارع في ميدان النهضة على صعيد تطبيق هذه النظريات والسياسات العامة، لتأخذ دورها في أرض الواقع، وقد تطور الفهم النظري أيضاً على مستوى الكادر المؤسساتي، الذي بات قادراً على ترسيم الأهداف وصياغة الوسائل وفتح الخيارات واقتناص الفرص، والإبداع في العمل بكل وجوهه.

٩. هناك خلل في التنسيق بين مؤسسات المجتمع يمنعها من أن تشكل جسماً ضاغطاً على الحالة السياسية الفلسطينية، وأن تكون قوة لها وزنها السياسي النابع من حجم ودور كل مؤسسة فيها، وغياب هذا الرابط الحيوي بين هذه المؤسسات قد ساهم في إقصاء كثير منها عن ساحة العمل، وطميش عدد آخر منها، وأتاح الصدارة لمن تحقق له النفوذ منها فحسب.

حدود البحث..

يشتمل البحث على حدود متنوعة..

١. الحدود المكانية:

يتعلق هذا البحث العلمي بمجموعة من الحدود المكانية، فهو يتعلق ب:

- فلسطين بوصفها أصل المادة المبحوثة والحاضن الأساس للعمل المؤسسي والنشاط المدني والسياسي.
- البعد الإقليمي، وذلك في موضوعات تم التطرق إليها للحاجة المرتبطة بموضوع البحث، لا سيما في قضايا البعد السياسي للواقع في فلسطين والمؤسسات العاملة بنظام التشبيك.
- البعد الدولي، وذلك من خلال بيان واقع المجتمع المدني الغربي، وإشارات مقتضبة إلى الدور العالمي للاستعمار، والرؤى الاستراتيجية للدول الكبرى في فلسطين، وما لذلك علاقة بالواقع الخاص بالمجتمع المدني الفلسطيني.

٢. الحدود الزمانية:

يمتد المدى الزمني الذي يتناوله هذا البحث ليشمل ما يزيد عن قرن من الزمان، فهو في مباحثه المختلفة يتناول الواقع الفلسطيني والدولي في الفترة التي تلت الحراك الصهيوني من أجل إيجاد الوطن القومي في مؤتمر بازل ١٨٩٧ م وحتى عام ٢٠٠٧ م تاريخ إعداد هذه الدراسة، بما مرّ بين هذين الحدين الزمانيين من شواهد وحوادث ذات صلة بالموضوع الخاص بالدراسة.

الدراسات السابقة:

حتى يكون العمل البحثي مفيداً، ومنعاً لتكرار المعلومات والعشبة من البحث، وقبل أن يشرع الباحث في كتابة هذا البحث العلمي، قام بزيارات عديدة إلى المكتبات المنتشرة في فلسطين، وفي عدة محافظات منها، وسأل أهل العلم ممن يثق بهم عن بحث أُلّف في هذا العنوان، أو تناول أساساً هذا المضمون.

وبلغ جهد الباحث في البحث والسؤال أن تفقد الدراسات العلمية المقررة والمقدمة على مستوى جامعات الأردن وفلسطين والجزيرة العربية بكل بلدانها، وبعض بلدان أفريقيا كالجيزة ومصر، ومكتبات جامعات السودان المختلفة، ومن خلال الملاحق التوثيقية الموجودة في المكتبة الهاشمية في عمان، ومكتبة الجامعة الأردنية في الأردن على مستوى أبحاث الماجستير والدكتوراة.

وخلاصة ما توصل إليه الباحث كان في اتجاهين:

الأول: الأبحاث والدراسات العلمية التي أجريت على مستوى الشرق الأوسط وفلسطين فيما يتعلق بقضايا المؤسسات عموماً، من تعريف لها ولدورها وكيفية تطويرها، مع عدة كتب بذل أصحابها جهدهم فيها، تتعلق بواقع المؤسسات الفلسطينية وكانت على شكل ذكريات أو إحصائيات أو نظرات جزئية في العمل المدني، أكثر من كونها دراسات علمية حديثة ومؤصلة وشاملة.

والثاني: ما تناول من الأبحاث الواقع الفلسطيني، وواقع الاحتلال، والهجرة الصهيونية على أرض الإسرء ونحو ذلك، وهذه الكتب كثيرة ومتعددة العناوين ومنتشرة في المكتبات.

فمن أمثلة النوع الأول من المؤلفات:

١. كتاب: **تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة**، لمجموعة من الباحثين، وهو كتاب يتناول إحصائيات وتصنيفات عن المنظمات الأهلية الفلسطينية، معتمداً على الدلالات الإحصائية التي توصل لها الباحثون الثلاثة المشاركون في وضعه وهم: مجدي المالكي، ياسر شليبي، نعيم السعدي، وتمت طباعته في معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس) - رام الله في العام ٢٠٠١ م، حيث انصب التركيز فيه على أهمية التعداد للمنظمات الأهلية، وطبيعة عملها، ومستويات قبول الشارع لها، وتوزيعها الجغرافي على الأرض الفلسطينية، وملاءمتها لحاجات المجتمع، دون أن يخرج عن إطار الاستمارات الإحصائية التي استخدمها الباحثون في هذا الشأن.

٢. كتاب: **"علاقات المنظمات غير الحكومية الفلسطينية فيما بينها ومع السلطة الوطنية الفلسطينية والممولين"** للباحثين: حسن لداودة و محمد جبريل و عزام جابر، وهذا الكتاب تمت طباعته في العام ٢٠٠١ م، من خلال معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس) - رام الله.

ويتناول هذا الكتاب طبيعة نشأة المنظمات الأهلية الفلسطينية، ويسلط الضوء على علاقتها مع السلطة الفلسطينية بعد مجيء سلطة أوسلو، وطبيعة هذه العلاقة وأبعادها، والدور المطلوب فيها، مع بيانه لطبيعة العلاقة بين المنظمات الأهلية والجهات الداعمة والممولة لأنشطتها، وطبيعة وتأثير هذه العلاقة.

٣. كتاب: **منظمات المجتمع المدني ودورها في المرحلة المقبلة**، والذي ألفه النائب في المجلس التشريعي: د. مصطفى برغوثي، وتمت طباعته بالتنسيق مع اتحاد لجان الإغاثة الطبية - القدس في العام ١٩٩٦ م.

وقد أعطى الكتاب صورة عن واقع المنظمات الأهلية الفلسطينية في المرحلة الراهنة، وسلط الباحث فيه النظر على الأدوار المستقبلية لهذه المنظمات في المجتمع الفلسطيني، معتمداً على خلفيته الخاصة في مجال العمل النقابي، دون الرجوع إلى البعد التاريخي، أو دور هذه

المؤسسات في رسم استراتيجيات عامة في مجال فرض رؤى جديدة على الحالة السياسية الفلسطينية فيما يتعلق بالمستوى السياسي العالمي.

ومن أمثلة النوع الثاني من المؤلفات على سبيل المثال لا الحصر:

١. استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة، بطبعته الأولى، والذي أشرف على إخراجه: حبيب قهوجي، وتمت طباعته بالتعاون مع مؤسسة الأرض للدراسات.

وقد تناول هذا الكتاب واقع فلسطين في بدايات المشروع الاستعماري الدولي، وبداية مؤتمر بازل، والحركة الصهيونية، وتابع الحديث عن دور بريطانيا في دعم الاحتلال وتوطين المستوطنين على الأرض الفلسطينية، معتمداً على الوثائق والخرائط والإحصائيات المتعلقة بالوجود الفلسطيني والوجود الصهيوني على أرض فلسطين، مع ذكر موجز في ثنايا البحث لمؤسسات فلسطين الأهلية في تلك الحقبة، والمخاطر التي ترتبت على وجود الاحتلال فيما يتعلق بالواقع العام.

٢. كتاب: انتفاضة الأقصى نموذج حضاري إسلامي للمقاومة، للباحث: د. سليمان صالح، وهذا الكتاب المنشور ضمن سلسلة كتاب القدس ويحمل الرقم ١٦ منها، يتحدث عن فترة زمنية في واقع الشعب الفلسطيني، هي فترة الانتفاضة الفلسطينية، وما جرى خلالها من أحداث ومساهمات فردية ومؤسسية وشعبية في المقاومة للاحتلال الصهيوني، وتناول فيه مباحث متعددة تتعلق بالهوية في زمن الانتفاضة، وشخصنة الصراع، ومدلولات الأحداث في سياقها السياسي العام.

٣. كتاب: أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية والذي كتبه: أحمد الشقيري مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية، وتمت طباعته في دار العودة/ بيروت في العام ١٩٧٣ م.

وقد تناول الكاتب القضية الفلسطينية بوصفة واحداً من الساسة الذين يتحركون فيها، ومع أنه تحدث عن بعض الأدوار للمنظمات الأهلية الفلسطينية الموجودة في فلسطين وخارجها

في ثنايا البحث، إلا أن الكتاب عبارة عن ذكريات تاريخية يسردها المؤلف من واقع خبرته وتجربته الذاتية، ولا يسلط الضوء على الواقع المؤسسي في ذلك الوقت؛ بوصفه جزءاً هامشياً من كتابه المتعلق بالسياسة الدولية والتعامل الحكومي بالدرجة الأولى.

ولكن موضوع هذا البحث العلمي، حول دور المجتمع المدني الفلسطيني في مقارعة المحتل، بثوبه هذا، وبخطته المعروضة، لم يكتب به أحد قبل الباحث - على حد علمه وبجته -، وذلك لأمر:

١. كون فهم منظومة العمل المؤسسي على مستوى العالم العربي بتقنياته الحديثة ومصطلحاته وبرامجه وآلياته أمراً معاصراً طارئاً على العالم العربي، لم يمض على تأصله في البلدان العربية في بعض أشكاله ومنهجيته سوى سنوات معدودة.

٢. افتقاد الساحة الفلسطينية لكليات تخصصية في العمل المؤسسي وتطويره، وتدعيم الكوادر البشرية العاملة فيه على مستوى التأهيل، وتعزيز القدرات الذاتية للهيئات القيادية والإدارية، أو للإفراد على حد سواء، مما انعكس سلباً على واقع العمل المؤسسي وتطوره ونمائه.

٣. الفكرة الموجودة في البحث، وهي بالتحديد: دور المنظمات في الواقع الفلسطيني من وجهة نظر إسلامية، لم يبحث على مستوى تفصيلي، ومن كتب في هذا المجال ذكر حال المؤسسات عموماً، أو بين مخاطر العداء العالمي والصهيوني على مؤسسات المجتمع المدني الفلسطيني أو مؤسساته الحكومية، أو تناول الأمر من منظور تقييمي لأداء المؤسسات من ناحية إدارية صرفة، بعيدة عن مدلولات هذا الأداء من المنظور السياسي.

ولعل الاحتلال الجاثم على الأرض الفلسطينية هو ما منع كثيراً من أهل الخبرة والتخصص من الخوض في هذا الموضوع الحيوي، ووضع أرشيف ومؤلفات من خلال المستندات والوثائق المدعمة التي تصلح لأن تكون أساساً للعمل البحثي الفعلي، وهو السبب

الرئيس - بلا شك - في فقدان كثير من الخبرات في العمل المؤسساتي والأهلي، نتيجة الاعتقالات والاعتقالات التي تمت بحق الكادر المؤسساتي في المؤسسات الأهلية، ومنظمات المجتمع المدني عموماً.

وتتميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة الموجودة في الواقع الفلسطيني بأمور عدة، من أهمها:

١. تعتبر هذه الدراسة هي الأولى من نوعها في كل فلسطين، حيث لم يسبق أن كتب أحد من الباحثين في مسألة الواقع المؤسساتي الفلسطيني من وجهة نظر إسلامية.

٢. أنها تأتي في ظل النداءات المتكررة من الشعب الفلسطيني لوجود صمام أمان للمواطن والفرد الفلسطيني في ظل التقلبات السياسية والاجتماعية والظروف العامة، فهي تلبية حقيقية لتوجهات الشارع الفلسطيني المسلم الباحث عن ملاذ آمن لطموحاته على المستوى المؤسساتي الفاعل، من خلال إبراز (الكيف) البعيد عن التذمر والتشاكي والتباكي على الواقع السيء، لأن (الكيف) هو الحل، وكثرة الوصف غير المقرون بكيفيات الخروج من الأزمات والمزالق يضعف الهمم، ويراحي العزائم.

٣. أنها تركز على الدور المعاصر لهذه المؤسسات، حيث شهدت السنوات العشر الأخيرة في عمر العمل المؤسساتي الفلسطيني نضوجاً واضحاً حداً بكثير من المؤسسات إلى إعادة ترسيم سياساتها العامة وأهدافها الاستراتيجية والمرحلية، وتحديد وسائلها بما يتوافق مع متطلبات العصر بروحه المتجددة.

٤. أنها تتناول العمل المؤسساتي انطلاقاً من كونه جزءاً من منظومة العمل العام، دون إقصائه عن الواقع السياسي، والتغيرات الإقليمية والدولية، ومستجدات الحياة الاجتماعية، الأمر الذي يعني إبراز العمل بصورة شمولية يمكن لها أن تؤسس لعمل مؤسساتي على البعد الاستراتيجي، وتمكن العاملين في حقل المجتمع المدني من أداء رسالتهم في ضوء الفهم الشمولي لحاجات المجتمع وآماله.

٥. تشكل هذه الدراسة خلاصة تجربة ذاتية للباحث الذي عمل في هذا القطاع لسنوات متعددة، ولم يكن وجوده واتصاله بهذه الدراسة عبثياً، على مستوى العمل النظري الإداري أو الممارسة العملية التطبيقية، وهي بذلك مرجع مستند إلى الخبرة، ومادة علمية تعتمد على خلاصة الاحتكاك بين الباحث والعمل المؤسساتي.

٦. تبتعد هذه الدراسة عن أسلوب الربط بين العمل المؤسساتي وأوراق العمل الخاصة والمقالات التي تنتشر على مواقع الانترنت، حيث إن هذه المقالات وأوراق العمل تتناول العمل المؤسساتي من وجهة نظر قاصرة، حيث تعتمد على الحديث على صورة الواقع، أو ظروف النشأة، أو مدلولات العطاء، أو الفكر النظري المستقبلي المنشود، أو الظلال السياسية وأثرها على الواقع المؤسساتي والنقابي، وهي قضايا مهمة لا بد أن تؤخذ مجتمعة، لتحقيق النفع منها في تلك الصورة.

مستخلص الرسالة

خلص الباحث بعد استكمال هذه الدراسة العلمية عن واقع المجتمع المدني الفلسطيني عموماً، ودور المؤسسات الأهلية الإسلامية فيه على مستوى الصراع مع المحتل بالأساسيات الموضحة بصورتها الآتية:

١. على الصعيد السياسي العالمي:

تمثل فلسطين في الاستراتيجية السياسية العالمية التي تديرها قوى الطغيان والاستعمار العالمي، الصهيونية والصليبية والاستثمارية، بؤرة حساسة لما تتمتع به من مكانة تاريخية وسياسية وجغرافية، ولما أُريد لها من دور هام في ظل الاحتلال الصهيوني لها؛ كعائق معنوي ومادي في وجه أي مشروع للوحدة العربية والإسلامية، والذي لا بد له من أن يمر بفلسطين.

وفلسطين بذلك جزء مهم في معادلة الصراع، ومنطقة استراتيجية من حيث التأثير الواقعي والمستقبلي، ليس على مستوى الشعب الفلسطيني فحسب، وإنما على الواقع والخريطة السياسية الموجودة في الشرق الأوسط، وما تلقىه من ظلال على العالم بأسره.

٢. على صعيد الواقع السياسي الفلسطيني:

مر المجتمع الفلسطيني بتغييرات سياسية متعاقبة خلال القرن العشرين، وكان لهذه الأحداث السياسية أثرها في نشوء الوعي الفلسطيني بقضيته وحقوقه المشروعه، وكان حصاد السياسات الغربية والاستعمارية أن وصل في نهاية القرن العشرين إلى إيجاد جسم تمثيلي فلسطيني يعرف بالسلطة الفلسطينية متزوعة السيادة، لأغراض متعددة: أهمها تقزيم القضية الفلسطينية، لتكون في ثلة من الشخصيات المحسوبة على الغرب والمشروع الاستعماري.

في السياق ذاته، كان الحراك السياسي على مستوى التنظيمات الفلسطينية والتيارات الفكرية على أشده، حيث أفرز النمو السريع في الصحوة الإسلامية إلى تغيير موازين القوى في الساحة الفلسطينية لصالح حركة حماس، الأمر الذي أوجد معطيات جديدة في الواقع السياسي الفلسطيني، وكان له ظلال على الواقع السياسي العربي والعالم.

وقد اكتسبت التيارات السياسية الفلسطينية نوعاً من الخبرة والفهم لسياسات العدوان متعدد الأسماء، وكان أداؤها السياسي في السنوات العشرة الماضية يختلف بصورة

جوهرية عن العطاء النظري الذي تميزت به على مدار السنوات التي سبقت ذلك، من حيث حجم العمل، ونوعيته، وثقله على الساحة السياسية.

٣. واقع المنظمات الأهلية في فلسطين:

بدأ الوعي الجماهيري الفلسطيني يبرز على الساحة الفلسطينية مؤشرات النضوج المعرفي المتمثلة بالمجتمع المدني صاحب التوجه الفاعل، من خلال ما أفرزته حركات التحرر والانتفاضات المتعاقبة من متطلبات ضرورية للتعايش داخل المجتمع الفلسطيني ضمن منظومة تحقيق الصمود الفعلي، والتأهيل المعرفي والخبراتي للشعب الفلسطيني على اختلاف شرائحه.

ومع أن العمل المجتمعي من خلال منظمات المجتمع المدني لم يبلور لغاية الآن صورته ووجهته العامة، واتسم بالطابع الفردي والارتجالي في كثير من صورته، إلا أن مستويات الأداء الإيجابي من المجتمع المدني الفلسطيني آخذة بالنمو التراكمي، وتتوسع أفقياً وعمودياً لتناسب مع متطلبات الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

والملاحظ أن الواقع الأهلي والمؤسسي والنقابي الفلسطيني يتجه نحو ترسيم سياساته الخاصة به في وقت قريب، وهناك بارقات أمل تدل على ارتفاع الوعي الجماهيري والنخبوي على مستوى الفرد والمؤسسة والمجتمع، بضرورة تحقيق الإنجازات المرحلية والاستراتيجية التي تتفق مع المشروع الفلسطيني في مواجهة مشروعات العدو، ومن يقف خلفه من دول الاستكبار العالمي.

كما بدت المسميات الناضجة للمنظمات الأهلية، وتشكيلات المجتمع المدني المختلفة تشق حياتها بين النخب المثقفة والشرائح المختلفة، الأمر الذي يبشر بمستقبل مرموق للعمل المؤسسي الفلسطيني.

٤. آفاق العمل المدني الفلسطيني:

للواقع الفلسطيني سمات فارقة، تجعل منه واقعاً يعيش في متغيرات سياسية واجتماعية متقلبة، ونتيجة السياسات المختلفة، والتناقضات الموجودة على صعيد السياسة والعمل الحزبي، فإن المجتمع المدني الفلسطيني يشهد تراجعاً ملحوظاً في الأداء، في فترة ركود مؤقتة، لكنه سرعان ما سيتعافى ليلحق الركب بقوة واقتدار.

إن وجود النخب المثقفة في الشارع الفلسطيني يجعل من المقومات الأساسية للعمل النقابي والمؤسساتي أمراً ميسوراً متاحاً، ويوفر الأرضية للبدء بمشروعات أهلية تؤسس لتحركات اجتماعية ذات مصداقية على الأرض الفلسطينية، تثبت نفسها بالقول والفعل، والنظرية والممارسة على حد سواء.

وهناك نظرة تفاؤل تجاه المستقبل يمكن التنبؤ بها مع قصر عمر التجربة المدنية الفلسطينية، وما استطاعت أن تحققه في خلال سنوات قصيرة، الأمر الذي يدل على قدره مستقبلية لمداواة أوجه الخلل، والسير في خطى واثقة نحو مستقبل يسوده العمل المنهجي الإداري السليم، ويحتل فيه المجتمع المدني على اختلاف تشكيلاته مكانة مؤثرة، وذات ثقل على المستويين السياسي والاجتماعي.

٥. دور المؤسسات الإسلامية الفلسطينية في الصراع مع الاحتلال:

لكون المجتمع المدني بمؤسساته ونقابات وهياته التمثيلية جزءاً من العناصر الأساسية التي يتكون منها المجتمع الفلسطيني، فإن المؤسسات الفلسطينية عموماً قد لعبت دوراً مباشراً في تعزيز صمود المجتمع، والتكفل بمتطلبات المراحل السياسية التي عاشها الشعب منذ النكبة عام ٤٨ م، مروراً بنكسة عام ٧٦ م، وصولاً إلى التقلبات السياسية والتكوينية في المجتمع الفلسطيني في فترة أوصلو وما تلاها.

كان النمو الحاصل في بناء وأداء المؤسسات الأهلية الإسلامية واضحاً وبارزاً، وكانت له مدلولاته على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية الفلسطينية، حيث ساهمت هذه المؤسسات بدور كبير في الحفاظ على هوية الشعب الفلسطيني في وجه سياسات التهويد

والتغريب والاستشراق، وكان لها دورها البارز والحيوي في تقديم الخدمات المختلفة للشعب الفلسطيني، على المستويات المتعددة.

وبرغم استهداف العدو لهذه المؤسسات، وما تبع ذلك من تضيق وحصار من السلطة الفلسطينية عليها، إلا أنها استطاعت أن تكون رقماً صعباً في معادلة الصراع، لما لها من أثر في تكوين العقل الفلسطيني، وتشكيل الوعي الشعبي، والسياسة الجمعية والجماعية، وتوفير مقومات الصمود والتحدي للشعب الفلسطيني؛ في ظل أفسى الظروف وأعتها.

هيكل الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى إطارها النظري، وفصول أربعة، تحتوي على مباحث ومطالب عدة، وقسم خاص بالفهارس والتوثيق العلمية المطلوبة.

بدأ الباحث بالإطار النظري الذي يلخص جوانب هذه الدراسة ومشكلاتها، وأهدافها وفرضياتها، والدراسات السابقة التي سبقت إعدادها، كما واشتمل الإطار النظري على هيكلية الدراسة ومستخلصها ونحو ذلك.

وفي الفصل الأول: تناول الباحث المجتمع المدني عموماً، بنشأته، ونظرياته الفلسفية التي نشأ عليها، وعرّج على التعريفات والمصطلحات المستخدمة عند منظره، لينتقل منها إلى الخلافات الموجودة في اعتبار بعض أشكال الحراك في المجتمع، ومنه إلى تشكيل الرأي العام من خلال المنظمات المدنية.

ركز الباحث في هذا الفصل أيضاً على دور المجتمع المدني، ومرتكزاته وشعاراته، وجوانب اهتماماته، لينتقل بعد ذلك إلى توصيف المجتمع المدني المعاصر، بوضعه القانوني، وطبيعته في المجتمعات الغربية والعربية.

أتبع الباحث ذلك بالحديث عن التأصيل الشرعي للعمل في إطار المجتمع المدني، مبيناً ذلك بالنصوص الصريحة، وذكر بعد ذلك التأهيل النفسي للخوض في ميدان العمل العام من خلال منظمات المجتمع المدني المختلفة.

أما الفصل الثاني، فقد تناول واقع النظام السياسي الفلسطيني بوصفه الحاضن للمجتمع المدني، حيث تناول الباحث طبيعة النظام السياسي الفلسطيني، ومراحل تكونه ونشوئه، والمشهد السياسي العام في الوقت الراهن من خلال بيان واقع وحال التنظيمات والتيارات السياسية الفلسطينية، والطوائف الموجودة في فلسطين.

تناول الفصل الثاني أيضاً مبحثين مهمين، اشتمل أحدهما على بيان طبيعة المجتمع المدني الصهيوني، وعلاقته بالطبيعة التكوينية للصهاينة، وبيان شكل وحجم العمل المدني لديهم في الداخل والخارج، وسلط الضوء على نظرة الإسلاميين لشعارات المجتمع المدني الأساسية، حيث تم الحديث عن الديمقراطية وحقوق الإنسان، والعدالة الاجتماعية، والتنمية.

وبين الباحث من خلال هذا الفصل أيضاً القراءة الموضوعية لواقع واحتياجات الشعب الفلسطيني من خلال خمسة مطالب تم بسطها في مبحث خاص بها.

وقد ركز الباحث في الفصل الثالث من هذه الدراسة على بيان واقع المجتمع المدني الفلسطيني، من خلال بيان التطور التاريخي في نشأته، وواقعه القانوني، وشكل وإشكاليات المجتمع المدني الفلسطيني الراهن، وما له من علاقة بالواقع السياسي العام.

تناول هذا الفصل أيضاً العلاقة المباشرة والتبادلية بين منظمات المجتمع المدني الفلسطيني والشرائح الأساسية الثلاثة في المجتمع، وهي: النساء، والشباب، والأطفال، فيما تم تخصيص المبحث الرابع والأخير فيه لبيان طبيعة وأشكال استهداف الصهاينة للمجتمع المدني الفلسطيني.

أما الفصل الرابع والأخير، فقد سلط فيه الباحث الضوء على وسائل استنهاض الواقع المدني في فلسطين من خلال منهجية تأصيلية ونفسية وإدارية متكاملة.

ركز الباحث في هذا الفصل على مسألة التأسيس الإداري المنهجي لمنظمات المجتمع المدني، وما يلزم وجوده في ساحة العمل حتى يكون العمل المدني مثمراً ومؤثراً في الواقع الفلسطيني بشكل عام، مع بيان لكيفية مواجهة العقبات الموجودة.

اختتم الباحث هذا الفصل بالحديث عن ملامح الإبداع والتميز التي من شأنها أن ترتقي بالواقع المدني الفلسطيني بصورة فاعلة، حيث تناول فيه الدور الاستراتيجي لمنظمات المجتمع المدني، وكيفية بنائها وفق هذا التصور، وانتقل منها إلى ضرورة تشكيل جماعات الضغط المؤسسية، إضافة إلى تناول مسألتي: إقتناص الفرص، والنهوض من خلال المفاوضة الجماعية.

وذيل الباحث هذه الدراسة بالخاتمة، وقياس تحقق فروض البحث، والتوصيات، وأتبع ذلك بالفهارس التوثيقية المطلوبة، كفهرس المحتويات، وثبت المراجع والمصادر، وفهرس الآيات والأحاديث والأشعار والأمثال ونحوها.

الفصل الأول

ويشتمل على المباحث الآتية:

١. (نشأة المجتمع المدني ومفهومه). وفيه المطالب الآتية:

- نشأة المجتمع المدني
- التطور التاريخي لطبيعة المجتمع المدني
- الفكر التأسيسي للمجتمع المدني
- التعريفات والمسميات الخاصة بالمجتمع المدني
- الخلاف حول مضمون المجتمع المدني.. وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: سبب الاختلاف وطبيعته

المسألة الثانية: الاختلاف في اعتبار الأحزاب السياسية

المسألة الثالثة: الاختلاف في التشكيلات التقليدية

المسألة الرابعة: الاختلاف في التشكيلات الدينية

- تشكيل الرأي العام من خلال العمل المدني

٢. (دور المجتمع المدني). وفيه المطالب الآتية:

- الاختلاف في فهم الدور المنوط بالمجتمع المدني
- الدور الفعلي للمجتمع المدني.. وفيه أربع مسائل:

- المسألة الأولى: بين المصطلح والمعنى

- المسألة الثانية: المرتكزات العامة لعمل المجتمع المدني، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: إيجاد وتعميم المبادئ والثقافة الديمقراطية.

الفرع الثاني: توفير العدالة الاجتماعية.

الفرع الثالث: احترام حقوق الإنسان.

- المسألة الثالثة: الجوانب الفعلية لاهتمامات المجتمع المدني.

- المسألة الرابعة: دور المنظمات في تفعيل الكادر البشري وتطويره.

٣. (المجتمع المدني المعاصر). وفيه المطالب الثلاثة الآتية:

• الوضع القانوني للمجتمع المدني.

• المجتمع المدني الغربي.

• المجتمع المدني في العالم العربي.. وفيه مسألتان:

- المسألة الأولى: الطبيعة الحالية للمجتمع المدني العربي

- المسألة الثانية: بؤادر النمو الفعلي للمجتمع المدني العربي

٤. (التأصيل الشرعي والنفسي لمشروع العمل المدني الفلسطيني)، وفيه المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الاول: التأسيس الشرعي النظري للعمل في النطاق المدني المعاصر.

المطلب الثاني: الأدلة الشرعية على جواز العمل من خلال مضمون المجتمع المدني،

وفيه مسألتين:

- الأدلة من كتاب الله تعالى.

- الأدلة من السنة النبوية المطهرة.

المطلب الثالث: التأهيل والإعداد النفسي للتوجه المدني.

المبحث الأول

(نشأة المجتمع المدني ومفهومه)

المطلب الأول

نشأة المجتمع المدني

يعتبر مصطلح " المجتمع المدني " واحداً من المصطلحات الحديثة التي وفدت إلى الأمة الإسلامية والعربية من المجتمع الغربي (٢)، وبالتالي، فإن الباحث عن هذا المصطلح وأمثاله وأمثاله في التاريخ العربي لن يجد شيئاً خاصاً متعلقاً بالمجتمع المدني كمصطلح، أو المؤسسات الطوعية والأهلية أو ما شابهها من الإطلاقات الخاصة بالمنظمات الأهلية (٣).

وتختلف الآراء حول النشأة التاريخية للمنظمات الأهلية في المجتمع الغربي، و حول طبيعتها وارتباطاتها ودورها ومساراتها، وحتى يتم بيان التصورات المتعلقة بالنشأة لهذه المنظمات المدنية، سيعرض الباحث أبرز الآراء في المسألة:

١. يضع البعض نشوء المنظمات الأهلية في السياق الطبيعي لتطور المجتمع البشري، واختراعه للأشكال الأكثر شفافية في إدارة شؤون المجتمع وحل مشكلاته.

٢. انظر في ذلك: جريدة الصباح - العراق / من خلال موقعها الإلكتروني على الانترنت، مقال بعنوان: ما هو المجتمع المدني، للكاتب: عبد الجبار خضير عباس / منشور بتاريخ: ١ كانون الثاني ٢٠٠٢.

٣. ولكن المضمون الحقيقي للمجتمع المدني، والمعروف بالتنظيم العام للعمل، وإيجاد الممثلات المختلفة للمهن والحرف والعمل الشعبي؛ معروف منذ القدم، وتأسل في الفترة الإسلامية من خلال الدواوين، وما تبع ذلك من وجود لتجمعات الحرفيين والوعاظ والساسة ونحو ذلك، دون أن يرتبط هذا النشاط بمسمى العمل المدني كمصطلح.

هذا الفريق من الباحثين يرى أن تطور العقل البشري، وخبرته في التجارب والمعارف الحياتية المختلفة قد قادت البشرية إلى التفكير في نظام عملي مدني، يسعى لدور إيجابي في الحفاظ على الحقوق والمكتسبات العامة والخاصة.

برأي الباحث؛ فإن هذا التبسيط للأمر لا يليق، فالتطور البشري والتقدم في المستويات الفكرية والمعرفية قاد إلى الواقع العام بكل تفاصيله، والحديث عن جزئية المجتمع المدني يتطلب سبباً تفصيلاً لنشوتها إذ لا مانع ولا تعارض.

٢. يرى آخرون أن نشوء هذه الظاهرة من نتائج العولمة الراهنة (٤)، وأنها جاءت بدعم وتمويل دولي، وهي تعبير عن رؤية ليبرالية للأشكال المدنية للارتباطات المجتمعية في المجتمع المدني الدولي.

يقول الباحث عبد الجبار عباس: ((مصطلح المجتمع المدني، هو من إفرزات الفكر الغربي، وولادته في المجتمع الأوروبي، جاءت نتيجة تزامن النهضة الفكرية مع الثورة الصناعية إلى جانب فصل الكنيسة عن الدولة وبذلك تجاوزت هذه المجتمعات الحالة الفطرية - الطبيعية - إلى المجتمع المدني فهو حاجة واستجابة للتحويلات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية (() (٥).

٤. انظر في مفهوم ومدلول العولمة بثوبها المعاصر: عولمة عادلة (توفير الفرص للجميع) / اللجنة العالمية المعنية بالبعد الاجتماعي للعولمة / منظمة العمل الدولية - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ٢٣.

٥. جريدة الصباح - العراق / من خلال موقعها الإلكتروني على الانترنت، مقال بعنوان: ما هو المجتمع المدني، للكاتب: عبد الجبار خضير عباس / منشور بتاريخ: ١ كانون الثاني ٢٠٠٢.

وجاء ذلك واضحاً في وصف الأستاذ برهان غليون الذي أسند وجوده إلى نمو ظاهرة العولمة بكل وجوهها (٦).

٣. فريق ثالث يردّها إلى فشل مشروع الدولة الوطنية أو غير الوطنية وعدم قدرتها على القيام بمهامها، وهو ما اصطلح على تسميته " فشل الدولة التقليدية "، الأمر الذي دفع العقل البشري إلى إيجاد أجسام تمثيلية بديلة عن الدولة ولا تنضوي تحت جناحها.

يقول أحد الباحثين من أصحاب هذا الرأي:

الاستخدام الأول هو الذي كان يجعل منه مناقضا لمفهوم الطبيعة والمجتمع الطبيعي، الذي هو بالنسبة للبعض المجتمع الحيواني أو المجتمع الأبوي أو المجتمع التقليدي أو مجتمع الحرية الأولى، وقد نشأ هذا الاستخدام في سياق تحلل النمط التقليدي للمجتمع الإقطاعي أو الدولة ما بعد الإقطاعية، القائمة على البديهة (٧) الدينية أو العرفية، ونمو الشعور بأن السياسة صناعة، أي نشاط عقلي وتابع لعمل الإنسان والمجتمع، ومن خلف ذلك ظهور النظرية السياسية الحديثة، وكانت الحاجة ضرورية لمفهوم جديد يعكس التزوع المتزايد لاكتشاف ما سوف يسمى بالسياسة المدنية، أي السياسة التي تعبر عن حقيقة الإنسان وطبيعة اجتماعه المدني، وخصوصيته مقابل ما كان سائدا في الحقبة الوسيطة من انعدام السياسة كمجال عام ومشترك، ومن ارتباط السياسة بالدين أو بالإرث الأرستقراطي أو بالاثنين معا. فبنية المجتمعات ما قبل الحديثة كانت تقتصر على ثلاث مراتب أساسية من الوجهة السياسية، رجال الدين والكنيسة، طبقة النبلاء أو ملاكين الأرض والإقطاعيين، ثم عامة الشعب. ولم يكن لعامة الشعب أي اعتبار في أي موضوع يخص ما نسميه اليوم موضوعات سياسية (٨).

٦. موقع: الطريق على الانترنت WWW.IRAQCP.ORG، مقالة بعنوان: نشأة مفهوم المجتمع المدني وتطوره من المفهوم المجرّد إلى المنظومة الاجتماعية والدولية، بقلم: برهان غليون.

٧. الأصل أن يقول بديهية بدل بديهة، ولكن الباحث أبقياها على حالها لكونها من المصطلحات الدارجة في الاستخدام.

٨. موقع: الطريق على الانترنت WWW.IRAQCP.ORG، مقالة بعنوان: نشأة مفهوم المجتمع المدني وتطوره من المفهوم المجرّد إلى المنظومة الاجتماعية والدولية، بقلم: برهان غليون، وانظر في ذلك أيضاً: الموقع

ويربط الباحث الفلسطيني المختص تيسير محيسن غياب الدولة التقليدية ونشوء الدولة المعاصرة كبيئة خصبة لنمو وازدهار المجتمع المدني بوجود الإطار المجتمعي المكون من الأفراد الأحرار ذوي الروابط التي توصل لعمل سليم، فيقول في ورقة عمل له:

ارتبط ميلاد مفهوم المجتمع المدني وتطوره بميلاد الدولة الحديثة وتطورها. وبالتالي، يفترض وجود أفراد أحرار يمكن تخيل ارتباطهم التعاقدية، كما يفترض تجسيد سيادة الأمة، ويتطلب درجة من التطور الاقتصادي تمكن المجتمع من إعادة إنتاج نفسه خارج الدولة (٩).

٤. يرى غير هؤلاء وهؤلاء أن جملة أسباب أخرى سببت نشوء مفهوم المجتمع المدني، كانتشار برامج الخصخصة، والابتعاد عن نظام السوق (١٠)، وتحول النظام الدولي إلى أحادية القطب (١١)، والثورة التكنولوجية (١٢)، والتطور في الاتصالات والإعلام، ونشوء منظمات الأمم المتحدة والبنك الدولي ونحوها (١٣).

الإلكتروني لمؤسسة صوت المجتمع - فلسطين WWW.SVACC.ORG ، مقالة بعنوان: مؤتمر: مؤسسات المجتمع المدني والمنظور المستقبلي - ورقة عمل - "واقع مؤسسات المجتمع المدني الحالي" / إعداد: تيسير محيسن. ٩. الموقع الإلكتروني لمؤسسة صوت المجتمع - فلسطين / على الانترنت WWW.SVACC.ORG ، ضمن فعاليات مؤتمر: مؤسسات المجتمع المدني والمنظور المستقبلي / ورقة عمل: "واقع مؤسسات المجتمع المدني الحالي" / إعداد: تيسير محيسن.

١٠. مصطلح يطلق ويراد به الشركات والمصانع والمشاغل والمطاعم ونحوها، ويسمى أيضاً: اقتصاد السوق.. ١١. بعد انهيار المعسكر الشرقي بقيادة روسيا، حيث أصبحت الولايات المتحدة القطب الوحيد المتحكم بالسياسات عالمياً وفق المصطلح المستخدم.

١٢. انظر في ذلك: الأهداف النقاوية / محمود فضيل التل / مؤسسة فريدريش إيرت - بيروت / الطبعة الأولى / ص ١٥.. وكذلك: النقابات العمالية - تنظيمها ونشاطها في العالم وفي لبنان - درس تحليلي مقارن / د. عفيف زينات / منشورات مؤسسة فريدريش إيرت - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٧٣ م) / ج ١ / ص ١٦.

١٣. انظر في ذلك: موقع (نصوص) على الانترنت WWW.ALEFYAA.COM ، مقالة للباحث الفلسطيني جميل هلال، بعنوان: حول إشكاليات مفهوم المجتمع المدني - مداخلة حول ندوة المجتمع المدني، بيروت تشرين أول ٢٠٠٤، منشورة بتاريخ: تشرين أول/أكتوبر ٢٠٠٤.

للحقيقة، فإن أي متابع للتسلسل التاريخي لنشوء وتطور المجتمع المدني كمصطلح أو كممارسة، يلحظ الترابط العضوي بين الأسباب المذكورة أعلاه، فجميع هذه الأسباب بلا استثناء هي التي ساهمت بنضوج المفهوم الخاص بالمجتمع المدني، وليس أحدها منفرداً، وهذا ما بدأ يتضح عند الباحثين في الفترات الزمنية المعاصرة، بعد نضوج المعرفة وتعميم المعارف من خلال العولمة الثقافية (١٤).

فالتطور البشري هو الذي ألغى كثيراً من المفاهيم التي كانت تصلح في الأزمنة الأولى، وهو الذي ابتكر مفهوم التكنولوجيا والتقدم في مجالات الاتصالات، وهو الذي أعفى الدولة التقليدية من مهامها، وهو الذي ابتدع ظاهرة العولمة، والنظريات الليبرالية والتقدمية، وهو من أسس لحدوث التغيرات السياسية والديموغرافية في شتى بقاع الأرض.

من هنا، فإن ترابط ما ذهب إليه كثير من الأطراف - التي تم بيان رأيها - يعتبر ترابطاً عضوياً تفرضه طبيعة النظام الإنساني، وما تم على مسرح الحياة من تغيرات مسّت الإنسان والبيئة والجغرافيا والنظام التقليدي على حد سواء، الأمر الذي جعل مفهوم المجتمع المدني يتطور بتطور المراحل، ويختلف مدلوله في كل مرحلة عن التي سبقتها.

^{١٤}. انظر المرجع السابق.

يؤيد البنك الدولي هذا التوجه بقوله:

حدثت زيادة كبيرة في حجم ونطاق وقدرات المجتمع المدني في مختلف أنحاء العالم على مدى السنوات العشر الماضية، وساعد على ذلك عملية العولمة واتساع نطاق الحكم الديمقراطي، والاتصالات السلوكية واللاسلكية، والتكامل الاقتصادي (١٥)

وإذا كان هذا التسارع قد تم في العشر سنوات الأخيرة، فإن التغير الذي سبقه على مدار سنوات أخرى أشدّ لزوماً، لكونه مرتبط بالتغيرات الكبرى في العالم.

ومع أن العالم العربي بدأ يتعاطى بهذا المصطلح حديثاً، وبدأ الساسة والمنظرون والتيارات والأحزاب يتداولونه فيما بينهم، إلا أن نشأته في المجتمع الغربي سبقت في هذا المجال بعشرات السنين (١٦)، سيما في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، الأمر الذي أتاح لهذه الدول أن تبني نظامها وفق رؤية مجتمعية تقدمها هذه المنظمات الفاعلة طويلة الخبرة والتجربة.

^{١٥} . الموقع الإلكتروني للبنك الدولي على الانترنت / www.worldbank.org موضوع: تعريف المجتمع المدني.

^{١٦} . مثل مفوضية المؤسسات الخيرية البريطانية، والتي مضى على تأسيسها أكثر من (١٥٠) سنة، وانظر في ذلك: موقع الانترنت الخاص بالمفوضية وعنوانه www.charitycommission.gov.uk.

المطلب الثاني

التطور التاريخي لطبيعة المجتمع المدني

مع تطور الفهم البشري للحياة وآليات التعامل مع الإنسان والبيئة، كان الواقع السياسي والاجتماعي خاضعاً بصورة كاملة لمعطيات هذا التطور، وانساقاً للأحداث لترخي ظلالها على المجتمع بكل فئاته وشرائحه وظروفه.

ومع الإقرار بأن حال المجتمعات ليس واحداً، وحال الإنسان الفرد لا يكون مستنسخاً عن غيره، لوجود الفروق الفردية، فإن طبيعة التعامل مع الدولة، ومع المجتمع، ومع القضايا التي تخص الفرد والمجموع لم يكن على مستوى واحد من حيث الأداء والتعامل والأفق.

فقد كان مفهوم المجتمع المدني في بداياته يشكل تعبيراً حقيقياً عن حاجة الإنسان للموضوع في إطار الحداثة، وما أفرزته السنوات من تغييرات تمس النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكان من نتاج ذلك، أن تغير السلوك في الحركات الاجتماعية الأولى عنه بعد سلسلة من التطورات التاريخية، واستمر التغيير في حال الأفراد والحركات الاجتماعية تبعاً للتغيير العام، الأمر الذي جعل المتابعين والمختصين يصنفون مراحل تطور المجتمع المدني إلى أربعة مراحل:

بدأ المجتمع المدني يسير مع الأنظمة الحاكمة في حالة من الوئام المرتبط بالدولة، والتعاطي معها كمدير للأمور بالدرجة الأولى، فكان منساقاً وراء النظم المختلفة في محاولة منه لمجارات السياسة وصناع القرار فيها.

ثم انتقل المجتمع المدني إلى مرحلة " التوازن الذاتي "، حيث بدأت ملامحه تتشكل في ظرف مستقل عن جسم الدولة (١٧).

من ثم؛ أخذت المنظمات الأهلية والتشكيلات المدنية تعمل في توصيف يضعها كتنظيمات وسيطة، في مرحلة بين الفرد والدولة، كمؤسسات ومنظمات عاملة للحفاظ على الحق، ومنع إسراف الدولة، وكبح جماح التفرد في صياغة القرارات العامة (١٨).

أخيراً: أخذ المجتمع المدني الحديث ينمو على أنه كيان مستقل بذاته، صاحب توجهات وصفات تجعله نظاماً ذا طبيعة خاصة ومواصفات تتعلق به بعيداً عن إطار الدولة، وبعيداً عن إطار الفرد، ومن غير خضوعه إلى تصنيف القطاع الخاص، حيث أصبح جسم المجتمع المدني الحديث يشكل العلامة الفارقة في كيان أي دولة متحضرة، والتشكيل الأبرز في رسم سياساتها الخاصة والعامة، بل وتعدى ذلك ليكون حجر الزاوية في أي تكوين لطبيعة هذا النظام السياسي أو ذلك.

يقول الأستاذ تيسير محيسن موضحاً هذه المراحل: ((مرّ المفهوم بعدة تحولات أو تمفصلات، أهمها: مجتمع الوثام الملتحم بالدولة، مجتمع التوازن الذاتي المستقل عن الدولة حيث يجري تقسيم العمل وإنتاج الثروة، تنظيمات وسيطة بين الفرد والدولة للحد من سلطان الأخيرة، والمجتمع الحديث الذي يتشكل تدريجياً بانحلال الجماعات القديمة ونمو جماعات جديدة

^{١٧}. انظر في ذلك: موقع: الطريق على الانترنت WWW.IRAQCP.ORG ، مقالة بعنوان: نشأة مفهوم المجتمع المدني وتطوره من المفهوم المجرد إلى المنظومة الاجتماعية والدولية، بقلم: برهان غليون.

^{١٨}. انظر في ذلك: الحركة النقابية في العالم / جورج لوفران / ترجمة: إلياس مرعي / منشورات عويدات - بيروت / الطبعة الثالثة (١٩٨٦ م) / ص ٩.

حيث يجري تقسيم العمل المتشعب وتنتج الثروة بصورة فردية وتكون الدولة نتاج التعارضات فيه ((^{١٩}).

^{١٩}. الموقع الإلكتروني لمؤسسة صوت المجتمع - فلسطين / على الانترنت WWW.SVACC.ORG، فعاليات مؤتمر: مؤسسات المجتمع المدني والمنظور المستقبلي/ ورقة عمل: "واقع مؤسسات المجتمع المدني الحالي"/ إعداد: تيسير محيسن. وكذلك: موقع: الطريق على الانترنت WWW.IRAQCP.ORG، مقالة بعنوان: نشأة مفهوم المجتمع المدني وتطوره من المفهوم المجرد إلى المنظومة الاجتماعية والدولية، بقلم: برهان غليون.

المطلب الثالث

الفكر التأسيسي للمجتمع المدني

هذا المفهوم من حيث المنطلق له دلالاته الخاصة عند المنظرين الأوائل، والمفكرين الذين ابتكروه في أطروحاتهم النظرية (٢٠)، وعند من قادوا الفكر الخاص به، من أمثال: توماس هوبز، وجون لوك، و جان جاك روسو، و هيكل - هيغل -، وماركس، و غرامشي (٢١) وغيرهم.

يدل على ذلك ما ذهب إليه المفكرون بأنه:

ليس هناك مفهوم ثابت وجامد وناجز وقابل للاستخدام في كل زمان ومكان، حتى تلك المفاهيم التي تبدو لنا كذلك، فالمفهوم مرتبط بتاريخ نشأته، أي بالمشكلات التي كانت مطروحة في وقت نشوئه، كما هو مرتبط بالاشكاليات النظرية التي رافقت هذه المشكلات، أي بنوعية المناظرة الفكرية التي دارت من حول المشاكل المطروحة والطريقة التي واجهها بها المثقفون. فهو بالضرورة ابن بيئة تاريخية اجتماعية محددة وهو ابن فكر محدد أيضا (٢٢).

٢٠. يشير بعض الباحثين إلى أن نشأة المجتمع المدني كمفهوم كانت من خلال الفكر اليوناني الإغريقي، حيث أشار إليه أرسطو باعتباره " مجموعة سياسية تخضع للقوانين " أي أنه بحسب هذا التعريف لم يكن يميز بينه وبين الدولة، فالدولة في الفكر السياسي الأوروبي القديم يقصد بها النظام السياسي والمجتمع المدني معاً. وانظر في ذلك: المجتمع المدني في ظل النظام الإسلامي / د. بلال نعيم / دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / ص ٥ - ١١.

٢١. انظر في ذلك: جريدة الصباح - العراق / من خلال موقعها الإلكتروني على الانترنت، مقال بعنوان: ما هو المجتمع المدني، للكاتب: عبد الجبار حضير عباس / منشور بتاريخ: ١ كانون الثاني ٢٠٠٢.

٢٢. الموقع الإلكتروني على الانترنت (الطريق) WWW.IRAQCP.ORG / موضوع بعنوان: نشأة مفهوم المجتمع المدني وتطوره من المفهوم المحرد إلى المنظومة الاجتماعية والدولية / بقلم: برهان غليون.

حيث يرى **ماركس** بأن المجتمع المدني يعني مفهوماً برجوازيًا (٢٣) لأن الحديث عنه يحول دون الحديث عن الصراع الطبقي (٢٤)، ويلغي الفوارق بين العام والخاص اللذين هما أساس النظرية الشيوعية.

يشير الباحث برهان غليون إلى ذلك بقوله:

أما **ماركس** فقد نظر إلى الموضوع من منظار التناقض الذي كشف عنه في مسيرة الحداثة البرجوازية ذاتها ومشروعها التحرري نفسه، ففي نظر **ماركس** إن مشروع التحرير السياسي الذي قامت به البرجوازية بالفعل عندما نقلت المجتمعات من النظام القديم إلى النظام الحديث ليس في العمق إلا مشروع استلاب جديد. بل إن السياسة هي في قلب هذا الاستلاب وهي تجسد أعظم أشكال هذا الاستلاب. ففي اللحظة ذاتها التي خلقت فيها برجوازية الدولة كمجال للعام، خلقت أيضا مجال الخاص. وبذلك قضت على الفرد بالتصدع أو الانشقاق في ذاته وهويته نفسها بين ماهيتين متنازعتين ولا يمكن التوفيق بينهما، ماهيته كمواطن، وماهيته كمنتج، فالعام (المواطنة وما تعنيه من حق المساواة) فيه يعيش حالة صدام ونزاع مستمر مع الحقيقة الانتاجية الاجتماعية الفعلية التي تعني التفاوت والتباين الشديدين في شروط الحياة والعيش والممارسة. لذلك سوف يقول إن الحرية التي تعكسها المواطنة التسوية هنا شكلية تماما، ولن يكون هناك تحرر حقيقي للفرد إلا عندما تتوافق شروط الحرية السياسية مع شروط الحرية الاجتماعية (٢٥).

^{٢٣}. الموقع الإلكتروني لمؤسسة صوت المجتمع - فلسطين / على الانترنت WWW.SVACC.ORG، فعاليات مؤتمر: مؤسسات المجتمع المدني والمنظور المستقبلي/ ورقة عمل: "واقع مؤسسات المجتمع المدني الحالي" / إعداد: تيسير محيسن.

^{٢٤}. جريدة الصباح - العراق / صادرة عن شبكة الإعلام العراقي / العدد الصادر بتاريخ: ٢٠٠٢/١/٤ م / موضوع للباحث: عبد الجبار خضير عباس / بعنوان: ما هو المجتمع المدني.

^{٢٥}. الموقع الإلكتروني (الطريق) - على الانترنت WWW.IRAQCP.ORG / موضوع بعنوان: نشأة مفهوم المجتمع المدني وتطوره من المفهوم المجرد إلى المنظومة الاجتماعية والدولية / بقلم: برهان غليون

ومع امتداد آثار البرجوازية في أوج انتصاراتها، وما جلبته على الساحة السياسية والاقتصادية من معطيات، تكوّن الفكر عند ماركس بالدرجة الأولى، وتبعه هيجل في ذلك؛ في كون الظروف الجديدة تتطلب تحديداً مقبولاً للحالة السياسية والاقتصادية الجديدة، وترسيخاً حقيقياً لمعناها ومدلولها، هذه الحالة التي ألغت الطبقة ونقلت من التصور الذهني إلى الحياة الاجتماعية كسلوك مطبق على الأرض، وما تبعه ذلك من تحرر من النظام الإقطاعي، وتحرير للصناعات المختلفة، والاعتماد على نظام اقتصادي غير المألوف في البيئات المجتمعية (٢٦).

وعن التصادم بين المفهوم العام للمجتمع المدني والمفهوم الذي ذهب إليه ماركس يقول الباحثون (٢٧):

... فقد أدت تصفية الحرفة ونشوء الاقتصاد البضاعي وتحلل الملكيات الإقطاعية وتراجع الارستقراطية إلى انخلاع الأفراد عن رحم علاقاتهم القديمة، مما طرح بقوة مشكلة إعادة بناء هذه العلاقات، أي إعادة بناء المجتمع المدني وفهم حقيقته الجديدة في مواجهة وبموازاة الدولة الحديثة معاً. وعلى هذه المشاكل والاشكاليات النظرية سوف يرد فلاسفة القرن التاسع عشر الكبار، وفي مقدمهم هيجل وماركس (٢٨).

^{٢٦}. انظر في ذلك: تاريخ الحركة النقابية العمالية السودانية - نشرة من إعداد رئيس اتحاد عمال السودان / مكتبة اتحاد عمال السودان - الخرطوم / منشورة بتاريخ: ٦/٣/٢٠٠٥ م / صفحة التقديم.

^{٢٧}. انظر في ذلك: مقالة قيمة منشورة على الانترنت للباحث الفلسطيني جميل هلال بعنوان: حول إشكاليات مفهوم المجتمع المدني - مداخلة حول ندوة المجتمع المدني، بيروت تشرين أول ٢٠٠٤ / منشور في شهر ١٠ / م ٢٠٠٤.

^{٢٨}. الموقع الإلكتروني على الانترنت (الطريق) WWW.IRAQCP.ORG / موضوع بعنوان: نشأة مفهوم المجتمع المدني وتطوره من المفهوم المجرد إلى المنظومة الاجتماعية والدولية / بقلم: برهان غليون.

أما تو كفييل.. وهو أحد واضعي فكر المجتمع المدني في مراحل تطوره الأولى، فقد رأى أن الضرورة التي تتطلبها حياة الإنسان، ورفاهيته، وتحقيق العدل الاجتماعي والسياسي له، لا تتم إلا من خلال الجمعيات المدنية.

فعند تو كفييل، يتمثل التصور الشمولي لدور المجتمع المدني بأنه عبارة عن مجموعة من المنظمات المدنية والأهلية القائمة على التنظيم الذاتي في إنضاج وتدعيم نظام الديمقراطية (٢٩).

الجزء الفكري الآخر استكمل بناءه دور كايم، حيث وضع منظمات العمل الأهلي، أو ما يعرف اليوم بأشكال الحركات الاجتماعية (٣٠). بمرتبة وسطى بين الدولة والفرد.

يقوم تصور دور كايم للمجتمع المدني على أساس أن يوفر هذا الجسم من المؤسسات المدنية شبكة أمان بين الفرد والدولة (٣١).

لعل المفهوم المطروح هنا يتعلق بالحالة المعاصرة التي يعيشها المجتمع المدني في البلاد الغربية، حيث بدأت ملامح المجتمع الغربي تميل إلى كونها جسماً مستقلاً عن جسم الدولة وعن

^{٢٩} . الموقع الإلكتروني لمؤسسة صوت المجتمع - فلسطين / على الانترنت WWW.SVACC.ORG ، فعاليات مؤتمر: مؤسسات المجتمع المدني والمنظور المستقبلي/ ورقة عمل: "واقع مؤسسات المجتمع المدني الحالي" / إعداد: تيسير محيسن.. وانظر في معنى الديمقراطية الغربية وفحواها: مدخل إلى النظرية السياسية في القرآن الكريم / بروفييسور زكريا بشير إمام / دار هزابر للنشر والتوزيع - الخرطوم / الطبعة الأولى (١٩٩٩ م) / ص ٨٤ - ٨٧.

^{٣٠} . سيأتي تعريفها ضمن مبحث خاص في هذا الفصل.

^{٣١} . الموقع الإلكتروني لمؤسسة صوت المجتمع - فلسطين / على الانترنت WWW.SVACC.ORG ، فعاليات مؤتمر: مؤسسات المجتمع المدني والمنظور المستقبلي/ ورقة عمل: "واقع مؤسسات المجتمع المدني الحالي" / إعداد: تيسير محيسن.

الفرد على حد سواء، الأمر الذي أتاح أمامها هامشاً كبيراً للحراك السياسي والاجتماعي والاقتصادي وتحصيل الحقوق (٣٢).

التحول الحاسم في النضوج التأسيسي للمجتمع المدني جرى في أعقاب الحرب العالمية الأولى، على يد غرامشي (٣٣)، حيث رأى أن المجتمع المدني هو جزء من البنية القومية للمجتمع، وأن هناك مستويين للمجتمع المدني:

المستوى الأول: مجموعة التنظيمات التي غالباً ما تسمى بالتنظيمات الخاصة.

والمستوى الثاني: المجتمع السياسي أو الدولة.

ويرى غرامشي أن وظيفة المجتمع المدني هي الهيمنة عن طريق الثقافة والصراع من خلال الأيديولوجيا، أما وظيفة الدولة: فهي السيطرة والإجبار، بحيث اعتبر المجتمع المدني مجالاً حقيقياً للتنافس الأيديولوجي بين المستويين (٣٤).

بذلك؛ حاول غرامشي أن يطرح موضوع المجتمع المدني في إطار نظرية السيطرة والهيمنة الطبقية، ولذلك لا يكفي للوصول إلى السلطة في نظر غرامشي والاحتفاظ بها؛ السيطرة على جهاز الدولة، ولكن لا بد من تحقيق الهيمنة على المجتمع، ولا يتم ذلك إلا من خلال منظمات المجتمع المدني، وعبر العمل الثقافي بالدرجة الرئيسية.

^{٣٢} انظر: النقابات العمالية - تنظيمها ونشاطها في العالم وفي لبنان / ص ١٦.

^{٣٣} الموقع الإلكتروني لمؤسسة صوت المجتمع - فلسطين / على الانترنت WWW.SVACC.ORG
فعاليات مؤتمر: مؤسسات المجتمع المدني والمنظور المستقبلي/ ورقة عمل: "واقع مؤسسات المجتمع المدني الحالي"/ إعداد: تيسير محيسن.

^{٣٤} انظر في ذلك: جريدة الصباح - العراق / صادرة عن شبكة الإعلام العراقي / العدد الصادر بتاريخ: ٢٠٠٢/١/٤ م / موضوع للباحث: عبد الجبار خضير عباس / بعنوان: ما هو المجتمع المدني.

أما توماس هوبز، فقد كان أول من وضع ملامح تعريف للمجتمع المدني بوصفه صورة متكاملة من العمل الهادف، تنطلق من برامج وقيم وثوابت متعلقة بحالة من التوافق بين الفرد والمنظمة الأهلية، والذي أطلق عليه اسم: **التعاقد**.

لذلك، فقد عرّف توماس هوبز المجتمع المدني بأنه: ((المجتمع القائم على التعاقد)) (٣٥).

واعتبر جون لوك أن عملية القيام للنظام الحاكم قائمة على التعاقد، وأن الطرفين المشاركان في هذا التعاقد لا بد من أن يفيا بشروط العقد ومقتضياته.

كما ورأى أن وجود الحكم العام المطلق عن أي ضوابط يعتبر من أكبر المفاسد وأعظمها شراً، وأن وجود الأنظمة المتسلطة هو جريمة بحق المجتمعات المدنية، لكونه ينافي أصل التعاقد القائم بين الطرفين.

وفي هذا السياق، فقد كان جون لوك من أوائل الغربيين الذين أطلقوا شعارات جواز عزل السلطة الحاكمة إذا أخلت بنصوص العقد (٣٦).

وعرف هيجل المجتمع المدني عموماً بناءً على أنه صورة تمثل الحالة الوسطى بين الدولة والعشيرة، أي أن المجتمع المدني هو حالة وسطية بين الدولة وما هو أعلى من الفرد في التشكيلات المجتمعية.

٣٥. جريدة الصباح - العراق / صادرة عن شبكة الإعلام العراقي / العدد الصادر بتاريخ: ٢٠٠٢/١/٤ م /

موضوع للباحث: عبد الجبار خضير عباس / بعنوان: ما هو المجتمع المدني.

٣٦. المرجع السابق.

ولذلك، نجد أن هيجل قد عرف المجتمع المدني بتعريف توصيفي مفاده أن: ((المجتمع المدني يمثل الفضاء بين العائلة والدولة)) (٣٧).

ما ذهب إليه هيجل هنا يجسد صورة من تقديم الدولة درجات عن دورها المفهوم حالياً في سياق الحديث عن المجتمع المدني، فهو يرى أن الدولة لها من الصلاحيات والحقوق ومجالات النفوذ أكبر مما للعشيرة، التي هي رمز للمجتمع المدني عنده.

هذا التصور قد خالف به هيجل كثيراً من المفكرين ممن سبقوه، فالدولة عند من يتعامل بالمجتمع المدني بصورته الفعالة هي جزء من نسيج المجتمع العام، ولها دور مرتبط بمتطلبات المجتمع، وما يتم تقريره من خلال الوسائط بين الفرد والدولة، أو منظمات العمل الأهلي والحركات الاجتماعية.

يقول العلماء في معرض تعليقهم على التصور العام لهيجل:

لكنه لا يجد مضمونه - المجتمع المدني - الحقيقي إلا في الدولة التي تجسد ما هو مطلق، أي الحرية والقانون والغاية التاريخية في أعلى تجلياتها، فالمجتمع يظل على مستوى المجتمع المدني مجتمع المصالح الفردية والمشاريع الخصوصية، أي مجتمع الانقسام والتملك الفردي والصراع، ولا يجد خلاصه إلا في الدولة. ومن هذه التزعة الهيكلية إلى رفع الدولة إلى مستوى الحل والمفتاح معاً للمجتمع سوف تتغذى الحركات والفلسفات القومية التي تضع الدولة فوق المجتمع والتي قادت إلى إضفاء صفة سلبية على مفهوم المجتمع المدني أيضاً لصالح تقديس متزايد لمفهوم الدولة (٣٨).

٣٧. المرجع السابق.

٣٨. الموقع الإلكتروني على الانترنت (الطريق) WWW.IRAQCP.ORG / موضوع بعنوان: نشأة مفهوم المجتمع المدني وتطوره من المفهوم المجرد إلى المنظومة الاجتماعية والدولية / بقلم: برهان غليون.

جدير بالذكر هنا؛ أن كثيراً من المصطلحات المستخدمة في بيان أشكال وتسميات الفئات المنضوية تحت المجتمع المدني قد جرت تسميتها بعد هذه الأطروحات الفكرية، فمثلاً: استخدم مصطلح « المنظمة غير الحكومية » بالتزامن مع قيام منظمة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥ م (٣٩) وهكذا...

من رحم هذه التصورات، وهذه الأفكار النظرية، أخذ مفهوم المجتمع المدني يتبلور تدريجياً، ويتطور مع تطور الإنسان والبيئة والظروف العامة، حتى بات اليوم في صورته المعاصرة، وبشكله العالمي المعاصر (٤٠)، الذي يتفق مع المفكرين القدماء في بعض صورها، ولكنه يفوقهم في مجالات تأثيره من حيث الدور والأثر والأهمية، لا سيما في البلدان الغربية.

^{٣٩}. جريدة الشرق الأوسط / العدد ١٠٢٦٦ / منشور بتاريخ ١/٦ / ٢٠٠٧ م / مقال بعنوان: قوة الضغط

القادمة / عبد الملك بن أحمد آل الشيخ.

^{٤٠}. انظر: الحركة النقابية في العالم / ص ٩.

المطلب الرابع

المسميات الخاصة بالمجتمع المدني

يستخدم البعض مسميات خاصة بهم للدلالة على المفهوم المراد من المجتمع المدني المعاصر، فالبعض يطلق عليها تسميات متماشية من أكثر مكوناته حيوية ونشاطاً في البيئة، والبعض الآخر يطلق تسميات رائجة وشائعة في مجتمعه درجت العادة أن تستخدم دون غيرها، وحتى يعمّ النفع ويقف الباحث على معاني المسميات التي يستخدمها الباحثون المختصون في هذا الشأن؛ فإن تلخيص المسميات العامة التي تدرج في إطار المجتمع المدني يتم على النحو الآتي:

تعريف المجتمع المدني

للعالم الغربي تعريف واضح للمجتمع المدني، يترجمه البنك الدولي على أنه:

مجموعة كبيرة من المنظمات غير الحكومية والمنظمات التي لا تهدف إلى الربح، ولتلك المنظمات وجودٌ في الحياة العامة، وتنهض بعبء التعبير عن اهتمامات وقيم أعضائها أو الآخرين، استناداً إلى اعتبارات أخلاقية، أو ثقافية، أو سياسية، أو علمية، أو دينية، أو خيرية ومن ثم يشير مصطلح منظمات المجتمع المدني إلى مجموعة كبيرة من المنظمات تضم: جمعيات المجتمعات المحلية، والمنظمات غير الحكومية، والنقابات العمالية، ومجموعات السكان الأصليين، والمنظمات الخيرية، والمنظمات الدينية، والنقابات العمالية، والمؤسسات (٤١).

^{٤١} .. الموقع الرسمي للبنك الدولي على الإنترنت - باللغة العربية، مجال: المجتمع المدني / موضوع بعنوان: تعريف

المجتمع المدني / على الموقع الإلكتروني: www.worldbank.org.

ويعرف الأستاذ الباحث محمد حلمي المجتمع المدني بأنه:

مجموعة من المنظمات التطوعية الحرة التي تملأ المجال العام بين الأفراد والدولة، وهدفها هو تقديم خدمات للمواطنين أو تحقيق مصالحهم أو ممارسة أنشطة إنسانية مختلفة، ولعل من أهم مقومات تلك المؤسسات الأهلية أنها تقوم على الفعل الإرادي الحر التطوعي، وأنها لا تسعى للوصول إلى السلطة، وأنها تتواجد في شكل منظمات، ويوجد بها تنوع في الاتجاهات والتيارات المختلفة.. الخ (٤٢).

وتعرفه الباحثة نجاة خوشناو بأنه: ((مختلف المؤسسات والهيئات والجمعيات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي تعمل من أجل مصلحة المجتمع، مستقلة عن سلطة الدولة مادياً ومعنوياً)) (٤٣).

ويتميز المجتمع بإطلاق مصطلح: المدني، عن المصطلح العسكري، فالمدني يُستعمل في كثير من الحالات في مقابل العسكري، تقول مثلاً: حكومة عسكرية وحكومة مدنية، وثياب عسكرية، وثياب مدنية، وسلوك عسكري، وسلوك مدني.

على هذا، فمن المجتمع المدني كما ذهب إليه الباحثون: النقابات المهنية والعمالية، والجمعيات التعاونية والأهلية، ومراكز البحوث، والجمعيات الثقافية، ومراكز حقوق الإنسان، والمساجد، ونحوها..

^{٤٢} .مقالة بعنوان: دور المجتمع المدني في النهضة الديمقراطية، للكاتب: محمد حلمي، على الموقع الإلكتروني: exhaustedcoptic@yahoo.com، الحوار المتمدن - العدد: ١٤٩٦ - ٢٠٠٦ / ٣ / ٢١ .

^{٤٣} . صحيفة الاتحاد / الصحيفة الرسمية لحزب الاتحاد الوطني الكردستاني / صحيفة يومية سياسية / موضوع بعنوان: بحوث ودراسات: فسي الدستور وتطبيقاته / للباحثة: نجاة خوشناو.

بمعنى؛ أن المجتمع المدني هو حصاد التجربة المؤسساتية التي تخوضها كل منظمة طوعية أو مؤسسة أهلية على حدة، والمحصلة النهائية للمجهود المدني السائر على طريق خدمة المجتمع بعيداً عن أهداف ووسائل الدولة الحاكمة، وهو ما يتفق مع المفهوم الكلي لتعريف المنظمة الأهلية أو مؤسسات المجتمع غير الحكومية أو ما شابهها من أسماء، اللهم إلا بكونه يعطي الصفة الشمولية للمجهود العام للعمل المؤسساتي، وقوته وضعفه في المجتمع تبعاً لذلك.

تعريف المنظمة الأهلية

جاء في تعريف مفوضية المؤسسات الخيرية لـانجلترا وويلز للمنظمة الأهلية بأنها: ((أية منظمة غير حكومية لا تجني الربح من أعمالها)) (٤٤)، فجعلت المنظمة الأهلية تعتبر بهذا الوصف إذا كانت ذات طابعين:

١. الطابع الأهلي (غير الحكومي) وهذا يعني عدم تبعيتها للأنظمة الحاكمة في الدول التي تعمل بها.

٢. كونها مؤسسات لا تقوم بهدف جني الربح من المجتمع، أو أن يكون الهدف الأساس من نشاطاتها وفعاليتها: الاتصال بالجمهور من أجل تأمين مصدر دعم لها أو لنشاطاتها.

ومن المفيد - حسب رأي الباحث - أن يتم تأصيل المفهوم الخاص بالربح عند العالم الغربي حتى يسهل الوصول إلى الفكرة المقصودة هنا، فالعالم المادي بطبيعته لا يقيم وزناً إلا للمادة، فهو يرى أن كل موجودات الكون هي مظاهر للمادة (٤٥)، فهم يعملون وفق

^{٤٤}. الموقع الإلكتروني لمفوضية المؤسسات الخيرية لـانجلترا وويلز www.charitycommission.gov.uk

على الانترنت، نشرة بعنوان: الخصائص التي يجب أن تتمتع بها المنظمة الأهلية الكفوءة.

^{٤٥}. انظر: الفكر المادي في ميزان الإسلام / د. صابر طعيمة / مكتبة المعارف - الرياض / الطبعة الأولى: (١٩٨٣ م) / ص ٤٥ - ٥٢.

هذه الرؤية بلا مداراة، اللهم إلا في التقسيمات النظرية للمصطلحات والمفردات والخطط النظرية البعيدة عن التطبيق العملي.

تعريف المنظمات غير الحكومية: Non-Governmental organization NGOs

ويطلق بعض الباحثين والمهتمين على المؤسسات ذات الطابع المدني، أو المنظمات الطوعية أحياناً مصطلح (المنظمات غير الحكومية) وتعني عند من يستخدمها: ((تلك الهيئات ذات الطابع المدني التي تعمل ضمن مجالات تنمية مختلفة: علمية وثقافية وخيرية وتربوية وقانونية ودينية وفنية وغيرها، دون تمييز على أساس العرق أو الدين أو الجنس، وبهدف غير ربحي)) (٤٦).

ومن هذا التعريف يتضح أن واضعي هذا التعريف يرون في المؤسسات غير الحكومية صفات عدة، منها:

١. بعدها عن الإطار الحكومي.

٢. أن يكون مجال عمل هذه المؤسسات في المجالات التنموية المختلفة.

٣. خلو هذه المؤسسات من أنظمة التفريق بين الكادر أو على صعيد التعامل مع الجمهور من معايير التفرقة بينهم بحسب الدين أو اللون أو الجنس.

٤. كون هذه المؤسسات قائمة على أساس غير ربحي.

^{٤٦} انظر في ذلك: تقريراً منشوراً على الانترنت بعنوان: البنية الهيكلية لشبكة المنظمات الأهلية الفلسطينية / منشور

بتاريخ: ٢ تشرين ثاني ١٩٩٥.

ولعل المتابع لهذا التعريف ولتعريف المنظمة الأهلية الذي سبقه يلمس مدى التوافق الذي يكاد يبلغ حد التطابق في المفهوم بين المنظمة الأهلية والمؤسسات غير الحكومية، ليبقى الفارق في الاستخدام من باب تلوين لهجة الخطاب، أو تغيير المصطلحات ليس إلا.

يقول د. حسان العاني أستاذ العلوم السياسية: ((كل منظمة لا يوجد قانون يحدد مهامها رسمياً هي منظمة غير حكومية، حيث تعرف بالاستقلالية وتعمل بموجب ذلك)) (٤٧).

وهذا التعريف للمنظمة غير الحكومية يسلب الضوء على توجهها العملي أكثر مما هو تشخيص لمفردات المصطلح الذي ينضوي تحته، فكان التعريف الأول أقوى وأمتن.

جاء في صحيفة الصباح العراقية:

... مفهوم المنظمات غير الحكومية: أية منظمة أو مؤسسة جرى تأسيسها للقيام بنشاط واحد أو أكثر من الأنشطة التالية التي تعتبر أنشطة رئيسية لها: تقديم المساعدات الإنسانية ومشاريع الإغاثة، مناصرة قضايا حقوق الإنسان والتوعية لها، عمليات تأهيل المناطق السكنية وإعادة توطين المجموعات البشرية فيها، الأعمال الخيرية والأنشطة التعليمية والصحية والثقافية، عمليات المحافظة والصيانة، عمليات حماية البيئة، الإعمار الاقتصادي والتنمية، الترويج للممارسات الديمقراطية، تطوير المجتمع المدني، الترويج للمساواة بين الجنسين أو أي نشاط آخر غير رسمي يخدم المصلحة العامة“ ويشير مصطلح منظمة غير حكومية في هذا الأمر إلى كل المنظمات غير الحكومية الأهلية والأجنبية (٤٨).

^{٤٧}. جريدة الصباح - العراق / العدد الصادر بتاريخ: 6 كانون الثاني ٢٠٠٢ / موضوع بعنوان: ما هو المجتمع المدني / عبد الجبار خضير عباس.

^{٤٨}. جريدة الصباح - العراق / العدد الصادر بتاريخ: 6 كانون الثاني ٢٠٠٢ / موضوع بعنوان: ما هو المجتمع المدني / عبد الجبار خضير عباس.

تعريف الحركات الاجتماعية

أما الحركات الاجتماعية فهي صورة عامة عن الأداء المؤسساتي ونشاط المجتمع الأهلي لتحقيق أهدافه، وتعرف بأنها: ((جهد منظم يقوم به عدد من الناس المؤثرين، ويهدف إلى تغيير - أو مقاومة تغيير - جانب أساسي أو أكثر من المجتمع)) (٤٩).

ويتضح من التعريف الوارد للحركات الاجتماعية بأنها تشمل على مقومات:

١. أنها تنبعث من جهد منظم، أي تسير وفق رؤية ورسالة تسعى لتحقيقها من خلال عمل مقرون بنظام وأجندة منهجية.

٢. ارتباط هذا الجهد بنخبة من ذوي النفوذ والتأثير في المجتمع، كمسؤولي المؤسسات أو العشائر أو النقابات أو ما شابهها من أوجه النشاط الاجتماعي.

٣. أن هدف هذا النشاط هو إحداث تغيير ما في المجتمع، سواء كان هذا التغيير متعلقاً بإيجاد أمر يفتقده المجتمع، أو برفض أمر موجود في المجتمع ويراد إلغاؤه وإنهاؤه.

ويتضح من التعريف للحركة الاجتماعية بأنها تكون من خلال تصور سابق عند من يقوم بها تجاه الهدف أو الأهداف المرجو تحقيقها على الساحة في أي دولة، ولعل هذا هو لبّ العمل المؤسساتي، ومفهومه الشامل في العصر الحديث في مجالات التأثير والتأثر المجتمعية على اختلاف ألوانها ومسمياتها (٥٠).

^{٤٩}. الحركات الاجتماعية في العالم العربي / عزة خليل / مكتبة مدبولي - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٦ م) / ص ٢٧... وانظر كذلك: علم الاجتماع السياسي - دراسة في الحركات الاجتماعية والسياسية / د. إيمان شومان / دار المعرفة الجامعية - مصر / الطبعة الأولى (١٩٩٦ م) / ص ٦٢ - ٧٣.

^{٥٠}. وانظر في ذلك: الموقع الإلكتروني: مجلة العصر WWW.ALASR.WS، من بوابة الثقافة والأدب، موضوع بعنوان: ماذا تقدم الحركات الاجتماعية / بقلم: إبراهيم غرايبة، منشور بتاريخ: ٢٠٠٦/٥/١٦ م.

تعريف المنظمات المهنية

يقصد بالمنظمات المهنية: تلك التجمعات والتكتلات التي تقام في المجتمعات المختلفة من أجل إيجاد أجسام تمثل أصحاب المهن المختلفة في ذلك المجتمع، من أجل البحث عن حقوقهم، ووضع البرامج التي يسترعيها اهتمامهم من أجل التطور والنهوض في المجالات المتنوعة.

يقول الأستاذ طارق حرب: ((المنظمة المهنية: هي التي تهتم بمهنة معينة، كالاتحادات والنقابات)) (٥١).

ومن الأمثلة على هذه المنظمات المهنية، اتحادات الكتاب، واتحادات الأطباء، والمهندسين، والصيادلة، والمحامين، والمدرسين، والاتحادات الزراعية، واتحاد الصناعات، ونحوها، وهي موجودة في مختلف البلدان على امتداد العالم.

لا تعارض بين وجود المنظمات المهنية، أو الاتحادات المهتمة بالمهنيين على اختلاف أشكال مهنتهم ومسمياتها، وبين وجود المنظمات الأهلية الأخرى، بل قد يكون هناك تقاطع إيجابي في سبيل تحقيق الحقوق من خلال هذا الالتقاء والتقاطع.

فمثلاً المنظمة التي تهتم بالدفاع عن حقوق الإنسان تهتم بالمحامي والطبيب إلى جانب من لا مهنة له، وأي إنسان آخر (٥٢)، في حين أن نقابة المحامين تختص بالمحامي فقط، ومثلها نقابة الأطباء، وهكذا..

٥١. جريدة الصباح - العراق / العدد الصادر بتاريخ: 6 كانون الثاني ٢٠٠٢ / موضوع بعنوان: ما هو المجتمع المدني / عبد الجبار خضير عباس.

٥٢. ذلك أن حقوق الإنسان متعلقة بالإنسان عينه، وانظر في ذلك: حقوق الإنسان - إشكالية التدويل والخصوصية / د. عمر بشير الطويبي / المنتدى العالمي الثالث حول فكر معمر القذافي - الكتاب الأخضر / منشورات: المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر - ليبيا / بدون طبعة / ج ٢ / ص ٥.

تشكل هذه المنظمات المهنية الوعاء الجامع لكل أصحاب الحرفة، وهي الجهة النقابية المخولة بالحديث باسمهم، وتمثيلهم في المحافل المختلفة، واتخاذ القرارات المتعلقة بشؤونهم، وفق برامج يتم الاتفاق عليها من داخل كيان أصحاب كل مهنة (٥٣).

جماعات الضغط أو « جماعات المصالح »

تعتبر جماعات الضغط أو (اللوبيز) صورة من صور التألق في العمل المدني، وهي شكل من أشكال التعبير المؤثر والفعال في أي مجتمع من خلال الحراك المدني السلمي.

جماعات الضغط كما يعرفها أهل الاختصاص: ((هي جماعات منظمة من الأفراد تجمعهم مصلحة أو رابطة موحدة؛ ويهتمون بتنمية مصلحتهم وحمايتهم بواسطة التأثير في الرأي العام من جانب، وممارسة الضغط على صانعي القرارات الحكومية من جانب آخر)) (٥٤).

وتتشكل جماعات الضغط من منظمة أو أكثر من منظمات المجتمع المدني، وتكون بينها قواسم مشتركة في مجالات اهتمامها، كحقوق الإنسان، ورفض العولمة، والاهتمام بالبيئة، وجماعات إزالة الألغام، ونحوها (٥٥)، بحيث يصبح تجمعها فيما بينها نقطة قوة لا يستهان بها في السياسة المعمول بها على مستوى دائرة نشاطها، سواء كان عالمياً، أو إقليمياً أو محلياً.

^{٥٣}. انظر في هذا الشأن على سبيل المثال: أهداف الحركات العمالية ومنظماتها، في كتاب: علم الاجتماع السياسي - دراسة الحركات الاجتماعية والسياسية / ص ٣٠٠ - ٣٠٥.

^{٥٤}. جريدة الشرق الأوسط - جريدة العرب الدولية / عدد يوم الأربعاء: ١٠/١٢/٢٠٠٣ م / الصفحة الرئيسية / مقال بعنوان: المجتمع المدني في المملكة العربية السعودية / محمد إبراهيم الحلوة.

^{٥٥}. انظر في ذلك: الأحزاب السياسية والنظم الانتخابية / أحمد عادل / الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر / طبعة عام ١٩٩٢ م / ص ٧.

ويكون الدافع وراء حراك هذه الجماعات فهمها لدورها في القضايا التي تهتم بها، وسميت بجماعات الضغط، لكونها تمارس الضغط على الأنظمة من أجل تقرير السياسات، وسن التشريعات التي تخدم طموحاتها (^{٥٦})، وتلي رغباتها، وذلك من خلال حراك دبلوماسي ونقابي واجتماعي، قد يصل في بعض مراحلها إلى تحريك الشارع من أجل الوصول إلى غايات هذه الجماعات.

وهذا التكتل بين النقابات أو المنظمات متاح للمجتمع المدني بنقباته ومؤسساته وهيئاته المختلفة، حيث ضمته القوانين الدولية (^{٥٧}).

^{٥٦} . انظر في ذلك: جريدة الشرق الأوسط - جريدة العرب الدولية / العدد الصادر بتاريخ ٦/١/٢٠٠٧ م، العدد: ١٠٢٦٦ / مقال بعنوان: قوة الضغط القادمة / بقلم: عبد الملك بن أحمد آل الشيخ.

^{٥٧} . انظر في ذلك: التنظيم من أجل العدالة الاجتماعية / التقرير العالمي. بموجب متابعة إعلان منظمة العمل الدولية بشأن المبادئ والحقوق الأساسية في العمل / مكتب العمل الدولي - جنيف / مؤتمر العمل الأول - الدورة (٩٢ - ٢٠٠٤ م) / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ١٠٩ - ١١٢.

المطلب الخامس

الخلاف حول مضمون المجتمع المدني

سبب الاختلاف وطبيعته

رغم ما بات يتمتع به مفهوم " المجتمع المدني " من رواج في الخطاب الفكري والسياسي العالمي، وما احتله من مكانة رفيعة وبارزة في خطابات الساسة والمنظرين والمصلحين، إلا أنه لا يزال يمتلك معاني ودلالات مختلفة من قبل مستخدميه.

فبعض المروجين لمفهوم المجتمع المدني، يعتبرون أن التيارات السياسية ليست جزءاً منه، ولهم اعتبارهم في هذا الشأن، وآخرون يرون أن الروابط الناتجة عن القرابة والإرث كالعشائر ونحوها لا تدخل ضمن المجتمع المدني، ولهم رأيهم في المسألة.

عزا بعض المتابعين - ومنهم الباحث الفلسطيني جميل هلال - هذا الاختلاف إلى الأصل في اعتبار المجتمع المدني، والطبيعة المنوطة به عند كل من يؤمن به وفق منطلقاته التاريخية، وفهمه لما يجب أن يكون عليه الحال، فيقول:

ومن هنا فالتعريف القانوني الذي يصنف منظمات المجتمع المدني باعتبارها منظمات خيرية وتعمل للصالح العام قد يستثني تشكيلات هامة كالأحزاب السياسية التي تخضع في تكوينها وأهدافها وعضويتها، عادة، لاعتبارات وشروط معينة وقد تجد نفسها، في ظروف معينة، مضطرة للعمل السري، كما يستثني النقابات والاتحادات التي تخضع في أهدافها وشروط

عضويتها لاعتبارات مختلفة عن الأحزاب وعن المنظمات الأهلية الخيرية والدعاوية والتنموية والثقافية والرياضية^(٥٨).

باختصار، فإن المفهوم العام لما يندرج تحت المجتمع المدني من الأسماء والتشكيلات بقي رهناً بالتصور العام للمجتمع المدني عند كل طرف، وكل فريق يختار الرأي الذي يرى تماشيه مع تعريفات المجتمع المدني ودوره في المجتمعات.

وحتى تتضح صورة الخلاف في المسألة، يبين الباحث أهم ما اختلف فيه المنظرون والساسة وصناع القرار في مسألة اعتبار أو عدم اعتبار بعض الوجوه الموجودة في المجتمعات ضمن المجتمع المدني.

الاختلاف في اعتبار الأحزاب السياسية

للتيارات والأحزاب السياسية تعريفات كثيرة عند العلماء، واختلافهم في ألفاظ تعريفها لا يعدو كونه جزءاً من التوصيف لها من وجهة نظر كل منهم.

فالسياسي عموماً هو: ((منظمة من المواطنين يتشابه تفكيرهم بشأن عدد من القضايا الاقتصادية والاجتماعية، ويرغبون في انتخاب ممثلين عنهم في الوظائف العامة بما يتفق مع وجهات نظرهم وآرائهم))^(٥٩).

^{٥٨}. مقالة منشورة على الانترنت للباحث الفلسطيني جميل هلال بعنوان: حول إشكاليات مفهوم المجتمع المدني - مداخلة حول ندوة المجتمع المدني، بيروت تشرين أول ٢٠٠٤ / منشور في شهر ١٠ / ٢٠٠٤ م.

^{٥٩}. الأحزاب السياسية والنظم الانتخابية / ص ١٠٠.

وقد اختار الباحث هذا التعريف من بين التعريفات الكثيرة لكونه يصلح منطلقاً في بيان الاختلاف الحاصل في فهم المنظرين للمجتمع المدني في كونه جزءاً من المجتمع المدني أم لا.

وسبب اختلاف المنظرين والباحثين في هذه المسألة، هو أن تعريف المجتمع المدني يضعه في مقابل العمل النفعي، والعمل التسلطي، فهو بذلك توجه مغاير للمصلحة على اختلاف أشكالها، سواء من خلال الكسب المادي، أو الكسب الوظيفي والصدارة السياسية والاجتماعية ونحوها.

كان اختلافهم في هذه المسألة مبنياً على تصورات ثلاثة:

الأول: أن الأحزاب السياسية هي جزء فاعل من تركيبة المجتمع المدني، وهي تيارات تقوم على تقديم العديد من المجالات الخدمية، ولها برامجها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ونحوها، وهي بناءً على ذلك جزء لا ينفصم عن تشكيلات المجتمع المدني في أي دولة.

فمثلاً يعتبر أستاذ الفكر السياسي في العراق، عامر حسن فياض الأحزاب السياسية في السلطة وخارجها ضمن مفهوم المجتمع المدني (٦٠)، بناءً على فهمه للخدمات التي تقوم بها التيارات السياسية المختلفة في المجتمع، بما يتوافق وبرامج عمل المجتمع المدني من خلال نقاباته واتحاداته ومنظماته الأهلية.

٦٠. انظر في ذلك: جريدة الصباح / العراق - مقالة للباحث: عبد الجبار خضير عباس / منشورة بتاريخ 6 كانون

الثاني ٢٠٠٢ / بعنوان: ما هو المجتمع المدني؟

التصور الثاني: يرى أن الأحزاب السياسية هي تشكيلات تسعى للوصول إلى السلطة)^{٦١}، والرياسة، وصدارة العمل الحكومي، وهذه نظرة مصلحة، والمصلحة مرفوضة في العمل المدني كأساس ومنطلق.

وبالرغم من أن الداهيين إلى القول بهذا الرأي يعتبرون النظرة الأولى عند التيارات السياسية هي الوصول إلى السلطة، وما عداها هي تكتيكات مرحلية لبلوغ الهدف العام، إلا أنهم اصطدموا بوجود التيارات السياسية الهامشية في المجتمعات، والتي لن تصل للسلطة ولا تعمل للوصول إليها أصلاً، إذ يحتاج وضعها إلى توصيف مناسب لها عند من ذهب إلى القول بهذا الرأي.

الثالث: يفيد باعتماد التيارات الحزبية السياسية الموجودة في صفوف المعارضة - في أي مجتمع - جزءاً من المجتمع المدني، ويستثنى منها الحزب - أو الأحزاب - الذي وصل إلى السلطة لكونه هو المكون الأساس لجسم الحكومة القائمة (٦٢).

بناءً على هذا الرأي، يبقى اندماج الحزب السياسي في المجتمع المدني أو خروجه من ضمنه وفق الحراك السياسي الموجود في المجتمع، فإذا فاز الحزب في انتخابات معينة وصار ضمن

^{٦١} انظر في ذلك: مقالة منشورة على الانترنت للباحث الفلسطيني جميل هلال بعنوان: حول إشكاليات مفهوم المجتمع المدني - مداخلة حول ندوة المجتمع المدني، بيروت تشرين أول ٢٠٠٤ / منشور في شهر ١٠ / ٢٠٠٤ م.

^{٦٢} وكذلك الحال إذا تشكلت الحكومة من أكثر من حزب، فهي كلها خارج المجتمع المدني عند من ذهب إلى القول بهذا الرأي.

الحكومة خرج من المجتمع المدني، وإن فاز غيره، وانتقل هو إلى المعارضة عاد للمجتمع المدني ثانية.

برأي الباحث؛ فإن هذا التوجه فضفاض وغير ملائم لطبيعة المجتمعات المستقرة، حيث إن دخول الحزب السياسي لحكومة ما، وخروجه منها قد تكون مسألة قصيرة من حيث الزمن، وهذا معناه أن يتم تغيير المنظومة المجتمعية لأي سبب سياسي كاعتزال حزب، أو وجود انقلاب، أو تحالفات سياسية معينة، أو حجب للثقة عن حكومة ما، الأمر الذي يربك العمل المجتمعي نظرياً وعملياً على حد سواء (٦٣).

يصف الأستاذ جميل هلال هذا الاختلاف بقوله: ((كما يستثني البعض الأحزاب السياسية من تشكيل المجتمع المدني لافتراض أنها تسعى للوصول إلى السلطة (الحكومة)، في حين يصر البعض الآخر على مركزية دورها في المجتمع المدني كونها لا تسعى إلى استلام السلطة فقط، بل لأنها تطرح برامج اجتماعية واقتصادية وتعليمية وغيرها، وبعضها أصغر من أن يأمل للوصول إلى السلطة بل يسعى إلى التأثير على سياسة الحكومة أو الدفاع عن مصالح وتطلعات أقليات قومية أو أثنية أو دينية أو فئات اجتماعية معينة.

لذا؛ يستثني البعض الأحزاب الحاكمة من المجتمع المدني، ويعتبر أحزاب المعارضة من ضمنه. وربما يكون هذا وراء اختزال الدولة في الأدبيات العربية إلى الحكومة (أي إلى السلطة

^{٦٣} . انظر في ذلك: جريدة الصباح / العراق - مقالة للباحث:عبد الجبار خضير عباس / منشورة بتاريخ 6 كانون

الثاني ٢٠٠٢ / بعنوان: ما هو المجتمع المدني؟

التنفيذية) وتجاهل، لاعتبارات عدة، السلطة التشريعية والسلطة القضائية، حتى عندما يكون لهذه وتلك درجة من الاستقلالية والتأثير ((^{٦٤}).

يؤيد النقابي البارز محمد الحنفي هذا التوجه بقوله:

... ومن هذا المنطلق، فالأحزاب السياسية المنفردة فعلا عن الحركة الجماهيرية، بمعناها السياسي الواسع، والتي تأتي استجابة لحاجة الجماهير، بطبقاتها الاجتماعية المختلفة، إلى من يقود نضالاتها السياسية، في أفق إيجاد مؤسسات تعبر عن إرادتها، وتخدم مصالحها، وتعمل على حماية تلك المصالح هي من المنظمات المدنية، أما الأحزاب التي تقف وراء إنشائها أجهزة السلطة، فإنها لا تأتي استجابة لحاجة الجماهير، ولا تعكس الصراع القائم في الواقع، ولا تسعى إلى المساهمة في إيجاد مؤسسات تحترم فيها إرادة المواطنين. ولذلك فهي أحزاب مفكرة، تصنعها أجهزة السلطة، لتحشر فيها مريدها من أصحاب الامتيازات، حتى يتم توظيفهم سياسياً، لتزوير إرادة الشعب _ أي شعب _ لإيجاد مؤسسات مدنية مزورة، تقوم بتشريع وتنفيذ ما تريده وتبناه السلطة القائمة، خدمة لمصالح الطبقة الحاكمة، وسعيًا إلى تأييد الاستبداد القائم (^{٦٥}).

الاختلاف في التشكيلات التقليدية

انسحب الخلاف في مسألة الاعتبار كذلك على غير التيارات السياسية، حتى وصل إلى العشائر والقبائل، فهناك من يحسب العشيرة والطائفة من منظمات المجتمع المدني، على أساس كونها جزءاً من الحركة الاجتماعية، ولا تسعى للكسب المادي، على عكس من يصفها بمفاس.

^{٦٤}. مقالة قيمة منشورة على الانترنت للباحث الفلسطيني جميل هلال بعنوان: حول إشكاليات مفهوم المجتمع المدني - مداخلة حول ندوة المجتمع المدني، بيروت تشرين أول ٢٠٠٤ / منشور في شهر ١٠ / ٢٠٠٤ م.

^{٦٥}. الموقع الإلكتروني للباحث والنقابي البارز: محمد الحنفي

mailto:elhanafim@yahoo.fr، وعلى موقع الحوار المتمدن على الانترنت - مقال بعنوان:

العلاقة المتبادلة ما بين الأحزاب السياسية، والمنظمات النقابية، والجماهيرية.. بتصرف يسير يقتضيه السياق.

للتعصب وصناعة الكراهية والعمل على إقصاء الآخر^{٦٦}، والسعي للوصول إلى المناصب والمراكز في المؤسسات الحكومية وغيرها.

منشأ هذا الاختلاف ناجم عن الدور الفعلي الذي تلعبه العشائر والتجمعات القبلية في العالم العربي على وجه التحديد، فالقبيلة لا زالت صاحبة صولة وجولة في الميدان السياسي والاجتماعي، وذات حضور حقيقي في الفعل المؤسساتي^{٦٧} وبشكل يسهل فهمه من مجريات الواقع^{٦٨}.

يقول عمر حسن فياض أستاذ الفكر السياسي في جامعة بغداد عن هذا الاختلاف: ... وفي هذه المرحلة تتعايش المتناقضات على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي، لذلك نتلمس الخلط وعدم الفهم للكثير من الوقائع والأحداث والأفكار بما في ذلك مفهوم المجتمع المدني، فثمة من يرى أن المنظمات المسؤولة بالدفاع عن مصالح أفراد العشيرة أو الطائفة هي مؤسسات مجتمع مدني، في حين أن مثل هذه المنظمات سواء سميت غير حكومية أو أهلية، فهي ليست منظمات مجتمع مدني، لان الأخيرة محكومة في تشكيلها، وفي عملها واستمرارها بمجموعة قواعد^{٦٩}.

^{٦٦} انظر في ذلك: جريدة الصباح / العراق - مقالة للباحث: عبد الجبار خضير عباس / منشورة بتاريخ 6 كانون الثاني ٢٠٠٢ / بعنوان: ما هو المجتمع المدني؟

^{٦٧} انظر: القبيلة والسياسة - جدلية الصراع وتوازن المصالح - الحالة الأردنية / تيسير الفارس / صادر عن دار الحقيقة الدولية للدراسات والأبحاث - الأردن / الطبعة الأولى (٢٠٠٢ م) / ص ٧٨ - ١٠٣.

^{٦٨} انظر في ذلك مثلاً: صراع الدولة والقبيلة في الخليج العربي - أزمة التنمية وتنمية الأزمات / د. محمد جواد رضا / مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٩٢ م) / ص ١١ وما بعدها.

^{٦٩} انظر: المرجع السابق.

الخلاف في الاعتبار لهذه التشكيلات المجتمعية مبني أيضاً على الفهم العام لتوصيف المجتمع المدني، وإسقاط العشيرة أو الهيئات التي تقوم على أساس القرابة على المفهوم والتعريف العام، فمنهم من قبلها ومنهم من رفضها.

((فالبعض يحدده بالمنظمات والمؤسسات والهيئات التي تقام على أساس طوعي بين المواطنين خارج أطر الدولة والعائلة وعلاقات القرابة (التشكيلات القرابية أو الإرثية أو التي يشير إليها البعض بالتقليدية)، وما كان خارج علاقات السوق الرأسمالي . لكن هناك من يصر على وضع التشكيلات القرابية والمحلية (و " التقليدية " بشكل عام)، أو بعض تعبيراتها، ضمن منظمات المجتمع المدني لأنها توفر بعض أشكال الحماية للفرد من بطش السلطة ومن تقلبات وقسوة السوق الرأسمالي)) (٧٠).

ما ذهب إليه الباحث في مسألة الخلاف الأولى يميل إليه هنا أيضاً، فالعشائر ليست على مستوى واحد من الأداء، وليست على قدر واحد من تحمل المسؤولية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما أن بعض العشائر والتشكيلات المبنية على القرابة تسعى فعلاً للحكم، والتأثير في المجتمع من خلال مؤسسات الدولة لما لها من نفوذ، الأمر الذي تفقده العشائر الصغيرة، وإن كانت أكثر عطاءً وإيجابية من التشكيلات الكبيرة (٧١).

^{٧٠}. مقالة قيمة منشورة على الانترنت للباحث الفلسطيني جميل هلال بعنوان: حول إشكاليات مفهوم المجتمع المدني - مداخلة حول ندوة المجتمع المدني، بيروت تشرين أول ٢٠٠٤ / منشور في شهر ١٠ / ٢٠٠٤ م.

^{٧١}. انظر في ذلك: القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري " قوانين النهضة " - ضمن سلسلة: مشروع النهضة - سلسلة أدوات القادة / د. جاسم محمد سلطان / مؤسسة أم القرى للتوزيع والنشر - مصر / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٢١٤.

هذا ما أكدته أكثر من كاتب وقف الباحث على كتاباتهم في هذا الشأن، ومنهم، الأستاذ جميل هلال الذي يقول مبيناً:

... يمكن الإشارة هنا إلى أن الحماية التي توفرها التشكيلات الإرثية سواء القرايبية (الحمائل والعشائر) أو الطائفية أو المحلية للفرد من سلطة الدولة، لا تأخذ شكلاً واحداً، فهي تمنح للتشكيلات القرايبية القوية قدرة أكبر على تجاوز القانون والتأثير على مؤسسات الدولة، عبر الوساطة والضغط والتحالف من بعض أجهزتها، كما أن هذه "الحماية" التي قد توفرها هذه التشكيلات للفرد في وجه سطوة أجهزة الدولة أو تقلبات السوق؛ تأتي في العادة على حساب فقدان الفرد لاستقلاليتته كفرد له شخصيته الاعتبارية والقانونية المستقلة، وتتعاكس مع مفهوم المواطنة؛ بما هي مجموعة واسعة من الحقوق والواجبات تخص الفرد كفرد ذو شخصية قانونية وإنسانية مستقلة (٧٢).

لهذا، يرى الباحث أن لا يتم استصدار حكم واحد ينسحب على جميع التشكيلات العشائرية والمبنية على دوافع القربى، بل يُنظر إلى كل واحدة منها نظرة تقديرية فاحصة، ثم يتم تقييمها بناءً على هذه النظرة، وبقدرتها، وفي زمانها ومكانها، على أن يكون الحكم مقروناً بمعايير؛ يمكن أن يختلف الوصف إذا ما اختلفت.

الاختلاف في التشكيلات الدينية

جدل آخر يدور في ساحة التلاطم الفكري حول ما إذا كانت التشكيلات القائمة على أساس الدين، أو الطائفة، أو الانتماء الإثني، تشكل جزءاً من المجتمع المدني، أم تشكيلات

^{٧٢} .مقالة منشورة على الانترنت للباحث الفلسطيني جميل هلال بعنوان: حول إشكاليات مفهوم المجتمع المدني - مداخلة حول ندوة المجتمع المدني، بيروت تشرين أول ٢٠٠٤ / منشورة في شهر ١٠ / ٢٠٠٤ م.

ينبغي استثنائها منه، لكونها منطلقة من توجهات ورؤى لا تتصل في مجملها مع المفاهيم التي انطلق لأجلها المجتمع المدني (٧٣).

تتضح الصورة على النحو الآتي:

... فالبعض يرى أن هذه التجمعات من صلب المجتمع المدني، باعتبارها، في أحيان كثيرة، تسعى إلى التغيير والدفاع عن حقوق وتطلعات فئات واسعة في المجتمع، وتضغط على مراكز القرار، وأحياناً توجه سهامها نحو لإنسانية السوق الرأسمالي وعجزه عن التنمية الفعلية والعدالة والمتوازنة، في حين يرفض البعض عضويتها في المجتمع المدني بحكم القيود التي تضعها على الانتماء إليها، واقترابها، في هذا المجال، من المنظمات الإرثية، وكونها تتناقض مع مبدأ المواطنة الذي لا يقوم على الدين أو الجنس أو العرق أو الانتماء الجهوي أو الأثني (٧٤).

الحقيقة أن مفهوم المجتمع المدني يتناسب مع اعتبار المؤسسات الشعبية والأهلية وغير الحكومية كل على حدة، إذ لا يجوز إطلاق الأحكام العامة على أي مؤسسة أو تيار أو حركة اجتماعية ليكون الوصف ملازماً لها بعد إطلاقه، فالمتغيرات في الساحة - في أي دولة - قد تجعل المعارضة حكومة، وقد تجعل العشيرة ذات سلطة حكومية من خلال التوظيف الحكومي لأبنائها.

^{٧٣}. ويظهر الخلاف والتباين واضحاً في التشكيلات والطوائف الدينية الموجودة في المجتمعات المختلفة، فلكل توجه أو طائفة أو جماعية إثنية توجهاتها ورؤاها لتحقيق العدل وفق ما لديها من مرتكزات، فمثلاً: لا يؤمن الإسلام بالديمقراطية كنظام متكامل وفق ما يفهمه الغرب، الأمر الذي يناقض أحد دوافع العمل المدني المعاصر الأساسية.

^{٧٤}. مقالة قيمة منشورة على الانترنت للباحث الفلسطيني جميل هلال بعنوان: حول إشكاليات مفهوم المجتمع المدني - مداخلة حول ندوة المجتمع المدني، بيروت تشرين أول ٢٠٠٤ / منشور في شهر ١٠ / ٢٠٠٤ م.

لذلك، يرى الباحث أن الصواب أن يكون التعريف للمجتمع المدني بصفته التي وردت في مقدمة البحث أقوى وأشمل، ويبقى على المتغيرات رهناً بمجالها، فما استجد من الأمور تناولته الأحكام المستجدة له في ظل الثوابت المعروفة بخصوص المجتمع المدني وحقيقته وما يندرج تحته.

مع ذلك، فإن أحداً لا يمكنه الحجز على عقول الناس في اعتبار الأمور إذا اتضح عنده رأي معين، فالخلاف في مسألة اعتبار هذه المؤسسة أو تلك المنظمة، أو ذاك الاتجاه، ونحو ذلك من أمور في الاعتبار العام للمجتمع المدني، قائم حالياً، وفيه وجهات نظر متباينة، ولا يمكن التكهن بتوقفه في المستقبل لكونه متعلقاً باحتياجات الذين يحكمون على المسائل بالدرجة الأولى، فما يعتبره أحدهم لا يقره الآخر، وهكذا.

المطلب السادس

تشكيل الرأي العام من خلال العمل المدني

تسعى التشكيلات الحزبية والفصائل والتنظيمات الشعبية والجماهيرية من خلال امتلاكها لمصادر النفوذ والشخصيات المتنفذة بالدرجة الأولى إلى اكتساب الرأي العام في المجتمع، ولكن، ما هو الرأي العام الذي يراد اكتسابه؟

الرأي العام كما يعرفه الأستاذ طلعت همام: ((هو ما يسود بال الجماهير أو يمس مصالحها العامة والخاصة، والذي يأتي محصلة لصراع الأفكار وتفاعل الآراء الناتج عن مناقشات الأفراد، وممارسات وسائل الاتصال الشخصي والجماهيري)) (٧٥).

يعرف الدكتور كرم شلبي في المعجم الذي وضعه للمصطلحات الإعلامية الرأي العام بأنه: ((وجهة نظر أو رأي أغلبية الجماعة، الذي لا يفوقه أو يحجبه رأي آخر، وذلك في معين وراء مسألة تعني الجماعة)) (٧٦). وهذا ما دعمه الدكتور محمد منير مجيب مضمونه، حيث يقول: ((الرأي العام يشير إلى اتجاهات الناس الأعضاء في نفس المجموعة الاجتماعية نحو مسألة من المسائل التي تقابلهم)) (٧٧).

والمتابع للخطاب الرسمي والشعبي يلحظ مدى انتشار هذا المصطلح بين النخب السياسية والاجتماعية، وهذا الأمر معزو إلى دور الرأي العام في المعادلة السياسية، ومكانته في

^{٧٥}. مائة سؤال عن الإعلام / طلعت همام / موسوعة الإعلام والصحافة / مؤسسة الرسالة - بيروت ودار الفرقان - عمان / الطبعة الثانية (١٩٨٥ م) / ص ٧٠.

^{٧٦}. معجم المصطلحات الإعلامية / د. كرم شلبي / دار الجليل - بيروت / الطبعة الثالثة (١٩٩٤م) / ص ٧٨٨.

^{٩٠}. انظر: أساسيات الرأي العام / د. محمد منير حجاب / دار الفجر للنشر والتوزيع - مصر / طبعة عام

(١٩٩٨م) / ص ١٥.

العمل العام، فهو وسيلة تغيير حقيقية قد تمس أصول المجتمع وأصول نظام الحكم، وقد تغير في معادلة القوى والتيارات السياسية والاجتماعية، وقد يرفع قوماً ويخفض آخرين.

بمعنى آخر، فإن التشبيه التمثيلي للرأي العام يتمثل بطائرة شراعية " سفينة شراعية " تضم وتحتوي آلاف الأشخاص أو أكثر (المجتمع) تسير حسب اتجاهات الريح ودفع الموج (القضية المثارة والمقصودة) ولهذا السفينة قائد يوجهها (صناع القرار المنفذين وأهل التأثير والرأي).

لا يقصد بالرأي العام أن تتوحد آراء المجتمع كله حول قضية معينة، فهذا من المستحيل المتعسر لاختلاف الرؤى، واختلاف المستويات والعقليات والتوجهات، ولكن المراد به حصول الرأي على أغلبية نسبية.

يقول الدكتور تيسير المشاركة: ((وبخصوص الوصول إلى الإجماع أو الأغلبية، فالإجماع ليس شرطاً أساسياً للوصول إلى الرأي العام، فيكفي أن تكون هناك أغلبية تعبر عن آرائها بانسجام، ليكون ذلك مؤشراً على وجود الرأي العام)) (٧٨).

إن الوصول إلى تشكيل رأي عام في أي مسألة من المسائل، وأي أمر من الأمور، يعتبر إنجازاً حقيقياً وكبيراً للطرف الذي استطاع تحرير الرأي الذي حاز على الأغلبية، وهذا ما تحاول الفصائل والقوى التنظيمية والشعبية الوصول إليه بكل إمكاناتها، لما له من دلالات كبيرة على الصعيد السياسي والاجتماعي والذاتي وغيرها.

أما عن كيفية الوصول إلى الرأي العام، فإن ذلك يتم من خلال وجود قضية ما، تقوم الطبقات القيادية والخبرانية و التخطيطية للمجاميع المختلفة بدراستها بشكل مستفيض

^{٧٨}. مدخل إلى الدراسات الإعلامية /د. تيسير المشاركة /بيت المقدس للنشر والتوزيع - رام الله - فلسطين /ط ١ (٢٠٠٢م) /ص ٩٩.

وتدارس الآراء بشأنها، والخلوص بوجهة النظر الذاتية تجاه هذه القضية من خلال عرضها على الثوابت والأفكار والمبادئ الخاصة بكل طرف، ومقدار النفع والمصلحة الحاصلة منها أو عكس ذلك، وبناء على الرأي الصادر عن كل طرف، فإنه يحاول - في القضايا الكبرى على وجه الخصوص - أن يقوم بتمريرها على المجتمع، وإقناعه بها من أجل كسب تأييده فيها.

هنا يتجلى دور ذوي النفوذ بأوضح صورته، حيث إن كل فريق يعود إلى ما بين يديه من وسائل التأثير، ومواقع النفوذ (فردية أو جماعية) ويقوم تعبئتها بالفكرة وتصوراتها وأرائه إزاءها، ليقوم أهل النفوذ بدورهم في مجال نفوذهم من أجل الترويج لها، وتزيينها في أعين الناس.

فالسياسي في مجاله، والإعلامي في مجاله، والخطباء الموهوبون في مجالهم، والنقابي في مجاله، والمعلم بدوره، والمؤسسات في مجالها، الكل يحاول أن يوجه أنظار العامة لما رشح عنده من تصورات، وتتعاقد بذلك الكلمة والفكرة والأساليب والوسائل التقنية وغيرها، وتبذل كل الجهود والطاقت الخاصة من أجل تعزيز قيمة الطرح المتبنى، والترويج له في القلوب والعقول، فإذا تم الأمر: تحقق الانجاز، وإلا، فإنه سيكون في الجانب الأضعف، فالذي لا يملك مواطن نفوذ مؤثرة ستنتاله الخسارة والفشل.

يقول الدكتور نشأت الأقطش مبيناً هذا الأمر: ((الرأي العام الموحد لأي جماعة هو الهدف الذي تتصارع عليه الأحزاب والقوى السياسية والقوى الدولية، والسبب لا يحتاج إلى توضيح، وهو أن رأي الجماعة يشكل وسيلة ضغط على الحكومات، ويقف في كثير من الأحيان أمام مخططات الحكومة، لذلك؛ تتصارع القوى السياسية على كسب الرأي العام وتأييده لها)) (٧٩).

^{٧٩} الإرهاب الفكري للإعلام / د. نشأت الأقطش / منشورات الوطن - فلسطين / الطبعة الثانية (١٩٩٩ م) / ص ١٢٥ - ١٢٦ .. وانظر كذلك: الإعلام والرأي العام و(الفهילה) / فتحي الأبياري / دار المعرفة الجامعية للنشر - الإسكندرية / الطبعة الأولى (١٩٨٥ م) وكذلك: الاتصال والرأي العام - الأسس النظرية والإسهامات العربية / د. عاطف عدلي العبد / دار الفكر العربي - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٩٣ م) / ص.

إن كل حراك سياسي أو اجتماعي له أثره على الرأي العام، سواء كان هذا النشاط من دوائر العمل السياسي أو النخب الاجتماعية أو منظمات المجتمع المدني أو ما يصدر عنها من نشاطات وفعاليات تمس الفرد والأسرة والمجتمع (٨٠).

ومن عادة المنظمات الأهلية والحركات الاجتماعية والتيارات السياسية أن تلجأ إلى تفعيل نشاطاتها المختلفة من خلال تعميمها على الجماهير بوسائل الإعلام المختلفة، لكسب تعاطفهم والتأثير فيهم، ولإظهار دورها ومساهماتها في المجتمع، وهذا لون مهم من ألوان تكوين الرأي العام في المجتمع.

يقول المختصون: ((ولإعلام المعاصر بصماته الواضحة في حياة الناس، فقد وجد أصالةً للتأثير على عقولهم وقلوبهم، وتأسيس فهمٍ مرادٍ من خلف كل آلة إعلامية، ومؤسسة تتبنى أهداف التأثير والتوجيه)) (٨١).

كل هذا يقود إلى دور الرأي العام في الحياة، ولكن الفن في المسألة يكمن في كيفية تشكيل هذا الرأي العام.

إن المؤسسة في المجتمع كإطار ينضوي تحته كادر بشري بتوجهات معينة أقدر من الفرد على الحراك والتأثير في المجتمع، لكون الأوساط التي ينتشر فيها الجمع تختلف عن الأوساط التي قد يؤثر فيها فرد بعينه، ومن هنا تأتي قوة المؤسسة في الخطاب الجماهيري.

^{٨٠}.. انظر في ذلك: تكوين النخبة الفلسطينية منذ نشوء الحركة الوطنية الفلسطينية إلى ما بعد قيام السلطة الوطنية / جميل هلال / الطبعة الأولى (٢٠٠٢ م) / مركز الأردن الجديد للدراسات - عمان / ص ٣٩ - ١٠٣، وقد تحدث فيه بإسهاب عن أشكال التأثير في المجتمع من خلال البروز الإعلامي.. وكذلك: المدخل إلى وسائل الإعلام (الصحافة - الإذاعة - التلفزيون - السينما - المسرح - أرقام الاتصالات) / د. عبد العزيز شرف / دار الكتاب المصري - القاهرة، ودار الكتاب اللبناني - بيروت / الطبعة الثانية (١٩٨٩ م) / ص ٣٧٩.

^{٨١}. انظر : الصحافة اليومية والإعلام (الموضوع، التقنية والتنفيذ) الإعلام الحديث في النظرية والتطبيق - مدخل نظري وعملي إلى علم الإعلام / د. سامي ذبيان / دار المسيرة للطباعة والنشر - بيروت / الطبعة الثانية (١٩٨٧ م) / ص ٣٥.

ومنظمات المجتمع المدني ليست واحدة، بل هي مصادر أساسية متنوعة المواقع الجغرافية من حيث الوجود، متعددة الأهداف والتوجهات، تشكياتها من الكادر البشري تختلف بحسب طبيعة كل مؤسسة وأهدافها وتطلعاتها.

لذلك كان العمل المدني من خلال النقابات والمؤسسات والمنظمات الأهلية وسيلة كبرى من وسائل الحراك في المجتمع، والتواصل مع الجماهير، بالكلمة المنطوقة حيناً، وبالعمل والنشاط حيناً آخر، فهذا له أثره، وذاك له أثره، ولكل أسلوب طريقته ودلالته على الجمهور.

فإذا تخيل الإنسان مجموعة من مؤسسات المجتمع المدني اتفقت على أمر معين، وبدأت تتحرك باتجاهه مستعينة بمواقع وجودها، وقدرتها على التأثير في جمهورها الخاص، وتفعيل أعضائها العاملين أو المنتسبين إليها، فإنه يتناول شرائح عدة في المجتمع، ويتحدث عن كمّ بشري قادر على التأثير في الجماهير من خلال هذا الحراك.

وقد شهدت الساحة الفلسطينية - كمثل - مجموعة من التحركات للمجتمع المدني - برغم الدور المحصور له لغاية الآن - ساهمت بصياغة توجه حقيقي على الواقع، أو كان له إسهام فعلي في حل إشكالية معينة^{٨٢}، أو تأليب الرأي العام ضد قرار أو توجه معين^{٨٣}، سواء على المستوى السياسي، أو على المستوى الاجتماعي.

^{٨٢} كمبادرات المجتمع المدني في ظل تنازع الصلاحيات بين حماس وفتح بعد فوز حماس في الانتخابات التشريعية في العام ٢٠٠٦ م، حيث تقدمت مجموعة من منظمات وفعاليات المجتمع المدني بعدة مبادرات لتطويق الأزمات وطرح سبل لخروج منها، وكانت هذه التوجهات ذات حضور على الساحة، برغم أن بعضها لم يؤخذ به.

^{٨٣} مثل ما قامت به مجموعة من منظمات حقوق الإنسان وبعض التيارات السياسية والحركات الاجتماعية بإجبار الرئيس الفلسطيني محمود عباس على الرجوع عن مرسومه الرئاسي بحل كل المؤسسات الفلسطينية الذي أصدره في منتصف العام ٢٠٠٧ م بعد سيطرة حماس على قطاع غزة.

من هنا، فإن المنظمات الأهلية قادرة على التغيير الحقيقي في الساحة المجتمعية بما تملكه من أدوات ووسائل تفعيل وتحريك الرأي العام، باتجاه القضايا التي تعمل لتحقيقها، وذلك بشكل يفوق العمل الفردي المتناثر، الذي لا أثر له على المدى القريب أو البعيد.

المبحث الثاني

دور المجتمع المدني

المطلب الأول

الاختلاف في فهم الدور المنوط بالمجتمع المدني

في وقت أضحى المجتمع المدني أحد أهم القوى المؤثرة في المجتمع الدولي المعاصر، سواء على صعيد التحول الديمقراطي المشهود في العالم الغربي، أو عمليات الإصلاح المترامية على مستوى العالم الثالث، أو حماية حقوق الإنسان أو عمليات التنمية أو الارتقاء بالمستوى العام للثقافة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، أخذ المجتمع المدني يتحول من مجرد أفكار وأطروحات ومحاولات ولدت في عقول المفكرين والمثقفين إلى منظمات ومؤسسات تلعب دوراً مهماً في شتى المجالات وفي تغيير تاريخ الشعوب والدول في شتى أنحاء العالم.

هذه الحقيقة قد لفتت نظر المتابعين والباحثين في العصر الحديث بشكل جدي، حيث يقول الدكتور يوسف العبيدان مثلاً:

... وفي إطلالة سريعة على المجتمع الدولي نجد أن المجتمع المدني أصبح هو الفاعل الرئيسي في التغييرات الكبرى، فهذا هو المجتمع المدني في فرنسا يجبر الحكومة على تعديل قانون العمل الجديد، وفي أمريكا يعترض على قانون الهجرة وفي بعض الدول العربية يعمل على دفع

عمليات الإصلاح والتحول الديمقراطي، ويلعب دوراً مهماً نحو حماية وتعزيز حقوق الإنسان والحريات الأساسية (٨٤).

لكن، ونتيجة للتفاوت الحاصل في طبيعة الأنظمة بين بلد وآخر، وطبيعة النمو في الوعي بين بيئة اجتماعية وأخرى، كان التفاوت في فهم دور المجتمع المدني مختلفاً بين كل بيئة وأخرى، وبين بلد وآخر، نتيجة التوسع في هضم التطور المعرفي المعاصر، واستحضار الصور البناءة فيه عند البعض، وغياب هذا المفهوم نظرياً وتطبيقياً أو في أحد الاتجاهين عند البعض الآخر.

حيث يرى عدد من الباحثين المعاصرين؛ ومنهم الباحث الإسلامي محمد عبد الجبار أن دور المجتمع المدني يختلف من موقع لآخر بناءً على محددات ومعايير تتعلق بالفهم العامي والنمو المعرف، والمواكبة لتطورات العصر المختلفة.

يقول في ذلك: ((وبالتالي المجتمع غير الحديث والذي لم يتجاوز الثورة الصناعية، والثورات الفكرية المرتبطة بها، والذي ليس به نظام ديمقراطي، ينتج ظاهرات تمتزج بالديني والمناطقية والمحلي والإقليمي، مما ينعكس سلباً على أدوار المنظمات الأهلية، وتكوينها، وأهدافها، وأهمية فعاليتها المستقبلية)) (٨٥).

^{٨٤}. الموقع الإلكتروني: منتدى الدوحة السادس للديمقراطية والتنمية والتجارة الحرة - WWW.QATAR-CONFERENCES.ORG / خبر بعنوان: خلال مائدة مستديرة حول منظمات المجتمع المدني... المتحدثون يدعون إلى تطوير آليات التحول الديمقراطي / بقلم: مأمون عياش - كلمة الدكتور يوسف العبيدان..

^{٨٥}. الموقع الإلكتروني لمشروع (ثروة) على الانترنت WWW.ARABIC.THARWAPROJECT.COM / مقال بعنوان: ملف المنظمات الأهلية- مشكلات وأدوار المنظمات الأهلية / للكاتب: عمار ديوب.

من هنا، فإن الدول والمجتمعات التي لحقت (ظاهرياً) بركب الحضارة، واقتبست من العالم الغربي قشور الحضارة عنده، وتمسكت بالمسميات البعيدة عن المضامين الفعلية لها، أو تلك المجتمعات التي تتظاهر بالنمو، وتعمل تحت إطار التسابق في تحميل صورتها أمام العالم الغربي، يكون أداء المجتمع المدني بتشكيلاته المختلفة فيها عبارة عن أداء صوري، وتكون منظمات العمل الأهلي والمجتمعي فيها تمثالاً أجوف، لا روح فيه ولا حياة.

يبد أن المفهوم المقصور على العمل الجزوء والهامشي ضمن العمل المدني عند من يحمل هذا الفهم قد جعل من منظمات المجتمع المدني ألعوبة بيد السلطة^{٨٦}، وقنوات يتم من خلالها تمرير القرارات والتوجهات الحكومية من خلالها، لافتقارها إلى المعنى الحقيقي لسبب قيامها.

إن تم الابتعاد عن هذه الصورة، فهي في أفضل حالاتها تتعامل في نطاق هامشي محدود الأثر، وبعيد عن مجريات الأحداث، ولا صلة له بالتغيير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ونحوها.

هذه المنظمات الأهلية والمدنية المستقلة، تحدد لنفسها مهمة محددة، أو قطاع محدد، وتعمل في ذلك المجال أو الإطار " كالصحة، والبيئة، والمرأة، والتعليم، وحقوق الإنسان، ولجان إحياء التراث، والدفاع عن الطفولة.. الخ"، وبالتالي فهي ترهن لتمثيلات الواقع، ولا تطرح على نفسها مشكلات سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية عامة، وإنما تعمل على حل المشكلة جزئياً، وبشكل محدود.

^{٨٦}. وهو ما نبه إلى خطورته العديد من الباحثين والمهتمين بهذا الشأن لكونه يقضي على روح العمل الحقيقي البعيد عن النفعية و رغبات السلطات الحاكمة، وانظر في ذلك: ديمقراطية السودان الثالثة / بروفيسور حسن علي الساعوري / مطبعة جامعة النيلين - الخرطوم / الطبعة الأولى (٢٠٠٠ م) / ص ٥. بتصرف يسير.

وهي كذلك تهتم بقضايا سياسية عامة وتستهدف حلها، كالديمقراطية، ونظام الحكم، و بالتالي بدلاً من تكريس مجتمع مدني فعلي؛ فهي تعمل على تكريس مجتمع أهلي تقليدي قديم، بعيداً عن فهمها لدور النقابات والمنظمات في البناء الوطني الشامل (^{٨٧}).

تغلغل هذه الظاهرة في الدول العربية مثلاً، ودول العالم الثالث أيضاً، أدى إلى تعمق مظاهر الانحدار السياسي، وإشاعة مظاهر التخلف الاقتصادي، والتبعية على الصعيد الاجتماعي، وتراكم هذه الحالة سيؤدي إلى مزيد من الإخفاقات والنكوص ما لم يتضح الفهم، وينقلب إلى سلوك يحمي المجتمع ويصون استقراره في كل الجوانب.

يقول الباحث محمد عبد الجبار: ((وتشكل هذه الروابط حيزاً بين الفرد والدولة، حيث تقوم بحماية الفرد من الانكشاف أمام الدولة، وتؤمن استقلاليتها عنها، كما من مسؤوليتها حفظ سلوك الفرد من الاعتداء على الدولة، أو تجاوز النظام العام. فهي تقوم بدور الحامي (للفرد) والضابط (لسلوكه) في وقت واحد)) (^{٨٨}).

هذا العمل بإطاره النظري يجعل من هذه الشبكة من المنظمات غير الحكومية تمثل قوة جديدة قادمة على المستوى السياسي، تتناول الكثير من القضايا التي ليست في أجندة وأطروحات الحكومات المحلية، ولا في أجندة القطاع الخاص في كثير من دول العالم، فهي كيان

^{٨٧}. انظر في ذلك: مؤتمر الحوار النقابي - ورقة عمل / دور النقابات في البناء الوطني / حسن محمد علي - أمين مال اتحاد نقابات عمال السودان، وهي ورقة عمل قيمة وشاملة.

^{٨٨}. الموقع الإلكتروني: www.islam21.net / موضوع بعنوان: تفعيل دور المجتمع المدني في إطار المشروع الحضاري الإسلامي / محمد عبد الجبار كاتب وباحث إسلامي - لندن - بريطانيا / منشور بتاريخ ١٦ / ٥ /

قائم بذاته يساهم بشكل فعلي ومركزي في ترسيم السياسات العامة في الجوانب السياسية والاجتماعية والتنمية والثقافية المختلفة (^{٨٩}).

^{٨٩}. انظر في ذلك: جريدة الشرق الأوسط / العدد ١٠٢٦٦ / منشور بتاريخ ٦/١/٢٠٠٧ م / مقال بعنوان: قوة الضغط القادمة / عبد الملك بن أحمد آل الشيخ.

المطلب الثاني

الدور الفعلي للمجتمع المدني

بين المصطلح والمعنى

إذا تم فهم المجتمع المدني على أنه: ((ذلك المجتمع المتمتع بحرية التنظيم الذاتي، وفق أنساق من التشكيلات المؤسسية الطوعية المتنوعة ذات الصفة والهدف السياسي والاجتماعي والثقافي والفكري والقيمي)) (٩٠)، فعندئذ يتضح دوره ويستبين.

يقول الدكتور " فارس إيغو " موضحاً هذا الدور إجمالاً:

... المجتمع المدني هو ميدان مفتوح ومستقل وسط الفضاء الاجتماعي، تمارس فيه الحياة الاجتماعية بصورة حرة كما يتمثل ذلك في النوادي الثقافية والجمعيات الخيرية، أو في الأحزاب السياسية والمنظمات والحركات التي يهتم أفرادها بالدفاع عن الحقوق والحريات، وسواها من المؤسسات ذات الطابع الإرادي والتطوعي أو الواسطي و التداولي، فهو ميدان حر، بمعنى أنه يتيح للأفراد أو للجماعات من الناس ممارسة حريتهم في الاختلاف و الاختيار، أو في التجمع و التنظيم، أو في إبداء الرأي والتعبير، وهو تداولي بمعنى أنه يتيح لهم ممارسة حقهم في مناقشة القضايا العامة أو القرارات التي تمس مصالحهم وتعلق بمصائرهم، وهو مستقل بمعنى أنه يبنى ويتشكل بمعزل أو بمواجهة السلطات السياسية أو الاقتصادية أو المجتمعية (٩١).

٩٠. مجلة المؤتمر - مجلة تصدر في بغداد / العدد: ١٠٢٩ / العدد الصادر بتاريخ: ١٢ شباط ٢٠٠٦ م / مقال بعنوان: التحالفات خارج قبته.. هل هي ترسيخ للأسس الديمقراطية أم إعاقة لها؟ البرلمان يؤسس القاعدة السياسية والاجتماعية للديمقراطية بلا منازع.

٩١. الموقع الإلكتروني لحزب العمل الشيوعي الموجود في موضوع بعنوان: المجتمع المدني والمجتمع الأهلي / للباحث: د. فارس إيغو / منشور بتاريخ ٨/٩/٢٠٠٦ م.

يؤيده في ذلك الكثير من الباحثين، ومن بينهم الباحث الفلسطيني راسم عبيدات، حيث يقول عن دور المجتمع المدني: أنه يتحلى بصورة واضحة، وهي: ((التخلي عن دور المناشدة والإستنكارات، والانتقال إلى أخذ زمام المبادرة، والانتقال إلى خطوات عملية وجادة، تمنع تبدد وضياح المشروع الوطني، واستمرار عبث أصحاب الأجنحة الخاصة والعقليات الفتوية به وتدميره)) (٩٢) في إشارة إلى السلطة المركزية الحاكمة.

المرتكزات العامة لعمل المجتمع المدني

يعمل المجتمع المدني في محاور أساسية ثلاث، يجدها المرء في كل مصنفات وأبحاث المهتمين بهذا الجانب من العمل العام، وهذه المحاور هي:

إيجاد وتعميم المبادئ والثقافة الديمقراطية

إيجاد الديمقراطية كمفهوم وسلوك في فهم القائمين على المجتمع المدني المعاصر لا بد أن تكون على مستوى النظام الحاكم والأفراد في المجتمع والمؤسسات على حد سواء (٩٣) .

فالمجتمع المدني بكل تشكيلاته المعاصرة، والمنظمات والتيارات والهيئات المنضوية تحت إطاره تسعى من خلال جهدها إلى تعميق مفهوم الديمقراطية، وإخراجه من حيز التخاطب الإعلامي إلى حيز السلوك التطبيقي (٩٤) .

^{٩٢} . الموقع الإلكتروني: التجديد العربي: www.arabrenewal.com دور مؤسسات المجتمع المدني في الخروج من المأزق الفلسطيني الحالي / للكاتب: راسم عبيدات - بتصرف يسير يقتضيه السياق.

^{٩٣} . هذه العبارة ومرادفاتها تكاد تجدها في أصل العمل النظري، والبنية التأسيسية للوائح العمل المؤسساتي والمهني والنقابي المعاصر، حيث تشكل بؤرة العمل النظري فيها، وانظر على سبيل المثال: الموقع الإلكتروني: شبكة المنظمات الأهلية الفلسطينية، على الإنترنت / الموقع الرئيس

من الواضح أن هذه المنظمات الأهلية والتشكيلات المدنية تنطلق من هذا الجهد مؤمنة بأن الديمقراطية كنظام تطبيقي هي الحل لكثير من مشكلات المجتمع، والمشكلات التي تمس حقوق الفرد والمؤسسة، وهي الضمان الأكيد لعدم استفراد السلطة الحاكمة بالقرار السياسي والاجتماعي، وتقنين القوانين والتشريعات المتعلقة بالحياة العامة.

بغض النظر عن مخالفة الباحث لهؤلاء في هذا الفهم للديمقراطية، إلا أن المنظرين والعاملين في الحقل المدني يتوجهون إلى تعميم هذه الثقافة من خلال أدائهم ونشاطهم، ومن خلال برامجهم الإعلامية التي تعمل على زيادة الوعي الاجتماعي ورفع السقف الثقافي عند الشعوب والمجتمعات المختلفة.

فالديمقراطية عندهم هي أنجع وسيلة للتكفل باحتياجات الفرد، وهي البرنامج القادر على إيجاد تكافؤ الفرص، والنظام السياسي الديمقراطي هو المناخ المناسب لنمو التيارات المناصرة لقضايا الفرد والمؤسسة والحق العام (٩٥)، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى وصف المجتمعات غير الديمقراطية بأنها مجتمعات: متخلفة، متراجعة، ورجعية (٩٦) ونحو ذلك من الألقاب.

^{٩٤}. شاهد الباحث هذا حقيقة من خلال وجوده في جمهورية السودان، حيث تنشط المئات من منظمات المجتمع المدني في تعزيز الثقافة الديمقراطية بمفهومها الإيجابي، وما ينجم عنها من حرية في الحراك المؤسساتي والنقابي ليشكل ذلك عمود الاستقرار والازدهار، وانظر في ذلك: دليل المنظمات الطوعية العاملة بالسودان (اسكوف) / المجلس السوداني للجمعيات الطوعية / يوليو (١٩٩٧ م) الطبعة الأولى، وفيه تعداد للمنظمات الطوعية ومهامها وادوارها في المجتمع،

^{٩٥}. انظر في ذلك: الموقع الإلكتروني: شبكة المنظمات الأهلية الفلسطينية، على الإنترنت / الموقع الرئيس / التعريف بالشبكة - الصفحة الرئيسة في الموقع

^{٩٦}. الموقع الإلكتروني للباحث والنقابي البارز: محمد الحنفي
mailto:elhanafim@yahoo.fr، وعلى موقع الحوار المتمدن على الإنترنت - مقال بعنوان:

العلاقة المتبادلة ما بين الأحزاب السياسية، والمنظمات النقابية، والجمهورية....

يقول الباحث معز كراجه في ذلك: ((يشكل التحول الديمقراطي الشامل في الوطن العربي متطلباً رئيسياً لهوضه من السبات العميق الذي يغرق فيه منذ زمن بعيد، فالديمقراطية نافذة تدخل الهواء النقي إلى جسم أي مجتمع، ومحرك قادر على تفجير الطاقات وتحفيز الإبداع وتأكيد الذات الفردية والجماعية)) (٩٧).

وفي مفهوم المجتمع المدني وعلاقته بالديمقراطية يكتب الباحث حسين خليفة
موضحاً:

... شكل العلاقة العضوية التي تربط بين نشوء وتطور المجتمع المدني والممارسة الديمقراطية تجعل من الصعب الكلام عن أولوية أحدهما على الآخر فليس هنالك من ممارسة ديمقراطية بدون مجتمع مدني والعكس صحيح، كما أن نشوء وتكوين المجتمع المدني في غياب الحد الأدنى من الحرية والقول والتعبير والتجمع والانتقال والانتظام هو أمر غير ممكن، ويشكل المجتمع المدني البنية التحتية للديمقراطية، وهما وجهان لعملة واحدة، إلا وهي الحرية، ومن المسلمّات أنه لا تنمية بدون ديمقراطية وكذلك لا ديمقراطية بدون مجتمع مدني، لذلك فالمجتمع المدني الفاعل والمؤثر يضمن للديمقراطية النمو والاستمرارية والازدهار ويجعلها غير قابلة للفشل والتعطيل، ونتيجة لذلك فالمجتمع المدني هو رهان المستقبل، وشرط موضوعي لتحقيق الديمقراطية، ولن تتأصل الديمقراطية فكراً وثقافة لدى الإنسان، ولن تتأسس في وعيه بحيث تتحول إلى قناعة لا تتزعزع كقناعة الإيمان بالضروريات البديهية إلا بتفعيل تنظيمات المجتمع المدني وإفساح المجال أمامها لتؤدي دورها الضروري في بناء المجتمع (٩٨).

وتشكل منظمات العمل العالمية واحدة من الجهات الضاغطة باتجاه تعزيز الديمقراطية في العالم، حيث تقر من خلال برامجها وفعاليتها وأدائها بأن المجتمعات الديمقراطية

^{٩٧}. بحث منشور على الإنترنت بعنوان: الديمقراطية ثقافة وليست هياكل / للباحث معز كراجه / على الموقع الإلكتروني: www.muez_ar.doc

^{٩٨}. مجلة المؤتمر - مجلة تصدر في بغداد / العدد: ١٠٢٩ / العدد الصادر بتاريخ: ١٢ شباط ٢٠٠٦ م / مقال بعنوان: التحالفات خارج قبته.. هل هي ترسيخ للأسس الديمقراطية أم إعاقة لها؟ البرلمان يؤسس القاعدة السياسية والاجتماعية للديمقراطية بلا منازع / رأي الباحث: حسين علاوي خليفة - بتصرف يسير.

تحظى باهتمامها ودعمها بصورة تفوق غيرها من الأنظمة غير الديمقراطية، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يتعداه ليصل إلى حد ترسيم سياسات خاصة بالدول حتى تنحو نحو العمل الديمقراطي، على مستوى الأنظمة، وعلى مستوى منظمات العمل المدني.

جاء في أجندة البنك الدولي، الذي يعتبر من أكبر الداعمين لمنظمات المجتمع المدني في العالم:

... حدثت زيادة كبيرة في حجم ونطاق وقدرات المجتمع المدني في مختلف أنحاء العالم على مدى السنوات العشر الماضية، وساعد على ذلك عملية العولمة واتساع نطاق الحكم الديمقراطي (٩٩)

فالحكم الديمقراطي هو أساس من أسس التمدن والرقمي، وهذا المفهوم يعمم على كل المنظمات الأهلية، ويشترط فهمه وهضمه من قبلها حتى يتم دعمها.

يأخذ التشكيل التأسيسي للديمقراطية عند المجتمع الدولي أبعاداً تتعلق بالنظام السياسي الموجود في المجتمع، من خلال سلطاته الرئيسة الثلاث (تنفيذية وتشريعية وقضائية)، إضافة إلى منظمات المجتمع المدني، التي يوكّل إليها مهمة نشر مفاهيم الديمقراطية، وزيادة الوعي الشعبي بها في المجتمع.

جاء في مجلة المؤتمر عن التصور الخاص للديمقراطية فيما يتعلق بالسلطة التشريعية: ((الديمقراطية سلوك ونظام، ويعد البرلمان أهم مؤسسة رسمية لممارسة الديمقراطية وترسيخ وجودها وتحويلها إلى نظام دستوري، بل يعد البرلمان أبرز آلية للمأسسة الديمقراطية بدون منازع)) (١٠٠).

^{٩٩}. الموقع الرسمي للبنك الدولي على الإنترنت - باللغة العربية، مجال: المجتمع المدني / موضوع بعنوان: تعريف المجتمع المدني / على الموقع الإلكتروني: www.worldbank.org.

^{١٠٠}. مجلة المؤتمر - مجلة تصدر في بغداد / العدد: ١٠٢٩ / العدد الصادر بتاريخ: ١٢ شباط ٢٠٠٦ م / مقال بعنوان: التحالفات خارج قبته.. هل هي ترسيخ للأسس الديمقراطية أم إعاقة لها؟ البرلمان يؤسس القاعدة السياسية والاجتماعية للديمقراطية بلا منازع... وانظر في ذلك أيضاً: الموقع الإلكتروني لمركز الأهواز للدراسات على الانترنت WWW.ALAHWAZ.INFO و WWW.AHWAZSTUDIES.ORG

توفير العدالة الاجتماعية

العدالة الاجتماعية هي إحدى جوانب المسؤولية التي يجب على الدولة القائمة، والنظام السياسي في أي مجتمع تأمينه كأساس لقيامه واستقراره (١١).

والعدل تشريع إلهي نزلت به الرسالات السماوية المختلفة، وحمله الرسل كوصية من الله تعالى لعباده حكماً ومحكومين، لأن العدل أساس الملك، والعدل أساس السيادة والقرار، ولهذا، فإن هناك مجموعة من التيارات والحركات السياسية والاجتماعية في العالم التي اتخذت من العدالة الاجتماعية اسماً رسمياً لها في الإطار القانوني (١٢)، في دلالة على اهتمام المجتمع بالعدالة وتفعيلها من خلال التواصل الفعال مع الدولة والمجتمع.

تحدث السيد المدرسي عن ذلك بقوله:

إن الهدف الأسمى لكثير من التشريعات الإلهية هو العدالة والقسط، وكانت الأحكام الدينية تدفع بالإنسان نحو تحقيق هذا الهدف، فإذا بسط العدل رايته أحس الجميع بالأمن وعاشوا في رفاه ونعيم، وحققوا طموحاتهم بطمأنينة ووقار، إذ العدل يسع الجميع، بينما الظلم لا يسع أحداً، فإذا ساد الظلم والتوتر وكان المتفشي بين الناس حب السيطرة، فليس المتأثر بذلك الطبقة المظلومة والمستضعفة فحسب، وإنما سيسري ذلك حتى نحو الطبقة الظالمة والمستكبرة، حيث ستعيش هي الأخرى هاجس التوتر والقلق، ولن تحقق أهدافها مطلقاً. فالجميع مع الظلم يعيش في ظلمات، والجميع مع العدل في النور.

موضوع بعنوان: دور المجتمع المدني في النهضة الديمقراطية / للباحث: محمد حلمي / على الموقع الإلكتروني:
exhaustedcoptic@yahoo.com

١١. انظر في ذلك: مدخل إلى النظرية السياسية في القرآن الكريم / ص ٣٥ - ٣٦.

١٢. ومنها: حزب العدالة والتنمية الذي وصل إلى الحكم في تركيا في العام ٢٠٠٧ م، وحزب العدالة الاجتماعية، الذي أسسته: زكية / الشهيرة: بعزة كامل السيد أحمد في مصر، وانظر في ذلك: موقع: القرار العربي على الانترنت / موضوع العدالة الاجتماعية..

لتحديد المراد من العدالة الاجتماعية، فإن المقصود العام لها هو التكريم للإنسان من خلال تقديره، وتوفير فرص متكافئة أمامه في شؤون حياته مع من يماثله في السمات والصفات على اختلاف مراتبها ومسمياتها.

للقوف على النظرة العامة للعدالة الاجتماعية، وبعد استقراء التعريفات التاريخية والمعاصرة لها من خلال كتب ومؤلفات الكثير من العلماء (١٠٣)، فإن التصور الكلي لها عند المهتمين هو فيما ذكره فتحي النجار بقوله:

... فبحسب قاموس (ليبيتي روبر) فإن العدالة هي التقدير الصحيح والاعتراف الكامل بحقوق وجدارة كل فرد واحترامها. أما قاموس (لاروس) فيعتبرها الفضيلة والخصلة الأخلاقية اللتان تحفزان على القسطاس واحترام حقوق الغير. ولقد قال (سقراط) أن العدالة: إعطاء كل شخص حقه فيما قال (أرسطو) أنها: ممارسة الفضيلة والسلوك المستقيم في علاقتنا مع الآخرين. فيما قال (هنري برجسون) المساواة والنسبة والتعويض «العدالة في كل الأزمنة تشير في الذهن أفكار المساواة والنسبة والتعويض» (١٠٤)

^{١٠٣} الموقع الإلكتروني: المعهد العربي للتخطيط - الكويت / بريد الكتروني: api@api.org.kw / موضوع بعنوان: البرامج التدريبية الأسبوعية للموسم ٢٠٠٧/٢٠٠٨ م / سياسات العدالة الاجتماعية.

^{١٠٤} انظر في ذلك: الموقع الإلكتروني (أمان) - المركز العربي للمصادر والمعلومات حول العنف ضد المرأة WWW.AMANJORDAN.ORG / موضوع بعنوان: العدالة الاجتماعية...علامة استفهام؟ / للباحث: فتحي عبد الله النجار / منشور بتاريخ: ١ كانون ثاني ٢٠٠٥ م.

لكن التصور الإلهي لها بين البشر جاء انطلاقاً من قول الله تبارك وتعالى: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)) (١٠٥)، وزاده تقديراً وتكريماً بقوله عز وجل: ((لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)) (١٠٦)، فإن مهمة العدالة هي تحقيق احترام هذا التكريم للإنسان، وليس بعد تكريم الله لعباده من تكريم (١٠٧).

يقول الدكتور يحيى فرغل في ذلك: ((وحقق الإسلام للجسد تساوقاً وائتراناً مع الجانب الاجتماعي في الإنسان، فجسد المسلم يستحق التكريم والرعاية من مخالطيه في صحته ومرضه وموته، كذلك وهو يستهدف للعقوبة في حال ارتكابه لجرائم اجتماعية مثل جريمة السرقة، أو جريمة الزنا، وهو من حقه ألا يتعرض للمشقات التعسفية الزائدة على حد الجريمة، مادياً أو معنوياً، والتي يقدر على إيقاعها به الأقوياء تشفياً أو تحمقاً أو استهتاراً)) (١٠٨)

واهتم علماء الإسلام ببيان الاهتمام الشرعي بالعدالة الاجتماعية، وكيفية تحقيقها على مستوى الفرد والمؤسسة والدولة، ومصارف الزكاة، والتكافل الاجتماعي، وبين فئات المجتمع المختلفة (١٠٩)، وتحدثوا عن المفاهيم الإسلامية المتعلقة بها، وكيفية الوصول إليها من خلال تعزيز ثقافة احترام الآخر، والتخصيصية وبناء المجتمع على أسس سوية ملائمة (١١٠).

١٠٥. سورة الإسراء / الآية: ٧٠.

١٠٦. سورة التين / الآية: ٤.

١٠٧. انظر في ذلك للتوسع: الدين والبناء الاجتماعي / د. نبيل محمد توفيق السمالوطي / دار الشروق للنشر والتوزيع - جدة / الطبعة الأولى (١٩٨١ م) / ج ٢ / ص ١٥٠ - ١٧٠

١٠٨. الموقع الإلكتروني للدكتور يحيى هاشم فرغل / في مقالة له بعنوان: التكامل والتوازن في بناء الشخصية الإسلامية / على موقعه على الانترنت: yehia_hashem@hotmail.com

١٠٩. فمفهوم العدالة في الغرب يشتهر بتناوله للعدالة بين الرجل والمرأة في كثير من القضايا والقوانين، ويصدر لذلك الكثير من الكتب والمؤلفات، وانظر في ذلك على سبيل المثال: equal remuneration - international labour office - Geneva - (72nd session) - (1986) - first published (1986)

١١٠. انظر في ذلك: الموقع الإلكتروني للشيخ محمد الحسن ولد الددو الشنقيطي WWW.DEDEW.NET / محاضرة صوتية مسجلة بعنوان: العدالة الاجتماعية / للشيخ: محمد الحسن الددو الشنقيطي، وانظر في ذلك أيضاً: الإسلام والتنمية الاجتماعية / د. محسن عبد الحميد / دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - السعودية / الطبعة الأولى (١٩٨٩ م) / ص ٧ - ٤٩. وكذلك: المسؤولية الاجتماعية في الإسلام / ضمن سلسلة منشورات: "

وحتى لا يقع الخلط بين مفهوم العدالة ومفهوم المساواة أو التماثل الذي قد يضاھي به البعض مفهوم العدالة الاجتماعية، فإن العدالة الاجتماعية لا تعني بحال أن يتم إعطاء مبلغ مالي موحد لكل الشعب، أو توحيد الرواتب والأجور، فهذا غلط واضح قاتل، فالناس طاقات، وكل يأخذ بحسب دوره وأدائه ونشاطه، ولا يحق لكل المنظرين ادعاء المساواة بين العالم والجاهل، والمحترف والمبتدئ، فهذه قسمة ضيزى !!

يؤكد على هذا الباحث عباس بوصفوان بقوله:

إن المساواة غير التماثل، فلا يصح توفير سلع وخدمات مدعومة وعلى قدم المساواة لأشخاص مستويات دخولهم متباينة جداً، وعلى سبيل المثال، فإن شخصاً دخله ٢٠٠ دينار، وآخر ١٠٠٠ دينار، وثالث عشرة آلاف دينار، فإن ثلاثتهم يحصلون على دجاج ولحم وخدمات إسكانية وكهرباء وماء وصحة وتعليم مدعوم، ومثل ذلك ما يستدعي مجدداً النظر في مفهوم "العدالة الاجتماعية"، بما يتجاوز الحرص على توفير الحد الأدنى "لذوي الدخل المحـدود" (١١).

فالعدالة الاجتماعية في مفهوم المجتمع المدني المعاصر أصبحت تتعلق بجوانب محددة من العمل على تحقيق كرامة الإنسان، من خلال تعزيز فرصه في الحياة من خلال التكافؤ والحصول على الفرص المتساوية مع أقرانه.

هذه الأمور متعلقة بالسياسات المتبعة من الدولة، كما هي متعلقة بالنظام المعمول به في القطاع الخاص والمجتمع المجتمعي، فكما يتعلق الأمر بالتكافؤ في توزيع الثروة، ووجوه استثمارها بما يحقق النفع للفئات المهمشة والضعيفة، فإن مسؤولية القطاع الخاص لا تقل عن

الحياة في رحاب الإيمان كما يصورها الكتاب والسنة " / د. سعد المرصفي / مكتبة المعلا للنشر والتوزيع - الكويت / الطبعة الأولى: (١٩٨٨ م) / ص ٥٥. وان شئت التوسع، فهناك كتابات كثيرة جداً لعلماء الإسلام تتناول هذا المفهوم، مثل الإمام: محمد أبو زهرة، وسيد قطب، والقرضاوي، ومحمد الغزالي، وغيرهم الكثير.

١١. صحيفة الوقت / من خلال موقعها على الانترنت / العدد ٣٥٧ / الأثنين ٢٤ محرم ١٤٢٨ هـ - ١٢ فبراير ٢٠٠٧ م / مقال بعنوان: من ذوي الدخل المحدود إلى " العدالة الاجتماعية " / عباس بوصفوان

هذه الأهمية في قضايا الأجور، والتوظيف، والمكتسبات العامة والخاصة والحريات النقابية، الأمر الذي تشترك فيه معهم المنظمات الأهلية، فالمسؤولية في تحقيق العدالة الاجتماعية مسؤولية جماعية.

جاء في تقارير المنظمات العالمية: ((تعتبر الحريات النقابية من العوامل المؤثرة في تحقيق العدالة الاجتماعية)) (١١٢) لا سيما في عصر العولمة وما جرّه من مظاهر نفس العدالة الاجتماعية بين الأفراد (١١٣).

لكن النظام السياسي بما يمتلكه من قرارات نافذة على مستوى التشريعات أو فرض القوانين وتطبيقها، وبما له من نفوذ على مصادر الثروة ومردوداتها المختلفة، فهو المسؤول الأهم عن تحقيق العدالة الاجتماعية، والخروج بها من طور الشعارات التخديرية التي تحدر الجماهير وتسكت غضبهم، إلى طور التطبيق الإيجابي لها على الواقع (١١٤).

تتناول قضايا العدالة الاجتماعية مسألة النهوض بواقع إصلاح قوانين العمل (١١٥)، وآليات التعامل مع ذوي الدخل المحدود (١١٦)، و ما يتصل بقضايا التوظيف وقضايا الخريجين والتي بدأت تأخذ منعطفات وأبعاداً اجتماعية خطيرة، حيث ارتفعت نسبة التذمر لدى

١١٢. الحريات النقابية - موجز المبادئ والقرارات الصادرة عن لجنة الحريات النقابية في مجلس إدارة منظمة العمل الدولية / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (١٩٩٦ م) / ص ١١ .

١١٣. انظر في هذا الشأن: عولمة عادلة (توفير الفرص للجميع) / اللجنة العالمية المعنية بالبعد الاجتماعي للعولمة / منظمة العمل الدولية - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ٣٩ - ٤٤ .

١١٤. انظر في ذلك: الاقتصاد الإسلامي / عبد السميع المصري / مكتبة وهبة للنشر والتوزيع - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٨٦ م) / ص ٢٨ - ٤٥ وما بعدها .

١١٥. انظر في ذلك: التنظيم من أجل العدالة الاجتماعية / التقرير العالمي بموجب متابعة إعلان منظمة العمل الدولية بشأن المبادئ والحقوق الأساسية في العمل / مكتب العمل الدولي - جنيف / مؤتمر العمل الأول - الدورة (٩٢ - ٢٠٠٤ م) / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ٨٦ - ٩٤ .

١١٦. انظر في ذلك: نشرة بعنوان: الدور الاجتماعي للنقابات / حاج علي إبراهيم / ضمن ملفات الحوار النقابي / مكتبة اتحاد عام عمال السودان - الخرطوم / ص ٥ - وهي نشرة قيمة وذات مضامين طيبة .

لشباب بسبب عدم إيجاد فرص عمل لهم، وعدم قدرتهم على الاستفادة من أحلى فترات حياتهم الغنية بالطاقة والحيوية، ومنها كذلك: قضايا حقوق المرأة (١١٧) ونحوها.

من الجوانب الاجتماعية كذلك: تطوير الحقل التعاوني، وإشاعة التعاون الاستهلاكي، والبطاقات التموينية، وتأمين حاجات المنظمات والعاملين فيها في النقل والمواصلات وتسهيل الخدمات العامة، وتوفير فرص العمل، وقضايا الإسكان وصناديق الادخار والتكافل الاجتماعي (١١٨)، وأموراً أخرى عديدة في السياق ذاته (١١٩).

ولكون العدالة الاجتماعية مفهوماً مهماً جداً، ينبغي العناية بإكسابه لأفراد المجتمع بدءاً من الأسرة، الأب والأم والعلاقة الناجحة بينهم، إلى إعطاء كل فرد من أفراد الأسرة حقه في الرعاية والاهتمام، فكل ذلك يرسخ قاعدة صلبة لاكتساب مفهوم العدالة الاجتماعية.

وفي عالم مليء بالتناقضات الواضحة بين الشعارات المرفوعة والسلوك المطبق، يجد المتابع ما يشيب لهوله الولدان من الممارسات الهمجية بحق الفرد وحقوقه وكرامته ومكانته

١١٧. شهدت السنوات القليلة الماضية نشاطاً ملحوظاً للمرأة العاملة والمدربة على العمل المدني والمؤسسي، وتطورت الكفاءات النسوية بشكل كبير من خلال انخراطهن في العمل بكل جوانبه، وقد افرز ذلك حالة من الوعي في الجانب العربي من العالم، جعلت المرأة تقف أمام مسؤولياتها في الدفاع عن حقها في إطار معتقداتها، وانظر في ذلك على سبيل المثال: *women , Islam ,and equality – the national council of resistance of Iran - foreign affairs committee – (f. p) – (1995)*.

١١٨. انظر في ذلك: نشرة بعنوان: الدور الاجتماعي للنقابات / حاج علي إبراهيم / ضمن ملفات الحوار النقابي / مكتبة اتحاد عام عمال السودان - الخرطوم / ص ٤ - ٨.

١١٩. انظر في ذلك للاستزادة: الإسلام والمعضلات الاجتماعية الحديثة بأفلام عشرة من علماء الإسلام / دار الكاتب العربي، ودار الشواف للنشر / الطبعة الأولى (١٩٩٢ م) / موضوع: ((مهمة الدين الإسلامي في العالم)) لمحمد فريد وجدي / ص ١١١ وما بعدها، وكذلك: فقدان التوازن الاجتماعي - مشكلة الزي والملابس - سنن تغيير النفس والمجتمع / د. جودت سعيد / دار الفكر المعاصر - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٩٤ م) / ص

الاجتماعية في تصرفات العالم الغربي، الذي يشرع التقتيل للمصالح المادية والنفعية، وهو أول من يتغني بالعدالة الاجتماعية وحقوق الشعوب في تقرير المصير.

بنظرة معاكسة، فإن الشرع الإسلامي قد أزم الأمة المسلمة بتحقيق العدل حتى مع المخالف، بل حتى مع من بلغت العداوة بينك وبينه مبلغها، فأنت كمسلم لك ضوابطك الشرعية التي ينبغي عليك التزامها، قال تعالى في ذلك: ((وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا)) (١٢٠). أي أنه لا يجوز للإنسان أن يتناسى قاعدة وقانون العدالة بسبب البغض والعداوة الشخصية.

ما بين الشعارات والواقع، يقف المحللون في تأويل الواقع وتشخيصه موقف المحزون، يرون بإحدى عينيهم المصطلح اللماع، وبعينهم الأخرى المناقضة الصريحة له على الواقع، حتى قال أحدهم:

تعرض مصطلح مثل العدالة الاجتماعية لكثير من التشويه، وأحياناً أفرغ من مضمونه، واستخدم كشعار في مرحلة المد القومي والثوري والخيارات الاشتراكية في كثير من البلدان العربية التي قاد فيها العسكر بالتحالف مع قوى اليسار العربي انقلابات حملت شعارات أكثر منها مضامين. واستخدمت لإدانة مرحلة وإضفاء مشروعية تغيير على نظام سياسي، أكثر من كونها محاولة جادة لاستلهاام مشروع. واستخدمت ذريعة لتعطيل الحياة السياسية مقابل حلم العدالة الاجتماعية وتحقيق الكفايات ومحاربة الاستغلال والتحالفات الإقطاعية.. ولم تظفر التجربة لا بملامح الكفايات ولا هي استعادت الحياة السياسية.. وأخيراً تم التنازل عن كل الأحلام، وأمام ضغط الواقع والتحويلات الدولية وانتصار الرأسمالية الغربية، وانهميار الاشتراكية الدولية، وشيوع العولمة، جاء الانفتاح العربي المتردد، لتدخل كل تشوهات السوق ضمن معادلة الحياة الاجتماعية حتى أتت على كثير من المكتسبات الصغيرة، دون أن تحقق أي تراكم

١٢٠. سورة المائدة / الآية: ٢.

طبيعي لنظام رأسمالي يربط بين الإنتاج وعدالة الفرص، هذا التشوه الحاد، هو الثمرة الطبيعية لحالة نظام عربي يعالج الواقع اليومي بالمسكنات (١٢١) .

فإذا انعدمت العدالة الاجتماعية في أي مجتمع، كان من الإفرازات المشاهدة لذلك: تشوه حاد في قيم العمل والإنتاج، وعلاقات المجتمع، وتفشي الأمراض الأخلاقية، وانحيار منظومات اجتماعية، وانتشار لأساليب اللصوصية المقنعة، والاحتيال، وانحيار لأحلام الكفاية، وعطالة وبطالة، وفقر ومرض وإعاقة، وعدم تكافؤ الفرص في كل صغيرة وكبيرة، وثمّ الضياع والوبال !!

احترام حقوق الإنسان

ينادي المجتمع المدني - فيما ينادي به - بضرورة الحفاظ على حقوق الإنسان، وصيانتها من أن تضام بفعل الدولة أو بفعل العوامل الموجودة في المجتمع كالحركات السياسية والحركات الاجتماعية وحتى على مستوى المجتمع المدني عينه.

يقول الأستاذ جميل هلال: ((وتجدد الإشارة هنا أن من وظائف الدولة الديمقراطية توفير الحماية للمواطن من تجاوزات لحقوقه قد تقوم بها بعض منظمات المجتمع المدني أو الأهلي)) (١٢٢) .

^{١٢١} صحيفة الرياض - السعودية / عدد: الاثنين ١٠ رجب ١٤٢٦هـ - ١٥ أغسطس ٢٠٠٥م / العدد رقم: ١٣٥٦٦ / مقال بعنوان: العدالة الاجتماعية.. استعادة المفهوم!! / للأستاذ: عبد الله القفاري.. وانظر كذلك المواد القانونية المقررة عالمياً في مجال تكافؤ الفرص وسبل تحقيق العدالة الاجتماعية في: الحريات النقابية / ص ١١٤ - ١١٥ .

^{١٢٢} .مقالة منشورة على الانترنت للباحث الفلسطيني جميل هلال بعنوان: حول إشكاليات مفهوم المجتمع المدني - مداخلة حول ندوة المجتمع المدني، بيروت تشرين أول ٢٠٠٤ / منشورة في شهر ١٠ / ٢٠٠٤م .

حقوق الإنسان التي ينادى بها من على صهوة المؤسسات والنقابات المدنية هي تلك الحقوق التي تم إقرارها في المنظمات الدولية بعد سلسلة من الاقتراحات والصراعات التي تناولت حق الإنسان بوصفه إنساناً، وحقه بوصفه عضواً موجوداً في المجتمع الذي يعيش فيه، وحقوه في أن ينعم ببيئة سليمة في مناخ عالمي عام.

وفي إطار سعي منظمات المجتمع المدني لتوفير هذه الحقوق للفرد، كان لها عدد من السجلات مع مؤسسات القرار الدولي والأممي من أجل أن تسن القوانين التي تحمي الإنسان من خلال نظام عالمي يفرض على الدول المختلفة، حتى يتم ضبط السلوك السياسي العام من خلال قوانين دولية معترف بها من أوسع شريحة ممكنة من الدول.

هذا ما أثمر ميلاد مجموعة من النصوص القانونية الدولية التي تُشرع لحق الإنسان وكرامته، من أمثال: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وميثاق الأمم المتحدة وقراراتها المتعلقة بهذا الجانب، والمنظمات العالمية الأخرى (١٢٣).

وبنظرة موضوعية على هذه المواد والقوانين، وقياسها بالمفهوم الإسلامي، يجد الباحث أن الغالبية العظمى من هذه القوانين هي في مصلحة الإنسان، وأن الإسلام جاء أصلاً لحمايتها وصيانتها من العبث، كحق الإنسان في الحياة الكريمة، وحقه في التعبير عن رأيه، وحقه في التعليم.. وهكذا (١٢٤).

يقول المختص محمود علي مينا:

١٢٣. انظر في ذلك: الحريات النقابية / ص ٢١ - ٢٣.

١٢٤. وقد بدأ تركيز عدد من علماء المسلمين على هذه القضية، وإبرازها للرأي العام العربي والدولي من خلال جهد عظيم قام به الاتحاد العام لعلماء المسلمين في العام، حيث قام الاتحاد مشكوراً بعمل الكثير من الندوات والمؤتمرات على مستوى بلدان العالم الأوروبي لتوضيح نظرة الإسلام إلى حقوق الإنسان، وبين للمجتمعات عموماً كيف أن الإسلام حفظ حق الإنسان أكثر من كل التشريعات الوضعية، وقد كانت لفضيلة الدكتور يوسف القرضاوي مجموعة من الندوات العلمية الفقهية المطولة في هذا الجانب تم بثها على شاشات القنوات الفضائية على مدار شهر ٣ / ٢٠٠٧ م، على قناة الرسالة، وإقرأ، وغيرها.

بادئ ذي بدء وقبل أن نخوض بالقلم في غمار بحر حقوق الإنسان لاشك أن ما نراه وما نسمعه في شتى بقاع العالم بأسره لشئ يندى له الجبين فنحن نرى ونسمع انتهاك حقوق الإنسان التي كفلها له الدين الإسلام قبل أي شئ وكذلك المواثيق والعهود التي نصت عليها سواء الوثيقة الفرنسية التي صدرت عام ١٧٨٩م، و الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر من جمعية الأمم المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٨، لاشك أننا جميعاً إذا التزمنا بتلك المبادئ التي اشتملت على حقوق الإنسان سوف يعود بالخير على البشرية جمعاء، وسيكفل للإنسان حياة آمنة مستقرة فسوف يعيش في اطمئنان لا يشوبه قلق، ورضى لا يشوبه سخط، وأمن لا يشوبه خوف، ونحن جميعاً نسعى في الوصول إلى المجتمع المثالي الذي يضمن للناس الحرية والعدل جميعاً، ولا شك أن الوصول إلى المجتمع المثالي لم تكن دعوته جديدة بل قديمة قدم الأزل بجميع الرسل والأنبياء دعوا إليه بما كانوا يحملونه من رسالات ربهم (١٢٥).

إذا توجه النظر إلى ما رشح من العالم الغربي في بعض بنود مواثيق حقوق الإنسان، يمكن التعرف إلى ما يدعو إليه المجتمع المدني العالمي في هذا الجانب، فقد جاء في المادة الأولى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: ((يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء)) (١٢٦).

في السياق ذاته، كان ميلاد حركة الدفاع عن حقوق الإنسان في العالم العربي - مثلاً - قائماً على أساس أن يقوم المجتمع المدني بدور حائط السد أمام الفرد بالدرجة الأولى، ليمنع عنه تسلط الدولة وعبثها بحقوقه المشروعة، قبل أن يكون لدى المجتمع العربي

١٢٥. الموقع الإلكتروني: فكر زاد، على الانترنت WWW.FIKRZAD.COM - مدخل حقوق الإنسان / موضوع بعنوان: حقوق الإنسان / للباحث: محمود إلهام محمد علي / منشور بتاريخ: ٢١ سبتمبر ٢٠٠٥م.

١٢٦. انظر في ذلك: مجلة الحوار المتمدن / العدد: ١١١٣ / صادرة بتاريخ ١٨ / ٢ / ٢٠٠٥ م مقال بعنوان: الأحزاب وحقوق الإنسان / للباحث: جورج طرابيشي.

تصور ناضج شمول لدور المجتمع المدني في تقرير وترسيم السياسات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والقيمية المتعلقة بالإنسان في أكثر من اتجاه.

في ذلك يقول رواد العمل في المجتمع المدني: ((دخل المجتمع المدني إلى الخطاب السياسي والفكري العربي من باب الحاجة للديمقراطية وحقوق الإنسان، أي من مدخل وضع المجتمع المدني في مواجهة الدولة - وخلق ثنائية المجتمع والدولة وعلاقة تنافر واستبعاد بينها -، وليس من مدخل إعادة تنظيم الدولة والمجتمع المدني باعتبارهما ركيزتين أساسيتين للمواطنة (((١٢٧).

وفي معرض بيانه لدور إعطاء الحقوق للفرد، ومنحه الحق في ممارسة حياته سياسياً واجتماعياً ونقائياً، يقول الباحث الفلسطيني جميل هلال:
وتشريع حرية الرأي والتنظيم والتظاهر على أساس دستور يضمن الحريات المدنية أمور ضرورية لترسيخ المواطنة بما هي حقوق وواجبات، كما أن توسيع دور المجتمع المدني بما هو، بالأساس، أحزاب ونقابات وحركات اجتماعية تستند الحرية المواطن في التنظيم والدفاع عن مصالح ورؤى وانتماءات، هو المدخل لتكريس الديمقراطية كتجسيد لتعددية المصالح والرؤى في المجتمع، وحق الأحزاب والقوى المختلفة في التنافس السلمي على السلطة ومن أجل التغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي (١٢٨).

مما تجدر الإشارة إليه هنا، أن مساعي المنظمات المدنية الساعية إلى تحقيق الحقوق الإنسانية المتعلقة بالفرد والأسرة هي من الأصول والثوابت التي جرى عليها الشرع

^{١٢٧}. مقالة منشورة على الانترنت للباحث الفلسطيني جميل هلال بعنوان: حول إشكاليات مفهوم المجتمع المدني - مداخلة حول ندوة المجتمع المدني، بيروت تشرين أول ٢٠٠٤ / منشورة في شهر ١٠ / ٢٠٠٤ م.

^{١٢٨}. مقالة منشورة على الانترنت للباحث الفلسطيني جميل هلال بعنوان: حول إشكاليات مفهوم المجتمع المدني - مداخلة حول ندوة المجتمع المدني، بيروت تشرين أول ٢٠٠٤ / منشورة في شهر ١٠ / ٢٠٠٤ م، وانظر كذلك: الموقع الإلكتروني: www.islam21.net / موضوع بعنوان: تفعيل دور المجتمع المدني في إطار المشروع الحضاري الإسلامي / محمد عبد الجبار كاتب وباحث إسلامي - لندن - بريطانيا / منشور بتاريخ ١٦ / ٥ / ٢٠٠٣ م.

الإسلامي(١٢٩)، ولكن النداءات المعاصرة قد أغفلت النظرة الشرعية الإسلامية لهذا الأمر، فتعبت في بيان المراد، وأنفقت الكثير من الوقت والجهد والمال فيما هو مقر وواضح حتى قبل ميلاد هذه المنظمات بمئات السنين (١٣٠) .

^{١٢٩} . انظر في ذلك مثلاً: من ينتهك حقوق الإنسان - الإسلام أم الأمم المتحدة ؟ / د. أحمد عبد الرحمن / مركز الإعلام العربي - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٩٤ م) / ص ٣ - ٨ .

^{١٣٠} . انظر في ذلك: حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية وقواعد القانون الدولي / د. محمد عبد العزيز أبو سخيلة / دار نشر - / طبعة عام ١٩٨٥ م / ص ١٨ وما بعدها..

الجوانب الفعلية لاهتمامات المجتمع المدني

لأن كل مؤسسة عاملة في المجتمع المدني، وكل نقابة أو تشكيل مهما كان حجمه ودوره ومكانته الجغرافية أو الأدائية جزء من العمل المدني العام، فإنه يصعب حصر الدور العملي المطلوب من المجتمع المدني، والممارس على أرض الواقع من قبل المنظمات المختلفة، لكون كل مؤسسة تعمل في إطار معين، وكل نقابة لها توجهاتها الخاصة، وكل تيار اجتماعي وحركة ضغط لها مرتكزاتها ومنطلقاتها التي تعمل لتحقيقها.

ولبيان الفعل والدور المنوط بالمجتمع المدني، فإن الباحث يضع ذلك في الإطارات الجامعة الآتية:

١. الدور السياسي..

ينشط المجتمع المدني في العمل السياسي بصورة مباشرة وكبرى، حيث إن إبداع المجتمع المدني يتمثل في قدرته على توجيه السياسات وتطويرها لتحقيق أهدافه التي يسعى إليها، وإن وصل إلى تحقيق ذلك، يكون قد اختزل الوقت والجهد معاً، وإلا فإن عليه أن يناضل لتحقيق أهدافه، في ضوء السماح العالمي له بالاتجاهات والتحركات السياسية ضمن مفهوم تحقيق العدالة والقانون (١٣١).

فعلى الصعيد السياسي، يناط بالمجتمع المدني بهيئاته ومنظماته وتشكيلاته أمور تتعلق بالرقابة على الدولة، ومتابعة الأداء في السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وتصويب المسار الحكومي، والتدخل عند الأزمات، وإيجاد الحلول المختلفة لإشكاليات المجتمع، من خلال

١٣١. فقد أقرت المواثيق الدولية حق المنظمات المدنية في العمل السياسي، وسمحت لها بممارسة كافة أشكال التأثير السياسي من خلال دور فعال في المجتمع، وانظر في ذلك: الحريات النقابية / ص ١٣٥ - ١٣٨.

الصلة بينه وبين النظام السياسي، ومن خلال ثقله الشعبي والمؤسسي عند وجود صدام مع النظام (١٣٢).

فالمجتمع المدني موجود في بيئة النظام السياسي، وهو عنصر حيوي فيها، وله الصولة والجولة في العالم الغربي، حتى باتت السياسات العامة والخاصة لا ترسم إلا من خلال منظمات المجتمع المدني، وجهات الضغط الفاعلة التي تشارك وتؤسس لها هذه المنظمات (١٣٣).

مع احتساب الفارق بين دور المجتمع المدني في الدول العربية عموماً ودوره في المجتمعات الغربية، فإن الدور الأساس المطلوب من المجتمع المدني: هو أن يكون الجسم المدافع عن الحقوق المدنية، وتحقيق قوانين المواطنة الفاعلة والسليمة في أي مجتمع، ومنع التعدي على الملكيات العامة والخاصة، وتحقيق التنمية في المجالات المختلفة، ومن بينها الأداء السياسي.

فالمجتمع المدني يلعب دوراً مهماً في الإشراف على العملية السياسية برمتها، حتى في بداية تشكيل أي نظام سياسي، حيث يتصدر لمراقبة صناديق الاقتراع، والإشراف على نزاهة الانتخابات، ويضع الظروف الملائمة لضمان شفافيتها (١٣٤) وهو حكم معترف بشهادته وخبرته في هذا الجانب.

مما يدل على شمول الفهم للجوانب المختلفة في الحياة من جانب المجتمع المدني، التحركات الكثيرة التي تشهدها هذه المنظمات في إطار تنسيق المواقف ورسم الخطط ودراسة

^{١٣٢}. انظر في ذلك: الموقع الإلكتروني: eJournal USA - مكتب برامج الإعلام الخارجي بوزارة الخارجية الأميركية / موضوع بعنوان: دور المجتمع المدني في تأمين الإصلاح الفعال والمستدام / بقلم نانسي بوزويل.

^{١٣٣}. انظر: عمال السودان والسياسة / ص ١٠ - ١٥.

^{١٣٤}. انظر في هذا الموضوع: الموقع الرسمي لجمهورية مصر العربية على الانترنت / موضوع: دور منظمات المجتمع المدني / وفيه تفصيل لدور هذه المنظمات في الإشراف والمتابعة لسير العملية الانتخابية من تاريخ الإعلان عنها وحتى إعلان النتائج فيها.

استراتيجيات العمل على مستويات عدة، سياسية واقتصادية وفكرية وتنموية مجتمعة مع بعضها، في دلالة على اشتراك المجتمع في كل ما يهم الإنسان في حياته العامة (١٣٥).

فمن واجب الهيئات والمنظمات الأهلية دعم أسس المجتمع المدني كوسيلة أساسية للنهوض بالإنسان، وهذا لا يتم إلا من خلال المعرفة التامة لأهمية توفر مرجعية ثقافية إنسانية تعتمد مبادئ احترام كافة حقوق الإنسان، ومناهضة كل أشكال التعصب والعمل الفئوي على حساب المصالح العامة.

فعلى المجتمع المدني العمل على بلورة استراتيجيات واضحة وعملية لحركة المنظمات غير الحكومية على الصعيد السياسي، وعلاقتها بالنظام القائم، وأوجه الافتراق والالتقاء معه، وهكذا... وكذلك، رسم سياسات فعلية لحراكه في حال انتهاك هذه الحقوق أو التلاعب بها من الدولة، أو من بعض المنظمات، أو من القطاع الخاص.

بهذا الصدد فإن دور المجتمع المدني أن ينهض ليدافع عن ثوابته التي قام من أجلها، وهي احترام (الديمقراطية)، والعدالة الاجتماعية، وحقوق الإنسان، وأن يأخذ دوره الفعلي ضد انتهاكات حقوق الإنسان في المجتمع، بعيداً عن الاختباء وراء صياغات النقد والاستنكار والإدانة.

ومن نشاطات المجتمع المدني في هذا السياق، ما تعرفه بعض المجتمعات الغربية والعربية من هيئات تأهيلية في المجال السياسي (١٣٦)، والمواقع التي تقوم بنشر الوعي بحقوق

^{١٣٥}. انظر في ذلك مثلاً: المنظمة المصرية لحقوق الإنسان - من خلال موقعها على الانترنت / تعليقات وأخبار عن ورشات عمل في التنسيق الأورومتوسطي / موضوع بعنوان: ورشة عمل حول: تفعيل دور المجتمع المدني في إطار الشراكة الأورومتوسطية / منشور بتاريخ: ٢١/٣/٢٠٠٥م، حيث بحث المؤتمرون ومن بينهم منظمات المجتمع المدني جوانب العمل السياسي والاقتصادي والاجتماعي بشكل رئيس بين المجتمعين، وهي محاور مجتمعة تتدخل في الجوانب الحياتية للإنسان.

^{١٣٦}. مثل: النادي الدبلوماسي في الخرطوم، ومؤسسات الكادر الحزبي في تركيا، ومراكز البحوث والدراسات الإستراتيجية ونحوها.

الإنسان على نطاق شعبي واسع، وإصدار نشرات منتظمة حول الانتهاكات لحقوق الفرد والمجتمع.

ومن أوجه النشاط السياسي، الحركات الفاعلة للدفاع عن حقوق العمال والمزارعين، ورعاية شئون السجناء والمعتقلين وأسرههم، ومتابعة قضايا المعتقلين في السجون، والتدخل في حالات فرض أنظمة الطوارئ ونحوها.

كذلك؛ فإن منها: إنشاء مكاتب قانونية متخصصة في العلوم السياسية، وفنون الاتصال، والتعاون الفعال، والمفاوضات الجماعية، وتنظيم ورش عمل قانونية وسياسية، من أجل صياغة جيل سياسي إيجابي في المستقبل، والتعامل مع الآفات السياسية في الواقع المنظور.

وفي الإطار ذاته، فقد نشطت بعض المنظمات المدنية والأهلية في مجال التشبيك (^{١٣٧}) مع المنظمات الإقليمية والعالمية، وبنيت جسوراً للتواصل مع منظمات عربية وغربية ذات علاقة، وتمكنت من فرض الرؤى الداخلية التي تهمها في مجتمعاتها من خلال هذا التعاون المثمر، كما كان لبعض الجهات الضاغطة والحركات الاجتماعية والمدنية صلاحاتها بالمنظمات العربية الكبرى كجامعة الدول العربية مثلاً (^{١٣٨})، الأمر الذي انعكس على أداء المنظمة بالدرجة الأولى، وعلى المجتمع المحيط بها تبعاً لذلك.

٢. الدور الاقتصادي..

^{١٣٧}. والتشبيك في اللغة: المداخلة، فيقال لكل متداخلاً أنهما متشابكان، وانظر في ذلك: الموسوعة الفقهية / وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت / الطبعة الأولى (١٩٨٥ م) / ج ١٢ / ص ١٥... ونظام التشبيك مع المؤسسات الأخرى، والفعاليات المجتمعية مكفول بالقانون الدولي، وله نصوص واضحة في المنظمات المهتمة بالعمل النقابي، وانظر في ذلك: التنظيم من أجل العدالة الاجتماعية / ص ١٠٩ - ١١٢ وهناك نماذج وصور لهذا النظام.

^{١٣٨}. انظر في ذلك: الموقع الإلكتروني ل (المعهد العربي لحقوق الإنسان - تونس) و (شبكة المنظمات غير الحكومية العربية للتنمية) على الانترنت WWW.AHIR.ORG / ندوة بعنوان: " دور المجتمع المدني في تطوير جامعة الدول العربية في ضوء التحديات الإقليمية والدولية الراهنة " / تونس: ٢٧ - ٢٨ مارس / آذار ٢٠٠٤ م / حيث حضرها عدد من ممثلي المنظمات والشبكات العربية العاملة في مجال حقوق الإنسان وحقوق الإنسان للنساء ومجموعة من الخبراء والباحثين وممثلي وسائل الإعلام.

تشارك منظمات المجتمع المدني بدور فاعل في التنمية الاقتصادية في المجتمعات التي تنشط فيها (١٣٩)، وقد تسابقت هذه المؤسسات في العالم على إثبات قدرتها على توفير مشاريع اقتصادية مميزة، جعلتها تفخر بها بين الأمم.

لطبيعة الاختلاف الحاصل بين مجتمع وآخر، وكيان مؤسسي وآخر، فإن الاستعراض الإجمالي لدور المنظمات الأهلية قد ركز على المجالات الاقتصادية التي تتناسب مع حجم المؤسسة وقدرتها المادية، ومن هذه المشروعات على سبيل المثال:

إنشاء المراكز المختصة بإيجاد وتطوير المشاريع الصغيرة التي (تحارب الفقر من خلال العمل اللائق) (١٤٠)، ويقصد بالمشاريع الصغيرة، تلك المشروعات التي تمكن فرداً أو مجموعة من الأفراد من التكفل بقوت يومهم من خلال عملهم الفعلي في مجال ما يستطيعونه (١٤١)، دون أن يصل هذا المشروع إلى حجم العمل الموجود في المصانع الكبرى والشركات الممتدة.

تنشط منظمات المجتمع المدني كذلك في تنظيم عملية الإرشاد الزراعي (١٤٢)، والتواصل مع المزارعين من أجل بيان كيفية الزراعة الناجحة، وطرق الوقاية من الأمراض التي تصيب النباتات ونحوها، إضافة إلى قيام مشروعات لمنح القروض الزراعية لتشجيع العمل في الزراعة للراغبين، ودعمهم بالمال أو بالمواد اللازمة لعملهم، الأمر الذي يحفز الكثير من الناس على خوض العمل؛ وعدم اللجوء تكاسلاً لخانة لبطالة.

١٣٩. انظر في ذلك: التنظيم من أجل العدالة الاجتماعية / ص ١٥.

١٤٠. المرجع السابق.

١٤١. كمشاغل الخياطة للنساء، وبعض مشاغل الحرف اليدوية للرجال، ومشروعات التريكو والنسيج، وصناعة الفخار ونحوها.

١٤٢. انظر في ذلك: نحو استراتيجية وسياسات بعيدة المدى للتنمية الزراعية / علي التوم / مؤتمر القطاع الزراعي في السودان / المؤتمر الاقتصادي القومي / ص ٨ وما بعدها.

في السياق ذاته، فقد تم إنشاء مراكز لصحة الحيوانات في كثير من المجتمعات، ومشروعات للحفاظ على الثروة الحيوانية في البلدان المشتهرة بامتلاكها لهذه الثروة (١٤٣)، وتفعيل المجتمع في هذه الفعاليات المؤسسية من أجل تعميم الخبرة والثقافي عليهم، وتعليمهم لسبل العيش وكسب قوتهم من خلال عمل يدهم.

وعلى صعيد المرأة، فقد نشطت المنظمات المهتمة بالمرأة - فضلاً عن غيرها - في طرح العديد من البرامج التأهيلية والاقتصادية للمرأة (١٤٤).

فأما التأهيل، فما هو حاصل في جميع البلدان العربية والغربية من نشاطات ودورات ومحاضرات في تأهيل النساء على إدارة وتعليم أطفال رياض الأطفال، ومشروعات الغزل والنسيج والتريكو (١٤٥)، وإقامة دورات تدريب للصيادين والمزارعين (١٤٦)، إضافة إلى طرح مجموعة من المنظمات الأهلية لمشروعات إقراض للنساء، وهي مشروعات توفر للنساء من ذوي الدخل المحدود، أو من غير العاملات الراغبات في العمل في مجال ما، فرصة العمل من خلال دعم منظمات المجتمع المدني لهم، بدعم مالي وعيني.

وفي المجال الاقتصادي أيضاً، فإن هناك مجموعات من المؤسسات الأهلية قد طرحت للمجتمع مشروعات اقتصادية فاعلة، ساهمت بشكل فعلي في نمو المجتمع أو بعض شرائحه على أقل تقدير، مثل مشاريع الإقراض الإسكاني، ومشروعات لترميم المنازل وتجديدها، وإنشاء مراكز تعليم الكمبيوتر، وغيرها.

^{١٤٣}. كالسودان مثلاً.

^{١٤٤}. انظر في ذلك: بحث منشور على الانترنت، بعنوان: المنظمات الأهلية الفلسطينية / للباحثة: عبلة محمود أبو عبلة.

^{١٤٥}. كالحال في مصر، والجزائر ونحوها.

^{١٤٦}. هناك دورات عديدة تعطى للصيادين والمزارعين والحرفيين في مجالات عملهم لتطوير أدائهم، وإفادتهم بالعلم الحديث والتقنيات المعاصرة المتعلقة بمجال عملهم، كدورات تدريب الصيادين في قطاع غزوة، والدورات التدريبية لمدراء المدارس الخاصة في الأردن، وغيرها، وانظر في ذلك أيضاً: نحو استراتيجية وسياسات بعيدة المدى للتنمية الزراعية / ص ٨ وما بعدها..

من باب حرص منظمات المجتمع المدني على إتاحة الفرص المتكافئة لشرائح المجتمع في العمل والكسب، وتنمية موارد الدخل، فقد طرحت منظمات العمل المدني الغربي مجموعة من النشاطات الاقتصادية للعاطلين عن العمل، وللنساء، تحت عنوان، برامج العمل البيئي، أو مشروعات الإنتاج الأسري (١٤٧).

لم يقتصر دور المنظمات الأهلية على العمل الموضوعي، بل تعداه إلى المشاركة في المعارض التجارية العربية والعالمية، وتمثيل البلدان التي تنتمي إليها تلك المؤسسات والمنظمات تمثيلاً اقتصادياً وتنموياً على مستوى رفيع.

إضافة إلى ذلك، فإن هناك عدداً كبيراً من المنظمات الأهلية تشارك في التفعيل الاقتصادي من جانب كونها محضناً للكثير من العاملين فيها، فالمنظمات العاملة تحتاج إلى كادر، والكادر له نفقاته وأجوره التشغيلية، وهذا يجعل من منظمات المجتمع المدني فرصة عمل تضاف إلى مجالات العمل الرئيسة في أي دولة.

لضرب مثال على المسألة من الواقع الفلسطيني، جاء في التعداد العام للمنظمات الأهلية الفلسطينية: ((يستوعب قطاع المنظمات غير الحكومية الفلسطينية ١٠٣٧٥ عاملاً بأجر، موزعين على ٥٧٣ منظمة بمعدل ١٨.١ عامل لكل منظمة يعمل فيها عاملون بأجر)) (١٤٨) وهذا يعني بالضرورة؛ توفر مصدر دخل شهري للفرد العامل في إطار المنظمة وللعائلة.

١٤٧. وانظر في ذلك: actions programmes for the protection of home workers- ten case- studies from around the world – edited by: ursula huws- international labour office – Geneva – (1995) – the introduction- p.8

١٤٨. النسخة الإلكترونية من كتاب: تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة / إعداد: ياسر شليبي وآخرون / موجودة على الانترنت، وقد تمت هذه الدراسة الخاصة بالتعداد في العام ٢٠٠١

٣. الدور التنموي..

تلعب منظمات المجتمع المدني دوراً بارزاً في إحداث التنمية في المجتمعات التي توجد فيها (١٤٩)، وقد شهد على ذلك كل متابع لعمل المنظمات وتنامي نشاطاتها خلال الفترات الزمنية القريبة (١٥٠).

ولكن تحقيق التنمية الحقيقية و بلوغ تنمية جذرية ذات بعد إنساني، تستوجب تضافر كل الجهود، حكومية كانت أو غير حكومية، لوضعها في سياق متكامل بعيداً عن الارتجال والعشوية والمنظور الفردي الضيق.

جاء في نشرات البنك الدولي: ((أصبحت منظمات المجتمع المدني أيضاً بمثابة قنوات هامة لتوصيل الخدمات الاجتماعية وتنفيذ مشروعات التنمية الأخرى، ولا سيما في المناطق التي يضعف فيها التواجد الحكومي، أو في حالات ما بعد انتهاء الصراعات، أو حيث تلعب خبرات المجتمع المدني وتجاربه دوراً متمماً للعمل الحكومي)) (١٥١).

التنمية لا تعرف وجهاً محدداً، فهي تخترق المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والطوعي والحرفي والزراعي (١٥٢) ونحوها، ولكن مفهوم التنمية مأخوذ في شكله

١٤٩. انظر في ذلك: مؤتمر الحوار النقابي - ورقة عمل / دور النقابات في البناء الوطني / حسن محمد علي / مكتبة اتحاد عام عمال السودان - الخرطوم أمين مال اتحادات نقابات عمال السودان، وهي ورقة قيمة وشاملة.

١٥٠. انظر في ذلك: الموقع الإلكتروني: eJournal USA - مكتب برامج الإعلام الخارجي بوزارة الخارجية الأميركية / موضوع بعنوان: دور المجتمع المدني في تأمين الإصلاح الفعال والمستدام / بقلم نانسي بوزويل.

١٥١. الموقع الرسمي للبنك الدولي على الإنترنت - باللغة العربية، مجال: المجتمع المدني / موضوع بعنوان: تعريف المجتمع المدني / على الموقع الإلكتروني: www.worldbank.org.

١٥٢. انظر في ذلك: نحو استراتيجية وسياسات بعيدة المدى للتنمية الزراعية / ص ٨ وما بعدها.

العام وصيغته المطلقة من النمو التدريجي، والبناء التراكمي، ويُذكر هذا الدور تمثيلاً في المسائل الآتية:

ابتكار وسائل محلية للتمويل الخاص بالمنظمات عينها، لتحقيق قدرتها على بلوغ أهدافها في المجتمع (١٥٣)، إذ إن المال هو قيام العمل وقوامه، بحيث تأخذ بعين الاعتبار الواقع المحلي، واستكشاف إمكانات التمويل العربي والدولي، بما لا يتعارض طبعاً مع استقلالية المنظمات الأهلية وبرامجها المجتمعية الخاصة، مع عدم الاقتصار على إستراتيجيات النمو الاقتصادي كما تفرضها المؤسسات الاقتصادية الدولية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي (١٥٤).

كما كان للمجتمع المدني دور حقيقي في تفعيل وتنمية أوجه التعاون الاستثماري (١٥٥)، وتأسيس مفهوم التعاون كمبدأ لتنظيم اجتماعي واقتصادي يمكن أن يلحق المجتمع من خلاله بالركب الحضاري (١٥٦).

وفي مجال تنمية قدرات المرأة فقد بدأت منظمات المجتمع المدني العمل بناءً على أنه لا يمكن حدوث أي تنمية حقيقية في المجتمعات العربية والغربية دون الأخذ بالاعتبار هذا الدور، وأن الوضع الحالي للمرأة يحول دون اضطلاعها بمسؤولياتها على هذا الصعيد.

في هذا السبيل، فإن عمل المجتمع المدني بدأ بتنظيم برامج لتعليم الأمهات وتدريبهن على كيفية التعامل مع أبنائهن، وتنظيم الأسرة، وعقد ورش العمل الخاصة بأوضاع

١٥٣. انظر: نشرة بعنوان: الدور الاجتماعي للنقابات / حاج علي إبراهيم / مؤتمر الحوار النقابي - مكتبة اتحاد عام عمال السودان - الخرطوم / ص ٥.

١٥٤. انظر في ذلك: بحث منشور على الانترنت، بعنوان: المنظمات الأهلية الفلسطينية / للباحثة: عبلة محمود أبو عبلة.

١٥٥. انظر في ذلك: نشرة بعنوان: الدور الاجتماعي للنقابات / ص ٤.

١٥٦. المرجع السابق.

النساء، وإنشاء شبكات نسائية عربية، وعضوية مؤسسات نسوية في التجمعات المؤسسية والنقابية العالمية (١٥٧).

وفي ميدان تنمية الطفل، كان الدور المنوط بالمجتمع المدني تنمية قدرات الطفل منذ نعومة أظفاره، ليكون عنصراً نافعاً في المجتمع عند اشتداد عوده، حيث تنوعت الخدمات التنموية في هذا الميدان لتشمل إنشاء رياض أطفال موزعة على أنحاء المجتمع المختلفة، وإنشاء مدارس لتدريب الفنون للأطفال، وتوفير مكاتب مختصة بالطفولة (١٥٨)، ونحو ذلك.

ويعمد المجتمع المدني بمؤسساته وهيئاته المختلفة على مجالات تنمية أخرى، مثل: ترميم المباني الصحية وتدعيمها، وبناء المراكز الشبابية، وعقد دورات التأهيل المهني، وتنظيم برامج تعليم لغات أجنبية، والعناية بالمعوقين وتأهيلهم، وتدريب متطوعين لمحو الأمية وبرامج العمل الطوعي، وتعزيز القدرات المؤسسية، وتنظيم رحلات مدن وقرى الوطن، وإنشاء مكاتب عامة وخاصة، وتنظيم دورات تقنية، ونحو ذلك.

٤. الدور الصحي..

ومن وجوه العمل المدني في الجانب الصحي:

مشروع التثقيف الصحي، حيث تنشط فعاليات المجتمع المدني المختلفة بتطبيق برامجها الخاصة بالتثقيف الصحي لفئات مختلفة، وبدرجات متفاوتة، تليي المستوى والفئات المستهدفة معاً، ويتمثل هذا المشروع - بالرغم من اختلاف أسمائه ومواصفاته - بالقيام بجهود تثقيفية للرجال والنساء والصغار بأمر الصحة الخاصة، وبالمخاطر الصحية، والأوبئة والأمراض

^{١٥٧}.. انظر في ذلك: بحث منشور على الانترنت، بعنوان: المنظمات الأهلية الفلسطينية / للباحثة: عبلة محمود أبو عبلة.

^{١٥٨}.. مثل مكتبة أم المؤمنين في عمان - الأردن، ولها مجموعة فروع، ومكتبة الأنوار الإبراهيمية للأطفال في فلسطين.

المنتشرة في المجتمع، أو تلك التي قد تصل إليه، مع ما يتعلق بأصول التغذية، وتربية الطفل، والإسعافات الأولية للأمهات، وتثقيف الحوامل، والقيام بزيارات بيتية للمتابعة (١٥٩).

ومن جوانبه أيضاً عقد دورات فنية رياضية للقائمين على العمل الصحي كالأطباء والمرضين، ودورات وورش عمل للكوادر الطوعية العاملة في المنظمات الصحية (١٦٠) وغير الصحية (١٦١)، لإيجاد الكوادر القادرة على تطبيق البرامج الصحية المختلفة.

وعلى المجتمع المدني أن ينهض أيضاً بجوار الدولة في رعاية شئون المتخلفين عقلياً وجسدياً، حيث تقدم لهم الخدمات الصحية والمأكل بصورة دورية، مع وضع برامج لتأهيلهم بما يتناسب وقدراتهم؛ من خلال تنفيذ برامج تأهيل المعاقين جسدياً ونحو ذلك، ومثلهم: المصابين، وضحايا الحروب (١٦٢).

ومن أوجه النشاط المدني في العمل الصحي على مستوى العالم: الخدمات الصحية في المستشفيات والعيادات الخيرية، ومتابعة أداؤها، وتقديم خدمات صحية علاجية ووقائية منتشرة في المجتمع، وعقد برامج الصحة النفسية للأطفال والنساء، ورعاية الأم الحامل، وبرامج التوعية بمخاطر المخدرات، وإنشاء مراكز للعلاج الطبيعي، وإقامة ورش وندوات صحية واسعة وعديدة تدعم هذه الغايات.

^{١٥٩}. وانظر في ذلك: دليل المنظمات الطوعية العاملة بالسودان (اسكوبا) / المجلس السوداني للجمعيات الطوعية / يوليو (١٩٩٧ م) الطبعة الأولى، وفيه تعداد للمنظمات الطوعية ومهامها وادوارها في المجتمع، ومن بينها المنظمات المهتمة بهذا الشأن وهي موزعة على ورقات الدليل.

^{١٦٠}. على مستوى المنظمات الطوعية الكبرى، كالصليب الأحمر والهلال الأحمر، أو على مستوى المستوصفات الطبية والعيادات الصغيرة.

^{١٦١}. انظر في ذلك: صحيفة نبض العمال / صحيفة دورية شاملة تعنى بقضايا العمال - السودان / العدد الخامس / الأربعاء ٢٠٠٧/٧/٤ م / ص ٧ / مقالة للسيد مصطفى الجعلي محمد / مقالة بعنوان: السلامة والصحة المهنية.

^{١٦٢}. ومن المنظمات المدنية العالمية التي تقيم بهذا الأمر: الصليب الأحمر الدولي، والهلال الأحمر الدولي، واليونيسكو ونحوها.

اللافت للنظر أن الحقيقة المرة تفيد بأن المجتمع العربي لا زال يتعامل مع الجزئيات البسيطة في وقت يتعامل فيه أقرانه في المجتمع المدني الغربي مع الكليات الصحية الكبرى، كقضايا البيئة، والأوزون، ومجتمع العالم العربي يبحث عن وسيلة لتطبيب مصاب وعلاج معاق!! لأستذكر هنا قول الشاعر العربي:

وَألمني وِآلم كلِّ حرِّ
سؤالُ الدهرِ: أين المسلمونا؟
٥. الدور الثقافي..

أمام المجتمع المدني دور ثقافي كبير يقوم به في المجتمعات التي يتحرك بها، فقد أثبتت التجارب والوقائع أن العبء الأكبر في التوجيه الثقافي، ونشر الوعي بالقضايا العامة يقع على عاتق المجتمع المدني^(١٦٣)، بالرغم من كونه متعلقاً بالدولة بالدرجة الأولى.

ومن المهمات الثقافية التي يخوضها المجتمع المدني:

أ - مكافحة الأمية وتعليم الكبار

وهذان برنامجان مختلفان، فالأمية عند إطلاق اصطلاحها تعم الصغير والكبير، ولكن المقصود التفصيلي بها هم الذين لم يستطيعوا الالتحاق بمقاعد الدراسة لأي سبب كان، للفقر أو لمنع الأولياء التحاقهم بالدراسة، أو لظروف حرب، أو نتيجة نزوح وهجرة، أو نحو ذلك.

والبرنامج الآخر، هو برنامج رعاية كبار السن الذين طالتهم يد الأمية، ولم يلتحقوا بالتعليم سابقاً، حيث تقام لهم (صفوف علاجية) لجعلهم يلتحقون بالمجتمع ولو بالحد الأدنى من الثقافة والمعرفة.

^{١٦٣}. انظر في ذلك: مؤتمر الحوار النقابي - ورقة عمل - وهي ورقة قيمة وشاملة / دور النقابات في البناء الوطني / حسن محمد علي / مكتبة اتحاد عمال السودان - الخرطوم أمين مال اتحادات نقابات عمال السودان.

وتتمثل مهمة المجتمع المدني هنا بالإشراف الكامل على برنامج محو الأمية وتعليم الكبار في المجتمع فنياً وإدارياً، من خلال إتاحة الفرصة أمام الأميين للتواصل مع العلم في مواقع مخصصة لذلك، وعلى أيدي مؤهلين قادرين على التعامل معهم نظراً لطبيعة ظروفهم، بما في ذلك برامج التدريس والكتب والمشرفين والموجهين وما إلى ذلك.

ومع أن المجتمع الغربي قد صاغ لهذا التوجه كفاءات معينة، وأمدّه بتقنيات ووسائل لتشجيعه وتدعيمه، إلا أن الجهود المبذولة في العالم العربي - على بساطتها - تشكل رافعة للوعي العام، وجانباً من جوانب العمل الذي لا يحق للباحث ولغيره هضمه (١٦٤).

ب - التعامل مع المؤسسات التعليمية.

حيث تعنى الكثير من مؤسسات المجتمع المدني بإنشاء مراكز تعليم على اختلاف أشكالها، وتبعاً لطبيعة المجتمع وحاجاته وتشكيلته البنيوية.

فكثير من منظمات المجتمع المدني تهتم بالجوانب الثقافية من خلال إقامة رياض الأطفال (١٦٥)، أو مدارس، أو مراكز التعليم عن بعد، أو مواقع خدمة المجتمع، أو نحو ذلك من المسميات، إضافة إلى جسمها المؤسساتي، من أجل الرقي ثقافياً بمكانة المجتمع ووعي أفراد.

بالإضافة إلى ذلك، تهتم جميع المنظمات الأهلية والمدنية بتعميم أفكارها على المجتمع من خلال هذه المواقع، فالثقافة التي يتم جناها من خلال هذه المؤسسات التعليمية تكون

^{١٦٤}. لقد اطلع الباحث على بعض البرامج المتعلقة بتعليم الكبار ومحو الأمية خلال زيارته لتركيا، والسودان والأردن، إضافة إلى ما يتم من جهود داخل فلسطين، وهي برامج مثمرة، ولها فضل، وقد شارك الباحث فعلياً في إحدى هذه النشاطات أثناء وجوده داخل المعتقلات الصهيونية، وذلك من خلال تعليم الأسرى الفلسطينيين الأميين مما استفاده من هذه التجارب.

^{١٦٥}. مثل جمعية الشبان المسلمين في الخليل، والجمعية الخيرية الإسلامية في غزة والخليل، والأوقاف المختلفة في تركيا، ورياض أطفال الطريقة الصوفية فيها.

مزدوجة، جزء يتصل بالمستفيدين تعليمياً من البرامج المعتمدة في المؤسسة، وجزء آخر يتعلق بالنشاطات والفعاليات والنشرية التي تصدرها المنظمات من أجل تواصلها مع المجتمع، وتعاونها المشترك مع شرائحه وفتاته (١٦٦).

وحيث تشرف الجمعيات الخيرية والمنظمات الأهلية على صفوف رياض الأطفال التابعة لها، أو المدارس، أو الملحقات التعليمية على صعيد المواقع والمرافق، فإنها تهتم بكيان الإنسان وتوعيته في أكثر من مجال الثقافة النظرية، سواء في مجال التغذية الصحية أو الألعاب اللامنهجية أو نحوها.

تهتم هذه المواقع عادة بتعيين وتدريب المعلمات والمعلمين، ليتمكنوا من أداء دورهم في التثقيف العام بكل اقتدار.

ج - المنظمات الثقافية..

هي عبارة عن منظمات المجتمع المدني التي تقوم أصلاً كمصدر لتعميم الثقافات المختلفة التي تتبناها (١٦٧)، وهي بذلك تركز كل جهدها على هذا الجانب، بعكس المؤسسات التي يأتي الجانب الثقافي فيها تبعاً.

تقوم المراكز الثقافية والجمعيات الأدبية واتحادات المثقفين والكتاب ومؤلفين ونحوها بدور في نشر المعارف المختلفة، وتصدير الأفكار الثقافية في مجالات الاهتمام للمجتمع بكل مكوناته، حيث تقوم هذه المواقع بدور التثقيف؛ كجزء يتصل بكيانها وهويتها المؤسساتية.

^{١٦٦}. حيث تقوم كل هذه المؤسسات بممارسات دورية وشبه دورية مع الأهل، ومع المجتمع المحلي، في إطار سعيها لإثبات نفسها، أو بيان مشروعها، أو إفادة المجتمع في خبرات وقضايا تراها ضرورية وتتعلق بمجال خدماتها وفق القانون.

^{١٦٧}. مثل المركز الثقافي البريطاني في السودان وفلسطين والأردن، والمنتديات الثقافية، والمراكز المعنية بالثقافة، كالمركز الثقافي الإسلامي في الخليل.

وتشهد المجتمعات جميعاً - غربية وعربية وعالمية - نشاطاً مميزاً لهذه المؤسسات ضمن التفاوت في الفروق الفردية بين مؤسسة وأخرى، ولكنها تبقى المصادر الرئيسة في إشاعة الفكر، وتعميم الثقافات المختلفة، وهي - من تسميتها - صاحبة الدور البارز في التصدي لإشكاليات الثقافة، وطبيعتها، والتحديات التي تكتنفها.

د - الثقافة الإبداعية..

يقصد الباحث بها ذلك النمط من النشاط الثقافي الذي يتم من خلال اختلاط المجتمع المدني بكل مسمياته النقابية والمؤسساتية والمهنية وغيرها مع المجتمع، وحراكه في مجالات اهتمامه، فمنظمات حقوق الإنسان عندما تقوم بأي تحرك فهي ترفع ثقافتها أمامها، وتسبقها شعاراتها وأفكارها في كل تظاهرة وتنديد واعتصام واحتجاج.

والمنظمات المهنية والاتحادات العمالية والزراعية والفكرية ونحوها، كلما احتكت في مجالات السياسة والاجتماع والفكر، وتلاقحت الأفكار، أو اصطدمت مع الحكومة، أو استنكرت مجريات عمل حزبي أو مؤسسي ما، استفاد المجتمع من خلال الكم الثقافي الذي يزيد المخزون العام من الوعي عنده، وذلك أن كل تصرف، وكل قول، وكل فكرة، هي عنوان لقائلها، وهي محتسبة في الذهن عليه، خيراً أو شراً، وبهذا يتبين المجتمع أدوار التشكيلات التي فيه، وهذا من ميدان التثقيف الميداني الإبداعي.

دور المنظمات في تفعيل الكادر البشري وتطويره

العلاقة بين المؤسسة والكادر البشري علاقة تبادلية بالكامل، ومتأصلة في العمل المؤسساتي والطبيعة البشرية على حد سواء، وهي مناط اهتمام المؤسسات والمنظمات الأهلية الفاعلة التي تقيم للعنصر البشري اعتباره اللائق به (١٦٨).

فكما أن الكادر العامل في المؤسسة يؤمن للمؤسسة عملاً تخصصياً في الجانب الذي يعمل به، ويخدم تطلعاتها تجاه الجمهور، فهي توفر له بدورها فرصاً حقيقية في التطوير الذاتي على صعيد فكره وسلوكه وعلاقاته وخبرته (١٦٩).

إن هذه العلاقة التبادلية تكبر وتتعمق من خلال مرور الأيام، وتأخذ عند المؤسسات ذات التوجهات الواعية والتصورات الناضجة أبعاداً أكبر من تلك المؤسسات التي تعتمد العمل الروتيني المحض، مع أن هذه وتلك لها تأثير مباشر على طبيعة الكادر وتوجهاته وميوله وفكره العملي والنظري.

وحتى يكون هذا التأثير المباشر من قبل المؤسسة على الكادر العامل فيها واضحاً، فإن الموضوعية تقتضي بيان وجوه هذا التأثير الإيجابي بصورة توضيحية مفصلة على النحو الآتي:

١. التطوير الإداري..

من خلال الاحتكاك اليومي للموظف أو العامل أو المسؤول الفرعي مهما كان وصفه الوظيفي مع المنظومة الإدارية المعمول بها في الواقع المؤسساتي فإنه يتعرف بلا شك على أمور إدارية ترقى به إلى مستواها النظري والعملي بصورة تراكمية، مع اختلافها من حيث المستوى بين منصب ومنصب، بحسب احتكاك الإنسان مع المعارف الإدارية وأساليب الغدارة ومنهجياتها المختلفة.

^{١٦٨}. انظر في ذلك: صحيفة نبض العمال / العدد الخامس / الصفحة الأولى / مقالة للسيد مالك بشير أمين / مقالة بعنوان: تنمية الموارد البشرية والاستثمار يوضح الرؤى المستقبلية لمشاريع الاتحاد.

^{١٦٩}. انظر في ذلك: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٩٦ / ٢٠٠٧) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، ص ١٠٧ - ١١٣.

ومن هذه الأمور: تحمُّله للمسؤولية الإدارية والقانونية^(١٧٠)، التي تعتبر البوابة الكبرى لفروع التطوير الإداري الأخرى.

فمن التطوير الإداري للكادر:

أ - أنه يتعامل وفق أهداف واضحة تحكم سير المؤسسة عموماً، وتضبط حركة الأفراد العاملين فيها، وهي ملزمة للفرد والمسؤول والعامل الهامشي على حد سواء.

ب - تنوع وسائل وأساليب تنفيذ هذه الأهداف^(١٧١)، ويظهر ذلك جلياً من خلال المؤسسات الناضجة، والمؤسسات التي لها فعاليات تأخذ طابع الاستمرارية والشمول والتنوع في الأداء في شتى الاتجاهات، وهذا يكسب الكادر العامل - مهما كان شأنه - تجربة عملية في تنوع الوسائل واختلاف طبيعتها ومدى ملاءمتها لطبيعة المؤسسة وموازنتها وعدد العاملين وطبيعة العمل ونحو ذلك من أمور، لتترسخ عنده بعد كل نشاط صورة عن الهدف والوسيلة والأسلوب والتوجه وحتى عن الحركات الجزئية التفصيلية في سياق الترتيب لأي نشاط مهما كان شأنه^(١٧٢).

ج - الاحتكام إلى منظومة الزمن، وربط الأهداف العامة والمرحلية بالجدول الزمني لها، ليأخذ الكادر البشري العامل في أي مؤسسة صورة نظرية ومنهجية في الآن ذاته عن أهمية

^{١٧٠}. انظر في ذلك: نظرية المسؤولية الإدارية - دراسة تأصيلية تحليلية مقارنة / عوابدب عمار / ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر / الطبعة الأولى (١٩٩٤ م) / ص ١١.

^{١٧١}. انظر في ذلك: الإدارة في المؤسسات الاجتماعية / أ. د. سامية محمد فهمي / دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية / الطبعة الأولى (١٩٨٧ م) / ص ٣.

^{١٧٢}. وإدارة الموارد البشرية: هي النشاطات المتعلقة بالموظفين والتعيين والتدريب والتطوير وتحفيز المستخدمين والموظفين، وانظر في ذلك: قيادة السوق / د. طارق السويدان / ضمن سلسلة الاتجاهات الحديثة في الإدارة (٣) / قرطبة للإنتاج الفني، وشركة الإبداع الخليجي / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م) / ص ٣٥.

الوقت وكيفية استثماره في أوجه العمل الداعم والنافع، وهذه ملكة وخبرة، وفن يمكن تعلمه لمن يفتقده.

يقول أحد علماء الإدارة الغربيين في ذلك:

إن فرص التنمية الشخصية بنبغي - بالطبع - أن تكون محفزة، وهي غالباً ما تكون كذلك، وأفضل طريقة لتحسين فهم احتياجات المنظمة وأهدافها الاستراتيجية؛ وفي الوقت ذاته تنمية الالتزام للشخص بها: هي التركيز على النتائج، وتحميل الأفراد مسؤولية تحقيق النتائج المرغوبة، لمساهماتهم الفردية في العمل (١٧٣)

وهذا ما يسمى بتوظيف الطاقات العاملة، وهو ما يؤدي إلى الخبرة الإدارية عند الشخص من خلال الممارسة.

د - التعامل وفق الهيكلية، ومعرفة بدور اللجان الأصلية والرافدة، واللجان التخصصية المنبثقة عن اللجان الكبرى في بعض المؤسسات، والعلاقات بين هذه اللجان، وتوزيع الصلاحيات، وتنويع الأدوار، ودور المواقع المختلفة في المؤسسة (١٧٤)، مما يعكس انطباعاً عاماً عند الكادر العامل بطبيعة العمل الهيكلي التنظيمي في الجانب المؤسساتي والنقابي (١٧٥)، وكلما كانت الإدارة المشرفة على العمل في المؤسسة ذات مؤهلات وخبرات في هذا الصدد، كلما تفتح عقل وإدراك الكادر العامل فيها لمهارات ملموسة ومستقاة من العمل المؤسساتي الذي يشاركون فيه بصورة مباشرة وغير مباشرة.

^{١٧٣} . القيادة المتميزة - صيغة استراتيجيات التغيير / بيتر ج. ريد / ترجمة: علا أحمد / مجموعة النيل العربية للنشر -

القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٨٨.

^{١٧٤} . وهذا مرتبط بطبيعة نظام العمل في المنظمات الأهلية، وهناك حاجة ماسة وفق النداءات العالمية لتطوير وتنفيذ القوانين الخاصة بالعمل لتطوير الواقع العام للمنظمة والكادر العامل فيها، وانظر في ذلك: التنظيم من أجل العدالة الاجتماعية / ص ٨٦ - ٩٤ ..

^{١٧٥} . انظر في ذلك: صحيفة نبض العمال / العدد الخامس / الصفحة الثانية / مقالة للسيد أمين العلاقات الخارجية في اتحاد عمال السودان / مقالة بعنوان: دبلوماسية الحركة النقابية.

هـ - تطوير الكادر العامل في مجال فهمه لدور المتابعة والرقابة الدائمة على العمل المؤسساتي، ودورها في استقامة التوجه نحو أهداف كل مؤسسة، وإعطاء الكادر العامل صورة عن كيفية الرقابة الإدارية، ودورها في تقييم النتائج من أي نشاط تقوم به المؤسسة، أو عمل المؤسسة العام بين فترة وأخرى، لتخلص بالنتائج، وتقوم بالدور التقويمي بعد الدور التقييمي، وهذا صلب النهوض المؤسساتي على صعيد الواقع الإداري^(١٧٦).

من هنا، فإن تطوير الكادر العامل في المنظمات هو من المسؤوليات الأساسية للإدارة^(١٧٧)، ولا يتحقق إلا من خلال وجود النضوج الحقيقي في العمل الإداري، وتوفر الرغبة الحقيقية عند القائمين على المنظمات لتوفير بيئة تعليم وتأصيل أنماط وأنظمة الإدارة الديمقراطية السليمة^(١٧٨).

٢. التطوير الاجتماعي..

إن الإنسان العامل في الحقل المؤسساتي يخرج طوعاً أو كرهاً من طبيعته التي عاشها خارج هذا الجانب الحيوي من العمل، فهو يترك البيئة التقليدية له (الأسرة) لينتقل إلى مربع أوسع منها، وهو التعامل مع بيئة مؤسساتية تضاف إلى بيئته الأولى.

هذا الأمر مقصور على الوجود في المؤسسة بشكله النظري، أما من حيث المضمون والحقيقة، فإن الكادر الموجود في المؤسسة تُفتح أمامه ظروف اجتماعية كبيرة، وأبواب من

^{١٧٦}. انظر: الموقع الإلكتروني: www.vcn.bc.cal موضوع بعنوان: developing acivic culture،

للكاتب: Ralph nader.

^{١٧٧}. إدارة الإنتاجية / مرشد عملي / جوزيف بروكوبنكو / مكتب العمل الدولي - جنيف / منظمة العمل الدولية ومكتب العمل الدولي، ومنظمة العمل العربية ومكتب العمل العربي / الطبعة العربية الأولى (١٩٩٨ م) / ص ١٠٤ - ١٠٦.

^{١٧٨}. انظر في ذلك: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / ص ١٣٨ - ١٣٩.

المعارف والخبرات والعلاقات الاجتماعية تختلف بالكلية عن تلك التي نشأ بها على مدار سنوات حياته، وهذا يتمثل بالجوانب الآتية: -

أ - زملاء العمل، وهم البيئة الضيقة التي يحتك معها العامل في المؤسسة بشكل يومي بسبب طبيعة ومتطلبات العمل، كرئيسه المباشر، وزملائه في العمل، والكادر الداعم من المراسلين والفراشين ومسؤولي المستودعات والمرافق الأخرى بحسب طبيعة المؤسسة، فهذا تطوير فعلي لشبكة علاقاته الاجتماعية، وهو بذلك يكون قد مضى في الطريق بخطوته الأولى.

ب - الاحتكاك المباشر في شريحة اجتماعية كبيرة من المجتمع من خلال دوره الوظيفي، فالمعلم يحتك بالطلبة وأولياء أمورهم والمجتمع المحلي، ومسؤول المستودعات يحتك بالجهات والمؤسسات والأفراد ذوي الصلة، وأمين المكتبة يتواصل مع الطلبة والوفود والزوار، والمدير يحتك بالمجتمع المحلي في شتى المجالات، والمراسل يتواصل مع الجهات ذات العلاقة بالمؤسسة التي يعمل بها، وهكذا.. مما يعني انفتاحاً اجتماعياً إضافياً في حياة الكادر العامل ككل (١٧٩).

ج - الموقع الاجتماعي في مجتمعه، فطبيعة المجتمع تختلف فيه النظرة إلى الشخص بحسب موقعه وعمله ومكانته، فالعاطل عن العمل له صورة في أذهان الناس تختلف عن المسؤول في أي مؤسسة مهما كانت درجة مسؤوليته، وهذا يعني بالضرورة أن يكون هذا الوجود للشخص في المؤسسة دافعاً لنمو مكانته الاجتماعية على صعيد أسرته وعشيرته ومجتمعه، ولو بنسب متفاوتة.

د - ما يتم الوصول إليه من قبل اللامعين في العمل المؤسساتي من الأفراد والمسؤولين على حد سواء، من حيث الاحتكاك المباشر والفعال مع المجتمع بمؤسساته وفعالياته المختلفة بصورة تعكس تميز هذا الشخص ودوره الريادي من خلال خبرته وأدائه المؤسساتي، فبعض العاملين في حقل المؤسسات قد حقق لنفسه من خلال دوره ومكانته نفوذاً اجتماعياً كبيراً

١٧٩. انظر في ذلك: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية / د. صالح محمد علي أبو جادو / دار المسيرة للنشر والتوزيع - الأردن / الطبعة الرابعة (٢٠٠٤ م) / / موضوع: التفاعل الاجتماعي وخصائصه / ص ٨٧ - ١٠٠.

ولافتناً في الحياة، من خلال تكوين شبكة علاقات عامة قوية و مترامية مع الأفراد والمؤسسات والهيئات الحكومية وغير الحكومية، حتى بات وجوده في مؤسسته نقطة انطلاقه إلى صعيد مفتوح من اللمعان المجتمعي على أكثر من مستوى (١٨٠).

لعل هذا الكم من التطوير المعرفي والاجتماعي هو ما سماه العلماء اليوم بدور المؤسسة بوصفها: ((المدرسة الأولية لتكريس تلك المهارات عند المواطنين الذين ينضمون إليها)) (١٨١).

٣. على الصعيد المالي والاقتصادي..

فالعامل في المؤسسة يختلف واقعه الاقتصادي عن العاطل عن العمل، فهو صاحب دخل شهري مستمر وثابت، بل وقابل للزيادة بحسب طبيعة الكادر الوظيفي المعمول به في المؤسسة؛ ومن خلال دوره الشخصي في الأداء.

بمعنى، أن الكادر الموجود في المؤسسات صاحب مصدر دخل ثابت، يؤمن له الحياة الكريمة (١٨٢)، ويتيح له أن يبدع ويتألق في سبيل تحصيل المزيد من خلال براعته وخبرته المتزايدة في الرقي الوظيفي والعملي، بشكل يجعل وضعه الاقتصادي آخذاً بالازدهار كلما أبدع وتألق، وكلما أثبت نفسه في موقعه.

^{١٨٠}. وهذا واضح في العمليات الانتخابية حيث يتقدم في كل مرحلة منها عدد كبير من رجال العمل المؤسساتي والنقابي كرموز في مجتمعاتهم لنيل ثقتهم والحصول على أصواتهم الانتخابية.

^{١٨١}. مقالة بعنوان: دور المجتمع المدني في النهضة الديمقراطية، للكاتب: محمد حلمي، على الموقع الإلكتروني: exhaustedcoptic@yahoo.com، الحوار المتمدن - العدد: ١٤٩٦ - ٢٠٠٦ / ٣ / ٢١

^{١٨٢}. وهذا بدوره يؤدي إلى تراجع نسبة الفقر وزيادة فرص العمل الكريم أمام شريحة من المجتمع، وانظر في ذلك: التنظيم من أجل العدالة الاجتماعية / ص ١٥.

والدراسات البحثية تشير إلى أن المنظمات الأهلية الفلسطينية - مثلاً - تقوم بتشغيل أكثر من عشرة آلاف شخص، وهو رقم كبير إذا ما تمت مقارنته بالعدد الكلي للمنظمات الأهلية التي يعمل بها موظفون بالأجور..

جاء في التعداد العام للمنظمات الأهلية الفلسطينية: ((يستوعب قطاع المنظمات غير الحكومية الفلسطينية ١٠٣٧٥ عاملاً بأجر، موزعين على ٥٧٣ منظمة بمعدل ١٨.١ عامل لكل منظمة يعمل فيها عاملون بأجر)) (١٨٣).

وقد نصت اللوائح الدولية التي تتعلق بموضوع المجتمع المدني على أن لمنظمات المجتمع المدني دوراً بارزاً في الجانب الاقتصادي، من حيث كونها إحدى الوسائل الفاعلة في مواجهة تحديات الاقتصاد غير المنظم (١٨٤).

٤. على الصعيد السلوكي...

يعلم الجميع بأن للإنسان طبائع تميز سلوكه العام تجاه الأفراد والهيئات والتوجهات، تنبع من طبيعة تكوينه البشري، ومدى معرفته بالحياة، وتواصله مع الأشياء، وثقافته العامة والتراكمية التي يتحصل عليها من خلال سنوات حياته، وهذا السلوك البشري ليس ذا طابع واحد متكرر في جميع الأشخاص، بل هو متفاوت بدرجة كبيرة نابعة من مقاييس مختلفة وبواعث جمة.

^{١٨٣}. النسخة الإلكترونية من كتاب: تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة / إعداد: ياسر شلبي وآخرون / موجودة على الانترنت، وقد تمت هذه الدراسة الخاصة بالتعداد في العام ٢٠٠١ م.

^{١٨٤}. انظر في ذلك: التنظيم من أجل العدالة الاجتماعية / ص ٧.

ومسؤولية أيّ المنظمة للكادر العامل فيها سلوكياً تتحقق من خلال إبراز وتطبيق الأهداف السلوكية الداخلية داخل طاقم العمل، حيث ((يرى روبرت ميجر أن الهدف السلوكي يجب أن يحتوي على ثلاثة أجزاء، هي كما يلي:

١. وصف السلوك المرغوب في تحقيقه بعد المرور بخبرة تعليمية وتدريبية.
٢. وصف الحد الأدنى لمستوى الأداء المطلوب.
٣. وصف الشروط أو الظروف التي يتم من خلالها القيام بالعمل من المتدرب أو المتعلم (((١٨٥).

والعمل المؤسساتي بوصفه بوابة للتغيير الاجتماعي والإداري والاقتصادي وغيرها، يؤهل الكادر الموجود فيه سلوكياً، بحيث يصبح الإنسان متقبلاً لسلوك الآخرين من الذين اختلط بهم في البيئة الجديدة، من زملائه ورؤسائه والعمامة والجمهور، وهذا يتطلب منه كفاءة في التعامل مع فئات عديدة، ونفسيات مختلفة، وطبائع بشرية ذات سمات فارقة.

فهو يتعامل مع أشخاص وهيئات بفروق فردية مميزة، وهذا يكسبه فن التواصل مع الآخرين، وصورة في التعامل مع أناس وأشخاص ومسميات وهيئات وجهات لم يألف أن يتعامل معها، وفيها من يتفق معه ومن يخالفه، وهذا بلا شك نمو حقيقي في سلوك الفرد الموجود في المؤسسة، يختلف عن حال المنغلق على نفسه والمتوقع في بيته.

وكما أنه نمو حقيقي لسلوكه، ((فإن اندماج الإنسان في المجتمع يعني احتكاكاً مباشراً بفئات أخرى، وأجندة عمل، وساعات من الإشغال، وهذا يقضي على الأمراض السلوكية عنده كما يشير الأطباء (((١٨٦).

^{١٨٥}. الموقع الإلكتروني: WWW.RIYADHEDU.GOV.SA موضوع بعنوان: الأهداف السلوكية / للأستاذ: إبراهيم العبيد.

^{١٨٦}. انظر في ذلك: موقع ويكيبيديا على الإنترنت / WWW.WIKIPEDIA.ORG، موضوع بعنوان: العلاج السلوكي، دون ذكر الكاتب.

من الأمور المتعلقة بالواقع النفسي للعاملين في المنظمات الأهلية والاتحادات ونحوها، كون العلاقة القائمة داخل المؤسسات المختلفة تحمل العاملين فيها على الشعور المتبادل بأفراح الآخرين وأتراحهم، وتجسد التوحد الحقيقي بين أفراد المؤسسة بالدرجة الأولى، مما يعزز الشعور بالمسؤولية في القضايا العامة (١٨٧).

٥. التأهيل السياسي...

المؤسسة انعكاس طبيعي للحالة الاجتماعية والسياسية السائدة في أي مجتمع، وهي معيار يمكن القياس من خلاله على توجهات الشعب وطبيعته، ونموه أو انحساره على صعيد الفكر والممارسة والعمل على حد سواء (١٨٨)، لكونها أداة ذات حضور من أدوات البناء الوطني والعمل السياسي (١٨٩).

فمعظم المؤسسات الأهلية في العالم العربي على أقرب توصيف - إن لم يكن جميعها - تتبع بصورة أو بأخرى إلى توجه سياسي معين، ولها ميولها تجاه هذا الطرف أو ذاك، وذلك ناجم عن الطبيعة السياسية المشحونة بالأحداث والأفكار والآراء في الساحة العربية، وطبيعة وتوجهات كل طرف مع غيره، ومع الاحتلال ومع مجتمعه، ونحو ذلك من أمور.

إن وجود الشخص في بيئة هذا طبعها يجعل منه على تواصل مباشر ورسمي مع الأفكار والتوجهات التي تميل أو تنتمي إليها المؤسسة، وعلى احتكاك يومي بالنهج الفكري والممارسة السلوكية لها، ولأفرادها ولكوادرها في مجالات الحياة، حتى في أبسط التعاملات، وهذا يؤدي

^{١٨٧}. انظر في ذلك: صحيفة نبض العمال / صحيفة دورية شاملة تعنى بقضايا العمال - السودان / العدد الخامس / الأربعاء ٤ / ٧ / ٢٠٠٧ م / الصفحات ١، ٢، ٣.

^{١٨٨}. انظر في ذلك: مقالة بعنوان: دور المجتمع المدني في النهضة الديمقراطية، للكاتب: محمد حلمي، على الموقع الإلكتروني: exhaustedcoptic@yahoo.com، الحوار المتمدن - العدد: ١٤٩٦ - ٢٠٠٦ / ٣ / ٢١

^{١٨٩}. انظر في ذلك: مؤتمر الحوار النقابي - ورقة عمل / دور النقابات في البناء الوطني / حسن محمد علي / مكتبة اتحاد عام عمال السودان - الخرطوم أمين مال اتحادات نقابات عمال السودان، وهي ورقة قيمة وشاملة.

إلى نمو الكم المعرفي عند الكادر العامل في المؤسسة بطبيعة هذا التوجه، والمفارقات بينه وبين غيره من التوجهات.

بهذا المعنى، فإن المؤسسة مهما كانت وجهتها تساهم بشكل أو بآخر في حالة الاستقطاب السياسي (١٩٠)، ولها دورها الفاعل في انتشار الأفكار المذهبية، ولها صلتها بالكادر العامل فيها، وبجهات أخرى تجعل من العمل المؤسساتي مرتبطاً بصورة أو بأخرى بالظرف السياسي العام، مما يشكل - شاء الكادر ذلك أم أبي - ممارسة عملية صامتة من هذه المؤسسات في زيادة الوعي السياسي عند الكادر بالدرجة الأولى، وعند المجتمع تبعاً لذلك.

يبقى الفارق كبيراً وقائماً بين مؤسسة وأخرى، وبين طبيعة الجهات الإدارية في كل مؤسسة.

فالإدارة التي تسعى وتدأب على تطوير الكادر الموجود فيها تسهم بشكل فعلي وحيوي في بناء الكادر العامل في المؤسسة بصورة كبيرة، وتسابق الزمن في تطوير نفسها وكادرها وتنميته وتطويره (١٩١)، والمؤسسة الراكدة الجامدة يكون حظ الكادر العامل فيها أقل شأنًا من الأولى، وبين هذه وتلك تختلف المقاييس والضوابط والظروف والنتائج.

كما أن من الأمور التي يفرزها العمل المؤسساتي الرائد، وجود نخبة متمكنة من العمل القيادي نتيجة الخبرة والدربة، والتفاعل مع الأشخاص والأفكار ومعرفة المشارب الفكرية وطبائع الناس وسلوكهم (١٩٢).

١٩٠. وهذا من حقها قانونياً، ويعتبر ذلك نوعاً من العمل السياسي المنتج في إطار التوجهات المجتمعية نحو تحقيق النفع للإنسان من وجهة نظر القائمين عليها، وانظر في ذلك: الحريات النقابية / ص ١٣٥ - ١٣٨.

١٩١. قيادة السوق / ص ٣٥.

١٩٢. انظر في ذلك: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية / ص ١٧٢ - ١٨٨.

المبحث الثالث

المجتمع المدني المعاصر

المطلب الأول

الوضع القانوني للمجتمع المدني

ضَمِنَ القانون الدولي والعالمي للمجتمع المدني قيامه ومظاهر استقراره في الوضع القانوني العام (١٩٣)، وألزم المجتمع الدولي الدول المنتمية إليه باحترام هذه القرارات وتطبيقها حتى تتيح للمجتمع المدني أن يتصرف بمسؤولية وحرية في المجتمعات التي ينشط بها لأداء دوره وخدماته (١٩٤).

وقد ولد الحق القانوني للمجتمع المدني من رحم التحولات الديمقراطية التي شهدتها العالم الغربي، وسعي الأطر الديمقراطية إلى إيجاد موطئ قدم لها في ميدان الدستور والقانون المعمول به في أي دولة، وتزامن ذلك مع وجود النمو الفعلي لمنظمات المجتمع المدني، والقوة التي اكتسبتها من خلال تعاملها مع الجمهور في كل بلد.

فقد جاء في القوانين الدولية وبنص صريح وواضح، أن حرية انضمام أي إنسان إلى أي تشكيل اجتماعي أو نقابي أو أهلي في مجتمعه هو حق قانوني خالص له، لا يملك أحد نزع منه، إذا كان الانضمام نابعاً من توجهاته الشخصية وقناعاته (١٩٥).

^{١٩٣}. انظر في ذلك: التنظيم من أجل العدالة الاجتماعية / ص ٧.

^{١٩٤}. انظر في هذا الشأن: application international labour conventions –

international labour office – Geneva-first published (2000) – page 8.

^{١٩٥}. انظر: الحريات النقابية / ص ١٠١.

وقد أقرت المبادئ والقرارات الصادرة عن لجنة الحريات النقابية في مجلس إدارة منظمة العمل الدولي مبدأ الحق النقابي، والحق في الحياة الكريمة لمن ينتمي إلى هذا العمل، وصدر عنها بشكل واضح ويّين أنه لا يمكن ممارسة العمل النقابي الحر إلا في بيئة سوية يحترم فيها الإنسان، وتقدر فيها كرامته..

جاء في إصدارات مكتب العمل الدولي الواقع في جنيف: ((لا يمكن ممارسة الحريات النقابية إلا في أوضاع تحترم فيها حقوق الإنسان، ويتم ضمانها في شكل كامل، لا سيما المتعلقة بحياة الإنسان وسلامته الشخصية)) (١٩٦)، ومن المعلوم أن حرية الإنسان وسلامته لا يتم ضمانها إلا إذا عمل بشكل قانوني في دول القانون.

لا يقتصر الأمر على ميدان العمل والعمال، بل إن النصوص الدولية القانونية سمحت بانتشار وتوسع المنظمات الأهلية والمدنية بشكل يتيح لها أداء خدماتها، وذلك كونها جزءاً من النسيج العام في المجتمعات.

تشير القوانين الدولية بشأن حماية العاملين في الميدان النقابي إلى أنه: ((لا يمكن أن تمارس حقوق منظمات العمال وأصحاب العمل إلا في مناخ خالٍ من كل أنواع العنف أو الضغط أو التهديدات الموجهة ضد قادة هذه المنظمات وأعضائها، ويتعين على الحكومات احترام هذا المبدأ)) (١٩٧).

١٩٦. الحريات النقابية / ص ٣٠.

١٩٧ المرجع السابق.. وكذلك: صحيفة الصباح - العراق / ٢٠٠٢/١/٥ / مقال بعنوان: ما هو المجتمع المدني، وفيه سرد للنصوص القانونية المعمول بها وفق الرؤية الدولية بخصوص المجتمع المدني.

إذا كان النص صريحاً في جانب أرباب العمل والعمال، فهناك قوانين دولية أخرى تحمي الاتحادات والنقابات والمنظمات الأهلية، والتجمعات النقابية التجارية، والسماح لها بالحركة والعمل بما يتيح لها ممارسة دورها في المجتمع بكل أريحية (١٩٨).

والحق في الوجود والنشأة والتأسيس لا يختلف عن إعطاء هذه المنظمات والنقابات هامشاً كبيراً للحركة، والتأطير الجماهيري خلف فكرتها التي قامت لأجلها، فالقوانين الدولية تسمح لهذه المنظمات والهيئات بالعمل بحرية من أجل تحقيق ما تصبو إليه من أهداف، بما في ذلك أوجه النشاط والحراك السياسي والاجتماعي.

فقد أقرت القوانين العالمية السماح للنقابات والمنظمات بالخروج في مسيرات وتظاهرات سلمية، وإقامة الاجتماعات، والندوات، وتوزيع النشرات الخاصة بعملهم وتوجهاتهم، وإقامة الفعاليات التي تخدم تطلعاتهم بشكل قانوني رتيب (١٩٩).

من الجدير ذكره هنا، أن هذا الوضع القانوني لمنظمات المجتمع المدني يأتي كونه موضع ثقة النظام الدولي. بمكانة المجتمع الدولي، وقدرته التي تفوق قدرة الدولة على نشر الديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان (٢٠٠).

١٩٨. انظر في ذلك: protecting the least protected: rights of migrant workers and the role of trade unions – (n 103)- international labour office – Geneva – (1996) – p. 5 – 44.

١٩٩. انظر في ذلك: المواد القانونية العديدة التي أقرت عالمياً بهذا الشأن في: الحريات النقابية / ص ٤٩ – ٥٩.. وانظر كذلك: الموقع الإلكتروني لمفوضية المؤسسات الخيرية لانترا وويلز www.charitycommission.gov.uk على الانترنت، نشرة بعنوان: الخصائص التي يجب أن تتمتع بها المنظمة الأهلية الكفوءة.

٢٠٠. انظر في ذلك: التنظيم من أجل العدالة الاجتماعية / ص ٨.

يقول الباحث برهان غليون: ((وقد تبلور مفهوم المنظمات غير الحكومية من خلال الوضعية القانونية التي كرستها لهذه المنظمات: الأمم المتحدة، والدور النشط الذي أصبحت توليه لها لحل العديد من المشكلات والتحديات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. حتى ساد الاعتقاد اليوم أن هذه المنظمات هي الملجأ الوحيد في تنفيذ المشاريع الإنسانية الخيرية وغير الخيرية في مواجهة عجز الدولة وشلل أجهزتها بسبب سيطرة البيروقراطية عليها)) (٢٠١).

وانطلاقاً من الدور البارز للنقابات في بناء المجتمع (٢٠٢)، فقد تكاثرت النصوص الداعمة لميلاد المنظمات الأهلية والنقابات مختلفة التوجهات، وسمح بالنص القانوني الدولي بما يعرف اليوم باسم: الحرية النقابية (٢٠٣).

يقول أحد المتابعين: ((اعترف بممارسة النشاط النقابي عام ١٩٤٧ م، وصدرت أول قوانين منظمة للعمل النقابي في العام ١٩٤٨ م، وهي /

١. قانون نقابات العمل.
٢. قانون منازعات العمل.
٣. قانون تعويضات العمال، ثم أعقب ذلك مباشرة مؤتمر البنيان النقابي في العام ١٩٤٩ م، وصدر قانون ١٩٤٩ م المعدل والذي أخذ بنظام المنشأة، حيث يحق لكل عشرة أشخاص في منشأة ما أن يكونوا تنظيمياً نقابياً)) (٢٠٤).

٢٠١. موقع الطريق، على الانترنت WWW.IRAQCP.ORG / مقالة بعنوان: نشأة مفهوم المجتمع المدني وتطوره من المفهوم المجرد إلى المنظومة الاجتماعية والدولية / للباحث: برهان غليون.

٢٠٢. مؤتمر الحوار النقابي - ورقة عمل / دور النقابات في البناء الوطني / حسن محمد علي - أمين مال اتحاد نقابات عمال السودان.

٢٠٣. وضع عمال الأراضي العربية المحتلة - تقرير المدير العام - ملحق / مؤتمر العمل الدولي - جنيف، الدورة ٩٦-٢٠٠٧ م / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / ص ٢٧.

٢٠٤. النقابة العامة لعمال التعليم العام / العمل النقابي للمعلمين وعمال التربية والتعليم / دراسة توثيقية للفترة من ١٩٤٨ م - ٢٠٠٥ م / دون ذكر طبعة / ص ١.

في هذا السياق، فقد تم السماح بالعضوية في المنظمات الأهلية العالمية كما سمح به في الهيئات والمؤسسات المحلية (٢٠٥)، وضمنت القوانين الأساسية في كثير من البلاد لكل خمسين شخصاً حق تشكيل هيئة محلية لهم (٢٠٦)، وتم تخصيص هذه النصوص القانونية من خلال فرض وتعميم الحماية القضائية للحقوق الأساسية (٢٠٧).

وفي بعض الدول الغربية كبريطانيا مثلاً، أصبح الوضع القانوني للعمل أمراً روتينياً معلوماً بشكل اعتيادي في تأسيس المنظمات وتفعيلها، ويشرف المجتمع المدني على رعاية الوجوه القانونية لعمله من تلقاء نفسه، وهذا - بلا ريب - من مظاهر النمو في العمل المدني، حيث تقوم هيئات مدنية كبرى أو اتحادات نقابات أو مؤسسات بتشكيل هيئات رقابة قانونية على عمل المنظمات التابعة لها، لتكون عاملة وفق القانون، وبعيدة عن المخالفات الدستورية في النظام الأساسي أو مراحل العمل والنشاط.

جاء في تقرير لإحدى المنظمات المدنية في بريطانيا: ((ونحن نؤدي دورنا بصفتنا منظمة تنظيمية للمؤسسات الخيرية كما يلي:

- نتأكد من امتثال المؤسسات الخيرية للقانون ونعالج سوء استعملها والممارسات السيئة.
- ونحن نمكّن المؤسسات الخيرية للعمل على نحو أفضل ضمن إطار قانوني فعال وبموجب محاسبة جيدة وحكم صالح تمثيا مع سرعة التطورات في المجتمع وفي الاقتصاد والقانون.

205. look: APPLICATION INTERNATIONAL LABOUR CONVENTIONS / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE – GENEVA / FIRST PUBLISHED (2000) / PAGE (8).

٢٠٦. انظر في ذلك: النقابة العامة لعمال التعليم العام / ص ١.

٢٠٧. انظر: الحماية الدستورية والقضائية للحقوق الأساسية في العمل / منظمة العمل العربية / مكتب الإعلام بمنظمة العمل العربية / إعداد: د. محمود سلامة جبر / ص ٢٢٧ - ٢٣١.

- ونحن نشجّع الحكم الصالح والمحاسبة الجيدة. (((٢٠٨).

وبذلك، يظهر جلياً بأن المجتمع المدني يعمل في بيئة داعمة له على المستوى الدولي والقانوني العام، وله هامش كبير للحركة والعمل وفق أجندة كل منظمة وهيئة ونقابة ضمن القانون السياسي العام، وبما لا يحدش صورته كعمل مدني وأهلي.

٢٠٨. الموقع الإلكتروني لمفوضية المؤسسات الخيرية لاجلثرا وويلز www.charitycommission.gov.uk

على الانترنت، نشرة بعنوان: الخصائص التي يجب أن تتمتع بها المنظمة الأهلية الكفوءة.

المطلب الثاني

المجتمع المدني الغربي:

حيث نما مفهوم المجتمع المدني المعاصر وتطبق سلوكاً، كان الواقع يشهد بفارق كبير عن طبيعة المجتمع المدني الموجود في الغرب، وبين صورته في العالم العربي أو الدول النامية، وهذه المفارقة ليست للتهويل، ولا تخضع للمبالغة، بل هو الواقع الذي أحدثته التغيرات التراكمية على المجتمع المدني في الغرب، حتى أوصلته إلى ما وصل إليه.

التفريق بين الواقعين في مجال المجتمع المدني له بواعثه، وهي كما يرى الدكتور فارس إيغو حيث يقول:

باختصار، إن التمييز بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي، كما هو موجود حالياً في الغرب، أمر تاريخي يتعلق بتطور مفهوم المجتمع المدني وتمييزه عن المجتمع السياسي ومجتمع السوق، إن هذا الأمر لا يخضع لظرفنا التاريخي الحالي، حيث المجتمع المدني منخرط في عملية دؤوبة لبناء المجتمع السياسي على أركان جديدة، تتيح المجال للمشاركة والتداول. فالفصل بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي عند الشعوب العربية، لم يحدث بعد، وربما في مستقبل قريب أو بعيد، تبعاً لتطور أو تعرقل العملية الديمقراطية، تاريخياً. والأحزاب السياسية ربما تكون من أكثر مؤسسات المجتمع السياسي تفصلاً وتداخلاً مع المجتمع المدني. فهي من جانب تشكل بنية سياسية مُعدة لتسلم السلطة، في وقت من الأوقات، ومن هنا تجذرنا في آليات السلطة، وهي في نفس الوقت مكاناً للتداول والحوار والصراع النظيف، وكذلك معامل لتفريخ الأفكار، ومعاهد للتثقيف السياسي الديمقراطي والمدني، ومن هذا الجانب تشكل أرقى مجال مدني في المجتمع. إلا أن اقتصار أي حزب سياسي، على آليات السلطة من السيطرة، والوصول إلى المناصب، واقتسام المغام، فقط، يُفرغ الحزب من أي طرح مدني ويحوّله إلى بنية سلطوية بامتياز (٢٠٩).

^{٢٠٩}. الموقع الإلكتروني لحزب العمل الشيوعي الموجود في سوريا / موضوع بعنوان: المجتمع المدني والمجتمع الأهلي /

للباحث: د. فارس إيغو / منشور بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٨ م.

نما المجتمع المدني في الغرب نمواً كبيراً على المستويات الأفقية والعمودية، حيث انتشرت منظمات المجتمع المدني فيه بكثافة، وكان لكل مؤسسة دورها في منظومة عمل مدني عام، تقوم بناءً عليه بدور يساهم في رسم الصورة المدنية للمجتمع، بعيداً عن الفوضى التأسيسية للمنظمات التي يعانيتها العالم العربي لغاية الآن.

واستطاعت الحركات الاجتماعية والمنظمات غير الحكومية والأهلية أن تصنع لنفسها مكاناً حقيقياً في المعادلة العامة في المجتمعات الغربية، من خلال دورها الفعال في منتصف القرن العشرين، وأثبتت نفسها في تسيير دفة الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكان لها السبق الفعلي في مجالات التنمية بكل صورها، حتى باتت الموثل الحقيقي للإبداع الغربي بصورته الحالية.

جاء في كتابات المتابعين للمجتمع المدني الغربي:

وهكذا بدأ التفكير منذ السبعينات في العديد من البلاد الأوربية بالاهتمام بهذا القطاع الهام من النشاط الاجتماعي، وكانت أول بادرة في هذا المجال تطعيم الطاقم السياسي الوزاري بعناصر ليست من محترفي السياسة أو مناضلي الأحزاب ولكنها قادمة مباشرة من المجتمع المدني، أي من الهيئات والمنظمات غير السياسية والعاملة في ميدان العمل الاجتماعي. وكان ذلك مخالفاً للقاعدة التقليدية التي كان الاتفاق على توزيع المناصب الوزارية فيها هو القاعدة التي يتم عليها بناء التحالفات والتآلفات الحكومية، فقد عين أساتذة جامعة في مناصب سياسية كبيرة وأطباء ناشطين في ميدان أطباء بلا حدود، ثم جاء دور الفنانين والكتاب ليحتلوا بعض المراكز الحكومية أيضاً (٢١٠).

٢١٠. الموقع الإلكتروني على الانترنت (الطريق) WWW.IRAQCP.ORG / موضوع بعنوان: نشأة

مفهوم المجتمع المدني وتطوره من المفهوم المجرد إلى المنظومة الاجتماعية والدولية / بقلم: برهان غليون.

تجلت قوة هذه المنظمات في الدور الذي تلعبه في صياغة القرارات الدولية والمحلية، فهي تقوم بتوفير ما تحتاجه القضية من الاهتمام والعناية، وأحياناً تضع حلولاً مفترضة لها، سواء كانت قضايا سياسية أو بيئية أو حقوقية.. الخ، وتقوم بطرحها بقوة، من خلال أدائها المؤسسي، أو من خلال طرحها في إطار جهة ضاغطة تحمل الأهداف نفسها ليتم لها ما تريد، لمعرفة السياسة في الغرب بحجم تأثيرها.

لعل هذا ما دفع المحللين إلى وصف المجتمع المدني الغربي بأنه يتجه إلى تحقيق ذاته كعنصر رئيس ومباشر في الحدث العام، حيث يقول البروفيسور روجيه سي: ((إن صعود المجتمع المدني بهذه القوة، يعني السير على طريق تحوله إلى هيئة سياسية بحد ذاتها)) (٢١١).

وسيضرب الباحث بعض الصور للمجتمع المدني الغربي للدلالة على هذا النمو في الجوهر والمظهر، وفي التأثير الحقيقي في صياغة القرار على المستويات المختلفة.

ففي الولايات المتحدة الأمريكية.. وبرغم التمايز الطبقي الواضح (٢١٢)
(،يشكل المجتمع المدني الدعامة الرئيسة في استقرار المجتمع كلياً، وهو الضمانة الفعلية لتقدم المجتمع وتقرير سياسياته التربوية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وله اليد الطولى في ترسيم مناهج العمل الاقتصادي، والعلاقة مع الدول والشعوب الأخرى (٢١٣).

^{٢١١}. الموقع الإلكتروني: سودانيات. نت / على الانترنت / مقال بعنوان: المجتمع المدني في مواجهة السلطة / قراءة في كتاب البروفيسور: روجيه سي / منشور بتاريخ: ١ / ١٠ / ٢٠٠٤ م.

^{٢١٢}. انظر في ذلك: في سوسيولوجيا بناء السلطة (الطبقة / القوة / الصفوة) / د. عبد الحليم الزيات / دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية / الطبعة الأولى (١٩٩٠ م) / ص ٦٠ - ٧٤.

^{٢١٣}. انظر في ذلك: موقع (تقرير واشنطن) على الانترنت WWW.TAQRIR.ORG / تقرير بعنوان: "مؤسسة هيريتيج" عقل حركة المحافظين الجدد / للكاتب: أندرو ماسلوسكي.

وهذا ليس غريباً إذا تمت مقارنته بطبيعة النمو في عدد هذه المنظمات ونوعية خدماتها، ففي الولايات المتحدة الأمريكية لوحدها، بلغ عدد منظمات المجتمع المدني أكثر من مليوني منظمة !! تأسست كلها خلال الثلاثين عاماً الأخيرة (٢١٤).

يبين الباحثون طبيعة نشوء المجتمع المدني في أمريكا وكيفية اقتباسه من بعض النجاحات البريطانية في هذا الصدد بالقول:

... أما في أمريكا، فقد نظمت الحركة النقابية نفسها حسب أسلوب الحركة العمالية النقابية البريطانية، فمنذ أواخر القرن الثامن عشر، انتشرت الإضرابات لدى عمال الطباعة والخشب في فيلاديلفيا، وتشكلت في نيويورك نقابة لعمال الطباعة، كما تشكلت في بالتيمور نقابة لعمال الخياطة، إلا أن الحركة النقابية لم تنظم إلا بعد فترة من ذلك التاريخ، ففي عام ١٨٦٠ م قام قسّ بروتوستانتى - وكان عامل خياطة - بتأسيس جمعية سرية في فيلاديلفيا باسم فرسان العمل، وكانت الغاية الأساسية من تأسيسها: العمل على تحسين وضع العمال.. (٢١٥).

وهذه المنظمات الأهلية والاتحادات والنقابات التي تطورت تاريخياً تمثل رقماً حقيقياً في الواقع الأمريكي المعاصر، ولها حالها المؤثر في جوانب اهتمامها، وهي لا ترضى بالخنوع أو التكاسل، ومعروفة بحركتها الدؤوبة لتحقيق غاياتها من خلال الحوار، والتفاوض، والتحركات السلمية، وتحريك الشارع ونحوها.

يكفي أن يشير الباحث هنا إلى أن العقلية السياسية الأمريكية تعتمد على منظمات المجتمع المدني لترتيب وتقرير سياساتها في جوانب كثيرة، وتنطلق من هذه التوصيات والتقارير في عملها، فقد جاء في تقرير واشنطن:

^{٢١٤}. جريدة الشرق الأوسط / العدد ١٠٢٦٦ / منشور بتاريخ ١/٦ / ٢٠٠٧ م / مقال بعنوان: قوة الضغط القادمة / عبد الملك بن أحمد آل الشيخ.

^{٢١٥}. الأهداف النقابية / محمود فضيل التل / ص ١٥

ركزت مقالات تقرير واشنطن السابقة علي المراكز البحثية المسماة بالثنيك تانك ومجموعات الضغط "اللوي" والتي اتخذت من العاصمة الأمريكية مقراً لها، ثم تعرض التقرير بالشرح لبعض هذه المنظمات مثل المؤسسة الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة ومركز الدراسات العربية المعاصرة والمعهد الأمريكي للسلام، ونحن الآن نتعرض بالشرح لأحد مراكز البحث الثنيك تانك الذي لا يقل شهرة أو نفوذاً سياسياً عن المنظمات السابقة، ألا وهو مؤسسة هيريتيج، المعروف بانتماؤه للتيار المحافظ المتشدد، وإلى جانب معهد "أمريكان إنتربرايز" يمثل هذان المركزان عقل إدارة بوش المحافظة، ومصدر كل أفكاره بخصوص الشرق الأوسط (٢١٦).

وهناك حراك فعلي لمنظمات المجتمع المدني الأمريكي تجاه القضايا الإنسانية العامة (٢١٧)، فمثلاً؛ تحركت بعض فعاليات المجتمع المدني الأمريكي بعد تجاوز الصهيونية في فلسطين، وقامت بحركات ضاغطة على الحكومة الأمريكية من أجل وقف نشاطاتها ودعمها لـ "إسرائيل"، لا سيما بعدما حصل مع الطفل الفلسطيني محمد الدرة الذي قتل بين يدي والده، حيث انضم أساتذة وطلاب العديد من الجامعات والمعاهد في الولايات المتحدة مثل جامعتي ((بريستون)) و((هارفارد))، ومعهد ((مساتشوستس للتكنولوجيا)) لحملة المقاطعة لـ "إسرائيل".

وطالب القائمون على هذه التحركات بتجميد الدعم المالي للجامعات والمؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية، كما طالبوا الإدارة الأمريكية بتعليق الدعم العسكري لـ

٢١٦ . موقع (تقرير واشنطن) على الانترنت WWW.TAQRIR.ORG / تقرير بعنوان: "مؤسسة هيريتيج" عقل حركة المحافظين الجدد / للكاتب: أندرو ماسلوسكي.

٢١٧ . مثل الجهود التي تبذلها نقابات العمال في أمريكا على سبيل المثال، وانظر في ذلك: عمال السودان والسياسة / د. حسن علي الساعوري، عبد الرحمن قسم السيد، جمال البنا / منشورات: الاتحاد الإسلامي الدولي للعمل / دار الفكر - الخرطوم / ط - / ص ٥.

إسرائيل "حتى تمتثل لقرارات الأمم المتحدة، وتضع حداً لانتهاكاتها المستمرة لحقوق الإنسان الفلسطيني" (٢١٨).

كما نظم نحو ستين ألف شخص من الناشطين في مجال حقوق الإنسان مظاهرة على هامش أحد المؤتمرات العالمية، ارتدوا خلالها قمصانا عليها صورة الطفل الفلسطيني "محمد الدرة" الذي اغتالته "إسرائيل" إبان الانتفاضة، فيما ارتدى الآلاف من ممثلي المنظمات غير الحكومية المشاركة في المؤتمر "الكوفية" الفلسطينية الشهيرة تعبيراً عن تضامنهم مع الشعب الفلسطيني، وقد أدى هذا الموقف غير المسبوق لمنظمات المجتمع المدني إلى انسحاب "إسرائيل" والولايات المتحدة بحجة سيادة لعة متطرفة معادية لـ "إسرائيل" في المؤتمر، فضلاً عن تهديد دول الاتحاد الأوروبي بالانسحاب للسبب نفسه.

في هذا السياق أيضاً، فقد اقترح الباحثون تفعيل العمل المدني في الولايات المتحدة من أجل ثنيها عن الدعم غير المحدود للدولة الصهيونية، وذلك لكونه ((يحسن من قدرتها على عرض وجهة النظر العربية في جميع المؤتمرات والملتقيات الدولية غير الحكومية)) (٢١٩).

^{٢١٨}. انظر في ذلك: مركز الأخبار - أمان / الموقع على الانترنت / المركز العربي للمصادر والمعلومات حول العنف ضد المرأة WWW.AMANJORDAN.ORG / موضوع بعنوان: منظمات المجتمع المدني.. ورقة رابحة في مواجهة "إسرائيل" / مركز الخليج للدراسات الإستراتيجية / منشور بتاريخ: ٦ / ٢٠٠٦ م.

^{٢١٩}. انظر: مركز الأخبار - أمان / الموقع على الانترنت / المركز العربي للمصادر والمعلومات حول العنف ضد المرأة WWW.AMANJORDAN.ORG / موضوع بعنوان: منظمات المجتمع المدني.. ورقة رابحة في مواجهة "إسرائيل" / مركز الخليج للدراسات الإستراتيجية / منشور بتاريخ: ٦ / ٢٠٠٦ م..

هذه صورة واحدة من صور تحرك المجتمع المدني الأمريكي، وما كان لها من أثر على مستوى سياسة العالم، وما لها من أثر على الشارع الفلسطيني والشارع الصهيوني على حد سواء، وعليها يمكن القياس.

من الصور الأخرى، ما نجحت به منظمات الحفاظ على البيئة، ومنظمات مكافحة المخدرات، حيث وضعت قوانين في الولايات المتحدة الأمريكية وفق رؤية هذه المنظمات ومقترحاتها، ناهيك عن غيرها من المنظمات الفاعلة.

لم يلبث الأمر حتى تجاوز ذلك، وجعل من المنظمات غير الحكومية فاعلا رئيسيا إلى جانب الحكومات في تسيير الشؤون الوطنية والعالمية، وفي ذلك يقول الأستاذ برهان غليون: ((وقد تبلور مفهوم المنظمات غير الحكومية من خلال الوضعية القانونية التي كرسها لهذه المنظمات الأمم المتحدة، والدور النشط الذي أصبحت توليه لها لحل العديد من المشكلات والتحديات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، حتى ساد الاعتقاد اليوم أن هذه المنظمات هي الملجأ الوحيد في تنفيذ المشاريع الإنسانية الخيرية وغير الخيرية في مواجهة عجز الدولة وشلل أجهزتها بسبب سيطرة البيروقراطية عليها)) (٢٢٠).

وبعد مرحلة من العمل والتنسيق، بات شكل وجود هذه المنظمات يعطي انطباعاً حقيقية على نموها وازدهارها، وقدرتها الفعلية على وضع أهدافها وتطبيقها، وقد تمثل ذلك في محاولات كثير ناجحة تمت في أمريكا من أجل تحقيق أهداف المنظمات الأهلية، الأمر الذي لفت اهتمام كثير من الباحثين، ليثبتوا ذلك في مراحل التطور للمجتمع المدني العام.

٢٢٠. الموقع الإلكتروني على الانترنت (الطريق) WWW.IRAQCP.ORG / موضوع بعنوان: نشأة

مفهوم المجتمع المدني وتطوره من المفهوم المجرد إلى المنظومة الاجتماعية والدولية / بقلم: برهان غليون.

يضرِب المتابعون للمجتمع المدني الأمريكي بعض الصور له ولنشاطاته وقدراته

بالقول:

نمت الحركة العالمية لمناهضة العولمة ببطء وفي مواقع متفرقة في البداية، لكنها سرعان ما نضجت وتمكنت من تأسيس أطر ومؤسسات عالمية لحركتها بعد سنوات قليلة، كانت البداية الأولى في مشاركة الجمعيات الأهلية ومنظمات المجتمع المدني في التحضير لقمة الأرض عام ١٩٩٢ في ريودي جانيرو، والحملة الشعبية التي نظمتها جمعيات أهلية ومنظمات سياسية سنة ١٩٩٤ ضد الاجتماع السنوي للبنك الدولي تحت شعار (خمسون سنة تكفي)، وفي منتصف التسعينيات قامت حركة في كندا والمكسيك ضد إقامة منطقة تجارة حرة لدول أمريكا الشمالية، وفي سنة ١٩٦٦ عقد مؤتمر عالمي في مدينة تشباس مناهضة للهيمنة الأمريكية حضره ممثلون من ٤٣ دولة وشاركت فيه حركة زاباتستا المكسيكية مطلقة شعارها الشهير (هذا يكفي) وانبثق عنه تأسيس (رابطة الحركات المناهضة للسياسات الليبرالية الجديدة في جميع أنحاء العالم)، وفي عام ١٩٩٨ قام تحالف بين جمعيات الدفاع عن المستهلكين وبين أنصار البيئة ضد اتفاقية تحرير حركة الاستثمارات الدولية، وفي العام نفسه انطلقت مظاهرات في تايلاند بمشاركة كبيرة من الفلاحين في مواجهة اجتماع البنك الآسيوي للتنمية (٢٢١).

أما منظمات المجتمع المدني في بريطانيا، فهي بحق صورة مشرقة عما يمكن أن يكون عليه المجتمع المدني، فهي منظمات فاعلة نشطة ذات أهداف ورؤى واضحة، ولها من الكفاءة الخبرة والدربة ما يعينها على تحقيق أهدافها وبلوغ مرامها على المستويات المختلفة.

هذه المنظمات تقوم ببناء على تصور واضح لحاجات المجتمع، ويقودها مختصون متمرسون في العمل الإداري، ولهم أفق رحب في العمل، وقدرة على المناورة والمفاوضة، الأمر

^{٢٢١}. موقع ftm.messages@ifrance.com على الانترنت، موضوع بعنوان: الحركات الاجتماعية

ومناهضة العولمة الرأسمالية في الوطن العربي/ للباحث: عبد الغفار شكر.

الذي انعكس على حالة المنظمات الأهلية عينها، وظهر تبعاً لذلك على المجتمع في بريطانيا ككل (٢٢٢).

جاء في نشرة تصدر عن المفوضية المسؤولة عن الجمعيات الخيرية في بريطانيا وويلز أن أول الخصائص التي تتمتع بها المنظمة الأهلية الكفوءة هي أن: ((المنظمة الأهلية الكفوءة والفعالة تأخذ بعين الاعتبار تأثير ما تريد أن تبلغه والتأثير الذي تملكه على الناس الذين يستفيدون منها وهي منظمة تكون واضحة الأهداف والرؤية والرسالة والقيم وكيف تريد أن تحققها جميعاً)) (٢٢٣).

منظمة تبدأ بهذا النوع من الفهم الشمولي، مسلحة برؤية ناضجة وأهداف مختلفة، وآليات فاعلة لتحقيق هذه الأهداف، هي مؤسسة تمتلك مجموعة من مقومات النجاح في العمل حتى قبل أن تمارس دورها العملي، فهي ممتلئة لمنهجية تفكير، وقدرة على التخطيط، الأمر الذي سنعكس إيجاباً على دورها العملي.

من تابع النشرات الإخبارية التي رصدت مجريات الانتخابات في بريطانيا في العام ٢٠٠٧ م، ورحيل توني بليز (٢٢٤) عن سدة الحكم فيها، علم مقدار الأثر الذي تركه

^{٢٢٢} . ويكفي أن يشير الباحث إلى كون حزب العمال البريطاني هو حزب سياسي يسعى إلى السلطة في بريطانيا من خلال انبثاقه عن المنظمات المدنية العمالية، ومن نقابات العمال بصورة عامة، وانظر في ذلك: عمال السودان والسياسة / ص ٤ .

^{٢٢٣} . موقع الانترنت الخاص بالمفوضية وعنوانه www.charitycommission.gov.uk .

^{٢٢٤} . هو رئيس وزراء بريطانيا السابق.

منظمات المجتمع المدني في بريطانيا على السياسة بكل أبعادها، حتى وصل تأثيرها على قرار الناخب بشكل مباشر (٢٢٥).

سيضرب الباحث الصورة التي ضربها سابقاً في المجتمع الأمريكي، حيث أصدر اتحاد الأكاديميين البريطانيين (نقابة أساتذة الجامعات في بريطانيا) في ختام مؤتمره السنوي يوم ٢٢ أبريل ٢٠٠٥م توصية تقضي بمقاطعة جامعتين في "إسرائيل"، هما: جامعتنا «بار إيلان» و«حيفا»، احتجاجاً على سياسات هاتين الجامعتين في قمع الأكاديميين الذين ينتقدون سياسات "إسرائيل" في الأراضي العربية المحتلة، جاء فيها:

إنه في ضوء الانتهاكات الإسرائيلية المتكررة لقرارات الأمم المتحدة ومعاهدات جنيف، فإن اتحاد الأكاديميين البريطاني يبحث كل مؤسسات التعليم العالي البريطاني وكل أعضاء اتحاد أساتذة الجامعات على إعادة النظر في أي علاقات أكاديمية لهم مع المؤسسات الإسرائيلية الرسمية بما في ذلك الجامعات (٢٢٦) وهذا التصويت الرسمي اشترك فيه ٤٩ ألف عضو في الاتحاد.

تنبه المسلمون في بريطانيا إلى دور المجتمع المدني وجهات الضغط في رسم السياسات المختلفة في وقت متأخر نسبياً، ولكنهم بادروا إلى اغتنام هذه الفرصة من خلال المشاركة الفاعلة في المجتمع المدني البريطاني، بغرض التأثير الإيجابي في مصالحهم وتوجهاتهم كجالية كبيرة.

^{٢٢٥}. فقد عرضت القنوات الفضائية الكبرى - لا سيما الجزيرة والعربية - أسباب خسارة توني بليز أمام منافسه، وعزت السبب في ذلك إلى فشل بليز بإقناع منظمات المجتمع المدني برؤيته وقدرته على إدارة حكم البلاد.

^{٢٢٦}. انظر في ذلك: مركز الأخبار - أمان / الموقع على الانترنت / المركز العربي للمصادر والمعلومات حول العنف ضد المرأة WWW.AMANJORDAN.ORG / موضوع بعنوان: منظمات المجتمع المدني.. ورقة رابحة في مواجهة "إسرائيل" / مركز الخليج للدراسات الإستراتيجية / منشور بتاريخ: ٦ / ٢٠٠٦ م.

يقول الباحث صلاح التكمه جي:

بخط مواز لتأثير المسلمين في بناء الحضارة الصناعية في بريطانيا والغرب، حدث بناء ثقافي للأقليات المسلمة في بريطانيا، ففي عام ١٨٨٩ أفتتح أول مسجد تم بناؤه في ووكينغ، وفي عام ١٩٤٠ خصصت الحكومة البريطانية ١٠٠٠٠٠٠ جنيه لشراء أرض مسجد في لندن، وفي عام ١٩٤٤ حضر الملك جورج السادس لافتتاح المركز الثقافي في ريجنس بارك. الوجود الثقافي نما وارتفع بشكل ملحوظ وبخط مواز لتأثير الاقتصادي والاجتماعي في تكوين مجتمع مدني متقدم في بريطانيا والغرب، ففي عام ١٩٨٥ بلغ عدد المساجد المسجلة ٢٣٨ مسجد، وبحلول عام ١٩٩٧ ارتفع العدد ليصبح تقريبا ١٠٠٠ مسجد، هذا وتشير آخر الإحصائيات أن الأقلية المسلمة في بريطانيا بلغت ما يقارب ١,٦ مليون نسمة وذلك حسب إحصاء ٢٠٠١ (٢٢٧).

هذا التحرك تم على أمل أن تصبح الجالية المسلمة في الغرب جسراً حضارياً مهماً وحلقة وصل حضارية بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، في حالة أبراز الوجه الايجابي لتلك الأقليات المسلمة ودورهم المؤثر في عملية الاندماج الحضاري، وقدرتهم على إحداث الفعل في العالم المتمدن الغربي.

وتعتمد منظمات المجتمع المدني البريطانية على أنظمة تواضعوا على تطبيقها من أجل الرقي بالمجتمع، واتفقوا على وضعها على جدول أعمال المنظمات غير الحكومية حتى يتحقق الازدهار بعيداً عن التغني بالشعارات البعيدة عن المضمون.

^{٢٢٧}. الموقع الإلكتروني (سعودي هت) على الانترنت WWW.SAUDIHIT.COM ، ندوة بعنوان: المسلمون في بريطانيا بين الإرهاب والولاء للوطن / منشور بتاريخ: ٢٠٠٥/١٢/٧ م / للباحث: صلاح التكمه جي.

حيث ((يعد نموذج " التميز الخاص بالمؤسسة الأوروبية لإدارة الجودة (EFQM) منهج مصفوفة أداء متوازن، جاهز وعمام، يحظى برواج شديد في أنحاء أوروبا في القطاعين: العام والخاص)) (٢٢٨)، وهو ما لمست نتائج بعد سبع سنوات من تطبيقه في بريطانيا على شكل وأداء المنظمات الأهلية والاجتماعية المختلفة.

وقد أبدى كثير من المختصين إعجابهم بالنمط البريطاني في العمل المدني، ومنهم الأستاذ محمود التل، حيث يقول:

... وجددير بالذكر أن لدراسة الحركة النقابية في بريطانيا أهمية خاصة، نظراً لأنها دولة من الدول التي ولدت فيها النقابات، وفيها دارت بعض المعارك الأولى من أجل حق العمال في تنظيم أنفسهم، وفي تاريخ النقابات البريطانية أمثلة لمعظم المشكلات والصعاب التي واجهت النقابات في جميع أنحاء العالم، ذلك أنها كانت وليدة الثورة الصناعية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، لهذا جاءت متميزة عن الحركات النقابية في الدول الأخرى، باعتبارها رائدة في مجال العمل النقابي (٢٢٩).

أما في فرنسا.. فقد كان الحضور الكبير للمجتمع المدني بصورته الفاعلة في السنوات العشر الأخيرة (٢٣٠)، رغم إيجابية دوره في السنوات الماضية، إلا أنه أخذ شكلاً

٢٢٨. القيادة المتميزة - صياغة استراتيجيات التغيير / ص ١٥٩.

٢٢٩. الأهداف النقابية / محمود فضيل التل / مؤسسة فريدريش إيبيرت - بيروت / الطبعة الأولى / ص ١٥.

٢٣٠. انظر في ذلك: الموقع الإلكتروني: منتدى الدوحة السادس للديمقراطية والتنمية والتجارة الحرة WWW.QATAR-CONFERENCES.ORG / خبر بعنوان: خلال مائدة مستديرة حول منظمات المجتمع المدني... المتحدثون يدعون إلى تطوير آليات التحول الديمقراطي / بقلم: مأمون عياش - كلمة الدكتور يوسف العبيدان..

تركيزياً في العمل، وأوجد مناخات جديدة تؤصل لعمل مدني مستقر وفاعل في فرنسا كلها (٢٣١) .

يعود نجاح المجتمع المدني في فرنسا إلى تركيبته المميزة، والتي تشمل النساء والشباب والطبقات المثقفة وشرائح أخرى، وأيضاً إلى وضع المواضيع المتروكة تقليدياً للمؤسسات الرسمية أو شبه الرسمية على أرض النقاش وطرح الحلول المناسبة لها من قبل هذه المنظمات .

يقول البروفيسور حسن الساعوري: ((والأحوال في فرنسا لا تختلف كثيراً عن تلك التي في أمريكا، فاستطلاعات الرأي العام الفرنسي تشير إلى دور النقابات المتكافئ مع دور البرلمان، ودور قادة الأحزاب، ودور وسائل الإعلام إن لم يكن يفوقهم جميعاً، والسبب في ذلك يرجع إلى الفوارق بين الاستشارات ووضع السياسات لم تعد واضحة، فأصبح المستشار شريكاً في صناعة القرار، والمستشار المعني هنا هو النقابات وأجهزتها)) (٢٣٢) .

من المفيد هنا أن تتم الإشارة إلى طبيعة نشوء المجتمع المدني في فرنسا، حيث يقول المتابعون في هذا الشأن:

... وفي فرنسا؛ نشأت عام (١٨٦٣ م) " الفرقة النقابية العمالية " وقد أطلق عليها فيما بعد اسم: النقابة، وقد ضمت النقابات الأولى في فرنسا: عمال الأحذية والخياطة والطباعة والميكانيك والأفران والنجارين وعمال الدهان، وقد حلت هذه النقابات محل الجمعيات الأخوية التي تأسست في أواخر القرن الثامن عشر لتغطية المخاطر المهنية على أساس

٢٣١ . تكفي الإشارة إلى التظاهرات التي قامت بها مختلف الجمعيات والهيئات المدنية لطلبة المدارس، والمرضات، والإضرابات الكبرى عام ١٩٩٥ في فرنسا، وحديثاً الحركة المدنية الواسعة ضد انتخاب اليميني المتطرف «لوبان» إلى رئاسة الجمهورية عام ٢٠٠١ .

٢٣٢ . عمال السودان والسياسة / ص ٧ .

المهنة، وفي سنة (١٨٩٥ م) تأسس في فرنسا: الاتحاد العام للعمل، وكان قبل ذلك عام (١٨٨٤ م) قد صدر قانون يجيز تسجيل وقيام النقابات سواء للعمل أو أصحاب العمل (٢٣٣) .

ولا يختلف الواقع في اليابان وبعض الدول المتقدمة في العالم عن هذه الحال، فهناك وعي بدور وطبيعة المجتمع المدني، وهناك سعي واضح من الأنظمة الحاكمة لاستمالاته إلى جانبها لكونه صمام أمان المجتمع.

((ونفس الظاهرة تتكرر في إيطاليا، مثلما هو الحال في أمريكا وفرنسا، فبصمات النقابات واضحة في السياسة الإيطالية، وخاصة في المراحل التنفيذية)) (٢٣٤) .

وفي روسيا دعا لينين إلى هضم هذا المصطلح وإدماجه في المفهوم الاشتراكي لمصلحة العمال، حيث يقول في أحد خطاباته:

... إن نشاط الاشتراكيين الديمقراطيين السياسي قوامه المساعدة في تطوير وتنظيم الحركة العمالية في روسيا، وفي تحويل محاولاتها الحالية المنعزلة للاحتجاج و" التمردات " والاضرابات وهي خالية من أي فكرة موجهة، إلى نضال متجانس تخوضه كل الطبقة العاملة الروسية ضد النظام البرجوازي، ويرمي إلى انتزاع ملكية المغتصبين، وإلى هدم النظم الاجتماعية القائمة على اضطهاد التشغيل.. (٢٣٥) .

الحقيقة؛ إن تلخيص الدكتور يوسف عبيدان لدور المجتمع المدني في الغرب وطبيعته النشطة سليم وتفصيلي، حيث يقول:

٢٣٣ . الأهداف النقابية / محمود فضيل التل / مؤسسة فريدرش إبيرت - بيروت / الطبعة الأولى / ص ١٥ .

٢٣٤ . المرجع السابق / ص ٨، بتصرف يسير .

٢٣٥ . لينين - عن النقابات / مجموعة من المقالات والخطب / دار التقدم - موسكو / الترجمة إلى العربية: دار التقدم - موسكو / الطبعة الأولى (١٩٧٣ م) / ترجمة إلياس شاهين / ص ٦ .

إن المجتمع المدني أضحى أحد أهم القوى المؤثرة في المجتمع الدولي سواء على صعيد التحول الديمقراطي وعمليات الإصلاح أو حماية حقوق الإنسان أو عمليات التنمية أو الارتقاء بالمستوى العام للثقافة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وقد تحول المجتمع المدني من مجرد أفكار ومحاولات ولدت في قرائح المفكرين والمثقفين إلى منظمات ومؤسسات تلعب دوراً مهماً في شتى المجالات وفي تغيير تاريخ الشعوب والدول في شتى أنحاء العالم. وفي إطالة سريعة على المجتمع الدولي نجد أن المجتمع المدني أصبح هو الفاعل الرئيسي في التغييرات الكبرى، فهذا هو المجتمع المدني في فرنسا يجبر الحكومة على تعديل قانون العمل الجديد، وفي أمريكا يعترض على قانون الهجرة وفي بعض الدول العربية يعمل على دفع عمليات الإصلاح والتحول الديمقراطي، ويلعب دوراً مهماً نحو حماية وتعزيز حقوق الإنسان والحريات الأساسية (٢٣٦).

وبرغم النظرات الجزئية وغير الموضوعية التي تصدر عن بعض الكتاب والباحثين، والذين يرون أن المجتمع المدني الغربي هو مجتمع مكبل مغلول اليدين، وهو صنعة إعلام أراد أن يبين ديمقراطية الدول الغربية كأمریکا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا (٢٣٧)، فإن المجتمع المدني الغربي قد حقق النجاحات المتتالية، واستطاع أن يفرض نفسه بقوة في ساحة الحدث الغربي، والشواهد على ذلك معلومة، والأثر الملموس لهذه الجهود يدل على عظمها ومدى تأثيرها.

٢٣٦. الموقع الإلكتروني: منتدى الدوحة السادس للديمقراطية والتنمية والتجارة الحرة - WWW.QATAR-
CONFERENCES.ORG / خبر بعنوان: خلال مائدة مستديرة حول منظمات المجتمع المدني...
المتحدثون يدعون إلى تطوير آليات التحول الديمقراطي / بقلم: مأمون عياش.

٢٣٧. انظر في ذلك مثلاً: مقالة منشورة على الانترنت بعنوان: أكذوبة المجتمع المدني في الغرب / للدكتور: ميلاد مفتاح الحرائي، والباحث يرى من خلالها أن المجتمع المدني في الغرب عاجز تمام العجز، وأنه صورة تجميلية للواقع الغربي المليء بالدكتاتورية والفساد والعنصرية.

المطلب الثالث:

المجتمع المدني في العالم العربي

الطبيعة الحالية للمجتمع المدني العربي

بدأ مفهوم المجتمع المدني في العالم العربي يأخذ شكله المعلوم في فترة متأخرة، حيث لم يتبلور هذا المفهوم في المجتمعات العربية إلا في نهاية القرن العشرين، بعد أن بدأ مفهوم العولمة الثقافية (٢٣٨) يتوسع وينتشر، ويأخذ أبعاده على مستويات التأثير الشعبية والنقابية المتنوعة (٢٣٩).

يعزو العلماء هذا التأخر إلى غياب المنهجية الفكرية الواضحة، حيث يقول الأستاذ الدكتور عبد الحميد أبو سليمان:

إن السباق الحضاري بين الأمم أصبح يشكل تحدياً للوجود الإسلامي في هذا العصر، ولم تُجدِ كثيراً جهود الترجمة العلمية والأدبية من أعمال الحضارات الأخرى، ولن يغير إرسال المزيد من البعثات أو إنشاء المعاهد من الصورة المؤسفة التي يعيشها المسلمون في هذا العصر، وذلك بسبب ما آلت إليه العقلية الإسلامية ومنهجيتها، حيث اتسمت بضعف روح المبادرة، واضمحلال الحماس النفسي والعقائدي، وأصبحت مجبولة على المتابعة الجزئية (٢٤٠) ..(

٢٣٨ . يطلق عليها أيضاً: (الكوننة) أو (الكوكبة) / انظر: قضايا معاصرة - العلوم الإنسانية/ مركز المناهج - وزارة التربية والتعليم - فلسطين / الطبعة التجريبية الأولى / مقرر للصف الحادي عشر الأدبي (الجزء الثاني) / ص ٤٩ .

٢٣٩ . على سبيل المثال، بدأ هذا المفهوم بالظهور في الأردن مع بداية حكم الملك حسين، وانظر في ذلك: الحركة النقابية العمالية في الأردن / علي عناد خريس وصلاح عبد الكريم الصفدي / دار النشر والتوزيع والتعهدات - الأردن / الطبعة الأولى / ص ٥ .

٢٤٠ . قضية المنهجية في الفكر الإسلامي / أ. د. عبد الحميد أبو سليمان / الدار العالمية للكتاب و المعهد العالمي للفكر الإسلامي / رسائل إسلامية المعرفة (٤) / الطبعة الثانية (١٩٩٥ م) / ص ٣٤ - ٣٥ .

فسبقتنا الشعوب الغربية وتأخرنا لضعفنا؛ لا لقوتهم وسبقهم.

وبنظرة منصفة على واقع المؤسسات المدنية الموجودة في العالم العربي تجد أنها تأخذ واحداً من هذه الأشكال الثلاثة:

١. الشكل الحكومي المغلف بالطابع الأهلي.

فالحكومات العربية، ورغبة منها في تسويق نفسها كدولة ديمقراطية، أو دولة مجارية للتطور الحضاري الموجود في العالم الغربي، أخذت على نفسها أن تنشئ مجموعة من الأشكال المجتمعية لتعمل تحت سلطانها من خلال أولياء النظام، أو من هم تابعون لقطار النفعيين والوصوليين ممن يتمسحون بالدولة ورئيسها عند مطلع كل نهار.

هؤلاء تم استيعابهم في منظمات أهلية أشرفت الدولة على تأسيسها ودعمها ورسم سياساتها العامة والخاصة، وكانوا مجرد أحجار شطرنج بيد الدولة، تأمرهم بالتحرك فيتحركون، وتأمرهم أن يصمتوا فلا تقوى على التفريق بين حالهم وحال الميت.

الملاحظ أن أداء وأثر هذه المؤسسات بكل ما لديها من دعم على المستويات المختلفة بقي محصوراً ضئيلاً، وذلك نابع من وعي الجماهير العربية بطبيعة النظام وأهدافه، وطبيعة الواقع السياسي الهزلي والهزيل في العالم العربي، فنفروا منها، وابتعدوا عن برامجها، وصارت محصورة في جانب الشكليات والزيارات والمعارض الهامشية، دون أن يكون لها دور مركزي في التأثير على المستوى السياسي أو الاجتماعي.

يقول الدكتور عزمي بشارة العضو العربي في الكنيست الصهيوني: ((... وعليه فإن ضمان استقلالية الحركات الاجتماعية عن أجندة التمويل الخارجي من جهة وعن البنية الهيكلية الإدارية للسلطة الحاكمة من جهة أخرى، بات يشكل ضرورة لتمكين تلك الحركات

بالمجتمعات العربية بالقيام بدورها سواءً بالأبعاد الاجتماعية- الحقوقية أو الديمقراطية - السياسية ((٢٤١)).

وما طال أمد الدعم الحكومي لهذه المؤسسات بقيت تتنفس، وإن انقطع عنها لأي سبب باتت في حكم الأموات، وهذا النمط من العمل الأهلي لا ولن يكون ذا أثر تغييري على مستوى الجماهير، ولن يحظى بأي اهتمام من النخب المثقفة التي تعتبر دعامة العمل المدني المستمر.

٢. المنظمات الأهلية والمهنية المدعومة من حركات المعارضة.

هذه المنظمات الأهلية هي التي تشكل عصب الحراك المجتمعي في المجتمعات العربية من غير نكير، ويتم التحرك في سبيل حماية الفرد أو المطالبة بحقه في المواطنة وحقوقه الدستورية من خلالها، وذلك لأمر عدة، أهمها: عدم خضوع هذه المنظمات الأهلية لسلطة الدولة، وعدم اعتمادها على دعمها أو تمويلها، وبالتالي، فهي لا تكتثر بردة الفعل، ويسوّق نشاطها في مصلحة التيارات المعارضة للدولة بشكل أو بآخر تبعاً لهذا التحرك.

وقد كان لمؤسسات المجتمع المدني العربي دور حقيقي في نهاية القرن العشرين، فكانت المؤسسات والنقابات المهنية والعمالية والطلابية والمنظمات العاملة في مجال حقوق الإنسان والتنمية البشرية أو الاقتصادية أو نحو ذلك من الأنماط الرائدة في التأثير السياسي، مع فارق نسبي بين بلد وآخر بالطبع، إلا أنها بالمجمل كانت الواجهة الرسمية التي تحركت بها التيارات المعارضة في فترة السنوات العشرة الأخيرة.

يضرّب الباحث لذلك مثالين اثنين للتوضيح، الأردن ومصر.

^{٢٤١}. إشكاليات عشر التحول الديمقراطي في الوطن العربي / عزمي بشارة /: مواطن - المؤسسة الفلسطينية لأبحاث

الديمقراطية - رام الله / الطبعة الأولى (١٩٩٨ م)، ص ٣٩٥.

ففي الأردن، كانت النقابات المهنية، والتجمعات الطلابية والحرفية والتخصصية، وتشكيلات الحركات الاجتماعية، ومنظمات المجتمع المدني، صاحبة الصوت اليتيم في مواجهة الدولة في أكثر من مناسبة، وفي أكثر من قرار، وقد استطاعت أن تشكل الرأي العام في أكثر من مناسبة بشكل ضاغط على النظام السياسي.

فالتحركات التي حدثت من منظمات المجتمع المدني بخصوص القضية الفلسطينية أكثر من أن تحصى، والتظاهرات والحشود التي تمت، والنشاطات الإعلامية الراضية للتطبيع واتفاقية وادي عربة، والتعاون المشترك مع الاحتلال، أو حملات مقاطعة المنتجات الصهيونية والأمريكية في الأردن، أو غيرها من التحركات الأهلية أو النقابية شكلت نوعاً من الحدث السياسي؛ غير الصورة المعروفة عن أن النظام هو الأمر الناهي، وهو الإله للناس أقواله وأفعاله وحي يوحى !!

الصورة في مصر أنصع وأقوى، وذلك لوجود التنوع السياسي المعارض للنظام الحاكم في مصر، ووجود تيارات سياسية لها في المجتمع المصري عقود طويلة، كجماعة الإخوان المسلمين^(٢٤٢)، أو أحزاب المعارضة اليسارية، أو الناصرية، أو الديمقراطية، أو نحوها.

هذه التيارات قد اكتسبت مع السنوات خبرة حقيقية في بدء المشاريع التأثيرية وممارستها من خلال الاحتكاك بالجماهير، وتفعيل الرأي العام في القضايا التي يراد لها أن تثور في المجتمع المصري.

فقد كان لنقابات المحامين والأطباء والمهندسين، والمنظمات الحقوقية والمعنية بحقوق الإنسان دور فاعل حقيقي ملموس في تغيير كثير من القوانين المعمول بها في مصر، وشكلت منظمات المجتمع المدني عنصر ضغط حقيقي على النظام السياسي في مصر، واضطرته

^{٢٤٢}. تم تأسيسها في العام ١٩٢٨ م بعد هدم الخلافة الإسلامية، وقد أسسها الشهيد حسن البنا في الإسماعيلية في مصر مع عدد من إخوانه، وتعتبر الحركة الجماهيرية الأولى في مصر، وكبرى الحركات الإسلامية على امتداد العالم الإسلامي.

إلى التراجع عن قرارات كثيرة اتخذها فيما يتعلق بالحق العام أو حقوق المواطنة، أو حرية الرأي والتعبير، أو نحو ذلك من أمور (٢٤٣).

بصورة عامة، فإن المنظمات الأهلية الموجودة في الشارع العربي عموماً، والتي تعمل تحت سقف التيارات السياسية المعارضة هي ذات شأن في الحياة السياسية، ويمكن أن يعوّل عليها في إحداث تغيير جوهري في شكل الحكم وأنظمتها، ووسائل تعامله مع الوطن والمواطن.

٣. منظمات العمل الروتيني (البليد).

أطلق الباحث عليها هذا المسمى انطلاقاً من طبيعة وجودها في المجتمع، وما لها من دور فيه.

فهذه المنظمات يقصد بها مجموعة الأجسام الحاصلة على ترخيص رسمي لممارسة العمل المؤسسي في أي مجتمع عربي، انطلاقاً من شعارات فضفاضة كبيرة لا تمس أصل الاحتياج الموجود لها في المجتمع.

فمن منظمة لرعاية التراث الفني لأموات المغنين والمغنيات، إلى منظمات قائمة على نشاط سنوي باهت، إلى منظمات لها موازنات مالية حقيقية تقوم بعقد الأنشطة بشكل موسمي تقليدي تكرر من خلاله نفسها، من خلال كل نشاط وكل عام، دون أن تحظى بأي إبداع، ودون أن تقدم للمجتمع أي إفادة أو تطوير أو رقي.

^{٢٤٣}. ومن أبرزها إلغاء قرارات المحاكم بشأن تحويل المعتقلين السياسيين إلى المحاكم العسكرية، وهو القرار الذي أثار ضجة كبيرة في الشارع المصري، سيما وأن النظام المصري قام بحملات اعتقال طالت رموز وكوادر العمل النقابي في مصر أكثر من مرة، وعلى وجه الخصوص، كوادر جماعة الإخوان المسلمين ومرشحيهم للانتخابات والمنظمات الأهلية والشعبية.

هذه المؤسسات في العالم العربي منتشرة بكثرة، ولعلها تحظى بحصة الأسد من التشكيلات الخاصة بالمجتمع المدني، مسميات مفرغة من مضامينها، وتمثيل جوفاء تعيش وتموت دون أن تترك لها أثراً إيجابياً تحمده لها الأجيال.

قد يذهب البعض في تشخيص حالة هذه المؤسسات المزرية إلى رغبة تلك المنظمات الأهلية في أن تكون نزيهة موضوعية مهنية، وأن تبعد في طرحها ونشاطها عن الطابع السياسي، ولكن هذه النظرة مرفوضة جملة وتفصيلاً، فالمجتمع كل لا يتجزأ، والنظام السياسي جزء من معادلة التكوين المجتمعي، والتراهم والموضوعية والشفافية لا تعني أبداً أن ينكمش الفكر العربي حتى لا يسخط عليه النظام الحاكم، لأن ذلك مدعاة إلى تمادي الأنظمة، الأمر الذي يعني ضياع حقوق الفرد، وسلب الحريات العامة والخاصة دون نكير من المجتمع المخدر بالنشاطات الجوفاء.

بوادر النمو الفعلي للمجتمع المدني العربي

رغم تأخر الدول العربية في فهم دور المجتمع المدني، وتعاملها معه بحذر شديد لكونه يحمل أبعاداً تمس الأنظمة الحاكمة، إلا أن هناك بعض وجوه الإشراق في هذا العمل بدأت تلحظ في السنوات الأخيرة.

فقد تأسست في العالم العربي منظمات عربية كبرى (٢٤٤)، ومنظمات تعمل بنظام التشبيك الحقيقي على مستويات إقليمية وعالمية (٢٤٥)، وتحاول هذه المنظمات أن تثبت نفسها على الساحة العملية بوجود نشاطاتها العامة والفعاليات الجماهيرية والتنظيرية على مستويات واسعة، لكسب الرأي العام، والضغط على الجهات ذات العلاقة.

فهناك في المجتمع العربي منظمات أهلية ومدنية ونقابات وهيئات مناهضة لسياسات العولمة، ومنظمات دفاعية تعنى بحقوق الإنسان و حقوق العمال والنقائين، وهيئات ونقابات تهتم بالواقع الاجتماعي (٢٤٦)، وأخرى في الجانب الاقتصادي، وهكذا.. وهذه الجهات المدنية عقدت مؤتمرات جماهيرية، وندوات علمية لدراسة قضايا ذات اهتمام مشترك، وصدرت بيانات ووثائق وكتب تناول الجوانب الأساسية لهذه الظواهر، وتوضح تأثيراتها على الشعوب العربية.

^{٢٤٤} . منها على سبيل المثال: شبكة التثقيف العمالي، والشبكة العربية للمنظمات غير الحكومية للتنمية- لبنان، وشبكة المنظمات الفلسطينية، والمنظمة العربية لحقوق الإنسان، واتحاد المحامين العرب.. ونحوها.

^{٢٤٥} . استفادت هذه الدول من القوانين العالمية بالسماح بإقامة التحالفات المؤسسية والمنظمات العاملة بنظام التشبيك، وانظر للتوسع في صور ونماذج هذه التحالفات والتكتلات.. انظر في ذلك: التنظيم من أجل العدالة الاجتماعية / ص ١٠٩ - ١١٢ .

^{٢٤٦} . منها مثلاً: المنتدى الاجتماعي الفلسطيني الذي تأسس في ديسمبر ٢٠٠٢ م والمنتدى الاجتماعي القطري، والمنتدى الاجتماعي المغربي الذي تأسس في كانون الأول سنة ٢٠٠٢ م. والمنتدى الاجتماعي العربي، والذي بدأ التحضير لتأسيسه في يناير ٢٠٠٣ م.

بدأ التوجه العربي حديثاً يأخذ بعد العمل الإقليمي، حيث ظهرت هناك مجموعة من الشبكات والمنظمات المدنية العربية الإقليمية (٢٤٧)، وتشكل هذه الشبكات والمنظمات على المستوى العربي من جمعيات أهلية ومنظمات غير حكومية، تعمل في مجالات اجتماعية متعددة، كالتنمية، وحقوق الإنسان، والدفاع عن البيئة، ومحاربة العولمة، ونصرة المرأة، ونحوها.

في اليمن مثلاً، يوجد أكثر من (٥١٥٥) منظمة أهلية حائزة على الترخيص الرسمي، وتعمل في المجتمع المدني اليمني، وهي آخذة بالنمو والتطور والتوسع على صعيد إنشاء فروع تابعة لها، أو على صعيد توسعها في العمل بكل مستوياته (٢٤٨).

وفي سوريا.. يبلغ عدد المنظمات الأهلية الموزعة على المجالات الثقافية والتنموية والخدماتية أكثر من (٦٢٥) منظمة (٢٤٩)، وهي تشكل جسم المجتمع المدني في سوريا من خلال التنوع الجغرافي وتوزيع الأدوار فيما بينها.

وفي السودان كان العمل النقابي والاتحادات الموجودة في الواقع السوداني يشكّلان صورة من صور التقدم في العمل المدني، حيث تقوم هذه المنظمات والاتحادات بدور حقيقي في حفظ حقوق الفرد، وتشكيل الرأي العام، والتأثير من خلال الضغط على النظام

^{٢٤٧} من بينها: اتحاد المحامين العرب، والمنظمة العربية لحقوق الإنسان، وشبكة التثقيف العمالي، وغيرها وانظر في ذلك: موقع ftm.messages@ifrance.com على الانترنت / موضوع بعنوان: الحركات الاجتماعية ومناهضة العولمة الرأسمالية في الوطن العربي / عبد الغفار شكر.

^{٢٤٨} انظر في ذلك: صحيفة الوحدة، وهي صحيفة أسبوعية سياسية شاملة صادرة في اليمن من مؤسسة الثورة للصحافة والطباعة والنشر / للباحث: عادل خاتم / موضوع بعنوان: في دراسة بحثية حول أسس المجتمع المدني في اليمن البيروقراطية والفهم المغلوط عوائق كاجحة لتطور العمل الأهلي، منشور بتاريخ: ٢٠٠٥/٥/٧ م.

^{٢٤٩} انظر في ذلك: مقالة للباحث عمار ديوب، على الموقع الإلكتروني (ثروة) على الانترنت - WWW.ARABIC.THARWAPROJECT.COM، موضوع بعنوان: ملف المنظمات الأهلية -

مشكلات وأدوار المنظمات الأهلية.

السياسي في المجتمع (٢٥٠) الأمر الذي سيجعل من السودان دولة متقدمة على صعيد الوضع الإفريقي العام برغم المعوقات السياسية والاقتصادية التي تكتنف أرضه (٢٥١).

ما بين هذه الأرقام وتلك المعطيات الوافدة منها على صعيد الخدمات المقدمة من هذه المنظمات الأهلية غير الحكومية، فإن طبيعة العمل المدني تتشكل في ظل الأنظمة السياسية بصور خجولة جداً، وهو الأمر الذي لا بد من تغييره حتى تحدث النهضة، وتحقق التنمية في المجالات المختلفة.

وفي واقع تشير فيه المعطيات المتوفرة إلى وجود (٧٠٠٠٠٠) منظمة أهلية عربية (٢٥٢)، أي وجود عدد ضخم من المبادرات الشعبية على مستوى العالم العربي، فإن الحجم المتوقع من أداء هذه التشكيلات المدنية والأهلية لم يبلغ معشار ما خطط له في إطاره النظري، والأثر يدل على المسير !!

فعندما يبلغ عدد المنظمات الأهلية والتابعة للمجتمع المدني في الدول العربية أكثر من (٧٠٠٠٠٠) منظمة، موزعة على مسميات المجتمع المدني المختلفة، بين منظمة وهيئة، وجمعية ونقابة وهكذا.. فإن الدور المنوط بها أن تحدث زلزالاً حقيقياً في الحال العام في هذه المجتمعات، وأن تحدث قفزات نوعية كبرى، تقلب الواقع بكل مجالاته.

^{٢٥٠}. قام الباحث بالعديد من الزيارات الميدانية لمجموعة من المنظمات العاملة في السودان، والنقابات والاتحادات، واطلع عن كثب على مستوى الأداء ونوعية الخدمات، وآفاق التصورات المستقبلية، مما يبشر بخير كبير، ناجم عن وعي المجتمع والكادر الموجود في منظمات المجتمع المدني بصورة واضحة.

^{٢٥١}. انظر في ذلك: عمال السودان والسياسة / ص ١٨٢ - ١٨٣.

^{٢٥٢}. انظر: مجلة النبأ - مجلة شهرية ثقافية عامة / العدد ٧١ / عدد حزيران ٢٠٠٤ م / موضوع بعنوان: أهمية المنظمات الأهلية العربية في التنمية / للباحث: الدكتور كريم أبو حلاوة، وهو كاتب وباحث سوري في الشؤون الإستراتيجية.

لكن.. يبقى الأمل معقوداً على منظمات المجتمع المدني العربي لتضع لنفسها برامج عمل استراتيجية لتصويب المسارات المختلفة التي تعنى بها، لتكون رقماً حقيقياً في معادلة الوجود الدولي، ولتشكل الدور المنوط بها في مجتمعاتها بالدرجة الأولى، فهي فرس الرهان كما يقال، وعليها التعويل الكبير في مسألة الحفاظ على الحق الفردي والثروات، وتشكيل الوعي الحقيقي القادر على إحداث هذا الكم من التغيير على صعيد الكم والكيف.

يختتم الباحث بكلمة يستفز بها العلماء الأمة العربية والإسلامية، كي تهبّ إلى استثمار هذه المكانة في تحقيق النفع للأمة، فهذا الشيخ الداعية علي الطنطاوي يقول مستغرباً حالنا في مسألة عدم استثمار المنظمات المدنية الدينية: ((ولو كان عُشرُ هذه المنابر في أيدي جماعة من الجماعات العاملة المنظمة، لصنعت بها العجائب، فما بالنا وهي في أيدينا لا نصنع بها شيئاً !!)) (٢٥٣).

الأمل ليس نظرياً، وليس افتراضياً، بل مدعم بكون هذه المنظمات بدأت تعرف وجهتها، وخرجت عن حالة التيه التي وقعت بها جراء تكاثر الهموم في المجتمعات، وضعف الدور الرسمي للدولة، وتراجع السياسات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وبمعنى آخر، فالأمل معقود بنواصي المنظمات الأهلية لتتقدم بعد أن قفزت فوق مرحلة وصفها الشاعر قديماً بقوله:

تكاثر الظباء على خراشٍ فما يدري خراشٌ ما يصيد (٢٥٤)

٢٥٣. فصول إسلامية / ص ١٢٣.

٢٥٤. مجلة البيان / ص ٥٩.

المبحث الرابع

التأصيل الشرعي والنفسي لمشروع العمل المدني الفلسطيني

المطلب الأول

التأصيل الشرعي النظري للعمل في النطاق المدني المعاصر

يقوم الوجود البشري على الأرض ضمن خطة ربانية لا ابتلاء للإنسان في اختبار علني معلوم ومعروف، وهو مبدأ عمارة الأرض والاستخلاف فيها، وجرت السنن الإلهية بأن يكون هذا الوجود البشري على الأرض قائماً على التدافع بين البشر.

نعم؛ إنها سنة الله تعالى في الكون، سنة التدافع بين الخلق، قال تعالى: ((وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ)) (٢٥٥).

من المعلوم أن التدافع له وسائله، من صراع الأفكار، إلى شراء الذمم، ومن وسائله العمل بالقوة الصلبة، والمغالبة، والصراع الفكري والمؤسسي والفردية.

يقول الدكتور جاسم سلطان في ذلك:

قضية التدافع كما يشير القرآن الكريم كانت ولا زالت وستكون هي جوهر الوجود البشري، فالوجود البشري قائم على التضاد، وعلى هذا التدافع المستمر لخلق الله على أرضه، فالبشرية تدعو إلى السلام والأمن، بينما في الواقع يطغى الناس بعضهم على بعض، وتستمر عملية التدافع إلى أن يشاء الله عز وجل، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقانون

^{٢٥٥}. سورة البقرة / الآية: ٢٥١.

التدافع يخبرنا بأنه لا مفر من عملية التدافع المستمرة في السلم والحرب، فهي حالة دائمة ومستمرة لا يجوز تجاهلها، أو الأمل في زوالها (٢٥٦).

ضمن هذا الواقع البشري العام، بين الله تعالى للإنسانية وجوه فلاحها ونجاحها، وحد حدوداً، وبين سبلاً، وأنزل على رسول الله منهاجاً يصلح الأفراد والدول على حد سواء في دنياهم ومعادهم.

من ذلك؛ كفالة النظام السياسي الإسلامي للفرد في الدولة حقوقه الفردية والعامية (٢٥٧)، فكفل له حق المساواة والحرية الشخصية في إطارها المضبوط، وحرية العبادة، وأمن له حرمة المسكن، وحرية العمل والتملك، والحق بإبداء الرأي (٢٥٨) والحق بالأمن الاجتماعي (٢٥٩)، وحق العلم، وحق الفرد المحتاج بكفالة الدولة له (٢٦٠).

يقول الدكتور عبد الكريم زيدان: ((يجد الفرد ضمناً عاماً من الدولة عند الحاجة والعوز، فلا يمكن أن يهلك الفرد في الدولة الإسلامية وهي تنظر إليه وتعرف مكانه وتحس بعجزه وحاجته وعوزة، وأساس هذا الحق: ان المجتمع الإسلامي مجتمع تعاوني يقوم على أساس التعاون استجابة لأمر الله تعالى " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان "، ومن مظاهر هذا التعاون، أن يعين الغني الفقير)) (٢٦١).

^{٢٥٦}. القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري " قوانين النهضة " - ضمن سلسلة: مشروع النهضة - سلسلة أدوات القادة / د. جاسم محمد سلطان / مؤسسة أم القرى للتوزيع والنشر - مصر / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ١٧٥.

^{٢٥٧}. انظر: النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية / ص ٣٤ - ١١٢.

^{٢٥٨}. كما حصل في عهد النبي عليه السلام، في غزوة بدر عندما قام الحباب بن المنذر وأشار براه الذي كان مخالفاً لرأي النبي في الحرب الأولى، وكما حصل مع سيدنا سلمان الفارسي عندما تقدم براه بخصوص الخندق، وهذه إشارات على حرية الرأي ولو كان مخالفاً لأعلى سلطة في الدولة.

^{٢٥٩}. SOCIAL SECURITY – ANEW CONSENSUS / INTERNATIONAL.

LABOUR OFFICE – GENEVA/ F. P (2001) / P.7.

^{٢٦٠}. انظر: الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية / ص ٢٣ - ٨٢.

^{٢٦١}. الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية / ص ٨٢.

رغب الإسلام أمة التوحيد بأن تبادر إلى مشروعات الخير التطوعية (٢٦٢)،
وعمل الخير ابتغاء وجه الله تعالى، ونفر من الفساد والظلم وهضم الحقوق والتعديات (٢٦٣)،
ونهى عن التعصب والتشردم ومظاهر الصراع الاجتماعي المختلفة في المجتمع (٢٦٤).

كما منع الإسلام مظاهر ((الاستبداد الفردي)) (٢٦٥) على مستوى المتنفذين
في الدولة، مهما اختلفت مكانتهم، ودعا الأمة إلى تحقيق العدل والبر والتكافل والتواصي بالخير
والتواصي بالصبر والإرشاد، ضمن ما يفهم اليوم بأنه المعيار الحقيقي في ((إيجاد الحكم الصالح
(٢٦٦)).

بين الفقهاء في تفسيرهم لقول الله تعالى ((وَيَلُ لِّلْمُطْفِفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا
عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)) (٢٦٧)، معنى حفاظ القرآن على
اقتصاد السوق من خلال اقتصاد الفرد، ووجوب توزيع الثروة وتوزيع مدخولات الدولة بالعدل
(٢٦٨)، وكيف اهتم الإسلام بتنظيم حياة المجتمع في الأمور كافة (٢٦٩) سياسية واجتماعية
واقتصادية وثقافية.

٢٦٢. والتطوع بمعنى التبرع، والتبرع بما لا يلزم الإنسان كالتنفل ونحوه.. وانظر في ذلك: الموسوعة الفقهية / وزارة
الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت / ط ١ / الطبعة الأولى (١٩٨٥ م) / ج ١٢ / ص ١٤٦.

٢٦٣. مجلة العلوم الجنائية والاجتماعية / معهد الدراسات والبحوث الجنائية والاجتماعية - جامعة الرباط الوطني -
الخرطوم / موضوع بعنوان: العولمة والفساد / بابر عبد الله الشيخ / ص ١٠ - ١١.

٢٦٤. في الاقتصاد الإسلامي / ص ٨٥.

٢٦٥. إحياء الفروض الكفائية / ص ٩٤ - ٩٥.

٢٦٦. إحياء الفروض الكفائية / ص ٩٨.

٢٦٧. سورة المطففين / الآيات: ١ - ٣.

٢٦٨. انظر: في الاقتصاد الإسلامي / ص ٥٧ - ٦٢.

٢٦٩. في ظلال القرآن / سيد قطب / دار اعلم للطباعة والنشر - جدة / الطبعة الثانية عشرة (١٩٨٦ م) / المجلد
السادس / ص ٣٨٥٤ - ٣٨٥٥

وقد أمر الله تعالى المسلم بدفع الفساد (٢٧٠) بكل وجوهه وأشكاله، وأن الفساد هو خلل يصيب الأمة في رديها، وينحط بها عن مكانتها السامقة الرفيعة التي يجب أن تكون بها؛ لما فيها من القيم الموجودة للسيادة: ((وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ)) (٢٧١).

وقوله عز وجل: ((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ)) (٢٧٢)، وقوله أيضاً في بيان حال هؤلاء: ((وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا)) (٢٧٣)، فالفساد الذي يعني إلحاق الضرر، والجذب والقحط، والتلف والخلل بأنواعه (٢٧٤) مرفوض، ويجب أن يجارب.

فهتمت الأمة المسلمة مراد الرسالة الإسلامية العامة، وانطلقت في برامج التنفيذ التي تحقق المقاصد الشرعية العامة في حفظ كيان الإنسان وعرضه وماله ودينه ونسله، حتى باتت هذه المشروعات الخيرة متعارفاً عليها في الدولة الإسلامية في مهد نشوئها، حتى قال الشيخ علي الطنطاوي مبيناً هذه الحقيقة:

والخدمات العامة، والضمان الاجتماعي، ورعاية الدولة للعاجز والمقعذ والأعمى، كانت على أيام الوليد بن عبد الملك شاملة للجميع، بل لقد جعل عمر بن الخطاب من قبل: رواتب " عطاء " لأفراد الأمة جميعاً (٢٧٥)

٢٧٠. والفساد اصطلاحاً في عرف القانونيين هو: ((عدم المشروعية، أو الخروج على القانون، أو خرقه لتحقيق كسب خاص - مادي أو معنوي - على حساب الآخرين))، وانظر في ذلك: مجلة العلوم الجنائية والاجتماعية / معهد الدراسات والبحوث الجنائية والاجتماعية - جامعة الرباط الوطني - الخرطوم / موضوع بعنوان: العولمة والفساد / بابكر عبد الله الشيخ / ص ١٤ .

٢٧١. سورة البقرة / الآية: ٢٠٥ .

٢٧٢. سورة الروم / الآية: ٤١ .

٢٧٣. سورة المائدة / الآية: ٣٣ .

٢٧٤. مجلة العلوم الجنائية والاجتماعية / معهد الدراسات والبحوث الجنائية والاجتماعية - جامعة الرباط الوطني - الخرطوم / موضوع بعنوان: العولمة والفساد / بابكر عبد الله الشيخ / ص ١٤ .

٢٧٥. موقفنا من الحضارة الغربية / علي الطنطاوي / دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة / الطبعة الثانية (٢٠٠٠ م)

/ ص ٥٦ .

وقد سبقهم النبي الحبيب - عليه السلام - بتطبيق هذا الفهم، حتى باتت الفترة النبوية في نظر أهل الاختصاص تسمى ((نظرية النمو الذاتي في المدينة المنورة بعد الإسلام)) (٢٧٦).

لعل هذا التكوين الفكري للمسلمين المراد لهم أن يحملوا عبء التكليف بالصد عن حياض الأمة؛ متناسق بشكل تام مع أصل خلق الإنسان، وسبب خلافته على هذه الأرض، فالإنسان إنما خلق لعبادة الله، وتعبيد الناس لربهم لا لطواغيت الدنيا وزخارفها الزائلة، فقد صرحت آيات القرآن بذلك صراحة في قوله تعالى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)) (٢٧٧) والآيات والشواهد على المراد كثيرة (٢٧٨).

فلا غرو إذاً أن يكون شرعُ الله الخاتم قد تناول أساسيات الحياة ووجوه تنمية الإنسان والكون ومظاهر الحياة بما يجعلها قابلة لمعاش البشر، وبين الشريعة التي لو احتكم إليها الناس لظفروا بالسعادة والهناء، وهو بذلك يسبق الأمم المعاصرة في نشر المفاهيم الحقيقية المتعلقة بالعدل، والمساواة المطلوبة، والحقوق الفردية والعامّة، والمفاهيم التأصيلية والعملية لطبيعة وشكل المجتمع وبنائه القويم، والتي هي أساس الفكر السياسي المعاصر وقوامه (٢٧٩).

ومن عجب فإنك ترى شهيد الأمة سيد قطب يتحدث عن هذه الرؤية بصورته الفنية وأسلوبه الخلاب فيقول في مقدمة الظلال:

-
- ٢٧٦ . مدخل إلى النظرية السياسية في القرآن الكريم / بروفيسور زكريا بشير إمام / دار هزاب للنشر والتوزيع - الخرطوم / الطبعة الأولى (١٩٩٩ م) / ص ١٢٥ .
- ٢٧٧ . سورة الذاريات / الآية ٥٦ .
- ٢٧٨ . انظر في ذلك: رسالة الإنسان في الحياة ومقتضياتها / د. عبد الستار نوير / دار الثقافة للنشر والتوزيع - الدوحة / الطبعة الأولى (١٩٨٧ م) / ص ٧ وما بعدها .
- ٢٧٩ . انظر في ذلك: المجتمع والسياسة - دراسات نظرية وتطبيقية / د. اسماعيل علي سعد / دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية / ضمن سلسلة علم الاجتماع السياسي - ٣ / الطبعة الأولى (١٩٨٣ م) / ص ١٣ .

... وعشت في ظلال القرآن أنظر من علو إلى الجاهلية تموج في الأرض، وإلى اهتمامات أهلها الصغيرة الهزيلة... (٢٨٠)

فدور المؤمن الذي يحمل هدي السماء أن يرتقي فوق تفاهة الانقياد للعالم المادي، وسفاهة الغارقين في وهم العُجب بالذات، وأن يترجم ما لديه من خير بكل وسيلة وجهد مستطاع..

المسلمون مأمورون بمعرفة منزلتهم ومكانتهم الاجتماعية والدينية في مجتمعهم، و ((الثقة بأن ما معهم هو الخير، وأن دورهم هو أن يطوعوا الآخرين للخير الذي معهم، لا أن يطوعوا الآخرين لأنفسهم، ولا أن يطوعوا أنفسهم للآخرين وما عند الآخرين !!)) (٢٨١).

من هنا، اختار الباحث أن ينفذ إلى التأصيل النظري للحل في وجوه العمل المدني النافع، وما يشيع في هذه الأيام من مصطلحاته المختلفة، انطلاقاً من تأصيل فقهي تدريجي يصل القارئ من خلاله إلى ضرورة ولوج هذا الميدان لتحقيق الخير للفرد والمجتمع على حد سواء.

الحل والحرمة التي ينطلق منها كل مسلم في تصرفاته القولية والعملية تأتي من واقع الشيء المطلوب استصدار الحكم بشأنه، والواقع هنا، هو نقابات ومؤسسات وهيئات المجتمع المدني، التي تعمل بالطريقة والأسلوب والمنهج القائم في الغرب والشرق على حد سواء، فهل يحل للمسلم أن يخوض هذا العمل؟

يظن الباحث بأن التمهيد السابق قد أجاب عن فحوى السؤال، ولكن الإجابة الدقيقة تتعلق بكون الشيء المطلوب فهم حكمه وعاءً يصلح أن يوضع فيه الماء ويصلح أن

٢٨٠. في ظلال القرآن / للأستاذ الشهيد سيد قطب / دار الشروق للطباعة والنشر / طبعة عام (١٩٧٣ م) / المجلد الأول - الجزء الرابع / ص ٥٠٧.

٢٨١. المسؤولية الاجتماعية في الإسلام / ضمن سلسلة منشورات: " الحياة في رحاب الإيمان كما يصورها الكتاب والسنة " / د. سعد المرصفي / مكتبة المعلا للنشر والتوزيع - الكويت / الطبعة الأولى: (١٩٨٨ م) / ص ٥٥.

يوضع فيه الخمر (٢٨٢)، بمعنى، أن منظمات العمل غير الحكومي هي مسميات وأجسام تمثيلية، قد تستخدم في العمل الصالح البناء؛ فيكون حكمها الجواز، وقد تستخدم في الهدم والتدمير بمستوياته وأشكاله؛ فيكون حكمها الحرمة.

وفي واقع يسوده الظلم من الدول الاستعمارية الكبرى، وتتحكم فيه النظريات المادية ونظريات المصالح في سياسات الحكم، والسياسات الداخلية داخل المجتمعات، فإن الحكم لا بد ان يكون تأصيلياً معتمداً على الشواهد والنصوص، وهذه سأذكرها في المطلب التالي، ولكن التأصيل مرتبط بالفهم الحقيقي للواقع، ولطبيعة الرسالة السماوية، ولدور المسلم في الحياة، حتى ترتبط هذه بتلك، وتشكل أرضية صالحة للحكم على الشيء المراد.

الرسالة السماوية الخاتمة قد جمعت الخيرات في نفوس المؤمنين، وحملتهم أمانة إشاعة الخير في الوجود، وصيانة النفس والبيئة والمجتمع، ودعم كل ما هو خير، ودفع كل ما هو شر، يقول الدكتور سعد المرصفي في ذلك:

والإيمان بالله قوة دافعة دافقة، تجمع جوانب الكينونة البشرية كلها، وتتجه بها إلى وجهة واحدة، وتطلقها، تستمد من قوة الله، وتعمل لتحقيق مشيئته في خلافة الأرض وعمارتها (٢٨٣)

ومن أولى جوانب العبادة لله وعمارة الارض: تعبيد الناس لرهم، ودفع الظلم عنهم، وعونهم عند الملمات، وتنفيس الكربات، ولعل هذا هو المحور الأساس في العمل الأهلي والمدني المعاصر.

بين أحد العلماء طبيعة هذا التوجه الإسلامي تصريحاً بقوله:

إن إنشاء مؤسسات النصح والنقد، وإقامة النقابات المهنية والحرفية التي تقوم بأمر المراقبة على الأداء، وإحداث وسائل وآليات تحقيق ذلك، وحماية حقوق المهنيين والحرفيين،

٢٨٢. وهذا الحكم ينسحب على الموجودات بطبائعها المختلفة، كوسائل الإعلام المختلفة، ومنظمات الحكومة، وكل ما من شأنه أن يستخدم في الخير والشر.

٢٨٣. المسؤولية الاجتماعية في الإسلام / ص ١٦٤.

وممارسة دورهم في عمليات النصح والإرشاد، وإيجاد قنوات فاعلة ومؤثرة وذات قدرة ضابطة، تعطي أثراً لآرائها لدى صنّاع القرار، بل تصبح إحدى القنوات المغذية لمؤسسات صنع القرار، أمر مهم، وواجب كفائي، يضمن تكوين واستمرار الحكم الصالح (٢٨٤)
وهذا هو جوهر المجتمع المدني المعاصر.

وفي واقع الأمة المعاصر، وشيوع مصطلح وواقع المجتمع المدني كمفهوم ومدلول، فإن من الواجب تفهم حالة هذا المجتمع التفصيلية، ومقاصده، ومنطلقاته التي وفدت إلى الأمة منها.

فهذا المصطلح الوافد إلى الأمة من المجتمعات الغربية (٢٨٥) جاء نتيجة صراع فكري بين نظريات الغرب والشرق، وكان وليد تراحم الأفكار الإنسانية في مجال صياغة برامج حكم الإنسان للإنسان ضمن المفهوم الديمقراطي المعاصر، وكان خلاصة تجارب عاشتها الشعوب والأمم والحضارات الغربية في طريق بحثها الطويل عن السعادة.

بمعنى آخر؛ لما تطور المجتمع الغربي؛ أفرز هذه الظاهرة، ووفدت إلى الأمم والشعوب العربية من خلال العولمة (٢٨٦)، وما رافقها من تعميم لكثير من القيم والثقافات الغربية - بوصفها صاحبة الباع الطولى في السياس والاقتصاد والإعلام وتقنيات العلم المختلفة - ونتيجة للضعف الإسلامي الذي اعترى الأمة لحين من الزمان (٢٨٧).

٢٨٤. إحياء الفروض الكفائية / ص ١٢٤ - ١٢٥.

٢٨٥. انظر في ذلك: جريدة الصباح - العراق / من خلال موقعها الإلكتروني على الانترنت، مقال بعنوان: ما هو المجتمع المدني، للكاتب: عبد الجبار خضير عباس / منشور بتاريخ: ١ كانون الثاني ٢٠٠٢.

٢٨٦. انظر في ذلك: عولمة عادلة (توفير الفرص للجميع) / اللجنة العالمية المعنية بالبعد الاجتماعي للعولمة / منظمة

العمل الدولية - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ٢٣.

٢٨٧. انظر في ذلك: الأزمة الفكرية المعاصرة / ص ١٣.

وللوقوف على سبيل الوصول، وطريق إتيان هذا المصطلح والمفهوم للمجتمعات الغربية ينبغي فهم دور العولمة الحقيقي لكونها إحدى مكونات المجتمع المدني المعاصر، وفاعلاً هاماً في تطوره وصياغته وقولبته.

((وطبيعة عمل العولمة كما يعرفها جيمس روزناو - عالم السياسة الأمريكي - تشمل ثلاثة أبعاد:

١. يتعلق بنشر المعلومات والبيانات والأفكار حتى تصبح ملكاً مشاعاً لدى جميع الناس.

٢. يتعلق بتذويب الحدود الجغرافية.

٣. يهدف إلى زيادة عملية التشابه والتماثل بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات (((٢٨٨).

من طبيعة وواقع ومفهوم خصائص العولمة (٢٨٩)، والدواعي الفعلية لاختيارها نمطاً سياسياً واقتصادياً وثقافياً غربياً؛ يراد الوصول إلى المجتمعات الفقيرة والنامية من خلاله، برغم خطرهما على العدالة الاجتماعية (٢٩٠)، وتعارضها المباشر في جوانب أساسية من الفكر السياسي الإسلامي (٢٩١)، فإن المجتمع المدني المعاصر - كما كان وليد هذه العولمة - يمكن أن يكون واحداً من وسائل قلب المراد منها باتجاه تعميم الفهم الإسلامي، وإظهار الحقائق

٢٨٨. الإسلام والعالم / أ. د. إسحق أحمد الفرحان / دار الفرقان للنشر والتوزيع - الأردن / الطبعة الأولى (٢٠٠٣ م) / ص ٣١.

٢٨٩. عولمة عادلة (توفير الفرص للجميع) / اللجنة العالمية المعنية بالبعد الاجتماعي للعولمة / منظمة العمل الدولية - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ٢٤.

٢٩٠. عولمة عادلة (توفير الفرص للجميع) / اللجنة العالمية المعنية بالبعد الاجتماعي للعولمة / منظمة العمل الدولية - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ٣٩ - ٤٤.

٢٩١. مدخل إلى النظرية السياسية في القرآن الكريم / بروفيسور زكريا بشير إمام / دار هزابر للنشر والتوزيع - الخرطوم / الطبعة الأولى (١٩٩٩ م) / ص ٦٠ - ٦٢.

الدينية المتعلقة بطبيعة الإسلام في جوانب حقوق الإنسان والتنمية والعدالة الاجتماعية والفكر الناهض.

فالمسلم واثق بقوة ما عنده، وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز أن الغلبة لمن والاه، والعار والضلال على من تنكب صراطه المستقيم، وأن للباطل ودولته ساعة، وأن للحق دولة إلى قيام الساعة، ومهما تغنى الباطل بعدته وماله وتقنياته المعاصرة، فإن كمال السمو الإيماني يأتي من إيمان المؤمن بالنصر في قول الله تعالى: ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ، وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا)) (٢٩٢) صدق الله العظيم.

المطلوب من المؤمن حقيقة هو بدء مشروع إسلامي لقبولية هذه المفاهيم التي وفدت إلى الأمة المسلمة من خلال برمجتها لتتوافق مع الطرح الإسلامي العام، وصياغتها من خلال الخبراء والمختصين في مجالات الخدمة الغنسانية الساعية إلى تحقيق الاستخلاف الحقيقي على الأرض، وإحداث عدالة حقيقية حتى من خلال بعض المفاهيم التي نشأت من الفكر الغربي وفي دياره.

ينبه الدكتور إسماعيل الفاروقي إلى هذه القضية المهمة بقوله:

إننا لا نستطيع أن ننكر وجود مراكز متفرقة في العالم الإسلامي تتسم بقدر أكبر من الاستنارة، ولكنه توجد حاجة ملحة للغاية يفتقر إليها التعليم الإسلامي، وتلك هي: الموارد الإنسانية، إننا حقيقة لدينا مئات الآلاف من حملة الماجستير وحملة الدكتوراة، ولكن القليل منهم يمكن اعتباره من بين هؤلاء الذين لديهم حسن الإدراك بوجود تلك المشكلة المتعلقة بإضفاء الصفة الإسلامية على فروع الدراسة، فإن معظمهم قد مر بعملية تامة من غسل المخ بواسطة الغرب، حتى إنهم أصبحوا أعداء أشداء ضد إضفاء الصفة الإسلامية، أو على أفضل

وجه؛ أصبحوا متفرجين نياماً يتسمون باللامبالاة، بل والتشكك، وانعدام القابلية للتأثر والتأثير
(٢٩٣)

فيذا كان رواد العلم - الذين يعول عليهم في هذا الشأن - غير مباليين، أو متفرجين، فعندها ينقلب المشهد، فمن سيقرع الجرس؟ ومن سيقولب العمل المدني بصبغته البانية؟

إن من أولى الأولويات على النخب السياسية والاجتماعية والمثقفة في العالم الإسلامي اليوم؛ أن تلتفت إلى مشاريع النهضة الإسلامية - والتي منها: العمل في المجتمع المدني - ليستطيعوا مغادرة مربع الشعارات إلى مربع الفعل وإحداث التغيير المنشود، لا أن يتفرغوا لمناقشة قضايا عفى عليها الزمان، وباتت في مقابر التاريخ.

يقول الداعية علي الطنطاوي مبيناً: ((الهجوم على عقيدة التوحيد اليوم عنيف، وخطر، ويأتي ظاهراً وخفياً، تخطط له عقول كبيرة جداً وشريرة جداً، وتؤيده جماعات قوية جداً، وتنفق عليه أموال طائلة جداً، ونحن نترك هؤلاء ونُشغل التلاميذ في درس التوحيد بالرد على المعتزلة والجهمية وأمثالهم، نحارب الأموات، بسلاح الأمس، بالسيف والرمح، ونترك الأعداء الأحياء الذين يقاتلوننا بالصواريخ والقنابل الذرية !!)) (٢٩٤).

فالعلماء مطالبون بصبغ الحياة المعاصرة بالصبغة الإسلامية، كما يقول الأستاذ الدكتور إسماعيل الفاروقي:

لازم وحتمي لجميع الدراسات، سواء كانت تتصل بالفرد أو الجماعة، بالإنسان أو الطبيعة، بالدين أو العلم، أن تعيد تنظيم نفسها تحت لواء مبدأ التوحيد، أي أن الله سبحانه وتعالى موجود، وهو واحد، وهو الخالق، الملك، والوهاب، الرزاق، وهو مسبب الأسباب،

٢٩٣. صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية - ضمن سلسلة رسائل إسلامية المعرفة (٥) / أ. د إسماعيل الفاروقي / الدار العلمية للكتاب الإسلامي - الرياض / والمعهد العالمي للفكر الإسلامي / الطبعة الأولى (١٩٨٩ م) / ص ٣٢ - ٣٣.

٢٩٤. موقفنا من الحضارة الغربية / علي الطنطاوي / دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة / الطبعة الثانية (٢٠٠٠ م) / ص ٥٠-٥١.

وهدف وغاية كل شيء في الوجود، وان جميع المعرفة الموضوعية عن العالم تعد بمثابة معرفة لإرادته، وتدييره، وحكمته، وأن جميع نوايا البشر ونضالاتهم تتقرر بإذنه وأمره، ويجب أن توجه جميعها للالتزام بأمره، أي الالتزام بالنمط الإلهي الذي أوحى به، حتى تجلب السعادة والهناء للبشر (٢٩٥).

من ثم؛ فإن بداية التأصيل الحقيقي للعمل في المجتمع المدني تنطلق من الفهم النظري لطبيعة الرسالة السماوية، ومن الفكر الإسلامي الصافي، والذي يمكن تعريفه بأنه: ذلك الفكر الذي جادت به قرائح الإسلاميين، مستلهمين في ذلك الأصول الربانية الموحى بها من الله عز وجل " القرآن + الحكمة النبوية " ومتفاعلين مع واقع الحياة في دولة المدينة أولاً، ثم في تطور الحضارة الإسلامية في كل بقاع الدولة الإسلامية العظمى التي عمت العالم كله تقريباً، واستمرت في نمو مطرد (٢٩٦).

ومن الفهم لدور أهل العلم والتخصص، والثقة بقدرتهم على قيادة دفعة التوجيه للأمة، فإن من بوادر تحقيق النفع بالعلم والتخصص الذي يحملونه أن يترجموه على أرض الواقع، وأن يحددوا المفاهيم الإسلامية للانطلاق بها في مجالات الحياة المختلفة لتحقيق النفع العام، وتأصيل الخير في البشرية على المستويات الفردية والعامية.

هكذا يتم حوض العمل في المجتمع المدني، قيادة تسبق بالتخطيط والتنظيم والإعداد، وجند تتوثب لنصر مبدئها الذي اختارته واعتزت باعتناقه، تتجرد له، وتخلص في حملة، وتعمل لأجله حتى يظهره الله؛ أو تنفرد دونه الأعناق، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

^{٢٩٥}. صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية - ضمن سلسلة رسائل إسلامية المعرفة (٥) / أ. د إسماعيل الفاروقي / الدار العلمية للكتاب الإسلامي - الرياض / والمعهد العالمي للفكر الإسلامي / الطبعة الأولى (١٩٨٩ م) / ص ٢٥.

^{٢٩٦}. مدخل إلى النظرية السياسية في القرآن الكريم / بروفيسور زكريا بشير إمام / دار هزابر للنشر والتوزيع - الخرطوم / الطبعة الأولى (١٩٩٩ م) / ص ٦٠.

يختتم الباحث بالرد على من يحاول إثارة الشبهة القديمة المتجددة، بكون الإسلام الذي سطع نوره قبل أكثر من أربعة عشر قرناً لا يمكنه أن يتساقق مع متطلبات العصر الحديث، ولا يمكنه أن يجاري النمو الحاصل في المجتمعات الغربية في مجالات العمل المدني والأهلي، ومحاولين إشاعة مفهوم خاطئ عن الدين الإسلامي العظيم، بكونه ولد من رحم العمل القبلي والعشائري، ومن واقع الفهم الإقليمي في العمل العام.

لكن هناك من أظهر المعارضة على من قال بأن الإسلام قام على النظام القبلي، وأنه لا يوجد في النظام الإسلامي عمل مجتمعي، أو فهم مؤسسي يستوعب توزيع الأدوار والاهتمامات (٢٩٧).

يقول الدكتور التجاني حامد داعماً:

فالتنظيم الاجتماعي الإسلامي التأسيسي - مع اهتمامه الشديد بوحدة النسب - إلا أنه ليس تنظيمًا عرقيًا عشائريًا، كما أنه ليس تنظيمًا إقليميًا قومياً خالصاً، بالرغم من اهتمامه بالحوار وبالإقليم، وإنما هو تنظيم مدني، يركز على التوجيه القيمي المشترك؛ الذي يضم خصوصيات عرقية متنوعة، ولكنه يتجاوزهما لينفتح في الأمة الإنسانية، كما يتجاوزهما لينفتح جغرافياً في المدينة والإقليم وفي الكون الواسع (٢٩٨).

فالإسلام كدين، ينظم شؤون الفرد والمجتمع، ويستوعب من التفاصيل ما لا يسعه تنظيم ديني أو بشري آخر، وإن كان من مستلزمات الإيمان أن يؤمن الفرد بأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، فإن التطبيق العملي لهذه الحقيقة من خلال حكم الإسلام الفعلي؛ الذي حقق ما لم تحققه كل الحضارات البشرية الأخرى مجتمعة؛ يدل على صلاحيته المطلقة للحكم والسيادة على كل المستويات، وعلى قدرته على التعامل مع المتغيرات والمستجدات من

^{٢٩٧}. انظر في ذلك: المفهوم القرآني والتنظيم المدني / دراسة في أصول النظام الاجتماعي / د. التجاني عبد القادر حامد / إصدارات هيئة الأعمال الفكرية / ضمن سلسلة " كراسات فكرية (٣) " / الطبعة الثانية (٢٠٠٥ م) / ص ٤٦-٤٧.

^{٢٩٨}. المفهوم القرآني والتنظيم المدني / دراسة في أصول النظام الاجتماعي / د. التجاني عبد القادر حامد / إصدارات هيئة الأعمال الفكرية / ضمن سلسلة " كراسات فكرية (٣) " / الطبعة الثانية (٢٠٠٥ م) / ص ٤١.

خلال نصوص القرآن، وما صح عن الحبيب العدنان، وما اجتمعت عليه الأمة، واجتهد في حكمه أهل العلم النقي والفهم والبيان.

المطلب الثاني

الأدلة الشرعية على جواز العمل من خلال مضمون المجتمع المدني

مع أن الباحث يميل إلى وجوب الدخول الفعال في مجال العمل المدني؛ بوصفه وسيلة لتحقيق جملة من المقاصد الشرعية التي حض الإسلام على صيانتها، فإنه سيكتفي بذكر الأدلة التي تبين جواز العمل في مجال المجتمع المدني، من خلال النقابات والهيئات والمؤسسات المختلفة، وذلك ببيان النصوص والأدلة والشواهد الآتية:

الأدلة من كتاب الله تعالى:

الآيات القرآنية التي وردت في الحض على العمل في مجال العمل الجماعي العام كثيرة ومتنوعة الاتجاهات، ومنها:

١. أمر الله تعالى للأمة أن تتمسك بالجماعة، وأن تتجه للراقي بمجموعها، لا بوصفها أفراداً يجمعهم وطن أو قومية أو اتجاه، وهذا معناه أن تعمل الأمة المسلمة من خلال التجمع والترابط، وبعقلية الجموع، الذي يعتبر اللبنة الأساسية في تأسيس النقابات والهيئات والحركات الاجتماعية المعاصرة.

من ذلك: قول الله عز وجل في آيتين متتاليتين من كتابه العزيز: ((واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)) (٢٩٩) والخطاب بضرورة الاعتصام جاء مقروناً بوأو الجماعة، بمعنى ان الأمة مطالبة بالتوحد والتلاقي على عمل الخير والتمسك بحبل الله، وقوله عز

٢٩٩. سورة آل عمران / الآية: ١٠٣.

وجل: ((وَتَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ)) (٣٠٠) والأمة هي الجماعة، والآية دليل واضح على مشروعية - بل ووجوب - العمل الجماعي لوجود لام الأمر في بدايتها.

٢. الأمر الإلهي للأمة المسلمة بإعداد كل ما من شأنه أن يحقق لها القوة، في شؤونها العامة والخاصة.

قال تعالى: ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ)) (٣٠١)، والأمر الوارد في الآية بالإعداد يشمل الإعداد الفردي، والإعداد بالجيش، والإعداد بالسلاح، والإعداد بالقوة الفكرية والعقائدية، والسيف والقلم، والمنشأة والمؤسسة.

القوة المقصودة في الآية - كما أشار المفسرون - تشمل كل ما يتقوى به في الحرب (٣٠٢).

يقول الإمام الشهيد حسن البنا - رحمه الله - في إحدى رسائله إلى الدعوة: ((ماذا تريد من إنسان يتبع هذا الدين إلا أن يكون قوياً في كل شيء، شعاره: القوة في كل شيء)) (٣٠٣)، وهذا من الحكمة الفائقة، فإن النفوس تألف القوة، وخطاب القوي مقدم في أذهان الناس على من يتكفف الناس بخطاب ركيك ضعيف، والفعل المؤسسي المنظم المؤثر يترك دلالاته على النفوس وفيها؛ بشكل يفوق ما يتركه غيره من الأفعال المبتورة، أو النشاطات الفردية المتناثرة.

٣٠٠. سورة آل عمران / الآية: ١٠٤.

٣٠١. سورة الأنفال / الآية: ٦٠.

٣٠٢. انظر في ذلك: تفسير البيضاوي / ج ٣ / ص ١١٨.. وكذلك: تفسير الجلالين / ج ١ / ص ٢٣٧.

٣٠٣. مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا / مجموعة من الرسائل للشهيد حسن البنا / المؤسسة الإسلامية -

بيروت / د. ط / رسالة المؤتمر الخامس / ص ١٦٩.

٣. الأوامر الإلهية بوجوب تبليغ دعوة الله للناس، وإيصال الفهم الإسلامي إليهم بشتى الوسائل والأساليب، والتي من بينها ما يستجد على الأمة، كوسائل الإعلام المعاصرة، ومنظمات المجتمع المدني بمنابرها المختلفة.

من ذلك: امتداح الله تعالى فعلَ النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - عندما قام بما هو واجب عليه؛ بدعوة الناس وتعليمهم أحكام الشرع وتكاليف السماء، وتبليغهم الحلال والحرام، فقد قال تعالى: ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)) (٣٠٤).

ومنها كذلك: قول الله تعالى: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)) (٣٠٥)، والدعوة مفتوحة من حيث الوسائل لتحقيق المراد منها، وهو تبليغ الناس فكرة السماء، بالوعظ الحسن، والحكمة في القول والإعداد والتأثير باللسان والعمل بكل مجالاته.

فالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة تتم بالتواصل الفردي، كما تتم من خلال النشریات والكتب والمطبوعات والدوريات التي تصدر عن منظمات المجتمع المدني، والمراكز الثقافية، وإصدارات الاتحادات والنقابات ونحوها، بل إن شرائح التواصل، مع ما يصاحبها من النفوذ لأصحاب السبق في العمل المدني قد تزيد من حجم الأثر المترتب على الدعوة إلى الله من خلالها.

٤. الطلب الإلهي المتكرر بإشاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضرورة الاحتساب قربة لله تعالى، ومن المعروف: إقامة العدل، والأمن الاجتماعي، وحق التعبير عن الرأي بما لا يمس العقيدة، والتنمية، والارتقاء الاقتصادي والخبراتي والعلمي والتأهيلي، وهي من أساسيات مطالب المجتمع المدني.

٣٠٤. سورة الجمعة / الآية: ٢.

٣٠٥. سورة النحل / الآية: ١٢٥.

قال تعالى: ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) (٣٠٦)، فربط الله تعالى بين خيرية الأمة وتمسكها بالدعوة إلى تطبيق شرع الله، وإشاعة المعروف بكل صورته، ومحاربة المنكر بكل أشكاله.

يقول الزرعي في حادي الأرواح: ((وجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قرينتين، وأدخل بينهما الواو؛ إعلماً بأن أحدهما لا يكفي حتى يكون مع الآخر)) (٣٠٧) وهذه الصيغة المقترنة واردة في غير موضع من كتاب الله.

من ذلك أيضاً: قول الله تعالى: ((وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (٣٠٨)، يقول البيضاوي في تفسيره لهذه الآية: ((من للتبعيض، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية، ولأنه لا يصلح له كل أحد، إذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الأمة، كالعلم بالأحكام، ومراتب الاحتساب وكيفية إقامتها، والتمكن من القيام بها، وأولئك هم المفلحون: المخصوصون بكمال الفلاح)) (٣٠٩) .

ومن تمام الفهم لهذا الواجب الإسلامي ما دلّ عليه صاحب شرح كتاب التوحيد حين قال: ((والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أبواب الجهاد، ولا يقوم الدين إلا به)) (٣١٠) .

٣٠٦ . سورة آل عمران / الآية: ١١٠ .

٣٠٧ . حادي الأرواح / ج ١ / ص ٥٩ بتصرف يسير يقتضيه النص .

٣٠٨ . سورة آل عمران / الآية: ١٠٤ .

٣٠٩ . تفسير البيضاوي / ج ٢ / ص ٧٥ .

٣١٠ . شرح كتاب التوحيد / سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب / (ت ١٢٣٣ هـ) / دون ذكر

الطبعة / مكتبة الرياض الحديثة - الرياض / ج ١ / ص ٦٤٨ .

وفي معرض بيانه لهذا الواجب يقول الأستاذ الدكتور إسحق الفرحان: ((إن الدعوة إلى الله تعالى هدف إسلامي استراتيجي، ولا يقتصر هذا الواجب على علماء الدين فقط، وإنما هو واجب كل مسلم، مهما كان اختصاصه ومهنته ومستوى ثقافته)) (٣١١).

٥. الأمر الإلهي الصريح بوجوب مقارعة الأعداء، والتصدي لؤامرائهم ومكائدهم ضد الأمة المسلمة، ورد الباطل بالحق، ودفع الشر والمفسدة عن الفرد والمجموع، والانتصار للمظلوم، وردع المعتدي، ويدخل في ذلك أمره بجهاد الكفار في مجالات قتالهم للمؤمنين بالسيف والفكر وطرائق العمل، ودرء الخطر الناجم عن هذه الجوانب من الاستهداف المعادي، والعمل النقابي والمؤسسي وجه من وجوه الجهاد.

فقد أمر تعالى نبيه بتحريض الأمة على الجهاد فقال عز وجل: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مَائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ)) (٣١٢)، وكرر هذه الدعوة في آية أخرى مبيناً فوائد دفع شر العدو ومكائده فقال عز وجل: ((وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا)) (٣١٣).

هاتان الآيتان تفيدان ضرورة أن يقوم في الأمة جهد تعبوي لدفع العدو بكل وسائله، والانتصار للحق بكل الوسائل، من خلال الاعتماد على الحق الإلهي في مواجهة الباطل النفعي، لا سيما إذا تم الربط بين دالتيهما.

بين الله تعالى أيضاً واجب الأمة في قتال المشركين والذود عن العقيدة والحمى كجماعة موحدة، وكقوة جماعية بعيدة عن التنافر والتضارب في الأهداف بقوله عز وجل: ((

٣١١. الإسلام والعالم / أ. د. إسحق أحمد الفرحان / دار الفرقان للنشر والتوزيع - الأردن / الطبعة الأولى)

٢٠٠٣ م / ص ٤٢.

٣١٢. سورة الانفال / الآية: ٦٥.

٣١٣. سورة النساء: الآية: ٨٤.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (((٣١٤).

وفي بيان إلهي لكيفية المواجهة وطبيعتها، ووجوب مقارعة الطغاة والفاستدين
والمجرمين يقول تعالى: ((بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ)) (٣١٥)،
وطلب من المسلمين أن يكون شعارهم الحق والعدل في هذه المواجهة فقال عز وجل: ((قُلْ
جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)) (٣١٦)

وجوه الجهاد ليست محصورة بالسيف، وليست محصورة في أرض
المعركة، بل إن كل ما يغيظ الكفار هو جهاد، قال تعالى: ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ
ظَمًا وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ
مِنَ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)) (٣١٧)

قوة الأمة وثورتها في السعي لاستعادة المجد التليد من الإعداد، ومن أكثر وسائل
إغاشة العدو الذي أنفق مالا لا يحصى في سبيل حرف الأمة وتهجينها وترويضها على الفتن
والمغريات، فقد جعلها الدكتور محمد الشريف من المبشرات، ومن أكثر وسائل إغاشة العدو
فقال: ((الرغبة العارمة لدى ملايين الشباب والشابات في عمل شيء لرفع الذل عن الأمة،
ورفعها إلى سدة السيادة العالمية من جديد، وهذا الأمر أكثر ما يزعج أعداء الإسلام ويخيفهم
(((٣١٨).

٣١٤. سورة الانفال / الآيتين: ٤٥ - ٤٦.

٣١٥. سورة الأنبياء / الآية: ١٨.

٣١٦. سورة الإسراء / الآية: ٨١.

٣١٧. سورة التوبة / الآية: ١٢٠.

٣١٨. الأمن النفسي - ضمن سلسلة: معالم على طريق الصحوة (٣٠) / د. محمد موسى الشريف / دار الأندلس

الخضراء للنشر - جدة / الطبعة الثانية (٢٠٠٣ م) / ص ٨١.

كل ما يقوي شوكة الأمة المسلمة جهاد، وكل ما يرتقي بالإنسان لتحقيق
غايات الله من خلقه هو جهاد، فالجهاد في المفهوم الإسلامي مصطلح يسع وجوه بذل الوسع
في تحقيق الخير والانتصار للقيم الصالحة بكل الوسائل، قال تعالى: ((وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً
كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)) (٣١٩).

حسب المستبصر آيات الله ونواميسه قول الله تبارك وتعالى: ((انْفِرُوا خِفَافًا
وَتِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)) (٣٢٠) فالنفيير في الأمة لا بد وأن يكون
شاملاً، رجالاً وركباناً، بالعلم والثقافة والعمل، وإن خشى البعض من مكالره الامر وتبعاته
فقد قال لهم الله عز وجل: ((كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا
وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ)) (٣٢١)

فالجهاد ومقارعة الباطل تجارة رابحة، وأجر ومغنم لمن يتبصر في النصوص، يقول
الله عز وجل: ((يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون))
(٣٢٢).

وفضّل الله تعالى الثلة المثابرة التي تتقدم صفوف العمل، تجاهد وتكافح عن الإسلام
بمالها وجهودها وأرواحها، ففي غمرة الحرب المحتدمة بين معسكر الإيمان ومعسكر الطاغوت
والشيطان لا بد لمن لا يتساوون في نظر الله مع غيرهم، الذين قال الله تعالى فيهم: ((لا يَسْتَوِي
الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ)) (

٣١٩ .سورة التوبة / الآية: ٣٦ .

٣٢٠ .سورة التوبة / الآية: ٤١ .

٣٢١ .سورة البقرة / الآية: ٢١٦ .

٣٢٢ .سورة الصف / الآيتين: ١٠ - ١١ .

٣٢٣) ، أن يشمروا عن سواعدهم ويستأسدوا في العطاء، حتى يسودوا كما ساد أجدادهم الصيّد الميامين في كل ميدان.

يقول الإمام محمد أبو زهرة: ((وإن الجماعة كلها تكون آثمة إذا رأت الشر يسير رافعاً رأسه وتسكت عنه، وإن الجماعة تكون شريرة إذا كان الشر يسير في طريقه ولا يوجد من ينكره)) (٣٢٤).

وباعتبار أن الفعل المؤسسي المدني الإسلامي موجه لحماية الصف والذود عن الحمى، فإن من أولى الواجبات فيه أن يلتزم الإنسان فيه أقوى الجهات، وأشدّها ضرراً على المسلمين، ولا يعفى القائمون على العمل الإسلامي اليوم إن قصرُوا في مواجهة المحتل مؤسساتياً، وبهذا صرح العملاء من غير نكير.

جاء في أقوال الفقهاء: ((والمطلوب على جهة الوجوب أن يكون الجهاد في أهم جهة إذا كان العدو من جهات، وكان ضرره في بعضها أكثر من ضرره في غيرها فإن أرسل الإمام لغير الأهم أثم)) (٣٢٥).

٦. عموم النصوص الدالة على جواز الاستفادة مما عند الآخرين، فالله تعالى يقول: ((وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)) (٣٢٦)، فقد كانت وسائل المواصلات المعروفة في الزمن القديم هي الحيوانات التي أشير إليها في الآية، وبعد

٣٢٣. سورة النساء / الآية: ٩٥.

٣٢٤. في المجتمع الإسلامي / محمد أبو زهرة / دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع / (ط -) / ص ٧ - ٨.

٣٢٥. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير / شمس الدين محمد عرفة الدسوقي / دار إحياء الكتب العربية - عيسى الحلبي وأولاده / مصر / (ط -) / ج ٢ / ص ١٧٣... وانظر كذلك: الشرح الكبير / لأبي البركات أحمد الدردير / دار إحياء الكتب العربية / مصر / ج ٢ / ص ١٧٣.

٣٢٦. سورة النحل / الآية: ٨.

استحداث أنظمة المواصلات الحديثة، جاز للمسلم استخدام السيارات والحافلات والطائرات ونحوها، وأمر بأن يتخذها وسائل للخير.

يقول الأستاذ الدكتور حسين مطاوع الترتوري: ((وإذا لم نأخذ بزمام المبادرة بالاستفادة من هذا الانفتاح بتحسين الناس مما يثار من أفكار تؤثر عليهم، واستثماره في التأثير في الآخرين إيجاباً، وإيصال فكرة الإسلام النقية للناس، وإسعادهم به، وإخراجهم من ظلمات الجهل والمعصية إلى نور العلم والإيمان بالله وطاعته، فإن الطرف الآخر وهم حزب الشيطان، ماضون في طريقهم لا يتوقفون)) (٣٢٧).

٧. الآيات الدالة على وجوب الإنفاق من المال في سبيل الله، ودعم كل ما من شأنه أن يدفع صولة الباطل، وضرورة توظيف المال في الصالح العام، وتعزيز قدرة المجتمع على بناء ذاته من خلال مساهمات أفرادها في تكفل احتياجات المعوزين.

فالجهد بالمال من أجل نصره الإسلام ومشاريع الإسلام باب عظيم من الأجر، والتزام بالأمر الإلهي المباشر الوارد في أكثر من موضع في كتاب الله تعالى.

قال عز وجل: ((هَآأَنْتُمْ هَؤْلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)) (٣٢٨)، وقال تعالى أيضاً: ((وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) (٣٢٩)، فالجزاء بنص الآية لمن يفعل هذا اللون من ألوان الخير والبر بأحسن العمل، ترغيباً من الله تعالى لعباده بولوج هذا الميدان بكثافة وعزيمة.

٣٢٧. من الكلمة المطبوعة لوزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الفلسطينية، الأستاذ الدكتور حسين مطاوع الترتوري، بعنوان: وسائل تطوير الدعوة والوعظ بما يتلاءم مع روح العصر / ص ٣.

٣٢٨. سورة محمد / الآية: ٣٨.

٣٢٩. سورة التوبة / الآية ١٢١.

قد يكون لبعض المقصرين تجاه الواجبات الإلهية فضل وسبق في الأجر والثواب؛ إذا ما قدموا للخير والبر أشكالاً تعين عليه، وبذلوا المعروف في حالات الضيق والحاجة إليه، فهم بذلك يدخلون من بوابات الأجر الكبير، ويسبقون به المقلين من العطاء المكثرين من العبادة (٣٣٠) .

ومن الآيات التي تحض المؤمن على الإنفاق في وجوه الخير - والدعوة إلى الله من خلال المنظمات المدنية بكل وجوهها منها - كثيرة، منها قول الله تعالى: ((مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) (٣٣١) وقوله تعالى: ((مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)) (٣٣٢) .

٨. الآيات التي تدل على وجوب تغطية احتياجات الفقراء والمحتاجين ورفادة أبناء السبيل، وتعزيز أواصر المجتمع، والرقي العلمي والثقافي والمعرفي، والتي تحض على تطوير الذات وتنمية الموارد البشرية والمادية.

ففي عموم التسابق إلى الخير والإحسان والبر قال تعالى: ((سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)) (٣٣٣)، وميَّزَ السباقين إلى الخير، والسابقين إلى تغطية وجوه النفع بقوله تعالى: ((وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ *)) (٣٣٤) .

٣٣٠. انظر في ذلك: حادي الأرواح / لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ايوب الزرعي (ت ٧٥١ هـ) / دار الكتب

العلمية - بيروت / ط - / ج ١ / ص ٨١ .

٣٣١. سورة البقرة / الآية: ٢٦١ .

٣٣٢. سورة البقرة / الآية: ٢٤٥ .

٣٣٣. سورة الحديد / الآية: ٢١ .

٣٣٤. سورة الواقعة / الآيات: ١٠ - ١٢ .

وفي وجوب دعم الفقراء، والمحتاجين، ورعاية المعوزين والحالات الخاصة التي تحتاج إلى عون (٣٣٥)، كما يقر بذلك المجتمع المدني بمنظوماته المختلفة يقول الله عز وجل: ((إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)) (٣٣٦).

فالصدقات أعم من الزكاة، وقد تم توجيه المسلم المزكي والمتصدق إلى كفالة ورعاية هذه الاتجاهات المحتاجة ودعمها، وهي مصارف الزكاة المعترية.

من الملفت للنظر في الآية: أن الله تبارك وتعالى قد خصّ فئات اجتماعية بعينها في هذه الزكاة والصدقات، ولكنه أتبعها بقوله تعالى ((وفي سبيل الله)) وهي دلالة على أن كل ما يكون في سبيل الله، وإعلاء كلمة الله هو من أبواب الدعم التي يجوز التصديق بها، ودفع الزكاة إليها.

يكفي أن الله تعالى قد ربط بين تجاوز الإنسان للعقبة ابتغاء وجه الله وبين أدائه الواجبات الاجتماعية المترتبة عليه تجاه عناصر المجتمع الآخرين، وقدمه من العقبة التي هي الطريق الشديد على النفس (٣٣٧)، أن يقوم بأداء دور إيجابي تنموي تجاه بعض الفئات التي يسعى المجتمع المدني اليوم إلى صيانتها والدفاع عنها، كالأيتام، والفقراء، والرعاية الاجتماعية.

قال تعالى: ((فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ)) (٣٣٨)، والمسكين ذي المتربة الوارد في الآية هو ما يطلق عليه في المصطلحات الحديثة المستخدمة من منظري العمل المدني

^{٣٣٥}. انظر في ذلك: نشرة مطبوعة بعنوان: المعاشات والتأمينات الاجتماعية مقارنة بالتكافل الإسلامي / ضمن

ملفات: مؤتمر الحوار النقابي (٣١ / ٧ - ٤ / ١٩٩٠م / إعداد: عثمان عبد الهادي إبراهيم / ص ٢ - ٨.

^{٣٣٦}. سورة التوبة / الآية: ٦٠.

^{٣٣٧}. تفسير البيضاوي / ج ٥ / ص ٤٩٣.

^{٣٣٨}. سورة البلد / الآيات: ١١ - ١٦.

باسم " الفئات المسحوقة " والفقير الوارد في الآيات القرآنية هو " محدود الدخل " فاي مقارنة تلك بين المصطلحات والمفاهيم !

وفي ضرورة بناء الذات، واعتماد التنمية البشرية، والرقمي الحضاري المبني على العلم التخصصي؛ وردت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تفيد أكثر مما يسعى المجتمع المدني المعاصر بالوصول إليه، فالقرآن طلب من المسلم أن يبلغ بعلمه وتبصره في الحياة ونواميس الكون كل ما ينفع الكون والبيئة والإنسان والحياة.

من ذلك: قول الله تعالى: ((اقرأ باسم ربك الذي خلق)) (٣٣٩)، وطلب المسلم بالرفعة في العلم مميزاً - سبحانه - بين من يعلم ومن لا يعلم فقال: ((قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)) (٣٤٠)

وطلب الله الاستزادة في العلوم والمعارف، في علوم الدين والدنيا، وفيما به نفع وتخصص ينعكس على البشرية رخاء وسعادة؛ فقال عز وجل: ((وقل رب زدني علماً)) (٣٤١)، وبيّن شرف المعلمين والعلماء فقال تعالى: ((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)) (٣٤٢) .

فالمسلم مأمور بالعلم الإداري، والعلم التنموي، والقدرات المميزة في الجانب الاقتصادي، والكفاءة النظرية والعملية في الجانب التربوي والاجتماعي، والإبداع في الاتجاه التطويري، والرفعة في قضايا التمدن وتوظيفها للخير، والتميز في عالم الذرات والعلوم الكونية لخدمة البشرية بها، فهذا من كمال الفهم الإسلامي للواجبات الإسلامية في العلم والتطور

٣٣٩ . سورة العلق / الآية: ١ .

٣٤٠ . سورة الزمر / الآية: ٩ .

٣٤١ . سورة طه / الآية: ١١٤ .

٣٤٢ . سورة المجادلة / الآية: ١٠ .

والتنمية البشرية والتأهيل، والذي يشمل كل جوانب الحياة، ((قل هل يستوي الأعمى والبصير
أفلا تتفكرون))؟؟ (٣٤٣) .

٣٤٣ . سورة الأنعام / الآية: ٥٠ .

للشاعر العربي حكيمته حين قال:
ففرز بعلم تعش حياً به أبداً الناس موتى وأهل العلم أحياء (٣٤٤).

الأدلة من السنة النبوية المطهرة

ورد في السنة المطهرة كثير من الأحاديث والتوجيهات النبوية التي تفيد بعضاً من جوانب اهتمامات المجتمع المدني المعاصر، وأهل العلم مطالبون بالتبصر بالآيات والنصوص من القرآن والسنة ليحتكموا إليها، ومن هذه التوجيهات والأحاديث النبوية:

ما أصل به النبي عليه السلام في مسألة استقرار النظام السياسي في المجتمع، حيث أكد على ضرورة أن يقوم ولاة الأمر بالأمانة، وأن يحكموا بين الناس بالعدل والقسط، وأن يشيعوا بينهم الأمن على المال والنفس والمتاع، فهذه من الأمانة الملقاة على عاتق ولاة الأمر، وسيسألون عنها أمام الله تعالى.

من ذلك: قوله عليه السلام: " ((ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)) (٣٤٥)، وهي صريحة في ضرورة وقوف الحكام والمتنفذين أمام مسؤولياتهم، والاضطلاع بواجباتهم تجاه المجتمع، وهذا هو أسُّ الاستقرار المدني، والتأسيس لحالة النمو والازدهار، ومنع الفساد، والعمل بأنظمة الحكم الصالح، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم (٣٤٦).

^{٣٤٤}. مما أحفظه من الشعر ولم أقف على قائله.

^{٣٤٥}. رواه البخاري / باب من استرعي رعية فلم ينصح / ج ٦ / ص ٢٦١٤ / حديث رقم [٦٧٣١] ورواه

الإمام مسلم في صحيحه في باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار / ج ١ / ص ١٢٥ / حديث رقم [١٤٢] ..

^{٣٤٦}. أورد الإمام مسلم في صحيحه مجموعة من الأحاديث التي تتناول هذا الجانب في ضبط سلوك الراعي، وفضل

الإمام العادل، وعقوبة الإمام الظالم، وزجر الحكام عن هضم حقوق الرعية ونحوها، وانظر في ذلك: صحيح مسلم

/ ج ٣ / ص ١٤٥٨.

هذا ما فهمه منه - عليه السلام - خليفته الأول أبو بكر - رضي الله عنه -، حيث قعدَ في خطبة استلامه للخلافة أصول النظام السياسي العادل، والحكم الصالح الرشيد بقوله:

أيها الناس: إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، الضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم (٣٤٧).

يستمر المنهج الفكري والتطبيقي في عهد الفاروق من بعد صاحبيه، فقد قال عمر بن الخطاب: ((فإن كمال الإسلام: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتتمام ذلك بالجهاد في سبيل الله)) (٣٤٨).

توارثت الأمة المسلمة هذا الفهم كائناً عن كائناً، لا بوصفه تقليداً وعرفاً، بل بوصفه ديناً يصوغ هوية الأمة، فقد قيل لعبد الملك بن مروان يوماً: من أفضل الناس؟ فقال: من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوة (٣٤٩)، ولا يرى الباحث فهماً للعدل والحكم الصالح أبلغ مما ذكر.

^{٣٤٧}. السيرة النبوية / عبد الملك بن هشام بن ايوب / تحقيق: عبد الرؤوف سعد / الطبعة الأولى (١٤١١ هـ) / دار الجيل - بيروت / ج ٦ / ص ٨٢... وكذلك: تاريخ الأمم والملوك / لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري / دار الكتب العلمية - بيروت / الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ) / ج ٢ / ص ٢٣٨.. أيضاً: البداية والنهاية / لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي / مكتبة المعارف - بيروت / ج ٥ / ص ٢٤٨.

^{٣٤٨}. شرح كتاب التوحيد / سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣ هـ) / دون ذكر الطبعة / مكتبة الرياض الحديثة - الرياض / ج ١ / ص ٩٠.

^{٣٤٩}. تاريخ الخلفاء: عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) / مطبعة السعادة - مصر / الطبعة الأولى (١٩٥٢ م) / تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد / ج ١ / ص ٢١٩.

ومن هدي النبي في التأصيل للنظام السياسي المترن كذلك، قوله عليه الصلاة والسلام: ((**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**)) (٣٥٠)، وبدأ بتعداد المسؤوليات الاجتماعية والسياسية بدءاً بالحاكم ووصولاً إلى الخادم في مال سيده.

أبلغ رسول الله أمته بأن عليها واجباً في النصح لعباد الله رؤساء ومرؤوسين، وتصويب مسارهم بالدليل والإقناع والحجة، بالجهد الفردي والجماعي، فقال عليه السلام: " **الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** " (٣٥١) .

ومن أبواب النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم أن تقوم منظمات المجتمع المدني بمتابعة أداء السلطات الثلاث في الدولة، والتواصل معها لضمان النزاهة والحيادية والعدالة في تطبيقها للعدل، الأمر الذي لو طبق في العالم العربي لم يكن حاله يمثل هذا الحال.

وقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - الأمة أن تعمل على دفع كل مظاهر الشر والمنكر، من خلال كل الوسائل، واستعمل الحبيب محمد - عليه السلام - ألفاظاً عامة تدل على اتساع دائرة المسموح من الوسائل في تحقيق الهدف، وتوجيه المسلمين إلى النظر إلى سمو الهدف ورفعته، والتركيز على تحقيقه والوصول إليه من خلال اختيار الوسائل المشروعة والنافعة وذات التأثير، بحسب الحال والظرف والواقع.

من ذلك: ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم**

٣٥٠. رواه البخاري في صحيحه / باب الجمعة في القرى والمدن / ج ١ / ص ٣٠٤ / حديث رقم [١٥٣]، ورواه مسلم في صحيحه / باب باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم / ج ٣ / ص ١٤٥٩ / حديث رقم: [١٨٢٩] .

٣٥١. رواه البخاري في صحيحه في باب أداء الخمس من الإيمان / ج ١ / ص ٣٠، حديث رقم [٥٦]، ورواه مسلم في صحيحه / باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون / ج ١ / ص ٧٤، حديث رقم [٥٥] ..

يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلمه وذلك أضعف الإيمان)) (٣٥٢)، ويكمل الإمام النووي شرحه لهذا الحديث وما يستفاد منه بقوله: ((لا يستقيم إيمان امرئ؛ ما لم يعلم أن إزالة المنكر فريضة إسلامية مُحَكَّمَةٌ)) (٣٥٣).

وفي باب حث الأمة على اتخاذ الجاهزية لرد الظالمين، وحضهم على النفير في سبيل الله، روى البخاري عن عبد الرحمن بن جبر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول: ((من اغبرت قدماه في سبيل الله، حرّمه الله على النار)) (٣٥٤).

وفي باب الحض على إنفاق المال في نصرة الإسلام والذود عنه عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، روى مسلم في صحيحه عن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة، كلها مخطومة)) (٣٥٥).

إضافة إلى ذلك؛ جاءت القواعد الفقهية العامة لتدفع المسلم إلى إزالة الضرر الواقع عليه وعلى أمته، وأن يرد شر المفاصد المنتشرة بكل جهد وبأي أسلوب يراه محققاً للعدل في ضوء ثوابته، يقول علماء الأمة: إن من أهم القواعد الفقهية: ((

١. الضرر يزال شرعاً.
٢. دفع المضار مقدم على جلب المنافع.
٣. درء المفاصد أولى من جلب المصالح)) (٣٥٦).

٣٥٢. رواه الإمام مسلم في باب إيمان كون النهي عن المنكر من الإيمان / ج ١ / ص ٦٩ / حديث رقم [٤٨] ..

٣٥٣. كتاب الاربعين النووية / لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي / ضبط وشرح وتخريج: د. مصطفى البغا ومحيي الدين مستو / دار العلوم الإنسانية - دمشق / ط - / ص ٩٦ - ٩٧.

٣٥٤. رواه البخاري في صحيحه / باب الرخصة إن لم يحضر الجمعة في المطر / ج ١ / ص ٣٠٨ / حديث رقم [٨٦٥] .

٣٥٥. رواه الإمام مسلم في صحيحه / باب: فضل الجهاد والرباط / ج ٣ / ص ١٥٠٥ / حديث رقم [١٨٩٢] .

٣٥٦. مقاصد الشريعة / أ. د. محمد الزحيلي / دار المكتبي للنشر - دمشق / الطبعة الأولى (١٩٩٨ م) / ص ٤٣ - ٤٤ .

هذه القواعد الشرعية التي اصطلح عليها فقهاء الأمة؛ صريحة في وجوب إزالة الضرر عن المسلم، وسد الأبواب أمام الفتن؛ وإن لبست ثياب المصلحة في بعض وجوهها، أو التبس مفهومها وشكلها عن مضامينها، والمؤمن كيّسُ فطن.

المطلب الثالث:

التأهيل والإعداد النفسي للتوجه المدني

الضعيف العاجز لا يقوى على حمل نفسه للنصر، وهو بالتالي عن حمل غيره أعجز، ولن تفيض الكأس بالماء إذا كانت فارغة وفيها متسع، وإنما يحصل الرشح و(الإزاحة) إذا امتلأت عن بكرة أبيها، فإنها تفيض بعد ذلك إذا ما أضيف فيها السائل.

تختلف تصورات الناس لأي فعل ونتائجه ومواصفاته ومقاييسه؛ تبعاً لتنوع أفكارهم ومشاربهم العقائدية، وتوجهاتهم الذاتية في الحياة، إضافة إلى ميولهم واتجاهاتهم التي تفرق بين شخص وآخر، وتتغير من بيئة إلى أخرى، وهذا الأمر ينطبق على المجتمع المدني، وطبيعة فهمه، والتطبيق الحقيقي له كحالة من التقليد، أو كحالة تأسيسية مبنية على دوافع وتصورات مسبقة، وتفهم شمولي؛ يدفع المرء إلى المضي قدماً في أمور حراكه المجتمعي تحقيقاً لرؤية ورسالة آمن بها.

الأمر لا يرتبط بالمادة، ولا بالتقدم التكنولوجي، أو التوسع في الفن المعماري وزخارف الحياة وترفها، فهذا لم يقدم للغرب الراحة والطمأنينة، ولم يأت لهم بالأمن النفسي، وليس أدل على ذلك من فشل نظام الأسرة في بريطانيا على سبيل المثال، حيث بلغت نسبة الطلاق ٢٥% من حالات الزواج التي تصل إلى ١٥٠ ألف حالة سنوياً (٣٥٧).

لا يختلف الأمر في غيرها من دول العالم الغربي الذي يدعي الرقي والتمدن، فهم يفهمون الرقي على أنه مستوى المعيشة وحالة الرخاء الاقتصادي والتوسع المعماري فناً وأداءً، بينما أثبتت الوقائع ان شعوب هذه الدول المتمدنة الراقية يعيشون في البؤس والشقاء والأمراض النفسية والاجتماعية.

^{٣٥٧}. انظر: من ينتهك حقوق الإنسان / ص ١٨.

نتيجة لذلك؛ زادت نسبة جرائم الاغتصاب، والتمرد، والجنس الثالث، وزواج المثليين في الغرب؛ كأثر للسياسات التربوية والاجتماعية الخاطئة، التي تسهم في نشر الرذيلة والدعارة والفحش (٣٥٨)، وما يتبع ذلك من وهن المجتمع، وترديه على مختلف المستويات والأصعدة.

إذا كانت المسألة بعيدة عن المادة والتقدم التكنولوجي بكل معطياته، فهي مرتبطة بعامل آخر ينبغي التركيز عليه والوقوف على دلالاته، وهذا الأمر - بلا ريب - هو البعد النفسي في العمل، والتأهيل المبدئي الشمولي الذي يؤسس للنهضة في ذات الفرد فينعكس من داخل كيانه الفردي إلى المجتمع.

عند الحديث عن دور منشود للأمة المسلمة في حوض العمل المدني في صورته المؤسساتية والنقابية، وسعيها لتحقيق التنمية والفعل الإيجابي في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والفكرية، فإن أول ما يجب أن يعبأ به الفرد في هذا المجال هو البعد النفسي، والتأهيل الفكري (٣٥٩)، والتأسيس التدريجي الممنهج من أجل تبلور الفكرة في الذات بكل معانيها وضرورتها ومنطلقاتها وآثارها، ليتعرف الإنسان إلى مساره، وينطلق صوب الهدف الذي يؤمن به ويقتنع بوجود تحقيقه.

أول التهيئة النفسية عند المسلم هو الفهم التام لحل العمل في المجال المدني، وقد ذكر الباحث في المطلب السابق الأدلة التي تفيد بحل العمل في المجتمع المدني، بل بوجوده على الأمة المسلمة لتحقيق التنمية والرفعة في أشكالها المتعددة، ثم يلي ذلك إيجاد حالة الاستعداد الذهني عند العاملين في هذا المجال للانطلاق فيه مسلحين بالفهم والدافعية والجاهزية والمنطلقات التعبوية المرتبطة بالقيم الفاضلة.

٣٥٨. انظر: من ينتهك حقوق الإنسان / ص ١٨.

٣٥٩. انظر في ذلك: الأزمة الفكرية المعاصرة / ص ٢٣.

الأمر مرتبط بالطبيعة العقلية الإسلامية بالدرجة الأولى، هذه العقلية التي تنطلق من المنهج التربوي الإسلامي، الذي يربي بجد ذاته عقلية علمية تقود إلى التقدم والحضارة والمدنية، ويرفض كل الرفض أن يؤمن بالخرافات واللاسيبية (٣٦٠)، بل يحاول أن ينمي العقل التجريبي واسع الأفق، ليتماشى مع أجدديات الحياة المعاصرة.

الثمرة المرجوة من هذا الإعداد النفسي: هي بناء قاعدة فكرية ثقافية عند العاملين في حقل العمل الإسلامي، لضمان وجود الأسس الفكرية التي ينبنى عليها أي عمل، والمحصلة لذلك؛ أن تتم قيادة الشعب من خلال النواة المؤمنة الصلبة على نور وبصيرة، وبخطوات واثقة راسخة.

مع الإقرار بوجود خلل فلسفي في منهجية بعض العاملين لدين الله في فهم متطلبات العمل المعاصرة، ووجود حالات من الإحباط بسبب الهزائم النفسية والسلوكية المتراكمة، وتعاضم المهجمة على أهل الإسلام العظيم من قبل قوى الاستعمار العالمي - وعلى رأسها الدولة الصهيونية -، كان لا بد من التدرج في الفهم الفلسفي النفسي لطبيعة العمل وطبيعة الطريق الموصل إليه، ليخطو المسلم فيه خطواته على بينة وبرهان.

يقول الشيخ راشد الغنوشي:

فإذا كان للمشروع الإسلامي من مآزق؛ فهو ما لا يزال المسلم يعانيه مما يمكن وصفه بعسر هضمه للعصر، وصعوبة ولوجه إليه بسبب استمرار هيمنة صور المجتمعات القديمة على الذهنية الإسلامية، على نحو لا يقدر معه هذا الإسلامي أن يتحرر من الأنماط التي سادت؛ ليحاول نحت واستنباط صورة أو صوراً معاصرة للمجتمع الإسلامي، وكأنما تلك الصور القديمة هي جزء لا يتجزأ من الدين، وليست ثمرة لتزاوج بين قيم الإسلام كما فهمت في ضوء مستوى معرفي لذلك العصر وبين الثقافة السائدة في فيه (٣٦١).

٣٦٠. انظر في ذلك: الإسلام والتنمية الاجتماعية / د. محسن عبد الحميد / دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - السعودية / الطبعة الأولى (١٩٨٩ م) / ص ١٣٧ - ١٣٩.

٣٦١. حوار المرحلة مع الشيخ راشد الغنوشي / ياسر الزعاترة / منشورات فلسطين المسلمة - لندن / الطبعة الأولى (١٩٩٦ م) / ص ٤٢ - ٤٣.

إن من أشد العيوب التي لا تقبل - خاصة والأمة الإسلامية تمتلك خبرات وكوادر وطاقات مميزة على مستوى العالم - أن يتحقق فيها العجز عن تمام الإعداد، وحسن الاستعداد للتعامل مع ثقافة العصر التي تعيش أمة الإسلام فيه، وقد قال الشاعر قديماً:

ولم أرَ في عيوب الناس عيباً كنعص القادرين على التمام

هذا معناه وجود القدرة، والإمكانات الأساسية، ويبقى التعويل على من يقرع الجرس، ومن يتحمل مسؤوليته، فهذا هو الدرب، وبكل مشاقه وعقباته فإنه لازم واجب، وليس أمام المسلم العدل الحرمة خيارات أخرى (٣٦٢).

يلزم من هذا الفهم أن يكون البدء من خلال الربط والتزاوج بين المنطلقات للتأصيلية الشرعية، والمبادئ النفسية التي يعبأ بها الفرد لتجاوز العقبات وفهم مسارات النفوس أمامه، حيث إن

لكل نهضة فكرة مركزية وفكرة محفزة، الفكرة المركزية: هي عبارة عن مجموعة المبادئ العامة التي تعتمدها أي دعوة، أو حركة أو تجمع، أو المبدأ الذي تعتنقه الدولة وتنظم حياتها تبعاً لتعاليمه... والأفكار المحفزة، تعالج مشكلة محسوسة بكل مباشر، للمخاطبين بالفعل، وتربط ذلك بشكل أو بآخر بالفكرة المركزية، وتخطب في المدعويين البواعث الداخلية النفسية الدفينة (٣٦٣).

فبداية المسار تكمن في ثقة الإنسان المسلم بذاته، وبأتمته المسلمة التي تتعاقد معه - ولو نفسياً - ليشكل هذا التعاطف الوجداني رابطاً بين المسلم وبين إخوانه في العالم العربي

^{٣٦٢}. انظر: عصرنا - ملامحه وأوضاعه - ضمن سلسلة آفاق حضارية - / د. عبد الكريم بكار/ الدار الشامية للطباعة والنشر - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٩٩ م) / ج ١ / ص ٥٠.

^{٣٦٣}. القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري " قوانين النهضة " - ضمن سلسلة: مشروع النهضة - سلسلة أدوات القادة / د. جاسم محمد سلطان / مؤسسة أم القرى للتوزيع والنشر - مصر / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ١٣.

والإسلامي، يشعر بنبض قلوبهم كلما خطا خطوة في اتجاه تحقيق القيم الصالحة، ويستشعر معاني القرب منهم؛ برغم الحواجز والحدود والسدود.

على هذا، فيجب على علماء الأمة وأهل الحل والعقد فيها أن ينبروا لإيجاد المؤمن المؤهل نفسياً، والمسلح بحب الأمة، وسلامة الصدر نحو البشرية، والحرص على مصالحها العامة، من خلال بناء فعلي لأسس المحبة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبين المسلم وما يحيط به على مستوى الأشخاص والبيئات والموجودات.

من ثم، ينبغي على الدعاة والمصلحين والقيادات المؤتمنة على الأمة أن يقوموا بواجب التعبئة الإيمانية للفرد، هذا الفرد الذي سيتحمل الأمانة، ليكون على اطلاع بطبيعة الأمانات وكيفية حفظها وأداء واجباته تجاه أصحابها، وهو الأمر التأسيسي لسيادة العدل وبناء الحكم الصالح في مستقبل الأيام.

أهم ما يجب أن يشعر به العامل في حقل المجتمع المدني هو تحقق الأمن النفسي له (^{٣٦٤})، فالمجتمع المدني ليس متزهاً، والعمل فيه ليس ترفاً وسياحة، بل هو واجب محفوف بالمكاره والمخاطر، وأمانة ثقيلة تنوء بها الجبال، فالعمل في المجتمع المدني من قبل المسلم يعني نزوله إلى أكبر ميدان يسيطر عليه المجتمع الغربي، ويعتبر أنه ميدانه الخاضع لحكمه المطلق، ولن يسمح للمسلم أن يخوضه متحدياً إياه في معتقداته وطرائق تعامله مع فعالياته وأجسامه التمثيلية هكذا.

فالمجتمع الغربي يعلم علم يقين أن المسلم الصادق المثقف هو أكبر خطر يتهدد مستقبل العالم الغربي وحضارته المحفوفة بالبهرج الخادع، وأن نزول المسلم الثقة إلى هذا الميدان يعني قدرته بشكل كبير على تحقيق التنمية لذاته ولجتمعه، ولأتمته من بعد ذلك.

^{٣٦٤} انظر في ذلك: الأمن النفسي - ضمن سلسلة: معالم على طريق الصحوة (٣٠) / د. محمد موسى الشريف /

دار الأندلس الخضراء للنشر - جدة / الطبعة الثانية (٢٠٠٣ م) / ص ١٠ - ١٢.

الاستعداد النفسي من خلال فهم هذا التركيب الواقعي لطبيعة ونفسيات المجتمع المدني الغربي؛ المسيطر بفعل العولمة على محاور العمل المجتمعي، ومصادر التمويل الكبرى لها عالمياً (٣٦٥)، يمهد الطريق أمام المسلم لفهم ما سيعترضه من عقبات، وسيعطيه الدافعية للعمل بهمة مضاعفة من أجل تبليغ فهمه الإسلامي للمجتمعات الغربية المستحكمة، ثم من خلال أدائه الإيجابي في العمل النقابي والمؤسسي لينقدح في ذهنه الدافع النفسي الذي يفيد بأن: القادر على الفعل؛ معه الدنيا، والعاجز؛ يمشي في الدرب المهجور (٣٦٦).

هنا يظهر بجلاء مفهوم الأمن النفسي، والذي يعني: ((أن تكون النفوس آمنة مطمئنة عند وقوع البلاء أو توقعه، بحيث لا يظهر عليها قلق معيب، أو جزع كثير، ولا اضطراب في الأحوال، أو ترك للأعمال، أو التهويل من شأن المصائب، أو التعظيم لمخططات الأعداء تعظيماً يفضي إلى اليأس والهوان، والإحباط والانزواء)) (٣٦٧).

في الحالة الفلسطينية، فإن العقبات تأخذ الشكل المضاعف، فإضافة إلى القيود التي تحد من توسع الإسلاميين في امتلاك منظمات المجتمع المدني الفاعلة، هناك الجهد الصهيوني المباشر، الذي يقف سداً أمام أي نمو للتيارات الإسلامية في فلسطين، ولا يسمح لها بأن تتجاوز خطوطاً حمراء؛ وضعها للحفاظ على كيانه المصطنع، ودولته الغاصبية.

المعنى، أن المسلم العامل في المجتمع المدني الفلسطيني سيواجه ثلاثة خصوم يحاولون التأثير على نفسيته ليتزوي؛ أو يرضى بالعمل الروتيني الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، ولا يرفع مظلمة، ولا ينتصر لمظلوم، وهؤلاء الخصوم هم:

١. الصهاينة، وهو الوجه القبيح في المخاطر التي تحدق في المسلم المخلص المؤثر، حيث سيحاول العدو جاهداً وأد العزيمة في نفسه، وإحباط معنوياته، ووضع العقبات

٣٦٥. مثل البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي ونحوها.

٣٦٦. كيف تؤثر في الناس - السيكولوجية المبسطة - / دون ذكر المؤلف / منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٨٠ م) / ص ٢٩.

٣٦٧. الأمن النفسي / ص ٩.

والعراقيل في طريق توسعه وتآلقه، وقد قال الله تعالى: ((لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)) (٣٦٨).

٢. السياسات العالمية الغربية القائمة على العمل المدني المرتبط بسياسات التوجه الغربي، والتي ترى في تمدد العمل الإسلامي من خلال التعاضل الحقيقي الذي لمست آثاره في العالم العربي برغم الضغوط خطراً حقيقياً، وجانباً من جوانب الحجر على النظام الغربي بما يحمله النظام الإسلامي من سعة أفق ونضوج في مجالات العطاء المستمدة من رحابة العقل الإسلامي المبني على تفهم من حوله وما حوله.

٣. الاتجاهات الفلسطينية ذات التوجهات المغايرة للفكر الإسلامي، لا سيما التيارات الفكرية العلمانية والماركسية، والتي يعني وجود المسلم القوي في مقابل أدائها النقابي ضرباً حقيقياً لها في مقتل، وما حصل في فلسطين من خلال أداء الحركة الإسلامية وسيطرتها على النقابات الطلابية والمؤسسات الخدمية شاهد ماثل على ما أ طرح، والمسلم إزاء تحدي هؤلاء يجب أن يفتن إلى أن دوره الأول يتمثل في صناعة قراره الذاتي، فإذا صنع قراره القوي سقطت قرارات الآخرين، وعليه أن لا يتصدى لمجاذبات الجدل والمناكفات الحزبية ويتلهى عن دوره، بل إن نجاحه يعتمد على مدى تطبيقه للقاعدة التي تقول: ((تجنب الجدل هو الطريقة الوحيدة للفوز بالجدل)) (٣٦٩).

من هنا، وجب على المسلم أن يعلم أن ((صراع اليهود مع الأمة الإسلامية مبني على الصراع القديم الذي بدأه أجدادهم مع الرسول - صلى الله عليه وسلم -)) (٣٧٠)، وأنه يمثل الامتداد الحقيقي لميراث النبوة في مواجهة أتباع الهوى والضلال، وبذلك يمتلك المسلم مداً هائلاً من المعنويات الدافقة التي يمكن لها إذا أشرفت من صدره أن تنير الكون وما فيه.

٣٦٨. سورة المائدة / الآية: ٨٢.

٣٦٩. كيف تؤثر في الناس - السيكولوجية المبسطة - / دون ذكر المؤلف / منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٨٠ م) / ص ٩٧.

٣٧٠. صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية / ضمن سلسلة دراسات في القضية الفلسطينية من منظور إسلامي / د. محمد عثمان شبير / مكتبة الفلاح - الكويت / الطبعة الثانية (١٩٨٩ م) / ص ١٠٤.

على المسلم الحر الواعي أن يعلم أن كل جيروت الباطل - مهما اختلفت أسماءه ومسمياته - وبنياته المؤسساتي الذي يمتد عمره لسنوات وعقود، وخبرته وتجاربه وممتلكاته البشرية والمادية ما هي إلا شعارات ومظاهر لا تقوى على مواجهة الحقيقة المقرونة بالفعل المنطلق من الحب الحقيقي للبشر، والسعي الجاد لتحقيق النفع لهم، وهذا لا يتوفر إلا للمؤمن، وليكن زاده في مشوار العمل ما قاله العالم الغربي بيتر ريد:

ليس بالضرورة أن الأسماك الكبيرة تلتهم الأسماك الصغيرة، ولكن الأسماك السريعة هي التي تلتهم الأسماك البطيئة (٣٧١)
ليردد في ذاته بيقين وأمل:

وإني وإن كنت الأخيرَ زمانُهُ لآتٍ بما لم تستطعهُ الأوائلُ

القوة المطلوبة في هذا الميدان هي القوة التي تفلح في فهم المعادلة بأبعادها الحقيقية، وقوة الفهم، وقوة التخطيط، وقوة البناء، وقوة الصف، وقوة التخصص، وقوة الفن، وقوة الساعد الملتهب، وقوة العقل الموجه، وقوة العين الراصدة، وقوة التنسيق المقترن بالوقت، فعمل المصلح قوة في قوة، مسيرة مبدؤها (لا إله إلا الله) ووسيلتها القوة المؤسساتية الرادعة، ومنتهاها في أعالي الجنان بمنّ الله وكرمه.

المتفقه في مجال الصراع في كسب المجتمع المدني لا بد أن يحدق في الواقع الذي يعيش فيه، ويترك لعيونه أن تتحول في الميدان لتدرسه بكل جوانبه ومعطياته، وتقرأ في واقعه كل ما يحتاج إليه في مسيرته ليحاربه، ومن ثم؛ فإن الصحوة الإسلامية التي تعتبر القوة الرادعة لمشروع الفساد العارم لا بد وأن تأخذ دورها تحت الشمس، وأن تجد لها موطأ قدم في الصراع، بشكل تجمع فيه الخيوط بيديها من جديد، لتبدأ لعبة الخيارات بكل اقتدار.

٣٧١. القيادة المتميزة - صياغة استراتيجيات التغيير / بيتر ج. ريد / ترجمة: علا أحمد / مجموعة النيل العربية للنشر وتوزيع - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٤٤.

من الأولويات التي يجب التنبه إليها، أن يبدي المسلم اهتمامه الحقيقي بمجتمعه الذي يعيش فيه، وأن يبادلهم الحب بالحب، وأن يغرس فيهم أرقى المشاعر وأصدقها وأوفاهها، ليوجد القاعدة المشتركة في توحيد مستويات الفهم، وتحقيق التواصل الذي يؤهله للرقى بالمجتمع فكرياً وثقافياً، وقد قال الشاعر الروماني الشهير " بوبليوس سيروس " قديماً: ((نحن نعبأ بالذي يعبأ بنا)) (٣٧٢).

من الحكمة أن يتم تبصير الشعب بأن من تسلطوا على رقاب العباد بالقوة والحديد من الزعامات وأوليائهم هم موجودون لضعف الشعب، ولانكساره في مواجهتهم، وضعف الشعب وتراخيه عن لقائهم وتغييرهم، فهو الملام، عليه أن يعمل، وجيل الصحوة الإسلامية هم أول من يدعم هذه الحركة الاجتماعية التغييرية، وهم يسابقون غيرهم إليها بكل الجهد والكفاءة، غير آبهين بالعداء وآلته وعدته، وحادؤهم قول الشاعر:

يا شعب لا تشك الشقا	م	ء ولا تطل فيه نواحك
لو لم تكن بيديك مجـ	م	روحاً لضمدنا جراحك
أنت انتقيت رجال أمرك		وارتقبت بهم صلاحك
فإذا بهم يرخون فو	م	ق خسيس دنياهم وشاحك
أيسيل صدرك من جرا	م	حتهم وتعطيهم سلاحك؟
لهفي عليك أهكذا		تطوي على الذل جناحك؟

وحتى لا يظن ظان أن هناك تعارضاً قد حصل بين طريقة استعراض المادة الأولى من مكر يهود وأعوانهم، ومكائدهم ونفوذهم المؤسساتي الموجه، وبين هذا الكلام الذي أسوقه الآن، فإن وجهة النظر التي أتيناها في هذه المسألة تقضي بأن العدو قد أعلن حالة الاستنفار القصوى في صفوف كوادره ولجانه من أجل نصرة الحرب التي يخوضها، وضرب البنية

٣٧٢.. كيف تؤثر في الناس - السيكولوجية المبسطة - / دون ذكر المؤلف / منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٨٠ م) / ص ٥٤ - ٥٥.

العقائدية والفكرية والثقافية لدى الشعب الفلسطيني الحر الأبي، في أعظم حرب يخوضها الباطل ضد الحق وجنده.

من جانب آخر؛ فإن سقف هذا العمل الإجرامي محدود، وتجتثم في طريقه مجموعة من العوائق والعثرات، والتي تحد من سعة انتشاره، وتحطم يده كلما تطاولت، والحرب التي يخوضها الإسلام ضد خصومه لا يستهان بها برغم ضآلة الجهود، وقلة الإمكانيات، إلا أن عالماً واحداً أشد في الحرب على الشيطان من ألف عابد (٣٧٣)، فما بالك بآلاف المخنثين اللاهثين وراء الشهوات !!

فلسفة التحدي هذه لا تنتصر إن تخلى أهل الإيمان عن تصديقهم الجازم الذي لا تتسلل إليه الريية؛ ولا يعتريه الشك بحقهم وذواتهم، ولم يتفانوا في خدمتها ونصرتها بتجرد المسلم لإسلامه، وينطلقوا انطلاقاً المتوثبين؛ يحملون معهم طهارة الإيمان التي تزلزل عروش الفتن تحت أي سماء وفوق أي أرض، متسلحين بقول القوي الجبار: ((إِنَّمَا ذِكُّمُ الشَّيْطَانِ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (٣٧٤).

هذا السبيل وما سواه وساوس
عظمت عليهم في الجهاد مطالبٌ
ترضي الجبان وتصنع الأعذارا
فاسترخصوها خطبة وشعاراً

لتحقيق النصر؛ لا بد أن يتم الوقوف مع النفس وقفة صادقة، لوضع وترتيب الحاجات، ومعرفة الأولويات، ولتحديد الأهداف والوسائل والطاقات ومصادر الدعم، ولتتم معرفة العدو بأساليبه وكفاءاته وقدراته ومجالات تأثيره، لتعود الآيات تتردد على مسامعنا تعلمنا أن الرجال هم صناع التاريخ، وأهل الحضارة التي شادوها بالأرواح وعبدوا طريقها بالدم القاني

٣٧٣. انظر في ذلك: قضية المنهجية في الفكر الإسلامي / ص ٨.

٣٧٤. سورة آل عمران / الآية: ١٧٥.

(^{٣٧٥})، فما أثنى عليهم الفتن، وما أوهنت الزخارف عزمهم، وما التفتوا إلى فتات الدنيا الزائل، فكانوا رجال خطوب لا رجال مال وطعام وافتتان:
خلق الله للخطوب رجالاً ورجالاً لقصعةٍ وثريدٍ

وفي إطار العمل المقاوم، وفي زمن هو أشبه ما يكون بزمن الأحزاب التي أحاطت المدينة، ها هم اليهود يمعنون في حقدهم وتآليبهم للدول على أمتنا يريدون استئصالها، وها هم الأعداء تكالبوا على الأمة من كل حدب وصوب، ينصرون ربيبتهم " " إسرائيل " " ويجعلون منها مشروعاً استراتيجياً لزعزعة الاستقرار في كل الشرق الأوسط، بل والعالم أجمع.

قريظة هي قريظة، خانوا العهد قديماً فتبعتهم العروش العربية الآثمة حديثاً، فخانوا عهودهم مع الله، ومع أنفسهم، ومع شعوبهم، واستسهلوا طأطأة الرأس، وركعوا لأسيادهم وسجدوا، وسمحوا لهم بالاستفراد بالشعب الفلسطيني الأعزل يسومونه سوء العذاب، في تاريخ قديم من المكر وصور حديثة من الاستسلام (^{٣٧٦})؛ فما أشبه اليوم بالبارحة، وعلى اليد الأخرى؛ ما أشبه الغد بالأمس:

فسنرجع أقوى إيماناً وستشقى بالصدر يهودُ

يقول الأستاذ محمد قطب مشجعاً ومرشداً ومبيناً للواقع:

^{٣٧٥}. وجدت على الساحة الفلسطينية جهود حقيقية لرسم سياسة مؤسساتية مضادة، وكانت لها نجاحات عديدة، ومن الأمثلة الحية على ذلك ما قام به الشيخ الشهيد: أحمد ياسين، عندما بدأ بتأسيس المجمع الإسلامي في غزة، وقام بصناعة وتصدير القيادات الإسلامية خطابة وشعراً، إدارة وسياسة ونشيداً، وقد كتب الباحث نضال عيسى كتاباً قيماً نال عليه شهادة الدكتوراة من جامعة العالم الأمريكية تحت عنوان: ((الاستراتيجية الإعلامية في فكر الدعوة لدى الشيخ أحمد ياسين))، وانظر في ذلك: موقع: WWW.QUDSNET.COM تحت عنوان: منح درجة الدكتوراة في الاستراتيجية الإعلامية في الفكر الدعوي للشيخ أحمد ياسين، نشرت بتاريخ: ١٣/٦/٢٠٠٥م.
^{٣٧٦}. انظر: مقولة السياسي الأفريقي (نكروما) بخصوص الاستعمار إذ يقول: ((إن جوهر الاستعمار الجديد هو استقلال نظري للبلاد التي طبق نظامه فيها، وسيادة دولية بكل مظاهرها، أما نظامها الاقتصادي ودفتها السياسية فتوجه من الخارج)) / أمريكا والعالم / د. حسين فوزي النجار / مكتبة مدبولي / القاهرة / طبعة عام (١٩٨٦ م / ص ٣٦٣ .. وفيه زيادة تفصيل حول ولاء الدول العربية للغرب كشرط لاستقلاليتها المعلنة.

إننا نواجه اليوم نفس الموقف الذي كان يواجهه المسلمون الأوائل في صدر الإسلام، كان المسلمون حفنة قليلة، وكانوا يواجهون أكبر إمبراطوريتين في ذلك التاريخ: الإمبراطورية الرومانية عن شمال، والإمبراطورية الفارسية عن يمين، وكانت موارد الإمبراطوريتين من الرجال والعتاد والأموال والفنون الحربية والخبرة العسكرية والسياسية أضعاف ما يقدر عليه المسلمون، ومع ذلك؛ فقد وقعت المعجزة !! (٣٧٧).

لا بد قبل البدء من قراءة التاريخ قراءة مستوفية، يتم التعرف من خلالها على سيرة السلف ومواطن القوة ومواطن الضعف، وأسباب النصر ودواعي الهزيمة، فهم قد خاضوا تجارب أشبه ما تكون بما يحصل في عصرنا الحاضر، وكأنه شريط يعاد تشغيله، لتعود نفس الأحداث ولكن بوجوه مختلفة، وأسماء غريبة عن الماضي، ولكن العدو هو العدو، والضحية هي الضحية.

أما من هالهم حجم العدو وعدته، ووقفوا مذهولين بسطوته وعتوه، فيصف علماء الأمة لنا حال كثير منهم، وأنهم عدة يعتمد عليها في هذه الحرب، ولكنهم يخشون من سطوة الباطل، وتضبعهم آلة الإعلام وجهود العداة؛ حتى انكسرت راية الشجاعة والإقدام عندهم، وتراجعوا عن المواجهة، فوصفهم بأنهم: الصامتون الذين سينقلبون إلى نصره الحق مع بزوغ فجر الحق الداوي.

يقول محمد أحمد الراشد:

... وحتى الذين ينسحبون، ونظنهم جناء، ربما هم ليسوا كذلك، وليست الشجاعة بظاهرة عند الشجاع دائماً، فإن هناك من الشجعان من يفهم أن سيطرة الطغاة قوية، ولا يمكن إزالتهم، فيبقى حذراً، ولو أفهمته ضعفهم وما هناك من مبالغة في تقدير أمرهم لاستسهل العمل، فهو مثل سائر بلبل في صحراء ظلماء، يرى شبحاً اسود من على بعد،

٣٧٧. شبهات حول الإسلام / محمد قطب / دار الشروق للنشر والتوزيع - القاهرة / الطبعة الثالثة والعشرون)

فيحذر ويكنم أنفاسه ويقف، خوفاً من أن يكون من اللصوص أو الأشقياء، مع ما عنده من الشجاعة، وربما كان ذاك السواد لمسافر آخر استولت عليه نفس المشاعر، ولذلك فإن وصف الواقع بدون إسراف ومبالغة يساعد في تشجيع كثير من الناس الذين ينزلون عنا الآن، بما نريهم من اضطراب الباطل واهتزاز بنيانه (٣٧٨).

يرى الباحث أن من المفيد هنا أن يذكر الناهضين بعبء الرسالة المحمدية رغم الحن والبلاء بقول الخالق الحسيب: ((ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز * الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور)) (٣٧٩) فهي والله السلوى والسكينة لكل عامل مخلص متقن.

يقول العلماء في شرح قوله تعالى: ((وأمروا بالمعروف)) الواردة في الآية: ((فدعوا إلى الخير والصلاح، ودفعوا إليه الناس)) (٣٨٠) مهما كانت الضريبة المترتبة على هذا الفعل، ما دام يحقق رضى الله وصلاح العبد.

من مقتضيات ذلك: أن تتبنى الأمة الإسلامية عبر ممثليها وفصائلها وحاملي العباء الإسلامي على امتداد العالم وعبر الهيكليات التنظيمية والعملية والشورية مبدأ الحرب المضادة في النفوذ المؤسساتي، وأن توفر في سبيل ذلك المال اللازم، والدعم المطلوب، والكفاءات المساندة، وكل ما من شأنه أن يرفع المستوى التأهيلي عند الشباب المسلم لمستوى يؤهلهم لخوض تحدي بهذا المستوى مع عدو كهذا العدو المأفون.

يتحقق ذلك من خلال ما تم ذكره من التأسيس النفسي، والتأهيل الوجداني، والاستعداد الذاتي عند القائمين على العمل المؤسساتي، وعند النخبة القيادية العليا التي تدير العمل العام.

٣٧٨ . المسار / ص ٣١٤ .

٣٧٩ . سورة الحج / الآيتين: ٤٠ / ٤١ .

٣٨٠ . انظر : مقال بعنوان: ((تكاليف النصر وأعباؤه)) منشور على موقع المركز الفلسطيني للإعلام:

.www.palestine-infoinfo/arabic/fatawa/studies/2005

فالمركب واحد، والخسارة تلحق المجموع ككل، والفوز للجميع، والكاسب الأكبر من هذا البناء النفسي المؤسس لعمل إبداعي بناء هو الشعب الفلسطيني الذي سيجد المفارقة عظيمة بين الشعار والتطبيق، وبين من يتغنى بالديمقراطية ويتحكم بالنظام الدكتاتوري، وبين من يحكم بالعدل، فالمفارقة حاصلة، والبون شاسع، والعقل الفلسطيني ليس قاصراً.

يقول الدكتور جاسم سلطان ملخصاً ومجماً:

عادة ما تبدأ عملية التغيير من نقاط أو قضايا ملحة، حيث تكون رؤية جديدة من التشكل الاجتماعي، أو يبرز تيار يرغب في المغالبة، أو فئة محرومة، أو دين جديد، أو قضية جديدة، كنقطة تبدأ منها عملية الحراك، وتحتاج كل حركة تغييرية إلى ثلاث شرائح مختلفة، حيث تعبر كل شريحة عن طبيعة المرحلة التي تمر بها الحركة التغييرية، وهذه الشرائح الثلاث هي: شريحة البدء (٣٨١)، وشريحة التغيير (٣٨٢)، وشريحة البناء (٣٨٣). (٣٨٤).

المقصد من الحديث هنا؛ أن يتوجه الدعاة الذين هم أمل الأمة إلى بناء الصف الداخلي، واللجان الخاصة بالعمل المقصود، ويتحقق ذلك من خلال أمور معلومة، منها: -

١. إعادة النظر في البرامج التربوية التي تفرضها السياسات العامة للتربية عند أبناء الصحوة الإسلامية، وذلك بإضافة المستجدات، وبناء التصورات المعاصرة، وفتح الباب أمام تيار جديد يدعم الفكرة المقصودة، ويساند الجبهة التي يفتحها الدعاة على حقل الإعلام المعادي.

٣٨١. ويقصد بشريحة البدء: الرعيل الأول الذي يطلق شرارة التغيير.

٣٨٢. ويقصد بها: القوة التنفيذية التي تنجز رؤية البدء وأسس التغيير.

٣٨٣. وهي أوسع الشرائح من حيث العدد والشكل والمضمون، وهي التي تتحرك في أوساط المجتمع لبناء الشرائح الاجتماعية والسياسية والطاقات والكوادر ونحوها.

٣٨٤. القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري " قوانين النهضة " - ضمن سلسلة: مشروع النهضة -

سلسلة أدوات القادة / د. جاسم محمد سلطان / مؤسسة أم القرى للتوزيع والنشر - مصر / الطبعة الأولى (

٢٠٠٥ م) / ص ٨٠.

يقول الكاتب أحمد الشميمري في إطار ذكره للعوائق التي تواجه العمل الإعلامي الإسلامي: ((أما العائق الثاني: فإنه يكمن في حجب الثقة والنظرة المتواضعة لقدرات أبناء هذه الأمة وشبابها، وأول المسؤولين عن هذا الإحباط أولئك المتنفذون والمسؤولون عن المؤسسات الإسلامية والمشرفون على وضع خططها وبرامجها)) (٣٨٥).

ومن العلوم الواجب تعلمها وإكسابها للجيل الإسلامي الثقة، علوم خدمة المواطن من خلال العمل المدني الصادق، والجهد المؤسساتي الحقيقي، وليس تتبع النماذج وتكرار الغير لإظهار النفس فحسب، أو لبيان (نحن هنا) !!.

٢. التفرس في العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، وعمل مشاريع التمحيص التي يكون من شأنها أن تفرز نخبة مميزة على صعيد العمل المؤسساتي، من حيث الخبرة، أو الكلمة، أو التقنيات، أو الفنيات، أو على صعيد الدعم المادي، وكذلك أهل النفوذ الذين سيكونون واجهة وملاذ لك في وقت الشدة والضيقة، ومتنفساً طبيعياً عند أي ملمة.

٣. عمل أجندة مضبوطة تحمل مقومات أساسية، يكون هدفها إنشاء كادر إسلامي متمكن من العمل في منظومة المؤسسات الأهلية على امتداد وطننا السليب، تكون فيها الأهداف واضحة بينة، والوسائل مشروعة وفعالة، والزمن مستوعب فيها بكل تطورات، ولجان التقييم للعمل والمتنفذين فيه من الإداريين والتقنيين والخبراء محددة وذات تخصص، بحيث تكون خطوات العمل معلومة من قبل الجميع لا لبس فيها ولا فوضوية.

٤. تطوير الكادر الذاتي، واستيعاب الكفاءات الأهلية المتجددة والناشئة، وإكسابها الخبرات التنظيمية اللازمة لها لتخوض الميدان بكفاءة عالية، ومنافسة جاذبة وجذابة، لا أن تتقدم بين الأصحاء عرجاء عوراء، فإن الفارق كبير والبون شاسع بين من امتلك الخبرة والمعرفة ومن هو بها جاهل، وهذا من نفل القول.

٣٨٥. انظر : المركز الإعلامي في الشبكة الإسلامية: www.islamweb.net في مقال للأستاذ أحمد

الشميمري / وفيه كلام طيب متصل بالموضوع لمن أراد الاستزادة.

جميل ما قاله الشيخ علي الطنطاوي في تحليله لأسباب ضعف الأمة المعاصرة اليوم عندما يتحدث فيقول: ((أم لأن الهجوم علينا كان أقوى من دفاعنا، لأننا لم نعد للمعركة) معركة الإلحاد والفساد) خطأً محكمة كخطط عدونا، بل نحن لم نعرف ماذا يخطط لنا العدو، الذي يدخل علينا من كل باب)) (٣٨٦)، وتطوير الكادر الذاتي جزء مهم من أي برنامج عمل كما هو معلوم، لا سيما في الجانب الشرعي والتأسيس النفسي.

٣٨٦. فصول إسلامية / ص ٢٠٧.

الفصل الثاني

النظام السياسي الفلسطيني

وفيه المباحث الآتية:

المبحث الأول: فلسطين.. الأهمية والواقع..

المطلب الأول: المكانة الجغرافية لفلسطين.

المطلب الثاني: الأهمية الاستراتيجية لفلسطين.

المطلب الثالث: مكانة فلسطين في الإسلام.

المطلب الرابع: فلسطين.. بين التاريخ السياسي والتخطيط الاستراتيجي الاستعماري وفيه مسألة واحدة.

المبحث الثاني: طبيعة النظام السياسي الفلسطيني:

الدولة والنظام السياسي، وفيه خمس مسائل.

المبحث الثالث: المشهد السياسي العام، وفيه ثلاثة مطالب:

الفصائل الإسلامية في فلسطين.

الفصائل الوطنية في فلسطين.

الديانات والطوائف الأخرى في فلسطين، وفيه أربع مسائل.

المبحث الرابع: المجتمع المدني الصهيوني، وفيه المطابان الآتيان:

طبيعة العدو المغتصب.

الجسم المؤسسي الصهيوني.

المبحث الخامس: الإسلاميون وشعارات المجتمع المدني، وفيه المطالب الستة الآتية:

الإسلاميون والديمقراطية.

العدالة الاجتماعية في المفهوم الإسلامي.

الإسلام والتنمية.

الإسلاميون وحقوق الإنسان.

المجتمع المدني في العصور الإسلامية.

دواعي عدم التصريح بالمؤسسات ذات التبعية الحزبية الإسلامية في الواقع الراهن، وفيه مسألة واحدة.

المبحث السادس: القراءة الموضوعية لواقع الشعب الفلسطيني واحتياجاته. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الفهم العام لطبيعة المجتمع المدني على صعيد النخب المثقفة (الواعي النقابي والمؤسسي).

المطلب الثاني: الواقع الاجتماعي.

المطلب الثالث: ما يفقده المجتمع الفلسطيني على الصعيد السياسي.

المطلب الرابع: الواقع العلمي التخصصي.

المطلب الخامس: الواقع الاقتصادي.

المبحث الأول

فلسطين.. الأهمية والواقع

المطلب الأول

المكانة الجغرافية لفلسطين

سبب ذكر الباحث لهذه الجزئية هو الارتباط العام بين الموقع الجغرافي وبين السياسات العالمية، حيث تتمتع فلسطين بموقع استراتيجي كبير جعلها محط اهتمام الساسة في العالم، ومحل اهتمام كبير من قبل القوى الاستعمارية (٣٨٧).

تقع فلسطين في جنوب غرب قارة آسيا، في الجزء الجنوبي من الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط (٣٨٨)، وهي بذلك تقع في قلب العالم القديم - آسيا وأفريقيا وأوروبا -.

واستناداً إلى معلومات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، فإن تعداد السكان في داخل فلسطين عام ٢٠٠٠ بلغ نحو ٣.٢٢٤.٥٠٠ نسمة حيث يعيش ٦٤% منهم في الضفة الغربية بما فيها القدس و٣٦% في قطاع غزة، بالإضافة إلى ٤.٤ مليون فلسطيني يعيشون

^{٣٨٧}. وانظر في ذلك: استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة / إشراف: حبيب قهوجي / من منشورات: الطلائع (دائرة الإعلام) بالتعاون مع مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية / الطبعة الأولى (١٩٧٨ م) / ص ١٣٥ - ١٥٠.

^{٣٨٨} ذكر ياقوت الحموي فلسطين وكثيراً من قراها الساحلية في معجم البلدان الذي ألفه، وارجع للاستزادة: معجم البلدان / لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ) / دار الفكر - بيروت / (ط -) / ج ٥ / ص ٤٢٦.

خارج فلسطين ومن المتوقع أن يصل سكان الأراضي الفلسطينية عام ٢٠١٠ نحو ٤.٩٣٨.٠٠٠ وبمعدل نمو يصل الى ٣.١% (٣٨٩).

وهذه البقعة المباركة من الأرض التي تبلغ مساحتها (٢٧.٠٠٠) كم مربع تعتبر الجسر البري الذي يربط آسيا بأفريقيا، وبين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، ومن ثم؛ المحيط الهندي والمحيط الأطلسي.

يقول الدكتور محمد عمارة:

... لقد أحييت القضية الفلسطينية ببعدها الإسلامي، ومركزيتها بين قضايا الأمة الرباط الإسلامي الجامع بين أعضاء جسد الأمة الإسلامية، وكما جعل الإسلام المسجد الأقصى واحداً من المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها.. فإن القضية الفلسطينية قد غدت محور القضايا الإسلامية التي تشد إليها رحال شعوب الأمة الإسلامية على امتداد أقطار وقارات عالم الإسلام، مغالبة بذلك معوقات التزعات القطرية التي تغل أيدي الأمة عن الانتصار لهذه القضية المركزية (٣٩٠).

يقول المؤرخ العالمي - فلسطيني الأصل - الدكتور محسن صالح:

يطلق اسم فلسطين على القسم الجنوبي الغربي لبلاد الشام وتقع فلسطين على ساحل البحر الأبيض المتوسط، غربي قارة آسيا، وتعد صلة الوصل بين آسيا وأفريقيا، كما تتميز بقربها من أوروبا. ويحدها شمالاً لبنان، ومن الشمال الشرقي: سوريا، ومن الشرق: الأردن، ومن الجنوب والجنوب الغربي: مصر وتبلغ مساحة فلسطين في حدودها المتعارف عليها حالياً: ٢٧ ألف كم مربع، وهي تتمتع بمناخ معتدل (مناخ البحر المتوسط). وأرض فلسطين

^{٣٨٩}. انظر في ذلك: مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، من خلال موقعه على الانترنت / موضوع بعنوان: ملخص التقرير الوطني الأول للتنمية المستدامة في فلسطين للتحضير للقمة العالمية "حول التنمية المستدامة في جوهانسبرغ ٢٠٠٣".

^{٣٩٠}. الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية / د. محسن محمد صالح / كتيب مطبوع ومنشور و مترجم بعدة لغات، وقفت على النسخة العربية المنشورة منها في تركيا / الطبعة المنقحة - تشرين الثاني ٢٠٠٣ م / التقديم الخاص بالدكتور محمد عمارة / ص ٣.

من أقدم المناطق الحضارية في العالم، وحسب الاكتشافات الأثرية الحديثة؛ فهي أول أرض شهدت تحول الإنسان إلى حياة الاستقرار والزراعة قبل حوالي ١١ ألف سنة (٩٠٠٠ ق. م) وفي ربوعها أنشئت أقدم مدينة في التاريخ (أريحا) حوالي ٨ آلاف سنة قبل الميلاد (٣٩١).

وجد الباحث أثناء تجواله في المكتبة السلیمانية للمخطوطات النادرة والكتب الثمينة في تركيا مجموعة من المؤلفات التي كتبت عن فلسطين، وقد ساعده أحد العرب الموجودين هناك على قراءة ما يتعلق بفلسطين منها، حيث إن بعضها مكتوب باللغة التركية، وبعضها باللغة العثمانية القديمة.

بعض هذه المخطوطات والكتب تناولت الحالة الفلسطينية إبان الحكم العثماني، وبين بعضها المدن الموجودة الكبرى في تلك الآونة، ومراكز توزيعات العسكر والقضايا الإجتماعية ومعطيات مختلفة أخرى مرصودة بدقة ووضوح (٣٩٢).

وتناولها بعض المؤلفين والمؤرخين على صعيد وضعها ومكانتها الجغرافية، مثل المؤلف: علي إيرلي ترح، الذي كتب كتابا عن جغرافية فلسطين وارتباطها بالسياحة والمكانة العامة كرابط بين آسيا وأفريقيا (٣٩٣).

تحدث الدمرداشي عن أرض فلسطين واصفاً إياها بالأرض المقدسة، تناول في مؤلفه مكانة فلسطين وقدسيتها.. (٣٩٤) في دلالات متعاقبة على أهمية الموقع ورمزيته ومكانته في الجغرافيا العالمية.

٣٩١. الحقائق الأربعة في القضية الفلسطينية / ص ٥ / وفيما بعدها تفصيل وزيادة مفيدة..

٣٩٢. فلسطين رجعي / كتاب باللغة التركية للمؤلف: أوكان حربية بيكاشبسي / دوسعدات - مطبعة عسكرية / الطبعة الأولى (١٣٣٧ هـ) / مصنف في كتب التاريخ في المكتبة السلیمانية في اسطنبول وهناك إمكانية لمراجعة وقراءة الكتاب من خلال نسخة مدخلة على الحاسوب هناك.

٣٩٣. seyhatname-I arz filistin – prens victor napoli emanuet / mehmet

(1305) / re,fet / surye / gografya / المكتبة السلیمانية - اسطنبول / قسم الجغرافيا.

٣٩٤ . الخبز التام في ذكر حدود الأرض المقدسة وفلسطين / صالح بن محمد بن عبد الله الغزي الدمرداشي / مطبعة
يازما / الطبعة الأصلية الأولى (١١٨٢ هـ) / المكتبة السليمانية - اسطنبول / قسم الجغرافيا.



المطلب الثاني

الأهمية الاستراتيجية لفلسطين:

مع أن فلسطين في الخارطة الجغرافية العالمية لا تمثل بمساحتها الصغيرة حيزاً ملحوظاً، إلا أنها تتميز بصفات وسمات تجعل منها محط اهتمام الدول العالمية الاستعمارية، تلك الدول التي تحترف العمل السياسي المتقن من أجل تمرير مصالحها ولو على حساب الأمم والشعوب الأخرى.

إن الأهمية الاستراتيجية لفلسطين من خلال موقعها الاستراتيجي تشابه موقع بلجيكا في أوروبا، ولعل هذا ما جعل بلجيكا تشهد العديد من الصراعات التي لا ذنب لها بها، من أجل كون هذا الموقع الجغرافي يمثل قيمة كبرى وجوهرية في السياسات الدولية الاستراتيجية (٣٩٥).

لا تتعلق الأهمية الاستراتيجية لفلسطين بمجال واحد محصور، بل إن سماقتها المتعاقبة تجعل منها هدفاً ثميناً بمقاييس عالية، على المستويات المختلفة، لا سيما، الموقع الجغرافي، والحضور الاقتصادي، والبيئة، وظروف المناخ، وطبيعة الحراك العالمي المرسوم ضمن التوسع الأوروبي الاستعماري لعصر ما بعد النهضة.

لعل هذا ما دعا الكثير من الباحثين والكتاب والمؤلفين إلى لفت الأنظار إلى هذه الأهمية الاستراتيجية، كما فعل الباحث حبيب قهوجي حين بيّن ذلك بقوله:
أهمية استيطان فلسطين تنبع من موقعها، فلسطين هي الموقع للتحكم في الوطن العربي (٣٩٦)...

٣٩٥. انظر في ذلك: الموسوعة الفلسطينية / القسم الثاني - الدراسات الخاصة / المجلد السادس - دراسات القضية

الفلسطينية / الطبعة الأولى (١٩٩٠ م) - بيروت / ص ٣.

٣٩٦. استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة / ص ١٣٧ - ١٥٠.

وحدثه هنا كما أشار في مبحثه القيم لا يتصل بالموقع الجغرافي الذي يتوسط العالم العربي، بل لكونها تقع في الطريق الواصل ما بين الشرق والغرب، والرابط الجغرافي لطريق العبور بين القارات المختلفة.

يقول الدكتور محمد عزيز شكري في الموسوعة الفلسطينية:

... ولا ننسى من جهة أخرى، ربما أقل أهمية، أن فلسطين والمناطق المتاخمة لها قد احتلت على الدوام مكانة مرموقة بوصفها منطقة اقتصادية منتجة، واشتهرت في القدم بمواردها الزراعية ومصنوعاتها الواسعة، وهي اليوم تبقى عرضة للتدخل الأجنبي كما كانت في الماضي تماماً، بسبب ثروتها الاقتصادية الهائلة، إن هذا الجمع بين المكانة الجغرافية المرموقة، والبروز الاقتصادي، فضلاً عن حتميات التوسع الأوروبي في عصر ما بعد النهضة يفسر إلى حد كبير مجرى الأحداث الذي خبرته المنطقة ولا تزال في الأزمنة الحديثة (٣٩٧).

بالتالي، فإن فلسطين قد باتت واحدة من البقاع الجغرافية التي يراد لها أن تكون في قلب المعادلات السياسية العالمية، وبؤرة من بؤر التسلط الاستعماري على الشرق الإسلامي والعربي، لما لها من ميزات تجعلها أهلاً للعب هذا الدور على مختلف الأصعدة، لا سيما إذا كانت ضمن برامج الدول الاستعمارية التي تحدد لها ما تريد، وتوفر فيها من الطاقات والإمكانات المادية والبشرية ما تريد.

٣٩٧. الموسوعة الفلسطينية / القسم الثاني - الدراسات الخاصة / المجلد السادس - دراسات القضية الفلسطينية /

الطبعة الأولى (١٩٩٠ م) - بيروت / ص ٣ - ٤.

المطلب الثالث:

مكانة فلسطين في الإسلام

تشكل فلسطين في كيان كل مسلم جزءاً من عقيدته، وبعضاً من تكوينه الذاتي، فهذه الأرض بتراها وهوائها وكيانها لها في قلب كل مسلم على وجه البسيطة معنى خاص، معنى يرتبط بالوجود الإسلامي والقوة الإسلامية على حد سواء.

فلسطين قد سجلت لها أقدم وثيقة ملكية في القرآن الكريم (٣٩٨)، حين قال تعالى: ((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)) (٣٩٩)، فهذه الآية المباركة التي يتلوها كل مسلم في صلاته وتهجده، في ليله ونهاره، وهي تذكر المسلمين جميعاً بدورهم في حفظ المسجد الأقصى والذود عنه.

وأرض فلسطين قد ذكرت في أكثر من موقع في كتاب الله تعالى، فهي الأرض المباركة المقصودة بقوله تعالى: ((وَنَجِّنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ)) (٤٠٠)، وغيرها من الآيات الأخرى (٤٠١).

^{٣٩٨}. انظر: تفسير الطبري / لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري (ت ٣١٠ هـ) / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت / طبعة عام (١٤٠٥ هـ) / ج ١٥ / ص ٢ - ٣.

^{٣٩٩}. سورة الإسراء / الآية: ١.

^{٤٠٠}. سورة الأنبياء / الآية: ٧١.

^{٤٠١}. انظر: كتاب: القدس لنا / لجنة العالم العربي وجمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت / دار بيت المقدس للنشر والتوزيع - القدس / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م) / ص ١١... وكذلك: المقدسات الإسلامية في فلسطين والمطامع اليهودية الخطيرة / الهيئة العربية العليا لفلسطين - بيروت / الطبعة الثانية (١٩٦٨ م) / ص ٩ وما بعدها.

وهي في كيان المسلمين جميعاً هي حاضنة المسجد الأقصى المبارك، الذي كان قبلة المسلمين الأولى، حيث صلى إليه المسلمون ستة عشر شهراً ويزيد، حتى أذن الله لهم بتحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة.

أخرج البخاري ومسلم بالسند إلى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: ((صليت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ثم صرفنا إلى القبلة)) (٤٠٢)، أي نسخت القبلة (٤٠٣) بعد هذا التاريخ بعد أن سجل الدهر لها أنها قبلة المسلمين الأولى.

وقد جعل الله تعالى لهذه البقعة المباركة من الأرض سمات وخصائص مميزة، فالصلاة في المسجد الأقصى تعدل (٥٠٠) صلاة فيما سواه من البقاع غير مكة والمدينة (٤٠٤)، حيث جاء في الحديث: " الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة بمسجدي بألف

^{٤٠٢}. صحيح البخاري / لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦ هـ) / تحقيق: د. مصطفى ديب البغا / دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة (١٩٨٧ م) / كتاب الإيمان / باب: الدين يسر، وقول النبي صلى الله عليه وسلم أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة / حديث رقم [٤٠] / ج ١ / ص ٢٣. و صحيح مسلم / لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) / تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي / دار إحياء التراث العربي - بيروت / ط - / باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة / حديث رقم [٥٢٥] / ج ١ / ص ٣٧٤، وانظر: التمهيد / لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣ هـ) / تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري / وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب / طبعة عام: (١٣٨٧ هـ) / ج ٢٣ / ص ١٣٤. وانظر في هذا الشأن أيضاً كتاب: القدس لنا / لجنة العالم العربي وجمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت / دار بيت المقدس للنشر والتوزيع - القدس / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م) / ص ٥.

^{٤٠٣}. انظر في ذلك: الأم / لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) / دار المعرفة - بيروت / الطبعة الثانية (١٣٩٣ هـ) / ج ٤ / ص ١٨٤.

^{٤٠٤}. انظر: المدع / لأبي اسحق إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي (ت ٨٨٤ هـ) / المكتب الإعلامي للنشر - بيروت / طبعة عام (١٤٠٠ هـ) / ج ٣ / ص ٧٠.

صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسائة صلاة" (٤٠٥)، وهذا تكريم له ولمكانته في دين الله تعالى.

يرقى المسجد الأقصى في دين الله تعالى ليكون أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها (٤٠٦)، فقد ثبت في الحديث الصحيح الذي يرويه أبو هريرة عن رسول الله أنه قال: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى" (٤٠٧)، وهذا من قمة التكريم لهذا الموطن الشريف.

ولكون الأرض المباركة والمبارك ما حولها (٤٠٨) قد حوت كثيراً من الرسل والرسالات، بل وكانت مهبط الوحي الكريم على الكثير من الرسل، فإنها اكتسبت مكانة خاصة لها في قلوب أهل الملة الإسلامية، وأصبحت تشكل في وجدانهم صلة لهذه الأرض بالسماء.

فلسطين هي الأرض التي أسرى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليها في ليلة الإسراء، ومن فوق ترابها عرج به إلى السماوات العلا (٤٠٩)، وفي المسجد الأقصى قد صلى

٤٠٥. رواه الطبراني، وقال: حديث حسن.

٤٠٦. انظر: المغني / لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) / دار الفكر - بيروت / الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ) / ج ٣ / ص ٨٢. وكذلك: المجموع / محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) / تحقيق: محمود مطرحي / دار الفكر - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٩٦ م) / ج ٧ / ص ١٧٧.

٤٠٧. رواه البخاري في صحيحه في باب مسجد بيت المقدس، حديث رقم: [١١٣٩] / ج ١ / ص ٤٠٠، ورواه مسلم في صحيحه في باب فضل الصلاة في مسجدي مكة والمدينة، حديث رقم [١٣٩٧] / ج ٢ / ص ١٠١٥.

٤٠٨. انظر في تفسير بركة ما حول المسجد الأقصى في: فتح القدير / محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت / (ط -) / ج ٣ / ص ٢٠٦.

٤٠٩. انظر في ذلك: المسوط / لشمس الدين أبي بكر محمد بن أبي سهل السرخسي / دار المعرفة - بيروت / طبعة عام (١٤٠٦ هـ) / ج ٣ / ص ١١٥.

النبي الحبيب بكل الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - (٤١٠)، في دلالات متكررة ومتعاضدة على شرف وعلو مكانتها.

وقد شهد التاريخ بأن أرض فلسطين هي الأرض الوحيدة التي تولى فيها أحد الخلفاء الراشدين تسلم مفاتيحها عندما اشترط أهلها ألا يتسلمها إلا خليفة المسلمين بنفسه، فقد جاء عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إليها، وتسلم مفاتيحها (٤١١)، وكتب فيها العهدة العمرية (٤١٢)، وصلى فيها هو والصحابة الفاتحين.

إضافة إلى ذلك؛ وفد إلى أرض الرسالات عدد كبير من الصحابة الكرام، ومات فيها العديد منهم، فكان تراهما يضم قبور الصحابة العظماء من أمثال: عبادة بن الصامت، وشداد بن أوس، وأسامة بن زيد بن حارثة وغيرهم، وعدد كبير من الفقهاء العلماء على امتداد عمر الدولة الإسلامية الرشيدة (٤١٣)، وظلت مهوى أفئدة الموحدين إلى أن حررها صلاح الدين الأيوبي (٤١٤) ولا زالت تنتظر محررها الجديد حتى يومنا هذا.

^{٤١٠}. انظر في ذلك: فتح الباري في شرح صحيح البخاري / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) / تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب / دار المعرفة - بيروت / طبعة عام (١٣٧٩ هـ) / ج ٧ / ص ٢٠٩.. وكذلك: نيل الأوطار / محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ) / دار الجيل - بيروت / طبعة عام (١٩٧٣ م) / ج ٣ / ص ٦٦.

^{٤١١}. انظر: القدس الإسلامية في أعمال ماكس فان برشيم / تليف: مارغريت فان برشيم وسولانج اوري / تعريب: د. عطا الله دهينة، و د. شوقي شعث، و د. سامي حسن / إصدار: مؤسسة ماكس فان برشيم / ط - ص ١٢.

^{٤١٢}. العهدة العمرية: هي الوثيقة التي كتبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأمن فيها النصارى على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم.

^{٤١٣}. منهم: مالك بن دينار، والأوزاعي.

^{٤١٤}. انظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه / لأبي العباس أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت ٨٢٧ هـ) / تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم العاصمي النجدي / منشورات مكتبة ابن تيمية / (ط -) / ج ٢٧ / ص ٢١٧.

من الجميل أن يذكر الباحث هنا بأبيات من الشعر نظمها الإمام الحافظ بن حجر العسقلاني - رحمه الله - وهو ينشد للقدس ويقول:

إلى البيت المقدس جئت أرجو جنان الخلد نزلاً من كريم
قطعنا من مسافته عقابا وما بعد العقاب سوى النعيم^(٤١٥)

ونظراً للعداء الصهيوني المستحکم، والأكاذيب المثورة والمنشورة عالمياً بفضل وسائل الإعلام، فإن المسجد الأقصى بات في خطر محقق، ويسعى الصهاينة من أجل هدمه وبناء الهيكل المزعوم مكانه، وتجييش الكتل والطوائف الصهيونية بشكل يومي من أجل هذه الغاية القذرة^(٤١٦).

يقول شيخ الأقصى، الشيخ رائد صلاح: ((والأقصى المبارك هو أول بناء بني في تاريخ الشام عامة، وفي تاريخ بيت المقدس وأكناف بيت المقدس خاصة، فكان الأقصى المبارك، ولم يكن قبل ذلك أي كنيس أو كنيسة أو مسجد... وهذا يعني لنا ولكل عاقل أن الادعاء بوجود " هيكل ما " كان في حرم الأقصى ما هو إلا محض افتراء!!))^(٤١٧).

^{٤١٥}. بلادنا فلسطين " في بيت المقدس ٢ " / مصطفى مراد الدباغ / مطبوعات رابطة الجامعيين - الخليل - فلسطين / الطبعة الأولى (١٩٧٦ م) / الجزء العاشر - القسم الثاني / ص ٥٦.

^{٤١٦}. انظر في ذلك: الصحافة الإسرائيلية والدعاية الصهيونية في مصر / د. سهام نصار / قسم النشر - دار الزهراء للإعلام العربي - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٩١ م) / ص ٢٥٩ - ٢٦١.

^{٤١٧}. دليل أولى القبليتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين / أحمد فتحي خليفة / مطبعة الصراط - أم النور - فلسطين / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م) / ص ١٧.

المطلب الرابع

فلسطين بين التاريخ السياسي والتخطيط الاستراتيجي الاستعماري

من المؤسف القول إن الدول الاستعمارية الكبرى تسير في عملها وفق مخططات استراتيجية يتم رسمها من قبل الخبراء والمختصين على أعلى المستويات، وترصد لها أعلى الميزانيات لتكون قابلة للتحقيق ولو على حساب الإنسان أو البيئة أو الواقع أو حتى الخطط المرحلية في المنطقة المراد التخطيط لها.

من خلال الواقع المعاش، وما يتوضح من خلال التحركات السياسية العالمية على مستوى القضية الفلسطينية منذ مطلع القرن العشرين، بدأت السياسة العامة للتحرك الخاص بالدول الاستعمارية تتضح، وبدأت خيوط الخطة تتشابك، لتمكن المحللين وأهل الاختصاص من فهم ما يدور في خلد المخطط الاستراتيجي المحتل.

حتى لا يسهب الباحث في التقديم، فسيبدأ بالحديث عن القضية الفلسطينية من حيث ما له أهمية في مسألة المجتمع المدني، مع تقديم ميسور لبوادر ونشأت الواقع المتعلق به.

كانت فلسطين - شأنها شأن الدول العربية الأخرى - واقعةً تحت الاستعمار الدولي للدول الكبرى، وكانت فلسطين ضمن الحصة البريطانية، فقد كانت تعتبر إحدى مقاطعات الدولة التي لا تغيب عنها الشمس، ولديها كل الممثلات الرسمية التي تثبت هذا الأمر من حيث مسميات العمل العسكري الحاكم (١٨)، أو التشكيلات التي تتابع الحياة اليومية للفلسطينيين.

^{١٨}. مثل وجود المندوب السامي البريطاني في فلسطين، والممثلات الحكومية التي تمثل سلطة الاحتلال، مثل المرجعيات الحكومية والشعبية وقوى الأمن ونحو ذلك.

ونتيجة لفهم بريطانيا لتنامي الوعي العربي في الدول العربية التي تحتلها، فدأت بوضع الخطط الاستراتيجية الكبرى لمنطقة الشرق الاوسط من زمن سيطرتها على الأرض، لعلمها بأن هذا الوعي عادة ما يقود إلى المطالبة بالحرية والاستقلال ودحر المحتل (٤١٩).

ولكون العقليات البريطانية تتسم بالدهاء والحنكة، فقد بدأت برسم سياسة كبرى تشمل الدول العربية الواقعة تحت سيطرتها، ومنها فلسطين والأردن وغيرهما، فبدأت بعملية الحراك السياسي على أكثر من وجهة، ومنها:

١. التحرك السياسي على صناعة الشخصيات القيادية المستقبلية، ليس من باب التخمين والضرب في الكف والرمل، بل من خلال فهمها لطبيعة الشعب العربي الذي تحتله، وتوجهاته وميوله على الصعيد الرسمي والفردي، فبدأت مرحلة تلميع الوجوه، وإظهار الشخصيات التي تريد لها أن تحكم في المستقبل، لتكون أداة طيعة في يدها إذا ما قررت أن تلعب من وراء الكواليس (٤٢٠).

٤١٩. وما يؤكد على ذلك، القصيدة التي نظمها الشاعر إبراهيم طوقان عام ١٩٣٥ م، حين قال منبهاً للخطر القادم:

أمامك أيها العربي يوم
مصيرك بات يلمسه الأذاني
تشيب لونه سود النواصي
وسار حديثه بين الأقباصي
فلا رحب القصور غداً بياقٍ
لساكنها ولا ضيق الخصاص
إلى أن يقول:

لنا خصمان: ذو حول وطول
تواصى بينهم فأتي وبالأ
وآخر ذو احتيال واقتناص
وإذلاً لنا ذاك التواصي
وماهج للإبادة واضحات
وبالحسنى تنفذ والرصاص

وهذا يدل على عمق الفهم العربي للوجود الصهيوني على أرض فلسطين، والدور البريطاني في تنميته، مع معرفة بطبيعة هذا العدو وحجم الخطر الناجم عنه في الحال والمآل.. وقرأ عن ذلك: الموسوعة الفلسطينية / الجزء الخامس / المحور الأول / مدخل إلى دراسة القضية الفلسطينية / بقلم الدكتور محمد الفرا / ص ٨ - ١٢ ..

٤٢٠. اقرأ في ذلك بتوسع ما كتبه الصهيونية المتشددة غولدا مائير، التي توصف بأنها من أبرز الشخصيات السياسية في الدولة العبرية - عن دور بعض الحكام العرب قبل أن يصبحوا ملوكاً ورؤساء وكيف ساهموا بنشوء الدولة العبرية في أسرار كبيرة وكبرى مسطورة في: حياتي / غولدا مائير / من منشورات: إدارة المخابرات العامة - الفرع

٢. اللعب على وتر التناقضات الداخلية، من خلال تحريك أصابع الريبة والاثمات بين الفئات الاجتماعية والتيارات الفكرية، وبدأت بوضع (أسافين الفرقة) بين هذه التجمعات ليسهل قيادها، ولتؤدي من حيث تدري أو لا تدري دوراً لها في اللعبة الاستراتيجية التي تعد لها بريطانيا كجزء من الدول الاستعمارية الكبرى التي سارت في نفس الاتجاه في البلدان التي تحكمها (٤٢١).

٣. أدركت بريطانيا استراتيجية الموقع الجغرافي الخاص بفلسطين، ودورها كحلقة وصل برية وبحرية بين الشرق والغرب، وبين القارات، فكان تخطيطها السياسي منصّباً على أن تظل فلسطين بما فيها من مقدرات كبيرة، ومناطق استراتيجية على المدى المتوسط والبعيد؛ بعيدة عن الاتجاهات المضادة لها.

٤. كانت الخطة الاستراتيجية الاستعمارية تمر بمراحل، مرتبطة بجدول زمني، فيه هامش من الحرية في العمل لوضع الاحتمالات في الاعتبار، وكانت الخطة أن تقوم بريطانيا بزرع كيان كامل من الهواء في هذه البقعة الجغرافية، ليكون فاصلاً بين المشرق والمغرب، وقوة إقليمية ذات قدرة عالية على الأداء لتفتت الوحدة العربية إذا ما بدأت ملامحها ترتسم، ولو أدى هذا الأمر إلى تغيير يمس البيئة التي تجري عليها المخططات.

انظر هنا كيف قبلت بريطانيا كدولة استعمارية أن توجد دولة من لا شيء، وأن تؤسس لبيئة سياسية جديدة شملت الإنسان ومقدرات البلاد والتوزيعات الجغرافية ونحوها من أمور كبيرة، قد يظن البعض أن تجميعها يعتبر من المستحيل عقلاً، ولكن طبيعة التخطيط الاستراتيجي مجبول على المبادرة والإقدام والحزم، بعكس التخطيط المرحلي أو الموضوعي.

٢٥٥ - قسم الدراسات / الجمهورية العربية السورية / طبعة عام (١٩٧٩ م) / ص ١٩٩ - ٢١٠. وهو مثال صغير من الأمثلة.

٤٢١. وقد بدأ هذا الأمر في نهاية القرن الثامن عشر، مع ضعف الدولة العثمانية، وبعد حملة نابليون على الشرق، وانظر للتوسع: الموسوعة الفلسطينية / المجلد السادس / ص ٤ - ٦.

٥. تلاقت أطماع بريطانيا ومخططاتها مع مخططات الصهاينة الذين بدؤوا تحركاتهم من خلال مؤتمر (بازل) ١٨٩٧ م (٤٢٢)، وما تبعه من تحرك دبلوماسي نشط قامت به الحركة الصهيونية من أجل إيجاد وطن قومي لليهود المشتتين في العالم (٤٢٣).

٦. التقت السياسة البريطانية وتقاطعت مع المصالح الصهيونية (٤٢٤)، مما مهد لإصدار وعد بلفور المعروف، والذي تم بموجبه منح الصهاينة وطناً قومياً في فلسطين، تحت مقولة (شعب بلا أرض، على أرض بلا شعب) متناسين الحقوق الفلسطينية للشعب الفلسطيني الموجود أصلاً على الأرض خاصته.

يقول الشهيد المفكر سيد قطب عن طبيعة تفكير يهود:

... فإن المعركة بين الإسلام ويهود لا تزال دائرة وستظل كذلك، لأن اليهود لا يرضون إلا بتدمير هذا الدين، كانوا - بعد أن غلبهم الإسلام - يحاربون هذا الدين بالمؤامرات والدسائس وتحريك عملائهم في الظلام، أما اليوم، فقد ازدادت المعركة ضراوة وسفوراً، أو تركيزاً، بعد أن جاؤوا من كل فج وأعلنوا أنهم أقاموا دولة " إسرائيل "، كانت أطماعهم ترف من بعيد إلى بيت المقدس، أما اليوم فهم منه على بعد خطوات، ولا يكف أطماعهم إلا أن يغلبهم الإسلام.. (٤٢٥).

^{٤٢٢}. انظر في ذلك، المقدمة التي كتبها الدكتور الشهيد عبد الله عزام عن التأصيل التاريخي للقضية الفلسطينية وتعلقة بمؤتمر بازل في: حماس - الجذور التاريخية والميثاق / الجذور التاريخية: د. الشهيد عبد الله عزام / الطبعة الأولى (١٩٨٩ م) / دار نشر - / ص ٧ - ١١٨.

^{٤٢٣}. انظر في ذلك: مصطفى مشهور والقضية الفلسطينية / إحسان سيد، المركز العربي للإعلام - مصر / ضمن سلسلة: فلسطين.. مواقف وآراء (٢) / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ٣٢ - ٣٥.

^{٤٢٤}. انظر في ذلك: استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة / إشراف: حبيب قهوجي / من منشورات: الطلائع (دائرة الإعلام) بالتعاون مع مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية / الطبعة الأولى (١٩٧٨ م) / ص ٤٥ - ٦٢.

^{٤٢٥}. معركتنا مع اليهود / للشهيد سيد قطب / دار الشروق للنشر والتوزيع - بيروت / طبعة عام (١٩٩٥ م) / ص ٣٦.

٧. بعد رفض الفلسطينيين للمشروع وتحركهم للجمه، قامت بريطانيا سعيًا لإنجاح مشروعها الاستراتيجي في المنطقة بكبح جماح الثورات الفلسطينية التي قامت في فلسطين، وذلك من خلال القوة العسكرية والحسم العسكري العنيف، وما شمله ذلك من حملات تقتيل وتشريد وتهجير وكبت وحرمان وتجويع.

٨. أسست بريطانيا الكيان الصهيوني، ودعمته بالمال والسلاح والخطط والتكتيكات اللازمة لقيامه، وسلمته المواقع البريطانية الاستراتيجية في فلسطين ليتحكم بالشعب الفلسطيني في العام ١٩٤٨ م (٤٢٦)، وعززت من الوجود الاستيطاني (٤٢٧) تحت حمايتها وأعطته أفضل المواقع الاستراتيجية ليتحصن فيها (٤٢٨)، في وقت خرجت فيه بريطانيا (على رؤوس أصابعها) مفاجئة العالم بهذا التحرك.

٩. بدأت الحركة الصهيونية المدعومة بالسلاح والدعم اللوجستي الأوروبي - وخاصة الدول الاستعمارية الكبرى (٤٢٩) التي تقاطع برنامجها مع المخطط الاستراتيجي الصهيوني والصليبي والغربي - بثبيت نفسها على الأرض، واستحلاب اليهود من شتى بقاع المعمورة ليكونوا الجسم الفاصل بين الدول العربية، وأداة الاستعمار الضاربة في المشرق الإسلامي.

١٠. حرصت الدول الاستعمارية الكبرى على أن تتم تسوية كل الخلافات والمنغصات في الشرق الأوسط بطرق مختلفة، ولو أدى ذلك إلى استخدام القوة العسكرية

^{٤٢٦}. وهو ما يعرف بالنكبة الفلسطينية.

^{٤٢٧}. ارجع في ذلك إلى: استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة / إشراف: حبيب قهوجي / من منشورات: الطلائع (دائرة الإعلام) بالتعاون مع مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية / الطبعة الأولى (١٩٧٨ م) / ص ٣٢ - ٣٣.

^{٤٢٨}. انظر: استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة / إشراف: حبيب قهوجي / من منشورات: الطلائع (دائرة الإعلام) بالتعاون مع مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية / الطبعة الأولى (١٩٧٨ م) / ص ١١٣.

^{٤٢٩}. انظر في ذلك: هذه فلسطين / حسين التريكي / الشركة التونسية للنشر والتوزيع - تونس / الطبعة الأولى (١٩٧١ م) / ص ١٦٣ - ١٨١.

المباشرة (٤٣٠)، ليقبل العرب ب"إسرائيل" كأمر واقع، ويتعاملوا معها وفق الخطة بعيدة المدى.

هذا الأمر الذي تمت ترجمته من خلال الأمر المباشر لرجال الاستعمار العالمي - لا سيما في دول الطوق، ليدؤوا مشروع السلام مع "إسرائيل" في زمن كان الشارع العربي فيه ملتتهباً يريد طرد الغزاة، وكانت هذه مجازفة سياسية كبيرة بالنسبة للمشروع الاستعماري العالمي، ولكن الدعم الخبراتي واللوجستي في تهجين الشعوب وتلطيف المشاعر، وإخماد الثورات، واستعمال السف والعصا والجزرة كل في موضعه قد أدى إلى وجود خلل في جدار الرفض العربي الرسمي لوجود الدولة العبرية المغتصبة على تراب فلسطين.

١١. استكملت بريطانيا والصهاينة ومن ورائهم دول العالم الغربي وأمريكا إحكام المخطط من خلال تمرير بعض الحراك السياسي - القسري أو الطوعي - على القضية الفلسطينية، بما في ذلك مرحلة الكونفدرالية مع الأردن، وفك الارتباط، واحتلال بقية الأراضي الفلسطينية عام ١٩٦٧ م، الأمر الذي يشكل بحد ذاته تمهيداً سياسياً حقيقياً للمؤامرة الكبرى على القضية الفلسطينية، من خلال تطويع العالم العربي والإسلامي لفكرة قبول "إسرائيل" بوسيلة محكمة وفاعلة.

١٢. قامت الدول الاستعمارية الكبرى باتصالاتها السرية والعلنية مع منظمة التحرير (٤٣١)، لا سيما بعد أن تم ترويضها في مناطق قوتها (٤٣٢)، وذلك من أجل أن يتم

٤٣٠. كما حصل في العدوان الثلاثي على مصر في الخامس من يونيو/حزيران من عام ١٩٦٧ حيث قامت (إسرائيل) وبشكل فجائي بإعلان الحرب على ثلاث دول عربية مصر وسوريا والأردن. وبانتهاء العمليات الحربية استطاعت (إسرائيل) أن تحتل شبه جزيرة سيناء من مصر، هضبة الجولان من سوريا، واحتلال الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة.

٤٣١. لما تم تعميمه من خلل الإعلام الموجه من انما الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

٤٣٢. منها حصل مع منظمة التحرير في لبنان، حيث تم استهدافها عسكرياً من قبل الاحتلال الصهيوني، واستهدافها سياسياً بالضغط على الأنظمة لعدم الترحيب بها وبالتالي ما حصل من النفي القسري لها من لبنان إلى تونس واليمن، وكذلك ما تم من خلال الألعاب السياسية لما يعرف بابلول الاسود، وملحمة جرش، والتقلبات المتتالية مع النظام الأردني لحصر المنظمة والتضييق عليها لتقبل بأي حل يشكل مخرجاً لها من حالة الضياع والفوضى التي أصابتهما،

وضعها في خضم المعركة الساسية الكبرى، ليس كطرف مخطط أو موجه، وإنما كأداة لتقوم بتنفيذ المخطط في جزئه المتعلق بها.

يقول الدكتور فتحي الشقاقي - رحمه الله - عن هذا التباين في المواقف بين نشوء المنظمة وعاقبة أمرها:

أعطت تلك الأيام -أيام التأسيس - للفلسطينيين شعوراً قوياً بالذات، والهوية الوطنية، ولكن شيئاً فشيئاً بدأ المشروع الوطني الفلسطيني (المنظمة) يغادر منطلقاته الأساسية، حتى وصل في أقل من ربع قرن إلى الإقرار بشرعية الصهاينة على (٨٠%) من أرض فلسطين أو استعداد لقبول نوع من الحكم الذاتي على الخمس الباقي من الأرض، إضافة إلى هذا التراجع السياسي الكبير، فقد سادت فوضى الأيديولوجيا صفوف المنظمة قبل أن تخسر الأيدولوجيا تماماً في السنوات الاخيرة، أما الفساد الإداري، والفسل التنظيمي، فهو الأمر الذي لاينكره فصيل واحد من منظمة التحرير. (٤٣٣)

١٣. بدأت بريطانيا بتهميش العالم العربي والإسلامي والشعوب الثائرة فيهما من خلال حصر القضية في جسم واحد، وهو جسم منظمة التحرير الفلسطينية، وذلك ليتم اختزال القضية برمتها في أشخاص متنفذين فيها، بل في شخص واحد ملك رقبته وهو شخص ياسر عرفات رئيس المنظمة، لتكون بريطانيا والصهيونية والدول الاستعمارية الكبرى حينها تتحدث بكل قوة، أن الطرف المشارك في المؤامرة هو الممثل الشرعي والوحيد، وهم أصحاب الأرض و (الثوار لتحريرها)، لتهدأ بعد ذلك جبهات الرفض العربي، ولتنحسر موجة التحدي للوجود الصهيوني.

وانظر في ذلك: موضوع التاريخ الفلسطيني وتأصيل الفكر السياسي المعاصر / موضوع منشور على الانترنت / للكاتب الفلسطيني: رشيد قويدر..

٤٣٣. رحلة الدم الذي هزم السيف / الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي حياته وجهاده / تأليف: د. رفيق سيد احمد / (د.ط) / ص ٢٥.

١٤. في عام ١٩٩١ م، وجدت بريطانيا والصهاينة أن معاهدات السلام مع مصر قد فتحت الباب أمام كسر الحصار المفروض على كيانها المغتصب (٤٣٤)، فقررت الإعلان عن مشروع (أوسلو) كحل للقضية الفلسطينية، يتم بموجبه قيام دولتين جنباً إلى جنب تعيشان بسلام (٤٣٥).

تم ذلك بالفعل، حتى سلطت أجهزة الإعلام العالمية والغربية والصهيونية على اللحظة التاريخية للمصافحة بين ياسر عرفات والإرهابي المجرم إسحق رابين كالحظة انتهاء للمشروع الثوري الفلسطيني برمته، وإخراص فعلي للشعوب العربية، تقول لهم من خلالها، إذا كان أصحاب الأرض قد قبلوا بالحل السلمي، فما بالكم وما شأنكم أنتم، وهل ستكونون فلسطينيين أكثر من الفلسطينيين؟؟ !!

١٥. بدأت مرحلة التلاعب السياسي والأخذ والرد والتجاذبات المصطنعة بين هذا الطرف وذاك، استمرت الوعود تتدفق على منظمة التحرير بالغد المشرق الآتي، في وقت أهدت "إسرائيل" فيه استعداداتها الحربية الكبيرة والهائلة، لا سيما بعد استكمال برنامجها النووي (٤٣٦) الذي دعمته بشكل مباشر (فرنسا) وساندتها فيه دول الغرب بصورة أو باخرى.

١٦. لعبت "إسرائيل" في هذه المدة مجموعة من الأدوار المرسومة لها، وقد بدا ذلك جلياً في حروبها مع القوات العربية على كل الجبهات، وحروبها المتكررة مع مصر، وحروبها المتكررة كذلك مع لبنان والمقاومة اللبنانية على وجه التحديد، لتؤكد على دورها المنوط بها في الأصل وهو تقسيم العالم الإسلامي، ومنع قيام أي تكتل جغرافي يعطي العرب والمسلمين قوة في هذه المنطقة الحساسة، لا سيما الشام ومصر، لما تعلموه من دروس الماضي عن دور وأثر مثل

٤٣٤. حيث قام أنور السادات، الزعيم المصري المقتول بعقد اتفاقية السلام المخزية المعروفة مع الاحتلال الصهيوني، في وقت كانت فيه الشعوب ناقمة على الوجود العبري على الأرض العربية.

٤٣٥. وهذه العبارة مقتبسة نصاً من خطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن الذي أعلن عن هذه السياسية من البيت الأبيض بعد أن نضجت الخطة المرسومة لها من خلال أوسلو.

٤٣٦. وقد كانت بداية هذا المشروع في نهايات الخمسينيات من القرن العشرين، وكان مهندس التطوير النووي الصهيوني هو الوزير الصهيوني المجرم (شعون بيرس) الذي كان حلقة الوصل والتطوير بين فرنسا والصهاينة.

هذه التحالفات والتجمعات، وبالأخص: في ظل اتحادهما على يد صلاح الدين الأيوبي وما تحقق على الأرض نتيجة هذا التحرك الموحد.

١٧. كان الدور المنوط بالسلطة الفلسطينية أن تكون ذات علاقة مباشرة بالكيان الصهيوني، وعلى حراك دائم في الأوساط العربية والإسلامية لتهجين المجتمع العربي على ترك فكرة المقاومة، لعدم تمكن العرب من هزيمة "إسرائيل" أكثر من مرة، وترديد شعار (السلام هو الخيار الاستراتيجي والوحيد للشعب الفلسطيني) التي وردت حتى في صيغ القمم العربية (٤٣٧).

كان منوطاً بها أيضاً أن تضبط الواقع الأمني في مناطق نفوذها (٤٣٨)، وأن تواجهه أي تحرك مقاوم، لا سيما في ظل تنامي دور الحركة الإسلامية في فلسطين، وفصائل العمل الرافض لفكرة الحل السلمي مع دولة الإجرام والإرهاب (٤٣٩)، الأمر الذي تأكد من خلال حملات الاعتقال الكبيرة التي طالت المئات من أنصار حماس والجهاد والجهة الشعبية، والتعذيب، وكشف المقاومين، وجمع سلاح المقاومة ونحو ذلك.

١٨. من تمام الخبث الدولي، أن قيام سلطة أوسلو كان يراد له أن يكون متنفساً مضبوطاً للشعب الفلسطيني، على أساس أنه أصبح (شعباً حراً) وفق اتفاقيات أوسلو ومدير وطابا ووأي ريفر (٤٤٠) وغيرها، وأن بإمكانه أن يمارس حياته المدنية بشكل طبيعي كباقي الشعوب الاخرى، في محاولة لإعطاء صورة الحرية للشعب الفلسطيني بعد تلك المعاهدات المشينة.

٤٣٧. كما حصل في قمة بيروت ٢٠٠٣ م.

٤٣٨. وذلك من خلال برنامج التنسيق الأمني المذل الذي وافقت عليه السلطة بقيادة عرفات، والذي جر على الشعب الفلسطيني وحركته المقاومة ويلات الاغتيالات والمجازر والاعتقال والتصفية الجسدية والمعنوية.

٤٣٩. وهذا الوصف قد وصفها به كثير من المنصفين في الغرب والشرق، وانظر في ذلك: الإرهاب الإسرائيلي / فرانتز شايدل / ترجمة: محمد جديد / منشورات وزارة الثقافة السورية - دمشق / الطبعة الأولى (١٩٧١ م) / ص ١١ - ٢٦.

٤٤٠. وهي مؤتمرات خاصة بالقضية الفلسطينية سعت لها الولايات المتحدة تحت رعاية عربية واوروبية وامريكية من أجل ضرب المقاومة وتمير مشروع أوسلو.

وقد ساهمت الدول الاستعمارية بشكل فعلي في لعب دور في هذا الصدد، حيث بدأت بإرسال المندوبين والبعثات التنسيقية لإقامة نواة مجتمع مدني فلسطيني، وبدأت بدعم وتسويق العديد من المؤسسات الأهلية التي تتحرك بأجندة دولية لا تتفق مع الشعب الفلسطيني مع أنها تحمل الاسم الفلسطيني والهوية الفلسطينية، الأمر الذي أدى إلى انتشار مجموعة من الأفكار الغربية و(التحررية) في المجتمع الفلسطيني، غريبة عن معتقداته وتراثه وفهمه الثقافي.

يتحدث الشهيد الحبي سيد قطب عن وسائل العدو في استهداف الأمة سياسياً واجتماعياً في هذا الجانب فيقول:

... وهناك دسّ جدّ خطر، لقد دسوا رجالاً وزعامات للكيد بهذه الأمة، فالمئات والألوف كانوا دسيسة في العالم الإسلامي - وما يزالون - في صورة مستشرقين وتلاميذ مستشرقين، الذين يشغلون مناصب الحياة الفكرية اليوم في البلاد التي يقول أهلها: إنهم مسلمون !!.. والعشرات من الشخصيات المدسوسة على الأمة المسلمة في صورة (أبطال) مصنوعين على عين الصهيونية ليؤدوا لأعداء الإسلام من الخدمات ما لا يملك هؤلاء الأعداء أن يؤدوه ظاهرين (^{٤٤١}).

١٩. في هذه الاثناء، تفرغت الدول الاستعمارية الكبرى للمخطط بصورته الأوسع، فبدأت بحصار حركات المقاومة الفلسطينية بأكثر من مجال، حيث قطعت عليها خط الإمداد اللوجستي الأول، وهو الحدود الكبيرة لها مع الأردن، من خلال مجموعة من التحركات السياسية والفبركات المدروسة، كتوقيع الأردن لاتفاقية السلام مع " إسرائيل " (^{٤٤٢})، وكطرد قيادات الفصائل المقاومة من الأردن (^{٤٤٣})، ومحاولات إظهار المقاومة بأنها راغبة في قلب نظام

^{٤٤١}. معركتنا مع اليهود / للشهيد سيد قطب / دار الشروق للنشر والتوزيع - بيروت / طبعة عام (١٩٩٥ م) / ص ٢٤.

^{٤٤٢}. وهي المعروفة باتفاقية (وادي عربة) نسبة إلى المكان الذي تم توقيعها رسمياً فيه بين فلسطين المحتلة والأردن.

^{٤٤٣}. كما حصل مع المكتب السياسي لحركة حماس، وعلى رأسهم خالد مشعل رئيس المكتب وإخوانه، حيث تم طردهم رسمياً من الأردن بقرار رسمي حكومي وبدون مبرر، مع أنهم يحملون الأوراق الثبوتية الأردنية.

الحكم في الأردن، وأمثال ذلك من الأطروحات التي تثير الشارع الأردني وتنفره من حركات المقاومة.

أما على الجبهة المصرية، وبعد أن استمر تهريب السلاح إلى المقاومة من غزة عن طريق القبائل في سيناء على مدار سنوات نكايه في الحكومة المصرية - وليس حبا في الشعب الفلسطيني - بدأت المبادرات لرأب الصدع في علاقة الدولة المصرية مع هذه القبائل بعد طول قطيعة واستهداف (٤٤٤)، وتمثل ذلك ببدء مشروع عرض الامتيازات وتمهيد الطريق للمصالحة الداخلية معهم لضرب المدخل الوحيد لسلاح المقاومة الفلسطينية، الأمر الذي يعني خنق المقاومة، وسحب مجموعة كبيرة من الأوراق المؤثرة من أيديها.

٢٠. بعد فوز حماس المفاجئ والكبير في الانتخابات التشريعية التريهية - بشهادة العالم -، وهزيمة "إسرائيل" في جنوب لبنان في حرب تموز ٢٠٠٦ م على يد المقاومة اللبنانية، وتعرض المشروع الأمريكي في مناطق الخليج العربي والشرق للخطر بسبب المقاومة العراقية والأفغانية، والتحركات القوية والفاعلة للاتجاهات الإسلامية في مصر وتركيا ودول الخليج العربي، حيث أوجدت حركات المقاومة هذه نوعاً من القوة في صد المخطط الاستراتيجي الغربي والصهيوني، وتعارض المشروعان بشكل رئيس ومباشر، الأمر الذي دعا الدول الغربية لمحاولة الاستفراد بكل وحدة مقاومة من المجتمعات على حدة.

أشغل حزب الله اللبناني بخلافاته مع قوى ١٤ آذار، وأشغلت حماس بمؤامرات فتح، وأشغلت المقاومة العراقية بالخلافات المذهبية والطائفية، ضمن المفهوم التخطيطي الاستراتيجي (أنهك عدوك حتى لا يجد وقتاً للتفكير)، فبعد كل مؤامرة وأثناءها ضعه في خضم مؤامرة أخرى فيخلو طرفك، وتسلم جبهتك، وتأخذ وقتك في التخطيط والإعداد، في تحضير لخطوة سياسية كبيرة بعيدة عن المخطط الذي تعرض للإفشال حقيقة بفعل قوى الرفض والمقاومة في شتى مواقع وجودها.

٤٤٤. وأهمها المبادرة التي قام بها (جمال مبارك) نجل الرئيس المصري بزيارته المتكررة إلى مناطق هذه القبائل، ووعوده لهم بالتدخل لحل قضاياهم (الحقة) وأن الدولة لا بد ان تراعي حقوقهم كمواطنين في الدولة المصرية بما في ذلك منح الامتيازات المختلفة، وتطوير مناطق السكنى الخاصة بهم.

٢١. تتمثل هذه الخطوة في المخطط الاستراتيجي بحل القضية الفلسطينية عن طريق القهر والإجبار والأمر الواقع، وفرض الحل النهائي بالجبر من خلال إدخال أطراف عربية في دول الطوق في المعادلة، كمنخرج من الاستنزاف المستمر لكل الأطراف على مدار القرن الماضي، وفرض جملة من التغييرات في البيئة الجغرافية والدولية الإقليمية من أجل جعل هذه التغييرات أمراً ممكناً^(٤٥)، مع التفكير المسبق بضبط المناطق الجغرافية ومواطن النفوذ والمتنفسات الطبيعية للشعوب فيها، وضمان القدرة على التحكم فيها من خلال أدوات الاحتلال في كل هذه المناطق، مع بقاء الدولة العبرية حارسة للمطامع العربية وقائمة بدورها الاستراتيجي في العمق العربي والإسلامي، قوية متأهبة لخوض الحرب نيابة عن دول الاستعمار الكبرى^(٤٦).

يقول الدكتور سليمان صالح عن طبيعة النظام العربي الحاكم:

... فهؤلاء القادة والزعماء ومن تولوا الحكم في الدول العربية لم يكونوا مؤهلين لإدارة الصراع، ولم يكن من الممكن أن يمضوا في الصراع أبعد من ذلك؛ لأنهم لا يستطيعون تحمل تكاليفه، أو الوفاء بالتزاماته، وكان من الطبيعي أن ينتهي بهم الأمر إلى ما انتهى إليه، وأن يجلسوا في النهاية على موائد المفاوضات لتلمي عليهم "إسرائيل" شروطها، وأن تعمل وسائل الإعلام التي يسيطرون عليها على تبرير ذلك برفع شعارات الواقعية والبراجماتية والخضوع

^{٤٥}. انظر في ذلك: التقارير الصحفية التي تناولت قضايا الفصل للأرض الفلسطينية بالتنسيق والمعرفة المباشرة مع رئيس السلطة محود عباس حيث كشفت القناة العاشرة في التلفزيون الصهيوني يوم الخميس ١٩/٧/٢٠٠٧ م، أن المشروع الصهيوني لتحريك المفاوضات مع الفلسطينيين يتضمن تنفيذ "خطة فصل بالتوافق" بين "إسرائيل" ومحمود عباس، وهو الأمر الذي تسرب للصحافة العربية والعالمية في اليوم نفسه، وانظر في ذلك: موقع المركز الفلسطيني للإعلام على الانترنت / موضوع بعنوان: خطة فصل صهيونية للصفحة بالاتفاق مع عباس / منشور بتاريخ ١٩ / ٧ / ٢٠٠٧ م

^{٤٦}. انظر في ذلك: استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة / إشراف: حبيب قهوجي / من منشورات: الطلائع (دائرة الإعلام) بالتعاون مع مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية / الطبعة الأولى (١٩٧٨ م) / ص ٤٥ - ٦٢.

لمتطلبات العولمة والجنوح للسلم حتى وإن لم يمنح العدو، والتمسك بخيار السلام كخيار وحيد، ورفض الحرب والعنف.. إلخ^(٤٤٧).

هذه الخطة الكبيرة التي استغرق تنفيذها قرناً كاملاً من الزمان، ووضعت من أجلها أكبر العقليات وأوفر الإمكانيات المادية والبشرية والإدارية لضمان تنفيذها، جاءت مترامنة مع المخططات الاستعمارية الأخرى لكل البلاد العربية والإسلامية، التي استهدفت عزيمة الأمة، ومناطق التأثير فيها، وبؤر القدرة على الحراك السياسي والاجتماعي والفكري، وعلى وجه الخصوص: التيارات السياسية الإسلامية، التي تمثل الرهان الحقيقي على نبض الشعوب وتوجهاتها.

ولكي يختم الباحث هذا المبحث أحب أن يسلط الضوء على مسألة مهمة، وهي إن الغرب قد استطاع أن يتعامل مع المجتمعات العربية عموماً، ومع الشعب الفلسطيني - ببعض رموزه وتياراته - من خلال نظرية سياسية كبيرة وخطيرة وذات دلالات كثيرة جداً، وهي سياسة قديمة ومعروفة، ولكنها عند التطبيق تأخذ شكلاً تنسيقياً له أبعاده الخطيرة.

سبين الباحث هذه السياسة من خلال كلمات قرأها ذات مرة، وهي لباحث يعيش في الغرب يقول فيها: ((أقصد مدينة (مين) لصيد السمك في كل صيف، شخصياً: أنا أحب ثمر الفريز وأشتهيه مع الكريما، ولكني أجد السمك لأسباب غريبة يفضل الديدان، ولهذا.. متى ذهبت لأصطاد لا أفكر بما أريد، بل أفكر بما يريد السمك، أنا لا أضع في الصنارة ثمرة فريز مع الكريما، بل أدلي الصنارة بدودة أو بجندب، وأقول: أتحب هذا أيها السمك؟؟))^(٤٤٨).

^{٤٤٧}. انتفاضة الأقصى - نموذج حضاري إسلامي للمقاومة / د. سليمان صالح / ضمن سلسلة: كتاب القدس، الكتاب رقم (١٦) / مركز الإعلام العربي للنشر / الطبعة الأولى (٢٠٠٣ م) / ص ١٥.

^{٤٤٨}. كيف تؤثر في الناس - السيكولوجية المبسطة / دون ذكر المؤلف / دار الآفاق الجديدة - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٨٠ م) / ص ٢٩، وفيه الكثير من العبر والدروس لمن أراد التوسع.

معيقات المخطط الاستراتيجي العالمي

إن المتابع للمخططات الاستعمارية العالمية والصهيونية يجد أنها اصطدمت مباشرة وفي كل المواقع بيئة غير معد لها في التخطيط الغربي الاستعماري، ألا وهي البيئة القابلة والحاضنة للفكرة الإسلامية، حيث بدا واضحاً للعيان بأن الصحوة الإسلامية برغم كل هذه المخططات التدميرية آخذة بالتعاظم يوماً بعد يوم، ومستمرة بالنمو على مستوياتها واتجاهاتها المختلفة، وأخذ نموها صوراً تشكل خطراً حقيقياً وفعالاً على المخطط الاستراتيجي الدولي، ومنها على سبيل المثال:

١. عدم قدرة اليهود الموجودين في أرض فلسطين على رأب الصدوع الخطيرة الموجودة داخل الجسم الصهيوني، والمتمثل بكثرة العرقيات والطوائف والإثنيات وطبائع التفكير الموجودة في الكيان الغاصب (٤٤٩).

فالوجود الصهيوني على أرض فلسطين يعاني من مشاكل حقيقية بسبب الصراع الداخلي الذي يتم تغييبه عن عيون الإعلام العربي والعالمي، لما يشكله ظهوره من خطر استراتيجي على الدولة الصهيونية، وهو الأمر الذي اتفق جميع الساسة الصهاينة على عدم إظهاره تحت أي ظرف كان.

يقول سيد قطب - رحمه الله - مبشراً:

ولا يهولن المسلم ما يراه من قوة وتهديد، فإنهم - اليهود - لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى " والمظاهر قد تتحدع، فنرى تضامناً الذين كفروا من أهل الكتاب فيما بينهم، ونرى عصبيتهم بعضهم لبعض، كما نرى تجمع المنافقين أحياناً في معسكر واحد.. ولكن الخبر الصادق من السماء

٤٤٩. ومن بينها تقسيمات الشرقيين والغربيين من اليهود، والمفايات الروسية في " إسرائيل "، ويهود الفلاشا، وصراعات المتدينين والعلمانيين، والانشقاقات المتتالية بين الأحزاب التي غالباً ما تؤسس على ارتباطات مصلحة ونحو ذلك.

يأتينا بأنهم ليسوا كذلك في حقيقتهم، إنما هو مظهر خارجي خادع، وبين الحين والحين ينكشف هذا الستار الخداع، فيبدوا من ورائه صدق الخبر في دنيا الواقع المنظور، وما صدق المؤمنون مرة؛ وتجمعت قلوبهم على الله حقاً؛ إلا وانكشف المعسكر الآخر أمامهم عن هذه الاختلافات وهذا التضارب وهذا الرياء الذي يمثل حقيقة الحال، وما صبر المؤمنون وثبتوا إلا وشهدوا التماسك بين أهل الباطل يتفسخ وينهار (٤٥٠).

٢. وجود بؤر الرفض للسياسات الدولية الاستعمارية على مستوى الدول (٤٥١)، وبداية تداخلات مصلحة بين القوى العالمية العظمى بما يصادم المخطط العالمي المعد لمنطقة الشرق الأوسط عموماً (٤٥٢)، وهذه البؤر برغم عدم قدرتها على مواجهة القدرات الغربية من حيث القدرات العسكرية، إلا أنها شكلت حاجزاً يؤخر تنفيذ الكثير من البرامج المحلية والتكتيكية الجاري تنفيذها في إطار المخطط العام.

٣. النمو الكبير لجماعة الإخوان المسلمين على مستوى العالم، لا سيما: مصر، التي تعتبر بؤرة مؤثرة في السياسة في الشرق الأوسط، وبعض دول الخليج العربي، والسودان، والأردن، وفلسطين، والعراق، ونفوذها في دول أوروبا، لما في برنامج جماعة الإخوان المسلمين من تصادم مباشر مع المخطط الاستعماري العالمي، وسعيها لقلب الطاولة؛ من خلال الجهد السياسي والشعبي والجماهيري في آن واحد.

٤٥٠. معركتنا مع اليهود / للشهيد سيد قطب / دار الشروق للنشر والتوزيع - بيروت / طبعة عام (١٩٩٥ م) / ص ٣٧-٣٨.

٤٥١. مثل إيران، وسوريا ولو في بعض القضايا دون بعض.

٤٥٢. حيث هناك حراك فعلي من بعض الأعضاء الدائمين في مجلس الامن من أجل بناء علاقات استراتيجية مع بعض الدول العربية ذات الموارد الكبرى، كما يحصل في العلاقة الاستراتيجية بين الصين والسودان، وتور العلاقات بين روسيا وسوريا وإيران ونحو ذلك.

٤. النمو الإسلامي الفاعل في بعض الدول الاستراتيجية، وعلى رأسها: تركيا (٤٥٣)، حيث باتت الأحزاب الإسلامية تمثل الحزب الأول في الدولة، وهي على أبواب السيطرة على مقاليد الحكم في بلد استراتيجي من الدرجة الأولى كتركيا (٤٥٤)، استراتيجياً وجغرافياً، وعلى مستويات العقلية السياسية الموجودة فيها، والتي تضاهي إن لم تكن قد تفوقت على الكثير من المخططين الغربيين في التخطيط الاستراتيجي، وما في ذلك من تهديد كبير ومباشر على المخطط الغربي في الشرق الأوسط.

٥. بروز تيار فكري سياسي قوي ومؤثر على الساحة الإسلامية العربية والدولية، تمثل في التيارات السياسية الإسلامية القائمة، ولكن من خلال برامج العمل السياسي الكبير والناضج، والنمو التراكمي في مشاريعها ومخططاتها المحلية والاستراتيجية، وكذلك بروز بؤر مناورات إعلامية - مستقلة وحزبية - مناهضة للسياسات الدولية في المنطقة على مستوى الأفراد والمؤسسات.

من تباهى بتصريحاته أمام أعداء الأمة يريد كسب دعمهم، وإلى كل من كان ولا زال ينادي - بجهله أو بمكره - أن الصحو الإسلامية هي العائق الأكبر أمام تحقيق العدالة الاجتماعية في المجتمعات، فإن حسبه ما قاله الشهيد سيد قطب:

... ولكن هذا وهم.. إن اليقظة الإسلامية في طريقها إلى الأوج، فمحال أن يخذعها أحد عن أهدافها الحقيقية، وأهدافها الحقيقية هي: طرد الاستعمار من الرقعة

٤٥٣. حيث تعتبر تركيا واحدة من الدول المؤثرة في السياسات التي يتم رسمها في الشرق الأوسط، وهي لاعب أساسي في المنطقة لا يمكن تجاهزه.

٤٥٤. لا سيما بعد نتائج الانتخابات التشريعية الاخيرة التي تمت يوم ٢٢/٧/٢٠٠٧ م، حيث حصل التيار الإسلامي (حزب العدالة والتنمية) بزعامة رجب طيب أردوغان على نسبة الحسم الكافية له لتشكيل الحكومة، دون الرجوع إلى أي حزب علماني أو اشتراكي أو يساري على الساحة التركية، وما تلاه ذلك من انتخاب لعبد الله غول في رئاسة الدولة، الأمر الذي شكل منعطفاً تاريخياً حاسماً ستشهد المنطقة آثاره - وفق الحراك المشهود - قريباً.

الإسلامية، وتحقيق عدالة اجتماعية على الطريقة الإسلامية وهي أعدل طريقة عرفتها البشرية..
(٤٥٥).

٦. امتلاك الحركات الإسلامية عموماً - وعلى رأسها كبرى الحركات في العالم - جماعة الإخوان المسلمين - لكم لا يستهان به من العقلية السياسية والإعلامية والإدارية والمؤسسية؛ القدرة على توجيه دفة الأمور في الساحة، بشكل يؤثر على سير المخطط الدولي المحكم والكبير (٤٥٦)، وبصورة قد توجد تغييراً على صعيد الإنسان أو البيئة أو الجغرافيا المكانية، ما يتطلب تغييراً في مسار بعض الحركات السياسية التي أقرت ضمن البرنامج الاستراتيجي العالمي.

هذا الأمر يعني وضع الصهاينة في نفس المربع الذي أرادوا أن يضعوا فيه الشعوب والأمم والحركات الإسلامية، ألا وهو استنراف قدراتهم في وضع الخطط البديلة، والاتجاهات السلوكية على مستوى الأفراد وأحجار الشطرنج التي بين أيديهم، مما يؤصل لقوة إسلامية قادمة، حتى وإن هزم الإسلام من خلال بعض الحركات في جولة أو أكثر من الجولات.

٧. أخيراً.. استمرار احتضان الشعوب العربية والإسلامية للمقاومة، وللتوجهات الإسلامية، برغم كل السياسات التي حاولت من خلالها العقلية السياسية والفكرية الغربية والصهيونية - بل والعربية - أن توجد حالة من الشرخ بينها وبين الشعوب، وأن تبعد الجماهير عنها نفسياً وإجرائياً، من خلال حملات استهدافها بالشائعات والمؤامرات والفبركات الإعلامية والسياسية، والتي شاركت بها دول ورؤساء وزعماء وحركات أهلية واجتماعية في كل الأقطار بلا استثناء.

٤٥٥.. معركتنا مع اليهود / للشهيد سيد قطب / دار الشروق للنشر والتوزيع - بيروت / طبعة عام (١٩٩٥ م) / ص ٤١.

٤٥٦.. لا سيما في فلسطين، حيث برزت عدة شخصيات علمية وتخصصية فلسطينية على مستوى الداخل والخارج لها من حسن الفهم والقدرة على تدبير الأمور والتخطيط الاستراتيجي والمرحلي ما يجعل منها رقماً صعباً في المعادلة، وما يجعل العدو يحسب لها ولمخططاتها ألف حساب.

٨. هذه الخاصية في الشعوب العربية - التي لم تتعب برغم طول العطاء - جعلت من الشعوب العربية رقماً صعباً لا يقبل الزوال من التفكير الغربي، وخصماً حقيقياً للمشروع الاستراتيجي في المنطقة، إذ إن العنصر البشري من أهم عناصر المعادلات السياسية، فكيف بعنصر بشري مؤطر، أو مؤثر، أو صاحب رأي وتوجه وفكر مصادم للتوجهات الغربية؟

أمام هذه المعطيات، لم يبق للباحث إلا أن يقر بحقيقة جلية، وهي أن العدو الصهيوني خطير ومتمرس، ولكن القوة تكمن في أصحاب الرؤية الناضجة التي تقارع عدوان الظالمين وباطلهم بالحق، متمسكين بالشعب الفلسطيني المسلم، هذا الشعب الذي يشكل الذخيرة الممتدة لكل ثورة ولكل تغيير (٤٥٧)، والنصر لمن والى الله وعمل بإخلاص وصدق.

^{٤٥٧}. انظر ما كتبه الأستاذ منير شفيق في الاعتماد على الشعب الفلسطيني المسلم في الثورات في: ردود على أطروحات علمانية / منير شفيق / دار الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ودار البراق للنشر والتوزيع - تونس / الطبعة الثالثة (١٩٩٢ م) / ص ٩.

المبحث الثاني

طبيعة النظام السياسي الفلسطيني

المطلب الأول

الدولة والنظام السياسي

الإنسان لا يعيش في كوكب ناءٍ لوحده، بل هو جزء من كيان وداخل كيان، يعيش مع بني جنسه، في المجتمع المحيط به، ولا تستقيم حياة الفرد بدون نظام، كما لا يستقيم وجود النظام بغير وجود الأفراد، وفي ذلك قال الشاعر:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا (٤٥٨)

تطور المفهوم في العمل البشري والحياة الفطرية البشرية من خلال التراكمات المعرفية، حتى وصل إلى مبدأ تأليف الناس وتجميعهم في إطارات ينضون تحت لوائها طوعاً أو كرهاً، تتجه بالمجموع نحو وجهة معينة.

استمر هذا التوجه بعد مرحلة القبائل، ليصل إلى ضرورة الوجود الفعلي للدولة التي تضم الأفراد في المجتمعات المختلفة، وتحكمهم من خلال نظام واضح يسرون بناءً عليه.

يقول الباحثون في ذلك: ((شكل مفهوم الدولة المرتكز الأساسي لعلم السياسة الذي كان يعرف بأنه علم الدولة، ثم جاءت بعض الاتجاهات الحديثة في العلوم السياسية التي لم

^{٤٥٨}. السراة هنا بمعنى القادة والموجهون.

تعد تنظر للدولة باعتبارها كياناً سياسياً وقانونياً منظماً فقط، بل كمجال للصراع والتداخل والتفاعل بين مختلف قوى المجتمع (((٤٥٩).

وقبل استعراض الواقع السياسي الفلسطيني، لا بد من الإشارة إلى تعريف الدولة، وما يقصد بالنظام السياسي، وطبيعة هذا وتلك، لوجود خلط عند البعض في المفاهيم بين مصطلحات: الدولة، الحكومة، النظام السياسي، ونحوها.

ففي علم السياسة؛ شكل مفهوم الدولة المرتكز الأساسي، والذي كان يعرف بأنه علم الدولة (٤٦٠)، في دلالة على استقلالية هذا المصطلح ومفهومه، وفي إشارة إلى أهميته في السياق العام.

يعرّف الأستاذ عمر باسان الدولة بأنها: ((كيان سياسي وقانوني منظم يتمثل في مجموعة من الأفراد الذين يقيمون على أرض محددة، ويخضعون لتنظيم سياسي وقانوني واجتماعي معين، تفرضه سلطة عليا تتمتع بحق استخدام القوة)) (٤٦١).

أما الحكومة، فهي عبارة عن الكيان المنفذ في الدولة، والجهة صاحبة الحق في التصرف في القوانين، بعد حصولها على ما يضمن لها ذلك، بعد فوز حزب ما في انتخابات معينة، أو تكتلات حزبية معاً، وفق النظام الانتخابي المعمول به في هذه الدولة أو تلك.

وحتى لا يقع الخلط بين الدولة والحكومة، فإن البيان يكون بأن الدولة هي الوعاء الحاضن للحكومات المختلفة، فإذا زالت حكومة، فهذا لا يعني زوال الدولة، أما إذا زالت الدولة، فهذا يعني زوال الحكومة الموجودة فيها بالضرورة.

^{٤٥٩}. رئاسة الجمهورية - الرؤية والإنجاز / عمر محمد عبد الرحيم باسان، المركز القومي للإنتاج الإعلامي - سلسلة إصدارات الوعد الحق (٣٢) / دار الغرير للطباعة والنشر / الطبعة الأولى (٢٠٠٦ م) / ص ٢١.

^{٤٦٠}. المرجع السابق.

^{٤٦١}. المرجع السابق.

يقول الدكتور عبد الكريم زيدان في ذلك: ((والحكومة عنصر مهم من عناصر الدولة)) (٤٦٢)، في إشارة إلى انفصال مفهوم هذه عن تلك.

أما النظام السياسي، فهو مصطلح يضم مجموعة من المفردات ذات المضامين الخاصة، فهو يتعلق بشكل الدولة، ومسامها الحقيقي، سواء كانت ديمقراطية أو دكتاتورية أو سلطوية أو نحو ذلك، وطبيعة القانون الأساسي، ونوعية القيم السائدة والمعمول بها، وعلاقة الدولة بالأفراد، و العلاقة بين الدولة والحكومة والتيارات السياسية والمنظمات الأهلية ونحو ذلك من أمور، وهو ما يطلق عليه في بعض الأحيان: الجو السياسي العام، أو المناخ السياسي، أو البيئة السياسية.

التعريف التقليدي للنظام السياسي (٤٦٣): هو نظام الحكم، بمعنى المؤسسات الحكومية الثلاث: تنفيذية وتشريعية وقضائية، والتي تقوم بمهمة الدفاع عن الوطن ضد التهديدات الخارجية وضمان الترابط الداخلي (٤٦٤).

يقول الأستاذ أحمد عادل متمماً:

... لا تستطيع السياسة أن تعمل في فراغ، ويعد الجو السياسي - وإن كان هو في حد ذاته غير قابل للتعريف الدقيق - مؤشراً مفيداً لنوع القيم السياسية التي يؤيدها المجتمع،

٤٦٢. الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية / د. عبد الكريم زيدان / الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية / دار القرآن الكريم للعناية بطبعه ونشر علومه - بيروت، ودمشق / الطبعة الأولى (١٩٧٨ م) / ص ٨.

٤٦٣. وهناك تعريفات أخرى له، مثل تعريف ويكيبيديا - الموسوعة الحرة على الإنترنت، حينما عرفت النظام السياسي في صورته الهيكلية: بأنه عبارة عن مجموعة المؤسسات التي تتوزع بينها عملية صنع القرار السياسي وهي المؤسسات التشريعية والتنفيذية والقضائية.. وانظر في ذلك: الموسوعة الحرة على الإنترنت (ويكيبيديا) WWW.WIKIPEDIA.ORG / موضوع بعنوان: نظام سياسي.

٤٦٤. انظر في ذلك: ورقة عمل، مقدمة لمؤتمر "التطورات السياسية الفلسطينية في ضوء الانتخابات التشريعية ٢٠٠٦"، معهد دراسات التنمية. غزة-فلسطين، مارس ٢٠٠٦، بعنوان: التباس مفهوم وواقع التعددية في النظام السياسي الفلسطيني - العلاقة المتبسة بين المنظمة والسلطة وحركة حماس أ.د. إبراهيم إبراش أستاذ العلوم السياسية - جامعة الأزهر-غزة

وهناك أربعة جوانب للبيئة السياسية أو للجو السياسي تفيد بوجه خاص في التفرقة بين النظم الديمقراطية والسلطوية، وهي: درجة حرية الكلام الممنوحة للمواطنين، ومدى حرية المواطنين في تكوين الجمعيات أو الانضمام إليها، ومدى إتاحة التسهيلات الإعلامية والتعليمية، ودرجة الإجماع بين السكان حول القيم والمبادئ الأساسية (٤٦٥).

وهذا يعني أن النظام السياسي قد يشمل الدولة، ولكنه قد يتجاوزها ليستوعب علاقات وتفاعلات سلطوية، مشمولة بالدولة: كالأحزاب والجماعات العرقية والطائفية ذات الثقافات المغايرة والمضادة للدولة.

وللعلاقة الوثيقة بين النظام السياسي والعمل الأهلي، فإن الحديث عن طبيعة الدولة والنظام الحاكم لا بد أن يُسبق بفهم شمولي لدور الدولة ومسؤولياتها، حتى تتمكن منظمات المجتمع المدني في أي دولة من المطالبة بالحقوق وفق فهمها لهذا النظام (٤٦٦)، وحقيقته وطبيعته.

يقول الدكتور عبد الحي يوسف عن واجبات الدولة: ((هذه الواجبات تتعلق بالأمر التي يجب على الدولة النهوض بها في سبيل حفظ الأمن والنظام، وتحقيق مصلحة العباد في عيشة آمنة راضية، وإيصال حقوقهم إليهم، مع ما يجب عليها في قسمة الأرزاق على الرعية، وتفويض الأعمال إليهم، وما إلى ذلك، مما يعود بالنفع عليهم)) (٤٦٧).

ولكل دولة مرجعية تستند إليها في سن القوانين التي يتم العمل بها لتحقيق توجهاتها الخاصة، ولو تأملت التجربة الأمريكية في تأصيل المنطلقات التي تحكم الدولة لعرفت طبيعة هذا الدستور في إيجاد الدولة الأمريكية التي باتت قطب العالم الوحيد في هذا الزمان.

^{٤٦٥}. الأحزاب السياسية والنظم الانتخابية / ص ١٧.

^{٤٦٦}. الموقع الإلكتروني لمشروع (ثروة) على الانترنت
WWW.ARABIC.THARWAPROJECT.COM / مقال بعنوان: القرار الإداري والقرار

السياسي، بقلم: مارك راشد، منشور في العام ٢٠٠٥ م.

^{٤٦٧}. الدولة في الإسلام / د. عبد الحي يوسف / المكتب الإسلامي لإحياء التراث - ودار العواصم للنشر والتوزيع

- القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٨٢.

... فمنذ البداية، تأسس النظام السياسي الأميركي بطريقة دقيقة وواضحة، حيث مكث المؤسسون الأوائل لأميركا عدة سنوات في مناقشة الدستور ووضع بنوده، فكانت الفترة ما بين إعلان الاستقلال، من الاستعمار البريطاني، وانتخاب أول رئيس أميركي، جورج واشنطن، حوالي ثلاثة عشر عاما (١٧٧٦-١٧٨٩)، حيث تم قضاء معظم هذه الفترة في مناقشات ساخنة حول كيفية البنية السياسية لإتحاد الولايات الثلاث عشر آنذاك، وانتهت تلك المداولات بكتابة دستور قصير جداً في نصه (حوالي ٢٨ صفحة من القطع الصغير، بحجم صفحات قاموس الجيب). لكن القيمة في أن هذا الدستور مازال في أوج مجده بعد أكثر من قرنين من صياغته (٤٦٨).

إن كانت الدول العربية قد اقتبست النصوص القانونية والدستورية والأنظمة الأساسية في نشأتها وتكوّنها من هنا وهناك، إلا أنها لم تستطع لغاية اليوم - على حد علم الباحث - أن تضع لنفسها منظومة متكاملة من الأنظمة والقوانين التي تؤصل لعمل الدولة بغض النظر عن الحكومات التي تأتي، بحيث تجعل النظام السياسي ببعده التأصيلي والقيمي والتطبيقي في متناول العامة، يفهمونه ويطبّقونه من خلال وضوحه ورسوخه ومواكبته لتطلعاتهم.

لهذا؛ تجد أن الباحثين والمهتمين والمصلحين في المجتمعات ينادون بكرة وعشياً بضرورة الإصلاح السياسي (٤٦٩)، وتطوير الأنظمة الحاكمة، حيث:

إن قضية الإصلاح السياسي تعتبر من أهم القضايا المؤثرة على الأداء السياسي للدولة داخلياً وخارجياً، وعلى مجريات الحياة العامة بالبلاد... وبتعدد مجالات التغيير والإصلاح السياسي بالبلاد، فلا بد من رؤية شاملة تقوم على الدراسة والتخطيط، تؤمن بالتغيير في ظل الاستمرار، والإصلاح في ظل التحول المتدرج والشامل، دون إحداث تغييرات هيكلية أو فجائية مجرد إيجاد مناخ ظاهري لعملية الإصلاح السياسي، والتي تبدأ بإصلاح النظام

^{٤٦٨}. الموقع الإلكتروني (موقع جيل الثقافي) على الانترنت WWW.JEEL-LIBYA.COM، موضوع بعنوان: أميركا: الانتخابات النصفية ما هي وماذا تعني؟، منشور بتاريخ: 05/11/2006.

^{٤٦٩}. انظر في ذلك: الموقع الإلكتروني: ossama51@hotmail.com، موضوع بعنوان: الإصلاح السياسي هو الأساس و هو البداية / للباحث: د. أسامة نعيصة.

الدستوري، وتعديل وتنقيح القوانين لكي تواكب المناخ العام للحريات والتعددية الحزبية والنهضة الاقتصادية، والتوزيع العادل للسلطة والثروة بين مختلف أطراف البلاد (٤٧٠).

النظام السياسي قبل عهد أوسلو

بدأ النظام السياسي الفلسطيني يأخذ أشكاله الأولى في الواقع الفلسطيني بعد هدم الخلافة الإسلامية العثمانية في العام ١٩٢٤ م، حيث تقسمت الولايات في الخلافة إلى دويلات ممزعة مقسمة، سيطر الاستعمار على أجزائها المتناثرة.

كانت فلسطين جزءاً من أرض الشام، التي تضم سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، وقد وقعت تحت الانتداب البريطاني، الذي أسس لقيام الدولة الصهيونية على تراب فلسطين بعد ذلك.

في تلك الحقبة الزمنية، بدأ الشعب الفلسطيني يستشعر الخطر الناجم عن الاحتلال، وبدأ يتلمس المعاناة اليومية التي يفرضها المحتل على الشعب الفلسطيني، الأمر الذي أسهم في تشكيل عقلية الثورة الفلسطينية، وبناء بعض الأنظمة الحزبية التي تعنى بمقاومة المحتل والبحث عن طرد الغاصب، لا سيما بعدما بدأت بريطانيا تزيد من مستويات الهجرة الصهيونية إلى فلسطين وتمكين المستجلبين الصهاينة من المواقع الاستراتيجية فيها.

يقول الباحث الفلسطيني ممدوح نوفل:

لاحقاً، مع تزايد الهجرة اليهودية الى فلسطين إتسع إنتشار تيار الوطنية الفلسطينية، وتعددت أطر النظام السياسي الفلسطيني، وظهرت قوى وحركات سياسية

٤٧٠. رئاسة الجمهورية - الرؤية والإنجاز / عمر محمد عبد الرحيم باسان، المركز القومي للإنتاج الإعلامي - سلسلة إصدارات الوعد الحق (٣٢) / دار الغرير للطباعة والنشر / الطبعة الأولى (٢٠٠٦ م) / ص ١٦، بتصرف يسير.

ومسلحة جديدة، وبرز جليا شعار "إنهاء الانتداب وإستقلال فلسطين". وغدا هدفا وطنيا تمسك به الفلسطينيون، وخاضوا من أجل تحقيقه، في الثلاثينات والأربعينات، معارك متنوعة، وقبل وقوع الحرب العالمية الثانية، لم تدرك "الوطنية الفلسطينية" خطورة الدعم الدولي الذي تلقته توجهاً الحركة الصهيونية العالمية، وعندما وقعت لم تعي التغيرات التي أحدثتها في أوضاع المنطقة وفي العلاقات الدولية، وتحول المهاجرون اليهود الى قومية محددة الملامح، وقوة إقتصادية وسياسية كبيرة (٤٧١).

واستمرت المؤامرة على الأمة الإسلامية بتقسيم بلدانها ووضع الكيان الصهيوني كفاصل جغرافي بين ظهرانيها، حتى تمكن الصهاينة في العام ١٩٤٨ م من إعلان قيام دولتهم التي أسست لها بريطانيا، حتى باتت قوة قادرة على مواجهة دول عربية عدة في آن واحد.

لم يكن الوضع الفلسطيني في تلك الفترة الزمنية قابلاً لقيام جهد سياسي وطني واضح، نتيجة عوامل متعددة أحاطت بالساحة الفلسطينية، ولظروف تتعلق بطبيعة النظام البريطاني الذي سبق وحكم، وطبيعة الوجود الصهيوني الذي حكم بقوة النار والحديد.

جاء في وصف تلك المرحلة: ((أدى احتلال غزة والضفة الغربية إلى إخضاعهما لسلسلة من الإجراءات والقوانين والممارسات القانونية - وغير القانونية، التي تحكمت في مسار العملية الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية فيهما، وضمن معطيات الشروط الإسرائيلية، وعليه؛ فإن المنطقتين قد خضعتا عملياً وللمرة الأولى منذ عام ١٩٤٨ م، إلى أنظمة وقوانين وممارسات متشابهة، أصبحت انعكاساتها تقود إلى مسار تغير اجتماعي واقتصادي متشابه في المنطقتين)) (٤٧٢).

^{٤٧١}. الموقع الإلكتروني: www.mnofal.ps / موضوع بعنوان: النظام السياسي الفلسطيني بين الماضي والحاضر والمستقبل / للباحث: ممدوح نوفل، منشور بتاريخ: ١٩٩٩/٥/١.

^{٤٧٢}. الخصائص الديمغرافية للشعب العربي الفلسطيني / المعهد العربي للتدريب والبحوث الإحصائية / منشورات دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٨٥ م) / ص ١٢٤.

تجدر الإشارة هنا إلى أن العمل السياسي الفلسطيني في تلك الحقبة " منذ هدم الخلافة إلى ما بعد قيام الدولة العبرية " كان مقتصرًا على العمل الجهادي، وتنظيم التظاهرات والتجمعات، والتعامل مع الظروف الميدانية التي أوجدها الاستعمار البريطاني، وعلى إثره الاستعمار الصهيوني، دون أن تتبلور أطروحات سياسية ناضجة بعيدة عن التصورات العربية المتداخلة التي كانت سائدة في تلك الفترة.

بعد ذلك، قام النظام العربي الرسمي بإيجاد حالة من التملص من المسؤوليات المتعلقة بفلسطين من خلال إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤م، لتكون صورة خاصة بالعمل السياسي الفلسطيني (٤٧٣)، ولكن هذا الجهد بقي مكبوتاً محكوماً بالعوامل العربية ورؤى القادة العرب الذين وافقوا على ضم أجزاء من فلسطين إلى الأردن، وضم قطاع غزة إلى مصر في حالة من الانكسار والتعامل السلبي مع نتائج الهزيمة في العام ١٩٦٧ م.

يقول الباحث الفلسطيني صابر عارف:

... ولكن لا بد من الإشارة إلى أن البدايات لم تستند لتطور ذاتي وموضوعي لحياة المجتمع الفلسطيني الذي هزته هزيمة ١٩٤٨، التي دمرت النظام السابق تدميراً شاملاً إلى جانب فقدان الأرض، فولد النظام الفلسطيني المعاصر في منتصف الستينيات من القرن الماضي بإرادة وقرار عربي عندما شكلت جامعة الدول العربية منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤م، فلم تكن الولادة هذه نتيجة لتطور طبيعي للمجتمع الذي فقد كل شيء بعد أن سلم نظامه المهزوم الراية ووافق على ضم ما تبقى من فلسطين (الضفة الفلسطينية) للأردن في مؤتمر أريحا الذي عقد لبقايا مهزومي النظام الفلسطيني، وعندما أخضع القطاع في غزة للإدارة المصرية. واقع الحال يقول ويؤكد أن النظام السياسي الفلسطيني قد انتهى نهايةً مأساوية مع هزيمة ١٩٤٨ ولم يعد له أي وجود حتى عام ١٩٦٩ عندما تمكنت الفصائل الفلسطينية التي اشتد عودها بعد معركة الكرامة عام ١٩٦٨، من بلورة نفسها والسيطرة على منظمة التحرير الفلسطينية التي

^{٤٧٣}. انظر في ذلك: دراسات في الحركة القومية العربية / مجموعة مؤلفين / مركز دراسات الوحدة العربية وجامعة الأمم المتحدة ومكتبة المستقبلات العربية البديلة / منتدى العالم الثالث: مكتب الشرق الأوسط / الطبعة الأولى (١٩٧٨ م) / موضوع للأستاذ لطفي الخولي / ص ٤١ - ٥٩.

شكلها العرب، مستفيدة هذه الفصائل وخاصة حركة فتح من الهزيمة التي مني بها النظام الناصري في مصر والنظام العربي ككل إثر هزيمة ١٩٦٧ (٤٧٤) التي أكملت فيها "إسرائيل" احتلال ما تبقى من فلسطين واحتلت أراضي من ثلاث دول عربية أخرى (٤٧٥).

إلا أن اللاجئين الفلسطينيين لم يسلّموا بوجود دولة "إسرائيل" على تراهم، ولم يفقدوا الأمل بالعودة الى بيوتهم وقيام دولتهم فظهرت في صفوفهم ميول جديدة للنهوض من حالة السبات العربي والفلسطيني بعد الهزائم المتعاقبة، من خلال القيام بدور عسكري فلسطيني مستقل ضد "إسرائيل"، حيث قامت في قطاع غزة عدة تنظيمات فلسطينية تسبى بعضها الكفاح المسلح، وبعضها انضوى تحت عباءة العمل القومي العربي.

واستمر العمل السياسي الفلسطيني متعلقاً بفصائل العمل التنظيمي والحزبي التي لم نجمها في تلك الحقبة، حتى بدء الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام ١٩٨٧ م، حيث أخذ العمل السياسي الفلسطيني شكلاً آخر، وبعداً سياسياً محلياً وإقليمياً وعربياً أوسع وأعمق.

مع انطلاق الانتفاضة، بدأت الساحة الفلسطينية تشهد في النطاق السياسي تحولات جذرية، تمثلت بميلاد المشروع السياسي الإسلامي في فلسطين، تحت لواء حركة المقاومة الإسلامية حماس، التي انبثقت من رحم جماعة الإخوان المسلمين، لتثبت نفسها بشكل كبير على الأرض بقوة الفعل وقدرتها على التأثير والتأطير (٤٧٦)، وبدأ العمل السياسي يأخذ شكل التعدد الأيديولوجي، والتفنن في رسم أبعديات المراحل المختلفة وترسيم الأولويات الفلسطينية في مواجهة الاحتلال.

^{٤٧٤}. انظر في ذلك: تقارير ووثائق نادرة في: حربنا مع "إسرائيل" / الملك حسين / دار النهار للنشر - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٦٨ م) / ص ٤٩ وما بعدها..

^{٤٧٥}. انظر في ذلك: مجلة الطريق نحو الاستقلال والسلام / مجلة نصف شهرية صادرة عن تحالف السلام الفلسطيني / موضوع بعنوان: النظام السياسي الفلسطيني على مفترق طرق، للباحث الفلسطيني: صابر عارف

^{٤٧٦}. الموقع الإلكتروني: www.mnofal.ps / موضوع بعنوان: النظام السياسي الفلسطيني بين الماضي والحاضر والمستقبل / للباحث: ممدوح نوفل، منشور بتاريخ: ١٩٩٩/٥/١.

ومع استمرار محاربة الصهاينة للحركات الفلسطينية المقاومة^(٤٧٧)، والظروف التي ألمت بمنظمة التحرير الفلسطينية، بدأت مرحلة أوسلو واتفاقات مدريد، وما نجم عنها من وأد للمشروع الفلسطيني، وتبخّر للحلم الفلسطيني على أيدي فلسطينية من خلال تجسيم فلسطين ببقعة صغيرة على بعض أجزائها دون بعض، والاعتراف بالكيان الغاصب على أرض فلسطين كدولة قانونية بلسان عربي، طمعاً في مكانة يناها أصحاب هذا المشروع، سيما، أنهم قد ضربوا بعرض الحائط كل الآراء من داخل المنظمة^(٤٧٨) ومن خارجها^(٤٧٩) الرافضة لهذا المشروع جملة وتفصيلاً.

النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو

إذا كان من الضروري تعريف الكيان الفلسطيني القائم وتسميته باسمه الحقيقي، فهو "حكم ذاتي"، في صيغة "دويلة فلسطينية" على جزء صغير هام من الأرض، ناقص السيادة، محدود الصلاحيات^(٤٨٠).

يتشكل النظام السياسي الفلسطيني بعد ميلاد سلطة أوسلو^(٤٨١) من مكونات متنوعة من حيث المشارب الفكرية والأيدولوجية والعملية، ففيه المنظمة التي يعتبرها البعض

^{٤٧٧}. انظر في ذلك: مجلة القدس - العدد ٣٧ / ص ٦١ - ٦٦، موضوع بعنوان: الرؤية الأمريكية لحركات المقاومة الفلسطينية - الأبعاد والانعكاسات / بقلم: علاء النادي.

^{٤٧٨}. مثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.. والجبهة الديمقراطية.

^{٤٧٩}. مثل حركتي حماس والجهاد الإسلامي.

^{٤٨٠}. لكونه لا يتطرق ولو بالحد الأدنى للقضايا الأساسية "القدس الاستيطان اللاجئيين الحدود.. الخ.

^{٤٨١}. بعد توقيع "أوسلو" في حديقة البيت الأبيض الأمريكي بتاريخ "١٣/٩/٩٣ م"، بعد توقيع عرفات ورايين عليه.

مثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني، وفيه قوى المعارضة التي لها وزنها السياسي وال جماهيري الكبير، وفيه المنظمات والمؤسسات والتيارات والحركات الاجتماعية المختلفة..

يؤكد على ذلك الباحث الفلسطيني ممدوح نوفل بقوله:

يتكون النظام السياسي الفلسطيني حسب الواقع السياسي من: منظمة التحرير الممثل الشرعي لكل الشعب، والسلطة الوطنية، والمعارضة المشاركة وغير المشاركة في السلطة والمنظمة، وهذا التعريف يشمل جميع قوى الشعب في الداخل والخارج، باستثناء فلسطيني "إسرائيل" الذين لا يزالون خارج النظام السياسي الفلسطيني كله. صحيح ان م ت ف كانت ولا تزال الممثل الشرعي والوحيد لكل الشعب الفلسطيني على كل الصعد والمستويات الرسمية العربية والدولية، إلا أن الواقع الفلسطيني القائم على الأرض لا يمكن أي طرف من الأطراف المكونة للنظام السياسي، بما في ذلك م ت ف، الإدعاء أنه وحده الممثل لكل الشعب والمعبر عن إرادته، فتآكل مؤسساتها السياسية، واهترأ أطرها الجماهيرية والعسكرية، وتراجع دورها القيادي "عملياً" لصالح السلطة، وبقاء بعض الأطراف الوازنة في المجتمع "حركة حماس مثلاً" خارجها يشكل على الصعيد الوطني "وليس التمثيل السياسي" ثغرة في تمثيل المنظمة لكل الشعب، وثغرة في قدرتها على التعبير الشامل عن الجميع، فحركة حماس قوة فعلية لها ثقلها في الشارع الفلسطيني، وهي في الوقت الراهن القطب القيادي للمعارضة (٤٨٢)، وقادرة على التأثير في الحركة السياسية الفلسطينية العام (٤٨٣).

ومع وجود الاحتلال فعلياً على الأرض الفلسطينية، وسلطته على السلطة، وإملاءاته المتواصلة على القيادة العاملة فيها في مجالات النظام السياسي الفلسطيني عموماً، إلا أن مرحلة أو سلو كانت إحدى المحطات الهامة في تشكيل النظام السياسي الفلسطيني تاريخياً، على صعيد نشوء تناقض حقيقي بين قانونية التزام م ت ف والسلطة الوطنية بالاتفاقات التي توصلت

٤٨٢. كان هذا قبل انتخابات عام ٢٠٠٦ م، وفوز حماس بها.

٤٨٣. الموقع الإلكتروني: www.mnofal.ps / موضوع بعنوان: النظام السياسي الفلسطيني بين الماضي والحاضر والمستقبل / للباحث: ممدوح نوفل، منشور بتاريخ: ١٩٩٩/٥/١.

لها " إسرائيل "، وبين شرعية استمرار المنظمة كمؤسسة وكإطار وطني في ظل شعاراتها التي انطلقت من أجلها.

يقول الأستاذ ممدوح نوفل في هذا الشأن:

فالاتفاقات الفلسطينية الإسرائيلية تلزم م ت ف والسلطة وقف حملات التعبئة العدائية ضد " إسرائيل "، ووقف العنف بكل أنواعه ضد قوات الاحتلال، والحفاظ على أمن " إسرائيل " والإسرائيليين، بما في ذلك المستوطنات والمستوطنين المقيمين على الأراضي الفلسطينية، وبمعاينة الأفراد والجماعات الذين يمارسونه، في وقت لم تقدم هذه الاتفاقات حلاً مرضية للشعب الفلسطيني ولم تعالج قضايا الأساسية — اللاجئين، القدس، الحدود، النازحين، المستوطنين والمستوطنات،... الخ، ناهيك عن عدم توقف الاحتلال عن أعماله القمعية للفلسطينيين في المناطق الخاضعة لسيطرته (٤٨٤)

وهو الأمر الذي جعل الساسة الفلسطينيين يصفون السلطة بأنها صارت رهينة للصهاينة بعد أن كانت مفاوض (٤٨٥)، وبات المظلومون من إجراءاتها يرددون:

أسد عليّ وفي الحروب نعامة خرقاء تنفر من صفيير الصافر (٤٨٦)

ومع أن الشعوب في العالم قد سمعت من الإعلام عن ميلاد السلطة الوطنية الفلسطينية فعلياً، إلا أن هذا الكيان الذي ولد تحت عيون وسمع الاحتلال ومباركته لم يكن قادراً على بناء نظامه السياسي بصورة سوية سليمة.

^{٤٨٤}. الموقع الإلكتروني: www.mnofal.ps / موضوع بعنوان: النظام السياسي الفلسطيني بين الماضي والحاضر والمستقبل / للباحث: ممدوح نوفل، منشور بتاريخ: ١٩٩٩/٥/١.. وكذلك: الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية / ص ٣١.

^{٤٨٥}. انظر في ذلك: مجلة القدس — العدد ٣٧ / ص ٦١ — ٦٦، موضوع بعنوان: عرفات وسلطته.. من مفاوضات إلى رهينة، بقلم: د. محمد خالد الأزعر.

^{٤٨٦}. مجلة البيان / ص ٥٩.

فالعلاقة بين السلطات الثلاث في الواقع الفلسطيني من الصعوبة والتعقيد. يمكن بسبب النظام المختلط الذي يجمع بين بعض أسس النظام الرئاسي وبعض أسس النظام البرلماني بشكل عشوائي وانتقائي لا يساعد في بناء نظام مساءلة فعّال، ويزداد الأمر صعوبة كون النظام الفلسطيني ناشئ وغير مكتمل بسبب استمرار الحالة الانتقالية في ظل الاحتلال والتداخل بين دور المنظمة ودور السلطة الوطنية والقائمين عليهما (٤٨٧).

يأتي ذلك في وقت تقر فيه كل اللوائح السياسية الدولية بوضوح بأن ((تحقيق الفصل المتوازن بين سلطات النظام السياسي الثلاث (التنفيذية والتشريعية والقضائية)، وتفعيل الرقابة المتبادلة بينها، واحترام كل منها للاختصاصات الوظيفية المنوطة بالسلطة الأخرى وفقاً للقواعد الدستورية والقانونية المرعية والمعتمدة؛ يساعد على بناء نظام النزاهة الوطني)) (٤٨٨).

وقد كان النظام السياسي الفلسطيني الرسمي، والمنصوص عليه بالقوانين التشريعية معبراً بشكل نظري عن وجود الفصل بين السلطات الثلاث، حيث يقول أحد الباحثين:

يؤكد القانون الأساسي الفلسطيني على مبدأ فصل السلطات (التشريعية والتنفيذية والقضائية) في النظام السياسي للسلطة الفلسطينية، حيث ينص في المادة الثانية على أن "الشعب مصدر السلطات ويمارسها عن طريق السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية على أساس مبدأ الفصل بين السلطات على الوجه المبين في هذا القانون الأساسي، كما أن المادة الخامسة منه تنص على أن " نظام الحكم في فلسطين نظام ديمقراطي نيابي يعتمد على التعددية

^{٤٨٧}. لعدم القدرة على التمييز بين مرحلة الثورة ومرحلة الدولة، هذا إذا كان يمكن أن تسمى السلطة ككيان بأنها دولة.

^{٤٨٨}. موضوع منشور على الانترنت، بعنوان: مبدأ فصل السلطات: حالة فلسطين - السلطة التشريعية، تحدث فيه الباحث عن طبيعة السلطة التشريعية وما تعرضت له من ضغوط وتضييق على عملها برغم تمتعها وفق القانون الأساسي الفلسطيني بحرية كبيرة.

السياسية والحزبية وينتخب فيه رئيس السلطة الوطنية انتخاباً مباشراً من قبل الشعب وتكون الحكومة مسؤولة أمام الرئيس والمجلس التشريعي الفلسطيني (٤٨٩).

هذا هو النظام الروتيني النظري في النظام السياسي العام.

إلا أن وجود شخصية متنفذة مثل ياسر عرفات في قيادة العمل السياسي للسلطة، وما يمثله من كونه رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية، والقائد الأعلى لحركة فتح، وغير ذلك من مسميات، قد جعلت من النظام السياسي الفلسطيني رهينة بيده، يقلبه تحت المسميات التي يمثلها، ويتصرف بحريه مطلقة، حتى نسف النظام السياسي بتعامله الأبوي المطلق، الأمر الذي دفع الباحثين إلى تسمية عهده بأنه عهد السلطة التنفيذية المطلقة.

علّق الباحثون من المختصين على هذه المسألة طويلاً، لكونها استمرت حتى العام ٢٠٠٣ م، عندما تدخلت "إسرائيل" لتقييد أبو عمار لصالح محمود عباس، وقامت بتقليص صلاحيات ياسر عرفات من خلال إيجاد مسمى رئيس الوزراء الذي تم تفصيله خصيصاً لمحمود عباس في تلك الآونة.

يقول الباحث الفلسطيني حسن حجازي في هذه المسألة مبيناً حجم الصلاحيات التامة التي امتلكها رئيس السلطة الأول ياسر عرفات (٤٩٠) بعد عام واحد فقط على رحيله:

٤٨٩. موضوع منشور على الانترنت، بعنوان: مبدأ فصل السلطات: حالة فلسطين - السلطة التشريعية، دون الوقوف على اسم الباحث.... وهذا الفصل بين السلطات يجعل النظام السياسي الفلسطيني يقترب من خصائص النظام البرلماني. لكن الانتخاب المباشر لرئيس السلطة الوطنية الفلسطينية وهو رأس السلطة التنفيذية ومسؤول عن جزء لا بأس به من مهامها، ومنحه حق الاعتراض على مشاريع القوانين التي يقرها المجلس التشريعي، وحقه في إعلان حالة الطوارئ في حالات معينة بالرغم من عدم منحه سلطة حل المجلس التشريعي، تصيغه بملامح النظام السياسي الرئاسي. وبالتالي يمكن القول إن النظام السياسي الفلسطيني، استناداً إلى مفهوم مبدأ فصل السلطات والعلاقة بينها، ليس نظاماً برلمانياً خالصاً وليس نظاماً رئاسياً خالصاً، وإنما هو نظام سياسي مختلط (نصف رئاسي نصف برلماني) يجمع بين خصائص النظامين البرلماني والرئاسي.

٤٩٠. انظر في ذلك: تقرير مطول ومفيد منشور في: مجلة القدس / السنة السادسة / العدد (٧٢) / ديسمبر)

٢٠٠٤ م / ص ٣٣ - ٧٧.

بعد عام على غياب عرفات، يتضح أن الإختبار الحاسم الذي واجه الفلسطينيين، كان مسألة ذات شقين:

الأولى: هل يستطيعون إعادة ترتيب وضع النظام الفلسطيني الداخلي، بما يكفل إحداث التطويرات البنوية في هذا النظام، لإملاء الفراغ الذي تركه عرفات؟

والثانية: هل يستطيع المستوى القيادي الجديد، إثبات جدارة قيادية، في مفهوم الإدارة الإستراتيجية للصراع؟ والراهن.

إنه بعد عام على غياب ياسر عرفات، ما زال هذان هما السؤالان الكبيران، اللذان يشكلان محك الحقيقة، بشأن قدرة الفلسطينيين، على الخروج من تحت سطوة وهيمنة، روح عرفات، عرفات الذي وإن غاب جسدياً، إلا أن فكرته، كما ظله الشخصي، لم يواريا الثرى بعد، وما زال بإمكان الرجل حتى بعد أن لم يعد سوى صورة، أن يطل علينا من برواز صورته ليصدر الأحكام من مثواه في العالم الآخر، على مدى قدرتنا على تجاوزه هو نفسه، وأن نستطيع تدبر شؤوننا (٤٩١).

وقد استمرت التعديلات على النظام السياسي الفلسطيني بعد ذلك، حيث يقول المتابعون للشأن الفلسطيني:

على الرغم من اتجاه المشرع الفلسطيني عند تعديل القانون الأساسي الفلسطيني عام ٢٠٠٣ نحو تقليص الصلاحيات التنفيذية لرئيس السلطة الوطنية وتحويلها إلى مجلس الوزراء المسؤول أمام الرئيس والمجلس التشريعي؛ إلا أن المشرع أبقى العديد من الصلاحيات التنفيذية

^{٤٩١}. مجلة الطريق نحو الاستقلال والسلام / مجلة نصف شهرية صادرة عن تحالف السلام الفلسطيني / موضوع بعنوان: بعد عام على رحيل عرفات:

ثلاثة شهور حاسمة لتدارك الانفجار الكبير...! / للباحث: حسين حجازي، وهو نفس رأي الباحث الفلسطيني: صابر عارف، الذي كتب في نفس المجلة مقالاً بعنوان: النظام السياسي الفلسطيني على مفترق طرق، وقد تعرض لباحثان إلى طبيعة النظام السياسي في حياة عرفات وبعد موته، وما تركه نظام التعامل الأبوي مع المجتمع بكل مؤسساته من آثار مدمرة أضعفت العمل المؤسساتي وجماعي الفلسطيني.

يبد رئيس السلطة عمليا ووفقا لإحكام العديد من القوانين الخاصة الأخرى الناظمة لعمل بعض المؤسسات التنفيذية، في حين أبقى الرئيس غير خاضع لرقابة ومساءلة المجلس التشريعي باعتباره منتخب مباشرة من الجمهور، ويشمل ذلك أيضا المؤسسات التنفيذية التي تتبع مباشرة لمؤسسة الرئاسة (بعض الأجهزة الأمنية، قطاع الإعلام، إدارة المال العام من استثمارات وموارد طبيعية، ومحافظين) وجعل الرئيس بحصانته عن المساءلة غطاءً يمنع مساءلة المؤسسات التابعة له (٤٩٢).

ومن الإشكاليات المعروفة الواضحة في النظام السياسي الفلسطيني بعد سلطة أو سلو: غياب الآلية الواضحة والملزمة للتعاون بين السلطتين التشريعية والتنفيذية في إعداد وإقرار مشاريع القوانين، وعدم التزام السلطة التنفيذية بتقديم مشاريع قوانين الموازنات العامة إلى المجلس التشريعي في مواعيدها القانونية، وكذلك الإشكاليات المتعلقة بإجراءات نشر القوانين المقررة من المجلس في الجريدة الرسمية (الوقائع الفلسطينية) بعد المصادقة عليها من الرئيس، حيث يفتح المجال لتغييرات على بعض الأحكام أثناء الطباعة!!!.

من الإشكاليات كذلك: عدم إزام السلطة التنفيذية بانجاز اللوائح التنفيذية للقوانين الجديدة المقررة من المجلس (٤٩٣) أو مرور وقت طويل قبل إعدادها وإقرارها من قبل مجلس الوزراء، وتعطيل الأداء الرقابي للمجلس التشريعي على المؤسسات غير التابعة لمجلس الوزراء، وتلك التابعة للرئاسة، حيث أن المجلس لا يملك صلاحيات الرقابة والمساءلة عليها، إضافة إلى

٤٩٢. موضوع منشور على شبكة الانترنت بعنوان: للخروج من أزمة النظام السياسي الحالي نظام ديمقراطي "رئاسي" أم نظام "برلماني" لفلسطين؟ / وهو موضوع قيم للدراسة الموضوعية لطبيعة النظام السياسي الفلسطيني لمن أراد الاستزادة.. وكذلك: موضوع منشور على الانترنت، بعنوان: مبدأ فصل السلطات: حالة فلسطين - السلطة التشريعية، دون بيان اسم الباحث، ومن المفيد الإشارة إلى نص المادة ٤٧ من القانون الأساسي بأن المجلس التشريعي هو السلطة التشريعية المنتخبة ويتولى مهامه التشريعية والرقابية على الوجه المبين في نظامه الداخلي، وهي المادة التي حولت التشريعي بمراقبة ومتابعة الأداء العام للسلطة التنفيذية بإطاره النظري..

٤٩٣. النسخة الإلكترونية من كتاب: تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة / إعداد: ياسر شلي وآخرون / موجودة على الانترنت، وقد تمت هذه الدراسة الخاصة بالتعداد في العام ٢٠٠١

إشكالية تبعية النائب العام لسلطة الرئيس، الأمر الذي يوقف استكمال الرقابة على أعمال السلطة التنفيذية بالحاسبة. (٤٩٤).

أما على صعيد السلطة القضائية، فقد كانت مغلوطة اليد، مقيدة الصلاحيات تكتنفها ظروف رضى السلطة التنفيذية التي تمرر سياسياتها رغماً عن قرارات القضاء الفلسطيني بمختلف مراحل ودرجاته (٤٩٥)، وذلك ناجم عن عدم احترام السلطة التنفيذية أحكام القضاء من خلال امتناعها في كثير من الأحيان عن تنفيذ هذه الأحكام، وعلى وجه الخصوص قرارات محكمة العدل العليا؛ خاصة إذا كانت هذه الأحكام تتعارض مع توجهاتها ورغباتها.

انعكس ذلك على العمل الفلسطيني العام، وهو ما يشير إليه الأستاذ جميل هلال عن دعم الدولة لبعض التيارات دون بعض، أن الدولة تحاصر بعض التيارات، وتسمح لغيرها بكل نشاط، حيث يبين ذلك قائلاً:

... إتاحة المجال للأحزاب والحركات السياسية لممارسة أشكال متنوعة من النشاط العلني، بما في ذلك من فتح مكاتب علنية، وإصدار المجلات والنشرات الحزبية، وتناقل مواقفها في الصحف ووسائل الإعلام المحلية، وإقامة الندوات والمسيرات والاعتصامات (٤٩٦) دون أن تسمح لغيرها بذلك.

من هنا، تأتي ضرورة الفصل بين جسم السلطة عن جسم منظمة التحرير وتدخلاهما.. (٤٩٧) حيث بات البعض يعتبر البعض منظمة التحرير بما تمثله من فصائل هي

^{٤٩٤}. انظر في ذلك بشكل موسع: موضوع منشور على شبكة الانترنت بعنوان: للخروج من أزمة النظام السياسي الحالي نظام ديمقراطي "رئاسي" أم نظام "برلماني" لفلسطين؟ / وهو موضوع قيم للدراسة الموضوعية لطبيعة النظام السياسي الفلسطيني لمن أراد الاستزادة.

^{٤٩٥}. وقد بدا ذلك جلياً في قضايا الاعتقال السياسي التي طالت كبار رموز الشعب الفلسطيني بحجة مقاومتهم للاحتلال الصهيوني خلال سنوات حكم أوسلو، الأمر الذي شكل إخراجاً لموقع رئيس السلطة والسلطة التنفيذية فتدخلت مرات عديدة للجم أفواه القضاة والمؤسسات القضائية.

^{٤٩٦}. تكوين النخبة الفلسطينية / ص ٦١.

المثلة للنظام السياسي الفلسطيني، بل هي النظام السياسي الفلسطيني بحد ذاته (٤٩٨) في تهمش رسمي لكل الفئات والتنظيمات والهيئات الشرعية الموجودة على أرض فلسطين من داخل المنظمة وخارجها، لأن:

إيجاد شرعية فلسطينية بمشاركة الجميع هو الطريق الوحيد لقيام سلطة قوية قادرة على الحكم، وهذا هو التحدي الأكبر أمام القيادة الفلسطينية (٤٩٩).

فلا يقوم النظام السياسي في ظل وجود عقلية تعتمد على إقصاء الآخر، والعمل الفردي في إطار ما يمثله هذا الطرف أو ذاك، وتجاهل تصورات وآراء وأطروحات الفصائل الأخرى لكون الإنسان وجد - في ظل ظروف معلومة - في موقع القرار.

يقول الأستاذ ماجد الكيالي:

معروف أن النظام الفلسطيني استمر طوال حوالي أربعة عقود وفق نظرية "الشرعية الثورية"، وفي إطار "ستاتيكو" معين، يقوم على نظام "الكوتا" الفصائلية. وهذا النظام الذي صاغته حركة فتح، احتلت فيه هذه الحركة موقع القيادة، وحددت تركيبته وعلاقاته،

^{٤٩٧}. انظر في ذلك: الموقع الإلكتروني: www.mnofal.ps / موضوع بعنوان: أزمة النظام السياسي الفلسطيني وحوارات الفصائل / للباحث: ممدوح نوفل / منشور بتاريخ: ١٩٩٩/٨/٢٤

^{٤٩٨}. انظر في ذلك: ورقة عمل، مقدمة لمؤتمر "التطورات السياسية الفلسطينية في ضوء الانتخابات التشريعية ٢٠٠٦"، معهد دراسات التنمية. غزة-فلسطين، مارس ٢٠٠٦، بعنوان: التباس مفهوم وواقع التعددية في النظام السياسي الفلسطيني - العلاقة المتبسة بين المنظمة والسلطة وحركة حماس أ.د. إبراهيم إبراهيم أستاذ العلوم السياسية - جامعة الأزهر-غزة.. وكذلك: شبكة الانترنت للإعلام العربي (أمين) WWW.AMIN.ORG / موضوع بعنوان: الوضع الفلسطيني - أزمة النظام السياسي العام / بقلم: د. سلمان محمد سلمان منشور بتاريخ: ١٩ تموز ٢٠٠٧.

^{٤٩٩} الموقع الإلكتروني arraee@arraee.com موضوع بعنوان: الانتخابات وتحولات النظام السياسي الفلسطيني/ للباحث: د. عبد الله تركماني / منشور بتاريخ: 2006/02/09. وكذلك: النظام العربي وصراعاته الداخلية- حالة النظام السياسي الفلسطيني وأزمته المستمرة / بقلم: د. جهاد حمد، منشور بتاريخ: ٤ شباط ٢٠٠٧ م / على الموقع الإلكتروني (أمين) WWW.AMIN.ORG.

وتمكّنت عبره من احتكار القرارات السياسية الاستراتيجية (قبل قيام السلطة الوطنية وبعدها)؛ تاركة للفصائل الأخرى، بغض النظر عن أدوارها وأحجامها، أدوارا ثانوية (٥٠٠).

ولعل هذا ما جعل الأمور تتطور باستمرار، إلى حد التلاعب العليّ بأنظمة القانون الأساسي الفلسطيني من قبل رئيس السلطة نفسه، وعلى يد محمود عباس، الذي اهتمته الفصائل المختلفة ومنظمات المجتمع المدني بأنه دمر النظام السياسي الفلسطيني في العام ٢٠٠٧ م (٥٠١).

إذا كان الساسة الفلسطينيون قد اتفقوا على أن ((قضية فلسطين قضية وطنية، وقومية، ودولية في آن)) (٥٠٢)، فإن الشعب الفلسطيني بكل شرائحه وتياراته وتصنيفاته الاجتماعية والمذهبية والفكرية بحاجة يومية إلى الوحدة الوطنية العريضة بين جميع الفصائل والتيارات، لا سيما التيارات السياسية الفاعلة.

المدخل للإصلاح السياسي الفلسطيني بعد سوء استخدامه وطول احتكاره، هو أن يتمتع الشعب الفلسطيني ولو من خلال هذه الدويلة الصغيرة المبتورة بنظام يؤهله للتعامل السياسي المثمر، والنهوض بالواقع لوضع استراتيجية جديدة للنضال من أجل استرداد الحقوق

٥٠٠.. الموقع الإلكتروني: عرب ٤٨ WWW.ARABS48.COM / موضوع بعنوان: عن تحولات النظام السياسي الفلسطيني رهنا / بقلم: ماجد كيالي / منشور بتاريخ: ٢٧/٦/٢٠٠٥ م... وكذلك: الموقع الإلكتروني للمبادرة الوطنية الفلسطينية على الإنترنت / مقال بعنوان: مستقبل النظام السياسي الفلسطيني والآفاق السياسية الممكنة - مستقبل ديمقراطية النظام السياسي الفلسطيني / بقلم: د. مصطفى البرغوثي.

٥٠١. وهذا ما أكدته منظمات حقوق الإنسان عقب قيام محمود عباس بإعلان حالة الطوارئ في فلسطين بعد سيطرة حماس على قطاع غزة، وطرده التيار الانقلابي في السلطة منها بالقوة، وانظر في ذلك: جريدة الرياض اليومية - السعودية / عدد الجمعة - ١٧ أغسطس ٢٠٠٧ م / العدد ١٤٢٩٨، مقال بعنوان: نائب حماساوي: عباس دمر النظام السياسي الفلسطيني بمحاولته الاستقواء بأمريكا والمحتل الإسرائيلي.

٥٠٢. ملحمة جنين / تحرير: عبد القادر ياسين / ضمن سلسلة: كتاب القدس، كتاب رقم (١١) / مركز الإعلام العربي / الطبعة الأولى (٢٠٠٢ م) / ص ١٤٣...

الوطنية والتاريخية في فلسطين، من خلال برامج القواسم المشتركة، وتغليب المصالح العليا للشعب الفلسطيني.

يقول الدكتور عبد الله التركماني في ذلك: ((وعلى هذا الأساس، فإنّ الانتخابات التشريعية الفلسطينية، إذا ما استثمرت استثماراً جيداً وواعياً ومدروساً، من المرجح أنّها ستفرز معارضة متحضرة، يمكنها أن تشكل صمام أمان للمجتمع والقضية، وظهيراً للسلطة في تحركاتها ومشاريعها، على طريق الدفع باتجاه رفع سقف مواقف السلطة وتحسين أدائها)) (٥٠٣).

وفي معرض بيانه لوجود الكفاءات القيادية في الساحة الفلسطينية، يقول الدكتور سليمان صالح بعد ذكره حال الزعامات العربية: ((ليس معنى هذا أن الأمة ليس فيها رجال مؤهلون للقيادة وإدارة الصراع.. كلا، والله إن هناك الكثير من هؤلاء الرجال الذين يستطيعون أن يقودوا الأمة إلى النصر والتقدم، وتحقيق الإنجازات الكبيرة على كل المستويات، و"إسرائيل" أول من يعرف ذلك)) (٥٠٤).

فالساحة الفلسطينية ممتلئها وكوادرها السياسية قادرة على إيجاد نظام سياسي قوي وفاعل يؤصل للمقاومة بأشكالها المختلفة، ويدفع باتجاه تقرير الحقوق المسلوبة، من خلال رفع الوعي الشعبي وتحسين المجتمع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ليكتب لهم المجد، ولشعب فلسطين النصر بعون الله، على قاعدة ما كتبه اللواء الركن محمود شيت خطاب:

إن الخلود لمن يموت مجاهداً ليس الخلود لمن يعيش جباناً (٥٠٥)

٥٠٣. الموقع الإلكتروني arraee@arraee.com موضوع بعنوان: الانتخابات وتحولات النظام السياسي الفلسطيني/ للباحث: د. عبد الله تركماني / منشور بتاريخ: 2006/02/09.

٥٠٤. انتفاضة الأقصى - نموذج حضاري إسلامي للمقاومة / د. سليمان صالح / ضمن سلسلة: كتاب القدس، الكتاب رقم (١٦) / مركز الإعلام العربي للنشر / الطبعة الأولى (٢٠٠٣ م) / ص ١٧.

٥٠٥. انظر في ذلك ونحوه: ملحمة جنين / تحرير: عبد القادر ياسين / ضمن سلسلة: كتاب القدس، كتاب رقم (١١) / مركز الإعلام العربي / الطبعة الأولى (٢٠٠٢ م) / ص ١٣.

التقييم الغربي لأداء السلطة بمؤسساتها العامة والخاصة

الوقفة هنا تتعلق بتقييم الدول الداعمة لأوسلو، ومواقفهم إزاء أداء مؤسسات السلطة، وقد اعتمد الباحث في هذا الباب على تقييم الشخصوس المشاركين في فريق عمل على أعلى المستويات لتدارس الوضع القائم (٥٠٦)، وسيخلص إلى ما يهم موضوع البحث دون غيره من الأمور.

فمن البداية، كان تأسيس السلطة للمنظمات الأهلية والمؤسسات غير قانوني في غالبته، بل يتبع النظرة الحزبية الخاصة، وهو ما دعا أهل القانون لبيان ذلك مراراً، ومن ذلك ما كتبه المحامي معن ادعيس، حيث جاء في كتاباته: ((لقد عمدت السلطة الوطنية الفلسطينية منذ قدومها إلى إنشاء عشرات المؤسسات / الهيئات العامة، لكن إنشاء هذه المؤسسات لم يتم دائماً وفق رؤية قانونية موحدة أو سليمة)) (٥٠٧).

بموازاة ذلك، تم سنّ التشريعات والقوانين التي تصدر من الفكر السياسي والتنظيمي لحركة فتح ومن والاهها، فقد أكدت الغالبية العظمى في الشارع الفلسطيني بأن ما يتم سنه من القوانين يتبع للسلطة الحاكمة، ويتمشى مع تصوراتها الخاصة، وليس مراعيًا لاهتمامات المجتمع المدني الفلسطيني وقواه السياسية وتياراته الاجتماعية، وذلك بنسبة فاقت (٧٣ %) من

٥٠٦. عقدت ورشة عمل تقييمية لأداء مؤسسات السلطة وواقعها وإفرازاتها شارك فيها عدد من المسؤولين الأميين السابقين، والشخصيات البارزة إعلامياً وسياسياً من أمثال: "مشيل روكارد - رئيس وزراء فرنسا السابق -، وكارل بيلدت - رئيس وزراء السويد السابق، دوغلاس هيرد - وزير خارجية بريطانيا الأسبق، وعبد اللطيف الحمد - رئيس مجلس إدارة الصندوق العربي للإئتماء الاقتصادي والاجتماعي في الكويت، وتيري رود لارسن - المستشار الخاص لوزير خارجية النرويج، وماريو سواريس - رئيس البرتغال الأسبق - وآخرون.. انظر: تقوية مؤسسات السلطة الفلسطينية (الملخص التنفيذي) / للمؤلفان: يزيد الصايغ وحليل الشقاقي / تقرير فريق العمل المسقل برعاية مجلس العلاقات الخارجية في السلطة برئاسة مشيل روكارد.

٥٠٧. المؤسسات العامة والسلطة التنفيذية الفلسطينية (الاشكاليات والحلول) / المحامي معن ادعيس / ص ٣.

الشعب الفلسطيني، ونسبة زادت عن ذلك من شعور المواطن الفلسطيني بافتقاد الثقة والمساواة في القوانين (٥٠٨).

امتاز الأداء المؤسسي الفلسطيني بواقعه المشحون على الدوام، وقد توجه العالم الغربي إلى دعم وجود السلطة وتعزيز مكائنها المجتمعية من أجل قمع النمو الإسلامي في الأراضي الفلسطينية، وفي ذلك تقول ليسلي غيلب رئيسة مجلس العلاقات الخارجية بكل صراحة ووضوح:

... إن الثقة في مؤسسات السلطة الفلسطينية تؤثر على المنافسة الشرعية مع الجهات الراديكالية التي ترفض اتفاقيات أوسلو، وتدعي أنها تقوم بعمل أفضل مما تقوم به السلطة الفلسطينية في توفير خدمات معينة للشعب الفلسطيني، إن هذه الثقة تؤثر على قدرة السلطة الفلسطينية على التفاوض والوصول لتسوية مع "إسرائيل"، كما تؤثر على ثقة "إسرائيل" في قدرة السلطة الفلسطينية على تنفيذ الاتفاقيات (٥٠٩).

تحدث المؤتمر عن مقدار الدعم وأوجهه وأشكاله، واعترفوا بالتزاماتهم المالية والطوعية لتثبيت دعائم حكم سلطة أوسلو، وقد بينوا من خلال مشاركتهم وأطروحاتهم أن سبب الدعم يكمن في رغبة هذه الدول في وجود كيان علماني يسعى إلى التوصل لسلام مع "إسرائيل"، ينهي القضية الفلسطينية التي أشغلت العالم - ولو ظاهرياً - لعقود طويلة.

ولكن النظرة التقييمية التي تستخلص من الموضوع: أن الدعم الأوروبي إلى الواجهة السلطوية الفتحاوية، قد أخذ بها مأخذاً بعيداً، حتى أوجدت مؤسستها الخاصة، وتقصدت توسيع مراكزها في المجتمع، وركزت على إيجاد (حالة مؤسساتية) تدعم وجود السلطة ووجود فكرتها، والتي تصطدم مع التوجهات الأخرى وتتضاد معها.

^{٥٠٨}. انظر في ذلك: استطلاع بانوراما - المركز الفلسطيني لتعميم الديمقراطية وتنمية المجتمع - مشروع الحكم الصالح / حول الاتجاهات نحو القانون والديمقراطية في فلسطين منشور بتاريخ: 24/08/2004 / بقلم: (مفتاح) المبادرة الوطنية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطية - فلسطين WWW.MIFTAH.ORG ..

^{٥٠٩}. تقوية مؤسسات السلطة /ص (أ) في التوظفة.

يقول الباحثون الفلسطينيون:

... ولعل الكثير من السياسيين الفلسطينيين قد خلطوا الأوراق بين العمل المجتمعي والسياسي، والخلط كان واضحاً بين أعضاء ومراكز مرموقة في السلطة الفلسطينية والمؤسسات غير الحكومية.. فأعضاء المجلس التشريعي ومجلس الوزراء ومسؤولين في الجهاز التنفيذي البيروقراطي كوكلاء الوزارات ومدراء العموم هم مدراء أو مسؤولون في مجالس إدارات المؤسسات غير الحكومية، وهذا الخلط ليس عفواً، بل مقصود، بحيث أكاد أرى أن هذه المؤسسات أصبحت وسيلة لهؤلاء في الوصول إلى مؤسسات السلطة من خلال الناخبين أو قاعدة المساندين والوصول إلى أموال المانحين من جهة، وهي بوابة خلفية للحفاظ على المصالح الاقتصادية والبقاء في المعترك السياسي - الإعلامي من جهة أخرى (٥١٠).

استطاعت السلطة من خلال الدعم والتوجيه والاقتراحات الذاتية والعريضة والأوروبية، ومن خلال مجالات التنسيق، أن تبرز للمجتمع مجموعة من المؤسسات، الأمر الذي يعني توسيع النفوذ الشعبي من خلال الاحتكاك الجماهيري اليومي، ويعني بشكل أوضح: إيجاد شخصيات متنفذة تتحرك في أوساط المجتمع من خلال مسمياتها الوظيفية.

يقول الباحث أسامة نعيمة مبيناً هذا التوجه:

لكن الواضح أن كل الأطروحات التي تنادي بتطوير المجتمع في كل مجالاته الحيوية، مصادرة من قبل السلطات التي لم تسمح حتى الآن بتواجد المجتمع المدني، إلا تلك المنظمات التي تطلق على نفسها الشعبية وهي حكومية، أو التي تدور في فلك المؤسسات الحكومية والحزبية الرسمية، و أما باقي تشكيلات المجتمع المدني و تجمعاته، نشاهد فقط عمليات " النط " دائماً من فوقه وهو بالمطلق غير مرخص لهم حتى الآن، ومتجاهل، و يتم تجاوزه، وبما لا يفسح مجالاً للشك بان السلطات تحاول أن تبني لنفسها هيكالات معاصرة تجاري فيها التطورات والاستحقاقات في مجالات الديمقراطية وحقوق الإنسان، مع المحافظة على كل أدواتها

٥١٠. الموقع الإلكتروني لشبكة الانترنت للإعلام العربي WWW.AMIN.ORG / مقال بعنوان: الفساد والمؤسسات غير الحكومية في فلسطين للباحث الفلسطيني: راسم عبد الغني / منشور بتاريخ: ٢٤ نيسان ٢٠٠٧ م.

وآلياتها ورموزها وامتيازاتها في القوالب والأسس التي تعودت عليها متمسكة فيها، ومهما ترافق ذلك من استهجان عام سياسي وحقوقى محلي أو عالمي (٥١١).

رغب الباحث بإدراج هذه النظرة، لبيان مقدار الدعم، وحجم التخطيط، وشخص المخططين، الذين قدموا خلاصة الخبرة، ووجوه المعرفة، لتدعيم السلطة في معركة البقاء على الأرض الفلسطينية، وحتى يدعموا التيار - غير المتشدد - والذي يميل إلى جانب التطبيع مع الاحتلال، والركون إلى القبول بالأمر الواقع والتعاطي معه بكل إفرزاته، الأمر الذي تطور حديثاً ليدخل في مناهج التدريس على شكل قيم ومفاهيم وحقائق (٥١٢) بعد أن بدأ بمؤسسات ومنظمات أهلية.

خلاصة ما تم التوصل إليه بعد جهود حثيثة من هذه النخبة العالمية ذات الخبرة العريقة، أن مؤسسات السلطة - الحكومية والأهلية - تشكل حالة مزرية في الواقع العام لها، حيث التضخم في الكادر، والمصروفات الخيالية، والإقصاء الوظيفي، والإدارة غير المنهجية، وسلبيات عديدة سجلها كبار المسؤولين في العالم، الذين جيء بهم ليوجهوا مسار مؤسسات السلطة (٥١٣).

ولعل ما جاء في التقييم الغربي لمؤسسات السلطة هو خير برهان على الطبيعة التي تمثلت في النظام السياسي العام في فترة أو سلو، وطبيعة التفكير السائد عند المتنفذين في هذه السلطة، على اختلاف مستوياتهم ومواقعهم.

٥١١. انظر في ذلك: الموقع الإلكتروني: ossama51@hotmail.com، موضوع بعنوان: الإصلاح

السياسي هو الأساس و هو البداية / للباحث: د. أسامة نعيصة.

٥١٢. نحو إطار مفاهيم فلسطيني واضح للتربية المدنية / إصدار: مركز إبداع المعلم - رام الله / الطبعة الأولى (

٢٠٠٣ م) / كلمة: أ. د. حولة صبري الشخشير / ص ٣٨ وما بعدها.

٥١٣. وانظر في ذلك: تقوية مؤسسات السلطة / ص ١ حتى نهاية الكتيب، ففي كل صفحة منه قيم وسلوكيات لا

بد من التنبه إليها.

بذكر الباحث لهذا الأمر؛ لا ينسى ولا يلغي أبداً دور الاحتلال الذي كان وما زال يتأمر ليلاً ونهاراً حتى لا تقوم للنظام السياسي قائمة، ولكن ما لا يقبل من الباحثين والمتابعين هو حالة التراخي والتقهقر التي تمت بفعل الفلسطيني نفسه، وحالات التعدي على القوانين وتجاوز الصلاحيات وإلغاء النظام السياسي من خلال السلطة الثلاثية المعروفة، واستبدال ذلك بالموقف الحزبي الضيق، والتصرف كمن يملك كل شيء وكل قرار؛ دون الرجوع إلى أطراف العمل السياسي الأخرى على الأرض.

العمل السياسي داخل المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ م

ضمن مفهوم العمل السياسي الصهيوني على أرض فلسطين، وانطلاقاً من نظرية (فرّق تسد) الاستعمارية، فإن الصهاينة قد عمدت إلى تمزيق الجسد الفلسطيني إلى كيانات أطلق عليها مسميات تتعلق بنظرتها المستقبلية التوسعية على صعيد العمل السياسي والاستعماري.

فقد اتخذ الصهاينة من المناطق التي احتلها عام ١٩٤٨ موطئ قدم له في انتشاره الاستعماري، بدءاً ببقية فلسطين، وانتقالاً إلى غزو الدول العربية المجاورة، مثل مصر وسوريا ولبنان، حيث أطلق على هذه المنطقة الجغرافية اسم (الخط الأخضر)، في إشارة إلى كيان دولة "إسرائيل".

ولكون الاحتلال الصهيوني قد احتل الأرض الفلسطينية التي عليها أهلها، فإن المدن والقرى الفلسطينية الموجودة على أرض فلسطين التي احتلت عام ٤٨ م لا زالت قائمة بنسبة كبيرة (٥١٤) كبلدة أم الفحم، والناصر، والجليل، ولا زالت القرى الفلسطينية تحتفظ

^{٥١٤}. برغم طمس معالم الحقيقة الفلسطينية من خلال تغيير ملامح الجغرافيا التي اعتمدها الصهيونية بعد سلسلة المجازر، مثل ما فعلت بدير ياسين وغيرها.

بمسمياتها الأولى في الأغلب (^{٥١٥}) كالقرى البدوية الموجودة في النقب الصحراوي في جنوب فلسطين.

على هذه الأرض يقف الإنسان الفلسطيني غير آبه بسياسات التهويد، وتغيير الوقائع على الأرض الفلسطينية بفعل الاحتلال وسياساته العنصرية والقمعية، فلا زال الشعب الفلسطيني في تلك المناطق يعتز بنسبته إلى الشعب الفلسطيني، ويفاخر بكونه متمياً إلى فلسطين لا إلى دولة الاحتلال.

وعلى الرغم من سعي الصهاينة الدائم إلى تهويد الأرض والإنسان، إلا أن سكان فلسطين في مناطق الاحتلال عام ٤٨ م كانوا جزءاً من الهوية الفلسطينية، بشخصهم ومنظمتهم المدنية والأهلية، وعاداتهم وتقاليدهم، ولا زالوا يمارسون الضغط على دولة الاحتلال للاعتراف بهويتهم الفلسطينية التي رفضوا مراراً التخلي عنها (^{٥١٦}).

ويشكل العمل السياسي داخل مناطق الاحتلال ٤٨ م، صورة مشرقة للعمل السياسي في ظل احتلال يكشف عن أنيابه في مواجهة أي حالة من زعزعة استقرار المجتمع يمكن أن تنشأ بوجود عوامل تحلل المجتمع الموجود في حدود دولته الغاصبة، وهذا العمل الفلسطيني يتسم بالعمل المبني على فهم حقيقي لطبيعة الواقع، وظروف الاحتلال، ويضع أجندته للعمل وفق نظام الأولويات، والتي على رأسها: الحفاظ على هوية الإنسان والأرض والفلسطينية.

^{٥١٥}. مع سعي الاحتلال الدؤوب إلى تغيير الأسماء، لشطب الحق التاريخي للشعب الفلسطيني بترابه المعتصب، كما فعل بقرية (أم الرشراش) التي أطلق عليها اسم (إيلات) وقرية (عيون قارة) التي أطلق عليها (جوش ريتسيون) وغيرهما.

^{٥١٦}. وبرغم إجبار الصهاينة لسكان هذه المناطق بحمل الهوية الصهيونية (البطاقة الزرقاء) إلا أن هويتهم الأساسية الفلسطينية الموجودة في قلوبهم وكيانهم هي الأساس، فالإجراءات والأوراق لا تطمس الحقائق، ولا تشوه الوقائع.

فطبيعة التجمعات السكانية العربية في هذه المناطق تتمتع بنوع من الحرية المشمولة في إطار (الديمقراطية) الصهيونية (^{٥١٧})، حيث يسمح لهم بممارسة الفعاليات التي لا تمس الاحتلال الصهيوني بصورة مباشرة، والعمل من خلال التجمعات والنقابات والهيئات والتنظيمات العربية المدرجة في قانون دولة " إسرائيل " على أنها أحزاب عربية داخل الدولة الصهيونية.

فبعد أن سمح القانون الصهيوني لكل تجمع بشري أن يختار ممثليه للبلديات والمجالس المحلية، أصبحت هذه القرى والبلدات العربية من الجليل إلى النقب صاحبة حضور في السياسة الداخلية المؤثرة بشكل مباشر على العمل السياسي الصهيوني، حيث اختار السكان العرب رؤساء هذه البلديات والمجالس من المحافظين على هوية الشعب الفلسطيني، ومن أصحاب الشعارات التي تدعوا إلى عدم تهجين العقل الفلسطيني ليصبح متهوداً بسلوكه وتصرفاته.

ومن أبرز التيارات السياسية العاملة على الساحة الفلسطينية في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ م: الحركة الإسلامية في " إسرائيل "، والتي يقودها شيخ المسجد الأقصى رائد صلاح، حيث تعتبر الحركة الإسلامية أكبر تجمع من حيث العدد، وأكبر تيار سياسي فاعل في التجمعات العربية الموجودة في تلك المنطقة.

تقود الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني المحتل مجموعة من البلديات والمجالس المحلية، لا سيما في بؤرة التواجد العربي في تلك المناطق، وهي بلدية أم الفحم، حيث تسيطر الحركة الإسلامية عليها منذ أكثر من عشرين عاماً، إضافة إلى عدد من المجالس المحلية والعربية والنقابات والهيئات الموجودة في تلك المناطق.

وفي سعيها الدؤوب لربط الفلسطيني بهوية الإسلامية والعربية، فإن الحركة الإسلامية في داخل فلسطين تقوم بعمل مهرجان سنوي ضخم، يجمع كل التيارات السياسية

^{٥١٧}. وهذا الحرية مضبوطة بمعايير عديدة، ولكن القانون فيه متنفسات عدة تمكن الفلسطينيين من النفاذ منها إلى تحصيل بعض الحقوق الخاصة بهم على صعيد التمثيل والحرية في التجمع وممارسة الشعائر والعبادة.

داخل فلسطين المحتلة، وهو مهرجان (الأقصى في خطر) (^{٥١٨}) والذي جرت العادة أن يتم بشكل سنوي، وأن يقدم في كل عام مجموعة من البرامج المرتبطة بالهوية والمقدسات وتنمية الإنسان الفلسطيني في الداخل.

إلى حوار الحركة الإسلامية، تنشط تيارات فكرية وسياسية أخرى، قومية ويسارية (^{٥١٩})، مثل الحزب الشيوعي الفلسطيني في " إسرائيل "، وأحزاب القائمة العربية الموحدة التي دخلت إلى الكنيست عدة مرات وفازت بمقاعد محدودة في برلمان العدو، والأحزاب النصرانية (^{٥٢٠}) وغيرها.

يقول الدكتور محسن صالح: ((تعرض نصارى فلسطين إلى الظلم والقهر والتشريد نفسه الذي تعرض له مسلمو فلسطين، وشاركوا في الحركة الوطنية منذ بدء الاحتلال البريطاني لفلسطين، وقدموا نموذجاً للتماسك والوحدة الوطنية في وجه المشروع الصهيوني، وشاركوا في الدفاع عن عروبة فلسطين بالكلمة والقلم والبندقية، وعبروا عن انتمائهم لحضاري للمنطقة بهويتها ولغتها وتراثها)) (^{٥٢١}).

وتعمل هذه التيارات على تحقيق مبدأ واحد: وهو أن شعب فلسطين واحد وموحد، ولهذا، فهي تجابه بحملات من القمع، تصل إلى حد إسالة الدماء (^{٥٢٢})، واعتقال

^{٥١٨}. يعتبر أكبر تظاهرة عربية تتم في الداخل منذ عشر سنوات ويزيد، حيث يحضره سنوياً ما يقارب من مائة ألف مسلم من فلسطيني الداخل المحتل، وتقام فيه مجموعة من الفعاليات والكلمات والمسرحيات والأناشيد الدينية التي تحت الفلسطينيين على التمسك بالقدس والأقصى والمقدسات.

^{٥١٩}. وهي متعددة الأسماء، ويقود تياراً كبيراً فيها النائب في الكنيست الإسرائيلي عومي بشارة.

^{٥٢٠}. مثل تلك الموجودة بأسمائها ومؤسساتها في مناطق الشمال، وتحديداً في بلدة الناصرة التي لها رمزية عند النصارى ويعتبرونها بقعة مقدسة في تراثهم العقائدي والفكري.

^{٥٢١}. الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية / ص ٣٤.

^{٥٢٢}. كما حصل عندما قتلت عصابات الصهاينة ١٤ فلسطينياً من الداخل عندما قاموا قهراً بإحدى القرى العربية في الداخل، وأصاب العشرات، وصار تاريخ ٣٠ / ٣ من كل عام يسمى بيوم الأرض، تكريماً لهم.

القيادات الفاعلة (٥٢٣)، وإغلاق المؤسسات (٥٢٤)، ومنع الحركة والتعويق (٥٢٥)، وغيرها.

وبعد دخول عدد من الناشطين العرب - مسلمين ونصارى - كممثلين للتجمعات العربية الموجودة داخل المناطق المحتلة عام ٤٨ م، أضحى العمل السياسي مقترناً بالفعل الجماهيري، في توحيد بين الناشطين العرب من كل الاتجاهات من أجل مقاومة تهويد العقل العربي، وتنميته ليتشكل وفق الرؤية الصهيونية، وقبول العرب الموجودين بحكم الأمر الواقع، ومجارات السياسة الصهيونية.

لكن النواب العرب كان لهم دور كبير في مجاهدة هذا كله، ولم يستكينوا، بل كان لهم دور حقيقي في فرض بعض القرارات التي سمحت بهامش من الحرية والحركة للعرب الفلسطينيين الموجودين في تلك المناطق (٥٢٦)، إضافة إلى تقرير برامج لدعم وتأهيل المناطق البدوية المهمشة في جنوب النقب، والتي هي عربية بالكامل (٥٢٧).

إضافة إلى ذلك، كانت المؤسسات الأهلية في هذه المناطق رديفاً فعلياً لمنظمات العمل الفلسطيني (٥٢٨)، بل هي أسبق منها وجوداً وعملاً، حيث سبقت احتلال مناطق ٤٨

٥٢٣. كما حصل مع الشيخ رائد صلاح ومصطفى صرصور وكمال الخطيب من الحركة الإسلامية في الداخل، إضافة إلى اعتقال رئيس بلدية أم الفحم عدة مرات، وما كان حديثاً من اعتقال النائب عزمي بشارة..

٥٢٤. حيث تم إغلاق العديد من المؤسسات المعنية بالاهتمام بالمسجد الأقصى تحت حجة أنها داعمة للإرهاب، وفي حملات متكررة، تم إغلاق مؤسسات وجمعيات داخل أسوار القدس، ودخل الخط الأخضر.

٥٢٥. منها على سبيل المثال ما اتخذ من إجراءات بحق الشيخ رائد صلاح بمنعه من دخول الأقصى، ثم منعه من الاقتراب من أسواره مسافة ١٥٠ متر، كيلا يتم اعتقاله.

٥٢٦. كالقرارات الصادرة بمنع سحب الحصانة من بعض النواب العرب، ومنع التحقيق معهم، والكف عن التضييق على حرية العبادات، ومنع اليهود من هدم مسجد شهاب الدين في الشمال الفلسطيني المحتل.

٥٢٧. مثل بلدة (كسيفة) الواقعة في النقب الجنوبي المحتل.

٥٢٨. حيث كان هناك تنسيق كبير بين منظمات المجتمع المدني بين المناطق المحتلة عام ٤٨ م، والمناطق المحتلة عام ٦٧ م، حتى بداية انتفاضة الأقصى الأولى عام ١٩٩٦ م، حيث منع الاحتلال أي تواصل فعلي بين الفلسطينيين من

م من قبل الاحتلال، فبادر الفلسطينيون هناك إلى مقاومة هذا الوجود من خلال العمل النقابي والخياري لتعزيز الصمود الفلسطيني ورفض السياسات الاستعمارية ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً.

وكان للتنظيمات والمؤسسات دور في التواصل برغم كل القيود، فهم يحاولون من خلال فترة وأخرى أن يربطوا الشعب ببعضه ببعض، ويؤكدوا على وحدة المصير والهدف، من خلال نشاطات إيجابية يقومون بها، لا سيما فيما يتعلق بملفات الأسرى الفلسطينيين (٥٢٩).

بهذا، يكون العمل النقابي والسياسي الموجود في المناطق المحتلة عام ٤٨ م صورة مكتملة لمشروع العمل السياسي العام المتصل بفلسطين، حيث يمثل الوجود العربي والإسلامي هناك جذور العلاقة بين أي فلسطيني وبين الأرض الفلسطينية، ولا يرى الباحث بأساً بأن يشير إلى دور هذا العمل السياسي والنقابي في رفق العمل السياسي في فلسطين بكثير من الهمة والعزيمة، والحث المتبادل على تفعيل الإنسان الفلسطيني ليقف أمام مسؤولياته، ويطالب بحقوقه بكل أنفة وكبرياء.

للحقيقة، فإن قدوم سلطة أوسلو قد أوجد ظلالاً سوداء في العلاقة التي كانت قائمة بين الفلسطينيين جميعاً، حيث كرّس الاتفاق وجود ("إسرائيل") في مناطق وجود الفلسطينيين عام ١٩٤٨ م، واقتصرت التحركات السياسية لرموز السلطة على مناطق الضفة

هاتين المنطقتين، وحظر على الفلسطينيين الموجودين في تلك المنطقة مغادرتها بدون علم مسبق مع الجهات الأمنية الصهيونية.

٥٢٩. حيث تتوجه جهات ممثلة بنواب الكنيست وأعضاء المجالس المحلية إلى زيارة المعتقلين الفلسطينيين في السجون الصهيونية التي يحظر دخولها على الفلسطينيين، ولكن امتيازات أعضاء الكنيست تساهم في نقل معاناة الأسرى إلى الشعب، ويبلغون الشعب الفلسطيني باحتياجهم الضرورية وممارسات الاحتلال بحقهم، وكذلك، تقوم الحركة الإسلامية في كل عيد من أعياد المسلمين بإرسال شاحنات من اللحم للمحرومين من الأسرى الفلسطينيين، حيث يمنع على الأسير أن يدخل أي طعام إلى المعتقل، مما يشعر الأسير بالأخوة الحقيقية من خلال هذا التواصل، لا سيما وهي تؤمن له ما لا يمكن تحقيقه من كل السياسة الموجودة في مناطق عام ٦٧ م.

وغزة، متناسية بالكامل وجود قرابة المليون فلسطيني في الداخل الفلسطيني المحتل عام ١٩٤٨ م (٥٣٠).

لعل هذا ما دعا كثيراً من الكتاب والباحثين إلى التعبير عن سخطهم من مثل هذه الممارسات، حتى قال أحدهم: ((الشعب الفلسطيني يدفع ثمن أخطاء المنظمة في مفاوضاتها)) (٥٣١) لكونها اعترفت رسمياً للصهاينة بموطئ قدم في فلسطين (٥٣٢).

ومع قدوم حركة حماس إلى السلطة عام ٢٠٠٦ م، بدأت التصريحات التي تتعلق بجيفا ويافا وعكا وصفد، وفلسطين التاريخية من البحر إلى النهر (٥٣٣) تجدد صداها في الداخل الفلسطيني المحتل، فأعادت جزءاً من العلاقة الوجدانية المفقودة بين جناحي الوطن المقسم (٥٣٤).

ويرى الباحث أنه يجب على أي كيان سياسي يقوم في فلسطين - ولو على جزء منها - أن يقر ببرنامج الربط الحقيقي بين جزئي الوطن المحتل، بغض النظر عن الواقع والحال، وبعيداً عن التجاذبات الحزبية، فالوطن للجميع، ويسع للجميع، وأي فرقة وتناحر يخدم أطماع الاحتلال ونواياه الاستعمارية، ويثبت وجوده المقيت على الأرض الفلسطينية.

٥٣٠. حيث لم يشر أي خطاب رسمي في فترة حكم سلطة أوسلو منذ ١٩٩٣ م إلى أي نوع من العلاقة أو الروابط بين الفلسطينيين وإخوانهم في مناطق عام ١٩٤٨ م، ولم يقيم ياسر عرفات بأي زيارة لهم مع أنه مكان مسموحاً له بالتجول في فترات سابقة، لا سيما بعد موت رابين، حيث وصل إلى تل أبيب ليؤين رابين أمام زوجته ليقا رابين، ولم يزر أي منطقة عربية في الداخل، مع أن أي خطوة ستكون لها رمزيتها ودلالاتها، وعلى إثره سار بتسارع محمود عباس ميرزا الرئيس الفلسطيني الحالي حيث لم يقيم بأي خطوة أو تصريح أو تلميح بترباط هذا الجسد الذي أعمل الاحتلال فيه مباضع التقسيم..

٥٣١. انظر في ذلك: مجلة القدس - العدد ٣٧ / ص ٦١ - ٦٦، موضوع بعنوان: من يوقف إرهاب دولة الاحتلال، بقلم: د. عماد جاد.

٥٣٢. وانظر في ذلك: الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية / ص ٣٧ - ٣٨.

٥٣٣. هذا هو الخطاب العام الرسمي لحماس، وصدر عن قيادة حماس السياسية من مشعل وحمدان ونزال و هنية والزهار وكل المتحدثين الرسميين وغير الرسميين في الحركة.

٥٣٤. انظر في ذلك: مجلة فلسطين المسلمة / العدد الثامن - السنة الثالثة والعشرون / ٢٠٠٥ م / ص ٦٢.

هذا هو البعد الخطير في الصراع مع الاحتلال، ويؤخذ بعين الاعتبار إذا ما سُلمت الأضواء على تقديرات مستويات واتجاهات الخصوبة للفلسطينيين في الداخل والخارج مقارنة مع نظيراتها في الشعب الصهيوني (٣٥) وما لذلك من أثر على مستقبل الوجود الصهيوني على أرض فلسطين.

الواقع السياسي بعد فوز حماس..

بعد أن تمت الانتخابات الفلسطينية في العام ٢٠٠٦ م، كان مطلع ذلك العام مؤذناً بدخول النظام السياسي الفلسطيني لمرحلة جديدة من مراحل نموه وتطوره، وهي مرحلة العمل السياسي بغير الطابع الفتحاوي الذي حكم السلطة لأكثر من عشر سنوات.

أشار الباحثون إلى هذه الحقيقة من خلال ذكرهم لطبيعة النظام والتدخلات التي كانت موجودة فيه، وبروزها بفعل التوجهات الفتحاوية بعد سيطرة حماس على السلطة في ٢٠٠٦ م، حيث يقول أحدهم:

أن النظام السياسي الفلسطيني لم يستطع معالجة إشكاليات متعددة في موضوع العلاقة بين السلطات تمثلت في عدم وضوح صلاحية كل طرف في شأن من شؤون الحكم وعلاقة هذا الطرف مع الأطراف الأخرى بهذا الشأن. وفي أحيان أخرى تتداخل الصلاحيات والاختصاصات فيما بينها، ووظف هذا التداخل في الصراع على السلطة في أعقاب الانتخابات التشريعية الثانية بتاريخ ٢٥/١/٢٠٠٦ بعد أن حصلت حركة حماس على أغلبية مقاعد المجلس التشريعي وتمكنت من تشكيل الحكومة برئاسة القيادي في الحركة إسماعيل هنية، لتنتقل حركة فتح والتي كانت تشكل حزب السلطة إلى المعارضة لأول مرة. ومما زاد من توظيف هذه الحالة في الصراع على السلطة والقيادة إن حركة فتح بقيت تتولى رئاسة السلطة الوطنية من خلال

^{٣٥}. انظر في ذلك: الخصائص الديمغرافية للشعب العربي الفلسطيني / المعهد العربي للتدريب والبحوث الإحصائية / منشورات دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٨٥ م) / ص ٥٥٩ - ٥٧٠..

الرئيس محمود عباس حيث أصبح الصراع يدور بين حزبين وبرنامجين مختلفين احدهما في رئاسة السلطة والآخر في رئاسة الحكومة ورئاسة المجلس التشريعي، وامتد الإشكال كذلك إلى داخل السلطين التشريعية والقضائية، وفيما بينها، وداخل الوزارات والمؤسسات العامة ذاتها (٥٣٦).

يؤيد ذلك أيضاً الأستاذ الدكتور الفلسطيني إبراهيم براش حيث يقول:
يشهد الحقل السياسي الفلسطيني هذه الأيام جدلاً وحواراً سياسياً غير معهود، يمس قضايا إستراتيجية تتعلق ببنية النظام السياسي الفلسطيني وآليات اشتغاله ومستقبله، وشكل الحكومة ومرجعيتها... الخ، وهي قضايا مقحمة على شعب يعيش تحت الاحتلال، والملاحظ أن هذه القضايا تتمحور حول طبيعة العلاقات ما بين مؤسسات رئيسية ثلاث: الأولى هي منظمة التحرير الفلسطينية، والتي وطوال أكثر من أربعة عقود وهي تمثل الشعب الفلسطيني وتعتبر الإطار الموحد للقوى السياسية الفلسطينية وبمناخة النظام السياسي الفلسطيني، والثانية السلطة باعتبارها نظاماً فرعياً للمنظمة أسست بقرار منها ليجيب ويتعامل مع استحقاقات سياسية مرتبطة بالتسوية السياسية التي ألزمت المنظمة نفسها به، والطرف الثالث هي حركة حماس التي أصبحت الحكومة، ومسيرة السلطة من باب الانتخاب، دون أن تكون جزءاً من منظمة التحرير الفلسطينية (٥٣٧).

وحول طبيعة بداية هذه المرحلة، ومدلولات التحول فيها، يشير الأستاذ ماجد الكيالي بقوله: ((تعيش الساحة الفلسطينية، في هذه المرحلة، إرهاصات التحول نحو نظام سياسي جديد، يركز على الانتقال من ديمقراطية "غابة البنادق"، إلى ديمقراطية صناديق الاقتراع، ومن "الوحدة في أرض المعركة"، إلى التعددية ضمن إطار النظام السياسي الواحد،

^{٥٣٦}. موضوع منشور على الانترنت، بعنوان: مبدأ فصل السلطات: حالة فلسطين - السلطة التشريعية، دون بيان اسم الباحث. مع بيان أن السبب المباشر والظاهر للصراع بين السلطات في النظام السياسي الفلسطيني يعود إلى عدم تحديد صلاحيات كل سلطة منها بشكل دقيق في القانون الأساسي والقوانين والأنظمة ذات العلاقة بعملها.

^{٥٣٧}. ورقة عمل، مقدمة لمؤتمر "التطورات السياسية الفلسطينية في ضوء الانتخابات التشريعية ٢٠٠٦"، معهد دراسات التنمية. غزة-فلسطين، مارس ٢٠٠٦، بعنوان: التباس مفهوم وواقع التعددية في النظام السياسي الفلسطيني - العلاقة المنبسة بين المنظمة والسلطة وحركة حماس أ.د. إبراهيم براش أستاذ العلوم السياسية - جامعة الأزهر- غزة.

ومن ازدواجية السلطة، بحكم التجاذب بين السلطة والمعارضة، إلى وحدانية القرار في إطار من التشارك والتوافق بينهما)) (٥٣٨).

جاء التعبير الحقيقي عن ذلك من خلال الجهود التي بذلتها حماس من لحظة إعلان فوزها رسمياً بالانتخابات إلى سعيها لتشكيل حكومة وحدة وطنية تحت عنوان: " الوطن للجميع.. ويسع الجميع"، لتتقلب الصورة بعد أكثر من عشر سنوات على الحكم التنفيذي من القطب الواحد.

ومع أن فتح رفضت الانضمام إلى هذه الحكومة، بل ومارست الضغط على بقية فصائل منظمة التحرير لرفض الدخول فيها، إلا أن الحكومة العاشرة التي شكلتها حماس قد تحولت فوراً إلى طور البيئة التأسيسية لحكومة الوحدة الحادية عشرة التي تشكلت بقيادة حماس في العام ٢٠٠٧ م.

وبرغم ما تم بعد ذلك من تحولات نتيجة انفلات الأجهزة الأمنية في عهد حكومة الوحدة الوطنية، وذهاب حماس إلى السيطرة العسكرية التامة على قطاع غزة، فإن هذه المرحلة بما شهدته من التوقيع على وثيقة الوفاق الوطني (٥٣٩)، واتفاق مكة بين قطبي الساحة الفلسطينية، وما تم إنجازه على صعيد حكومة الوحدة يشكل بارقة أمل في النظام السياسي الفلسطيني المستقبلي، بقدر ما يشكل نقطة قوة تضاف إلى رصيد حماس السياسي؛ كحركة فائزة ذات توجه وحدوي.

^{٥٣٨}. الموقع الإلكتروني: عرب ٤٨ WWW.ARABS48.COM / موضوع بعنوان: عن تحولات النظام

السياسي الفلسطيني راهنا / بقلم: ماجد كيالي / منشور بتاريخ: ٢٧/٦/٢٠٠٥ م.

^{٥٣٩}. وهي الوثيقة التي تم التوافق عليها في اتفاق مكة، وخرجت من خلال قيادة فصائل العمل السياسي من سجون الاحتلال في العام ٢٠٠٦ م، وقد تم التوقيع عليها من جميع الفصائل الفلسطينية الموجودة على الساحة، باستثناء حركة الجهاد الإسلامي، التي باركتها ولم توقع عليها لظروف خاصة بها.

المبحث الثالث

مكونات المشهد السياسي الفلسطيني

حتى يكون العمل البحثي موضوعياً، فإن من الواجب أن يتم ذكر المشهد السياسي الفلسطيني بعد هذا التوضيح لحقيقة النظام السياسي، حتى ترتبط الأمور بتصوراتها الكلية، ويقف القارئ على طبيعة التشكيل الحزبي والطائفي في فلسطين، لما لذلك من دور في مجال العمل الخاص في المجتمع المدني بكل منظماته وهيئاته.

سيبدأ الباحث بتفصيل المشهد السياسي من خلال بيان تياراته السياسية - إسلامية ووطنية - والوقوف على أبرز الطوائف الموجودة في المجتمع الفلسطيني.

المطلب الأول

الحركات الإسلامية في فلسطين

أي كيان موجود على مسرح العمل العام يمثل بصورة أو بأخرى زاوية من زوايا العمل السياسي في ذلك الموقع، سواء سمى نفسه سياسياً أم لا، والمشهد السياسي الفلسطيني يعطي صورة عن التعدد السياسي الحزبي مثله مثل سائر أقطار العالم.

على أرض فلسطين البتول هناك العديد من الأحزاب السياسية العاملة أو الخاملة، سيتترك الباحث الحديث عن بعضها هنا، مثل الأحزاب الاشتراكية والعلمانية والماركسية وتلك التي تمثل امتداداً لتيارات سياسية في دول أخرى؛ لكونها لا ترتبط بالفتيا والحكم الشرعي في تحركها السياسي والتنظيمي بقدر ارتباطها برؤاها الخاصة وأجندتها الحزبية، وسيتحدث عن التيارات الموجودة على الأرض. تمتيناً للإسلامية، وهي على النحو الآتي:

١ (جماعة الدعوة والتبليغ:

هي عبارة عن تجمع ديني يهدف إلى تبليغ الناس بقضايا جزئية من سنة وسيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومجموعة من الآداب الإسلامية والأحكام الشرعية المتعلقة ببعض العبادات.

هذه الجماعة التي توجد في كل المدن الفلسطينية؛ قليلة العدد، ولها مراكز تجمعها في المدن والأرياف، يجتمع الدعاة فيها أيام الخميس غالباً لتنظيم خروجهم لتبليغ الناس ودعوتهم بما يحملونه من قيم (٥٤٠).

تؤمن جماعة الدعوة والتبليغ بأن الواجب على المسلم أن يتفرغ للعبادة والتفكير في كل شؤونه، وهي لا تؤمن بالعمل السياسي، وتراه على أنه نوع من البدع المستحدثة، فلذلك تراها بعيدة كل البعد عن العمل السياسي، ولا تؤمن بوجود الأحزاب، ولا بالعمل الجهادي في ظروف الأمة الحالية، ولا تعمل في الحقل السياسي بمفهوم وطبيعة الحزب.

ويؤخذ على الجماعة أنها تنشغل بالعبادة المقصورة على ما ذكر، وترك وجوه العمل الإسلامي الأخرى، كالعمل السياسي والجهادي، والسياسات التربوية والاجتماعية المنظمة، وهي إطار يضم عوام الناس غالباً (٥٤١)، وتفتقد إلى المختصين في العلم الشرعي، والثقافات من العلماء في أصعدة عدة، وحتى المختصين في مجالات التخصص العلمي والأكاديمي الأخرى.

٥٤٠. وقد قمت بالخروج مع هذه الجماعة عدة مرات، وذهبت إلى أحد مراكزها والتقيت العديد من المشايخ فيها، وتعرفت عن قرب على طبيعتها وتشكيلها ودورها وأفكارها.

٥٤١. ويظهر ذلك جلياً من خلال الدروس والمواظب التي يتم إلقاؤها في المساجد وأثناء التجوال على البيوت، فالغالبية العظمى من أتباع هذه الجماعة هم من غير المتعلمين، ويركزون على الإسلام كطرح عام من خلال السنن والآداب.

لكن الموضوعية تقتضي أن يذكر لهذه الجماعة فضلها فيما تعممه على الناس مما صح من الأحاديث والآداب، ولها فضل حقيقي في توعية الناس إلى مجموعة طيبة من السنن والعبادات والآداب.

ولها الفضل كذلك في أنها إذا علمت بأمر فيه نص شرعي واضح وثابت، أو فتيا صادرة من أهلها الثقات فإنها تلتزم بها وتؤوب إلى الصواب، وتعديل من سيرها ولو بشكل بطيء.

ومن حال الدعاة فيها، والمنهج المتبنى في العمل عندهم، فإن أفراد هذه الجماعة - برغم القصور الحاصل في فكرهم الشمولية عن الإسلام - لا تهاجم أهل العلم، ولا تقدح في ثقات العلماء، بل تبدي لهم كل الاحترام، وتمضي إلى دعوتها بما تريد وبالطريقة التي تريد.

بقي أن يشير الباحث هنا إلى أن هذه الجماعة لا تؤمن ضمن مفاهيمها بالعمل المؤسساتي المعروف بهيئته المعاصرة، وليس لها على الأرض الفلسطيني أي مؤسسة أهلية تعنى بها، فهي تلتقي في (المراكز) (٥٤٢) حيث يتم هناك توزيع الدعاة، وتحفيظ القرآن والدروس والمحاضرات ونحوها (٥٤٣).

٢ (حزب التحرير الإسلامي:

هو تكتل سياسي إسلامي يسعى لإقامة الخلافة الإسلامية من خلال العمل السياسي الذي يتبناه (٥٤٤)، أسسه الشيخ تقي الدين النبهاني - رحمه الله - في العام ١٩٥٣ م.

^{٥٤٢}. مثل المركز الموجود في بلدة يطا في جنوب فلسطين.

^{٥٤٣}. وهذه المراكز لا تعتبر أطراً تعبوية بقدر ما هي مواقع تجميعية، مع أن البعض يصفها بأنها مؤسسات تابعة لهذه الجماعة، وتدخل ضمن التركيبة المجتمعية، ولكن دور هذه المراكز، لا يتصل بالمجتمع مباشرة، وإنما من خلال برامج إرسال الدعاة إلى المناطق المختلفة في فلسطين.

^{٥٤٤}. وانظر في ذلك: مواقع حزب التحرير على الانترنت.

هذا التيار يضع نصب عينيه إقامة الخلافة، ويسعى منظره في فلسطين إلى ربط الناس بهذه الفكرة في كل مناسبة، وتعتمد إصداراتهم ونشرياتهم على هذا المحور بشكل مركز ومتكرر.

بالرغم من طول عمر هذا التيار قياساً بغيره من التيارات الإسلامية والسياسية الموجودة على الساحة الفلسطينية، إلا أن انحساره ملحوظ في ساحة العمل، وانحساره الداخلي على مدار السنوات، الأمر الذي تشهد به الحقائق التاريخية منذ أن نزل مرشحوه إلى الانتخابات التشريعية في زمن الكونفدرالية مع الأردن عام ١٩٦٩ م (٥٤٥)، عندما كان مجموع الأصوات لمرشحيه يضاوي ويمثل أعداد الحزب الموجود في فلسطين عام ٢٠٠٦ م مثلاً.

يتوزع أعضاء هذا الحزب في بعض المناطق في فلسطين، لا سيما القدس والخليل حيث مولد أمير الحزب الثاني عبد القديم زلوم - رحمه الله-، وتخلو منهم مناطق كبرى أخرى كقطاع غزة مثلاً (٥٤٦)، حيث أكبر كثافة سكانية في فلسطين، وليس لهم فيه أي أثر يذكر هناك.

الفكرة الرائدة التي يدعو إليها هذا التيار والتكتل السياسي، ألا وهي الخلافة، فكرة إسلامية صميمة هي حلم كل مسلم، وأمل كل موحد على وجه الأرض أن يستظل بظلها، وهي محط أهداف كل التيارات السياسية الإسلامية التي تسعى إلى استبدال الأنظمة الوضعية بنظام إسلامي واحد وشامل، مثل الإخوان المسلمين، والجهاد الإسلامي، والدعوة السلفية، والسلفية الجهادية وغيرهم.

^{٥٤٥}. لقد وقفت على هذا المنشور (البيان) بنفسه، وكان من ضمن المرشحين في وقتها: يوسف الزغير، وعبد القديم زلوم، أمير حزب التحرير السابق، وقد كان نزولهم في ظل المعاهدة البريطانية الأردنية.

^{٥٤٦}. حيث يسكن القطاع قرابة مليون ونصف المليون فلسطيني، وقد قمت بالسؤال والاستفسار عن ذلك من خلال احتكاكي بقطاع كبير من سكان قطاع غزة ومن مختلف محافظات، أثناء وجودي داخل المعتقل، وأثناء تنقلي بين البلدان العربية.

يؤخذ على هذا الحزب أمور عدة، منها:

* اقتصار نظرتة على العمل السياسي، الأمر الذي أدى خلال السنوات التراكمية لوجود الحزب إلى ضياع الهوية التربوية عند أنصاره وأعضائه، لانشغالهم بالسياسة في مضمونها المفهوم حالياً، لا بمضمونها ومفهومها العام.

* التغذية الفكرية الحزبية (٥٤٧)، ولعلها مردّ كثير من التناقضات التي يقع بها أعضاء الحزب في ساحة العمل، حيث يقوم أفراد الحزب بدراسة قسرية للون واحد من الكتابات الفكرية، وهي كتابات قادة الحزب غالباً، وهي مراجع يتم الوقوف عليها، وشرحها، وحفظها، لتكون المنطلق الفكري الجامع لأعضاء هذا التيار.

هذا يعني عملياً: افتقاد النضوج المعرفي، والحجر على الأفهام بما يراد لها فقط، دون مقارنة أساسية للرؤى والتوجهات، الأمر الذي صبغ أفراد الحزب بكمّ معرفي واحد، وبأدلة واحدة، وشكل صياغة وقالب في الحوار واحد، لا يخرجون عنه لانعدام مقومات ذلك.

* الاعتماد على نظام الدوسيات الحزبية (٥٤٨)، وهي مجموعات من المسائل المجموعة والمطبوعة، فيها آراء حزب التحرير، وآراؤهم في القضايا الفكرية والاعتقادية والاجتماعية والاقتصادية، وهي دوسيات يمنع منعاً باتاً أن تخرج خارج إطار أعضاء الحزب لأي هدف ولأي سبب، الأمر الذي يضع علامة سؤال كبرى على ما فيها.

للحقيقة، وكطالب للعلم عنده حب الاستكشاف، فقد وقف الباحث على هذه الدوسيات، وقرأ ما جاء فيها، وفيها كمّ كبير من المغالطات، والأحكام المستقاة من هنا وهناك

٥٤٧. وهي مؤلفات داخلية لقيادات حزب التحرير يحظر على أفراد الحزب القراءة من غيرها، فإذا تم فهمها وحفظها يبدأ بعد ذلك التوسع في الكتب الأخرى، ومن هذه الكتب مثلاً: الشخصية الإسلامية لتقي الدين النبهاني، ومنهج حزب التحرير في التغيير، وكتابات أخرى تدخل في نفس الموضوع.

٥٤٨. مثل دوسيات: سؤال وجواب، ودوسية: إزالة الأثرية عن الجذور.. ونحوها.

برغم سقوط دليلها فقهاً، وقضايا فقهية تتم الإجابة عنها بشكل لا يعطي السائل صورة متكاملة عن حكم المسألة وحقيقتها، لا سيما دوسية: ((إزالة الأتربة عن الجذور))، المعتمدة في نظام التربية الحزبية، والتي فيها قضايا لا تتصل بالفقه الإسلامي من قريب ولا من بعيد.

* أنه من أكثر التوجهات الإسلامية - بل وغير الإسلامية - تبعاً لزلزلات العلماء، والفتاوى الشاذة، والقدح في الثقات الأثبات منهم بلا بينة، والتعرض لهم بالقذف والتشهير، وذلك من خلال مجلة الوعي (٥٤٩) التي تنطق باسم الحزب، أو من خلال خطاباتهم ونشاطاتهم التي يقومون بها.

* عدم تعاطيه مع أي رأي يخالف توجهات الحزب، ولو كان هذا الرأي من شباب الحزب أنفسهم، ولو كان هذا الرأي مقترناً بالدليل، وهذا ما دعا كثيراً من قياداته وأعضائه بل وأعضاء لجان الولايات فيه (٥٥٠) إلى تركه، ومهاجمته بما يحمل من أفكار، الأمر الذي تمت ترجمته بالانشقاقات المتوالية في الحزب من بعض قياداته وعلى رأسهم: المنظر الأول في الحزب في مدينة القدس (محمد الشويكي) وغيره في سائر المحافظات.

* أن هذا التيار يعتمد على رؤية خاصة به في ميدان العمل الجهادي، فهو لا يؤمن ولا يعمل بأي (عمل مادي) (٥٥١) كما يسمونه إلا بوجود الخليفة، وهو الأمر الذي لا يستند إلى أي نص شرعي، ولم يقل به أحد من أهل العلم، ويعارضهم به علماء الأرض في مشارق الأرض ومغارها بالآيات الصريحة والأحاديث الثابتة الصحيحة، لما فيه من تعطيل لفريضة شرعية، وإقصاء لحكم شرعي واجب بحق كل مسلم بلا بينة.

اللافت في الأمر أن بعض التحركات الأخيرة خلال السنوات القليلة الماضية قد شهدت تحولاً نوعياً في أداء الحزب، فمع أنه لا يؤمن بأي عمل مادي، ويهاجم ويسفّه من

٥٤٩ . ولها موقع خاص على الانترنت بعنوان: مجلة الوعي، يرجع لها من أراد الاستزادة.

٥٥٠ . وهي أعلى سلطة موضوعية لقيادة الحزب.

٥٥١ . انظر في ذلك: مقالات عديدة تم إدراجها في الصفحة الإلكترونية على الانترنت: العقاب، وهو موقع تابع لحزب التحرير على الشبكة العنكبوتية.

يقوم به، إلا أنه في الآونة الأخيرة اتخذ - تحت ذرائع مختلفة - خطوات بهذا الاتجاه، كتأسيس الكتل النقابية في المعاهد والجامعات، وتنظيم المظاهرات، الأمر الذي يشكل انعطافة إيجابية في مسار الحزب نحو الخط السليم.

* أنه يشتهر في الساحة بتساهله المفرط بالتحريم والتكفير^(٥٥٢)، وذلك من خلال آيات قرآنية توظف في غير ما أنزلت به، وأحاديث ضعيفة يعتمد عليها، تم تبنيهم إليها أكثر من مرة، وتحليل مغلوط لا يستند إلى أجدديات العمل الفقهي السليم حتى.

* لا يعترف حزب التحرير بالعمل المؤسساتي، ولا يعمل في المجتمع الفلسطيني من خلاله إطلاقاً، فهو يرى أن منظمات المجتمع المدني تعيق إقامة الخلافة^(٥٥٣)، فهو يرفضها ويمنع أفرادها من العمل لصالحها، وهو بذلك لا يمتلك أي مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني^(٥٥٤).

٣ (الدعوة السلفية:

هي جماعة ترفض أن يطلق عليها - بحسب منظرها - أنها حركة أو حزب أو تيار سياسي، وهي في الحقيقة تجمع ديني عرفته الساحة الفلسطينية حديثاً مع انتشاره في العالم العربي والإسلامي - لا سيما السعودية -، يقوم على إعادة قيادة الأمة بنهج السلف من خلال القرآن والسنة ومناهج السلف الصالح - رضوان الله تعالى عليهم -.

^{٥٥٢}. كتكفيرهم لقيادات الحركة الإسلامية في فلسطين - وقد استمعت إلى ذلك بنفسي في أحد المساجد في فلسطين - وكبار الدعوة، وعلى رأسهم الشيخ القرضاوي، وغيرهم.

^{٥٥٣}. لكونها تقوم بواجبات دولة الخلافة، وهذا الأمر يجعل الناس تميل إليها وترتك فكرة إقامة الخلافة كما أخبرني بذلك عدد من قياداتهم ومنظريهم.

^{٥٥٤}. ومن المفارقات العجيبة، أنه مع ذلك يمتلك كتلاً نقابية مسجلة في الجامعات الفلسطينية تحمل اسم (كتلة الوعي)، وتعمل تحت إطار التعددية النقابية، وهو أمر يصطدم مع دعاوهم بكون العمل النقابي والمؤسساتي معيق لإقامة الخلافة.

يعرفها البعض بأنها: ((مفردة تشير إلى تيار أو جماعة أو (مدرسة عقديّة) أو منظومة عقلية تعتمد على أسس ومعايير في الاستدلال)) (٥٥٥).

بدأ هذا الشكل الحركي من العمل الإسلامي ينتشر في الساحة الفلسطينية بشكل بطيء من خلال بعض المراكز التي تقوم على دعمها ورعاية وتوجيه أنشطتها المملكة العربية السعودية، ومع هذا، لا زال انتشارها بطيئاً ومحدوداً في بؤر دون غيرها، كمدينة قلقيلية في الشمال الفلسطيني (٥٥٦)، والسموع في جنوب الخليل (٥٥٧)، مع انعدام وجودها بالكلية في مناطق أخرى في فلسطين.

تعتمد هذه الجماعة في طرحها النظري على وجوب تحكيم القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح في كل أمر (٥٥٨)، وترك محدثات الأمور والوقائع، لأن في ذلك تحصين للأمة ووحدتها.

ولهذه الجماعة دور طيّب في نشر الكثير من المؤلفات النافعة، والنشريات المتعلقة بمناسبات إسلامية وقضايا دينية متعددة.

مع ذلك، فإنه يؤخذ عليها الآتي:

* التعصب للذات، وللعلماء الذين تعتبرهم السلفية مرجعيات لها في الفقه والعلم والعمل، كابن تيمية وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله تعالى - وقلة من العلماء المعاصرين في

٥٥٥. انظر في ذلك: الموقع الإلكتروني: إسلام أون لاين WWW.ISLAMONLINE.NET: موضوع

بعنوان: نقاش حول السلفية المعاصرة، للكاتب والباحث السعودي نواف القديمي / ٥ / ١٠ / ٢٠٠٧ م.

٥٥٦. حيث مراكز القرآن والسنة في المحافظة.

٥٥٧. حيث مركز ابن باز في البلدة.

٥٥٨. انظر في ذلك مثلاً: وجوب العمل بسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكفر من أنكرها / للشيخ: عبد

العزيز بن عبد الله بن باز - أحد أتباع الدعوة السلفية وقياداتها في السعودية - / مطابع الهيئة الملكية - الجليل - السعودية / الطبعة الأولى / ص ٣ وما بعدها.

هذا الزمان كالشيخ الألباني - رحمه الله - (٥٥٩)، وبعض علماء السعودية المعاصرين، فما قاله هؤلاء يأخذ عند السلفية صبغة خاصة واجبة الأتباع، وما قاله غيرهم فيه نظر وغالباً ما يرد، وإن تم النقاش فيه فمع الازدراء (٥٦٠).

* التناقض بين الأسس الفكرية التي وضعها العلماء الذين تعتبرهم السلفية مرجعاً لها مع الأحكام المعمول بها حالياً في الحكم على الناس والتجمعات، فالعلماء الأفاضل كابن تيمية وابن القيم، بل وحتى معظم العلماء المعاصرين ينظرون إلى أهل السنة والجماعة أنهم وحدة واحدة، يؤمنون بنفس العقيدة والشريعة، وهم شركاء في المعتقد والمصير.

لكن السلفية المعاصرة قد تجاوزت هذا الخط لتحكم على كثير من الحركات الإسلامية المعاصرة، والتيارات السياسية والفكرية بأنها خارج دائرة الاقتداء بالسلف، ليصلوا بعد ذلك إلى توجيه أصابع الاتهام إليهم بتكبر صراط سلف هذه الأمة والسير على غير هداهم، وبالتالي: فهم خارج إطار "الفرقة الناجية" ويدخلون تبعاً في التكتلات والشعب النارية، التي مصيرها النار (٥٦١).

* التعصب في القضايا، والتشديد في مستجدات الأمور التي لم يرد نص لها من القرآن والسنة وسيرة السلف، ولو كانت مقبولة شرعاً بالدليل والاجتهاد، فهم يرون أنها من المحدثات، ويتشددون في رفضها بشكل واضح، سيما تلك الأمور التي تتعلق بالقضايا السياسية والمتغيرات على صعيد العمل الفردي فيما يستجد، ناهيك عن التشدد في قضايا الملبس والعادات والتقاليد حتى ولو لم تخالف الشرع.

٥٥٩. انظر في ذلك: الموقع الإلكتروني: إسلام أون لاين WWW.ISLAMONLINE.NET / موضوع بعنوان: السلفية المعاصرة.. قضايا شائكة، في حوار مفتوح مع الشيخ حامد العلي، الأمين العام السابق للحركة السلفية في دولة الكويت.

٥٦٠. وقد خضت ذلك بنفسي، وتعرفت إلى طبيعة نقاشاتهم عن قرب من خلال الاحتكاك ببعض الأفراد منهم.

٥٦١. وهذه الأحكام عامة يطلقها أتباع المذاهب السلفية أو المدارس السفلية على كل الحركات الإسلامية التي لا تتفق معهم غالباً، فهم يقولون بأنها تدخل في الفرقة النارية، ولا يصنفونها ضمن أهل السنة والجماعة وقد حاورت بعضهم ذات يوم وتبينت أن هذا مفهوم معلوم في فكرهم.

يقول الباحث السعودي نواف القديمي:

بهذا المعنى ربما لم تنجح غالبية المدارس السلفية في خلق نموذج فاعل ومندمج مع المجتمع، لكون الفرد السلفي متحفظاً على كثير من منتجات الحضارة الإنسانية التي صارت — قسراً — جزءاً من مفردات حياتنا اليومية.. فمثلاً ثمة تحفظ على الحياة السياسية بمعناها الديمقراطي التعددي، وثمة تحفظ على كثير من أدوات عمل الاقتصاد الحديث، وثمة مدافعة غير مدروسة لمنتجات العولمة على الصعيد الاجتماعي (٥٦٢).

* الاحتكاك المباشر والواضح مع من يخالفهم في الفكر والرؤى السياسية، والتعريض والتصريح بالهجوم على الفكر المخالف ومن يحمله، فهم سليطو اللسان على من اختلف معهم (٥٦٣)، عنيفو المصطلحات واللهجات في الذود عما ترسخ عندهم من فكر، حتى ولو من المدارس السلفية فيما بينها.

يقول العلماء: ((والمدارس السلفية كذلك في داخلها مخزون انشطاري ذاتي، نلاحظه في وجود عدة فصائل وتنوعات، والمدارس السلفية في كل دولة (السلفيون في الكويت اليوم أكثر من خمسة تيارات)، وتتعامل هذه الفصائل بجدة أحياناً مع بعضها البعض)) (٥٦٤).

من الجدير ذكره هنا، أن هذه الجماعة بدأت تنشط في الساحة السياسية الفلسطينية من خلال البنية المؤسسية لها، حيث يقوم عليها من يؤمن بفكر السلفية المعاصرة، ولديهم من الدعم المادي من السعودية وبعض دول الخليج العربي الشيء الكثير، فهم يقيمون نشاطاتهم بكل

٥٦٢ . الموقع الإلكتروني: إسلام أون لاين WWW.ISLAMONLINE.NET: موضوع بعنوان: نقاش حول السلفية المعاصرة، للكاتب والباحث السعودي نواف القديمي / ٥ / ١٠ / ٢٠٠٧ م.

٥٦٣ . كما هو الحال مع مخالفيهم في السعودية من أهل السنة والجماعة، وكذلك السجلات العنيفة بينهم وبين العدل والإحسان في المغرب العربي، وبينهم وبين تيارات إسلامية سلفية وغير سلفية في الخليج العربي ونحو ذلك.

٥٦٤ . الموقع الإلكتروني: إسلام أون لاين WWW.ISLAMONLINE.NET: موضوع بعنوان: نقاش حول السلفية المعاصرة، للكاتب والباحث السعودي نواف القديمي / ٥ / ١٠ / ٢٠٠٧ م.

أريحية، لا سيما في ظل عدم استهداف الاحتلال لهم ولقيادتهم ومؤسساتهم (٥٦٥)؛ لعدم اشتراكهم في العمل الجهادي في فلسطين بتاتا.

٥٦٥. ويلاحظ ذلك حتى من خلال حملات الاعتقال العامة والكبيرة التي تتم بين فترة وأخرى، فلا نجد من بين المعتقلين وقيادات العمل المؤسسي أحدًا من أتباع هذا المذهب، كما لم يتم إغلاق أي من مؤسساتهم في فلسطين برغم ضراوة الحملة على المنظمات المدنية الإسلامية في فلسطين كلها.

٤ (الجهاد الإسلامي :

هي حركة إسلامية جهادية أسسها الدكتور الشهيد فتحي الشقاقي - رحمه الله - في محاولة منه لتدعيم العمل الجهادي في فلسطين من خلال جبهة جهادية تعتمد على العمل المسلح كوسيلة لتحرير فلسطين (٥٦٦).

ومع وجود الحركة الإسلامية التي تمثل حماس ذراعها السياسي، وكتائب الشهيد عز الدين القسام ذراعها العسكري، إلا أن الجهاد الإسلامي اختار طريقة العمل المسلح بعيداً عن جسم الحركة الإسلامية بكل قطاعاتها، حتى يخوض تجربة العمل العسكري من خلال برنامجها الخاص الذي يفترق عما يسميه أعضاء الجهاد الإسلامي بنهج (الحركة الإسلامية التقليدية) في العمل فيما يتعلق بقضية فلسطين، وتحريرها من الغزاة الصهاينة، بطراز جديد من العمل (٥٦٧).

بحسب الوقائع الملموسة على أرض الواقع، فإن إطار العمل المعلن من هذا التيار السياسي تعداه إلى العديد من الوجوه التي يتطلبها بالضرورة أي عمل من هذا النوع، وقد تمثل ذلك في تأسيس الكتل النقابية في الجامعات والمعاهد الفلسطينية، إضافة إلى أداء سياسي من خلال بعض القيادات في الحركة، الأمر الذي خرج بها عن كونها جماعة مقاتلة، بحيث أصبحت حركة فكرية سياسية اجتماعية إضافة إلى كونها حركة جهادية.

^{٥٦٦}. انظر في ذلك: رحلة الدم الذي هزم السيف / الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي حياته وجهاده / تأليف: د. رفيق سيد احمد / (د.ط) / ص ٢٧ وما بعدها.

^{٥٦٧}. للحقيقة، فقد وقفت على أطروحات حركة الجهاد الإسلامي تجاه قضية فلسطين، وتصوراتهم لتحريرها، وقد وجدت أن ذلك لا يعدو نقيراً عما طرحه قادة الدعوة منذ نشوئها وحتى اليوم، بل إن عمل الإمام حسن البناء، مؤسس الحركة الإسلامية العالمية (التقليدية) كما يسمونها له في باب العمل لأجل فلسطين وتحريرها فضل السبق والتميز.. وانظر في ذلك: حماس الجذور التاريخية والميثاق / د. عبد الله عزام / ص ٥٦ - ١٢٠.

يؤخذ على هذا التيار السياسي في دائرة سياساته العملية على الأراضي الفلسطينية المحتلة خروجه من دائرة أهدافه إلى مجالات أخرى نقابية واجتماعية وأدائية، توسعت عن دائرة العمل العسكري الذي انطلقت لأجله، لتتعداه إلى غيره.

كما ويؤخذ عليه التوسع في اكتساب الكم البشري بعيداً عن التدقيق في الكيف الباني والمؤثر، وقفزه عن كثير من المحطات التربوية التي لا بد أن يعد من خلالها المجاهد قبل جهاده، ولذا؛ فهو يعتمد على العمل بشكل مباشر ورئيس.

والملاحظ خلو حركة الجهاد الإسلامي من نخبة المثقفين على مستوى المجتمع، وافتقارهم إلى العلماء الأفاضل في مجالات الاختصاص المختلفة، وبهذا، كان النوع القيادي الموجود بحاجة إلى تدعيم بكفاءات قيادية من أهل العلم الشرعي والخبراتي والتخصصي ليزداد العمل نضوجاً وتوسعاً^(٥٦٨).

يشهد القاصي والدايني بأن حركة الجهاد الإسلامي قد كان لها دور حقيقي في مواجهة المحتل، ومقارعتة، وقد قدمت من الشهداء الأبطال الذين آمنوا بالفكرة الكم الكثير، وكان لها دور مؤسستاتي بناء في بعض المواقع التي وجد بها ناشطون من هذا التيار.

فقد اعتمدت حركة الجهاد الإسلامي في مواقفها السياسية - في بعض الأحيان - على القوة المؤسساتاتية، والتي تمثلت بمنظومة من المؤسسات الموزعة على الوطن الفلسطيني، مثل: مؤسسة الإحسان الخيرية في كل من محافظات: [طولكرم / جنين / بيت لحم / رام الله / غزة]^(٥٦٩)، واتحاد الشباب الإسلامي في الخليل^(٥٧٠)، وجمعية البراء للفتاة المسلمة في جنين، ومؤسسة مشكاة الأسير في كل من رام الله والخليل.

^{٥٦٨}. وهذا واضح خلال السنوات العشر الأخيرة، حيث اقتصر الدور القيادي على عدد من القيادات الموجودة على الساحة بعضها لم يصل مرحلة الثانوية العامة، ولكنه انخرط في العمل التنظيمي مبكراً، الأمر الذي جعله يصل إلى سدة القيادة الحزبية في هذا التيار.

^{٥٦٩}. وقد التقيت في السجون الصهيونية بعدد من العاملين في هذه المؤسسة.

^{٥٧٠}. وهو نادٍ رياضي وملتقى ثقافي تم إغلاقه في العام ٢٠٠٣ م.

هذا بالإضافة إلى عدة جمعيات ومؤسسات وتكتلات موزعة في البلدات الفلسطينية المختلفة، بعضها معلوم بتبعيته للحركة، وآخر يأخذ مسميات أخرى، كمراكز الأبحاث والدراسات أو المؤسسات الإعلامية ونحوها.

٥ (جماعة الإخوان المسلمين..

هي جماعة إسلامية أسسها الإمام الشهيد حسن البنا - رحمه الله - تسعى من أجل استئناف الحياة الإسلامية من خلال منهج إسلامي أصيل، يعتمد على شمولية العمل من خلال شمول الفكرة الإسلامية في مناحي الحياة المختلفة، سياسة وفكراً، عملاً وعلماً وجهاداً، تأصيلاً وحكماً.

جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين هي الامتداد الطبيعي لجماعة الإخوان المسلمين في العالم (٥٧١)، وهي كبرى الجماعات الإسلامية الوسطية في العالم العربي والإسلامي.

ينضوي تحت لواء الحركة الإسلامية في فلسطين (جماعة الإخوان المسلمين) التيار السياسي للجماعة في أرض الإسراء والمعراج، وهي حركة المقاومة الإسلامية (حماس) (٥٧٢) والتي أسسها الشيخ الشهيد أحمد ياسين - رحمه الله - مع عدد من إخوانه، وكتائب القسام، التي تمثل الجناح العسكري المسلح لحركة حماس (٥٧٣).

٥٧١. انظر في ذلك: حركة المقاومة الإسلامية (حماس) - جذورها - نشأتها - دورها السياسي (١٩٢٠ - ١٩٩٤ م) / خالد نمر أبو العميرين / رسالة ماجستير، بإشراف: د. التيجاني عبد القادر / اقرت عام (١٩٩٤ م) / جامعة الخرطوم - السودان / ص ٧٠ - ١٤٤.

٥٧٢. .. انظر : حماس - الجذور التاريخية والميثاق / الجذور التاريخية: د. الشهيد عبد الله عزام / الطبعة الأولى (١٩٨٩ م) / دار نشر - / ص ٧ - ١١٨.

٥٧٣. انظر : حماس - الجذور التاريخية ص ١٢٦.

يقول المهندس الشهيد إسماعيل أبو شنب عضو القيادة السياسية في حماس: ((تشكل حركة المقاومة الإسلامية (حماس) حلقة من حلقات الجهاد في مواجهة الغزوة الصهيونية، تتصل وترتبط بانطلاقة الشهيد عز الدين القسام وإخوانه المجاهدين من الإخوان المسلمين عام ١٩٣٦ م، وتمضي لتتصل بحلقة أخرى من جهاد الفلسطينيين و جهاد الإخوان المسلمين في حرب عام ١٩٤٨ م، وكذلك العمليات الجهادية للإخوان المسلمين في إطار العمل الفدائي عام ١٩٦٨ م، وما بعدها)) (٥٧٤).

يأتي ميلاد العمل السياسي الفلسطيني المستقل في العمل ضمن إطار جماعة الإخوان المسلمين؛ كنتيجة لما تبناه الجماعة من طرح ضمن أديباتها في مجال استفار الطاقات التخصصية في مواضعها وتخصصاتها؛ من أجل رفع سقف توقعات الإنجاز المرجوة، على صعيد إحقاق الحق، وسيادة الشرع، وقهر المحتل.

وبرغم حداثة ميلاد حركة المقاومة الإسلامية حماس، كواجهة للعمل السياسي الإسلامي في ١٤/١٢/١٩٨٧ م، ومع انطلاق الانتفاضة الفلسطينية المباركة الأولى، إلا أن هذه الحركة استطاعت وخلال فترة قياسية أن تكون القوة الأولى بامتياز على ساحة الحدث الفلسطيني، ضمن ما يعرف بقياس الرأي العام من خلال الانتخابات الفلسطينية التي تمت بتاريخ ٢٥/١/٢٠٠٦ م، حيث حصدت الأغلبية المطلقة في الساحة الفلسطينية والبرلمان الفلسطيني في تلك الانتخابات (٥٧٥).

تعتمد جماعة الإخوان المسلمين التي يعيها البعض اسماً، ويستبدلها بحركة حماس، على العمل الموزع في قطاعاته السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والنسائية ونحوها.

^{٥٧٤}. الندوة الفكرية السياسية " خبرات الحركة السياسية الفلسطينية في القرن العشرين " المركز القومي للدراسات والتوثيق / استشراف المستقبل / حركة المقاومة الإسلامية حماس واستشراف المستقبل / ورقة حماس / إعداد المهندس - الشهيد - إسماعيل أبو شنب / غزة / ٢٠٠٠ م، ص ٢.

^{٥٧٥}. حيث حصلت حماس ومن دعمتهم في الانتخابات على ٨٠ مقعد من أصل ١٣٢ مقعد برلماني.

وتمتلك هذه الجماعة نخبة من القيادات السياسية والدينية والفكرية من العلماء والمفكرين والحائزين على الدرجات العلمية العليا ومحاضري الجامعات والمعاهد (٥٧٦)، ولديها يد مؤسساتية طولى (٥٧٧)، وتمتلك مداً شعبياً زاخراً على امتداد فلسطين المحتلة.

يؤخذ على هذه الجماعة..

عدم توظيفها اللائق لما تمتلكه من قدرات وعقليات من العلماء والمفكرين والكفاءات النقابية، وإن كان تبريرها بأن الظرف السياسي والضربات التي تتلقاها يومياً من الاحتلال عبر سنوات وجودها عطل ذلك، إلا أن المحاولات القليلة لا تعطي صفة الدوام.

ويؤخذ عليها أيضاً توجهها بسنة كبيرة لخدمة الجماهير من خلال مؤسساتها الخدمانية والاجتماعية، مع قدرتها على العطاء بمستويات أعلى، نظراً لما تمتلكه وما تتمتع به في جوانب كثيرة من مناحي الحياة واهتمامات الجمهور (٥٧٨).

لكن جماعة الإخوان المسلمين تبقى بالعموم أوسع الجماعات العاملة هدفاً، وأقدرها على الوصول، لما تمتلكه من قدرات ومقدرات تنظيمية، تُبقي على الكم الأكبر منها مكتوماً

^{٥٧٦}. الأمر الذي ظهر للعيان إبان الانتخابات البلدية والتشريعية التي تمت في نهاية العام ٢٠٠٥ م وبداية العام ٢٠٠٦ م، حيث قدمت حماس عشرات الكوادر المؤهلة علمياً بدرجات عالية وذات سبق للمجتمع الفلسطيني، كان معظم منها غير معلوم الولاء للحركة حتى ذلك الوقت.

^{٥٧٧}. ويظهر ذلك جلياً عندما قامت حركة فتح باستهداف مؤسسات حماس بعد إجراءات الحسم العسكري في غزة في العام ٢٠٠٧ م، حيث طالت الاعتداءات أكثر من ٣٠٠ مؤسسة أهلية تابعة للحركة في أقل من أسبوع.

^{٥٧٨}. حيث هناك تأخر ملحوظ للحركة في مجال السيطرة على المواقع النقابية الأخرى التي تستطيع بكل سهولة التحصل عليها، مثل نقابة الأطباء والصحفيين ونحوها، برغم فوزها المتكرر في نقابات أخرى كالمهندسين والمحاسبين القانونيين ونحوها.

بسبب الظروف التي تعيشها، وهي صاحبة التأثير الأعمق في جميع الحركات الإسلامية وغير الإسلامية بشهادة المحب والمبغض (٥٧٩).

٦. حزب النهضة الإسلامي

هو حزب إسلامي هامشي على الساحة الفلسطينية، تأسس بتاريخ ١٦ / ١٢ / ١٩٩٥ م في قطاع غزة بنهج إسلامي وطني قائم على رفض مشروع أوسلو والمطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية، ومنادياً بالفصل بين سلطات الدولة الثلاث (٥٨٠).

يرأس هذا الحزب الأستاذ علي كرسوع، وينادي هذا التيار بالعمل من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية. وأن فلسطين عربية إسلامية، والقدس العاصمة الأبدية لفلسطين، ويشدد على وحدة بناء الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج.

ولهذا الحزب بنية مؤسسية ونشاط أهلي متواضع نسبياً، حيث يتبع له نادٍ رياضي، ومؤسسة نسائية، وفرقة فنية مسرحية.

بالمحصلة، هذه التوجهات السياسية الإسلامية التي تعمل على المسرح الفلسطيني، مع وجود غيرها بالطبع من التيارات التي تسمى في السياسة العالمية بالأحزاب الجهرية، والتي يمكن الحكم عليها من خلال ما تنشره بأن لها علاقة بالفتيا والحكم الشرعي، وتعتمد على النصوص في تحركها ولو بصورة مجزوءة، كفتح الإسلام (٥٨١)، وهو تيار صغير يجمع بين أفكار فتح

^{٥٧٩}. انظر في ذلك: الإسلاميون المتطرفون وكيف يوفرون الدعم / جودي بارسالو / ترجمة وتصدير: مركز خدمة المتابعات الصحفية / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / موضوع بعنوان: دور الإخوان المسلمون كمرجعية / ص ٥.

^{٥٨٠}. انظر في ذلك: مركز المعلومات الوطني الفلسطيني على الانترنت، موضوع بعنوان: حزب النهضة الإسلامي.

^{٥٨١}. غير تلك الموجودة في لبنان.

وحزب التحرير، وألوية الناصر صلاح الدين التي تتبنى العمل العسكري ويتركز وجودها في قطاع غزة تحديداً (٥٨٢) وفتح الياسر في قطاع غزة (٥٨٣).

وبذلك يتبين المشهد الفلسطيني بإسلاميته التي تتحدد من خلال هذه التوجهات الحزبية الإسلامية، والتي تنشط في العمل بتوجهاتها المختلفة ومنطلقاتها التي بينها الباحث آنفاً باقتضاب.

^{٥٨٢}. وقد أعلنت هذه الجماعة في نهايات العام ٢٠٠٧ م أنها ستبدأ بتشكيل تيار سياسي رافد للعمل العسكري الذي تتبناه.

^{٥٨٣}. والذي يقوده خالد أبو هلال، وينشط داخل قطاع غزة.

المطلب الثاني

الحركات الوطنية الفلسطينية

الحركة الوطنية عموماً، هي مجموعة الأحزاب والقوى التي تعمل بإطار وطني يفترض بها أن تقوم بدور ريادي وقيادي لمجموع شرائح المجتمع والشعب، باتجاه تحقيق أهدافه الوطنية والسياسية والاقتصادية ونحوها (٥٨٤).

بهذا المفهوم العام، تندرج جميع التيارات الإسلامية وغير الإسلامية في هذا التصنيف، ولكن الفاصل في الأمر هو المرجعية التي تستند إليها كل هذه التيارات، وكل واحدة منها على حدة، فبعد معرفة الأيديولوجيات التي تنطلق منها كل كتلة فلسطينية موجودة على الأرض، وكل تيار وحزب سياسي، يمكن الحكم على مشروعه العام، وصفته الكليّة، بأنه إسلامي أو وطني، ضمن منظومة العمل الوطني العام (٥٨٥).

يطلق المصطلح اليوم ويقصد به تيارات العمل السياسي الفلسطيني غير الحركات الإسلامية التي سبق ذكرها، من الحركات العلمانية (كفتح) أو الماركسية (كالجبهة الشعبية وحزب الشعب والديمقراطية) أو التقدمية والتحررية، على اختلاف مسمياتها التنظيمية.

وسيدكر الباحث هنا الواقع العام لهذه التيارات السياسية مع منطلقاتها التي انطلقت منها وواقعها في الزمان الحالي باقتضاب وإيجاز.

^{٥٨٤}. الحركة الوطنية في القرن العشرين واستشراف المستقبل - ندوة سياسية فكرية / المركز القومي للدراسات والتوثيق ومنتدى الفكر الديمقراطي الفلسطيني / ورقة عمل مقدمة من: محمود إسماعيل - أبو إسماعيل، عن جبهة التحرير العربية / ص ٢.

^{٥٨٥}. انظر في ذلك للتوسع: موقع ويكيبيديا على الانترنت WWW.WIKIPEDIA.ORG / موضوع بعنوان: أيديولوجيات الأحزاب، وفيه تفصيل دقيق وشامل للمنطلقات العقائدية والفكرية والمعرفية لمختلف التيارات في فلسطين والعالم.

١. حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح).

حركة فتح هي كبرى فصائل منظمة التحرير الفلسطينية (٥٨٦)، وهي حركة ثورية مناضلة انطلقت في ١/١/١٩٦٥ م بقيادة أحمد الشقيري الذي أسس المنظمة بقرار عربي (٥٨٧)، وتبعه الرئيس ياسر عرفات، ومن بعد مقتله: محمود عباس (٥٨٨)، ليكونوا القادة الثلاثة المركزيين للحركة على امتداد تاريخها.

تدرج حركة فتح ضمن حركات التحرر الوطني الفلسطيني، وهي صاحبة تاريخ غير ضئيل من الإنجازات على الساحة الفلسطينية إبان مقارعتها للاحتلال الصهيوني، بعد انطلاقها، وفي السنوات التي تلت ذلك، وقدمت الكثير من الشهداء والأسرى والجرحى في هذا السبيل النبيل.

^{٥٨٦}. منظمة التحرير الفلسطينية هي إطار جامع لمجموعة من التيارات السياسية الفلسطينية التي كانت موجودة في أواسط القرن العشرين، تم إنشاؤها بقرار من جامعة الدول العربية لتكون جسماً تمثيلاً للشعب الفلسطيني وناطقاً باسمه في المحافل الدولية، وقد عقدت المنظمة لواءها للمؤسس أحمد الشقيري، ومن بعده لياسر عرفات الذي ظل رئيساً للمنظمة حتى توفى، وهذا الإطار اليوم لا يشكل المرجعية العامة للشعب الفلسطيني، لكونه لا يضم كبريات الحركات الفلسطينية، مثل حماس، والجهاد الإسلامي، وبعض التيارات الجديدة، إضافة إلى وجود تباين سياسي بين التيارات التي انضمت لها قديماً والتي خالفت اتفاق أوصلو كالجبهتين الشعبية والديمقراطية... وانظر للاستزادة: الموسوعة الحرة على الانترنت (ويكيبيديا) WWW.WIKIPEDIA.ORG / موضوع بعنوان: منظمة التحرير الفلسطينية.

^{٥٨٧}. انظر: فلسطين تاريخها وقضيتها / مؤسسة الدراسات الفلسطينية / المكتبة الجامعية - نابلس / ط١ (١٩٨٣م) / ص ٢١٧ - ٢١٨.

^{٥٨٨}. وقد استلم قيادة حركة فتح بعد مقتل عرفات في نهاية العام ٢٠٠٥ م.

حركة فتح بطبيعة المنضوين تحتها إطار شعبي عام، يجمع المسلم والمسيحي، ومن يؤمن بالإسلام ديناً ومنهاجاً ومن يؤمن بالعلمانية والديمقراطية، وفيها مزيج من تيارات مختلفة يميل بعضها إلى الفكر الشيوعي وأخرى إلى الفكر الديني (٥٨٩)، وهكذا.

وحركة فتح بهذا الوصف الذي يتفق عليه قادتها، وهو مسطور في مقرراتها الحركية (٥٩٠)، تشكل جسماً خليطاً من تيارات واتجاهات داخل بنائها التنظيمي، ولكن منطلقاتها الأيديولوجية المعلنة لا يمكن الحكم عليها من خلال المتحدثين باسمها لاختلاف ميولهم وآرائهم، فمنهم من يقول صراحة إننا حركة علمانية (٥٩١)، وبعضهم يرى أنها حركة وطنية موضوعية، وبعضهم يتحدث عن امتداد عربي حاضن، وهكذا.

بالنظر إلى فترة السنوات التي حكمت بها فتح الشعب الفلسطيني من خلال اتفاق أوسلو، فإن مما لا شك فيه بأن المبدأ الأيديولوجي الذي تحتكم إليه فتح في مسيرتها العامة أنها حركة علمانية، تؤمن بفصل الدين عن الجوانب السياسية والحياتية الأخرى، وهذا ما ظهر من خلال محاربتها الدائمة للنمو الإسلامي السياسي في فلسطين، بوصفه يريد التوجه بالمجتمع من خلال الحكم الشرعي إلى الحكم بما أنزل الله، وهو الأمر الذي يتصادم مع فتح من حيث المصالح الضيقة والفكرة التي مارستها بالحكم تطبيقاً.

٥٨٩. وقد وقفت على هذه الحقيقة بنفسى عندما كنت معتقلاً في سجون السلطة الفلسطينية التي قادتها فتح، ومن بعدها في سجون الاحتلال، حيث تعرفت عن كثب على أطروحات فتح المتشعبة، وكونها إطاراً مزيجاً من توجهات شعبية شتى.

٥٩٠. كالحال مع النشرات التي يصدرها الاتحاد العام لطلبة فلسطين في المهجر، من خلال الدوسيات الحركية والمواقف السياسية التي يتبناها، وقد ورد ذلك في الدستور الأساسي لاتحاد عام لطلبة فلسطين في التعريف بحركة فتح.

٥٩١. مثل المنظر الأول في الحركة: صخر حبش في كتابه فلسطين بلا هوية، حيث أقر بأن فتح تسعى لإقامة دولة علمانية بكل ما في الكلمة من معنى.

انطلقت حركة فتح كحركة ثورية من أجل استرداد الحقوق الفلسطينية المشروعة للشعب الفلسطيني (٥٩٢)، فقد جاء في البيان الختامي للمؤتمر الفلسطيني الأول الذي عقد في القدس بتاريخ ٥/٢٨ - ٦/٢ / ١٩٦٤ م ما نصه:

... "إيماناً" بحق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه المقدس فلسطين، وتأكيداً لخطية معركة تحرير الجزء المعتصب منه وعزمه وإصراره على إبراز كيانه الثوري الفعال وتعبئة طاقاته وإمكاناته وقواه المادية والعسكرية والروحية، وتحقيقاً لأمنية أصيلة من أماني الأمة العربية ممثلة في قرارات جامعة الدول العربية ومؤتمر القمة العربي الأول: نعلن بعد الاتكال على الله باسم المؤتمر العربي الفلسطيني الأول المنعقد بمدينة القدس في ٥/٢٨/١٩٦٤م: قيام منظمة التحرير الفلسطينية، قيادة معبئة لقوى الشعب العربي الفلسطيني لخوض معركة التحرير، ودرعاً لحقوق شعب فلسطين وأمانيه، وطريقاً للنصر (٥٩٣).

لكن منظمة التحرير الفلسطينية وبعد سلسلة من التطورات السياسية والدراماتيكية التي مرت بها حركة فتح تحديداً أخذت في سنوات الثمانينات من القرن العشرين تجنح نحو النهج التفاوضي السري مع الاحتلال الصهيوني (٥٩٤)، الأمر الذي تكشف بعد ذلك عند توقيع اتفاقيات أوسلو وما تلاها، لتساق خلف شعار البندقية وغصن الزيتون (٥٩٥)، ثم لتجد

٥٩٢. بحسب كل الخطابات التي كان يلقيها رئيس الحركة الراحل ياسر عرفات ومنظروها قبل تلك الفترة، من خلال الإعلام العالمي والمحلي والإقليمي.

٥٩٣. انظر في ذلك: الموسوعة الحرة على الانترنت (ويكيبيديا) WWW.WIKIPEDIA.ORG / موضوع بعنوان: منظمة التحرير الفلسطينية، وفيه سرد تاريخي لنشأة المنظمة والشخصيات الفاعلة فيها وأمور أخرى ذات صلة.

٥٩٤. وقد ذكر الأستاذ غسان حمدان جدولاً تفصيلياً يبين اللقاءات العلنية بين الفلسطينيين والإسرائيليين أدرج فيه أسماء كثيرة من مسؤولي منظمة التحرير في لقاءات موثقة بالاسماء مع الجانب الإسرائيلي، وانظر: التطبيع - استراتيجية الاختراق الصهيوني / ص ٧٦ - ٨٠.

٥٩٥. (في دلالة على ازدواجية الطرح السياسي والعسكري.

نفسها بعد ذلك أمام طريق واحد، وهو نهج السلام مع العدو (كخيار استراتيجي وحيد) (٥٩٦) .

أخذت فتح على عاتقها مشروع السلام الدائم مع الاحتلال في ظل رفض فصائل العمل السياسي الفلسطيني لهذا الخيار جملة وتفصيلاً (٥٩٧) ، وصار مشروع السلطة مشروعها كتيار سياسي، مضت به غير آبهة بالنقد واللوم الموجه إليها من جهات محلية وإقليمية وإسلامية وعالمية.

وبعد ميلاد السلطة الفلسطينية، صارت فتح صاحبة توجه يختلف من حيث الجوهر مع موقفها الذي انطلقت من أجله، فقد جمعت كوادرها في فلسطين في المجلس التشريعي ليصفقوا على إلغاء الميثاق الوطني الفلسطيني، ونسف المنطلقات التي قامت عليها ومن أجلها حركة فتح، في تحول جذري ومصيري في مسار الحركة (٥٩٨) .

يشهد لهذا التحول الخطوات التي اتخذتها فتح في محاربتها لقوى المقاومة الفلسطينية، حيث اعتقلت المئات من المجاهدين (٥٩٩) ، وقامت بتعذيبهم في سجونها، وكشفت العديد من خلايا المقاومة (٦٠٠) ، وصادرت السلاح، ومنعت التحركات الجهادية، وصارت جسماً مانعاً من المقاومة بكل وضوح.

٥٩٦ . كما صرح بذلك ياسر عرفات في القمة العربية التي عقدت في بيروت، وتلاه في ذلك أبو مازن في غير موضع ومقام ..

٥٩٧ . حيث صدر عن فصائل المقاومة العشرة الموحدة في سوريا بيان الرفض والمعارضة الشديد لنهج التسوية ورفض أوصلو وما يأتي به لما فيه من ويلات وكوارث على صعيد القضية الفلسطينية.

٥٩٨ . ارجع إلى ذلك في: أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية / أحمد الشقيري - مؤسس منظمة التحرير الفلسطينية - / دار العودة - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٧٣ م) / ص ٢٥٧ وما بعدها.

٥٩٩ . وتركز ذلك ما بين (١٩٩٦ - ٢٠٠٠ م) ، وعاد ليظهر بعد ذلك في العام ٢٠٠٧ م .

٦٠٠ . ويكفي للتدليل على ذلك التصريحات التي أطلقها القادة العسكريون في السلطة وعلى رأسهم المشارك في الفساد المالي (اللواء غازي الجبالي) عندما افتخر أمام الإسرائيليين في مؤتمر صحفي وعلى مسمع العالم بأنه مع أجهزة الأمن اعتقلت وسجن وعذبت المجاهدين والمناضلين، وقد منعت المئات من العمليات الجهادية ضد الصهاينة من أن تتم.

ليس أدل على ذلك من قيام رئيس السلطة عرفات بإعلان إغلاق مكاتب حماس والجهاد في الضفة وغزة بتاريخ ١١ / ١٢ / ٢٠٠١ م (٦٠١).

وبسبب سيطرة حركة فتح على المنظمة، ومقاليد السلطة، واعتمادها على الإقصاء الشامل وظيفياً وسياسياً لكل فصائل العمل المقاوم (٦٠٢)، أصبحت حركة فتح تتصرف من خلال السلطة على أنها صاحبة الحق في تقرير مصير الشعب، فقزمت القضية الفلسطينية في زمرة من المفاوضين، بعد أن أصبحت فلسطين جزءاً من هوية كل فرد في الأمة المسلمة، وصارت تعقد الاتفاقات، وتقيم التفاوض الأمني والسياسي مع الاحتلال في وضوح النهار، ضاربة بعرض الحائط كل القيم الثورية التي تربي عليها أبناء فتح من المناضلين الشرفاء أصحاب البوصلة السياسية الواضحة.

تلازم جنوح حركة فتح نحو الحل السلمي مع الاحتلال، مع حركة قمعية للمجتمع المدني الفلسطيني، مخالفة كل قوانين الحماية الدولية للعمل المدني (٦٠٣)، حيث تمثلت في استهداف الأجهزة الأمنية الفلسطينية - وهم أبناء حركة فتح - لكل المؤسسات الإسلامية، وما تم توثيقه من الصور التسجيلية والفوتوغرافية والحوادث عند لجان حقوق الإنسان وأرشيفات منظمات المجتمع المدني من حالات التخبط والعريضة السياسية على المجتمع المدني أكثر من أن يحصى (٦٠٤).

٦٠١. انظر في ذلك: مجلة القدس - السنة الرابعة / العدد (٣٧) / كانون الثاني ٢٠٠٢ م / ص ١١٣.

٦٠٢. وقد ظهر ذلك مدعماً بالوثائق والمستندات الحكومية السلطوية بعد سيطرة حماس على قطاع غزة، وكشفها للملفات السرية التي تم بموجبها حرمان أبناء التيارات الإسلامية من العمل، وإغلاق أبواب الوظائف العامة والحكومية في وجههم.

٦٠٣. انظر في ذلك: الحرية النقابية / مكتب العمل الدولي - جنيف - برامج تعليم العمال / مطابع دار الكتاب العربي - مصر / محمد الميناوي / القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٥٩ م) / ص ١٢٣ - ١٤٠.

٦٠٤. حتى إنه قد وصل الأمر في نهاية عهد ياسر عرفات إلى حد تباهي حركة فتح والسلطة الوطنية بهذه الممارسات من خلال تبليغ الإعلام المسبق ليقوم بتصوير وتوثيق وبث هذه الممارسات من خلال الإعلام إلى العالم، ليظهروا أنفسهم وفق (خارطة الطريق) التي وقعوها مع الاحتلال لاجتثاث المقاومة أهم الجهة التي تلتزم بعهودها مع "

يقول الباحث ناصر الفضالة عن الطبيعة الفلسفية لهذه المرحلة: ((وأمام هذا التحدي المصري الذي يواجه أمتنا الإسلامية والعربية، انشغل حكامنا ومفكرونا ومثقفونا بكيفية دعم الولايات المتحدة في حربها ضد ما يسمى بالإرهاب؛ لأنه وللأسف انتشر عند بعضهم ثقافة الهمبورجر، وأعجب هؤلاء بالنمط الأمريكي المتصهين، وهادنه البعض خوفاً من جبروته، أو طمعاً عند الآخرين ببعض الامتيازات التي يمكن أن يحصلوا عليها)) (٦٥).

لعل هذا ما قاد الشارع الفلسطيني إلى افتقاد العمل المدني في أداء السلطة الذي اتصف بالطابع العسكري، أو ما يعرف بظاهرة العنف السياسي (٦٦)، فقد جاء في استطلاع منشور للرأي الفلسطيني أن المجتمع الفلسطيني مفتقد للإحساس بالاستقرار المجتمعي وبال حقوق (الديمقراطية)، وأنه يؤمن أن الاستقرار هو السبيل لمستقبل آمن للشعب الفلسطيني، من خلال تحقق الأمن الاجتماعي بكل أشكاله وصوره (٦٧).

إسرائيل"، وقد جرى بث ذلك فعلياً على شبكات الإعلام العالمية والإقليمية والمحلية وتناولته الصحف والمجلات بتوسع كبير.

٦٥. أرض الإسراء دروس في العزة والفداء - ضمن سلسلة كتاب القدس / كتاب رقم (٢٨) / ناصر الفضالة / مركز الإعلام العربي - مصر / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٢١.

٦٦. انظر: ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية / د. حنين توفيق إبراهيم / سلسلة أطروحات الدكتوراة (١٧) / مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٩٢ م) / ص ١٢١ - ١٦١.

٦٧. LOOK:THE COST OF SOCIAL SECURITY - FOURTEENTH INTERNATIONAL INQUIRY , 1987 - 1989 / COMPARATIVE TABLES / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE - GENEVA/ F. P / P. 96 - 32 وفيه مجموعة طيبة من الدراسات والمقارنات عن طبيعة الأمن الاجتماعي في المجتمعات المختلفة وأثر ذلك على المجتمع ككل.

الأمر ليس اعتباطياً، حيث جاء في الاستطلاع: ((اعتبرت أغلبية كبيرة بلغت (٨١.٩%) أن الديمقراطية ضرورة أساسية لمستقبل المجتمع السياسي)) (٦٠٨) وهو تعبير آخر عن افتقادهم لها.

فقد قام كوادر حركة فتح بإغلاق المؤسسات الإسلامية أكثر من مرة، وقاموا بوضع الشمع الأحمر على أبوابها (٦٠٩)، وصادروا أملاك بعضها (٦١٠)، ووضعوا اليد على أرصدة غيرها في البنوك، واعتقلوا كوادر العمل المؤسساتي في الضفة وغزة، حتى وصل الأمر إلى اعتقال سياسي مقيت للنخب النقاوية على المستويات المختلفة، والزج بهم في السجون لفترات متباينة (٦١١).

باختصار، تركز الحضور الجماهيري لحركة فتح على ثقلها السياسي المستمد من مشروع أو سلو، والذي أصبح يعرف باسم السلطة الفلسطينية، والذي من خلاله حاولت أن تسيطر على مرافق الحياة الأخرى بقوة (القانون) الذي لوت عنقه مرات ومرات، وبقوة العسكر الذي كان ينفذ أوامر الساسة بغض النظر عن فحواها وأثرها، الأمر الذي قاد الساحة الفلسطينية إلى حالة من التأزم على صعيد الحريات، وكبت للتصرفات، وهيمنة حزبية أحادية تسلطية؛ تسمح لما تريد؛ وتحارب وتعادي وتؤلب على من لا تريد.

٦٠٨. استطلاع بانوراما - المركز الفلسطيني لتعميم الديمقراطية وتنمية المجتمع - مشروع الحكم الصالح / حول الاتجاهات نحو القانون والديمقراطية في فلسطين منشور بتاريخ: 24/08/2004 / بقلم: (مفتاح) المبادرة الوطنية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطية - فلسطين WWW.MIFTAH.ORG..

٦٠٩. كما حصل مع المؤسسات المدنية في قطاع غزة، حيث استهدفت كل المؤسسات الإسلامية تقريباً بإجراءات عقابية عنيفة دمرت مفهوم المجتمع المدني عن بكرة أبيه، ورسخت حقيقة العمل الفتحاوي الذي يؤمن بالقوة العسكرية في مواجهة المخالفين، أكثر من مرة في عهد ياسر عرفات ومحمود عباس.

٦١٠. كما حصل مع مؤسسة فرح في شهر تموز ٢٠٠٧ م، حيث سطت عصابات فتح على المؤسسة ونهبت أملاكها الخاصة.

٦١١. وقد كنت أحد المعتقلين عند السلطة الفلسطينية ضمن حملة من حملات الاعتقال السياسي ضد مخالفين حركة فتح في العام ١٩٩٧ م، ولبت بعض زملائي في سجون السلطة أكثر من ٢٨ شهراً، وفي نابلس ورام الله سجن البعض لسنوات طويلة.

هذا لا يعني أن التاريخ لهذه الحركة كان مظلماً على الدوام، بل إن باع الحركة في العمل الثوري من خلال بعض المراحل التاريخية السابقة قد جعلها تقدم آلاف الشهداء والأسرى والمصابين، وكان من بين قادتها (الشهداء والقادة التأسيسيون) نخبة من المخلصين في العمل العسكري والسياسي، الأمر الذي أدى إلى اغتيالهم بوسائل شتى، واستهدافهم من العدو بمختلف الوسائل.

٢. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

هي إحدى الأطر المناضلة على الساحة الفلسطينية، يقودها " جورج حبش " (٦١٢)، وتنضوي تاريخياً تحت عباءة منظمة التحرير الفلسطينية (٦١٣)، وتعتبر الفصيل اليساري الأول والأوفر حظاً في اليسار الفلسطيني.

تتبنى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أطروحات الفكر المادي، وتلتزم بالنظريات والتصورات المبتوثة في أدبيات ماركس ولينين حول الاشتراكية والشيوعية (٦١٤).

كان للجبهة الشعبية نفوذ واسع، وحضور جماهيري كبير في فترة السبعينيات من القرن العشرين، حيث توسعت قواعدها التنظيمية، وأوجدت حالة من الالتفاف حولها من قبل تيارات وشخصيات فلسطينية معروفة في تلك الحقبة، ولكن تأثيرها ونفوذها الجماهيري أخذ بالانحسار الشديد بعد ذلك، بسبب الانتكاسات الشيوعية، وهيار الاتحاد السوفياتي، وميلاد الحركة

^{٦١٢}. وهو رجل مسيحي، ويطلق عليه أنصار الجبهة الشعبية لقب: حكيم الثورة.

^{٦١٣}. انظر في ذلك: الموقع الإلكتروني لمركز المعلومات الوطني الفلسطيني على الانترنت / ضمن موضوع: فصائل منظمة التحرير الفلسطينية - الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والموقع الإلكتروني للجبهة الشعبية على شبكة الانترنت.

^{٦١٤}. ويلحظ في السنوات القليلة الماضية بأن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نأت بنفسها عن الإعلان الصريح أمام الشرائح المختلفة في المجتمع عن مبادئها وأفكارها ومعتقداتها الخاصة، لما في ذلك من تعارض مع قيم المجتمع الفلسطيني المسلم، واكتفت بالعمل تحت الإطار السياسي دون الخوض في نقاشات عن المعتقدات والتوجهات والتعبئة.

الإسلامية في فلسطين، الأمر الذي جعلها في ذيل القافلة السياسية، ومن الحركات شبه الهامشية في العمل السياسي الفلسطيني.

نشطت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين منذ تأسيسها بإيجاد مؤسساتها الخاصة، وتطوير وجودها المؤسساتي، لا سيما بعد قدوم سلطة أوسلو، لأنها لا تزال - ولو من بعيد - منضوية تحت إطار (م.ت.ف.) ولها اتصالاتها المالية والخبرائية معها، وقد أوجدت مجموعة من المؤسسات الخاصة بها، واكتسبت نجاحات في بعض النقابات العمالية والطلابية.

فمن المؤسسات التابعة لها في الوقت الحاضر مثلاً.. مؤسسة (الضمير) لرعاية شؤون الأسرى في رام الله، ورياض أطفال غسان كنفاني في عدة بلدات فلسطينية، وسرية رام الله (٦١٥) - رام الله، و لجان المرأة الفلسطينية (٦١٦) (أكثر من مركز وأكثر من مسمى)، والمكاتب الحركية في المدن والبلدات، ولها إنجازات ومؤسسات نقابية في مجال العمال والزراعة (٦١٧) والصحة، وغيرها.

الملاحظ أن نشاط الجبهة الشعبية يتركز في المناطق التي يتوزع فيها كادرها العامل، لا سيما في بعض المناطق الجغرافية في فلسطين، مع خلو الأغلب الأعم من المناطق الجغرافية الأخرى من أنشطتها (٦١٨).

٦١٥. وهي مؤسسة ثقافية فنية تقوم بعمل العديد من النشاطات الفنية مثل الدبكة والمسرح ونحوهما، إضافة إلى استضافة المحاضرات وورشات العمل والندوات ونحوها.

٦١٦. وتعتبر الجبهة الشعبية نفسها رائدة العمل من أجل تحرير المرأة، فلديها في قطاع العمل المؤسساتي النسوي نشاط ملحوظ على الساحة الفلسطينية، حيث تقيم المؤتمرات واللقاءات والندوات وتوزع النشرات والصحف، والتي من أهمها: صوت النساء.

٦١٧. وقد شهد القطاع الصحي والزراعي الذي يعتبر عصب التكوين في العمل الخاص بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين انتكاسة أخرى عندما انشق النائب في المجلس التشريعي (مصطفى البرغوثي) عن الجبهة الشعبية وأسس حزباً خاصاً به اسمها المبادرة الوطنية، وذلك لكونه كان ذا علاقة وطيدة باتجاه النقابات المهتمة بالمزارعين والعمال، وانظر: موقع المبادرة الوطنية على الانترنت WWW.ALMUBADARA.ORG.

٦١٨. حيث تنشط في رام الله، وبعض القرى الفلسطينية في الضفة، ولها نشاط في بعض المخيمات، بينما تخلوا من أنشطتها محافظات كبرى كالخليل ونابلس مثلاً، إذ إن نشاطها بها شبه معدوم.

٣. الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، تيار سياسي فلسطيني يساري نشأ استجابة للمتغيرات التي فرضها الاحتلال الصهيوني على الأرض الفلسطينية، بقيادة نايف حواتمة، الأمين العام للجبهة^(٦١٩).

تتبع الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين لمنظمة التحرير الفلسطينية، ولها ممثلها الدائم في المنظمة^(٦٢٠)، وهي التنظيم اليساري الثاني الموجود على الأرض الفلسطينية، ولها مشاريع خاصة لتوحيد جبهة اليسار في فلسطيني ليكون له ثقل جماهيري بارز، وبخاصة في ظل حالة الاستقطاب الثنائي التي عاشها الشعب الفلسطيني طويلاً بين فتح وحماس.

لهذه الجبهة ذراع طلابي موجود على الساحة النقابية، ولكنه لم يسبق أن فاز في أي انتخابات طلابية أو نقابية إلا متحالفاً مع غيره من التيارات، وبالأخص، التيارات اليسارية، وهذا دليل على ضآلة تمثيل هذه الجبهة لشرائح المجتمع، وتراجعها على المستوى الشعبي.

قدمت الجبهة الديمقراطية بعض التجارب في المقاومة خلال الانتفاضات المتعاقبة^(٦٢١)، ولكنها ظلت في إطار محدود وضيق نظراً لفقدانها للقاعدة الشعبية الخاصة بها، والتي شهدت بدورها عدة انشقاقات على مدار تاريخ وجود الجبهة^(٦٢٢).

^{٦١٩}. انظر في فكر هذه الجبهة وقياداتها ودورها: مجلة القدس - السنة الرابعة / العدد (٣٧) / كانون الثاني ٢٠٠٢ م / ص ٨٤ - ٨٥.

^{٦٢٠}. انظر: مركز المعلومات الوطني الفلسطيني على الانترنت: State Information Services ، موضوع بعنوان: فصائل منظمة التحرير الفلسطينية.

^{٦٢١}. ومنها: أما افتتحت العمليات في فترة الانتفاضة الفلسطينية الثانية بعملية استشهادية انطلاقاً من قطاع غزة.

^{٦٢٢}. ومنها: انشقاق حزب فدا. بقيادة ياسر عبد ربه في العام ١٩٨٩ م.

تمارس الجبهة دوراً تنظيرياً حالياً أكثر من العمل الحزبي، من خلال مؤسسات هامشية موجودة في بعض المدن الفلسطينية، ومن خلال موقعها على الانترنت، وتحاول الظهور بشكل مستمر لإظهار وجودها من خلال مكاتب التمثيل الحركية (٦٢٣).

٤. حزب الشعب الفلسطيني

بالنظر إلى تاريخ التأسيس الأصلي لهذا الحزب، فهو أقدم تيار فلسطيني من التيارات الموجودة حالياً على الساحة من حيث المولد، مع أنه من أصغرهما على الإطلاق من حيث التأثير والحجم الحالي له.

يعرفه قادة الحزب بأنه: ((حزب اشتراكي يضم في صفوفه الفلسطينيين، رجالاً ونساءً، الطامحين للتحرر والاستقلال الوطني والديمقراطية والتقدم والعدالة الاجتماعية والاشتراكية، المناضلين من أجل إنجاز هذه الأهداف، وفي مقدمتهم العمال والشغيلة والفلاحون والمثقفون في فلسطين ومواقع الشتات الفلسطيني، دون تمييز في العرق أو الجنس أو الانتماء الاجتماعي أو المعتقد الديني)) (٦٢٤).

يشكل حزب الشعب الفلسطيني الحالي الامتداد للحزب الشيوعي الفلسطيني السابق، ولكن، وبسبب التغييرات السياسية وتصادمه مع تقاليد وعادات المجتمع الفلسطيني، قام بإعادة تسمية نفسه باسم لا يتنافى مع عقيدة الشعب الفلسطيني وهويته الفكرية، فسمى نفسه بحزب الشعب الفلسطيني.

٦٢٣. وهي مكاتب التنسيق التي عرفت في بداية انتفاضة الأقصى الثانية، حيث أفرز كل تيار سياسي مندوباً عنه في إطار ما بات يعرف باسم (مكتب القوى الوطنية والإسلامية) لتنسيق العمل المقاوم، وترتيب الفعاليات وحل الإشكاليات الموجودة بين التيارات.

٦٢٤. الموسوعة الحرة على الانترنت (ويكيبيديا) WWW.WIKIPEDIA.ORG، موضوع بعنوان: حزب الشعب الفلسطيني.

يتبع حزب الشعب الفلسطيني للممثلة الجامعة لعدد من الفصائل والمعروفة باسم: منظمة التحرير الفلسطينية (٦٢٥)، وله حضوره في المنظمة من خلال شخصياته الموجودة في الإعلام، أكثر من حضوره الحقيقي في صياغة توجه المنظمة، نظراً لتناهي صغر حجمه التنظيمي.

أعيد تأسيس الحزب في ١٠ / ٢ / ١٩٨٢ م (٦٢٦)، وقد تم إدخال جملة ((أو المعتقد الديني)) في تعريف الحزب لنفسه بعد هذا التأسيس الجديد، في تأكيد على تغيير التوجه المجتمعي نحو أصول المجتمع الإسلامية.

كما ورد في تعريف الحزب، فإنه قائم على الإيمان بالمبدأ المادي الجدلي، ويدعو إلى تطبيق القيم الديمقراطية والتحررية، ويستنير بالفكر الاشتراكي، وبإنجازات العلم والتراث العربي والإنساني التقدمي، وقيم الحرية والمساواة والتقدم والعدالة الاجتماعية، ويتحدث باستمرار من خلال خطابه الجماهيري عن معطيات التجارب الكفاحية للشعوب العربية، وكل ما هو تقدمي في التراث العربي والعالمي.

^{٦٢٥}. مركز المعلومات الوطني الفلسطيني على الانترنت: State Information Services ، موضوع بعنوان: فصائل منظمة التحرير الفلسطينية.

^{٦٢٦}. انظر في ذلك: الموسوعة الحرة على الانترنت (ويكيبيديا) WWW.WIKIPEDIA.ORG ، موضوع بعنوان: حزب الشعب الفلسطيني.

ونظراً لتضاؤل الحجم التنظيمي لهذا الحزب - برغم جذوره التاريخية الممتدة - فإن واقعه في المجتمع المدني محصور، وأثره في الحياة الاجتماعية مقتصر على الحضور الإعلامي كفضيل فلسطيني لا زال على القائمة، وهذا لا يعني عدم وجود مؤسسات تابعة له، بل يعتمد الحزب إلى التعامل بأسلوب الحراك المدني من أجل توسيع قاعدته وجماهيره الخاصة، محاولاً إقامة موطئ قدم - ولو واحد - في المحافظات الفلسطينية، مع خلو بعضها منه كما هو الحال في محافظة الخليل مثلاً.

٤

يبقى الثقل الجماهيري له حضوره وأثره حتى على الواقع المدني، فقدرة هذا التيار السياسي على ملء الشواغر الإدارية والفنية في العمل الأهلي ومنظمات المجتمع المدني محدودة للغاية، وخياراته في الكادر البشري محصورة بشكل كبير، نتيجة تراجع شعبيته المستمر.

للدلالة على ما يُطرح، فقد حاول حزب الشعب في الانتخابات التشريعية أن يثبت نفسه، فأقام رئيسه الحالي (بسام الصالحي) (^{٦٢٧}) مجموعة من الاتفاقات والتحالفات مع العديد من الكتل الديمقراطية واليسارية الأخرى في الشارع الفلسطيني لتدعم ترشيحه، وكان حصاد هذه التحالفات والتعاقدات مع التنظيمات والتكتلات فوزه لوحده في الانتخابات ممثلاً لعدة فصائل بمقعد واحد فقط في الانتخابات عام ٢٠٠٦ م.

^{٦٢٧}. انظر في ذلك: موقع حزب الشعب الفلسطيني على الانترنت، على الموقع الإلكتروني WWW.PALPEOPLE.ORG، وله تصريحات ونشاطات أخرى منشورة على الموقع. وكذلك الموقع الإلكتروني التابع للحزب: WWWshaab@palpeople.orgk وأيضاً موقع الحوار المتمدن على الانترنت <http://www.rezgar.com> :موضوع بعنوان: حزب الشعب الفلسطيني.

٥. حزب فدا

حزب فدا هو من أحدث المسميات الحزبية على الساحة الفلسطينية، حيث كانت نشأته في العام ١٩٨٩ م، والمسمى الحزبي التفصيلي له هو: حزب الاتحاد الديمقراطي الفلسطيني.

قام حزب فدا من تاريخ تسميته في الدوائر الرسمية من خلال انشقاق قام به رئيس الحزب ياسر عبد ربه عن الجبهة الديمقراطية في فلسطين برئاسة نايف حواتمة، حيث أهتمت الجبهة الديمقراطية حينها ياسر عبد ربه بالتسويق للمشاريع الأمريكية في فلسطين، وتبرير النهج السلمي لياسر عرفات، بينما رأى أنصار عبد ربه أن الانشقاق جاء بسبب أمور تنظيمية ومالية وسياسيات الجبهة (٦٢٨).

بعد هذا الانشقاق، كافأ ياسر عرفات ياسر عبد ربه بوضعه عضواً في منظمة التحرير كممثل لحزب فدا، مع أن عدد أنصار ومؤيدي ومحبي هذا الحزب في الشارع الفلسطيني هم بالعشرات فقط.

اشتهر رئيس الحزب ياسر عبد ربه بدوره غير المحمود في الساحة الفلسطينية (٦٢٩)، فقد كان (عرب) السياسية الأمريكية في الساحة، وتمت باسمه الشخصي المبادرة المعروفة مع الوزير الصهيوني (يوسي بيلين) (٦٣٠) دون الرجوع إلى الفصائل الفلسطينية التي سخطت على هذا المشروع وطرفيه.

^{٦٢٨}. انظر في ذلك: الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) على الانترنت WWW.WIKIPEDIA.ORG ، موضوع بعنوان: حزب فدا - ضمن بوابة: الأحزاب الفلسطينية.

^{٦٢٩}. حتى أن الشعب يلمس أن ظهور هذه الشخصية دليل على وجود مؤامرة باتجاه معين، في وقت قد يختفي عن الأنظار لسنوات.

^{٦٣٠}. ومن المستغرب أن إحدى الجامعات الفرنسية قد منحته لدوره في هذه الصفقة، ولدوره على الساحة الفلسطينية !! شهادة الدكتوراة الفخرية تلميحاً له في الأوساط الفلسطينية.

كان ملاحظاً على رئيس هذا الحزب الصغير أنه يمارس دور التفرقة بين التيارات السياسية، ويلعب على وتر التناقضات، ويقف مع الأقوى - والأقوى في رأيه هو المدعوم أمريكياً على الدوام - ويرر سياسات السلطة، حتى تم تعيينه وزيراً للإعلام في عهد ياسر عرفات، في تكريم ملحوظ لدوره !!

حاول هذا التيار القليل المزعزع أن يشارك في الحياة النقابية الفلسطينية من خلال القطاع الطلابي أكثر من مرة، وكان الفشل حليفه باستمرار، لفقدانه للبرنامج السياسي و الاجتماعي الخاص به، فأثر الانطواء تحت جناح حركة فتح، حتى انصهر تياره بشكل كامل فيها، بدليل أنه لا يظهر في الإعلام الفلسطيني من تاريخ نشأة هذا الحزب إلا ياسر عبد ربه.

وعلى الصعيد المؤسسي، يوجد لهذا الحزب مجموعة من المقرات الرسمية المدعومة من السلطة في عدد من المحافظات الفلسطينية، ولكن هذه المقرات لا تمثل بأي حال من الأحوال توجهاً نحو المجتمع المدني أو العمل المؤسسي، بل يقتصر العمل فيها على الوجود والحضور دون فعاليات.

٦. جبهة التحرير العربية

جبهة التحرير العربية هي إحدى فصائل منظمة التحرير الفلسطينية (٦٣١)، وهي من التيارات السياسية الهامشية في الحياة السياسية الفلسطينية، ومن الأحزاب المجهرية فيها.

تتبنى هذه الجبهة السياسية منطلقات حزب البعث العربي المنتشر في العراق وسوريا، وتعتبر صدام حسين (الزعيم العراقي السابق) ملهماً لها وقائداً لتوجهاتها، والملموس أنها بالفعل امتداد لوجود حزب البعث العراقي، حيث ارتبط وجودها وصوتها بزم من قوة النظام الحاكم في

٦٣١. انظر في ذلك: مركز المعلومات الوطني الفلسطيني على الانترنت: State Information Services ،

موضوع بعنوان: فصائل منظمة التحرير الفلسطينية.

العراق، وخبا أوارها بسقوط بغداد (٦٣٢) وفشل البعثيين في قيادة الأمة نحو الحرية والاستقلال.

حاولت هذه الحركة أن تبني نفسها في الساحة السياسية الفلسطينية من خلال طرح برنامج سياسي قومي، حيث جاء في نشرياتها: إن هذا الخطر يتجسد، بصورة خاصة، في محاولة حصر الثورة في نطاقها القطري، وقطع شريان الحياة الذي يصلها بمنابع القوة والقدرة والكفاءة في جماهير الثورة العربية تطلعا إلى اليوم الذي يصبح فيه بالإمكان ضرب الثورة في فلسطين، إن الرد العربي على الغزو الصهيوني الاستعماري الذي يحمل المناعة في وجه تأمر القوى المعادية لفك العمل الفدائي عن الثورة العربية هو في رفع كل مستويات الثورة العربية ونواحيها، لتتجمع وتتركز وتتلخص في الكفاح الشعبي المسلح، صعوداً به نحو تحقيق حرب التحرير الشعبية.

٧. أحزاب وطنية أخرى

هناك مجموعة أخرى من الأحزاب الوطنية المنضوية تحت لواء منظمة التحرير، ولكنها بقيت في إطار المسمى، دون أن يكون لها أي أثر على الساحة الفلسطينية، حتى إن المثقف الفلسطيني - عدا عن غير المطلع - لم يسمع بها قط.

من هذه الأحزاب: منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية (قوات الصاعقة)، وحركة الجهاد الإسلامي (كتائب الأقصى) (٦٣٣)، وجبهة النضال الشعبي، وجبهة التحرير الفلسطينية، والجبهة العربية الفلسطينية (٦٣٤).

^{٦٣٢}. عام ٢٠٠٣ م.

^{٦٣٣}. غير تلك المعروفة باسم كتائب شهداء الأقصى، وهي الذراع العسكري لفتح، الذي نشأ بعد انتفاضة الأقصى الثانية في العام ٢٠٠٠ م.

^{٦٣٤}. انظر في ذلك، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، من خلال موقعه على الانترنت، تحت عنوان: فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، وهناك معلومات تفصيلية عن هذه الأحزاب الهامشية في ثنايا هذا الموضوع يرجع لها من أراد الاستزادة.

كان لهذه المسميات الوطنية حضور تمثيلي في جسم منظمة التحرير من خلال مندوب دائم لها في اجتماعات المنظمة، ولها ميزانية تصرف من خلال الميزانية العامة للمنظمة، ولكن حضورها في الشارع الفلسطيني سواء في الضفة أو غزة أو مناطق ٤٨ م لم يتجاوز خط الصفر.

من المهم هنا أن يشير الباحث إلى وجود بعض التيارات الوطنية الأخرى، والتي انفصلت عن حركة فتح ذاتها، مثل، " حركة فتح أبو موسى " الموجودة في بعض المخيمات الفلسطينية في الخارج، ولها أفراد محدودين جداً في فلسطين، و "فتح الياسر " الموجودة في قطاع غزة وتعمل في إطار القوة التنفيذية التابعة للداخلية الفلسطينية.

المطلب الثالث:

الديانات والطوائف الأخرى في فلسطين

الوجود النصراني على الأرض الفلسطينية

عرفت فلسطين منذ القدم وجود النصارى على ترابها (٦٣٥)، وكان هؤلاء النصارى يعيشون في ظل التقلبات السياسية المتكررة جنباً إلى جنب مع الشعب الفلسطيني، وكان الملموس من واقعهم الفلسطيني أنهم يشاركون الشعب الفلسطيني في مآسيه ونكباته وظروف الاحتلال التي عاشها (٦٣٦).

ظهر ذلك من خلال التحركات السياسية الأخير للنصارى على أرض فلسطين، وما قاموا به من دور في مقاومة الاحتلال ولو بصورة مجزوءة (٦٣٧)، والتعامل مع الأرض الفلسطينية كأرض للمقدسات الإسلامية والمسيحية كونها مهبط الوحي وأرض الرسالات.

ارتبط الوجود النصراني على أرض فلسطيني بوجود الكثير من المواقع ذات الرمزية العقائدية في الدين المسيحي على أرض فلسطين (٦٣٨)، وهي المواقع التي يكثر وجود النصارى فيها.

^{٦٣٥} انظر: المجموعة الإحصائية الفلسطينية (١٩٨٣ م) - العدد الخامس / الدائرة الاقتصادية - منظمة التحرير الفلسطينية / المكتب المركزي للإحصاء - دمشق / طبعة عام (١٩٨٣ م) / ص ١٢٧ - ١٢٨.

^{٦٣٦} انظر في ذلك: هوية الإنسان في الوطن العربي " مشروع قراءة جديد " / سعيد التل / روائع مجدلوي للنشر والتوزيع - الأردن / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / ص ٣٥٤ - ٤٠٥.

^{٦٣٧} وقد التقيت باثنين منهم في السجون تم اعتقالهم أثناء وجودي في السجن بتهم أمنية.

^{٦٣٨} كنيسة المهدي حيث ولد سيدنا عيسى عليه السلام، وكنيسة القيامة، وغيرها من الكنائس والمواقع التاريخية.

تعامل الشعب الفلسطيني مع النصارى الموجودين على الأرض الفلسطينية بكل احترام، وربطتهم بهم علاقات طيبة، على المستوى الشعبي والسياسي على حد سواء، وذلك على الرغم من الاختلاف في الظروف السياسية والاجتماعية.

فمع ميلاد سلطة أوصلو المشوّهة (٦٣٩)، كان النصارى حاضرون في التقسيمات الوزارية التي تلت هذا المشروع، وكان لهم حضورهم في التمثيل البلدي في بعض المناطق ذات العلاقة، كبيت لحم ورام الله على سبيل المثال، وحتى لما جاءت حكومة حماس في العام ٢٠٠٦ م قدمت للوزارة أحد النصارى (٦٤٠) ليكون ضمن التشكيلة الوزارية العامة.

تكرر هذا الأمر في ظل حكومة الوحدة أيضاً، الأمر الذي يدل على تقدير التيارات السياسية لدور النصارى المسالم في فلسطين، والداعم لقضايا الشعب الفلسطيني الكبرى (٦٤١).

والملاحظ أن الوجود النصراني على الأرض الفلسطينية آخذ بالتراجع باستمرار، وأن أعداد النصارى الموجودين في فلسطين في تناقص متزايد يومياً، والسبب في ذلك، الهجرة المفتوحة على بلدان أوروبا وأمريكا، حيث يهاجر معظم النصارى من فلسطين إلى الخارج، في حملات هجرة جماعية وفردية بشكل طوعي.

^{٦٣٩}. لكونها سلطة لا تملك مقومات الوجود الخاص بالدولة مثل المعابر ولسيادة ونحوها.

^{٦٤٠}. وقد تمت تسمية الوزير النصراني ليتسلم حقيبة السياحة في التشكيلة الوزارية، وحقيبة السياحة في التشكيلة الوزارية في حكومة الوحدة أيضاً.

^{٦٤١}. وقد تجلّى ذلك من خلال التحركات التي كان يشارك بها النصارى مع المسلمين في فلسطين للدفاع عن الحقوق العامة والمقدسات، لكون مقدساتهم النصرانية قد تعرضت للسلب من الصهاينة كالحال مع مقدسات المسلمين، وهذا الأمر قد افرز ميلاد الهيئة الإسلامية المسيحية لحماية المقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين في نهاية العام ٢٠٠٦ م.

وقد أدت هذه الهجرة وهذا التناقص المتزايد إلى إحداث خلل واضح في البنية المؤسساتية المدنية التي يملكها النصارى، وفي نقص الخبرات والكفاءات المتاحة لهم لإدارة العمل الإداري في هذه المنظمات، وحتى على مستوى العمل الكنسي.

هذا الأمر دفع الرهبان والقساوسة إلى توجيه النداءات المتلاحقة للشباب النصراني بالبقاء في فلسطين وعدم هجرتها، سيما وأن تناقص النسبة المئوية لهم في فلسطين قد بلغ مداه في العام ٢٠٠٧ م، حيث وصلت نسبة النصارى المئوية بالمقارنة مع النسبة الإجمالية في الشعب الفلسطيني إلى أقل من (١ %) فقط، حيث رأى الرهبان والقساوسة في هذه النسبة تهديداً للوجود النصراني على أرض فلسطين (٦٤٢).

أما على صعيد المجتمع المدني، فقد قامت الجاليات النصرانية والطوائف الموجودة في فلسطين بإنشاء المنظمات الأهلية منذ القدم، وكان لها حضورها الفاعل على الساحة الفلسطينية، سيما في ظل الدعم الدولي من العالم النصراني لها بشكل مفتوح وكبير (٦٤٣)، الأمر الذي جعلها تنمو وتزدهر باستمرار.

في هذا المجال، كان لهم العديد من المؤسسات الأهلية ذات الاهتمامات بحقوق الإنسان، والشباب (٦٤٤)، والمدارس الخاصة (٦٤٥)، والمعاهد الدينية، وجمعيات تأهيل المعاقين، والمعاهد الصناعية الخاصة، والمراكز الثقافية، والجامعات، ونحو ذلك.. (٦٤٦).

٦٤٢. انظر في ذلك: الموقع الإلكتروني لشبكة معاً الإخبارية المستقلة - فلسطين / خبر بعنوان: رجل دين مسيحي يطالب المسيحيين عدم الهجرة من فلسطين بعد أن أصبحوا يشكلون ١% من الشعب الفلسطيني، منشور بتاريخ ٢٠٠٧/٧/١٩ م.

٦٤٣. والدليل على ذلك، الوفود النصرانية التي تفد إلى أرض الإسرائء والمعراج باستمرار وعلى مدار أيام السنة لدعم المؤسسات الأهلية والعقائدية النصرانية، وتعزيز مكانتها في المجتمع الفلسطيني، وعلى رأسها: مجلس الكنائس العالمي، الذي يخصص ميزانية مقطوعة للنصارى في فلسطين، و انظر في ذلك: الموقع الإلكتروني لشبكة معاً الإخبارية المستقلة - فلسطين / خبر بعنوان: رجل دين مسيحي يطالب المسيحيين عدم الهجرة من فلسطين بعد أن أصبحوا يشكلون ١% من الشعب الفلسطيني، منشور بتاريخ ٢٠٠٧/٧/١٩ م..

٦٤٤. مثل جمعية الشبان المسيحية في بيت لحم.

٦٤٥. مثل مدارس راهبات الوردية في قطاع غزة وبيت لحم.

الملاحظ أن المعدل العام للوجود النصراني في فلسطين كان ولا زال ضئيلاً، إلا أن حضورهم المؤسساتي كان كبيراً وذا تأثير حقيقي، حيث كانت منظمات المجتمع المدني، ومؤسسات العمل الأهلي التابعة للطوائف النصرانية في فلسطين التاريخية صاحبة حضور لافت في العمل الاجتماعي والثقافي والفني والتعليمي على مستوى فلسطين بكل قطاعاتها.

والمتوقع في ظل تآكل النسبة المئوية للنصارى في فلسطين، أن يشهد الحراك المدني لهم تقهقراً ملحوظاً في السنوات القليلة القادمة، وبخاصة والوجود النصراني يعاني بشكل قاتل ومصيري من ظروف الهجرة الكبيرة للعقليات والكفاءات والنخب المثقفة من فلسطين إلى خارجها، الأمر الذي يهدد الوجود النصراني بالجملة، ويهدد العمل المؤسساتي تبعاً لذلك.

ومع تنامي دور الحركة الإسلامية في فلسطين، وما صاحب ذلك من نمو مؤسساتي إسلامي عارم، شهدت المنظمات الأهلية النصرانية تراجعاً كبيراً وملحوظاً في عدد المنتفعين بخدماتها، حيث توجه الشعب الفلسطيني بكليته إلى المؤسسات الإسلامية التي وفرت البديل على مستويات متقدمة ومنافسة، بل وسابقة في كثير من المجالات، وعلى وجه الخصوص في المجال التربوي والتعليمي (٦٤٧).

الطائفة السامرية في فلسطين

^{٦٤٦}. فعلى سبيل المثال، لديهم على مستوى المدارس مجموعة من المدارس النصرانية في بيت لحم والقدس ورام الله وغزة، كمدارس راهبات الوردية، والمعاهد الإنجيلية في بيت لحم، والكاريتاس في بيت لحم، والمونانايث في الخليل، والمعهد الصناعي الساليزيان في بيت لحم، وجامعة بيت لحم تتبع لهم بالدرجة الأولى كما هو الحال في جامعة بيرزيت في رام الله أيضاً.

^{٦٤٧}. مثل: المدارس الشرعية في الخليل ونحوها في غزة وغيرها من المواقع.

من المفيد الإشارة في هذا المقام إلى وجود تشكيلات دينية وإثنية وطوائف أخرى موجودة على الأرض الفلسطينية، وليس لها أثر على الواقع الفلسطيني، نظراً لحجمها ودورها وتواصلها مع المجتمع، ومنها: الطائفة السامرية (٦٤٨).

الطائفة السامرية هي إحدى الطوائف اليهودية الموجودة في فلسطين، والمحصورة في إطار إتباعها لليهودية المنعزلة، والمقصورة على بعض الشعائر التعبدية، مع كونها أقلية مطلقة تخلوا منها كل المحافظات الفلسطينية باستثناء مدينة نابلس (٦٤٩).

هذه الطائفة تعمل بمعزل عن جسم الدولة العبرية، فهي محصورة في موقع وجودها بين الفلسطينيين، ولا تهدد الأمن الفلسطيني، واختارت العزلة عن الحياة، إلا في عهد رئيس السلطة الراحل ياسر عرفات.

تمثل ذلك بقيام ياسر عرفات بوضع ممثلين اثنين لهذه الطائفة في المجلس التشريعي الفلسطيني، من خلال التعيين وليس من خلال الانتخاب (٦٥٠).

الطائفة الدرزية..

هي طائفة موجودة على الأراضي التي تم احتلالها عام ١٩٤٨ م، أو التي تعرف اليوم باسم ("إسرائيل")، ويكثر تواجدها تحديداً في هضبة الجولان السورية المحتلة، وقرى عربية أخرى في الشمال الفلسطيني كالمغار، والمغير، ونحوهما.

^{٦٤٨}. وقد جاءت تسميتهم بذلك كونهم يقولون أنهم أتباع السامري الذي ورد اسمه في القرآن الكريم، وهو الذي أغوى بني "إسرائيل" واتخذ من حليهم العجل.

^{٦٤٩}. ويقيم أفراد هذه الطائفة على سفوح جبال نابلس في مواقع معلومة، ولهم كنسهم الخاصة بهم.

^{٦٥٠}. وقد كان ذلك في العام ١٩٩٦ م، حيث صدر مرسوم رئاسي تكريماً لهذه الطائفة المهمشة والهامشية في الحياة الفلسطينية، وقد لاقى هذا المرسوم استغراباً واضحاً من الرأي العام الفلسطيني لكون هذه الفئة يهودية الانتماء أولاً، ومعزولة عن الحياة السياسية ثانياً.

تعتبر طائفة الدرروز من الطوائف المنتمية إلى الجانب الصهيوني أكثر من انتمائها إلى الأرض الفلسطينية التي تمثل هويتهم الوطنية (٦٥١)، فالدرروز كطائفة موجودة على الأرض جرى احتلالهم كغيرهم من الطوائف والديانات، إلا أنهم آثروا الانضواء تحت لواء الصهاينة لقوتهم، وأن يتجردوا من كل قيم الوطنية التي يتغنون بها بين فينة وأخرى.

للتدليل على هذا الزعم، فإن الشباب من الدرروز ينخرطون في صفوف الجيش الصهيوني، ويحاربون ويقمعون ويطلقون النار على الفلسطينيين، بل هم أشد قسوة على الفلسطينيين من اليهود أنفسهم (٦٥٢)، فهم يحاولون باستمرار كسب ود الصهاينة ليرتقوا في العمل العسكري في الدولة العبرية.

أما لماذا تم ذكرهم في النظام السياسي الفلسطيني إذا كانوا على هذه الشاكلة، فلأنهم يزعمون أنهم فلسطينيون، وهم ينتمون مرة إلى سوريا ومرة إلى الشعب الفلسطيني، ويشاركون في بعض المظاهر العامة برفع العلم الفلسطيني (٦٥٣)، إلا أن حقيقتهم ليست كذلك، ولا يتدخلون في العمل السياسي الفلسطيني إلا بكونهم قوة احتلال تابعة للعدو الصهيوني.

الطائفة البهائية (٦٥٤) ..

٦٥١. تعتبر الطائفة الدرزية من الطوائف الباطنية التي لا تحسب على أهل السنة والجماعة، بل يذهب الكثير من العلماء على عدم احتسابها من الطوائف المسلمة لما في دينهم من مخالفات لأصل الدين الإسلامي، كالقول بتناسخ الأرواح، وتقسيم البشر إلى قسمين: الجهال والعقال، ونحو ذلك، إضافة إلى تحليلهم للزنا، واشتغالهم بالفحش وشرب الخمر واللصومية ونحوها.

٦٥٢. وقد تعرضت للاعتقال عدة مرات، وشاهدت القمع من الدرروز، أو من يعرفون بين الشعب الفلسطيني بحرس الحدود بأم عيني، وقسوتهم تفوق قسوة الصهاينة على الشعب الفلسطيني.

٦٥٣. كما يحصل في المظاهرات والمسيرات التي تتم بين سنة وأخرى للمطالبة بإرجاع الجولان إلى سوريا، وهي قضايا إعلامية فقط، وللاستهلاك المحلي ليس إلا.

٦٥٤. ويطلق عليها في بعض الأحيان اسم: الأحمدية.

هي ليست ظاهرة أو جماعة لها وجودها الفعلي على الأرض، ولكنها مجموعة من الأفراد لهم مقام رسمي (٦٥٥) في منطقة حيفا (٦٥٦)، حافظ عليه الصهاينة برغم هدم الكثير من المواقع الأثرية في فلسطين (٦٥٧)، ويمارسون شعائرهم الخاصة بهم في عزلة عن المجتمع الفلسطيني بكل مجالات العمل فيه.

البهائية طائفة من الطوائف المنبوذة في المجتمع الفلسطيني نظراً لكونها من الطوائف التي تصادم الشرع الإسلامي في أكثر من جانب، وتعتمد على الطقوس والشعائر الخاصة بها بعيداً عن عبادة المسلمين وشريعتهم (٦٥٨)، وهي لا تتدخل في النظام السياسي الفلسطيني إلا بكونها اسماً يذكر إذا ما ذكرت الطوائف، لا تعدو عن ذلك حقيقة ولا تمثيلاً ولا أداءً لكونها اختارت التطبيع السياسي (٦٥٩) والتطبيع الثقافي (٦٦٠) لحد التطابق.

ويطلق على هذه الطائفة البهائية اسم القاديانية (الأحمدية) في بعض التصنيفات (٦٦١)، وبغض النظر عن المسمى، فإن حقيقة دعم الصهاينة للبهائية أو القاديانية في شمال

٦٥٥. انظر في ذلك: اليهود أعداء الله وقتلة الأنبياء / الندور العالمية للشباب الإسلامي - المنطقة الشرقية / لجنة شباب فلسطين / ط - / ص ٣٦ - ٣٧، وفيه صورة المقام وأعمال البهائيين وطقوسهم.

٦٥٦. مدينة تقع في شمال فلسطين المحتلة.

٦٥٧. مجلة فلسطين المسلمة / العدد الثامن - السنة الثالثة والعشرون / ٢٠٠٥ م / ص ٥.

٦٥٨. ويقوم البهائيون بإجراء طقوسهم داخل المواقع المخصصة لهم، كضريح زعيمهم في مدينة حيفا في شمال فلسطين، دون أن يظهروا للملأ بطقوسهم الخاصة، لكونها مقصورة على أفراد هذه الطائفة، والتي لطالما ثارت حولها شكوك تتعلق بارتباطها بالماسونية العالمية.

٦٥٩. انظر: التطبيع - استراتيجية الاختراق الصهيوني / ص ٩٠ - ٩٣.

٦٦٠. انظر: المرجع السابق / ص ١٠٣ - ١١١.

٦٦١. انظر في ذلك: صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية / د. محمد عثمان شبير / دراسات في القضية الفلسطينية من منظور إسلامي / مكتبة الفلاح - الكويت / الطبعة الثانية (١٩٨٩ م) / ص ١٣٩.

فلسطين المحتل، والذي بلغ حد الخيال (٦٦٢) يجعلهم في دائرة العداء المستحکم للشعب الفلسطيني وإن زعموا غير ذلك.

بذكر هذه الطائفة المحصورة، يكتمل عقد التوجهات السياسية والدينية والطوائف والتيارات السياسية الموجودة على الأرض الفلسطينية السلبية.

^{٦٦٢} .. انظر في ذلك: صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية / د. محمد عثمان شبير / دراسات في القضية الفلسطينية من منظور إسلامي / مكتبة الفلاح - الكويت / الطبعة الثانية (١٩٨٩ م) / ص ١٣٦.

المبحث الرابع

المجتمع المدني الصهيوني

المطلب الأول

طبيعة العدو المعتصب

من جهل بطباع عدوه فهو على ثغرة من تغور الجهل لا يفارقها، وهو - بلا ريب - قد أقحم نفسه عنوة في متاهة الجهل السياسي والعلمي والديني، ولن يشمَّ أنف هؤلاء رائحة الإبداع إذ قبلوا التوقع على أنفسهم، والانغلاق عن العالم المحيط بهم، حتى عن معطياته القريبة من أقدامهم.

فمن المفارقات العجيبة أن تصارع عدوك الذي تلتقيه على أرضك وأنت لا تعلم عن حجمه وعدته وعتاده، وتجهل عن إمكاناته الشيء الكثير، في ذات الحين الذي يعرف فيه عنك عدوك كيف تفكر (٦٦٣)، وأخذ خبرة عملية وواقعية عبر سنوات الصراع الطويل بآليات العمل وطرائق اتخاذ القرار، ليكون شعب فلسطين أمام عدوه بذلك في ساحة مكشوفة يستخدم فيها عدوه أعتا أسلحته وأمضاها وشعب فلسطين يتباهى بقوة قبضات يديه، فلا الشعب الفلسطيني يصارعه، ولا هو ندري أنه قد هزم حتى قبل بدء المعركة التي ينتظرها.

^{٦٦٣}. من خلال التحقيقات والاعترافات الموجودة لديه على مدار سنوات الصراع مع الشعب الفلسطيني، ومن خلال عيونه وأعوانه.

إن إمكانيات العدو لا تتبع من قدرته التكنولوجية، ولا من تقنيات العلم التي يجوزها فحسب، وإنما يأتي الخطر من قِبَلِهِ من جهة أنه يمتلك معرفة بحال الشعب الفلسطيني بشكل شبه دقيق (٦٦٤)، والشعب الفلسطيني يجهل عنه طاقاته وقدراته وطبائع تفكيره.

الداخل إلى الصراع لا بد له أن يتسلح ويأخذ العدة لملاقاة عدوه، وهو مسؤول أمام الله إن قصر أو ضيع، فعليه أن يتعرف إلى طبيعة عدوه وطبيعة تفكيره، والوسائل التي يستخدمها، والتقنيات التي يمتلكها، ومواقعه وانتشاره وجنوده وأعدائه (٦٦٥)، حتى يقيس خطاه قبل أن يقتحم لجة صراع هي أشبه بمتاهات متعاقبة فيما بينها.

لا يجوز للباحث إنكار الدراسات والنشريات والمؤلفات التي أجريت على واقع العدو ودراسة طبيعته (٦٦٦)، ووقفَت على طرائق تعامله مع الأمور، ووسائله في معالجة إشكالياته الداخلية والإقليمية والدولية، لأن فيها كمًّا كبيراً من المعرفة - ولو بالحد الأدنى - بوسائل العدو المتجددة، ومنهجية القيادات الصهيونية في التفكير، لأن ذلك كله يشكل أرضية صلبة يمكن الاتكاء عليها في فهم طبيعة هذا العدو الذي باركت دول العالم ولادته المبتورة، وأغدقت عليه بالعطايا حتى أغرقته بالمال والسلاح والتجارب (٦٦٧).

٦٦٤. هناك إدارة كاملة في المخابرات الصهيونية للبحث والرصد والمتابعة للواقع الفلسطيني.. وانظر في ذلك المخطط التفصيلي لجسم المخابرات الإسرائيلية المخابرات الإسرائيلية - الوثائق السرية للمخابرات الأمريكية / ترجمة وإعداد: مجدي نصيف / مكتبة مدبولي للنشر - القاهرة / الطبعة الثالثة (١٩٨٨ م) / ص ١٣٧ - ١٣٨.

٦٦٥. انظر في ذلك: المدخل إلى علم الاستخبارات - رؤية إسلامية / د. إبراهيم علي محمد أحمد / الدار السودانية للكتب - الخرطوم / الطبعة الأولى / ص ١١ - ١٢.

٦٦٦. لا سيما على المواقع الإلكترونية الموجودة على الانترنت، مثل موقع المركز الفلسطيني للإعلام، وموقع نداء القدس WWW.QUDSWAY.COM، وموقع صحيفة القدس، وكذلك الكتب التي ألفت في هذا المجال، ومنها على سبيل المثال: التطبيع - استراتيجية الاختراق الصهيوني / غسان حمدان / دار الأمان للطباعة والنشر / الطبعة الأولى (١٩٨٨ م) / ص ٢٤ وما بعدها، وفيه شواهد كثيرة على حجم التفكير الصهيوني وتوجهاته.. وما تحدث به المؤلفون عن طبيعة اليهود وأهدافهم ومخططاتهم في: لماذا نرفض السلام مع اليهود / ص ٢٢ وما بعدها..

٦٦٧. وعلى رأسها بريطانيا التي ساهمت بشكل فعلي في تأسيس وإيجاد الصهيونية في فلسطين، والولايات المتحدة التي تمدد بالدعم المادي والحماية القانونية، والفيديو الأمريكي، وليس أدل على ذلك من الوقفات المتكررة مع الكيان الغاصب لا سيما في وقت العدوان الثلاثي على مصر عندما شكلت تهديداً للوجود الصهيوني على أرض فلسطيني،

فالعامل الصهيوني يبني منظومته المعلوماتية على حقائق وإحصائيات، ويحتكم في تعامله مع الشعب الفلسطيني المبتلى - بكل مكوناته - بالأرقام، ليضع منهجيته في التعامل وفق رؤية مدروسة، يجلل من خلالها الواقع، ويتعرف إلى خباياه ومزاياه، ويستشرف المستقبل وفق مقدمات صحيحة اعتمد عليها (٦٦٨).

يملك الصهاينة كمًّا لا يستهان به من مراكز جمع المعلومات، ومراكز الدراسات التخصصية، ولديه خبرة عريقة في مجال تحليل الأرقام واستثمارها لخدمة مشروعهم الاستعماري، وهم بذلك يبنون تحركاتهم وتصرفاتهم على ضوء المعلومات التي توفرها لهم مراكز الأبحاث، ومؤسسات التحليل السياسي والاجتماعي والاقتصادي وما إلى ذلك من محاور مؤسساتية مهمة (٦٦٩).

من الجدير ذكره: إن سياسات العدو وتفكيره ظاهراً وباطناً مبني على الشك في كل شيء، فلو استطاع اتهام الأطيوار في عنان السماء لفعل، ولو تمكن من البطش بالحشائش والأشجار لما توانى، فالشك رائد حركاته، وهو لا يثق بأي نظام مهما بلغ إعلان ولائه، ولا يثق بأي متواطئ حتى لو أقسم أمامهم باللات والعزى وحكومات "إسرائيل" المتعاقبة!!

وانظر في ذلك أوراق وإثباتات وحوارات حية بين الملك حسين وجمال عبد الناصر.. كل ذلك في: حربنا مع "إسرائيل" / الملك حسين / دار النهار للنشر - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٦٨ م) / ص ٤٩ وما بعدها..
٦٦٨ . انظر في ذلك بتوسع: المخابرات الإسرائيلية - الوثائق السرية للمخابرات الأمريكية / ص ٧٢ - ٧٣.
٦٦٩ . ومرد هذا الأمر؛ أن العدو النازي الجديد لا يمتلك بعداً استراتيجياً على صعيد الأرض جغرافياً، فهو محصور بحدود لا يأمنها - برغم تواطؤ العديد من المهرولين للاستسلام على كل الجبهات - فهو يتحرك بناءً على نظرية وضعها لنفسه، مفادها: أنه سيدفع ثمن أي خطأ في التحليل غالباً، فهو غير مستعد لفقد عنصر واحد - حتى وإن لم يكن ذا بال - لأن العدو له مدلولاته ومؤثراته التي تحدد وجوده واستقرار كيانه، وهو غير مستعد للتنازل أو التخلي عن شبر واحد من الأرض، لأنه يعلم علم يقين أنه قد زرع في هذه الأرض لاحتلالها لا للسياحة فيها.

بذا؛ يظهر جلياً واقع هذا الكيان وطباعه، فهو يعتمد على بنيه الذين تشربوا الفكر الإجرامي (٦٧٠) لتنفيذ مآربه الأساسية، مع اتهامه لكل ما هو حوله ومن هو حوله، فهو في حال استنفار دائم، يخطط هنا وينفذ هناك، يتآمر مع هذا، يسقط هذا، يهدد هذا، يفرض سطوته هنا، يتعامل بالعزل الناعم هناك، كل هذا إنما هو ضمن مشروع وخطة مبرمجة تصل بكيانه المسخ إلى أهداف تواضع عليها مؤسسو الكيان الصهيوني وقبلوها، فهم يعملون من أجلها بتجرد، وينفقون من أجلها الذهب والياقوت، وتنام عيونهم مفتوحة الأجنان حرصاً على باطل أنشئت له دولة.

والحال كهذه؛ فإن المؤسسة القيادية، والعقليات الفكرية في الكيان الصهيوني تضع برامجها قصيرة وبعيدة الأمد؛ من أجل أن تضمن أمنه الذي يقوم مشروعه بناءً عليه (٦٧١)، وقد ثبت لدى العدو بما لا يدع مجالاً للشك بأن أفضل أنواع المواجهة مع المسلمين في كل العالم هو المواجهة الاستباقية من طرف واحد من خلال ترويض الشعوب وتهيئتها لصالح أفكار الصهيونية ومراميها، بحيث يحسم العدو المعركة نفسياً وفكرياً قبل أن يخوضها جسدياً (٦٧٢)، إن بقي له بعد طوفان الاستهداف الشامل ما يخوضه !!

يقول الدكتور إبراهيم عبد الكريم في كتاب قيم له: ((يمثل التطبيع الثقافي الدعامة الرئيسة للتغلغل الإسرائيلي في المنطقة، لأنه أعمق وأكثر استقراراً من أي ترتيبات أمنية... فالتطبيع الثقافي يظل العامل الحاسم على المدى البعيد، لأن الصراع يترسخ في وعي

٦٧٠. أضرب لذلك مثلاً وحيداً: إذ تقول عضو الكنيست الإسرائيلي "شولاميت ألوني" في مقابلة رسمية معها: ((إن الشباب المتعصب الذي يدين بالصهيونية الدينية يعد سكان (يهودا والسامرة) - أي الضفة وغزة - كلاباً، ويعاملهم بمنتهى الاحتقار والازدراء)) وانظر في ذلك: المركز الفلسطيني للإعلام، تقرير بعنوان: (الاستيطان الصهيوني، ونظرية (أرض بلا شعب) العنصرية، تم نشره في العام ٢٠٠٦ م، وفيه الكثير من التصريحات العنصرية والهمجية الصادرة عن رؤساء وصناع القرار في الدولة العبرية.

٦٧١. انظر في ذلك: التطبيع - استراتيجية الاحتراق الصهيوني / غسان حمدان / دار الأمان للطباعة والنشر / الطبعة الأولى (١٩٨٨ م) / ص ١٨١ - ١٨٤.

٦٧٢. انظر في ذلك: التطبيع - استراتيجية الاحتراق الصهيوني / غسان حمدان / دار الأمان للطباعة والنشر / الطبعة الأولى (١٩٨٨ م) / ص ١١٨ - ١٣١.

الشعوب وثقافتها وفي ذاكرتها الجمعية ووجدانها القومي، فتصعب عملية هز القناعات وتدمير مقومات الذاكرة الوطنية، واختراق الثوابت التاريخية والدينية والحضارية دون إقامة جسور للتواصل والتطبيع الثقافي)) (٦٧٣).

الغريب أن الفكر الإرهابي الصهيوني يعمم معتقدات بنيه من الصهاينة دون خجل، فهو يدعو إلى القتل صراحة، ويوجب هتك الأعراض صراحة، ويعمم مفاهيم الرذيلة دون موارد.

جاء في سفر العدد في الكتب الصهيونية المحرفة: ((اقتلوا كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت مضاجعة رجل اقتلوها، أما الإناث الأطفال اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال فاستبقوهن لكم)) (٦٧٤)، وهذه دعوة توراتية صريحة دعمتها الشروحات التلمودية في أكثر من موقع، ولها دلالة على عقلية الصهاينة المشبعة بالإرهاب والعنف واللاإنسانية.

عرفت المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية تنفيذاً لمثل هذه التهديدات — فقد أغلقت أجهزة العسكر الصهيوني عدداً كبيراً من المواقع الأهلية، ومكاتب الصحافة، والمراكز الثقافية (٦٧٥)، واعتقلت وأبعدت عدداً كبيراً من المشاركين والفاعلين في هذا القطاع الهام من قطاعات المجتمع (٦٧٦).

^{٦٧٣}. الاستشراق وأبحاث الصراع لدى "إسرائيل" / إبراهيم عبد الكريم / دار الجليل للدراسات والنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية — عمان / الطبعة الأولى (١٩٩٣ م)، وانظر كذلك: الثقافة المصرية في زمن التطبيع / للدكتور أحمد أبو مطر / منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب — عمان / الطبعة الأولى (١٩٩٤ م) / ص ٤٠-٤٤.

^{٦٧٤}. التوراة (الكتاب المقدس) / العهد القديم / سفر العدد / ٣١.

^{٦٧٥}. مثل: المركز الثقافي الإسلامي في الخليل، ومؤسسة فرح في رام الله ونحوهما.

^{٦٧٦}. كما حصل عندما أقدمت الدولة العبرية على إبعاد أكثر من (٤١٥) فلسطينياً إلى مرج الزهور في جنوب لبنان في أواسط الانتفاضة الفلسطينية الأولى التي انطلقت عام ١٩٨٧ م.

تصور انتشار هذه الأفكار على الأمم والثقافات المختلفة، وفيها أن الرب يأمر الصهاينة بقتل كل صغير وكبير، وأن لا يتركوا للأجناس البشرية أثراً على الأرض، وفي ذلك تقول تورايم المحرفة: ((أما مدن هذه الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريماً، الحثيين، والأموريين، والكنعانيين، والفرزيين، والهوريين، واليبوسيين، كما أمرك الرب إلهك)) (٦٧٧).

وقد بلغ الأمر بالكيان الصهيوني أن يخرج عن طور التكتيم على مثل هذه الأطروحات العقدية عنده، حتى إن صحيفة (هآرتس) الإسرائيلية أوردت للكاتب الصهيوني " جدعون آلون " خطاباً موجهاً إلى النائب العام في الدولة العبرية يطالبه فيها باتخاذ إجراءات قضائية بحق حاخام مدينة صفد، والذي دعا من خلال تصريح بثته إحدى الصحف إلى فرض العزلة على الفلسطينيين، حتى أولئك الذين يعيشون في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ م (٦٧٨)، بمعنى أن الأمر بات إعلاناً رسمياً واضحاً بالتوجهات الفكرية والعقائدية التي بقيت مخبأة رديماً من الزمن.

من ذلك ما صرح به " بن غوريون " مؤسس الدولة العبرية حين قال: ((لا معنى لـ " إسرائيل " بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل)) (٦٧٩)، وهي عبارة تنم عن مدى المخطط الإسرائيلي في تهويد القدس وفلسطين (٦٨٠)، وطرد أهلها الشرعيين لصالح

٦٧٧. انظر (الكتاب المقدس) التوراة المحرفة / سفر التثنية / ٢٠.

٦٧٨. انظر: صحيفة هآرتس الإسرائيلية / العدد الصادر بتاريخ ٢٩/١١/٢٠٠٤ م / مقال للكاتب الصحفي الإسرائيلي: " جدعون آلون ".

٦٧٩. أرض الإسرائيليين في العزة والفداء - ضمن سلسلة كتاب القدس / كتاب رقم (٢٨) / ناصر الفضالة / مركز الإعلام العربي - مصر / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٥٠.

٦٨٠. انظر في ذلك: الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية / ص ٢٠ - ٢١.

المستجلبين الصهاينة، وذلك في إطار معتقداتهم المحرفة، وما يقدمه لهم الحاخامات من واجبات دينية مقيتة (٦٨١).

يؤكد الباحثون على هذه الحقيقة، وعلى هذه الصلة بين الكيان الغاصب ومؤسساته المختلفة والنخب السياسية والفكرية في العالم العربي، حيث جاء في المركز الفلسطيني للإعلام تمثيلاً على ذلك:

وضمن استراتيجية صهيونية شاملة في مجال إرساء دعائم التطبيع والتجسس وإفساد النخب العلمية والثقافية، عمل " المركز الأكاديمي الإسرائيلي في القاهرة " بدأب شديد على إقامة أوسع الاتصالات والعلاقات مع مراكز البحث العلمي في مصر " الأهلية منها والرسمية " (٦٨٢)،

هذه صورة واحدة، لمركز صهيوني واحد، في فترة زمنية واحدة، فكيف إذا تم قياس هذا الجهد على مدار السنوات الماضية؟؟ وفي أكثر من موقع ومكان جغرافي؟؟

برغم هذه العقلية المتوحشة، إلا أن الصهاينة قد استطاع أن يتعامل مع المجتمعات العربية عموماً، ومع الشعب الفلسطيني - من خلال بعض المصطنعين فيه على العين الغربية - من خلال نظرية سياسية كبيرة وخطيرة وذات دلالات كثيرة جداً، وهي سياسة قديمة ومعروفة، ولكنها عند التطبيق تأخذ شكلاً تنسيقياً له أبعاده الخطيرة.

٦٨١. أرض الإسرائاء دروس في العزة والفداء - ضمن سلسلة كتاب القدس / كتاب رقم (٢٨) / ناصر الفضالة / مركز الإعلام العربي - مصر / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ١١٩ موضوع بعنوان: إنهم يقتلون أطفال فلسطين تعبدًا.

٦٨٢. المركز الفلسطيني للإعلام: www.palestin-info.info، تقرير مفصل بعنوان: ((مراكز الأبحاث والمؤسسات العاملة في خدمة التطبيع والاستراتيجية الصهيونية " الأهداف - البرامج - الإشراف ")) وفيه كم كبير ومركز من المعلومات القيمة، التي أرى من الفائدة المحتملة دراستها بعناية.

يتضح ذلك في انتهاج العدو لسياسة تهجين العقل العربي، وترويضه وفق رؤية يراها هذا العدو المتعطر، ضمن ما يعرف في علم النفس المعاصر باسم: ((فن تهيمته النفوس)) (٦٨٣).

من هذه التصورات العقائدية والتخطيط العام والمرحلي في الدولة العبرية، ظهرت طبيعة اليهود التكوينية، وأهدافهم ومخططاتهم (٦٨٤)، وبرزت أطماع اليهود التوسعية في العالم العربي والإسلامي (٦٨٥)، وباتت هذه النظرة التوسعية لا تكتفي بفلسطين، حيث يقول أحد زعامات الصهاينة معبراً عن ذلك: ((كيف يمكنكم حشر عشرة ملايين يهودي في رقعة مساحتها ٢٥ ألف كم ٢؟)) (٦٨٦).

وقد كتب الباحثون كثيراً من المؤلفات عن مخاطر التطبيع ودوره في العمل السياسي العام، وبنوا أوجه ارتباط هذا التطبيع مع الاحتلال بكل وجوهه مع المشروع الهادف إلى ضرب الشعب الفلسطيني واستئصال مقاومته (٦٨٧)، وعن الطبيعة العدوانية والعنفية والإرهابية للصهاينة (٦٨٨)، وهذا مما يعين الباحث على تفهم بعض المنطلقات والتوجهات الموجودة في الساحة الصهيونية وتكتيكاتها المتعلقة بفلسطين وخارج فلسطين.

٦٨٣. انظر في هذا الشأن مقالة مميزة تحت عنوان: ((فن تهيمته النفوس)) للباحث المسلم: طارق حسن السقا / منشورة على موقع صيد الفوائد، على العنوان الإلكتروني: www.saaaid.net.

٦٨٤. لماذا نرفض السلام مع اليهود... / ص ٢٢.

٦٨٥. لماذا نرفض السلام مع اليهود... / ص ٢٧ - ٣٢.

٦٨٦. انظر: الموسوعة الفلسطينية / المجلد السادس / ص ٩.

٦٨٧. انظر في ذلك: أرض الإسرائاء دروس في العزة والفداء - ضمن سلسلة كتاب القدس / كتاب رقم (٢٨) / ناصر الفضالة / مركز الإعلام العربي - مصر / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٢٧٩ - ٢٩٥ موضوع: التطبيق وثقافة المقاومة.

٦٨٨. الموسوعة الفلسطينية / القسم الثاني - الدراسات الخاصة / المجلد السادس - دراسات القضية الفلسطينية / الطبعة الأولى (١٩٩٠ م) - بيروت / ص ٣٧٠ - ٣٧٣ / موضوع: الاستراتيجية العسكرية للصهاينة / بقلم الدكتور الركن ياسين سويد..

يستحضر الباحث أخيراً ما قاله الشهيد سيد قطب في تفسيره لقول الله تعالى: ((إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية)) (٦٨٩): حيث يقول: ((حكم قاطع لا جدال فيه ولا محال، مهما يكن من صلاح بعض أعمالهم وآدابهم ونظمهم ما دامت تقوم على غير إيمان)) (٦٩٠)، فكيف يفكر يقوم على الإجماع والتعطش للدماء والخراب؟!)

حين يتم الحديث عن اطلاع العدو على الواقع الفلسطيني، فإنك هنا تتحدث عن الأسنة الموجهة إلى بؤرة الصراع الرئيسة في العالم، وإلى نقطة ارتكازه على أرض فلسطين التي يهدده فيها أصغر حدث، ويزعزع استقراره فيها أي نداء وهتاف.

" إسرائيل " تفهم أن وجودها السياسي على أرض فلسطين، لا بد أن يكون مرهوناً بتحقيق أمن أفراد مجتمعها المجرم، وهذا ما يعد به ساستها وقادتها إبان كل حملة انتخابية، يصدر عن هذا النداء لتحقيق النجاحات الداخلية لمعرفتهم أن أول ما تفقده الدولة على مستوى أفرادها أو مجموعها هو الأمن والاستقرار (٦٩١).

وعلى مدار سنوات الصراع الطويل، جهدت " إسرائيل " بأجهزتها الأمنية ومراكزها العلمية وتجمعاتها الخاصة بالبحوث والتحليلات في فهم طبيعة الواقع الفلسطيني، ورسمت خطوط تعامله العريضة، والتعرف إلى نقاط القوة ونقاط الضعف فيه، لتضربه في

٦٨٩. سورة البينة: الآية: ٦.

٦٩٠. في ظلال القرآن / سيد قطب / دار العلم للطباعة والنشر - جدة / الطبعة الثانية عشرة (١٩٨٦ م) / المجلد السادس / ص ٣٩٥٢.

٦٩١. وقد ظهر ذلك بوضوح في الحملات الانتخابية للأحزاب والتيارات الصهيونية المختلفة في العشرين سنة المنصرمة، حيث كان الأمن هو البرنامج الأول في كل برنامج سياسي لأي حزب أعلن ترشيحه للانتخابات العامة، بل تعدى الأمر هذه الصورة ليتنقل إلى الحديث عن الأمن في الانتخابات التمهيدية والاستباقية التي تتم في هياكل الأحزاب الصهيونية لاختيار مرشحيهم للانتخابات العامة.

مقاتله، وتختزل الوقت والجهد والمال والعتاد في الضربات التجريبية، ولعل ذلك ما جعلها تصيب في كثير من الأحيان شعبنا بشكل مباشر.

الحكومة الصهيونية وبعد خيرة طويلة في التعامل مع الشعب الفلسطيني، ومن خلال الاحتكاك الذي أكسبها خبرة تجريبية بطبيعة الشعب ومراكز قوته، أصبح لديها أرشيف بشري من الخبراء والمختصين، وأرشيف كتابي يحتوي على جوانب كثيرة ومتعددة عن شعب فلسطين الصابر.

من ذلك: فإنها تعرف عن النظام العائلي والقبلي، ودرجات القوة والتلاحم فيه، ونقاط الضعف التي يمكن أن تتسلل من خلالها.

ولديها اطلاع واسع على تشكيلات الأحزاب والتيارات السياسية والفكرية العاملة على الساحة (٦٩٢)، واكتسبت من خلال سنوات التلاحم الذي استمر سنوات طويلة معرفة بالشخصيات والكفاءات الفكرية وأصحاب النفوذ ومراكز القوة في تيارات المجتمع الفلسطيني (٦٩٣)، وتعرفت بشكل جلي على المعتقدات والدوافع والأفكار والثوابت لكل منها، وتوسعت في فهم نقاط الضعف في البناء الهيكلي التنظيمي لها، إضافة إلى نقاط الاختلاف بين هذه التيارات المتصارعة على الساحة، وفي ذلك ما فيه من الفهم لإمكانيات ضرب هذه الأحزاب، وفتح باب الخيارات للعب على وتر التناقضات فيما بينها.

^{٦٩٢}. التيار الفكري: هو مجموعة من الأفكار التي تشكل رؤية معينة ومحدودة في تفسير الطبيعة والمجتمع والفرد وعلاقتهم بعضهم ببعض.. انظر: قضايا معاصرة - العلوم الإنسانية / مركز المناهج - وزارة التربية والتعليم - فلسطين / الطبعة الأولى التجريبية / مقرر للصف الحادي عشر الأدبي (الجزء الثاني / ص ٣٧.

^{٦٩٣}. تعتبر التكتلات والأنظمة الاجتماعية والسياسية في أي مجتمع إحدى أهم مكوناته، ومعرفتها والاطلاع عليها بعمق يعطي الباحث صورة عن طبيعة المجتمع الذي تنشأ فيه وتنشط هذه التجمعات، وانظر في ذلك: ((الدين والبناء الاجتماعي / د. نبيل محمد توفيق السمالوطي / دار الشروق للنشر والتوزيع - جدة / الطبعة الأولى (١٩٨١ م) / ج ٢ / ص ١٦٨ - ١٧٠.

وللصهاينة باع في فهم طبيعة العمل المؤسسي داخل الأرض المحتلة، والعقليات الإدارية التي تدير دفة المؤسسات، وشرائح العاملين، والسمات الفارقة لكل مؤسسة، وأهداف وتطلعات كل مؤسسة منها، وهم يحرصون على المعرفة التفصيلية لمدخلات ومصروفات هذه المؤسسات، لتكتمل صورة العمل الاجتماعي والثقافي والتعليمي عندهم عبر أداء كل مؤسسة.

هم قبل ذلك قد قسموا المدن الفلسطينية، ثم القرى الفلسطينية، ثم الشوارع والأزقة والحواري، كل ذلك من أجل أن تقوم الهيكليات الإسرائيلية العاملة في هذا المجال من تتبع حركة الأفراد عبر النظام الاستخباراتي الذي يعتمد على وسائل المتابعة والملاحقة، أو عن طريق العملاء الخونة الذين يرفعون تقاريرهم اليومية عن كل فرد وبيت ومسجد وحارة.

وحتى لا يتوهم أحد أن هذا فهم عقيم، فإن العاقل البصير يمكنه تحليل مجريات الأمور كيفما شاء، فإذا انتهى، فسيصل إلى الدوائر الاستخباراتية التي تتناول الجوانب التي تم ذكرها آنفاً لا محالة (٦٩٤).

نجحت " إسرائيل " في هذا الصدد - في أغلب الأحيان - نتيجة الهيكلية الإدارية التي انتهجتها، فهي تتعامل بنظام تسلسلي، وبناظم الدوائر الصغيرة التي ترتبط بالحلقات الأكبر، وبذا يتم توظيف الأفراد والمراكز الاستخباراتية لإيصال المعلومات المبدئية إلى الدوائر المعنية، والتي تقوم بتحليلها ودراسة جوانبها المتعددة، ومن ثم الخلوص بأفضل نتائج تؤهلهم للتعامل معها.

وإنما أحب الباحث أن يذكر هذا الأمر هنا لمعرفة أن الجندي قبل أن يتزل إلى ساحة الميدان فإن عليه أن يعرف عدوه، فلا يضل، ويعرف مقدراته وإمكاناته، فلا يفتر أو يلين، ويتعرف إلى وسائله فلا ينخدع بها، ويتفهم طبيعة فكره وآليات عمله فلا يقع في شباك التحليل الخاطيء، أو الاستنتاج المغلوط الذي لا يدعمه عقل ولا تحليل.

^{٦٩٤}. وأهم وسائلها في تدعيم المعلومات الواردة إليه هو العين التي تزرع في المجتمع الفلسطيني، وانظر في طبيعة ومخاطر هذا الأمر: المدخل إلى علم الاستخبارات - رؤية إسلامية / ص ١٣٢ - ١٣٣.

فهم هذا الموضوع هو أساس الفهم للعمل المؤسسي الصهيوني، فالمجتمع المدني و العسكري الصهيوني من أهم مقاصده أن يمرر سياسات الاستعمار على فئات الشعب، ويضرب البنية التحتية لأي ثورة، ويجهض أي أمل، ليصل عبر جهد مدروس مستمر إلى تبخر الحلم الفلسطيني، ووآد مساعي الشعب الفلسطيني بالتححر والاستقلال.

المطلب الثاني

القدرات المؤسساتية الصهيونية

تعامل العدو مع مسألة المنظمات الأهلية داخل الكيان الصهيوني بطرق متنوعة، موزعة على المحاور الرئيسة الآتية:

بناء المؤسسات الذاتية:

بداية؛ لا يمكن للباحث أن يصف أي شيء في الكيان الصهيوني بأنه مدني، لأن هذا اللقب والمصطلح لا يتفق البتة مع طبيعة الدولة العبرية التي قامت بالزور على أرض ليست لها، وبات نظامها العام في كل دوائرها تابعاً للأمن، ومرتبطاً بصورة أو بأخرى بالحكومة والمؤسسة العسكرية الحاكمة فيها.

وللتدقيق، فإن النظام المؤسساتي الصهيوني يقوم على تنوع المسميات بناء على الحاجة الأمنية الصهيونية التي تتطلبها السياسة الصهيونية العامة سواء على صعيد الوطن السليب أو على صعيد المؤسسات المترابطة بالعالم الغربي وبعض بلدان العالم الإسلامي والعربي - بكل أسف - (٦٩٥).

لكن ما اصطلح عليه في التصنيفات الدولية بأنه يسمى المؤسسات المدنية، أو منظمات المجتمع المدني، موجودة اسماً على الأرض الفلسطينية المسلوقة، ولكن مضمونها منافٍ تماماً لطبيعة العمل المدني.

^{٦٩٥}. انظر عن أهمية الأمن في الفكر الصهيوني: الضفة الغربية في استراتيجية الحرب الإسرائيلية / آرييه شيلو / سلسلة دراسات "صامد الاقتصادي" (٩) / دار الكرمل للدراسات والنشر والتوزيع - الأردن / الطبعة الأولى (١٩٨٥ م) / ص ١٣ - ٣٢.

وحتى لا يكون هناك لبس في المسألة، فإن الدولة الصهيونية حرصت وتحرص على إقامة المئات من المؤسسات التي تسمى بمنظمات المجتمع المدني، وتعطيها ألقاباً وأسماءً لامعة براقية، لتغري العالم بكونها دولة مدنية ديمقراطية، وفي حقيقة الأمر فإن هذه الدولة التي لا تأمن على نفسها - برغم معاهدات السلام - لأي دولة أو كيان قد صبغت الفرد والمؤسسة فيها بالطابع الأمني والعسكري المندرج في خضم المعادلة الحكومية.

تمثل الجسم المؤسساتي (المدني) بإيجاد مؤسسات قام على إنشائها ورعايتها وإدارتها خبراء الكيان الصهيوني، فتجمعت عقليات علم النفس مع خبراء الاتصال، وشاركوا معهم أهل الإعلام وأهل الخبرة والتجربة، فصنعوا من هذا المزيج مؤسسة تضع أقدامها على أرضنا المغتصبة هنا، ليفوح نتن ريجها على جميع بني البشر بما تمارسه من نشاط في الترويج للفكر الصهيوني المنحرف الباطل.

للحقيقة، فقد أبدع الكيان الصهيوني في دعم وإنشاء مثل هذه المؤسسات (^{٦٩٦})، والتي تأتي استمراراً لنهجهم القديم الحديث في التعامل الدنيء من أجل رياسة العالم والسيطرة على مقدراته وثرواته.

يقول علماء الأمة في وصف أساليب الصهيونية العالمية في العمل المؤسساتي: أن الصهيونية تعتمد في وسائلها على ركائز أربع، أولها: ((السيطرة الفكرية، وسبيلها الدعاية العريضة المنظمة عن طريق أجهزة الإعلام الفعالة لتهيئة الأذهان وتطويعها لأهوائهم، سواء كانت هذه الأجهزة منظمات يهودية سافرة، أم منظمات اجتماعية مموّهة، سرية كانت أم

^{٦٩٦}. انظر في ذلك: موقع " قدس نت " www.qudsnet.com في تقرير بعنوان: ((دور الصهيونية في

أوروبا والعالم)) منشور بتاريخ ١٥/٣/٢٠٠٦ م.

علنية، كالجتماعات الماسونية، وفرسان المعبد، وجماعات الصليب الوردى، وشهود يهوه والكبالات، وغيرها)) (٦٩٧).

وفى الميدان الإعلامى المرافق لعمل هذه المؤسسات ترى المطابع الإسرائيلية قد أعيهاها الدوران وهى تقذف من بطونها آلاف المؤلفات والمجلات والنشريات والدوريات المنشورة للمؤسسات (المدنية)، ناهيك عن الصحف العبرية اليومية والأسبوعية والشهرية التى تهدف إلى إثراء فكرة توطين المستجلبين على أرض لا يملكونها، ودعم المستجلبين من دول العالم بسموم الفكر المغلوط، وإلهاء المستوطن الإسرائيلي عن التفكير فى حاله بكل الفتن والمغريات، وهذا بلا شك درب من دروب الإغواء عن طريق العمل الأهلى.

هذه المؤسسات الأهلية وغيرها تمثل درع "إسرائيل" الحامى، فهى تعتمد عليها كليا فى تمرير سياساتها إقليميا وعالميا، والترويج لبضاعتها الآسنة عبر التقنيات الفنية والخبرائية والمادية التى يتم توفيرها لهذه الأغراض وبميزانية حكومية رسمية تتجاوز عشرات المليارات من الدولارات سنويا.

فينشط فى الكيان الغاصب كم من المسميات التى تتبع للمجتمع المدنى بمفهومه الحالى، كالنقابات العمالية (٦٩٨)، ومنظمات حقوق الإنسان - التى لا تعتبر الإنسان الفلسطينى إنسانا يستحق المتابعة لما يتم معه من حرب إبادة منظمة - ومراكز أبحاث، ومؤسسات ثقافية وتعليمية وخدماتية متعددة.

ومن أمثلة المؤسسات التى تنشط فى الدولة الصهيونية الغاصبة: مؤسسات رعاية المدمنين على المخدرات، وهى مؤسسات ومراكز منتشرة على امتداد فلسطين المغتصبة، نظرا لارتفاع عدد المدمنين على المخدرات فى الدولة العبرية، حيث وصل عدد المدمنين على الهيرون

٦٩٧. أساليب الغزو الفكرى / ص ١٦٣.. وانظر كذلك: الصحافة الإسرائيلية والدعاية الصهيونية فى مصر / د. سهام نصار / قسم النشر - دار الزهراء للإعلام العربى - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٩١ م) / ص ٢٥٩ - ٢٦١.

٦٩٨. وعلى رأسها (المستدروت).

فقط في العام ٢٠٠٤ م إلى نحو ٣٠ ألف شخص (٦٩٩) ومثلها المراكز التي تعنى بمتعاطي الخمر، ومؤسسات العلاج النفسي للمجتمع، ونحوها..

ومنها كذلك، المؤسسات التي تعنى بالفكر الصهيوني ونشره، فتقوم على تشجيع الكُتّاب والمؤلفين والشعراء ونحوهم من أجل أن يكتبوا تاريخاً مصطنعاً لدولة العدوان ليعمم على العالم الغربي، وهذه المنظمات وإن أخذت المسمى الأهلي إلا أنها تمثل جانباً من دوائر العمل الصهيوني العسكري والأمني الذي يسعى إلى ترويض العالم عبر إظهار الدولة الصهيونية وكأنها حمّامة السلام في العالم، وجنة الدنيا؛ لولا وجود الفلسطينيين الذين يعكرون صفاء الأجواء فيها !!

من أمثلة الجهات الضاغطة بقوة في الشارع الصهيوني: جماعات إعادة بناء الهيكل، ومنها: جماعة "جوش إيمونيم" (٧٠٠)، التي تسعى بين كل فترة وأخرى إلى اقتحام الأقصى الحبيب وتدنيسه، وتهديد المصلين فيه، وجماعات الصهاينة الدينية الأخرى مثل: "يشيفات أتريت كوهانين" والتي تعني: التاج الكهنوتي، وجماعة أمناء الهيكل، التي تقوم بإقامة الصلوات الصهيونية في محيط القدس، وعلى حائط البراق الإسلامي.

ومن الجماعات الصهيونية المتطرفة التي تشارك في جبهات الضغط المتتابعة جماعة (كاخ) المتطرفة، والتي كان يرأسها (مئير كاهانا) (٧٠١) الحاقد، وجماعة من الحاخامات المتشددة والمتطرفة، والتي تتشدد في بناء الهيكل الصهيوني المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى المفدى.

بكل أسف.. فإن جماعات من النصارى، وعلى وجه الخصوص النصارى الإنجيليين، يشاركون مع الصهاينة من خلال البعد المؤسسي في تكوين لوبي داخلي ضاغط

^{٦٩٩}. انظر في ذلك: شؤون إسرائيلية في أسبوع / تقرير صادر عن مركز دراسات الشرق الأوسط - الأردن / السنة الأولى / العدد ٥٠ / ٣ / ١ / ٢٠٠٤ م / ص ١٠.

^{٧٠٠}. ومعناها (كتلة الإيمان، وهي جماعة تؤمن بالأفكار المتطرفة التي يديها أرئيل شارون.

^{٧٠١}. وقد تم قتله في عملية نوعية في الولايات المتحدة الأمريكية.

على السياسة الصهيونية من أجل تمرير المخططات الخبيثة التي تستهدف المقدسات الإسلامية على أرض فلسطين..

يقول محمد عبد الكريم الشيخ: ((يشاطر النصارى الإنجيليون اليهود عقيدة قدسية الهيكل، وضرورة إقامته مكان المسجد الأقصى، لأن كليهما يأخذان من عقيدة من التوراة المحرفة التي أفاضت الحديث عن الهيكل، والأنشطة التي يقومون بها واسعة النطاق، فكتبهم تزيد عن ثلث مجموع الكتب التي يشتريها الجمهور)) (٧٠٢).

فهذه الجماعات العنصرية المتطرفة تشكل فيما بينها جبهة ضاغطة على السياسية الصهيونية في تقرير كثير من السياسات المتعلقة بالمسجد الأقصى وإجراءات تهويد القدس (٧٠٣)، والتحركات المطلوبة للتضييق على المسلمين في المدينة وسحب بطاقات الهوية منهم، ونحو ذلك من السياسات العنصرية الواضحة.

ومن أمثلة التحركات الضاغطة على النظام السياسي الصهيوني من المجتمع المدني الصهيوني، ما حصل بعد نشر تقرير لجنة " فينوغراد " (٧٠٤) على الإعلام الصهيوني، حيث بدأت سلسلة من التحركات الأهلية والمسيرات للحركات الاجتماعية والمنظمات الأهلية

^{٧٠٢}. انظر في ذلك: المسجد الأقصى وقفات وعبرات / الشيخ محمد عبد الكريم الشيخ / تقديم: د. عبد الحي يوسف / دار المشكاة، وشركة مطابع السودان للعملة المحدودة - السودان / الطبعة الثانية (٢٠٠٢ م) / ص ٣٥.

^{٧٠٣}. انظر في ذلك: الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية / ص ٢٠ - ٢١.

^{٧٠٤}. وهي اللجنة المكلفة بالتحقيق في أسباب الفشل الصهيوني وهزيمته أمام حزب الله في حرب تموز ٢٠٠٦ م، حيث حمل التقرير رئيس الوزراء ووزير الحرب والمسؤول عن العمليات العسكرية مسؤولية الهزيمة، الأمر الذي أثار المنظمات الصهيونية فسارعت لخطوات احتجاجية متعددة للضغط على النظام الصهيوني للاستقالة.

للضغط على أولمرت - رئيس الوزراء للاستقالة هو ووزير حربه عمير بيرتس ودان حالوتس العسكري الأول في الجيش (٧٠٥).

الملاحظ أن هذه الجماعات الضاغطة لا تنشط في هذا المجال فحسب، بل لها نفوذ مؤسسي كبير في جانب العمل الحزبي، يظهر جلياً في دعم أحد المرشحين أو الأحزاب في الانتخابات العامة الصهيونية، حيث يميل كثير من اليهود المتطرفين - والصهاينة متطرفون بطبعهم - على إتباع قرارات الحاخامات، وتأييد من يؤيدون من المرشحين أو التيارات السياسية في الدولة الغاصبة (٧٠٦).

برغم المليارات التي تغدقها الدول المانحة على الكيان الصهيوني الغاصب، والخدمات الكبيرة التي تتغنى بها منظمات المجتمع المدني الصهيوني، إلا أن الملاحظ أن الجمهور المستجلب في الدولة الغاصبة غير راض بتاتاً عن أداء ما يعرف بالمؤسسات الأهلية الصهيونية، وغير مقتنع بدورها في خدمة الجمهور الصهيوني وسعيها للارتقاء به على مختلف الأصعدة.

فقد كشف تقرير أجراه مركز غوتمان الصهيوني على عينة عشوائية بلغت " ١٠٢٣ " شخص، من مختلف المواقع والشرائح، أن المجتمع الصهيوني فاقد للثقة في مؤسساته المدنية، وأن الفساد المستشري فيها يقضي على الثقة بينها وبين الجمهور المستجلب الغاصب.

جاء في المركز الفلسطيني للإعلام: ((اثنان من كل ثلاثة من الإسرائيليين غير راضين من أداء المؤسسات الديمقراطية الإسرائيلية، هذا ما تبين من الاستطلاع السنوي الذي

٧٠٥. انظر في ذلك: الموقع الإلكتروني لراديو (سوا) - قسم الأخبار WWW.RADIOSAWA.COM، خبر بعنوان: منظمات مدنية وأهلية إسرائيلية تعترض الضغط على أولمرت لحمله على الاستقالة/ منشور بتاريخ: ١ / ٥ / ٢٠٠٧ م.

٧٠٦. وقد ظهر ذلك جلياً في الانتخابات الثلاث الأخيرة التي أجريت في الدولة العبرية، حيث تسابق المرشحون - حتى العلمانيون منهم - إلى كسب ود الحاخامات الصهاينة، لكسب تأييدهم ومباركتهم ومن يدعم هؤلاء الحاخامات المجرمين من الشعب الصهيوني المستجلب.

أجره المعهد الإسرائيلي للديمقراطية، وجاء من معطيات التقدير أن ٧٥% من المشاركين في البحث يعتقدون أن في "إسرائيل" فساداً مؤسساتياً على مستوى كبير جداً)) (٢٠٧).

الخطر الكبير في هذا النظام هو أن بعض المؤسسات المدنية الصهيونية تقوم بتعميم التطبيع الأكاديمي والثقافي مع بعض دول العالم - لا سيما دول الطوق - ضمن ما يعرف بنظام (التشبيك) بين المؤسسات المدنية الإقليمية والعالمية، وهو صورة من صور التطبيع العام الذي تعمل الدولة العبرية بجدّ للوصول إليه، في محاولتها لاختراق النظام العربي والمجتمعات العربية عموماً.

تمنح الدولة العبرية امتيازات مادية كبيرة للدول القابلة بمشروع التشبيك، من حيث المساعدات وتكفّل النشاطات، والدعم الفني بمختلف أشكاله ومسمياته، وذلك حتى توجد لها موطئ قدم في المجتمعات العربية.

ومن الأمثلة على هذه المؤسسات، المركز العلمي الدولي الذي يشرف عليه صندوق خاص باسم (bridging the rift - BTR) وهو مشروع أكاديمي مقام في وادي عربة بين الأردن والكيان الصهيوني الغاصب (٢٠٨).

ومن الأمثلة عليها كذلك؛ المركز الأكاديمي الإسرائيلي في القاهرة، وهو منظمة مدنية تعنى بالشأن الأكاديمي والدراسات والبحوث (٢٠٩)، وغيره الكثير من المؤسسات التي

^{٢٠٧}. المركز الفلسطيني للإعلام على الانترنت، موضوع بعنوان: نسبة كبيرة من انعدام ثقة الجمهور بمؤسسات دولة الكيان، منشور بتاريخ: 12/06/2007.

^{٢٠٨}. انظر في ذلك: شؤون إسرائيلية في أسبوع / يصدره مركز دراسات الشرق الأوسط - الأردن / السنة الثانية / العدد ٦٠ / ١٣/٣/٢٠٠٤ م / ص ١٦.

^{٢٠٩}. انظر في ذلك: المركز الفلسطيني للإعلام: www.palestin-info.info، تقرير مفصل بعنوان: ((مراكز الأبحاث والمؤسسات العاملة في خدمة التطبيع والاستراتيجية الصهيونية "الأهداف - البرامج - الإشراف"))

قامت على الأراضي المصرية، سيما بعد القبول الرسمي بالسلام مع الدولة الصهيونية في عهد السادات (٧١٠).

ومنها كذلك المؤسسات التي تعمل بنظام التشبيك مع السلطة الفلسطينية (٧١١)، وهذه المؤسسات ذات طابع تدميري يهدف إلى بيان صورة المجتمع الفلسطيني بأنه مجتمع قابل لسلطة الاحتلال على ٩٠% من أرضه، وراضٍ عن حصته التي أعطاهها له الاحتلال، وما البرامج التي تعمم على العالم الغربي من خلال برامج هذه المؤسسات؛ إلا صورة حية عن هذا الزعم الصهيوني الباطل.

أما اللوبي الصهيوني الضارب في أعماق المجتمع الأمريكي (٧١٢) فقد استطاع بناء وإنشاء مجموعة كبيرة من محطات التأثير المؤسساتي، مستغلاً التواطؤ الأمريكي مع مشروعه الاستعماري، وتغلغله في صفوف صناع القرار في مجلس الشيوخ وأعضاء الكونجرس الأمريكي (٧١٣).

^{٧١٠} . بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد التي وافق من خلالها أنور السادات رئيس الجمهورية المصرية على المشروع الخاص بالسلام مع الدولة الصهيونية.

^{٧١١} . وهذه المنظمات متعددة الأسماء، ومن أبرزها (مؤسسة بذور السلام)، التي أسسها ويرأسها المجرم الصهيوني شمعون بيريس لتجذير مفهوم السلام بين الشعب الفلسطيني وجلاذيه ومعتصي مقدساته.

^{٧١٢} . انظر في علاقة الولايات المتحدة بـ "إسرائيل" نتيجة هذه العلاقات: مجلة (Foreign policy) النسخة العربية / عدد شهر ١ / ٢ / ٢٠٠٥ م / مقالة بعنوان: عالم بلا "إسرائيل" // للكاتب: جوزيف جوف / ص ٢٩ - ٣٤.

^{٧١٣} . انظر: مجلة فلسطين المسلمة / مجلة شهرية سياسية متزنة / تصدر في بريطانيا، العدد الحادي عشر / السنة التاسعة عشرة / تشرين ثاني ٢٠٠١ م / مقالة بعنوان: "الدعم الأمريكي اللامحدود للكيان الصهيوني أبعد من المصالح المتطورة" / د. محمد خالد الأزعر / ص ٤٢.. وانظر كذلك: صناعة الخير في كواليس الصحف الأمريكية / جون ماكسويل هاميلتون و جورج أ. كريمسكي / ترجمة: أحمد محمود / دار الشروق للطباعة والنشر - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٠ م) / ص ٣٧ - ٥٧.. وكذلك: الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية / ص ٢١..

وبالرغم من صغر حجم الجالية اليهودية التي تشكل حوالي ٢% من السكان، إلا أن لها حضوراً طاعياً في المجالات المهنية، من أساتذة جامعات، إلى الطب إلى المحاماة إلى عالم المال إلى الفنون والآداب، كما انه مشهود لأفرادها بالإبداع في كل ما يقومون به^(٧١٤).

لعل التقرير الذي صدر مؤخراً عن جامعة هارفرد الأمريكية والذي أعده أستاذ العلوم السياسية في جامعة شيكاغو " جون ميرشايمر" بالاشتراك مع أستاذ الإدارة في جامعة " هارفرد ستيفان والت " والذي حمل عنوان:(اللوبي الصهيوني والسياسة الخارجية الأمريكية) خير دليل على هذا الطرح.

جاء في التقرير: ((أن سياسة أمريكا الخارجية محكومة ومسيرة من قبل جماعات الضغط الصهيونية، والنتيجة أن أمريكا وضعت مصالح الكيان الصهيوني في موقع متقدم على مصالحها الوطنية دون أي مبرر استراتيجي أو أخلاقي أو مبدئي، كما أن هذا الوضع هو السبب وراء تعريض أمن أمريكا إلى الخطر)) (٧١٥).

لم يقف الأمر مع الشره الصهيوني والأمريكي والعالمي المتصهين (٧١٦) في هذا المجال عند هذا الحد، بل إن جهود الصهيونية العالمية قد استطاعت وخلال نهاية التسعينيات من

^{٧١٤}. انظر في ذلك: موقع جيل الثقافي على الانترنت WWW.JEEL-LIBYA.COM.. مقال جميل تناول واقع اللوبي الصهيوني في النظام السياسي الأمريكي بعنوان: اللوبي اليهودي: تعرية الأسطورة، للأكاديمي السعودي - محمد العضاوي.

^{٧١٥}. موقع المركز الفلسطيني للإعلام - عربي، تقرير بعنوان: " اللوبي الصهيوني والسياسة الخارجية الأمريكية " وهو نفس عنوان التقرير الذي أعده الأستاذان الأمريكيان، وهذا من كمال نقد العدو بلسانه، مع الإشارة إلى أن الجامعة سحبت ختمها الرسمي عن هذا التقرير وقامت بفصل الأستاذين من عملهما نتيجة الأثر الذي تبع نشره على العامة..

^{٧١٦}. ثبت رسمياً أن كثيراً من الخطط والمشاريع الاستعمارية الصهيونية والعالمية يتم رسم خيوطها في البنتاجون الأمريكي، ويسوق لها من خلال حملات إعلامية كبرى تخدم هذه الأهداف، وقرأ إن شئت مقالة بعنوان: ((البنتاجون يسعى لعسكرة العالم إعلامياً))، للأستاذ: (محمد عبد الحليم) / منشورة على موقع: المركز الفلسطيني للإعلام، بتاريخ ٢٠٠٦/٣/٦ م، وكذلك: وسائل الإعلام والسياسة الخارجية / سيمون سيرفاقي / ترجمة: محمد

القرن العشرين امتلاك مؤسسات أهلية ومدنية، ومحطات متلفزة، وقنوات فضائية، وإذاعات تعمل على مدار الساعة، في أكثر من عشرين بلداً أوروبياً (٧١٧).

الهدف المراد منها جميعاً هو تحميل صورة الاحتلال في عيون هؤلاء وتمير سياسات العدو عليها، كدعم الاستيطان ونحوه (٧١٨) من خلال المنظمات الصهيونية الأهلية أو منظمات ما يعرف في الغرب بالمجتمع المدني المتحضر.

وإن أحاطت القوانين في بعض البلدان بمشروعات التوسع الصهيوني؛ فلم يستطع بناء مؤسسات مستقلة تحمل الهوية الصهيونية، يعتمد العدو ومن خلال شبكة الساسة والموالين للدولة الصهيونية في شتى أقطار الأرض إلى شراء المالكين لهذه المؤسسات والعاملين فيها، وهو يركز بالدرجة الأولى على الطواقم الإدارية لهذه المؤسسات الأهلية، وقد بذلوا جهوداً مستترة وعلنية يعي القلم بوصفها في هذا الشأن، حتى استطاعوا الوصول إلى العقول الغربية بوجوه غريبة.

استطاع العدو بفعل مكره وتخطيطه الدؤوب من تحقيق نجاحات كبيرة في حقل السيطرة على وسائل الإعلام الأمريكية (٧١٩)، وتعداها ليصل إلى بريطانيا (٧٢٠)، وفرنسا (٧٢١)، والهند والصين (٧٢٢)، وغيرها من دول العالم في المشرق والمغرب، ليتمكن ذلك من

مصطفى غنيم / مطابع المكتب المصري الحديث - مصر / الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية / الطبعة العربية الأولى (١٩٩٥ م) / ص ١٨٩ وما بعدها.

٧١٧. جاء هذا التصريح على لسان المحلل السياسي (إيهود ياعاري) خلال لقاء سياسي تخصصي معه عن مجالات التأثير الصهيوني في العالم الغربي على شاشة القناة الإسرائيلية الثانية، بتاريخ ٩/٢/٢٠٠٥ م.

٧١٨. انظر في هذا الشأن: موجات الغزو الصهيوني (صراع البقاء والأجلاء ١٨٨٢-١٩٩٠ م) / د. أسعد عبد الرحمن و نواف الزرو / دار اللوتس - عمان / الطبعة الأولى (١٩٩٠ م) / ص ٤ وما بعدها.

٧١٩. انظر في ذلك: السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية / ص ٢٥ - ٣٢.

٧٢٠. المرجع السابق / ص ٣٣ - ٤٣.

٧٢١. المرجع السابق / ص ٤٤ - ٤٨.

٧٢٢. المرجع السابق / ص ٤٩ - ٥١.

الوصول إلى القبول بوجود النشاط المؤسسي والأهلي الذي يخوله الاستمرار في تنفيذ مشروعاته، والتقدم بها من أجل التأثير والانتشار.

استطاعت العقليات الصهيونية الوصول إلى هذه المكانة بفضل الخبرة الدبلوماسية التي تفسح المجال رحباً أمام تمرير أي مشروع مراد، فعلاقة الكيان الغاصب مع زعماء الدول وقناصلها ووزرائها وساستها ومحليها - وحتى أحزاب المعارضة فيها - وطيدة، وأموال الصهاينة تقولبت على شكل طعام وشراب ولباس ومتعة زائلة لهؤلاء وهؤلاء، حتى تبرجت عقولهم على طاعة الأمر وانتظار الإشارة، والعمل الحازم لنصرة المشروع الصهيوني الاستعماري الذي تشكل فيه " إسرائيل " نواة المشروع العالمي.

اترك لخيالك العنان ليسرح في أفكاره عن مدى تأثير هذا الأمر في التكوين العقلي الباطني والعلني للمجتمعات الأوروبية، وعمليات مسح الدماغ التي يمارسونها من خلال المؤسسات المنتشرة على مستوى واسع، ومدى تغلغل الصهاينة - برغم قلة عددهم عالمياً - في دائرة صنع القرار الدولي والمجتمعات الأوروبية.

هذا معناه: بناء علاقات مفتوحة مع عدد كبير من رؤوس الأموال والسياسيين والعلماء والوزراء والشخصيات المحورية في أكثر من مجتمع، كل ذلك للتأسيس لحالة مستقبلية تضمن استمرار المشروع الصهيوني، وديمومة الدعم الدولي له عبر التأثير المؤسسي والإعلامي والمدني المسيس لصالحهم.

يضرب الباحث لذلك مثلاً صريحاً ومباشراً، فالغرب المسيحي بقوانينه المعمول بها هناك لا يعاقب على إنكار وجود المسيح، كما لا يعاقب من اقترف جرم الإساءة إليه - كما في القانوني النمساوي والفرنسي والألماني - بينما يعاقب على جريمة إنكار المحرقة اليهودية (٧٢٣)، وهذا من العجب العجاب !!.

^{٧٢٣} . جاء هذا في تقرير إخباري دولي بعنوان: ((دور الصهيونية في أوروبا والعالم.. والمحرقة) منشور بتاريخ

من مقتضيات ذلك أيضاً، أن الصهاينة باتوا قادرين على تشكيل الرأي العام في كثير من الدول في العالم خلال وقت قصير (٧٢٤)، ويستطيعون رسم أي صورة يريدونها للعالم من خلال جهد المؤسسات الصهيونية والمالية لها، مما تبثه أذرع الأخطبوط الصهيوني النافذة في تلك المجتمعات (٧٢٥)، بالرغم من صغر حجم الجالية اليهودية (حوالي ٢% من السكان) لها حضور طاغ في كل المجالات المهنية، من أساتذة جامعات، إلى الطب إلى المحاماة إلى عالم المال إلى الفنون والآداب، كما انه مشهود لأفرادها بالإبداع في كل ما يقومون به.

لا يقف الأمر عند هذا الحد، فالواقع المشهود يؤكد امتلاك الصهاينة عبر أقمعة التواجد العالمي في بعض المجتمعات العربية للنفوذ والقرار الحاسم في مجموعة كبيرة من مؤسسات المجتمع المدني، بوجوه عربية، وأسماء عربية، وأصوات عربية، ليتم احتلال التشكيل

٧٢٤. وليس أدل على ذلك من قدرتهم على تغيير القرارات السياسية الكبرى المتعلقة بالكيان الصهيوني، كما حصل عندما جرت مجموعة من التحركات على صعيد المثقفين في بريطانيا وأمريكا لمقاطعة الجامعات ومراكز البحوث الصهيونية بسبب ارتكابها لجرائم حرب ضد الفلسطينيين، وبالذات بعد مقتل الطفل محمد الدرة، حيث استطاعت المنظمات المدنية في الغرب أن تحدث تأثيراً كبيراً على صعيد المقاطعة الكاملة للصهاينة والمطالبة بوقف الدعم لهم، إلا أن النفوذ الصهيوني قد استطاع تغيير هذه التوجهات بوسائل الضغط وجماعات الضغط التي يمتلكها في الغرب والولايات المتحدة.

٧٢٥. الموسوعة الفلسطينية / القسم الثاني - الدراسات الخاصة / المجلد السادس - دراسات القضية الفلسطينية / الطبعة الأولى (١٩٩٠ م) - بيروت / ص ٢٤١ - ٣١٩. في كتابات الدكتور عبد الوهاب المسيري، تحت عنوان: الصهيونية.. وانظر كذلك، المرجع نفسه، في موضوع الاقتصاد الإسرائيلي / للباحث الدكتور: حسين أبو النمل / ص ٥٩١ - ٧١٤... ومن الجدير ذكره هنا، أن كلمة "لوبي" ترتبط لدى العربي عموماً بالقضية الفلسطينية وكيف أن عدداً من المنظمات اليهودية تمارس عملية الضغط تلك لكي يميل الميزان لصالح "إسرائيل" عندما تتم مناقشة أمراً ذا علاقة داخل الكونغرس الأميركي، ولكن؛ في العقدين الأخيرين، تنبعت بعض الجماعات العربية والإسلامية لهذه المبادئ وانخرطت في لعبة الضغط تلك من خلال تكوينها لجمعيات ومؤسسات سياسية تتابع مصالح أعضائها وقد حققت نتائج ممتازة. بالطبع لا يتوقع لها ان تكون بنفس قوة تأثير المنظمات اليهودية، على الأقل في المستقبل المنظور، وذلك لأسباب عديدة.

العقلي للعرب من خلال قناع العروبة الزائف، ومنظمات المجتمع المدني العربية التي تقبل الهيمنة المرذولة (٧٢٦).

وحتى لا يُظنَّ بأن هذا الأمر يأتي من مفتون بالقوة الصهيونية، أو مبالغ في وصفها، فإن ما تم الحديث عنه في هذا المبحث هو متعلق بالأساس في فهم الطبيعة التي يفهم بها العدو الأشياء والأمور، وبيان لكيفية بنائه لذاته، ولا شك في أنه نجح بنجاحات متعددة في جوانب عمله، نظراً لما يتمتع به من دعم دولي لا يقدر، وخطط استراتيجية ومرحلية يتعامل معها بكل موضوعية وقوة.

لكن؛ ليس في ذلك مدعاة لرسم صورة الشر المستطير عن هذا العدو، فذكر نجاحاته - من باب الموضوعية - يحفز المسلم على فهم عدوه، والاستفادة من نقاط قوته وضعفه في رسم الخطط العلاجية لواقعه، وتحويل المعطيات إلى دراسات منهجية لمقاومة العدو والتصدي لمخاطره على مختلف المستويات.

^{٧٢٦}. وقد مثلت لذلك بالمراكز والمنظمات المدنية التي تعمل تحت مشاريع التشبيك، والتي فتحت الباب أمام التأثير المجتمعي الحقيقي في بعض الساحات العربية.

المبحث الخامس

الإسلاميون وشعارات المجتمع المدني

المطلب الأول

الإسلاميون والديمقراطية

يقوم المجتمع المدني عموماً على ثلاثة محاور رئيسة، هي: مبادئ الديمقراطية، والعدالة الاجتماعية، وحقوق الإنسان، ومن الواجب أن يتم التركيز على نظرة الإسلام للعنصر الأول، والمحور الأول من هذه المحاور، باعتباره الإطار العام لعمل المجتمع المدني.

أهمية هذا الموضوع تكمن في نظرة الإسلاميين للديمقراطية، وهل هي معتبرة عندهم شكلاً ومضموناً؟ أم مرفوضة في كلا الحالتين؟ أم مقبولة في صيغة من الصيغ الفضفاضة لها؟ لأن دخول الإسلاميين إلى العمل في المجتمع المدني سيكون مرتبطاً بشكل أو بآخر بهذه الطريقة في نظام الحكم ورسم السياسات، وهي على تواصل مباشر مع أهداف وتوجهات المجتمع المدني.

قبل كل شيء، لا بد من التوضيح لمفهوم الديمقراطية التي هي إفراز من إفرازات العقلية الغربية.

الديمقراطية تعني: ((حرية الأفراد والجماعات المكونة للمجتمع باختيار الأطر القانونية والتشريعية الناظمة لحياتهم وعلاقاتهم الداخلية، بالتالي فهي مفهوم دنيوي غير ديني،

منبثق عن الإنسان لإدارة حياته وعلاقته بأخيه الإنسان وبالدولة التي يرتبط معها بعقد اجتماعي مدني غير إرثي (((٧٢٧) (٧٢٨).

يوضح أحمد عادل هذا المعنى للديمقراطية قائلاً:

... والقيمة الأولية في البناء الهرمي الديمقراطي هي الإنسان الفرد، ولذلك فإن الديمقراطية تجعل الناس جميعاً على قدم المساواة من الاستحقاق والجدارة، بغض النظر عن ظروفهم في الحياة، فإذا انتقلنا خطوة إلى مجال السياسة، نجد أن الإيمان بأن المجتمع يتألف من مجموعة من الناس على قدم المساواة يقود إلى الاعتقاد بأن كل الناس قادرون على حكم أنفسهم، وأنهم يجب من ثم أن يحكموا أنفسهم، لذلك، نجد أن المصدر المشروع والوحيد في النظرية الديمقراطية للسلطة السياسية هو رضا المحكومين، وهو المبدأ المعروف بالسيادة الشعبية (٧٢٩).

المفهوم من هذه التصورات للديمقراطية أن الشعوب تختار نظام الحكم الخاص بها، وتختار من يمثلها، والكيفية التي يريدون أن يمثلهم بها هذا الشخص أو ذاك، أو هذا الحزب أو غيره.

انساق البعض بعد توسعهم في المناادة بالديمقراطية في فهم عقيم، حتى قال بعض المروجين للديمقراطية وتبجح تام: أنه يجب محاربة الدين، لكونه يتنافى مع الديمقراطية، حيث يقول هذا الكاتب:

لا يمكن تحقيق النظام الديمقراطي إلا في ظل العلمانية، وفي الحقيقة لا ديمقراطية في ظل أية أيديولوجية شمولية، سواءً كانت دينية، أو قومية أو شيوعية. يجب الوقوف بحزم في وجه

^{٧٢٧}. بحث منشور على الانترنت، بعنوان: الديمقراطية ثقافة وليست هياكل، للباحث: معز كراجه، وفيه تفصيلات عن المفهوم الديمقراطي يرجع لها من أراد. وانظر كذلك: مدخل إلى النظرية السياسية في القرآن الكريم / ص ٨٤ - ٨٧.

^{٧٢٨}. انظر: مدخل إلى النظرية السياسية في القرآن الكريم / ص ٨٤ - ٨٧... وكذلك: الديمقراطية في الإسلام / عباس محمود العقاد / نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٩٥ م) / ص ٧.

^{٧٢٩}. الأحزاب السياسية والنظم الانتخابية / ص ١٢.

الأيديولوجيات الشمولية ومهما كانت هذه الأيديولوجيات، فعصرها قد ولى وإلى الأبد (٧٣٠)

(

مع أن اسمه (عبد الخالق) !

هنا، ينشأ التعارض الكامل بين الديمقراطية والشرع الإسلامي، فدين الله تعالى قد جاء بشريعة ونظام حياة للبشر من عند اله تعالى خالق البشر، وهو الذي يعلم قصورهم، ويعلم حاجاتهم ومتطلباتهم، ويعلم - عز وجل - ما يصلحهم في الدين والدنيا، ولا يحق لبشر أن يقول أمام شرع الله: هذا رأيي الخاص المخالف، لأنه بذلك يكون قد خرج من ربة الإسلام.

وفي المخدوعين بفشل النظام الإسلامي في العالم السياسي والاجتماعي، أو القاتلين بعدم جدوى منهجه، يصرخ سيد قطب هادراً: ((الإسلام نظام اجتماعي لا تعويذة)) (٧٣١)، حيث يقول:

والإسلام.. هو نظام اجتماعي ذو خصائص معينة، يقوم على أسس معينة، ويصوغ الحياة والمجتمع والقانون والعلاقات الدولية، ومعه تلك الخصائص وهذه الأسس، وعندئذٍ فقط يكون له مفعول (٧٣٢)

فهذا هو الإسلام الرسالي، وليس الإسلام الذي يؤخذ بصورته المتبورة ليحكم على الدين من خلاله.

٧٣٠. الموقع الإلكتروني: ناصرية. نت WWW.NASIRIYEH.NET / مقالة بعنوان: قضية الأقليات والمرأة في الشرق الأوسط... المشكلة والحل!! / د. عبد الخالق حسين..، وانظر في هذا الشأن أيضاً: الديمقراطية وسيادة القانون / مؤلف جماعي: عبد الكريم الكباريتي وآخرون / تحرير: حسين أبو رمان، دار السندباد للنشر - الأردن و مركز الأردن الجديد للدراسات / الطبعة الأولى (١٩٩٧ م) / وفيه توجهات لمؤلفين عدة بهذا الاتجاه.

٧٣١. معركتنا مع اليهود / للشهيد سيد قطب / دار الشروق للنشر والتوزيع - بيروت / طبعة عام (١٩٩٥ م) / ص ٣٩ - ٤٢.

٧٣٢. معركتنا مع اليهود ص ٤٠.

وفي حكم الله في الدين والدولة، والاجتماع والسياسة، والشؤون الحياتية قال تعالى: ((صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ)) (٧٣٣)، وقال أيضاً: ((وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) (٧٣٤).

وشدد القرآن على ضرورة الامتثال لأوامر الله ونواهيه في مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد ونحوها، فقال عز وجل: ((وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ، ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) (٧٣٥) صدق الله العظيم.

الإسلاميون يرون أن الذي يحتاج إلى التكميل هو الناقص، وشرع الله كامل، قال تعالى: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)) (٧٣٦)، وبالتالي، فإن من يجنح عن درب الله وما اختاره ورضيه الله تعالى لعباده يكون قد عارض الشرع في صلب التشريع، والإسلام منه حينئذٍ براء.

إن قارن البعض بين الديمقراطية والشورى على سبيل التمثيل والتشبيه، فإنهم وقعوا في الوهم والغلط، فالفوارق بين الشورى والديمقراطية كثيرة، من أهمها أن الشورى نظام دائم متصل في كل شؤون الحياة، يقوم على إدارة الرأي من أهل الاختصاص والرأي، بخلاف الديمقراطية التي قد يتم أخذ حكم الأغلبية في شأن من شؤونها ارتجالاً، أو نتيجة حالة طارئة (٧٣٧).

لذلك، فإن كلمة التيارات الإسلامية والطوائف الدينية قد التقت على الاجتماع على كتاب الله وسنة رسوله، ورفض ما أفرزه العقل البشري في مجال العقائد والأنظمة لكونه

٧٣٣ . سورة البقرة / الآية: ١٣٨ .

٧٣٤ . سورة آل عمران / الآية: ٨٥ .

٧٣٥ . سورة الأنعام / الآية: ١٥٣ .

٧٣٦ . سورة المائدة / الآية: ٣ .

٧٣٧ . انظر: خواطر في الفقه السياسي للدولة الإسلامية / ص ٢١ .

ناتج عن قصور البشر، وعدم إحاطتهم بكوامن الأمور وسنن الله في الكون، ولا تكاد تجد تياراً سياسياً أو دينياً – ولا أقصد التفرقة العلمانية في التوصيف – يقر بالديمقراطية كمنهج حياة، أو يقبل بها أن تسود في مقابل شرع الله.

في رد صريح ومباشر على دعاة العلمانية التي تقصي الدين من العمل السياسي وتحصره في أماكن العبادة وضمير الفرد في بلادنا، في تماثل بينها وبين الديمقراطية في هذه الجزئية، يقول المفكر الإسلامي سيد قطب:

نكرر للمرة الألف: أن الإسلام لا يعرف تلك الأسطورة التي تجعل الدين شيئاً والسياسة شيئاً آخر، هذه الأسطورة التي وردت لنا فيما استوردناه من أوروبا، حيث لا يدينون بالمسيحية – ولو نظرياً – والمسيحية لا تحتوي شريعة ولا نظاماً اجتماعياً ولا نظاماً دولياً، ومن ثم، فهي مجرد عقيدة في الضمير، أما المجتمع بعلاقاته القانونية وعلاقاته الاجتماعية وعلاقاته الدولية فتتظمها قوانين أخرى لا علاقة لها بالعقيدة المسيحية، وعندئذٍ يقال: إن الدين شيء والسياسة شيء آخر، وعندئذٍ تكون هناك مؤتمرات دينية ومؤتمرات سياسية (٧٣٨)

وإذا كان هذا هو التصور الإسلامي للعلمانية التي تفصل بين الدين والدنيا، فالديمقراطية التي هي تغيير لطبيعة الحكم الذي يريده الله مرفوضة من باب أولى.

ويرى الإسلاميون أن من يسعى إلى الناقص بوجود الكامل فهو على درجة من الجهل لا يفارقها، فهو يعمل لبيان أمر مبين، وإيضاح شيء واضح، وأولئك يصدق فيهم قول الله تعالى: ((قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)) (٧٣٩).

لكن، ينبغي التنبيه إلى مسألة مهمة وحساسة في هذا الجانب، وهي مسألة الواقع السياسي العام، والخطاب السياسي في زمن بلورة الأفكار، حيث تجد بين فترة وأخرى، بعض التيارات الإسلامية تستخدم من خلال خطاباتها أو نشراتها كلمة (الديمقراطية)، وعلى وجه

٧٣٨. معركتنا مع اليهود ص ٤٤.

٧٣٩. سورة الكهف/ الآيتين: ١٠٣-١٠٤.

الخصوص، في الخطاب العلني الموجه من خلال وسائل الإعلام، أو الخطابات الخاصة إلى المجتمع الدولي أو منظماته الموجودة.

قد يظن البعض أن هذا الأمر قبول بالديمقراطية، أو رضى بما فيها، ولكن متابعات الباحث الخاصة للفصائل والتيارات السياسية الإسلامية الموجودة في العالم أوصلته إلى تقرير حقيقة واضحة، وهي أن هذه التيارات تستخدم ما يفهمه العالم الغربي، وتخطب العالم على قدر عقله وفهمه، ومن خلال مصطلحاته، دون أن يكون لذلك بعد عقائدي عند هذه التيارات.

والصيغة المستخدمة الثانية من التيارات الإسلامية، هي الصيغة المندرجة تحت المثل العربي: " من فمك أدينك " (٧٤٠)، أي تخاطب المجتمعات الديمقراطية في بيان رفضها للممارسات المستخدمة من قبل الدول الاستعمارية الكبرى، والدولة الصهيونية مثلاً، والتي تجاهر بالقول إنها دول ديمقراطية، لتحدث الحركات الإسلامية مع شعوب العالم الغربي كاشفة لهم عن حقيقة الفهم الديمقراطي وطبيعة الممارسة، وما بين هذه وتلك من فوارق بينة، وبون شاسع ظاهر.

بحسب رأي الباحث، فإن هذا اللون من الخطاب - مع ثبات المعتقد - يعتبر نقطة خطاب مؤثر في الشعوب الغربية والعالمية، ونقطة حساسة في استمالة الشعوب والتكتلات لصالح قضية ما، وبالذات، إذا أخذ بعين الاعتبار أن الشعوب التي تربت على الديمقراطية منذ فترة من الزمن، تقبل المقارنات من خلال فهمها الخاص على مجريات الأمور، وتتحرك بناء على قناعاتها، والبراعة تكمن في كيفية الوصول إلى نقطة عقد هذه المقارنات في العقل الغربي.

أمر مهم آخر، وهو أن الشعوب الغربية بحاجة إلى فهم الإسلام بصورته النقية، ولا يهم المسلم كيف يتحقق ذلك، المهم أن يعرفوا طهارة الإسلام ونقاؤه، وذلك لا يتم من خلال الحديث معهم عن العقيدة الإسلامية بشكل مباشر، أو الفكر الإسلامي الصرف، أو حتى من

^{٧٤٠}. مثل عربي قديم، يطلق ويراد به أن الخصم يلزم خصمه الحجة من خلال أقواله، وهي قوة في المحاجة.

خلال مصطلحات دينية جافة بشكل مباشر، أو حتى من خلال مصطلحات الأمة الشرعية كالشورى مثلاً، لأن العالم الغربي لا يفهم معنى ذلك، ولن تصل الرسالة إليهم إلا بما يفهمون.

بمقارنة واقع الأنظمة وسياسات الحكم، فإن الحقيقة المشاهدة في العالم الغربي، وبعض دول العالم العربي - وهي قليلة - أن الدول التي قبلت على نفسها الحكم الديمقراطي، والتزمت بالحريات العامة والخاصة، كانت أرصدة التيارات الإسلامية فيها تحقق أعلى نسب النمو في العالم، وترتفع شعبيتها بشكل ملفت للنظر.

ليس ذلك بسبب الديمقراطية بحد ذاتها، وإنما بما توفره هذه السياسات الحاكمة بمنطلقاتها الديمقراطية من إتاحة لوجود الحريات، الأمر الذي يعني إتاحة الفرصة أمام الداعية ليتحرك في المجتمع تحت غطاء (من سيوف المطعم بن عدي) (٧٤١) بصورة لا يمكنه التحرك بها في المجتمعات الدكتاتورية.

يقول الخبير في الشأن التركي الدكتور كمال الخطيب: ((ولذلك نجد أن الإسلام والصحة الإسلامية يتعاضمان في ظل الحكومات التي لا تقمع، ولا تأخذ موقفاً أيديولوجياً من الإسلام)) (٧٤٢) وهذا واضح في حالات اختيار الشعب للإسلاميين ليمثلوه انطلاقاً من كون الديمقراطية تعني: قبول بالحاكم من غالبية الشعب (٧٤٣).

وحتى لا يفهم الباحث هنا خطأً، فإنه لا يميل إلى اعتبار الديمقراطية في مقابل الشرع، وإنما يجري مقابلة ومقارنة موضوعية بين حال التيارات الإسلامية في الدول الديمقراطية

^{٧٤١}. فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعد عودته من الطائف في جوار المطعم بن عدي، وكان مشركاً، وكان يتجول تحت حراسة عشرة من أبناء المطعم كلهم مشرك، في حالة تشبه تحرك المسلم الحق اليوم في ظل القوانين الوضعية التي يمكن له أن يستفيد منها دون أن يعتقدها.

^{٧٤٢}. مجلة البيان - مجلة إسلامية شهرية جامعة تصدر عن المنتدى الإسلامي - السنة الثانية والعشرون / العدد ٣٣٨ (جمادى الثانية ١٤٢٨ هـ) يونيو ٢٠٠٧ م، ص ٥٨..

^{٧٤٣}. انظر: تراتبية القيم / ص ٥٧، وهو ما حصل في كثير من بقاع العالم، كالجزاير وأندونيسيا وفلسطين وتركيا وغيرها.

– ولو كانت ديمقراطيتها شكلية – وبين حالهم في الدول التي تُحكّم الشعوب فيها بالنار والحديد، فالفارق حقيقة كبير وواضح.

يكفي أن يشير الباحث هنا إلى أن هناك اختلافاً قائماً بين منظري الديمقراطية أنفسهم حول مدلولات الديمقراطية وحقيقة وجودها (٧٤٤)، ودورها على الحياة السياسية، وارتباطها بالعمولة الجديدة، وخضوعها لمقاييس العالم الغربي الذي يفرض أجندته من خلال العمولة الثقافية والاقتصادية على الشعوب والأنظمة على حد سواء (٧٤٥)، وهذا مجرد ذاته دليل على عدم وضوح معناها الكلي؛ برغم طول فترة تداولها، فكيف بتطبيقها؟!

فالدعوة إلى الديمقراطية وضرورة أن تسود كثقافة عامة – كما يراها البعض – ما هي إلا ذرٌّ للرماد في العيون، فالعالم اليوم يحكمه العسكر، وتفرض المصالح الذاتية شروطه وظروفه وأوضاعه واقتصاده، وهذا ما أكد عليه أهل الخبرة في الشأن الدولي (٧٤٦).

يقول الدكتور سليمان صالح: ((إن النظم السياسية في عالمنا المعاصر قد فشلت حتى الآن – بالرغم من كل الادعاءات حول الديمقراطية – في كفالة حق الإنسان في المشاركة في إدارة المجتمع، وفي تحقيق الشرعية، حتى في الولايات المتحدة الأمريكية التي تملأ الدنيا حديثاً عن الديمقراطية وحقوق الإنسان)) (٧٤٧).

^{٧٤٤} . انظر في ذلك: مجلة (foreign policy) النسخة العربية / عدد شهر ١١/١٢ / ٢٠٠٤ م / مقالة بعنوان: ديمقراطية الشرق الأوسط / بقلم مارينا أوتاواي وتوماس كاروتز / ص ١٥.

^{٧٤٥} . انظر في ذلك: الحركات الاجتماعية في العالم العربي / مجموعة من الباحثين / مركز البحوث العربية والأفريقية للطباعة والنشر – القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٦) م / ص ١٨ – ٢٣.

^{٧٤٦} . انظر في ذلك مثلاً: في سبيل الحرية / فرديند بيروتكا / ترجمة: نصر بن وهاب / دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت / الطبعة الأولى (١٩٥٩ م) / ص ٣٨.

^{٧٤٧} .. انتفاضة الأقصى – نموذج حضاري إسلامي للمقاومة / د. سليمان صالح / ضمن سلسلة: كتاب القدس، الكتاب رقم (١٦) / مركز الإعلام العربي للنشر / الطبعة الأولى (٢٠٠٣ م) / ص ١٣٢ – ١٣٣.

العمل في المجتمع المدني لا يختلف عن هذا التصور من حيث الشكل، حيث إن الحركات والتيارات الإسلامية تعمل لتحقيق غاياتها الشرعية، ومنطلقاتها الفكرية والتنظيمية في البيئة المحيطة بها، وهي تستثمر البيئة في كل وجوهها دون أن تذوب فيها، ودون أن تتخلى عن ثوابتها.

من هنا، فإنك تجد الحركات الإسلامية - ممن تؤمن بالعمل الجماهيري والمؤسسي - (٧٤٨) تعمل في إطار المجتمع المدني، الذي هو وليد النظام الديمقراطي، ولكنها برغم فاعليتها الشديدة في هذه المجتمعات، تتحرك بناءً على أدبياتها ومنطلقاتها المعتمدة، وليس وفق النص القانوني والحرفي للعمل الديمقراطي.

قاد هذا الواقع العديد من الغربيين إلى إبداء مواقف إيجابية تجاه الحركات الإسلامية عموماً من حيث كونها - وفق فهمهم الخاص - جزءاً من المنظومة الديمقراطية، ومن بينهم مارينا أوتاواي، وتوماس كاروثرز، حيث ردّوا على ادعاء البعض بأن المفهوم الإسلامي يشكل عقبة أمام الديمقراطية، بكونه باطل محض، بل إن أي تحول ديمقراطي في الشرق الأوسط سيكون على يد التنظيمات الإسلامية (٧٤٩).

هذه إشارة إلى نضوج الحركات الإسلامية في خطاب الرأي العام العالمي، وبخاصة؛ ذلك الكم البشري الغربي الذي يتبنى الديمقراطية ويعتقدها.

^{٧٤٨} . حيث إن بعض التيارات الإسلامية لا تؤمن بالعمل المؤسسي من حيث المبدأ، كجماعة الدعوة والتبليغ، وحزب التحرير.

^{٧٤٩} . انظر في ذلك: مقالة الافتتاحية في مجلة (**foreign policy**) النسخة العربية / عدد شهر ١١/٢٠١١ / م ٢٠٠٤ / مقالة بعنوان: آمنة للديمقراطية / ص ١، و ص ١٤.

المطلب الثاني

العدالة الاجتماعية في المفهوم الإسلامي

ينادي كثير من المثقفين المعاصرين بضرورة الانفتاح على الحضارة الغربية بمفاهيمها وطرائق تعاملها مع الوقائع والأشياء.

الباحث من هؤلاء الذين يؤيدون هذا التوجه، ولكن؛ يجب أن لا يكون هذا الانفتاح من مهبور بالثقافة الغربية (٧٥٠) أو من متعطش لكل ما هو غربي، بل من باب اغتنام الخير الموجود عند الآخرين، ونقل الخبرات والتجارب التي لا تصطدم مع النظام الإسلامي في أي وجه من وجوهه، فالمسلم يقتبس الحكمة من أي شخص أو اتجاه، حتى ولو كان غير مسلم (٧٥١) والعدالة الاجتماعية واحدة من هذه المفاهيم السائدة والمنتشرة في المجتمع الغربي (٧٥٢).

فالعدل من المفاهيم الأساسية في شرع الله القويم، فهو الصراط السوي (٧٥٣) الذي أمرنا الله كمسلمين باتباعه، وتحقيق العدل من متطلبات الفرد والمجتمع والدولة على السواء، حتى إن العدل هو شرط لازم باتباع الإسلام؛ لأن الأصل في المسلم أن يتحلى بالعدل سلوكاً وممارسة (٧٥٤).

٧٥٠. ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق / د. يوسف القرضاوي / دار الشروق - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٠ م) / ص ٧٦ - ٨١.

٧٥١. ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق / ص ٣٩ - ٤٨.

٧٥٢. انظر: تراتبية القيم - أثر الثقافة على السياسة الخارجية للولايات المتحدة / سناء حمد العوض قراني / هيئة الأعمال الفكرية - شركة مطابع السودان للعملة المحدودة - الخرطوم / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٥٥ - ٥٦.

٧٥٣. انظر في ذلك: تفسير البيضاوي / عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي (ت ٧٩١ هـ) / دار الفكر - بيروت / طبعة عام (١٩٩٦ م) / تحقيق: مكتب البحوث والدراسات / ج ٥ / ص ٤٢.

٧٥٤. انظر في ذلك: سبل السلام / محمد بن اسماعيل الصنعاني - الأمير - (ت ٨٥٢ هـ) / دار إحياء التراث العربي - بيروت / الطبعة الرابعة (١٣٧٩ هـ) / تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي / ج ٢ / ص ١٥٣.

فالعدل ليس مرتبطاً بظروف المصلحة - كما هو الحال عند الغرب -، ولا بالواقع السياسي، بل هو فكرة أساسية في دين الله تعالى، ومتطلب إجباري على الساسة والدولة وصناع القرار فيها، ليكونوا قوامين بالقسط، متحرين للعدل (٧٥٥).

قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)) (٧٥٦) والشنآن هو البغض للقوم (٧٥٧).

يبين البيضاوي - رحمه الله - حكمة العمل بالعدالة بكلام جميل حيث يقول عن أصل نزول الملائكة بالوحي إلى الرسل: ((وأنزلنا معهم الكتاب لبيِّن الحق، ويميز صواب العمل والميزان لتسوى به الحقوق ويقام به العدل، كما قال الله تعالى: " ليقوم الناس بالقسط ")) (٧٥٨).

ومن كثرة الآيات والنصوص القرآنية الدالة على وجوب تحقيق العدالة وتأصيلها في المجتمع، فقد كانت العدالة الموجودة في النفس واحدة من الشروط المعتمدة في أوجه كثيرة من العمل الإسلامي، فهي شرط لازم في رواية الحديث (٧٥٩)، وهي شرط لازم في الوصي (٧٦٠).

٧٥٥. انظر في ذلك: تفسير البيضاوي / ج ٢ / ص ٢٦٥، و ص ٤٦٦.

٧٥٦. سورة المائدة / الآية: ٨.

٧٥٧. انظر في ذلك: تفسير الجلالين / محمد بن أحمد وعبد الرحمن بن أبي بكر الخليلي والسيوطي / دار الحديث -

القاهرة / الطبعة الأولى / ج ١ / ص ١٣٥.

٧٥٨. تفسير البيضاوي / ج ٥ / ص ٣٠٤.

٧٥٩. انظر في ذلك: التلقين / لأبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي المالكي (ت ٣٦٢ هـ) / تحقيق:

محمد ثالث سعيد الغاني / المكتبة التجارية - مكة المكرمة / الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ) / ج ٢ / ص ٥٣٤.

٧٦٠. انظر في ذلك: كفاية الأخيار / لأبي بكر بن محمد الحسيني الحصري / دار الخير للطباعة والنشر - بيروت،

دمشق / الطبعة الأولى (١٩٩٤ م) / تحقيق: علي عبد الحميد بلطه جي و محمد وهي سليمان / ج ١ / ص

٣٤٤.

(، وهي شرط في أمور الدين الأخرى كالشهادة على عقود النكاح (٧٦١) وإجراءات التوثيق ونحوها.

ومن العدل في الإسلام، أن يكون الناس أمام القانون والمكاسب والثروات والحقوق المدنية والعامية سواسية (٧٦٢)، دون أن يكون بينهم تفریق بسبب اللون أو العرق أو الجنس، ودون تفریق بين عليية القوم وأغنيائهم وبين الطبقة الفقيرة والمعدمة الموجودة في المجتمع، وهذا هو لب العدالة الاجتماعية التي تذكّر الغرب أن ينادي بها في أواسط القرن العشرين.

قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) (٧٦٣).

يقول الدكتور عبد الكريم زيدان في معرض بيانه لدلالات هذه الآية العظيمة:
... فأصل البشر واحد، وما جعلهم الله شعوباً وقبائل إلا ليتعارفوا وما يؤدي إليه التعارف من تعاون، لا أن يتفاخروا بأنسابهم وما يؤدي إليه هذا التفاخر منبغي، وطلب للامتياز على أساس الجنس والأصل والقبيلة، وبذلك؛ اجتث الإسلام جذور العصبية الجاهلية والتفاخر بالأنساب والألوان، وصار ميزان التفاضل بين البشر قائماً على أساس ما يكسبونه من جميل الصفات، وما يقدمونه من صالح الأعمال، وما في نفوسهم من معاني التقوى.. (٧٦٤).

حارب الإسلام الطبقة المعروفة في العالم الغربي اليوم - بل وفي كثير من بلدان العالم العربي والإسلامي -، تلك الطبقة التي تقوم على نظام (من يملك في مواجهة من لا يملك) أو ما يعبر عنه في العلم المعاصر باسم: الصراع الطبقي.

^{٧٦١}. انظر في ذلك: كفاية الأخيار / ج ١ / ص ٤٤٨.. وكذلك: دليل الطالب / مرعي بن يوسف الحنبلي / دار المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - بيروت / الطبعة الثانية (١٣٨٩ هـ) / ج ١ / ص ٣٣٨.

^{٧٦٢}. انظر: في الاقتصاد الإسلامي / ص ٥٧ - ٦٢.

^{٧٦٣}. سورة الحجرات / الآية: ١٣.

^{٧٦٤}. الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية / د. عبد الكريم زيدان / الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية / دار القرآن الكريم للعناية بطبعه ونشر علومه - بيروت، دمشق / الطبعة الأولى (١٩٧٨ م) / ص ٦٠ - ٦١.

وقد كانت محاربة الإسلام لهذه الظاهرة من باب تحقيق العدالة الاجتماعية المترتبة في مسألة المال وتوزيع الثروة، ومنع احتكار المال في يد شخص، أو مجموعة متنفذة، لما في ذلك من كساد اقتصادي يجيق بالمجتمع (٧٦٥)، وآفات كثيرة متعددة أهمها الصراع الطبقي بين الفئات المسحوقة من شدة الفقر، والفئات المترفة من المادة بكل صورها حدّ الإشباع.

بيّن الله تعالى هذه الظاهرة القديمة الجديدة، وبين كيفية الخلاص فيها من خلال بضع آيات في سورة القصص، حيث يقول الله تعالى: ((إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناهم من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين * وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين * قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون * فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون * فحسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين * وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لحسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون * تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين)) (٧٦٦).

حال قارون " كغني كثير المال " يشبه حال الأثرياء في العالم اليوم، وهو لم يؤد ما عليه من حق تجاه الجماعة والمجتمع، حيث تعالى بالمال على قومه وتفاخر به، ولم يوظف هذا المال في تنمية مجتمعه بالمفهوم والمعنى، بل كدّس المال، ومنع حقوق العباد، حتى احتكر الأموال،

٧٦٥. انظر في ذلك: في الاقتصاد الإسلامي - المرتكزات - التوزيع - الاستثمار - النظام المالي / ص ٤٩ - ٧٢.

٧٦٦. سورة القصص / الآيات: ٧٦ - ٨٣.

وصار وجودها معه مصدر فتنة للناس من ضعاف الإيمان، ممن يتعلقون بالدنيا وزخارفها (٧٦٧) .

التربية القرآنية للناس تأتي من تعليم الله تعالى للخلق دروساً من خلال القصص القرآني، فقصة قارون القديمة تتجدد من خلال ألف قارون في العالم المعاصر، واحتكار المال ومنع توظيفه اللائق مصدر فساد في المجتمع، وهو ما يورث الناس الميل إلى الحقد على الأغنياء الفاسدين من محبي تكديس المال، وفي ذات الوقت يصاب الغني بالغرور لما بين يديه، لا سيما الغني غير المرتبط بالوازع الديني، فقد قال الله تعالى: ((كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى * أَنْ رَأَهُ اسْتَعْنَى)) (٧٦٨) .

فالأصل بصاحب المال أن يحسن فيما بين يديه، ويقبله في وجوه النفع، ولهذا حرم الله الربا، وأباح البيع، وحث على العمل والاكتساب، وحرم الاحتكار والرشوة (٧٦٩)، وهذه من أساليب العمل العام المتعلق بالطبيعة المجتمعية، وهو ما ينمي المجتمع من خلال النمو الاقتصادي، ويعالج في الآن ذاته الآثار الاجتماعية التي تتعلق باحتكار الثروة وسوء التصرف بالمال.

لا يتعلق الأمر بعين المال، بل بأساليب اكتسابه، ومصادر الحصول عليه، وما يعرف اليوم بخدمات " عوامل الإنتاج "، فقد وضع الإسلام نظاماً واضحاً في هذا الشأن، يكفي أن أشير إلى دلالاته في قول الفاروق عمر رضي الله.

فقد اختصم عند الفاروق عمر رجلان، فقال المشتكي، إن هذا الرجل يمنع الماء عني فلا يصل أرضي، فحدثه عمر في الأمر، فأصرّ أن يمنع الماء عن الرجل بحجة أن المنبع في أرضه، فقال عمر: ((حتى ولو كان ذلك، لأجرين الماء ولو على بطنك))، في دلالة واضحة

^{٧٦٧} . انظر في تفسير هذه القصة ودلالاتها: تفسير البيضاوي / ج ٤ / ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ... وكذلك: تفسير الجلالين / ج ١ / ص ٥١٨ .

^{٧٦٨} . سورة العلق / الآيتين: ٦ - ٧ .

^{٧٦٩} . انظر في ذلك: في الاقتصاد الإسلامي - المرتكزات - التوزيع - الاستثمار - النظام المالي / ص ٩٣ - ٩٦ .

على منع احتكار المال أو وسائل الإنتاج، أو ما يخدم مجالات العمل والتنمية مهما اختلف اسمها (٧٧٠).

وقد ظهر هذا العدل في التطبيق عند قيام الدولة الإسلامية، في المدينة المنورة، ومن بعدها الخلافة الراشدة، حيث أتيح لكل صاحب كفاءة أن يتقدم إلى ما يراه من حقه من الوظائف العامة والخاصة، وجرت معاملات الاختيار بناءً على الكفاءة الذاتية، وهو الأمر الذي جعل النبي يبعد أبا ذر عن الرياسة ويقدم لها آخرين (٧٧١)، مع استواء أبي ذر مع غيره بكونه من الصحابة والرعييل الأول.

هذا في مقابل صورة غربية معاصرة للمجتمعات الغربية بلا استثناء، تنادي أمام الناس والرأي العام بضرورة تطبيق مفاهيم العدالة الاجتماعية، وهي أول من يمارس العنصرية بين الأبيض والأسود، وتحرم الجاليات المستضعفة والهامشية من الأدوار الهامة، وتحارب مراكز النفوذ المضاد بلا بينة ولا برهان، ولا تسمح بتولي مناصب الدولة العليا إلا لمن تبع دينهم.. وهكذا، يتضح المعنى الحقيقي لهذا المفهوم بين النظرية والتطبيق.

^{٧٧٠}. انظر في ذلك: في الاقتصاد الإسلامي - المرتكزات - التوزيع - الاستثمار - النظام المالي / ص ٩٢.

^{٧٧١}. وعلل النبي عليه السلام ذلك بكون أبي ذر من الضعاف في العمل القيادي، فقد أخبره النبي بذلك صراحة، حيث قال له: يا أبا ذر، إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، وأنت امرؤ ضعيف... حيث دل ذلك على تقديم النبي كرئيس للدولة للأكفاء العدول القادرين على تحمل تكاليف وأعباء العمل لمواقعهم، وتأخير من لا يصلح، دون محاباة أو موارد.

المطلب الثالث

الإسلام والتنمية

يسعى المجتمع المدني من خلال أدواره وبرامجه في المجتمعات المختلفة إلى إيجاد حالة من التنمية في المجالات السياسية والاقتصادية والمعرفية وحقوق الإنسان في مجالها المختلفة.

و حين يتطرق الموضوع للتنمية فالتنمية أشمل من النمو في مفهومها، لأن المقصود بالنمو كمصطلح: هو زيادة متوسط دخل الفرد، بينما تتناول التنمية وجوهاً أعم وأشمل (٧٧٢) .

وبنظرة على التشريعات الإسلامية ودورها في صياغة المجتمع بجوانبه المتنوعة، فإن الإسلام قد كفل بكل التشريعات التي جاء بها تحقيق أعلى مستويات التنمية، بدءاً بالفرد، مروراً بالأسرة، وصولاً إلى المجتمع، وانتهاءً بالدولة ككيان سياسي جامع.

فقد جاءت نصوص الشريعة واضحة فيما يتعلق بأصل التنمية، ومشكاة نورها، وهو الإنسان، وركزت آيات قرآنية وأحاديث من السنة النبوية على مسألة المال الفردي والمال العام، وطبيعة التعامل معه فيما يتعلق بالإنسان والدولة، وذلك حتى يعم النفع، وتحقق المصلحة العامة المقصودة بعمارة الأرض وتوظيف خيراتها المتعددة لخدمة بني الإنسان.

فقد حثت الشريعة الإسلامية الإنسان لكي يبادر إلى العمل، ويكتسب من خلال قدراته وطاقاته وتوجهاته وميوله الخاصة، وجعلت العامل المكتسب خيراً من الذي يتكفف الناس ويسألهم حاجته، فقد جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال: ((أن الرسول

^{٧٧٢}. انظر في ذلك: في الاقتصاد الإسلامي - المرتكزات - التوزيع - الاستثمار - النظام المالي / ص ٤٩ - ٧٢.

صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة: اليد العليا خير من اليد السفلى، العليا: المنفقة، والسفلى: السائلة ((^{٧٧٣})).

ودعت التشريعات الإلهية الإنسان كذلك إلى العلم الذي هو رأس التنمية في مجالها المختلفة (^{٧٧٤})، ليكون الإنسان عنصراً متعلماً منتجاً في مجتمعه، قال تعالى: ((قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب)) (^{٧٧٥})، بعد أن كان أول أمر إلهي في الشريعة الإسلامية هو قوله تعالى: ((اقرأ باسم ربك الذي خلق)) (^{٧٧٦}).

وألزم الإسلام الدولة بأن توفر سبل الرقي العلمي والمعرفي، حتى تحتضن علماءها من خلال جهد مدروس فاعل، وخشية أن يصيبهم ما أصاب العالم العربي في هذه الأيام من هجرة العقول إلى الغرب بحثاً عن التقدير والكسب (^{٧٧٧})، والذي يلحق بالمجتمع عموماً كساداً يحيق بكل جوانبه.

وقد عاب الإسلام على المجتمع المسلم كونه يضم أغنياء متعددين ويضم فقراء ومساكين وذوي حاجة، ولا يقوم هؤلاء الأغنياء بأداء الحق الذي عليهم تجاه إخوانهم الفقراء والمحتاجين، فقال تعالى في ذمهم: ((ولا يحض على طعام المسكين)) (^{٧٧٨}) والحض المقصود هنا للنفس وللغير (^{٧٧٩}) حتى يعمّ النفع ويندفع الفقر، ويتحقق النماء.

^{٧٧٣}. صحيح مسلم / كتاب الزكاة / باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن العليا هي المنفقة، والسفلى هي الآخذة / حديث رقم: [١٠٣٣] / ج ٢ / ص ٧١٧.

^{٧٧٤}. انظر في ذلك: تنمية الموارد البشرية العربية / د. إبراهيم قويدر / ضمن سلسلة (اقرأ) رقم [٦٧٢] / دار المعارف للنشر والتوزيع - القاهرة / دون ذكر الطبعة / ص ١٢٩ - ١٤٢.

^{٧٧٥}. سورة الزمر / الآية: ٩.

^{٧٧٦}. سورة العلق / الآية: ١.

^{٧٧٧}. ففي مصر وحدها، هاجر حتى نهاية القرن العشرين أكثر من ٤٥٠.٠٠٠ حاصل على الشهادات العليا إلى الغرب، والعدد عن العالم العربي والإسلامي كبير يثير الدهشة، وانظر في ذلك: إحياء الفروض الكفائية سبيل تنمية المجتمع / ص ٦٩ - ٧٠.

^{٧٧٨}. سورة الماعون / الآية: ٣.

^{٧٧٩}. انظر في ذلك: تفسير الجلالين / ج ١ / ص ٨٢٣.

- وسائل الإسلام في التنمية المتعلقة بملكية المال وتصريفه في وجوه النفع العام تقوم على ركائز أربعة، يلخصها الدكتور رفعت العوضي بقوله:
- الأدوات التي يستخدمها الإسلام وتقع على الملكية لتحقيق التنمية أربع، وأعتقد أنها تمثل أدوات استخدمها الإسلام لتحقيق التنمية في منهجه لاستخدامات المال، وتكييف علاقة صاحبه به، وهذه الأدوات هي:
١. الإلزام بالتشغيل الكامل للمال.
 ٢. الإلزام بأن يغطي الاستثمار الأنشطة الاقتصادية الضرورية للمجتمع.
 ٣. الإلزام بأن يكون أسلوب مشاركة رأس المال كأحد عوامل الإنتاج، مع العوامل الأخرى، يستهدف الإنتاج، وليس مجرد الحصول على دخل.
 ٤. الإلزام بأن يستهدف استثمار رأس المال تنمية العنصر البشري (٧٨٠).

وقد بين العلماء كيف قام الإسلام بوضع نظام عملي لمحاربة الفقر، وإيجاد مشاريع التنمية المستدامة قبل أن يولد هذا المصطلح حديثاً. وقبل أن يتداوله الساسة والمنظرون ورواد الحركات الاجتماعية وغيرهم.

من البرامج العملية التي أوجدها الإسلام في ميدان التنمية المستدامة، والتي سبق بها كل النظريات والحلول الغربية، أنه أوجد نظام العمل لكل إنسان بحسب تخصصه وبكفاءته التي يتمتع بها، وحث على العمل والاكتساب، ونهى عن التطلع والكسل والخمول، وشجع على وجوه استثمار الأرض والمتاع وموجودات الحياة الخاصة بالفرد لتطوير واقعه الاقتصادي، و((كل ميسر لما خلق له)) (٧٨١).

٧٨٠. انظر في ذلك: في الاقتصاد الإسلامي - المرتكزات - التوزيع - الاستثمار - النظام المالي / ص ٩٧.

٧٨١. رواه البخاري في صحيحه / باب قوله تعالى: ((وكذب بالحسنى)) / حديث رقم [٤٦٦٦] / ج ٤ / ص

يقول بعض أهل العلم: ((فإن كان من عاداته الاحتراف أعطي ما يشترى به حرفته، أو آلات حرفته، قلّت قيمة ذلك أم كثرت، ويكون قدره بحيث يحصل له من ربحه ما يفي بكفايته غالباً تقريباً، ويختلف ذلك باختلاف الحرف والبلاد والأزمان والأشخاص)) (٧٨٢).

وأمر الإسلام ببرنامج كفالة المعسر من الأقارب، من خلال الكفالة بالمصروف من جانب، وتوفير العمل ومصدر الاكتساب من ناحية أخرى.

وكانت الزكاة بوابة كبرى وعظيمة في تنمية قدرات الإنسان (٧٨٣)، لكونها تجب للمرء بجد كفايته، وبما يكفيه السؤال ومد اليد للسؤال.

قال تعالى: ((والذين فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ)) (٧٨٤) وقال أيضاً: ((وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ)) (٧٨٥)، وكان الأغنياء يبحثون عن أهل الحاجة ليمدوهم بالزكاة التي هي حق معلوم في أموالهم للفقراء والمحتاجين، ليوجدوا لهم عملاً، وقدرة على الاكتساب، أو ليدفعوا عنهم الحاجة أمداً من الزمان، وهو ما ثبت عن سينا عمر بن الخطاب في قوله: " إذا أعطيتهم فأغنوا " (٧٨٦).

وفي ذلك يقول الدكتور يوسف القرضاوي: ((إن أقرب المذاهب في هذا الشأن إلى منطق الإسلام ونصوصه: أن يعطى الفقير ما يستأصل شأفة فقره، ويقضي على أسباب

٧٨٢ . مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام / ص ٩٣ .

٧٨٣ . انظر في ذلك للتوسع: أثر جهود الإنقاذ في ترقية المجتمع / عبد الجليل النذير الكاروري / المركز القومي للإنتاج الإعلامي - سلسلة إصدارات الوعد الحق (٢٠) / دار الفكر - بيروت / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٦٥ - ٧٥ .

٧٨٤ . سورة المعارج / الآيتين: ٢٤ - ٢٥ .

٧٨٥ . سورة الذاريات / الآية: ١٩ .

٧٨٦ . مما أحفظه من أقوال الفاروق عمر، ولم أفق على مرجع له.

عوزة وفاقته، ويكفيه بصفة دائمة، ولا يوجهه إلى الزكاة مرة أخرى ((^{٧٨٧}) وهذا هو لب مفهوم التنمية المستدامة التي يحاول المجتمع الغربي الوصول إليها.

هذا هو ما يفهم من حديث الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم حين قال: ((لا تحل المسألة إلا لأحد ثلاثة، رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة..)) (^{٧٨٨}).

الدولة ليست مستثناة من هذا الجانب إطلاقاً، فما كان في المجتمع من عوز ونقص، وحاجة مادية وبشرية للدعم والتأهيل الاقتصادي، فإن خزينة الدولة الإسلامية، أو بيت المال يتدخل في توفير فرصة عمل مناسبة للمحتاج؛ تحفظ ماء وجهه، وتعينه على تأمين المستلزمات له ولعِياله ليكتسب ويعمل (^{٧٨٩}).

الدليل على ذلك، ما حصل مع النبي عليه الصلاة والسلام، حيث طالبه أحد المحتاجين بالمال، هذا المال الذي هو حق له، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم.

حيث جاء في صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال: ((كنت أمشي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذب برده جبهة شديدة، قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جذبته، قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء)) (^{٧٩٠}).

^{٧٨٧}.. مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام / ص ٩٢.

^{٧٨٨}.. رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة / باب من تحل له المسألة / حديث رقم [١٠٤٤] / ج ٢ / ص ٧٢٢.

^{٧٨٩}.. انظر في ذلك: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام / ص ٣٥ - ١٥٠، وفيه مباحث ونكات طيبة ومفيدة في مجال وسائل الإسلام في مكافحة الفقر وانتصاره عليه.

^{٧٩٠}.. صحيح البخاري / باب من تحمل للوفود / حديث رقم [٥٧٣٨] / ج ٥ / ص ٢٢٦٠.

موضع الشاهد في الحديث، أن الأعرابي سأل الرسول من مال الدولة العام، لأنه حق له، وإجازة الرسول له برغم سوء تصرفه مع النبي دليل على أن المال العام من حق الفقراء والمحتاجين، وسبيل لتحقيق الازدهار على صعيد الفرد والمجتمع (٧٩١).

بذلك، يتضح أن مصطلحات المجتمع المدني المعاصرة، ومتطلباته وجهوده الداعية إلى إيجاد التنمية ما هي إلا صورة من صور الحل الإسلامي لمشكلات الإنسان، سبقهم بها الإسلام بقرون كثيرة، ووضع لها الحلول الجذرية من أجل أن يتم حصر مظاهر العوز والحاجة في المجتمع، وتتحقق الرفاهية لأفراده من خلال العمل والكسب، وإتاحة المال العام لتوفير الفرص المناسبة لعمل من لا يعمل، في إطار توظيف المال العام لتحقيق أعلى سقف من الإنجاز (٧٩٢).

لبيان كون هذا المعنى من صلب الفهم الإسلامي، فإن الباحث يذكر هنا ما كتبه الأستاذ الدكتور عبد الحميد أبو سليمان حيث يقول: ((فالخلافة في مفهوم العقل المسلم هي نعمة وتكريم، والعقل المسلم مدعو من منطلق الخلافة إلى تسخير الكون والكائنات لما فيه نفعه ونفع الكائنات من حوله)) (٧٩٣).

والتنمية للكون من حيث هي جزء من استخلاف الله تعالى للإنسان على الأرض مسؤولية جماعية كما يراها الدكتور عبد الباقي عبد الكبير، حيث يقول: ((إن القيام بأعباء الاستخلاف الإنساني، وإقامة العمران البشري، وبناء الحضارة، والاضطلاع بالتنمية المستدامة، واستفراغ الجهد للخروج من عهدة التكليف والمسؤولية في أكثر من مجال، يتطلب النفرة من الأمة جميعاً)) (٧٩٤).

٧٩١. انظر في ذلك للتوسع: في الاقتصاد الإسلامي " المرتكزات - التوزيع - الاستثمار - النظام المالي " / ص ٤٧ - ٦٢.

٧٩٢. انظر في ذلك: الدولة في الإسلام / د. عبد الحي يوسف / المكتب الإسلامي لإحياء التراث - ودار العواصم للنشر والتوزيع - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٨٢.

٧٩٣. قضية المنهجية في الفكر الإسلامي / ص ٢٣.

٧٩٤. إحياء الفروض الكفائية سبيل تنمية المجتمع / د. عبد الباقي عبد الكبير / سلسلة كتاب الأمة (١٠٥) / وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٥.

المطلب الرابع

الإسلاميون وحقوق الإنسان

يعتبر شعار (حقوق الإنسان) من أكثر الشعارات رواجاً في المجتمعات الغربية في خطابات السياسة وأحاديثهم وتصريحاتهم، وهو مطلب رئيس في جملة مطالب المجتمع المدني في أي مجتمع، ولبيان التصور الإسلامي لحق الإنسان العام من حيث هو إنسان، وحقوقه التفصيلية، اختار الباحث أن يبدأ بنظرة الإسلام للإنسان.

فالإسلام ينظر للإنسان على أنه كائن بشري مكرم، بين الله تعالى كرامته هذه وأوجب على المؤمنين صيانتها، قال تعالى: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)) (٧٩٥)، وقد بعث الله الأنبياء رحمة للإنسان ورحمة بالكون، قال تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)) (٧٩٦).

ومن تكريم الإنسان في الإسلام أن يُعترف له بإنسانيته، وأن يتم الحفاظ على كيانه، وعلى ماله ونفسه وعرضه، وأن تمتنع الاعتداءات عليه من قبل الإنسان ومن قبل الدولة على حد سواء، وهذا ظاهر في كون المقاصد الشرعية كلها تدور حول أصول خمسة، هي حفظ النفس، وحفظ المال، وحفظ العرض، وحفظ نسل، وحفظ الدين، وهي أمور تتعلق بالإنسان من حيث هو إنسان، بغض النظر عن دينه أو لونه أو جنسه أو عرقه أو مستواه الاجتماعي.

٧٩٥. سورة الإسراء / الآية: ٧٠.

٧٩٦. سورة الأنبياء / الآية: ١٩٧.

بل إن الإسلام فاق كل التشريعات الوضعية في تقديره للإنسان وحماية حقوقه، والتي في مقدمتها حقه في الحياة، من خلال جملة من المطالب الشرعية، والتوجيهات الإسلامية لحفظ الجنين قبل أن يرى الخلق.

يقول الدكتور أحمد عبد الرحمن: ((ويكفي أن نعلم أن الإسلام يحيط المخلوق البشري بسياج من الرعاية التشريعية، وهو لا يزال جنيناً في بطن أمه، بل قبل ذلك، حيث يأمرنا النبي - صلى الله عليه وسلم - فيقول: " تخيروا لنطفكم "، تخيروا الأصلح لنجاة الولد جسمياً وروحياً)) (٧٩٧).

من أبلغ ما وقف عليه الباحث في هذا الشأن ما كتبه بعض علماء المسلمين في تقرير حقوق الإنسان في الشرع، حيث جاء في أحد المصنفات:

فحقوق الإنسان في الإسلام هي دين من الدين، شرعها الله تعالى، وبينها الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولم يأت إقرارها نتيجة لمطالبات ومظاهرات، وعذابات وتضحيات، هي دين - كما أسلفنا - الذي يتجاوزه أو يساعد على انتهاكه ويكون ظهيراً للمجرمين يعقب في الدنيا، ويحاسب في الآخرة... والإسلام لم يكتف بتقرير هذه الحقوق، وإغراء الناس بها، والتدليل على فائدتها وأهميتها، بل اعتبر انتهاكها، والاعتداء عليها جريمة، وجعل عقوبتها نصية غير قابلة للاجتهاد وتقدير القضاة والحكام، وما شرعية الحدود، وهي العقوبات المحددة المنصوص عليها من الله سبحانه وتعالى - والتي يعتبر تنفيذها عبادة - إذا تأملنا فيها إلاحماية لهذه الحقوق، أو هذه الكليات، فحد القصاص لحماية حق التملك، وحد الزنى لحماية حق النسل وبناء الحياة الاجتماعية، وحد القذف لحماية حق الإنسان بسلامة السمعة والعرض، وحد الشرب لحماية حق الفكر والإرادة وحماية العقل مما يغتاله من الخمر والمخدرات (٧٩٨).

^{٧٩٧}. من ينتهك حقوق الإنسان؟ الإسلام أم الأمم المتحدة / ص ٢٣.

^{٧٩٨}. النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية - دراسة مقارنة / د. محمد أحمد مفتي، و د. سامي صالح الوكيل / ضمن سلسلة كتاب الأمة، رقم (٢٥) / رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر / الطبعة الأولى / ص ١٥ - ١٦.

تفترق النظرة الإسلامية عن النظرات الشرقية والغربية لأصل الوجود الإنساني، ويبين الأستاذ الدكتور عبد الحميد أبو سليمان ذلك بقوله:

إن الوجود الإنساني في المنظور الإسلامي إنما يمثل فرضية منهجية هامة، وهي أن هذا الوجود يتميز بالتعدد المتكامل في وحدة وكيان إنساني موحد، ولقد فشلت المادية الفردية الغربية التي تعتمد على الهوى وترکز على الرغبات والحواس، والمادية الجماعية الاستبدادية الماركسية التي تركز على الحاجات المادية والاقتصادية، وكذلك؛ ديانات الشرق الأقصى التي تزدري الحياة والكيان الإنساني بحواسه ورغباته وحاجاته، فشلت هذه الأيديولوجيات المتنافرة في تحقيق السلام النفسي والاجتماعي للأفراد والمجتمعات التي تسودها وتسيطر على مقدراتها، وعانى الفرد في ظلها من الفراغ الروحي والمعاناة التي تعجز الدراسات عن مواجهتها، بينما الإنسان كما يقر الإسلام وتهدي الفطرة السليمة يتكون من مادة وروح، له حاجاته المادية والاقتصادية وكذلك غاية وإرادة تسعى إلى السمو الروحي وقصد الخير والإصلاح (٧٩٩).

من هذا التميز الإسلامي، والتمايز عن المجتمعات الغربية في ربطه بين النظرية والتطبيق، أصبح حق الإنسان جزءاً من العمل الإسلامي الذي يتبناه كل مسلم، ويحافظ عليه كل صاحب فكر إسلامي، وترعاه قبل ذلك وبعده دولة الإسلام؛ من خلال نفوذها وسلطانها.

يقول الدكتور عبد الحى يوسف في بيان واجبات الدولة الإسلامية في الجانب السياسي: ((هذه الواجبات تتعلق بالأمر التي يجب على الدولة النهوض بها في سبيل حفظ الأمن والنظام، وتحقيق مصلحة العباد في عيشة آمنة راضية، وإيصال حقوقهم إليهم، مع ما يجب عليها في قسمة الأرزاق على الرعية، وتفويض الأعمال إليهم، وما إلى ذلك، مما يعود بالنفع عليهم)) (٨٠٠).

فالمسلم مطالب باحترام الإنسان، وحقوقه التي فرضها له الله تعالى، ولا يحق للمسلم أن يسلب الإنسان هذه الحقوق عنوة وجهالة وبطشاً - ولو ملك القوة - ولو كان

٧٩٩. قضية المنهجية في الفكر الإسلامي / ص ٣٦ - ٣٧.

٨٠٠. الدولة في الإسلام / ص ٨٢.

ذلك في شأن الدين الإسلامي نفسه، فقد قال تعالى: ((لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ
الْغَيِّ)) (٨٠١).

لذلك، فإن من يعيب على الإسلام أنه لم يتعامل بقوانين حقوق الإنسان، أو من
يتهجم على دين الله من أنصاف الرجال وأرباع المتعلمين في هذا الجانب؛ إنما قد وقع في لغط
كبير، وخطأً بيّن، قادته إليه عصبية هوجاء، أو تهجم بغير بينة ولا برهان، في وقت كان الأولى
به أن يكلف نفسه عناء قراءة تشريعات الإسلام ليقف على حقائق هذا الدين التي تفوق كل
شعارات المجتمع الغربي في هذا الصدد.

يختم الباحث بيئتين من الشعر يرى أنهما يتفقان مع مضمون العرض السابق في بيان
الفارق بين الفهم الإسلامي النظري المرتبط بالواقع، وبين الفكر الغربي؛ الذي يفرق بين حالة
وحالة، وبين واقع وآخر، حيث يقول الشاعر (٨٠٢):

يقطر السيف حناناً إن حملناه ورُحماً
وهو في كف سوانا حِيَّةٌ تقطرُ سُـمًّا

٨٠١. سورة البقرة / الآية: ٢٥٦.

٨٠٢. هذان البيتان من شعر أحفظه ولم أستطع الوقوف على اسم الشاعر الذي ألفهما، فاقتضى التنويه.

المطلب الخامس

المجتمع المدني في العصور الإسلامية

يذهب البعض بعيداً عندما يعتقدون أن المجتمع المدني - كواقع - قد تأصل في العصر الحديث، وإن كان الباحث يتفق معهم في أن المصطلح وفد حديثاً إلى بلاد الإسلام والعروبة من العالم الغربي.

فالشواهد التاريخية تفيد بأن الأمة الإسلامية قد مارست العمل الأهلي والمدني منذ فجر عطاؤها، وعملت من خلاله بوسائل وأساليب كانت تعتبر محطات حقيقية في العمل الناجع والمؤثر في السياق العام، وبمؤسسية فذة، وقدرة حقيقية على استثمار مجالات العطاء المتنوعة.

لرد على من يتوهم بأن الإسلام يتعارض مع مفهوم المجتمع الغربي، وأن الإسلام يشكل عائقاً أمام العمل المدني بصورته المعاصرة، فإن الباحث يدل على ذلك بمجموعة من الشواهد بدءاً من العهد النبوي وحتى يومنا هذا، باقتضاب وإيجاز.

فمن أول أيام الدولة الإسلامية، قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بافتتاح أول مؤسسة ثقافية وفكرية واجتماعية راعية لمصالح المجتمع، وتمثل ذلك في بناء المسجد النبوي الذي كان حاضناً للعمل السياسي والاجتماعي والتربوي والفكري والاقتصادي على حد سواء.^(٨٠٣)

^{٨٠٣}. انظر في ذلك: الدرر / يوسف بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣ هـ) / تحقيق: شوقي ضيف / دار المعارف - القاهرة / الطبعة الثانية (١٤٠٣ هـ) / ج ١ / ص ٨٨.

هذا المسجد الذي يشكل في المفهوم المعاصر للمجتمع المدني زاوية من زواياه، وواحدًا من أشكاله المعاصرة، قد باشر رسول الله عمله كقائد للأمة الإسلامية من خلاله كمؤسسة فعلية تعنى بالعبادات كما تعنى بالمعاملات والشؤون السياسية الدولية والمحلية.

أصل النبي الحبيب - عليه السلام - العمل من خلال الحركات الاجتماعية من خلال المواخاة التي تمت بين المهاجرين والأنصار، والمواثيق التي تربطهم دون غيرهم من سائر أهل المدينة، ليكونوا يداً واحدة على من عاداهم، ويسعى بدمتهم أذناهم، يتعاونون فيما بينهم على المعروف ومجانبة المنكر (٨٠٤).

ثم صاغ النبي عليه السلام أساسيات التمايز عن نظام السوق من خلال الوثيقة التي نظمت التعامل في المدينة ككل (٨٠٥)، حيث كان اليهود هم المسيطرون على اقتصاد السوق؛ من خلال الربا والتعاملات التجارية المختلفة، الأمر الذي أوجد اقتصاداً ذاتياً ناشئاً أحدث خللاً في التركيبة العامة للاقتصاد الموجود في المدينة المنورة.

لم يقتصر الأمر على العهد النبوي - مع أن الشواهد فيه كثيرة - بل تعداه ليصل إلى الخلفاء الراشدين من بعده (٨٠٦)، ليتطور بتطور الأجيال وتوسع الفتوحات في العصور الإسلامية المختلفة، وذلك ناجم عن أن المجتمع الأهلي هو المجتمع الطبيعي، أي المجتمع الأول تاريخياً، وقد تطور بشكل كبير وتمايز في خلال العصور الإسلامية المتعاقبة.

وقد تمثل خاصة بالأشكال الجمعية بالإضافة إلى روابط الأسرة والعشيرة، كالجماعات الصوفية وجمعيات الوقف الإسلامي، ولجان الزكاة، ونشوء التكايا، والزوايا الصوفية، والربط التي يديرها شيوخ المدن المختلفة. للجدد والأعطيات ونحوها، وتشكيل بيت

^{٨٠٤}. انظر في ذلك: السيرة النبوية / لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت ٢١٣ هـ) /

تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد / دار الجيل - بيروت / الطبعة الأولى (١٤١١ هـ) / ج ١، ص ١٠٥.

^{٨٠٥}. انظر في ذلك: الدرر / ج ١ / ص ١٤٢.. وكذلك: السيرة النبوية لابن هشام / ج ١ / ص ١٠٥.

^{٨٠٦}. ويكفي أن يشير الباحث هنا إلى تأصيل مفهوم العمل النقابي فيعهد عمر بن الخطاب من خلال نظام الدواوين، وتجميع أشكال النشاط المجتمعي مع بعضها البعض، كدواوين الجند، والزكاة ونحوها.

مال المسلمين، وإقامة القضاء ودار العدل وديوان المظالم، ونحوها من أسس قيام المجتمع المدني المعروفة اليوم بمسمياتها الجديدة (٨٠٧).

سبق ذلك اعتماد العمل الإسلامي في العهد السابق لأنظمة الدواوين،

وقد استمر المجتمع الأهلي الإسلامي في التطور في العصور المختلفة، حتى وصل إلى هذا الزمان الذي يشارك فيه المسلمون في العمل المدني والأهلي بكل مكوناته وأشكاله.

لعل هذا الوجود الفعلي للأمة الإسلامية في واجهة النظريات الفكرية والعملية في مجال العمل الأهلي والمدني يدل على دعوة الإسلام للإنسان على إعمال العقل في سنن الله في الكون، واقتباس النفع من أول يوم بزغت فيه شمس الهدى الإلهية، وهو ما قاد الأمة من عهد النبي للعمل من خلال نظام إداري ومؤسسي رتيب أصل للعمل المدني في هذا الزمان، وفي ذلك رد واضح على بطلان دعوى القائلين بعبادة الإسلام للعمل المدني.

^{٨٠٧}. انظر: تاريخ التمدن الإسلامي / جرجي زيدان / دار الهلال للطباعة والنشر والتوزيع / الطبعة الأولى (١٩٦٠ م) / تعليق: د. حسين مؤنس / ج ١ / ص ١١٧ - ٢٦١.

المطلب السادس

المؤسسات الإسلامية والمؤسسات الحزبية الإسلامية

يخلط البعض ما بين شكلين من العمل الأهلي، وهذا الخلط نابع من التشابه في المدلول بين نوعين مختلفين من المنظمات الأهلية الموجودة على حلبة العمل المدني الفلسطيني.

فالنوع الأول: يتمثل في المؤسسات الحزبية الإسلامية.

والنوع الثاني: المؤسسات الإسلامية بإطلاق اللفظ ومدلولاته.

فلسطين - كمثال - بطبيعة سكانها هي بلد إسلامي بالنسبة المطلقة، فالشعب الفلسطيني شعب مسلم سني، ونسبة النصارى في فلسطين لا تتجاوز في العام ٢٠٠٧ م الواحد في المائة فقط، وهو ما يشير إلى شيوع المفهوم العام للإسلام؛ عند إطلاقه على شخص أو مؤسسة أو نظام ما في التشكيلات الأهلية أو الاجتماعية الفلسطينية.

فالمؤسسة الإسلامية هي تلك المؤسسة التي تسير وفق ضوابط العمل الإسلامي العام، أو لتحقيق جانب من جوانب التوجيهات السماوية المتعلقة بالأفراد والمجتمعات على صعيد الفكر أو المعتقد أو الثقافة أو الاقتصاد أو جوانب الحياة الأخرى.

والمؤسسة الحزبية الإسلامية: هي تلك المؤسسة التي تسير وفق شريعة الله لتحقيق أهداف سامية، منطلقة من دعم وتوجيه رسمي من تيار سياسي إسلامي موجود على الساحة، من تلك التيارات التي تم الحديث عنها في مبحث التيارات الإسلامية في فلسطين في صدر البحث^(٨٠٨).

^{٨٠٨}. كحركة حماس، وجماعة الإخوان المسلمين، والدعوة السلفية، والجهاد الإسلامي، ونحوها.

فقد تسمى إحدى المؤسسات نفسها (إسلامية) انطلاقاً من كون المجتمع الفلسطيني إسلامياً، وليس باعتبار كونها جزءاً من التكوين السياسي، أو مكوناً من مكونات العمل الحزبي في فلسطين.

هذا البحث يتناول المؤسسة الإسلامية في فلسطين عموماً، ولا يتناول المؤسسات الحزبية الإسلامية بالنظر إلى مرجعياتها السياسية، لكون المطلوب هو النظرة الإسلامية العامة، وليس النظرة الحزبية الضيقة.

لذلك، يجدر التنبيه إلى أن إطلاق المؤسسات الإسلامية كمصطلح مستخدم في ثانياً هذا البحث بعيد كل البعد عن التوصيف السياسي الذي قد تكون له تبعات أمنية تلحق بالمؤسسات المذكورة، ولكنه بحث علمي يتناول المؤسسة بحسب مسمائها، أو بحسب برنامج عملها ونشاطها.

دواعي عدم التصريح بالمؤسسات ذات التبعية الحزبية الإسلامية

فلسطين تختلف عن كثير من البلدان العربية والإسلامية في مناحي تتعلق بظرفها السياسي، وتركيبتها الحزبية، وطبيعتها المتعلقة بوجود الاحتلال فوق ترابها الطهور.

ينبغي للباحث المنصف أن يلحق ما وصل إليه من معرفة بالبحث العلمي من أجل أن يكون دقيقاً وموضوعياً في بحثه، ولكن الباحث سيخالف هذه القاعدة هنا لدواعٍ عديدة.

١. وجود الاحتلال على الأرض..

هذا الاحتلال البغيض يفتح عيوننا على أي نشرة أو بحث يصدر عن طلبة الدراسات والباحثين والمهتمين بالشأن الفلسطيني؛ من أجل أن يعتمد عليه في اتخاذ إجراءات عقابية يستصدر لها (قانون) " إسرائيل " العقاب المؤثر، إن لم يكن الماحق.

فلاحتلال الصهيوني قد مارس - وبمارس - على الأرض الفلسطينية عموماً، صنوفاً من الإجراءات العقابية بحق المؤسسات التي تظهر تبعيتها رسمياً أو بالشك الغالب تجاه واحدة من التيارات السياسية الإسلامية على أرض فلسطين، ولأنه لا يريد للإسلام بتياراته أن تنمو في المجتمع الفلسطيني، ولأنه يعلم بأن الإسلام هو الخطر الأكبر الذي يتهدد وجوده، فإنه لن يسمح لأي نظام مؤسسي أو حركة اجتماعية أو سياسية أن تمارس نفوذاً على الأرض الفلسطينية، بأي مسمى وتحت أي ذريعة.

من الممارسات الإجرامية بحق المؤسسات الإسلامية في فلسطين، ما قامت به سلطات الاحتلال الصهيوني من إغلاق المؤسسات الإسلامية التابعة لحماس والجهاد الإسلامي (٨٠٩)، واستصدار القرارات الصهيونية من المحاكم بكونها إطاراً إرهابياً يعاقب من يعمل فيه، حتى ولو كان موظفاً بسيطاً ليس ذا بال.

فقد اعتبر القانون الإسرائيلي الإجرامي أن الجمعية الخيرية الإسلامية مثلاً - وهي جمعية خيرية أهلية طوعية تعنى بالأيتام والفقراء - تنظيمياً إرهابياً (٨١٠)، وأدرج ذلك في التصنيفات الخاصة بالعقوبات القانونية، ليحاكم بعد ذلك (قانونياً) كل من يعمل في هذه المؤسسة أو يدعمها أو يشارك بنشاطاتها ما بين سنة وستين في السجن بحسب دوره ومركزه فيها.

هذا التصنيف الذي يصدر عالمياً للمرة الأولى، والذي احتلت فيه " إسرائيل " الصدارة في عالم القمع الأهلي والاجتماعي، يعني أن المنظمات الأهلية ستكون تحت الرقابة اليومية، بل الرقابة اللحظية، وسترصد نشاطاتها وفعاليتها، وسيقتل الناشطون فيها، والعاملون

^{٨٠٩}. كما حصل مع الجمعية الخيرية الإسلامية، وجمعية الشبان المسلمين، المقربتين من حركة حماس في الخليل، واتحاد الشباب الإسلامي المقرب من حركة الجهاد الإسلامي في الخليل أيضاً.

^{٨١٠}. وقد صدر هذا القرار ضمن سلسلة قوانين الطوارئ التي تحكم فلسطين منذ عام ١٩٧٦ م، ولكنه جاء متأخراً في العام ٢٠٠١ م، حيث بات العمل الطوعي في هذه المؤسسة يسمى عملاً تنظيمياً إرهابياً، وليس عملاً أهلياً طوعياً كما تسميه كل الدول والشعوب.

في الكادر الإداري والوظيفي؛ لا لشيء، إلا لأنهم يعملون في (تنظيم إرهابي) بحسب التوصيف الصهيوني.

الأمر لا يقتصر على هذه المؤسسة - والتي تعتبر أكبر مؤسسة إسلامية على مستوى الشرق الأوسط -، وإنما تعداها ليشمل عدة مؤسسات أهلية أخرى في المحافظة، كلها أصبحت بقرار صهيوني (تنظيمات سياسية إرهابية) (^{٨١١}) !!

من هنا، فإن الإعلان عن أي مؤسسة بأنها تابعة لجهة حزبية إسلامية يعني الحكم عليها بالفناء، وإصدار صك ملاحقتها وتقويض أنشطتها، وهذا يصب في مصلحة الاحتلال، ويهدم دعائم المجتمع الفلسطيني الركيعة.

٢. طبيعة النظام السياسي والتنافس الحزبي الفلسطيني:

فلسطين بتياراتها السياسية الإسلامية والعلمانية واليسارية تتبع نظاماً عاماً يتعلق بالعمل الأهلي ضمن التجاذبات السياسية فيما بينها، وهو بناء القوة المؤسساتية وفق نظام يخدم تطلعات كل فريق، بناءً على نظرة التيار للمجتمع، والظروف المحيطة، والواقع السياسي، ونحو ذلك من أمور.

فالحركات والأحزاب السياسية الفلسطينية تتنافس فيما بينها من أجل امتلاك المؤسسات المختلفة، وتعمل لتحقيق هذه الغاية بالليل والنهار، ساعة بدأت من أجل تأمين مناطق قوة ونفوذ لها في المجتمع، وبؤر احتكاك مع الجماهير في كل بقعة ممكنة (^{٨١٢}).

^{٨١١}. مثل: جمعية الشبان المسلمين، وجمعية الإحسان الخيرية، واتحاد الشباب الإسلامي، والمركز الثقافي الإسلامي وغيرها.

^{٨١٢}. وهذا هو الحال في كل التيارات على مستوى العالم، وانظر في ذلك: عمال السودان والسياسة / ص ١٠ -

لكن هذه التيارات لا تعتمد إلى الإعلان عن كل ما تملكه، فهي - من منطلق التنافس الحزبي والسعي إلى التأثير في الجمهور - تعلن عن بعض المؤسسات الخدمائية أو الأهلية أو النقابية التابعة لها، وتبقي على بعضها عاملاً بصمت بعيداً عن الأضواء الحزبية، ضمن سياسة خاصة بها، ولرؤية تراها بحسب الزمان والمكان والظروف.

تهدف هذه التيارات من ذلك إلى الاحتفاظ بعنصر المفاجأة للتيارات الأخرى الموجودة على الساحة، أو للمجتمع الفلسطيني في فترات ترى أنها (فرص ذهبية) للإعلان عن قوتها، كما حصل مع حركة حماس في قطاع غزة بعد الاندحار الصهيوني منه، حيث أعلنت وفي خطوة كبيرة عن المؤسسات التابعة لها، ليس من خلال الإعلام والبيانات، بل من خلال النشاط الاجتماعي الذي أخذ طابعاً يختلف تماماً عنه في ظل الاحتلال.

لعل النظرة الحزبية في هذا الشأن تنطلق بالدرجة الأولى من فهم التيارات السياسية لدور المؤسسات في رسم التوازن الحقيقي في المجتمع، واللعب على وتر الأوزان الحزبية تبعاً لذلك، وهو أمر سياسي له دلالاته الكبرى والمؤثرة.

٣. رغبة التيارات الإسلامية في استقطاب المتخوفين من العمل السياسي: وهذه حقيقة موجودة في الساحة الفلسطينية، شأنها شأن الشعوب والدول الأخرى.

فهناك شريحة من شرائح الشعب الفلسطيني لا تقبل أن تشارك أو تدعم أو يحسب وجودها على أي اتجاه سياسي، من باب التخوف الأمني على النفس، أو من باب الحرص على الممتلكات أو التجارة، أو حتى من باب البعد عن التيارات لعدم القناعة بها، وهذه الشريحة تحب أن تعمل بعيداً عن كل ما هو سياسي، أو يمت إلى السياسة بصلة، لما في ذلك من خطر عليها في الاعتبار المصلحي.

ونظراً لكون هذه الشريحة غالباً ما تضم التجار، والمستثمرين، والأكاديميين ونحوهم، فإن الاهتمام الجدي بهم يعني ثروة حقيقية للتيار الذي يحسن التعامل معهم، وذلك من

خلال وجود وسائط اتصال غير معلنة، تستوعب الجمهور الأوسع من المجتمع الفلسطيني بعيداً عن صحب السياسية وهتافاتها وشعاراتها.

يرأي الباحث؛ هذا لون من ألوان النضوج في العمل السياسي والمؤسسي، فالتيار السياسي الإسلامي المقموع سياسياً وعسكرياً بفعل الاحتلال وأعدائه، يمتد أفقياً بتوسعه في شرائح المجتمع الهامة من خلال بنيته المؤسسية؛ التي تجمع بين عناصر الثقافة والاهتمامات الخاصة بذوي الطبائع المختلفة من أجل أن يتم استيعابهم (بالحد الأدنى) في نشاطات هذا التيار أو ذلك.

لعل الذي حصل في قطاع غزة بعد اندحار الصهاينة عنه بفعل المقاومة الباسلة، وما تبع ذلك من كشف لكثير من الولاءات الفردية والمؤسسية، وما تطلبه واقع الدخول في العملية السياسية من الحركة الإسلامية خير شاهد على ما يزعمه الباحث.

فكثير من الشخصيات العلمية والأكاديمية، والمؤسسات الأهلية، ومنظمات المجتمع المدني المختلفة ظهرت للعلن بشكل ملفت بعد زوال الاحتلال عن الأرض الفلسطينية في غزة، وبعضها كان له دور كبير في الصدارة السياسية في الانتخابات التشريعية التي تمت في مطلع العام ٢٠٠٦ م.

سينهي الباحث هنا بالإشارة إلى أن هذا الموضوع غير متداول في الساحة الفلسطينية، فلم يجد الباحث - ببحثه وجهده واطلاعه الخاص - أي باحث أو كاتب تناول هذه المسألة، لما لها من تبعات أمنية من جانب الاحتلال، ولذلك، فإن الموضوعية تقتضي أن نذكر، ولو من غير إشارة إلى مصادر من المؤلفات والأبحاث الموجودة.

المبحث السادس:

واقع الشعب الفلسطيني وحاجاته

المطلب الأول

الوعي النقابي والمؤسسي

الشعب الفلسطيني بطبيعته شعب مسيّس، ولديه من الثقافة العلمية والخبرانية كمٌّ لا بأس به، ولكن الطريقة المثلى للتعبير عن هذا الفهم والوعي هي عبر الترجمة الحقيقية لها في واقع الحياة، وإظهارها سلوكاً يرقى بالمجتمع نحو آفاق أعلى وأسمى.

لكن الشعب الفلسطيني - برغم ما عنده من خبرات وتجارب، لا زال محتاجاً إلى الوعي الحقيقي بكيفيات العمل المدني، وما يعنيه ذلك من زيادة الوعي الشعبي بثقافة المجتمع ودوره (٨١٣)، وآليات تحقيق النمو من خلال العمل المؤسسي، ووسائل النهضة من خلال توظيف الجهد الجماعي، ليتمكن من خلال ذلك من الوصول إلى أساسيات العمل الذي يؤهله لإحداث نقلة نوعية في كمّ الفعل ونوعه، وتأثيره ومدلولاته.

للقوف على المراد من هذا اللون من الثقافة، والمقصود بالوعي الشعبي المراد في هذا الاتجاه، إليك تعريفين أساسيين للثقافة ومدلولها العام، حيث:
عرفها " إدوارد تايلور " بأنها كلُّ مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانيات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع وعرفها " روبرت بيرستد " أحد علماء الاجتماع المعاصرين بأهمها:

^{٨١٣}. عولمة عادلة (توفير الفرص للجميع) / اللجنة العالمية المعنية بالبعد الاجتماعي للعولمة / منظمة العمل الدولية

- جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ٦٥ - ٦٧.

ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر به أو نقوم بعمله، أو نمتلكه كأعضاء في المجتمع (^{٨١٤}).

فعلى صعيد الواقع، يفتقر الشعب الفلسطيني إلى النخب المثقفة المتخصصة في جوانب العمل النقابي، ومالكي القدرة في مجال التأصيل العملي للعمل المؤسساتي، والتمكّن من فهم حقيقة الحرية النقابية (^{٨١٥}).

هذه الأسس المهمة في العمل المدني، لا بد من توفيرها حتى يكون في المجتمع أنوية تنطلق منها شرارات التغيير، وتحمل عبء التوجيه والإرشاد بما امتلكته في هذا المجال من فهم أو خبرة أو تخصص أو علم.

ومع أن الدور الأول في هذا الجانب هو دور الدولة بمؤسساتها في تنمية الموارد البشرية (^{٨١٦})، لأن تحقيق العدالة في هذا الجانب هو المسؤولية الأولى للدولة (^{٨١٧}) إلا أن مسؤولية التقصير يلحق التيارات السياسية بلا استثناء، ومنظري العمل المدني قاطبة، والعاملين في المجال النقابي والمؤسساتي؛ من الذي قبلوا بالأمر الواقع ولم يطوروا ذواتهم؛ فضلاً عن تبني منهجيات التغيير الحقيقية في الكوادر العاملة في المجالات المختلفة (^{٨١٨}).

^{٨١٤}. انظر: تراتبية القيم / ص ١٩ - ٢٠.

^{٨١٥}. وضع عمال الأراضي العربية المحتلة - تقرير المدير العام - ملحق / مؤتمر العمل الدولي - جنيف، الدورة ٩٦-٢٠٠٧ م / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / ص ٢٧.

^{٨١٦}. انظر: تنمية الموارد البشرية العربية / ص ١٠٧ - ١١٨.

^{٨١٧}. مدخل إلى النظرية السياسية في القرآن الكريم / بروفيسور زكريا بشير إمام / دار هزبر للنشر والتوزيع - الخرطوم / الطبعة الأولى (١٩٩٩ م) / ص ٣٥ - ٣٦.

^{٨١٨}. وإدارة الموارد البشرية: وهي النشاطات المتعلقة بالموظفين والتعيين والتدريب والتطوير وتحفيز المستخدمين والموظفين، وانظر في ذلك: قيادة السوق / د. طارق السويدان / ضمن سلسلة الاتجاهات الحديثة في الإدارة (٣) / قرطبة للإنتاج الفني، وشركة الإبداع الخليجي / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م) / ص ٣٥.

في واقع لا زالت فيه المطالبات باستمرار تعديل القوانين بحق العمال والمهنيين في الغرب جارية حتى اليوم، برغم ما شهدته الحركة النقابية من إنجازات على هذا الصعيد (٨١٩)، فإن الفراغ التعبوي والتأسيسي يظهر جلياً في الواقع الفلسطيني، حيث لم تتبلور لغاية الآن سياسة واضحة من النخب المثقفة والعقلية العلمية التي يعول عليها في الاتجاهات الإسلامية والوطنية واليسارية على حد سواء، فيما يتعلق بالعمل المؤسساتي، وتوظيف الأداء النقابي بعيداً عن الحزبيات والتنافس والمناكفات ليتقدم بدوره في مجال التأثير على العمل السياسي الذي يخدم القضية ببعدها المتكامل.

هذا الأمر ليس خافياً على من له باع في البحث والعلم (٨٢٠)، فقد جاء في أنشطة وإصدارات المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل: بالرغم من مرور فترة طويلة تزيد على ثلاثة أرباع القرن على نشوء النقابات في الوطن العربي، فإن حركة الثقافة العمالية لم تأخذ صيغتها المنظمة إلا منذ فترة قصيرة (٨٢١) حيث بدأت تنتشر مفاهيم الوعي والثقافة الداعمة للعمل المؤسساتي (٨٢٢)، وبدأ المجتمع الفلسطيني يتعرف إلى طرائق صياغة لوائح المنشآت الداخلية (٨٢٣) والأسس الإدارية وأنماط القيادة وما شاكلها.

819. LOOK: TOWARDS SOCIALDIALOGUE- TRIPARTITE COOPERATION IN NATIONAL ECONOMIC AND SOCIAL POLICY – MAKING / ANNE TERBILCOCK ETAL / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE – GENEVA / FIRST PUBLISHED (1994) /Pages (3-12).

٨٢٠. أهمية الثقافة العمالية وأثرها في التنمية وكيفية تسيير أجهزة ومراكز الثقافة العمالية / مكتب العمل العربي – المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل / دورة الجزائر (٣٠ - ٤ - ١٩٧٨ م إلى ١٠ - ٥ - ١٩٧٨ م) / إعداد: فضل علي عبد الله / دون ذكر الطبعة / ص ١٧٨.

٨٢١. أهمية الثقافة العمالية وأثرها في التنمية وكيفية تسيير أجهزة ومراكز الثقافة العمالية / مكتب العمل العربي – المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل / دورة الجزائر (٣٠ - ٤ - ١٩٧٨ م إلى ١٠ - ٥ - ١٩٧٨ م) / إعداد: فضل علي عبد الله / دون ذكر الطبعة / ص ١٧٩.

٨٢٢. تعزيز المنشآت المستدامة – التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٩٦ / ٢٠٠٧) / مكتب العمل الدولي – جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، ص ٤٢.

في ظلال هذا الواقع، فإن المجتمع الفلسطيني يفتقد أموراً هامة في سبيل الوصول إلى تعميم الوعي الثقافي عموماً، والفلسفات المرتبطة بالعمل المدني على وجه الخصوص، ومن هذه الأمور:

١. فقدان النخب المثقفة المختصة في مجالات العمل المدني، حيث تجرد مجموعة من الشخصيات لها كتابات ودراسات في هذا الجانب، مع خلو - شبه تام - في المختصين في دراسة منهجية تأصيلية مستمدة من مصادرها، لا سيما من خلال فهم النظريات الغربية وظروف نشأة المجتمع المدني في تلك البلاد.

٢. افتقاد المؤسسات الحقيقية التي من شأنها أن تؤسس من خلال فعاليتها ونشاطاتها المختلفة لحالة من الوعي النقابي، يمكن استثمارها في مجالات البناء الذاتي على صعيد المجتمع بكل شرائحه.

٣. خلو الساحة العلمية على مستوى الجامعات الفلسطينية من التركيز التخصصي في مجالات المجتمع المدني، والاكتفاء بالنظريات الإدارية العامة، والمحاضرات المتفرقة في علم السياسة وعلم الاجتماع (٨٢٤)، والتي هي روافد في العمل المدني، وليست مستنداته ومرتكزاته على صورتها المجزوءة المبعثرة.

^{٨٢٣} .. تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٩٦ / ٢٠٠٧) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، ص ٦٧ - ٦٩.

^{٨٢٤} .. مع أنها من العلوم الإسلامية الأصيلة، وانظر في ذلك: دراسات في علم الاجتماع الإسلامي / د. عبد الهادي الجوهري / مكتبة نهضة الشرق - جامعة القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٨٣ م) / ص ٧ وما بعدها.. وكذلك: علم الاجتماع الإسلامي / د. زيدان عبد الباقي / الطبعة الأولى (١٩٨٥ م) / مطبعة السعادة - مصر / ص ٣ وما بعدها.

٤. فشل المشروعات النقابية والمؤسساتية في فلسطين في تعميم ثقافة العمل المشترك، ومد جسور التلاقي البناء بين الجسم المؤسسي والنقابي (٨٢٥)، من أجل تدعيم الثقافة النقابية، وتأسيس حالة من التماسك داخل المجتمع المدني الفلسطيني، مما ساهم في ضياع الكثير من الإمكانيات، وتلاشي العديد من الفرص في نشوء أجسام مؤسساتية تعتمد على نشر الثقافة المؤسساتية والنقابية من خلال الفهم الكلي، والعمل الجماعي.

٥. اقتصار الدراسات التي تمت في هذا المجال على نشرات المؤسسات المدنية، والجهد الفردي تحديداً من بعض العاملين فيها (٨٢٦)، فيقوم هؤلاء بالبحث والكتابة والتأليف من خلال رؤيتهم لما تمت ممارسته من سياسات داخل المواقع التي عملوا بها، أو استطاعوا أن يحتكوا بها خلال عملهم في القطاع المؤسساتي على أفضل تقدير.

المطلب الثاني:

الواقع الاجتماعي

يرتبط الواقع الاجتماعي للشعب الفلسطيني بصورة جذرية بالواقع السياسي العام في المجتمع، وبالسياسات القمعية والعنصرية الممارسة على الشعب من قبل الاحتلال على اختلاف صورها وأشكالها.

فالجواز والمذابح (٨٢٧)، والإبعاد والتهجير (٨٢٨)، واقتلاع الأشجار والمزروعات (٨٢٩)، والاعتقالات (٨٣٠) وسياسات التهويد الممارسة على الشعب الفلسطيني

٨٢٥. مثل التجمعات النسوية التي حاولت الظهور ثم آثرت الانزواء في العمل تحت جناح منظمة التحرير، والتحالفات المؤسساتية التي بقيت نقاءؤها حبراً على ورق، ولم يخرج إلى العلن لأسباب سياسية وحزبية، أو تناقض في الرؤى والتوجهات، وعدم تمكنهم من إيجاد القواسم المشتركة الفعلية في العمل المؤسساتي.

٨٢٦. انظر على سبيل المثال: الدراسات التي تم اعتمادها في الدراسات السابقة، في الإطار النظري لهذه الدراسة.

٨٢٧. مثل مذابح دير ياسين، وكفر قاسم، وصبرا وشاتيلا، ونحوها.

في الداخل (٨٣١) وإثارة الفتن في المجتمع بفعل الصهاينة (٨٣٢) وبث مظاهر الفلتان الأمني (٨٣٣)، ونحوها من الممارسات، ترخي ظلالاً فعلية على الشعب الفلسطيني في المجال الاجتماعي، وهو ما عبر عنه المختصون بأنه: الانحلال التدريجي للنسيج الاجتماعي والاقتصادي الفلسطيني في ظل الاحتلال (٨٣٤).

فالشباب الفلسطيني هو من يُعتقل ويشرد، وهو من تستهدفه الطائرات بالاعتقال والتصفية برغم الواقع الذي يعيشه من حيث الأصل (٨٣٥).

٨٢٨. مثل الملايين المشردين عن اوطانهم في مخيمات اللجوء والشتات، وحالات الإبعاد الجماعي كما حصل حين أبعدت الدولة الصهيونية ٤١٥ فلسطينياً إلى جنوب لبنان في أواسط الانتفاضة الفلسطينية الأولى.

٨٢٩. فقد حرفت الدولة الصهيونية عشرات الآلاف من الأراضي الزراعية حين قامت ببناء المستوطنات في مختلف أوصال الأرض الفلسطينية، كما وتمارس هذه السياسة باستمرار مع كل احتياح في الضفة وغزة تعديماً للفلسطينيين وإرهاباً لهم.

٨٣٠. اعتقلت الدولة الصهيونية مئات الآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني، رجالاً ونساءً، وقتت بهم في غياهب السجون بتهمة وبغير تهمة، ناهيك عن حملات الاعتقالات التي تتم بين كل فينة وأخرى، وتطال في كل مرة الآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني.

٨٣١. وهي سياسات منهجية تقوم بها المؤسسة العسكرية الصهيونية من أجل تغيير الواقع على صعيد الإنسان، من أجل فرض تغييرات على المستوى الديموغرافي في فلسطين لصالحهم.

٨٣٢. مجلة فلسطين المسلمة / العدد الثامن - السنة الثالثة والعشرون / ٢٠٠٥ م / ص ٧، وفيه تقرير عن دور لجان الإصلاح والشخصيات الإسلامية والقبلية في وأد هذه الفتن.

٨٣٣. مثل ما حصل بعد سيطرة حماس على الحكومة من خلال الانتخابات التشريعية، حيث قامت المؤسسة الصهيونية بإحداث العديد من حالات الفلتان الأمني في الضفة وغزة، وانظر في ذلك: مجلة فلسطين المسلمة / العدد الثامن - السنة الثالثة والعشرون / ٢٠٠٥ م / ص ٢٨ - ٣١... وكذلك: إسرائيل وسياسة النفي - الصهيونية واللاجئون الفلسطينيون / د. أنور مصالحة / ترجمه إلى العربية: عزت الغزوي / صادر عن المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية - مدار - رام الله / الطبعة الأولى (٢٠٠٣ م) / ص ١٤٥ - ٢١٢.

٨٣٤. وضع عمال الأراضي العربية المحتلة - تقرير المدير العام - ملحق / مؤتمر العمل الدولي - جنيف، الدورة ٩٦-٢٠٠٧ م / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / ص ٣ - ٧.

٨٣٥. تنمية الموارد البشرية العربية / ص ٤١ - ٤٢.

وصوت الرصاص والقذائف يمس الوضع للطفل الفلسطيني نفسياً واجتماعياً وسلوكياً.

والمرأة هي أم الشهيد، وأخت المعتقل، وزوجة المبعد، وابنة المطارذ، وعمّة المصاب، وخالة المعاق بسبب الرصاص، وهكذا؛ فالواقع السياسي والمجريات على الأرض تمس البنية الاجتماعية للمجتمع ككل.

إذا تم أخذ شريحة واحدة من هذه الشرائح لإجراء القياس عليها، وهي شريحة المعتقلين مثلاً، نجد أن الشعب الفلسطيني بكل مكوناته يلتف حول المقاومة (٨٣٦)، برغم التضحيات الكبيرة التي يتطلبها هذا الالتفاف، ومن أبرزها الاعتقال والأسر، فلقد أثبت الشعب الفلسطيني قدرة فائقة في تصدير الثوار والكوادر الحزبية والحركية على مدار سنوات الصراع مع الاحتلال، وترفع عن جراحاته وآلامه في سبيل تحقيق أهدافه التي يصبو إلى تحقيقها.

بالرغم مما تشكله السجون من مرحلة ابتلاء حقيقي، إلا أن دورها في بناء العقلية الفلسطينية لا يمكن إنكاره (٨٣٧)، فبرغم الاعتقال والتعذيب في السجون (٨٣٨) والتي طالت زعامات المجتمع المدني ورموزه المناضلة الحرة، (٨٣٩) إلا أن الفلسطينيين استطاعوا أن يقبلوا المحنة إلى منحة، وأن يجعلوا من السجون التي خصصت لتكون مقابر للأحياء؛ معاقل للعلم والرفعة والبناء المتعلق بالذات.

^{٨٣٦}. انظر في ذلك: مجلة القدس - السنة الرابعة / العدد (٣٧) / كانون الثاني ٢٠٠٢ م / ص ١٣ - ١٧.

^{٨٣٧}. انظر في ذلك: حركة المقاومة الإسلامية (حماس) - جذورها - نشأتها - دورها السياسي (١٩٢٠ - ١٩٩٤ م) / خالد نمر أبو العميرين / رسالة ماجستير، بإشراف: د. التيجاني عبد القادر / اقرت عام (١٩٩٤ م) / جامعة الخرطوم - السودان / ص ٢١٥.

^{٨٣٨}. مجلة فلسطين المسلمة / العدد الثامن - السنة الثالثة والعشرون / ٢٠٠٥ م / ص ٥.

^{٨٣٩}. انظر في ذلك مثلاً: أحمد ياسين - أسطورة التحدي / أحمد بن يوسف / المركز العلمي للبحوث والدراسات / الطبعة الأولى / ص ١١ وما بعدها.

في دراسة حالة هذه الشريحة الاجتماعية، نجد أن الخدمات الحكومية الرسمية المقدمة للأسرى، وللأسرى المحررين في فلسطين هي عبارة عن قضايا تتعلق بتعويضات مالية، أو مصروفات خدمتية للمعتقل واسرته في فترة اعتقاله أو بعد نزوله بفترة قصيرة (٨٤٠)، دون أن ترقى هذه الخدمات إلى استثمار هذه الكفاءات وتطويرها لتكون أعمدة حقيقية في توجيه المجتمع وبنائه، بما تحظى به من احترام بين شرائح المجتمع لدورها في التضحية والفداء.

على اليد الأخرى، فإن الخدمات الأهلية المقدمة للأسرى الفلسطينيين، والمحررين منهم تأتي في مراحل دون ذلك (٨٤١) فالقطاع المؤسساتي غير الحكومي عاجز عن نصره هذه الشريحة - فضلاً عن غيرها -، وما يقدمه من خدمات التأهيل، أو برنامج التثقيف، أو ورش العمل لا يعدو كونه تسجيلاً لنشاط ما في هذا الاتجاه، دون أن يرتبط بمنهجية حقيقية ترتقي تدريجياً بالمعتقل أو الأسير المحرر ليكون عنصراً إيجابياً ذا قدرة في مجتمعه في مجالات ميوله الخاصة.

هذه الشريحة التي تعد من أهم الشرائح في المجتمع الفلسطيني لدورها وسبقها تنال مجموعة من خدمات (رفع العتب)، أو مجالات محاكاة الواقع الغربي في نصره الأسرى وإصلاحهم، أو فرض برامج تأهيل تتناول اهتماماتهم بشكل منقوص ومبتور، ناهيك عن غيرها من الشرائح الأخرى، والتي لا يبلغ اهتمام المجتمع المدني بها معشار ما يهتم بالأسرى - على سوء واقع الاهتمام بهم - (٨٤٢).

هذا يدل على واقع العمل الاجتماعي عموماً، برغم وجود إشراقات حقيقية في بعض المجالات، مثل برامج رعاية الأيتام، ودعم الأسر الفقيرة في بعض الجوانب، ولكن الرابطة

^{٨٤٠}. انظر في ذلك: الندوة الوطنية حول تأهيل الأسرى المحررين وإدماجهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية / منظمة العمل الدولية / المكتب الإقليمي للدول العربية / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م) / ص ١١.

^{٨٤١}. انظر في ذلك: الندوة الوطنية حول تأهيل الأسرى المحررين وإدماجهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية / منظمة العمل الدولية / المكتب الإقليمي للدول العربية / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م) / ص ١٢.

^{٨٤٢}. مثل المعاقين، والأطفال، وكبار السن.

العام بين كل هذه التجارب ألما تأتي بعيداً عن سياق التخطيط الفعلي الهداف إلى الوصول إلى حالة من التنمية الفعلية.

من هنا؛ كان الدور الاجتماعي للنقابات والهيئات على مستوى الأداء الفاعل يتطلب تحقيق جملة من الأمور، تتعلق بأهمية المنشآت والهيئات اجتماعياً (٨٤٣)، وضياعها يعني افتقاد المشروع الاجتماعي المطبق من هذه النقابات والهيئات، ومن هذا الدور مثلاً: تنشيط الحقل التعاوني، والتركيز على التعاون كمبدأ لتنظيم اجتماعي واقتصادي فاعل (٨٤٤)، وتشجيع التعاون الاستهلاكي، والانتقال إلى مرحلة التعاون الاستثماري (٨٤٥)، وتحقيق الأمن الاجتماعي (٨٤٦).

من الأدوار المهمة كذلك: توفير فرص عمل لذوي الدخل المحدود في مسائل العلاج من خلال المشاريع (٨٤٧)، وافتتاح صناديق الادخار، والتكافل الاجتماعي (٨٤٨)، ومحاربة الفقر (٨٤٩)، والإنصاف الاجتماعي (٨٥٠)، وتمويل معاشات الشيوخوخة (٨٥١)، وعلاج الصراع الاجتماعي والطبقي في المجتمع (٨٥٢) ونحوها.

^{٨٤٣}. انظر في ذلك: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٢٠٠٧ / ٩٦) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، ص ٩٧ - ٩٨.

^{٨٤٤}. انظر: نشرة بعنوان: الدور الاجتماعي للنقابات / حاج علي إبراهيم / مؤتمر الحوار النقابي - مكتبة اتحاد عام عمال السودان - الخرطوم / ص ٤.

^{٨٤٥}. انظر: نشرة بعنوان: الدور الاجتماعي للنقابات / حاج علي إبراهيم / مؤتمر الحوار النقابي - مكتبة اتحاد عام عمال السودان - الخرطوم / ص ٤.

^{٨٤٦}. SOCIAL SECURITY - ANEW CONSENSUS / INTERNATIONAL

LABOUR OFFICE - GENEVA/ F. P (2001) / P.7.

^{٨٤٧}. انظر في ذلك: نشرة بعنوان: الدور الاجتماعي للنقابات / حاج علي إبراهيم / مؤتمر الحوار النقابي - مكتبة اتحاد عام عمال السودان - الخرطوم / ص ٥.

^{٨٤٨}. انظر في ذلك: نشرة بعنوان: الدور الاجتماعي للنقابات / حاج علي إبراهيم / مؤتمر الحوار النقابي - مكتبة اتحاد عام عمال السودان - الخرطوم / ص ٨.

^{٨٤٩}. انظر في ذلك: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٢٠٠٧ / ٩٦) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، ص ١٠٧ - ١١٣.

لعل هذا ما أشار إليه المعنيون بالشأن المدني في المجتمعات؛ حين وصفوا هذا الدور ومدلولاته وروابطه بالقول إن التنمية الاجتماعية لا تتحقق إلا من خلال: ((استراتيجية التنمية التعاونية بين الأفراد والمؤسسات، وبين المؤسسات والدولة)) (٨٥٣).

جدير بالذكر هنا؛ أن المفاهيم الاجتماعية التي يطلقها المجتمع الغربي تمثل قيماً حقيقية في الدين الإسلامي بالمجمل، وترديده لعبارات وشعارات الرقي والعدالة والمساواة الاجتماعية ونصرة المعوزين تفتقد إلى الواقع الذي يصدق دعواهم، فرغم نداءات أمريكا بالعدالة الاجتماعية والمساواة مثلاً، يبدو وضوح الحقيقة فيما يفعلونه بالسود، والهنود الحمر الذين هم السكان الأصليون، تمييز عنصري واضح، وموجود حتى الآن، وقتل على المظهر والهوية والانتماء (٨٥٤).

ما نفع التغني بحقوق الإنسان من الدول الغربية وأسلحتها الجرثومية والكيميائية والنووية تحصد أرواح ملايين البشر على امتداد العالم (٨٥٥)؟ ناهيك عن عمالة الأطفال فيما

^{٨٥٠}. انظر: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٩٦ / ٢٠٠٧) / مكتب

العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، ص ١٤٥ - ١٤٧.

^{٨٥١}. انظر في ذلك: دراسة مقارنة بين أسس ربط معاش الشبخوخة في الوطن العربي (مارس ١٩٩٥ م) / المركز

العربي للتأمينات الاجتماعية - الخرطوم / إعداد: عباس محمد سعيد عباس / الطبعة الأولى (١٩٩٥ م) / ص ٧ -

٤٣.

^{٨٥٢}. في الاقتصاد الإسلامي / ص ٨٥.

^{٨٥٣}. ديناميكية التعاون كأداة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية / محمد أحمد داؤد / مطبعة دينا الحديثة - الخرطوم /

طبعة عام (٢٠٠٢ م) / ص ١١٢ - ١٧٢.

^{٨٥٤}. انظر في ذلك: تراتبية القيم / ص ٦٩ - ٧٠.

^{٨٥٥}. انظر في طبيعة المخاطر وحجم التأثير ومدى الدمار التي تحدثه هذه الأسلحة في: الفتوة - لفتيان المرحلة الثانوية

- المادة العسكرية / صلاح الدين دباغ وآخرون / وزارة التربية في الجمهورية العربية السورية - مديرية الكتب

المدرسية / مطبعة الإنشاء - دمشق / طبعة عام (١٩٧٠) / ص ٢٠٧ - ٢٣٠.

يهين ويمس الشخصية والكيان الإنساني (^{٨٥٦})، وظاهرة رق الأطفال وبيعهم والاتجار بهم، والعمل الجبري والإلزامي والتجنيد الإجباري لهم (^{٨٥٧}).

هذه الأمور لا يقبلها العقل المسلم ولا يرتضيها، ولا يسمح أحد لمؤسسات إسلامية أو صادقة الولاء أن تقوم بمثل ذلك، أو أن تصمت إزاء وقوعه من الدولة.

في ضوء ما سبق، وما تم الحديث عنه من إشكاليات المجتمع المدني الفلسطيني (^{٨٥٨})؛ فإن من أبرز ملامح الواقع الاجتماعي الفلسطيني من الزاوية المؤسساتية والأهلية ما يأتي:

١. افتقاد المجتمع المدني الفلسطيني للمنظمات الدفاعية، ومنظمات رصد الخروق المتعلقة بحقوق الإنسان والمواثيق الدولية، وهو أمر حيوي من الدرجة الأولى، حيث إن الصهاينة يستخفون بالقانون الدولي في كل نصوصه (^{٨٥٩})، ورصد الانتهاكات بحق الأطفال، والأسرى، والجدار العازل، وقضايا الإعلاميين، وانتهاك الحرمات، وتطبيق القوانين العسكرية لعشرات السنوات، كلها أمور تثير شهية المجتمع الغربي، ويسهل التعامل معه من خلالها لتفهم الواقع الفلسطيني؛ برغم آلة الإعلام الصهيونية العاتية.

^{٨٥٦}. مستقبل حال من عمل الأطفال / التقرير العالمي بموجب متابعة إعلان منظمة العمل الدولية بشأن المبادئ والحقوق الأساسية في العمل ٢٠٠٢ م / مكتب العمل الدولي - جنيف / مؤتمر العمل الدولي (الدورة ٩٠ / ٢٠٠٢) / التقرير الأول (بء) / الطبعة الأولى (٢٠٠٢ م) / ص ٩ - ١١.

^{٨٥٧}. مستقبل حال من عمل الأطفال / التقرير العالمي بموجب متابعة إعلان منظمة العمل الدولية بشأن المبادئ والحقوق الأساسية في العمل ٢٠٠٢ م / مكتب العمل الدولي - جنيف / مؤتمر العمل الدولي (الدورة ٩٠ / ٢٠٠٢) / التقرير الأول (بء) / الطبعة الأولى (٢٠٠٢ م) / ص ٣٦ - ٤٠.

^{٨٥٨}. انظر في ذلك إشكاليات المجتمع المدني الفلسطيني، في الفصل السابق.

^{٨٥٩}. كما حصل في قضية الجدار العازل وقرارات محكمة العدل العليا بخصوصه، وانظر في ذلك: وضع عمال الأراضي العربية المحتلة - تقرير المدير العام - ملحق / مؤتمر العمل الدولي - جنيف، الدورة ٩٦-٩٧-٢٠٠٧ م / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / ص ٢٦.

٢. غياب المنهجية الاستراتيجية الواضحة في التخطيط للعمل الطوعي الإغاثي)^{٨٦٠}، والاعتماد على نظام إشباع الفقراء ليوم أو يومين بدل تأمين الاحتياجات لهم من خلال المشروعات التنموية المختلفة وإدماجهم في بوتقة العمل الجماهيري والاجتماعي المثمر مقابل مردود مادي يكفل لهم كرامتهم ودورهم.

وقد نوّه كثير من العلماء إلى ضرورة وجود هذه القاعدة الفكرية الاستراتيجية لكونها مناهج تحقيق التنمية الحقيقية، حيث ((ربط ريتشارد هيجوت ما بين العلوم الاجتماعية المختلفة وما بين التنمية، وجعل الأولى سبيلاً لتحقيق الثانية، وذلك برغم اختلاف الأزمنة والظروف))^(٨٦١).

٣. غياب التنسيق بين منظمات المجتمع المدني العاملة في إطار العمل الاجتماعي، وتراجع قيمة المفاوضة الجماعية^(٨٦٢)؛ فالجمعيات الخيرية، والهيئات الإغاثية، تتعامل مع الوقائع والمستجدات بسرعة وعفوية، ونمط روتيني يفقدها أثر التمهل والروية، ودراسة الحالة، وما لذلك من أثر على تحقيق النفع الأعم، والفائدة الأشمل للفئات المستهدفة من النشاط.

٤. الاقتصار في النشاطات التأهيلية للفئات المختلفة على برامج روتينية تعاهدتها الأجيال الإدارية التي تحكم المنظمات المدنية، دون وجود نماذج فعلية من فتح أبواب

^{٨٦٠}. انظر: إحياء الفروض الكفائية / ص ١٣٥.

^{٨٦١}. نظرية التنمية السياسية / ريتشارد هيجوت / ترجمة: أ. د. حمدي عبد الرحمن و د. محمد عبد الحميد / المركز العلمي للدراسات السياسية - الأردن / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م) / ص ٢١ - ٤٠.

^{٨٦٢}. انظر: الحماية الدستورية والقضائية للحقوق الأساسية في العمل / منظمة العمل العربية / مكتب الإعلام بمنظمة العمل العربية / إعداد: د. محمود سلامة جبر / ص ٨٣ - ٨٥.

الخيارات، وتوسيع الآفاق، لتشمل التأهيل النوعي البناء، ولو كان ذلك على حساب العدد الكلي، فهذا من المسؤوليات الأساسية للإدارة^{٨٦٣}، والكيف أهم من الكم بكل تأكيد.

٥. تسلط ذوي النفوذ من غير الأكفاء على دفة القيادة لمنظمات المجتمع المدني، وسيادتهم لها من منطلق مكانتهم الاجتماعية، أو دورهم العشائري، أو نفوذهم الاقتصادي، وهذا أدى إلى ترهل إداري في العمل الخيري الطوعي، وأثر سلباً على ناتج العمل وطبيعته وشكله.

هذه مخالفة بدهية لمتطلبات الإدارة السليمة^{٨٦٤}، لكون النظام الإداري بكوادره وشخص المتنفذين فيه من أساسيات البنية التحتية للمنظمات المدنية^{٨٦٥}، وهو ما يجب أن يتم التنبه إليه أشد التنبه.

^{٨٦٣}. انظر: إدارة الإنتاجية / مرشد عملي / جوزيف بروكوبنكو / مكتب العمل الدولي - جنيف / منظمة العمل الدولية ومكتب العمل الدولي، ومنظمة العمل العربية ومكتب العمل العربي / الطبعة العربية الأولى (١٩٩٨ م) / ص ١٠٤ - ١٠٦.

^{٨٦٤}. انظر في ذلك: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٩٦ / ٢٠٠٧) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، ص ١٣٨ - ١٣٩.

^{٨٦٥}. انظر في ذلك: قيادة السوق / د. طارق السويدان / ضمن سلسلة الاتجاهات الحديثة في الإدارة (٣) / قرطبة للإنتاج الفني، وشركة الإبداع الخليجي / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م) / ص ٣٥.

المطلب الثالث

ما يفتقده المجتمع الفلسطيني على الصعيد السياسي

سبق وتناول الباحث الواقع السياسي الفلسطيني من خلال تسليط الضوء على النظام السياسي الفلسطيني بكل تداخلاته وتشكيلاته (^{٨٦٦})، ولكن الحديث هنا يتعلق بما صدر عن اللجنة العالمية المعنية بالبعد الاجتماعي للعولمة، والذي يفيد بأن ... للنظام متعدد الأطراف " التعددي " بمنظومة الأمم المتحدة، والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، مسؤولية واضحة عن المضي قدماً في الدعوة الموجهة في الإعلان بشأن الألفية: "جعل العولمة قوة إيجابية تعمل لصالح جميع شعوب العالم"، وهذا تحدٍ لا مهرب منه في القرن الحادي والعشرين... (^{٨٦٧}).

فهذا الإعلان يبين سياسة أكبر الممولين لمشاريع المنظمات غير الحكومية في العالم، وأنها تنتهج في عملها طرقاً ووسائل تؤكد لها فاعلية أداء ما تقدمه على مستوى المنح والقروض للدول والمؤسسات في مجالات المجتمع المدني على حد سواء.

ولكون النظام السياسي الفلسطيني بعد اتفاقيات أوسلو كان يتميز بأنه نظام ((الاستبداد الفردي)) (^{٨٦٨})، والذي تجلّى بوضوح في قمع المعارضة، والتضييق على المخالف في الرأي، وما فعله محمود عباس ومن قبله ياسر عرفات من إغلاق مكاتب ومؤسسات حماس والجهاد في الضفة وغزة بتاريخ ١١ / ١٢ / ٢٠٠١ م (^{٨٦٩})، واحتكار السلطة، والاستبداد

^{٨٦٦}. انظر: الفصل قبل السابق من هذا البحث.

^{٨٦٧}. عولمة عادلة (توفير الفرص للجميع) / اللجنة العالمية المعنية بالبعد الاجتماعي للعولمة / منظمة العمل الدولية - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ١٢٠.

^{٨٦٨}. إحياء الفروض الكفائية / ص ٩٤ - ٩٥.

^{٨٦٩}. انظر في ذلك: مجلة القدس - السنة الرابعة / العدد (٣٧) / كانون الثاني ٢٠٠٢ م / ص ١١٣، وقد فعله

محمود عباس بحق عشرات المنظمات المدنية في العام ٢٠٠٧ م.

بالوظائف العامة والحكومية المختلفة، فإن المجتمع المدني الفلسطيني المعتمد على التمويل الغربي شهد وسيشهد حالة من الانتكاسة بسبب طبيعة النظام السياسي الفلسطيني.

فمطالبات العالم الغربي بتطبيق مفاهيم: ((الحكم الصالح)) (٨٧٠)، و((التداول السلمي للسلطة)) (٨٧١)، ونحوها من الشعارات التي تمس النظام السياسي بالدرجة الأولى، وتجعل المجتمع المدني رهينة سلوكه وأدائه، تؤسس حقيقة لنمط من التعامل داخل المجتمع الواحد بأساليب تختلف عن الأنظمة القمعية والاستبدادية والدكتاتورية، وآثار تطبيقه في المجتمعات جاءت إيجابية على مستوى الفرد والدولة.

فالنشاط المجتمعي، وحدوث الطفرة المتوازنة في مجال العمل الأهلي، وتنوع مشارب وأهداف الحركات الاجتماعية، كل ذلك يجعل من المجتمع ميداناً لحراك ديناميكي متواصل، وساحة لاحتكاك الأفكار والأنظمة ومشاريع التنمية والتقدم، الأمر الذي يسهم بشكل جدي في نشوء حالة من الوعي العام، يتبعها بالضرورة عمل تكتيكي واستراتيجي يعتمد على الفهم والشمول.

للقوف على مراد الجهات الداعمة - والتي لها باع في الترويج للمجتمع المدني بمفهومه المعاصر - يتعلق من حيث الأصل بكون الدولة جسماً يحتضن الشعب والحكومة، وإيجاد وتطوير وتدعيم البنية التحتية للعمل المدني والأهلي مسؤولية أساسية من مسؤوليات الحكومة (٨٧٢).

٨٧٠. إحياء الفروض الكفائية / ص ٩٨.

٨٧١. إحياء الفروض الكفائية / ص ١٠٥.

٨٧٢. إدارة الإنتاجية / مرشد عملي / جوزيف بروكوبنكو / مكتب العمل الدولي - جنيف / منظمة العمل الدولية ومكتب العمل الدولي، ومنظمة العمل العربية ومكتب العمل العربي / الطبعة العربية الأولى (١٩٩٨ م) / ص ٤٢

وفي واقع تعيش فيه فلسطين تحت وقع المخططات الأمريكية للشرق الأوسط (٨٧٣)، وتصطلي بنيران اضطهاد الصهاينة للشعب الفلسطيني (٨٧٤)، وحالة مستمرة ودائمة من ملاحقة الجيش والسلطة للمؤسسات الخيرية والأهلية وكوادرها (٨٧٥) فإن الحديث عن تنمية متوازنة، أو نمو لفكرة مجتمع (مدني) فلسطين في ظل هذه التعقيدات والتداخلات تتسم بالصعوبة البالغة.

من هنا، وجب على منظمات العمل المدني الفلسطيني أن تحدد المسار، وأن تضبط البوصلة، فقبل أن تنطلق في مشاريع عبثية وفوضوية متناثرة من حيث المساحة الجغرافية أو مستويات ونوعيات الأداء، فإن الأولى بها أن تخطط ليكون لها دور حقيقي وفاعل في إيجاد حالة من الاستقرار الاجتماعي، وضبط المظاهر التعسفية، لا سيما فيما يتعلق بالسلطة الفلسطينية، التي تعلن صباح مساء تماشيها مع القوانين الدولية، والقوانين الدولية كفلت حق إقامة النقابات والمؤسسات، وكفلت لها حرية الحركة والمنع من الملاحقة والاستهداف على أيدي الأنظمة المختلفة.

فكيف يمكن أن يقوم نظام مدني مستقر في ظل استمرار حالة الحكم الفردي؟ أوتصاعد وتيرة الفلتان الأمني مثلاً؟ (٨٧٦)، أم كيف يمكن للمجتمع المدني أن يكون فاعلاً وسيطاً الحكومة مرفوعة فوق رأس بعض التوجهات والمنظمات ليكون رادعاً لغيرها؟؟ وهل يمكن قيام نظام مؤسسي فاعل في ظل غياب الأمن الاجتماعي (٨٧٧)؟

^{٨٧٣} . انظر في ذلك مثلاً: عندما يسقط القناع - المخابرات المركزية الأمريكية على حقيقتها / فيودور سيرغيف / ترجمة: زياد الملا / مكتب الخدمات الطباعية - دمشق / الطبعة الأولى (١٩٨٦ م) / ص ٧٤ - ٧٧.

^{٨٧٤} . انظر في ذلك: من الفكر الصهيوني المعاصر - ضمن سلسلة كتب فلسطينية (١١) / منشورات مركز الأبحاث - منظمة التحرير - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٦٨ م) / ص ١٩٠ - ١٩٢.

^{٨٧٥} . مجلة الوعد / العدد الأول - السنة الحادية عشرة / موضوع بعنوان: الشعب الفلسطيني في ظل التحديات / همام عبد ربه الديباري وياهر عبد الفتاح غانم / ص ٨.

^{٨٧٦} . انظر: مجلة فلسطين المسلمة / العدد الثامن - السنة الثالثة والعشرون / ٢٠٠٥ م / ص ٢٨ - ٣١.

^{٨٧٧} SOCIAL SECURITY - ANEW CONSENSUS / INTERNATIONAL

.LABOUR OFFICE - GENEVA/ F. P (2001) / P.11 - 13

ألا ترى أنه بعد تسميم الرئيس السابق ياسر عرفات وموته، حصلت تغييرات جوهرية على المنظمة وفتح، وعلى النظرة العربية والغربية لفلسطين (٨٧٨)؟

هذا الأمر له دلالاته على المستوى السياسي العام، فمعناه أن الحكومة والسلطات الأخرى كانت متعلقة بشخص لا بمنهج، فإذا غاب الشخص اضطربت المناهج، وتوزعت الآراء والرؤى، وهذا من الضعف البين، ومن الاستخفاف بعقول المجتمع الذي يضم بين جنباته مئات الآلاف من المتعلمين والمثقفين والكفاءات الواعدة.

الواجب هنا أن يصحو المجتمع المدني الفلسطيني، وأن ينتفض من حالة الرقاد التي أطال فيها مكثه، ليضع النقاط على الحروف، وليبين دوره إن كان يطمح أن يكون له ثمة دور.

فالمجتمع الفلسطيني يفتقد منظمات فاعلة في مجالات حيوية (٨٧٩)، سيكون وجودها الفعلي ضابطاً لأداء السلطات الثلاث [التشريعية والقضائية والتنفيذية]، من حيث بيان وتعميم السلوك الخاطئ بالدرجة الأولى، ومن ثم التعامل معه بحكمة واتزان من أجل رصده ومنع تكراره، وتأسيس المفاهيم السلوكية والعملية لرفع مستويات الوعي الحكومي بمخاطره ومخاطر تكراره.

يفتقد المجتمع الفلسطيني أيضاً نوعاً مهماً آخر من منظمات المجتمع المدني، وهي المنظمات الأهلية التي لها من القدرة والجرأة وبعد النظر دور حقيقي في التواصل مع دوائر صنع القرار الحكومي والتشريعي، من أجل المشاركة في ترسيم السياسات المختلفة، ووضع البرامج العملية من خلال سن القوانين وتحديد الاتجاهات السلوكية عند الأفراد والدولة والمؤسسات،

^{٨٧٨}. انظر في ذلك: تقرير مطول ومفيد منشور في: مجلة القدس / السنة السادسة / العدد (٧٢) / ديسمبر (

٢٠٠٤ م) / ص ٣٣ - ٧٧.

^{٨٧٩}. مثل منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان، ومنظمات الدفاع عن الصحفيين، ومنظمات الرقابة، ونحوها.

الأمر الذي يشكل مانعاً من موانع استفراد فئة المتنفذين بالحكم، ومانعاً أمام هدر الحقوق
وتمميش النخب (٨٨٠) .

^{٨٨٠} . ومن هذه المنظمات: المنظمات الحقوقية، ومنظمات الرأي، ومنظمات الدفاع، ونحوها.

المطلب الرابع

الواقع العلمي والتخصصي

قبل عدة قرون كانت الأمية في العالم سلعة رائجة، حيث جاء في إحدى الإحصائيات: ((ارتفع عدد الأميين خلال السنوات العشر الماضية من " ٧٤٠ مليون إلى " ٨١٠ مليون)) (٨٨١)، وهذا في العشر سنوات السابقة للعام ١٩٧٨ م.

بالرغم من انخفاض هذه النسبة في السنوات الأخيرة، لتهوي من مئات الملايين إلى عشراتهما (٨٨٢)، فإن هذه الأمية تشكل عاملاً من عوامل الهدم الحقيقية في جسد الأمم، وانتشاره يعني الهلاك والبوار والانتكاس.

الحديث عن الأمية في القرن الحالي لا يتناول أمية: فراق الورق والقلم، بل أمية من لون آخر، أمية قد تطال المتعلمين، بل وكثيراً من حملة الشهادات العلمية العليا، أولئك الذين يخلقون في غير فضاءات احتياج أمتهم، وينالون قسطاً وافراً من علم تخصصي لا يتصل بمجتمعهم وطرائق تفكيرهم، بل لا يتماشى مع موروثهم الديني.

أورد العديد من العلماء صوراً جميلة جداً من التخبط الحاصل في موضوعات وطرق اختيار أبحاث ومشاريع الدراسات العليا للأمة المسلمة في مختلف أقطارها (٨٨٣)، حيث يتسابق الناس للحصول على الشهادات العلمية دون أن يعرفوا تبعاتها، ومسؤولياتهم تجاهها، وهذا ما

^{٨٨١}. أهمية الثقافة العمالية وأثرها في التنمية وكيفية تسيير أجهزة ومراكز الثقافة العمالية / مكتب العمل العربي - المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل / دورة الجزائر (٣٠ - ٤ - ١٩٧٨ م إلى ١٠ - ٥ - ١٩٧٨ م) / إعداد: فضل علي عبد الله / دون ذكر الطبعة / ص ٢١٨.

^{٨٨٢}. جاء ذلك في إعلانات منظمة اليونسكو عن أعداد الأمية في العام في العام ٢٠٠٥ م، حيث يصل عدد الأميين في تلك الفترة ما يقارب من ٧٥ مليون شخص.

^{٨٨٣}. انظر في ذلك: الأزمة الفكرية المعاصرة / ص ٤٨ - ٥٢.

يجعلهم يغردون خارج السرب، ويختارون أموراً - بعضها يوصلك للضحك - لا يمكن لها أن تفيد الأمة قطميراً.

لو نظرت إلى العالم الغربي، لوجدته يسبق الأمة المسلمة في هذا الجانب بمسافات، فالجامعات والمعاهد الغربية، وحتى المدارس في الولايات المتحدة، يتم توجيهها ورعاية العمل فيها بكل أشكاله من خلال خبراء مختصين؛ يتابعون مستويات الأداء، وحجم الإنجازات (^{٨٨٤}) ويرعون التوجهات والميول ويؤصلونها.

ومن الأدوار الأساسية للجمعيات الأهلية في طرق البناء المجتمعي، المواجهة مع العدو الجاثم على التراب الفلسطيني: مساندة مشاريع العلم والثقافة، ودعم طلبة العلم التخصصي، وتوجيه أصحاب المهتم العلمية نحو الإسهامات العلمية التخصصية المدروسة، والتي لها في واقع الأمة وحاضرها ومستقبلها أثر (^{٨٨٥}).

لو تم التبصر في مفاهيم الإسلام الحقيقية، والوقوف على دلالات الأحكام الشرعية المتعلقة بالعلم والحض عليه، لكان الفهم الإسلامي التأسيلي للعلم يوفر أكبر مشروع ناهض بالأمة المسلمة، حيث يقول الاستاذ الدكتور إسحق الفرحان:

... إن الدعوة إلى الله تعالى هدف إسلامي استراتيجي، ولا يقتصر هذا الواجب على علماء الدين فقط، وإنما هو واجب كل مسلم، مهما كان اختصاصه ومهنته ومستوى ثقافته. (^{٨٨٦}).

ففي وقت يتسابق فيه بعض بني الإسلام على دراسة الأدب الفرنسي، والنظريات الأدبية في العصر الجاهلي، ونظرات " فلان " في الفن والأدب والتعبير، كان لا بد من تعميم الأدب الإسلامي بكل وجوهه وتصنيفاته، لأن الأدب الإسلامي ((هو رؤية فنية تعبيرية

^{٨٨٤} . مجلة نيوزويك باللغة العربية - الكويت / العدد ٢٦٠ / ٧ يونيو ٢٠٠٥ م / ص ٤٦ .

^{٨٨٥} . انظر في ذلك: قضية المنهجية في الفكر الإسلامي / ص ٨ .

^{٨٨٦} . الإسلام والعالم / أ. د. إسحق أحمد الفرحان / دار الفرقان للنشر والتوزيع - الأردن / الطبعة الأولى (٢٠٠٣ م) / ص ٤٢ .

للإنسان والكون والحياة)) (^{٨٨٧}) من المنظور الإسلامي، وهذا ينسحب على الفروع الدراسية الأخرى، فهذا فقط تتم أسلمة المعرفة.

من مقتضيات الأمانة في حمل العلم والتفرغ له؛ أن يتوجه به المتعلم لتحقيق غايات العلم النبيلة، وتعميم الخير العميم منها على نفسه وأهله ومجتمعه، فالعقل نعمة عهد بها إلى الإنسان وعليه أن يراعي حفظ الأمانة وأدائها (^{٨٨٨}).

لقد نبهنا النبي عليه السلام إلى هذه الزاوية، لقضية التخطيط العلمي، والعمل ضمن نطاق الاستراتيجيات العلمية، فقد

... أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم - زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود، حتى لا يقوموا بتحريف القرآن، فتعلم زيد بن ثابت لغتهم في خمسة عشر يوماً (^{٨٨٩})
وبهذا منع رسول الله صلى الله عليه وسلم العبث بالقرآن من قبل اليهود من خلال الاستراتيجية العلمية.

تصور كم سيتغير حال الأمة لو كان لديها من بنيتها المتجردين للحق وصيانتها من يتوزعون على دروب العلم والمعارف، وتصور كم كان سيختلف الواقع لو قام كل متعلم بأسلمة العلم الذي تخص به، وانظر إلى حال الامة لو تركت تراكم الشهادات العلمية في مجالات لا تسمن ولا تغني من جوع وتصدت للعلم التخصصي في المجالات التي تريدها الأمة، على صعيد الفرد وبنائه، والأسرة ونمائها، والمجتمع ونهضته.

فالمجتمع الفلسطيني واحد من تلك المجتمعات، وهو مفتقد لمجموعة من المنظمات الطوعية التي تقوم بواجب ناهض مقدس، وهو واجب العلم السليم المستمد من أصوله ومبادئه.

^{٨٨٧}. مجلة فلسطين المسلمة / العدد الثاني - السنة الرابعة والعشرون / شباط ٢٠٠٦ م / ص ٥٤، مقال للمفكر الإسلامي والأديب الجزائري د. عبد الحميد بوزوينة.

^{٨٨٨}. انظر في المفهوم الشرعي للأمانة: الموسوعة الفقهية / وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت / الطبعة

الأولى (١٩٨٥ م) / ج ٦ / ص ٢٣٦.

^{٨٨٩}. المدخل إلى علم الاستخبارات / ص ٦٣.

أين هي المنظمات الأهلية الفلسطينية التي تتابع ميول الصغار في فلسطين، وتتابع توجهاتهم العلمية والأدبية وترعاها وتوجهها (٨٩٠)؟

أين هي مؤسسات المجتمع المدني الرائدة التي تحتضن طلبة الثانوية العامة وهم يغادرون مقاعد المدارس، ليتوجهوا إلى المجهول، أو إلى اختياراتهم واختيارات أهلهم التي غالباً ما تكون عشوائية؟

أين هي المراكز والمنشآت الثقافية التي تعتمد أساليب التعليم الاستراتيجي المحظور على العالم العربي؟

أين هي العقلية المدنية التي تطور برامج العمل في استقبال وتوزيع الطاقات الجامعية من الخريجين والخريجات على مدارج النمو التخصصي في تخصصاتهم من خلال أوقات الفراغ المستثمرة؟

أين هي المؤسسات غير الحكومية التي تقتنص الإبداع، وتتفرس في وجوه وصحائف المتألقين من أبناء الأمة لتوظف طاقاتهم في مجالات الرفعة العامة، والخدمة الجماهيرية البعيدة عن النفع الشخصي المحض؟

أسئلة كثيرة يجب على القائمين على العمل المدني الفلسطيني التفكير في إجاباتها، حتى يسود جو من التفاهم على واجبات العمل، فالمعسكر الذي لا حراك فيه تدب فيه الفوضى، ويتشاغل فيه بعض الجنود ببعض، بدل أن يتلهى كل إنسان بما هو قادر على تحقيقه وإنجازها.

^{٨٩٠}. انظر في ضرورة ذلك: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية / د. صالح محمد علي أبو جادو / دار المسيرة للنشر والتوزيع - الأردن / الطبعة الرابعة (٢٠٠٤ م) / ص ٥٢ - ٥٥.

أول الواجبات في هذا الجانب، هو أن ينتقل العقل الفلسطيني من التغيي بمصطلح (الاستثمار) إلى حقيقة وواقع: تخطيط الاستثمار (^{٨٩١}).

^{٨٩١} في الاقتصاد الإسلامي / ص ١٠٧... وانظر في مسائل رعاية المنظمات للمبدعين والأدباء: التعاون الاجتماعي / الشيخ مصطفى الغلاييني / المكتبة العصرية - بيروت / دون طبعة / ص ٦٩.

المطلب الخامس

الواقع الاقتصادي

عانى الشعب الفلسطيني - شأنه شأن الشعوب الأخرى - من المظاهر السلبية للعولمة، وما أفرزه وجود هذه الظاهرة على المستويات المختلفة، وعلى صعيد الواقع الاقتصادي على وجه الخصوص، برغم ما هنالك من تكامل بين الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في الحياة (٨٩٢).

حتى يتم علاج الظواهر السلبية في المجال الاقتصادي، وما نجم عمها من سلوكيات تمس التجارة والزراعة ووجوه العمل الاقتصادي الأخرى، فلا بد من رسم السياسات الداخلية لمواجهة العولمة (٨٩٣)، والتي تبدأ من خلال فهم طبيعة العولمة، وطبيعة النظام الاقتصادي العالمي، وقوى التأثير فيه، ومراكز التأثير، وما هو دور القطاع الاقتصادي في العمل العام.

بمعنى، أن أولى خطوات البناء الاقتصادي الفلسطيني، يكمن في فهم طبيعة هذا الاقتصاد، ومقوماته، وبؤر التأثير فيه، ومجالات التعاطي مع السياسات الاقتصادية العالمية والإقليمية من خلال، سيما وأن فلسطين هي بلاد خيرات وبركات، ولديها من مؤهلات الدخول في اقتصاد السوق الإقليمي والعالمي الشيء الكثير، ولدى منظمات العمل المدني فيها الكثير لتقوم به، حيث تشارك منظمات المجتمع المدني بدور فاعل في التنمية الاقتصادية في المجتمعات التي تنشط فيها (٨٩٤).

^{٨٩٢}. عولمة عادلة (توفير الفرص للجميع) / اللجنة العالمية المعنية بالبعد الاجتماعي للعولمة / منظمة العمل الدولية - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ١٠٤.

^{٨٩٣}. عولمة عادلة (توفير الفرص للجميع) / اللجنة العالمية المعنية بالبعد الاجتماعي للعولمة / منظمة العمل الدولية - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ٥٣.

^{٨٩٤}. انظر في ذلك: التنظيم من أجل العدالة الاجتماعية / التقرير العالمي بموجب متابعة إعلان منظمة العمل الدولية بشأن المبادئ والحقوق الأساسية في العمل / مكتب العمل الدولي - جنيف / مؤتمر العمل الأول - الدورة (٩٢ - ٢٠٠٤ م) / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ١٥.

من باب المقارنة، لو تأملت بداية العمل المؤسسي الصهيوني على أرض فلسطين، والتي كانت في ظل الانتداب البريطاني، حيث نشطت مؤسسات اليهود ونصارى البروتوستانت لترويج فكرة أرض الميعاد من خلال الدور الاحتلالي البريطاني القائم في فلسطين (٨٩٥)، وما تبع ذلك من شراء المؤسسات الصهيونية لأراضٍ فلسطينية أثناء الانتداب بأسماء وهمية، وبأسماء شركات بريطانية ويهودية (٨٩٦)، مثل مؤسسات: "كيرين هموشافيم، بنك آي هاي، تاغموليم لموشانيم، بنك مورتاجاج، وغيرها؛ لعلمت أن الدولة الصهيونية تم تدعيم وجودها بشكل كبير بعد اعتمادها على الجانب الاقتصادي، وصناديق تمويل الهجرة، ومنظمات شراء الأراضي الفلسطينية، والبنوك التي كانت تتعامل بالربا وتستثمر المال في سبيل تحقيق غاية الوجود الصهيوني على الأرض الفلسطينية.

الاقتصاد - بلا ريب - عنصر مهم في عملية الارتقاء والنمو في مجالاته المختلفة، وهو دعامة من الدعائم الهامة التي يقوم عليها البناء الاجتماعي والسياسي والتقني، ورافد هام لكل المجالات الأخرى.

ولعلم الاحتلال الصهيوني بنقاط القوة في المجال الاقتصادي الفلسطيني، فقد قام باستهدافها، حيث سيطر على موارد الثروة، ومناطق العمل الاستراتيجي، واحتفظ لنفسه بالبقاع الساحلية والموانئ والشطآن والأراضي الزراعية ومصادر المياه الجوفية وغيرها.

ونتيجة بناء المستوطنات، وسلب الفلسطينيين مناطقهم الاستراتيجية، والسياسات التي تقوم بها إدارة العمل الصهيوني في فلسطين، وما فعلته في تقطيع أشلاء الجسد الواحد بالحواجز ونقاط التفتيش القتالة، والأسوار العازلة، وسياسات حظر التجوال ونحوها، كانت الخسائر الاقتصادية نتيجة تدمير البنى الاقتصادية التحتية لفلسطين كبيرة وهائلة (٨٩٧).

^{٨٩٥}. انظر: استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة / ص ٦٠ - ٧١.

^{٨٩٦}. انظر: استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة / ص ٧١ - ٧٢.

^{٨٩٧}. انظر: مجلة الملف الدوري (٩) / مركز دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا / موضوع الانتفاضة الفلسطينية / تقرير: مركز الأقصى للإعلام / ص ٢٣ - ٢٥... وكذلك: الاقتصاد الفلسطيني - تحديات التنمية في ظل احتلال

يضاف إلى ذلك؛ استهداف عوامل الأمن الاجتماعي لعلاقته المباشرة بالاقتصاد والنمو والتنمية (٨٩٨)، ودوره في تقليل فرص الاستثمار الخارجي والإقليمي، ومنع العلاقات الاقتصادية مع المحيط العربي والإسلامي في صورتها التنموية، والاقتصار على الاستيراد الذي هو في جانب الكماليات لا في مجال استيراد معززات التنمية وبواعث العمل والنهوض في مجال الآلات والتقنيات المتعددة.

ولكون الاقتصاد الفلسطيني يقع بالكامل تحت الحصار والتضييق الإسرائيلي (٨٩٩)، وتطال اليد الصهيونية العقلية الاقتصادية الكبرى بالتهديد والاستهداف حتى لا يتأثر الاقتصاد الصهيوني، فقد عمد الاحتلال إلى التضييق على الفلسطينيين بصورة أكبر، حتى يقل قف طوحهم الاقتصادي، فعمد إلى ملاحقة واعتقال الصيادين (٩٠٠)، وفرض الحصار والرقابة المشددة على الأموال الداخلة، ومنع إقامة المنشآت المستدامة (٩٠١) وحطم مقومات الإنتاجية (٩٠٢) الأمر الذي جعل رؤوس الأموال يفكرون مليون مرة قبل الإقدام على إقامة مشروع اقتصادي في فلسطين، سيما وأن أماتهم مجالات وبيئات اقتصادية اشد نمواً وأكثر إداراً للربح.

مديد / حرر الكتاب: جورج العبد / لمجموعة من المؤلفين / مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة التعاون الفلسطينية - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٨٩ م) / ص ٣١٣.

SOCIAL SECURITY – ANEW CONSENSUS / INTERNATIONAL .٨٩٨

.LABOUR OFFICE – GENEVA/ F. P (2001) / P.11 – 13

٨٩٩. وضع عمال الأراضي العربية المحتلة - تقرير المدير العام - ملحق / مؤتمر العمل الدولي - جنيف، الدورة

٩٦-٢٠٠٧ م / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / ص ١٩ - ٢٦.

٩٠٠. مجلة الملف الدوري (٩) / مركز دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا / موضوع الانتفاضة الفلسطينية / تقرير:

مركز الأقصى للإعلام / ص ٢٢.

٩٠١. تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٩٦ / ٢٠٠٧) / مكتب العمل

الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، صفحة ١ - ٣.

٩٠٢. الكفاية الانتاجية / رشاد رمزي / الاتحاد الاشتراكي العربي - مؤسسة الثقافة العمالية / مجموعة المراجع

الأساسية (١٩) / دون طبعة / ص ٦ - ١٠.

سبق التعريف بموقع فلسطين الاستراتيجي وثرواتها، والخيرات الموجودة فيها^{٩٠٣} (،فلسطين بموقعها وخيراتها بيئة اقتصادية من الطراز الأول، والتجارة الخارجية من فلسطين سنوياً تقدر بملايين الدولارات الأمريكية (٩٠٤).

إذاً؛ كان لا بد من البدء بمشروع: تخطيط الاستثمار الفلسطيني (٩٠٥)، والتفكير الحقيقي والبناء في تعميق حالة التنمية المستدامة (٩٠٦)، بما يعتمد على توفير المقومات الأساسية الموجودة والمستحلبة وإنتاجية (٩٠٧) الموارد (٩٠٨).

فلا يكفي من منظمات المجتمع المدني أن تتعامل في الجانب الاقتصادي من زاوية فهمها الموضوعي، بل لا بد أن تقفز فوق ذلك، وتختار ما فيه تحقيق التنمية الحقيقية، لا أن تتكفّف صندوق النقد الدولي، وتبقى عاجزة عن توفر مناخات الاستثمار الداخلية التي تفوق عائدها ما قد يقدمه هذا الجانب أو تلك الجهة الممولة.

انظر إلى حقيقة ما يجري على الأرض الفلسطينية لتعرف صدق ما يطرحه الباحث هنا، حيث تجد أن

^{٩٠٣}. انظر في ذلك الفصل الخاص بفلسطين (الفصل الثاني) في هذا البحث.

^{٩٠٤}. انظر: المجموعة الإحصائية الفلسطينية (١٩٨٣ م) - العدد الخامس / الدائرة الاقتصادية - منظمة التحرير الفلسطينية / المكتب المركزي للإحصاء - دمشق / طبعة عام (١٩٨٣ م) / ص ٨٢ - ٨٤.

^{٩٠٥}. في الاقتصاد الإسلامي / ص ١٠٧.

^{٩٠٦}. انظر في ذلك: إعادة إعمار فلسطين [القضايا - الخيارات - السياسات - الاستراتيجيات] / مجموعة مؤلفين / تحرير: أنطوان زحلان / مركز دراسات الوحدة العربية، والمجلس الاقتصادي الفلسطيني للتنمية وإعادة الإعمار / الطبعة الأولى (١٩٩٧ م) / الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت / موضوع: بناء المؤسسات لتخطيط مستدام / رولف جنسن - سميح العبد أولف تلفسن / ص ١١٧ - ١٢٨.

^{٩٠٧}. انظر في: الإنتاجية - مفهومها - أهميتها - العوامل لتحسينها - العوائق في طريقها كتاب: إدارة الإنتاجية / مرشد عملي / جوزيف بروكوبنكو / مكتب العمل الدولي - جنيف / منظمة العمل الدولية ومكتب العمل الدولي، ومنظمة العمل العربية ومكتب العمل العربي / الطبعة العربية الأولى (١٩٩٨ م) / ص ١٩ - ٣٦.

^{٩٠٨}. عولمة عادلة (توفير الفرص للجميع) / اللجنة العالمية المعنية بالبعد الاجتماعي للعولمة / منظمة العمل الدولية - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ٦٢ - ٦٣.

هناك مئات من المنظمات الأهلية والثقافية الفلسطينية التي يصل تعدادها إلى ما يقارب (١٨٠٠) منظمة تعتمد على الدعم الأوروبي والأمريكي المتدفق، والذي ركز على بناء الأمن – الأجهزة الأمنية السلطوية – والتثقيف الديمقراطي، والنسوي، وتطبيع العلاقات، وحتى المشاريع العامة كانت بغرض التدريب والتطوير، وليس للبناء والإنشاء (٩٠٩)

فأين تخطيط الاستثمار في ذلك؟ وأين العدالة الاجتماعية في مشاريع الدعم الهامشي التي لا تمس البنية التحتية العامة للاقتصاد؟

و لأن أمة الإسلام أمة الخلود

ولأننا أصحاب الرسالة الخاتمة، رسالة الإصلاح الذي ينتفي به الفساد، ورسالة النور الذي ينقشع به الظلام.. (٩١٠)

كان على القائمين على المجتمع المدني الفلسطيني من النخب والمثقفين أن يقفوا أمام مسؤولياتهم، وأن يتفكروا في حال مجتمعهم، وأن يحسنوا قراءة الخريطة العامة لاحتياجاته ومتطلباته على مختلف الأصعدة، ليقوموا بالبدء الفوري في تخطيط عملي هادي ومستوعب، يكون من شأنه أن يثري العمل الاقتصادي الفلسطيني في مجالاته الفاعلة.

نقطة البدء الحقيقية هي: إنشاء المراكز المختصة بإيجاد وتطوير المشاريع الصغيرة التي تحارب الفقر من خلال العمل اللائق (٩١١)، ويقصد بالمشاريع الصغيرة، تلك المشروعات التي تمكن فرداً أو مجموعة من الأفراد من التكفل بقوت يومهم؛ من خلال عملهم الفعلي في مجال ما

^{٩٠٩}. مجلة الوعد / العدد الأول – السنة الحادية عشرة / موضوع بعنوان: الشعب الفلسطيني في ظل التحديات / همام عبد ربه الديباري وياهر عبد الفتاح غانم / ص ٤ – ٥.

^{٩١٠}. رسالتي إلى الشباب / أ. محمد مهدي عاكف – المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين / دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ١٥.

^{٩١١}. انظر في ذلك: التنظيم من أجل العدالة الاجتماعية / التقرير العالمي بموجب متابعة إعلان منظمة العمل الدولية بشأن المبادئ والحقوق الأساسية في العمل / مكتب العمل الدولي – جنيف / مؤتمر العمل الأول – الدورة (٩٢ – ٢٠٠٤ م) / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ١٥.

يستطيعونه (٩١٢) الأمر الذي نبّه إليه العديد من الباحثين من أصحاب التخصص والدراية (٩١٣) .

يكون البدء بها صحيحاً لكونها تنشأ من مجموعات صغيرة من الناس، تعمل في مشروعات صغيرة، لا تلفت نظر الاحتلال إليها، على أن لا يكون عملها موضعياً لكسر حاجز الفقر ودفع الحاجة، بل لتكون منطلقات لتوفير مصادر الإنتاج، وآلات الإنتاجية المثمرة، التي تؤدي إلى أن تصبح كل مجموعة صغيرة من هؤلاء نواة اقتصادية بحد ذاتها، يجمعهم مشروع مشترك، ويتحركون في فضاء معلوم لديهم.

في وقت تنشط فيه منظمات المجتمع المدني الفلسطيني في تنظيم عملية الإرشاد الزراعي (٩١٤)، وإقامة دورات تدريب للصيادين والمزارعين (٩١٥) ونقابات المهنيين والحرفيين والعمال رؤوس الأموال، فإن من واجباتها أن تقيم للعنصر البشري اعتباره اللائق به (٩١٦) من خلال مجهود أكبر يبذل لتحقيق سعادته واستقراره الاقتصادي، بما يؤمن له الحياة

٩١٢ . كمشاغل الخياطة للنساء، وبعض مشاغل الحرف اليدوية للرجال، ومشروعات التريكو والنسيج، وصناعة الفخار ونحوها.

٩١٣ . انظر: دور المشاريع الصغيرة في الحد من الفقر والبطالة في الأردن / تحرير: موسى شتيوي / مؤلف جماعي للأستاذ موسى شتيوي وآخرين / المركز الأردني للبحوث الاجتماعية وصندوق التنمية والتشغيل - الأردن / الطبعة الأولى (٢٠٠٢ م) / دار قنديل للنشر والتوزيع - الأردن / ص ١٠١ - ١٢٥ ... وكذلك: مشكلة البطالة وأثر برنامج الإصلاح الاقتصادي عليها - دراسة تحليلية تطبيقية / د. علي عبد الوهاب نجا / مطبوعات الدار الجامعية - الاسكندرية / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٢٩٧ - ٣١٦ .

٩١٤ . انظر في ذلك: نحو استراتيجية وسياسات بعيدة المدى للتنمية الزراعية / علي التوم / مؤتمر القطاع الزراعي في السودان / المؤتمر الاقتصادي القومي / ص ٨ وما بعدها.

٩١٥ . هناك دورات عديدة تعطى للصيادين والمزارعين والحرفيين في مجالات عملهم لتطوير أدائهم، وإفادتهم بالعلم الحديث والتقنيات المعاصرة المتعلقة بمجال عملهم، كدورات تدريب الصيادين في قطاع غزوة، والدورات التدريبية لمدراء المدارس الخاصة في الأردن، وغيرها، وانظر في ذلك أيضاً: نحو استراتيجية وسياسات بعيدة المدى للتنمية الزراعية / علي التوم / مؤتمر القطاع الزراعي في السودان / المؤتمر الاقتصادي القومي / ص ٨ وما بعدها..

٩١٦ . انظر في ذلك: صحيفة نبض العمال / صحيفة دورية شاملة تعنى بقضايا العمال - السودان / العدد الخامس / الأربعاء ٢٠٠٧/٧/٤ م / الصفحة الأولى / مقالة للسيد مالك بشير أمين / مقالة بعنوان: تنمية الموارد البشرية والاستثمار يوضح الرؤى المستقبلية لمشاريع الاتحاد.

الكريمة (٩١٧)، ويجعل منه مشروعاً استثمارياً حقيقياً، لا فرداً منتظراً للعون بعد كل فترة زمنية.

من مجالات التنمية الاقتصادية المثمرة، والتي يمكن لها ان تحقق الانفتاح المطلوب في العمل الاقتصادي: طرح العديد من البرامج التأهيلية والاقتصادية للمرأة (٩١٨)، بوصفها نصف المجتمع عدداً، والشريحة الأكثر تغييباً عن الواقع الاقتصادي الفلسطيني، ولكون أن التنمية لا تتم إلا من خلال مشاركة المرأة فيها بفاعلية.

فأما التأهيل، فما هو حاصل في جميع البلدان العربية والغربية من نشاطات، ودورات، ومحاضرات في تأهيل النساء على إدارة وتعليم أطفال رياض الأطفال، ومشروعات الغزل والنسيج والتريكو (٩١٩)، ويظهر تطوره في بناء مشروعات الإنتاج الأسري (٩٢٠)، ويظهر النمو الحقيقي فيه عند عدم الاقتصار على إستراتيجيات النمو الاقتصادي التي تفرضها المؤسسات الاقتصادية الدولية، مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي (٩٢١)، والتي هي مخصصة لعلاج الآثار وتناسي أصل الخلل.

٩١٧. وهذا بدوره يؤدي إلى تراجع نسبة الفقر وزيادة فرص العمل الكريم أمام شريحة من المجتمع، وانظر في ذلك: ٩١٧. انظر في ذلك: التنظيم من أجل العدالة الاجتماعية / التقرير العالمي. بموجب متابعة إعلان منظمة العمل الدولية بشأن المبادئ والحقوق الأساسية في العمل / مكتب العمل الدولي - جنيف / مؤتمر العمل الأول - الدورة (٩٢ - ٢٠٠٤ م) / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ١٥.

٩١٨. انظر في ذلك: بحث منشور على الانترنت، بعنوان: المنظمات الأهلية الفلسطينية / للباحثة: عبلة محمود أبو عبلة.

٩١٩. كالحال في مصر، والجزائر ونحوها.

٩٢٠. وانظر في ذلك: actions programmes for the protection of home workers- ten case- studies from around the world – edited by: ursula huws- international labour office – Geneva – (1995) – the introduction- p.8.

٩٢١. انظر في ذلك: بحث منشور على الانترنت، بعنوان: المنظمات الأهلية الفلسطينية / للباحثة: عبلة محمود أبو عبلة.

حتى تصل إلى هذه الحقيقة، فعليك النظر إلى الدعم المادي المقدم لعلاج الأمراض والأوبئة والفقر في العالم الثالث، والدول النامية، فهذا مثل حي، لكونه يظل مداراة لأسباب الصدارة الفعلية لوجوده، فعلاج مرض ما دون الوقوف على مصادر انتشاره وأسبابه؛ يعني تبذير المال فيما لا يرجى منه البرء، وهذا ما أشار إليه أندريه جاك نوسي حين قال:

... يتم إنفاق آلاف الملايين من دولارات المساعدات الصحية في مكافحة الأوبئة،

بينما تظل البنية التحتية التي ساهمت في تفشي الوباء تعاني من شح مزمّن في الموارد.. (٩٢٢)

وجانب الاقتصاد يوضح هذه الحقيقة بصورة أجلى وأوضح.

ومن الدور المنوط الجمعيات الأهلية الفلسطينية، المساهمة في توفير فرص عمل للخريجين من الشباب، والعاطلين عن العمل منهم، وإقامة المشروعات الإنتاجية لتحسين الدخل (٩٢٣)، ونشر الوعي والثقافة الداعمة للعمل المؤسساتي الاقتصادي (٩٢٤)، وتبصير النخب الاقتصادية ورؤوس الأموال بدور المنشآت في المجتمع (٩٢٥)، ووضع وإقرار ترتيبات طوعية لتعزيز قدرة المجتمع على التعاملات المالية (٩٢٦)، ونشر الأهمية الحقيقية في وجود المنشآت الاقتصادية التي تعزز قوة المجتمع الذاتية (٩٢٧) وتجعله قادراً على الاستقرار ولو بشكل نسبي.

^{٩٢٢} . مجلة (foreign policy) - النسخة العربية / عدد نوفمبر / ديسمبر ٢٠٠٤ م / مقال بعنوان: وباء السياسة / بقلم أندريه جاك نوسي / ص ٦٦ .

^{٩٢٣} .. مجلة الوعد / العدد الأول - السنة الحادية عشرة / موضوع بعنوان: الشعب الفلسطيني في ظل التحديات / همام عبد ربه الديباري و باهر عبد الفتاح غانم / ص ٦ - ٧ .

^{٩٢٤} .. تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٢٠٠٧ / ٩٦) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، ص ٤٢ .

^{٩٢٥} . انظر: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٢٠٠٧ / ٩٦) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، ص ٩٧ - ١٠٧ .

^{٩٢٦} . ALTERNATIVE SCHEMES OF FINANCING TRAINING / EDITED BY: VLADIMIR GASSKOV / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE - GENEVA / F. P (1994) / P.8

^{٩٢٧} . انظر: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٢٠٠٧ / ٩٦) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، ص ٩٧ - ٩٨ .

هذه النقطة جوهرية في العمل الاقتصادي البناء، حيث ((تعد مشاكل الشباب، وبحق، قضية الساعة للشعب العربي بأكمله، ومن ثم؛ فإنه لم يعد من الممكن أو من المسموح به إهمال قضاياهم، أو التباطؤ في إيجاد الحلول الحاسمة لها، ولا سيما في نطاق توليد فرص العمل والتشغيل لهم)) (٩٢٨).

ملامح الاستقرار والنمو الاقتصادي في المجتمع الفلسطيني تتحقق بالفعل في ظل تنامي دور المنشآت المستدامة الكبرى (٩٢٩)، وتوسيع دائرة النشاط الاقتصادي من خلالها، حيث إن

تعزيز المنشآت المستدامة موضوع عام وواسع النطاق، لا سيما أن المنشآت تتخذ أشكالاً عديدة... وتعزيز المنشآت المستدامة يهدف إلى تقوية المؤسسات؛ ونظم الإدارة التي تغذي المنشآت؛ نظراً إلى أن الأسواق القوية والفعالة تحتاج إلى مؤسسات قوية وفعالة، كما يهدف إلى ضمان الجمع بين الموارد البشرية والمالية والطبيعية على نحو عادل وفعال، لغرض الابتكار وتحسين الانتاجية.. (٩٣٠).

فالمجتمع الفلسطيني بحاجة إلى منظمات طوعية غير حكومية تتابع النمو والنهضة الاقتصادية، لا سيما في ظل تقييد السلطة الفلسطينية باتفاقات الحل مع الدولة الصهيونية، والتي قررت أن كل نمو اقتصادي فلسطيني سيؤثر سلباً على الاقتصاد الصهيوني، وبوصفها القوة العسكرية الأقوى، فهي من يقرر ما يسمح ولا يسمح في المجتمع الفلسطيني، في ظل طأطأة البعض رؤوسهم لها بكرة وعشياً، دون ان يتقدموا بالشعب الفلسطيني قيد أمثلة على الاستقلال الاقتصادي.

^{٩٢٨}. تنمية الموارد البشرية العربية / ص ٤١ - ٤٢... وانظر كذلك: الشباب العربي وتحديات المستقبل / سلسلة الحوارات العربية ٢ / ٢٠٠٥ / مجموعة مؤلفين / منتدى الفكر العربي - الأردن / دار حرير للطباعة والنشر والتوزيع - عمان / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / موضوع دور الشباب في المجتمع / أ. منى شقير / ص ١٤١ - ١٩٠.

^{٩٢٩}. انظر في مفهوم المنشأة المستدامة: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٢٠٠٧/٩٦) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، صفحة ١ - ٣.

^{٩٣٠}. تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٢٠٠٧/٩٦) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، صفحة V في المقدمة.

الواقع الفلسطيني يحتاج بالفعل إلى مؤسسات اقتصادية ناجحة، ناجحة في أهدافها، وناجحة في تخطيطها، وناجحة في تأثيرها في المجتمع المحلي، ((ومن أهم مميزات المؤسسة الناجحة:

١. امتياز العمل والخدمات.

٢. المنتج المميز

٣. اكتساب مودة المتعامل معه (((٩٣١).

ولكون الاحتلال يفرض الرقابة العامة على العمل الاقتصادي، فإن خير متنفس للشعب الفلسطيني هو أن يلتجئ إلى منظمات المجتمع المدني، ليعمل من تحت عباءتها، ويطور نفسه على مختلف الأصعدة، لكونها منظمات تحظى - من حيث الأصل - بإقرار المجتمع الدولي، ووجودها نقطة فارقة في العمل السياي والاقتصادي في نظر الغرب ودوله.

من هنا، وجب أن تقوم هذه المنظمات غير الحكومية بدور الدولة في الجانب الاقتصادي بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وأن تكفل تحقيق أعلى منسوب من النمو من خلال المشروعات الإنتاجية، وسعيها الدؤوب لاستيراد آلات الانتاجية المثمرة، وعملها على تطوير ما هو موجود من المشروعات، ليكون مشروع أمة، بدل أن يكون مشروع جماعة صغيرة هامشية في المجتمع.

ومن المشروعات المقترحة للتطوير والرقى الاقتصادي، والتي يسهل أن تكون موجودة، وأن تكون منطلقاً لمشروعات اقتصادية كبرى: افتتاح صناديق الادخار والتكافل الاجتماعي (٩٣٢)، والمشروعات التي تبدو صغيرة في ظاهرها، ولكنها كبيرة في مردودها لو

^{٩٣١} قيادة السوق / د. طارق السويدان / ضمن سلسلة الاتجاهات الحديثة في الإدارة (٣) / قرطبة للإنتاج الفني، وشركة الإبداع الخليجي / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م) / ص ٤٩.

^{٩٣٢} .. نشرة بعنوان: الدور الاجتماعي للنقابات / حاج علي إبراهيم / مؤتمر الحوار النقابي - مكتبة اتحاد عام عمال السودان - الخرطوم / ص ٨.

أحسن استغلالها، مثل مشروعات: توفير فرص عمل لذوي الدخل المحدود في مسائل العمل، العلاج، البيئة الصحية، ومن خلال المشاريع الداعمة لها (٩٣٣).

بما أن المجتمع الفلسطيني مجتمع مسلم، فإن المشروعات الحقيقية التي يمكن لصناديق الزكاة أن تحققها من خلال رؤية ناضجة واضحة المعالم فيها ستحقق الكثير، فالزكاة سبيل حقيقي ومؤثر من سبل التنمية الاجتماعية، وقد شاهدت بنفسي مشاريع رائدة من خلال صناديق الزكاة (٩٣٤).

يبقى أن يشير الباحث هنا إلى أن المهم الواسع للتنمية الاقتصادية الفلسطينية يتمثل في تحقيق الاستقلال الاقتصادي الحقيقي، والكفاية الذاتية على مستوى المواد الخام، وآلات الإنتاج والقوى البشرية والخبراتية العاملة، ويتحقق ذلك من خلال تشجيع المنتجات الوطنية في مقابل الاستيراد من "إسرائيل" (٩٣٥)، كون اعتماد الاقتصاد الفلسطيني على المواد الخام الصهيونية، يشكل لوناً من ألوان التطبيع الاقتصادي مع الصهاينة (٩٣٦) والذي يجب قطعه حتى يكون للفلسطينيين بعد ذلك ان يطالبوا العالم العربي والغربي بمقاطعة الإنتاج الصهيوني للتأثير عليه.

وفي ظل السماح العالمي بتشكيل النقابات الصناعية والتجارية والمهنية (٩٣٧) كان لا بد لرؤوس الاموال الفلسطينيين أن يتقدموا واثقي الخطى في تأسيس جبهات اقتصادية حقيقية في الأرض الفلسطينية، وان يباشروا المشروعات الإنمائية المدرة للدخل، والمتعمدة على اليد

^{٩٣٣}. نشرة بعنوان: الدور الاجتماعي للنقابات / حاج علي إبراهيم / مؤتمر الحوار النقابي - مكتبة اتحاد عام عمال السودان - الخرطوم / ص ٥.

^{٩٣٤}.. انظر في ذلك: أثر جهود الإنقاذ في ترقية المجتمع - سلسلة إصدارات الوعد الحق (٣٠) / المركز القومي للإنتاج الإعلامي / الشيخ عبد الجليل النذير الكاروري / دار الفكر - بيروت / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٦٧ - ٧٣.

^{٩٣٥}. انظر في ذلك: وثائق حركة المقاومة الإسلامية حماس / من وثائق الانتفاضة المباركة / سلسلة بيانات الحركة / السنة الأولى للانتفاضة / المكتب الإعلامي لحركة حماس / السلسلة الأولى / الطبعة الأولى / ص ٥٥.

^{٩٣٦}. انظر: التطبيع - استراتيجية الاختراق الصهيوني / ص ٩٤ - ١٠٢.

^{٩٣٧}. انظر: النقابة العامة لعمال التعليم العام / العمل النقابي للمعلمين وعمال التربية والتعليم / دراسة توثيقية للفترة من ١٩٤٨ م - ٢٠٠٥ م / دون ذكر طبعة / ص ١.

العاملة الفلسطينية، والخبرة الفلسطينية، فالزراعة ميدان نمو جماعي، والاقتصاد ساحة إنماء فردي ومجتمعي، و((التجارة لعبة فريق)) (٩٣٨).

يشير الباحث هنا إلى ضرورة تبني النمط العلمي في التأسيس النظري والعملية للعمل الاقتصادي، وذلك من خلال استثمار كل ما هو متاح من المجالات الدراسية والتخصصية المتعلقة بهذا الجانب، كعلم الاجتماع الصناعي، الذي يتناول واقع العمل والعمال وظروف الإنتاج وبناء الخطط وآثار الاضطرابات ونحو ذلك من أمور (٩٣٩)، وهو واحد من متعدد بلا ريب.

^{٩٣٨}. قيادة السوق / د. طارق السويدان / ضمن سلسلة الاتجاهات الحديثة في الإدارة (٣) / قرطبة للإنتاج الفني، وشركة الإبداع الخليجي / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م) / ص ٩٢.

^{٩٣٩}. انظر في ذلك: المجتمع والتصنيع - دراسة في علم الاجتماع الصناعي / د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان / المكتب الجامعي الحديث - الاسكندرية / الطبعة الأولى (١٩٩٦ م) / ص ٦١.

الفصل الثالث

وفيه المباحث والمطالب الآتية:

المبحث الأول: ظروف نشأة وتطور المجتمع المدني الفلسطيني، وفيه المطالب الآتية:

١. نشأة المنظمات الأهلية الفلسطينية.
٢. العمل المدني بين النكبة والنكسة.
٣. دور منظمات المجتمع المدني قبل أوسلو.
٤. العمل المؤسسي في ظل سلطة أوسلو.
٥. آفاق الممنوع والمسموح في ظل تطلعات الدول الاستعمارية.
٦. امتلاك الوضع القانوني، وفيه مسألتين:
 - تسجيل المؤسسات في ظل الاحتلال.
 - الحصول على الترخيص للمؤسسات في ظل سلطة أوسلو.

المبحث الثاني: شكل وإشكاليات المجتمع المدني الفلسطيني، وفيه المطالب الآتية:

١. طبيعة تشكيل المجتمع المدني الفلسطيني.
٢. منظمات المجتمع المدني في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ م.
٣. المنظمات المدنية الفلسطينية خارج الوطن.
٤. علاقة المؤسسة بالواقع السياسي الفلسطيني، وفيه مسألتين:
 - العلاقة النظرية.
 - العلاقة الفعلية التطبيقية.
٥. إشكاليات العمل المؤسسي الفلسطيني، وفيه مسألتين:
 - الإشكاليات المتعلقة بالنظام السياسي الفلسطيني.
 - الإشكاليات المتعلقة بالمجتمع المدني.
٦. القطيعة بين المفكرين والساسة.

المبحث الثالث: المجتمع المدني الفلسطيني وعلاقته بشرائح المجتمع الرئيسة، وفيه المطالب الآتية:

١. واقع المرأة الفلسطينية في المجتمع المدني الفلسطيني وفيه أربع مسائل:
 - المرأة في المجتمع الفلسطيني.
 - المجتمع المدني النسوي الفلسطيني.
 - المنظمات النسوية الهدامة في فلسطين.
 - مواجهة المنظمات المدنية النسوية في فلسطين.
٢. دور الشباب في المجتمع المدني الفلسطيني، وفيه مسألتين:
 - واقع الشباب الفلسطيني.
 - مشاريع العمل المؤسساتي الشبابي البناء.
٣. مؤسسات رعاية الطفولة الفلسطينية، وفيه مسألتين:
 - واقع الطفولة الفلسطينية.
 - الطفولة الفلسطينية في العمل المدني الفلسطيني.

المبحث الرابع: مساعي الصهاينة لتدمير المجتمع المدني الفلسطيني، وفيه المطالب الآتية:

١. الترغيب المادي والمعنوي.
٢. أسلوب العصا الغليظة، وفيه مسألتين:
 - الترهيب للمؤسسات المدنية في طور التأسيس.
 - الترهيب لمؤسسات المجتمع المدني القائمة.
٣. مجالات الحصار للدوائر المجتمعية.
٤. الشائعات التي تستهدف المؤسسات الفلسطينية.

المبحث الأول

ظروف نشأة وتطور المجتمع المدني الفلسطيني

المطلب الأول

نشأة المنظمات الأهلية الفلسطينية

عرفت الأرض الفلسطينية صوراً من العمل المدني في سنوات الحكم الإسلامي العثماني لها، حيث كانت فلسطين تابعة لبلاد الشام، وتحت المسؤولية المباشرة لخليفة المسلمين (^{٩٤٠})، وانتشر في الحقبة العثمانية جانب من العمل المدني بشكله التقليدي البدائي، الذي اعتمد على منطلقات الفكر السائد في تلك الحقبة.

وبعد التآمر على الدولة العثمانية وانهارها، أصبحت فلسطين بغير قيادة، وبات الانتداب البريطاني الذي استولى على ترابها يتعامل معها كأنها جزء من مملكته التي لا تغيب عنها الشمس، حيث أمعن في سياسات فرض الأمر الواقع، واستصدار القوانين والفرمانات العسكرية، وحكم البلاد بالنار والحديد.

ونظراً لكون الشعب الفلسطيني يتمتع بطبيعة ممزوجة بالعزلة، ولا يقبل الظلم والضييم وأن تضيع حقوقه وتسلب كرامته، فقد قاد ثورات عديدة متلاحقة ضد الوجود

^{٩٤٠}. انظر في ذلك: الموسوعة الفلسطينية / القسم الثاني / الدراسات الخصة / المجلد الخامس / دراسات القضية الفلسطينية / الطبعة الأولى - بيروت (١٩٩٠ م) / موضوع: مدخل إلى دراسة القضية الفلسطينية / د. محمد الفرا / ص ٧.

البريطاني، وقد كانت هذه الثورات تقاد من التجمعات الفكرية والسياسية والقبلية الموجودة في الميدان الفلسطيني، أي أنها كانت تقاد من رحم التجمعات المدنية والأهلية (٩٤١).

لكن العمل في المجتمع المدني الفلسطيني في أوائل الوجود البريطاني على الأرض الفلسطينية كان يعتمد على الترابط الكبير مع المجتمعات العربية المجاورة، ويتخذ منها دعماً له في مشروعاته الأهلية، معتمداً على المحضن العربي والإسلامي لشعوره بكون قضيته هي قضية كل عربي ومسلم.

يقول الدكتور محمد الفراء: ((إن هذه الحركة الوطنية الفلسطينية كانت وحدوية، تؤمن بأنها جزء من الوطن العربي الكبير، وتسعى مع قادة الأمة العربية لتحقيق الوحدة بين الأقطار العربية)) (٩٤٢).

وتعلق الدكتورة خيرية قاسمية على طبيعة العمل الفلسطيني في تلك الحقبة الزمنية بقولها:

والأمر الجدير بالملاحظة؛ أن النضال ضد الصهيونية كان يشمل قطاعات الشعب كلها، من الوجهاء أو من الذين نالوا قدراً من التعليم، والملاكين الصغار، والتجار والأفندية والموظفين الصغار إلى الفلاحين البسطاء، فالتناقضات الاجتماعية والاقتصادية داخل المجتمع العربي الفلسطيني - على الرغم من أهميتها - كانت ثانوية في حركة النضال، لأن الغزو الصهيوني كان عدواً قومياً وطبقياً يتهدد المجتمع بكامله، اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، الأمر

^{٩٤١}. كما حصل في ثورة البراق لرفض استيلاء الصهاينة على حائط البراق في المسجد الأقصى، وثورة القسام في العام ١٩٣٥ - ١٩٣٦ م والتي كان وقودها العمل المسجدي، وربانها هو الشيخ القسام، خطيب المساجد والداعية المعروف.

^{٩٤٢}. الموسوعة الفلسطينية / القسم الثاني / الدراسات الخصة / المجلد الخامس / دراسات القضية الفلسطينية / الطبعة الأولى - بيروت (١٩٩٠ م) / موضوع: مدخل إلى دراسة القضية الفلسطينية / د. محمد الفراء / ص ١٥.

الذي جمد ظهور بعض التناقضات، وأدى إلى مشاركة مختلف الطبقات، وبوسائل مختلفة متباينة الإندفاع والقوة، بالتعبير عن معارضتها للصهيونية والمجرة اليهودية (٩٤٣).

ساهم هذا الاندماج بين شرائح المجتمع المختلفة في تلك الفترة إلى توحيد البوصلة باتجاه رفض سياسات الاحتلال البريطاني والنمو الصهيوني واليهودي على الأرض الفلسطينية، الأمر الذي اشتركت به القوى السياسية والوجهاء وكبراء العائلات والشخصيات المتعلمة، كل في مجاله وتخصصه.

وقد كان الإسلاميون موجودون في تلك المرحلة بقوة، فقد كانت طلائع العمل الإسلامي في جماعة " الإخوان المسلمون " في فلسطين تعمل بالشكل المدني، حيث كانت لها دور ومراكز الجماعة، والنوادي الرياضية، والكتل النقابية والطلابية (٩٤٤)، ومجموعة من البناءات المؤسسية في كل بقاع فلسطين، وإن لم تكن جميعها على قدر عالٍ من التقدم والفاعلية (٩٤٥).

كما كان في المجتمع الفلسطيني لون من ألوان العمل المدني، وهو وجود العمل السياسي المنطلق من التوجهات المجتمعية، حيث بدأت المؤسسات في التدخل في العمل السياسي، حيث كان كادر المؤسسات هو رائد العمل السياسي، وكان لتلك المنظمات المدنية

^{٩٤٣}. الموسوعة الفلسطينية / القسم الثاني / الدراسات الخصة / المجلد الخامس / دراسات القضية الفلسطينية / الطبعة الأولى - بيروت (١٩٩٠ م) / موضوع: الحركة الوطنية الفلسطينية في ثلثي القرن الحالي (١٩٠٠ م) / د. خيرية قاسمية / ص ٤٢.

^{٩٤٤}. انظر في ذلك: حركة المقاومة الإسلامية (حماس) - جذورها - نشأتها - دورها السياسي (١٩٢٠ - ١٩٩٤ م) / خالد نمر أبو العميرين / رسالة ماجستير، بإشراف: د. التيجاني عبد القادر / اقرت عام (١٩٩٤ م) / جامعة الخرطوم - السودان / ص ٢٠٩.

^{٩٤٥}. انظر في ذلك: حركة المقاومة الإسلامية (حماس) - جذورها - نشأتها - دورها السياسي (١٩٢٠ - ١٩٩٤ م) / خالد نمر أبو العميرين / رسالة ماجستير، بإشراف: د. التيجاني عبد القادر / اقرت عام (١٩٩٤ م) / جامعة الخرطوم - السودان / ص ٢٠٦ - ٢٠٩.

والأهلية دور في تصدير الكفاءات للأحزاب والتيارات على اختلاف مراحل وأزمنة الصراع)
٩٤٦ .(

^{٩٤٦} . انظر: الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني (١٩١٨ - ١٩٤٨ م) / د. علي محافظة / المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت / الطبعة الثانية (٢٠٠٢ م) / ص ٥-٢٤ ..

المطلب الثاني

العمل المدني بين النكبة والنكسة

بطبيعة المؤسسة الفلسطينية التي تعيش حالة من الصراع الطبيعي بينها وبين الاحتلال الذي يغتصب كل مقومات الحياة الفلسطينية، فإنها أخذت تنمو فعلياً حتى في أقسى الظروف والممارسات القمعية التي انتهجها الاحتلال لقمعها وطمس دورها.

فالمتابع لظروف نشأة المؤسسات الفلسطينية يرى أنها قامت بأغلبها بعد قدوم الاحتلال الصهيوني للأرض الفلسطينية، وهذا لا يعني أن الساحة الفلسطينية كانت خالية من هذه المؤسسات والمنظمات، بل إن المفهوم العام للمنظمة الأهلية، وطبيعة وجودها ودورها في المجتمع الفلسطيني قد تحددت مع بدايات الاحتلال.

ومع استمرار الاحتلال، وتلون وسائل استهدافه المتجددة للحياة الفلسطينية والإنسان الفلسطيني، تنوعت وتعددت كذلك نوعية وأعداد المنظمات الأهلية التي نشأت لملاقات هذا الصلف العنجهية الصهيونية، المدعومة من قوى الاستكبار العالمية، الأمر الذي جعل قيام دولة الصهيونية في العام ١٩٤٨ م حقبة فارقة في العمل السياسي والاجتماعي الفلسطيني.

فبعد النكبة الفلسطينية عام ٤٨ م، كان الوجود الأردني في مناطق الضفة الغربية، والوجود المصري في قطاع غزة يشكلان معاً واحداً من جوانب التضيق على الشعب الفلسطيني، حيث كان وجود هذين النظامين السياسيين عاملاً في حكم الشعب الفلسطيني بطريقة تسلطية منعت أفق العمل المدني من التطور والازدهار.

هذا ما أكد عليه الباحث عزت عبد الهادي حيث يقول عن تلك المرحلة: ((تم استخدام وسائل عنيفة وقاسية لإحكام السيطرة على الشؤون المدنية والأمنية في الفترة الأولى، و

تمت السيطرة على جميع شؤون التعليم والصحة والرفاه الاجتماعي والتجارة من قبل الحكام الأردنيين والمصريين ((٩٤٧).

لم يكن هذا الأمر هو العامل الوحيد على تقييد العمل المدني الفلسطيني، بل رافقه الشعور القاتل بالإحباط لدى الفئات المثقفة والعملية لدى الشعب الفلسطيني، وهذا أثر على الحراك السياسي والمدني بعد النكبة، وأرخى بظلاله على الحياة الفلسطينية برمتها.

ومع الدور البارز الذي شهدته الساحة الفلسطينية لمنظمات العمل الأهلي التي كانت موجودة في فترة ما قبل النكبة عام ١٩٤٨ م، والذي تمثل في رفض الاستيطان الصهيوني للأرض الفلسطينية وتقديم الخدمات الإغاثية ونحو ذلك، إلا أن العمل المدني قد شهد انتكاسة حقيقية بعد النكبة، ظل موجوداً حتى فترة السبعينيات من القرن العشرين.

فمذ أقدمت القوات الصهيونية (٩٤٨) على احتلال جزء من التراب الفلسطيني في عام ١٩٤٨ م بالتآمر مع القوات البريطانية التي أمنت لها العتاد والمواقع وظروف الاحتلال بأشكالها ومسمياتها، قام الشعب الفلسطيني بعمل مضاد مواجه، يواجهه به آثار النكبة التي ألمت به، فكان العمل المؤسسي العام في بداياته رد فعل طبيعي وسلمي من المجتمع الفلسطيني في مواجهة آلة الدمار الصهيونية.

ومع استمرار المحازر واتساع مواطنها وآلامها، استمر الشعب الفلسطيني يداوي جراحاته بيديه، من خلال العمل المؤسسي الذي يتكفل بالتعاطي مع متطلبات تلك المرحلة، حتى أقدمت القوات الصهيونية الغاصبة على احتلال بقية فلسطين وما جاورها في العام ١٩٦٧ م، ليأخذ العمل المؤسسي بعد ذلك شكلاً جديداً ينسجم مع وجود دولة الاحتلال التي تستحكم بالمقدرات العامة.

^{٩٤٧}. المنظمات غير الحكومية / عزت عبد الهادي / على الموقع الإلكتروني لمركز المعلومات الوطني الفلسطيني على

الانترنت / موضوع بعنوان: رؤية أوسع لدور المنظمات الأهلية الفلسطينية في عملية التنمية "ورقة مفاهيم".

^{٩٤٨}. وفي مقدمتها عصابت شتيرن والبالمخ والهجانة التي قادت جبهات القتال على المحاور المختلفة.

بعد هذا التاريخ، نشط الفلسطينيون في إنشاء المؤسسات الأهلية، والجمعيات التعاونية، ليقوموا بواجبهم تجاه المقاومة وما يترتب عليها من آثار على صعيد العدوان وزيادة شرسته وضرارته في استهداف المدنيين، وضرب معالم الصمود في الشعب الفلسطيني، بحوار تلك القائمة بحسب القوانين الدولية كالأونروا ونحوها (٩٤٩).

يقول أهل الاختصاص في العمل المؤسسي: ((إن غالبية المؤسسات (٧٥.٦%) أسست بعد عام ١٩٦٧، بروز أكبر عدد من المؤسسات يتمشى مع النقلة النوعية في تلك الفترة في قيام منظمة التحرير وفصائلها بدعم وتأسيس منظمات العمل الجماهيري والأهلي)) (٩٥٠)، وتأسيسها بعد عام ٦٧ م يعني قيامها في ظل ظروف استثنائية حقيقية، وعمل شعبي واع لطبيعة المرحلة ومتطلباتها.

ومن المنظمات الأهلية التي وجدت في الأراضي الفلسطينية قبل أوسلو: الجمعية الإسلامية المسيحية، والمؤتمر الإسلامي، والمؤتمر العربي، ومشروع صندوق الأمة (٩٥١)، وغيرها الكثير.

كان للإخوان المسلمين مجموعة كبيرة من المنظمات المدنية، وحركات اجتماعية قادوها من المساجد والمراكز الثقافية ودور الإخوان المنتشرة في فلسطين، وقد كانت لهم نقابات

^{٩٤٩}. انظر في ذلك: المجموعة الإحصائية الفلسطينية (١٩٨٣ م) / مكتب الإحصاء المركزي التابع للدائرة الاقتصادية في منظمة التحرير الفلسطينية / العدد الخامس، طبعة عام (١٩٨٣ م) / دمشق / ص ١٨٨-١٨٩.
^{٩٥٠}. بحث منشور على الانترنت بعنوان: المنظمات الأهلية الفلسطينية / للباحثة: عبلة محمود أبو علبه، وفيه الكثير من المعلومات القيمة لمن أراد الاستزادة.

^{٩٥١}. انظر في ذلك: تحرير فلسطين - الثوابت - المتغيرات - الواجبات / د. السيد عبد الستار المليحي / مركز الإعلام العربي - القاهرة / ضمن سلسلة كتاب القدس (١٩) / الطبعة الأولى (٢٠٠٣ م) / ص ١٢٨ - ١٢٩.

وهيئات غير حكومية (٩٥٢)، ولهم نشاطاتهم المتعددة على الصعيد الطلابي، وما يتطلبه الواقع العام من المنظمات التي تخدم الشعب الفلسطيني وترتقي به في مجالات العلم والمعرفة والتأهيل (٩٥٣).

٩٥٢. انظر في ذلك: حركة المقاومة الإسلامية (حماس) - جذورها - نشأتها - دورها السياسي (١٩٢٠ - ١٩٩٤ م) / خالد نمر أبو العميرين / رسالة ماجستير، بإشراف: د. التيجاني عبد القادر / اقرت عام (١٩٩٤ م) / جامعة الخرطوم - السودان / ص ٢٠٩.

٩٥٣. انظر في ذلك: حركة المقاومة الإسلامية (حماس) - جذورها - نشأتها - دورها السياسي (١٩٢٠ - ١٩٩٤ م) / خالد نمر أبو العميرين / رسالة ماجستير، بإشراف: د. التيجاني عبد القادر / اقرت عام (١٩٩٤ م) / جامعة الخرطوم - السودان / ص ٢٠٦ - ٢٠٩.

المطلب الثالث

دور المنظمات المجتمعية الفلسطيني في فترة ما قبل أوسلو

المنظمات الأهلية في المجتمع الفلسطيني هي حجر الزاوية بكل ما في الكلمة من معنى، وهي صمام الأمان فيه؛ لا سيما في ظل التقلبات السياسية المستمرة على الأرض الفلسطينية بشكل متسارع.

فعالية الفلسطينيين يرون أن المنظمات الأهلية، وجمعيات المجتمع المدني بكل مسمياتها وتوجهاتها تساهم بالحظ الأوفر من النهضة والدعم للمجتمع، وتحظى بنسبة القبول الساحقة في الأداء في عيون المواطن الفلسطيني، ويؤكد ذلك أيضاً الاستطلاع الأخير الصادر عن "أمان" والذي يبرز أن هناك ٩٤% من الأشخاص الذين تم استطلاع رأيهم يعتبرون أن هناك دوراً إيجابياً للعمل الأهلي في تحقيق التنمية وتقديم الخدمات (٩٥٤) وهي نسبة كبيرة وذات دلالة واضحة.

تقول الباحثة عبلة أبو عبلة في تبيانها لهذه المسألة:

... وهكذا فالحديث بدأ يدور حول تنمية من أجل الصمود والمقاومة والانتصار، أو البناء والتقدم إلى الأمام، وعلى أرضية دمر الاحتلال اقتصادها وصادر ثرواتها، لكن المنظمات والمؤسسات الأهلية الفلسطينية اكتسبت شرعية شعبية واسعة نتيجة صمودها ودورها الهام في الحياة الاجتماعية، تحت وفي ظل قوانين قاسية فرضها الاحتلال الإسرائيلي، لقد أصبح مطلوباً من هذه المؤسسات دور آخر أكثر تطوراً وتقدماً من أجل الإسهام في بناء المجتمع الفلسطيني المستقل والتأسيس للدولة الفلسطينية المستقلة القادمة (٩٥٥).

^{٩٥٤} ارجع إلى: استطلاع صادر عن "أمان- ائتلاف للتراث والمساءلة" يتناول الواقع الفلسطيني العام، بتاريخ

٢٠٠٧/٣/١٠ م تم نشره في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

^{٩٥٥}. بحث منشور على الانترنت بعنوان: المنظمات الأهلية الفلسطينية / للباحثة: عبلة محمود أبو عبلة.

حتى في ظل أقسى الظروف التي فرضها الاحتلال على الشعب إبان الانتفاضات الفلسطينية المتعاقبة، فقد أثبت الشعب الفلسطيني نفسه في ميدان المواجهة مع المحتل مؤسساتياً ونقائياً وسياسياً ومادياً..

يقول المتابعون للشأن الفلسطيني:

في الفترة الزمنية ما بين ١٩٨٧ - ١٩٩٣، أي في زمن الانتفاضة الأولى للشعب الفلسطيني، واصلت المؤسسات الأهلية دوراً اجتماعياً ووقائياً هاماً جداً، فقد شاركت في بنية اللجان الشعبية المدافعة عن الأحياء وسكانها، وتنظيم حياتهم اليومية، وتصدت للحصار المتواصل، ومحاولات التجويع، وقطع مصادر المياه، وإغلاق المدارس، وحملة الاعتقال الواسعة، وما خلفته سياسات الجيش الإسرائيلي من قتل ودمار. لقد كان ملفتاً للنظر في انتفاضة ١٩٨٧ مدى إقبال الشعب الفلسطيني وقدرته على تنظيم شؤونه اليومية في ظل حالة الحرب اليومية التي فرضها الاحتلال، لكن هذا الاستعداد لم يأت من فراغ، بل إن حالة التنظيم المجتمعي التي ساهمت بها المؤسسات الأهلية خلال عشرين عاماً ويزيد، قد أنضجت قدرة غير عادية للشعب في مواجهة منظمة وموحدة ضد المحتل، على الرغم من الاختلال الفادح في موازين القوى لصالح الصهاينة (٩٥٦).

حتى الجماهير العربية والمسلمة التي تسكن في مناطق الاحتلال عام ١٩٤٨ م، أو من يعرفون بسكان الخط الأخضر، فإنهم التزموا ما وسعهم الجهد بالعمل الوطني من خلال المجتمع الذي يتحركون فيه، من أجل تثبيت هويتهم، والحفاظ على المواطن، حتى لا يذوب في الدولة الصهيونية الغاصبة.

وقد كان للحركة الإسلامية - كبرى الحركات الموجودة داخل الخط الأخضر - الدور الأبرز في الحفاظ على الإنسان الفلسطيني كقيمة كبرى، من خلال المؤسسات الأهلية

^{٩٥٦}. بحث منشور على الانترنت بعنوان: المنظمات الأهلية الفلسطينية / للباحثة: عبلة محمود أبو عبلة، بتصرف يسير يقتضيه السياق.

والمنظمات الطوعية التي تنتشر في شمال فلسطين المحتلة حتى النقب في الجنوب، وكلها مؤسسات رائدة، وذات خدمات عالية ومصداقية حقيقية ملموسة (٩٥٧).

ولا يقتصر الأمر على الحركة الإسلامية، بل إن حركات العمل الديمقراطي أو الاتجاهات الوطنية واليسارية قد ساهمت أيضاً في إيجاد حالة من الوعي الفلسطيني للفلسطينيين الذي احتلتهم آلة الموت الصهيونية عام ٤٨ م، وساهم كل بثقافته وجهده، وكل بحسب توجهاته الأيديولوجية وبواعثه التي ينطلق منها في رسم صورة العمل المؤسسي في ادخل الفلسطيني المحتل.

يقول الدكتور أحمد سعد المسؤول في الحزب الشيوعي داخل الخط الأخضر: ما يميز الجماهير العربية كأقلية قومية في وطنها أنها ليست فقط جزءاً عضواً من شعبها الفلسطيني الذي أدت أيدي التآمر إلى تحويل غالبيته إلى شعب من اللاجئين في الشتات القسري، بل العرب أيضاً مواطنون في دولة (" إسرائيل ") ولهذا تناضل الجماهير العربية من أجل ضمان حقها بالمواطنة الكاملة في وطنها الذي لا وطن لها سواه، من أجل المساواة التامة، القومية والاجتماعية والمدنية، ومواجهة ودفن سياسة التمييز والقهر القومي في شتى مجالات الحياة والتطور الذي تمارسها حكومات " إسرائيل " المتعاقبة والحالية (٩٥٨).

شكل العمل المؤسسي والنقابي في فترة ما قبل أو سلو مرحلة انتقال نوعي في العمل وطبيعته ونضوجه، حيث ساهم تشكل النقابات الطلابية في الجامعات الفلسطينية، وتنوع الأطر النقابية ذات التوجهات الأيديولوجية فيها إلى إثراء الواقع الفلسطيني بأشكال متعددة من

^{٩٥٧}. وهذا ما يدل عليه مقدار وحجم الفعاليات التي تقوم بها تلك المؤسسات، وتوسعها الأفقي والعمودي، وانتشارها في طبقات المجتمع وشرائحه المختلفة، حتى باتت من خلال احتكاكها بالجمهور في مناطق عام ١٩٤٨ م من أكبر واقدر الحركات السياسية النشطة على الساحة.

^{٩٥٨}. بحث بعنوان: التجربة السياسية لفلسطيني ١٩٤٨ م - استراتيجية وتكتيك الحزب الشيوعي في معارك وتطور الجماهير العربية في " إسرائيل " / د. أحمد سعد / منتدى الفكر الديمقراطي و المركز القومي للدراسات والتوثيق / ص ٣.

العمل النقابي والخدمات الرائد (٩٥٩)، والذي جعل دور الهيئات والنقابات والمؤسسات مفعماً بالحوية من خلال جيل الشباب الذي يتخرج من الجامعات الفلسطينية وغير الفلسطينية، وهو معبأ بالقيم الثقافية والرؤية الناضجة بما يتعلق بوطنه ووجود الاحتلال عليه.

ومع انطلاق الانتفاضة الفلسطينية في العام ١٩٨٧ م، وولادة حالة من الوعي الفلسطيني بطبيعة الاحتلال وطبيعة الحق الفلسطيني، بدأ العمل المجتمعي يتطور وينمو، ويتشكل في ظل حالة متجددة من الوعي الشعبي، حيث ساهمت مجموعة من الشخصيات السياسية والشعبية والاجتماعية، بل والقلبية، في تكويم مجموعة من المنظمات والمؤسسات والهيئات والنقابات في تلك الفترة وما تلاها، لتكون داعماً ورافداً للشعب الفلسطيني في ظل المستجدات المتلاحقة.

بإيجاز، فإن الدور المنوط بالمجتمع المدني الفلسطيني في فترة ما قبل أو سلو كان إيجاد حالة من السند والدعم الشعبي للمواجهة تبعات الوجود الصهيوني على الأرض، وما خلفه من دمار على صعيد البنية الاقتصادية والاجتماعية والنفسية للشعب الفلسطيني (٩٦٠)، بكل صور الدمار التي طالت المقدسات والمواقع الأثرية والدينية والشعبية والخاصة على حد سواء (٩٦١).

ففي تلك الآونة، قام الشعب الفلسطيني بإنشاء مجموعة من المراكز الثقافية، والجمعيات الخيرية الطوعية، ومنظمات العمل الأهلي، والنقابات الطلابية والمهنية المتنوعة، وبدأت حالة من النشاط السياسي تسود أوساط الشارع الفلسطيني بعد سلسلة من العوامل المتداخلة، أهمها وجود التنافس الحزبي داخل المجتمع الفلسطيني، الذي اشتد مع استمرار الانتفاضة وتعاضم التضحية فيها يوماً بعد يوم.

^{٩٥٩}. لا سيما بعد تشكيل الكتلة الإسلامية في الجامعات والمعاهد، والتي بدأت في العام ١٩٨١ م، واستطاعت أن تشكل بديلاً لنهج النقابات أحادية التوجه، والتي كانت فصلت منظمة التحرير تقودها على مدار عشرات السنوات.

^{٩٦٠}. انظر في ذلك: وضع عمال الأراضي العربية المحتلة - تقرير المدير العام - ملحق / مؤتمر العمل الدولي - جنيف، الدورة ٩٦-٢٠٠٧ م / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / ص ١٩ - ٢٦.

^{٩٦١}. انظر في ذلك: مجلة فلسطين المسلمة/ العدد الثامن - السنة الثالثة والعشرون / ٢٠٠٥ م / ص ٥.

وقد استطاعت هذه الاتجاهات المجتمعية أن تخفف من آلام التجويع والحصار الفكري والنفسي والاقتصادي التي عاشها الشعب الفلسطيني، وكان لها دور فعلي في التخفيف من سياسات العدو الهادفة إلى كسر إرادة الشعب الفلسطيني وتذويبه تحت سياط الحصار والجوع وخنق الاقتصاد ومحاربة العمل المؤسساتي وحملات الاعتقالات والترويع التي لم تتوقف.

المطلب الرابع

العمل المؤسسي في ظل سلطة أوسلو

ولد اتفاق أوسلو في ظل رفض شعبي ورسمي فلسطيني عارم، تشكلت جبهة الرفض فيه من الفصائل السياسية والنخب المثقفة والسياسيين ومنظمات المجتمع المدني المختلفة (^{٩٦٢})، الأمر الذي له دلالاته على شكل العمل وفحواه ومضمونه.

بعد سلسلة من اللقاءات التفاوضية السرية بين منظمة التحرير بقيادة عرفات والكيان الصهيوني، تمخض عن جلسات التفاوض هذه ميلاد مشروع أوسلو بكل معطاته التي أذقت شعبنا الويلات والبأس والمرارة، حتى وصل الأمر باليهود أنفسهم لتشخيص الواقع بالقول: ((وفيما يتعلق بالفلسطينيين فإن اتفاق المبادئ لم يتضمن تحقيق قمة تطلعاتهم الوطنية، وهي إقامة دولة فلسطينية مستقلة وذات سيادة)) (^{٩٦٣}).

ما يهم هنا، هو الدور المؤسسي في تلك الحقبة الزمنية، وكيف كان وجود السلطة عاملاً مؤثراً في العمل المؤسسي العام في فلسطين.

فقد كان وجود السلطة - كمشروع فتحاوي بالدرجة الأولى، ونابع من دعم المنظمة بالدرجة الثانية - وما كان سائداً في تلك الحقبة من تداخلات بين الواقع المألوف الذي عاشته حركات التحرر الوطني الفلسطيني، وانقلاب فتح ومنظمة التحرير إلى نهج التسوية مع المحتل وفق المرحلة غير المتوازنة وغير الموزونة له من الآثار على الواقع الأهلي والاجتماعي عموماً أثر بالغ، وقد أخذ ذلك أكثر من منحى.

^{٩٦٢} . انظر: الاتفاق الفلسطيني الإسرائيلي - الرأي والرأي الآخر / د. حسين أبو شنب / مكتبة مدبولي - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٩٥ م) / ص ٢١٨ - ٢٣٧.

^{٩٦٣} . الطعم في المصيدة / شلومو غازيت / ترجمة: عليان الهندي / مؤسسة باب الواد للطباعة والنشر - القدس / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م) / ص ٦٤ وما بعدها.

وسيحصّر الباحث الحديث هنا عن العمل المؤسساتي في القطاع الأهلي والمجتمعي، ويترك الحديث عن المؤسسات الحكومية التي أصبحت بالكامل مؤسسات تابعة لفتح، رهينة بتوجهاتها السياسية، يتم توظيف أبناء فتح فيها بكل المناصب العامة والخاصة حتى قبل أن يتخرجوا من الجامعات، هذا إذا كان أحدهم طالباً جامعياً أو حاصلاً على ما يشبه الشهادة العلمية، فالواقع في المؤسسات الحكومية مرذول بكل ما في الكلمة من معنى، فالوزير لم يصل إلى مرحلة التعليم الأساسي، والمدير العام حاصل على مهنة وحرفة لا علاقة لها حتى بوظيفته وهكذا.. (٩٦٤) وبكل أسف هم يعلمون ويقرون بذلك (٩٦٥).

يقول الكاتب الفلسطيني جميل هلال عن تلك الحقبة:

وقد كان عام ١٩٩٤ علامة فارقة في التاريخ الفلسطيني من حيث نشأة أول سلطة وطنية فلسطينية، تم اعتبارها نواة للدولة المستقلة القادمة، بما يترتب على ذلك من تداخل بين مهمات البناء الاجتماعي الديمقراطي وبين مهمات التحرر الوطني، ولكن في المقابل أدت تلك المرحلة إلى انحسار دور الأطر والهيئات الاجتماعية، حيث انخرط العديد من رموز تلك الأطر في هياكل ومؤسسات السلطة، إضافة إلى ترسخ درجة من التبعية والاندماج بين تلك الهياكل والمؤسسة سواءً السياسية أو الوزارية (٩٦٦).

فقد أدى ميلاد أو سلو إلى انخراط شريحة كبيرة من المجتمع الفلسطيني وهم أبناء (فصائل منظمة التحرير) عموماً، وأبناء فتح على وجه التحديد في الجسم الحكومي، وتركوا

^{٩٦٤} هذا الأمر علقت عليه المؤسسات الحقوقية والرقابية التي تابعت أداء السلطة في سنواتها الأولى، حيث أشارت جميعها إلى اعتماد سياسة الإقصاء الوظيفي لغير الموالين لتيار فتح، وإفساح المجال في كل الوزارات والهيئات الحكومية لآبناء فتح بغض النظر عن مستواهم العلمي وأهليتهم لقيادة المجتمع أو المؤسسات.

^{٩٦٥} انظر ما قاله أحمد عبد الرحمن المتحدث الرسمي باسم فتح في ورقة عمل قدمها بعنوان: رؤية جديدة لدور فتح، ضمن الندوة الفكرة السياسية التي تناولت خبرات الحركة السياسية الفلسطينية في القرن العشرين / حيث يقول في المقدمة: ((واليوم ونحن نقول إن اتفاق أو سلو في مأزق، فإن هذا الحكم ينسحب على فتح، في الواقع إن مأزق أو سلو هو مأزق فتح التي وقعت عليه ونفذته وهي على وعي كامل بسلبياته وعبوبه)).

^{٩٦٦} النظام السياسي الفلسطيني بعد أو سلو / ص ٣١٠.

المواقع النقابية والمؤسساتية التي كان يمكنهم من خلالها خدمة المجتمع وتطويره وتخفيف العبء العام عنه.

أما ما تبقى من مؤسسات فتح الأهلية في المجتمع الفلسطيني فقد حاز على الدعم الهائل (٩٦٧)، برغم أن أداءه النقابي والمؤسسي وصل إلى الصفر أو يكاد، فقد التحق الكادر الفتحاوي صغيره وكبيره بمؤسسات ووزارات الدولة، وتركت المؤسسات الأهلية لكل متردية ونطيحة من اكوادر فتح، أو ممن لا - ظهر لهم - ليكونوا في وزارات السلطة، الأمر الذي أوصل هذه المؤسسات إلى الحضيض.

ممازاة ذلك، كان دور الاتجاه اليساري في الشارع الفلسطيني (٩٦٨) - رغم تقهقره المستمر عددياً - يتدنى باستمرار نتيجة التطورات السياسية التي أوجدت أجسام تمثيلية للعمال والمزارعين من خلال الجسم الحكومي، وهم الذين كانت الشريحة الكبرى فيهم على تواصل مع هذه التيارات اليسارية، الأمر الذي أفقد التيارات اليسارية في المجتمع الفلسطيني مواطن نفوذ حقيقية كانت معاقل لها ردحاً من الزمان.

لكن هذه التيارات حاولت أن تحافظ على توازن ولو من حيث الشكل بين وجودها السياسي ووجودها النقابي والأهلي، ونتيجة امتداد الصحو الإسلامية المباركة بقيادة الحركة الإسلامية في فلسطين، انحسر أداء مؤسسات الاتجاه اليساري بشكل هائل، وانحصر في جوانب العمل الفني والقضايا الشكلية البعيدة عن احتياجات المجتمع، لفقدهم الراعي الأول للفكرة والدعم (المعسكر الشرقي) ولتعاضد دور الاتجاه الإسلامي بمؤسساته وحضوره الجماهيري والمؤسسي من جهة أخرى.

^{٩٦٧} انظر في ذلك: تقرير التنمية البشرية ١٩٩٨-١٩٩٩ / برنامج دراسات التنمية- جامعة بيرزيت - رام الله / ص ٧٨ حيث أشار إلى أن ٦٠% من الدعم الحكومي للمؤسسات الأهلية ينفق على ما نسبته ١٠% من المؤسسات فقط..

^{٩٦٨} يضم هذا الاتجاه الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - جورج حبش، والجبهة الشعبية - القيادة العامة، والجبهة الديمقراطية، وحزب الشعب وجبهة التحرير العربية وغيرها.

أما على صعيد حركة حماس (الحركة الإسلامية في فلسطين)، فإنها قد استثمرت الظروف والمناخ السياسي من خلال توفير شبكة سرية وعلنية من المؤسسات الخدمائية والأهلية ومنظمات المجتمع المدني (٩٦٩)، لتتوسع من خلالها في الاحتكاك مع الجمهور، والتواصل معه من خلال تلبيتها لمتطلباته.

فقد شهدت سنوات أوصلو - برغم الحصار والاستهداف لحركة حماس - نشاطاً كبيراً وملحوظاً في النمو والازدهار المؤسسي، حيث استطاعت الحركة أن تنتزع برغم القيود والمعوقات مئات المؤسسات الأهلية ومنظمات المجتمع المدني، وتطوير ما كان يعمل لحسابها قبل أوصلو، حتى ملك منظومة من المؤسسات الخدمائية والاجتماعية والفكرية والسياسية التي مكنتها من أن تكون في سباق مع الزمن لتحقيق القوة الأولى في المجتمع الفلسطيني، وهو الأمر الذي شهدت به الانتخابات العامة التي جرت بتاريخ ٢٥/١/٢٠٠٦ م.

يقول المتابعون لهذا الشأن:

لقد جرى كل ذلك - أي ميلاد أوصلو - في ظل استمرار نشاط حركة "حماس" سواءً في تشكيل أطر وهيئات اجتماعية جديدة أو تقوية المؤسسات القائمة بها، من حيث التمويل وزيادة النفوذ وتقديم الخدمات لقطاعات شعبية واسعة متضررة، في إطار يربط ما بين الخدمة والمهمة الاجتماعية من جهة والبعد السياسي الرامي إلى زيادة النفوذ الجماهيري للحركة بأبعادها السياسية والتنظيمية، وتبنيها فكرة (المجتمع المضاد) أو (الموازي) أي بتقديم نفسها بديلاً لما هو قائم، فقد كانت "حماس" جاهزة للمشاركة بانتخابات النقابات المهنية ومجالس الطلبة مستفيدة من تراجع منظمة التحرير الفلسطينية لأسباب تتعلق بسوء الأداء وفشلها في إدارة العملية السياسية، إضافة إلى إخفاقها في عملية البناء الوطني والاجتماعي والمؤسسي بالأبعاد القانونية والحقوقية المختلفة (٩٧٠).

^{٩٦٩}. وهي ما يطلق عليها (دولة المؤسسات الخيرية التابعة لحماس) كما يسميها قادة حركة فتح، وانظر: الموقع الإلكتروني لشبكة معاً الإخبارية على الإنترنت، يوم ٦/٩/٢٠٠٧ م، تصريحات د. جمال نزال -مسؤول إعلامي في حركة فتح - حول واقع المؤسسات الإسلامية في فلسطين، وأنها ركيزة لحماس في العمل السياسي.

^{٩٧٠}: قطاع غزة بعد الانسحاب - دراسة تقييمية للواقع ورؤية مستقبلية / تيسير محسن / برنامج دراسات التنمية - جامعة بيرزيت - رام الله / الطبعة الأولى (٢٠٠٦ م) / ص ١٢٧.

لعل هذا ما دعا الوزير الصهيوني شمعون بيريس إلى القول في أكثر من مناسبة: ((
إن جزءاً من قوة حماس ليس في قيامهم بإلقاء القنابل، بل في ملكيتهم لشبكة اجتماعية)) (٩٧١) .

وعن الواقع العام للمنظمات الأهلية الفلسطينية، تقول الباحثة الفلسطينية عبلة أبو
علبة:

بغض النظر عن تأييد أو معارضة اتفاق أوسلو بمضامينه ونتائجه السياسية على
المستوى الوطني الفلسطيني، إلا أن انفراجاً قد وقع على أوضاع المنظمات الأهلية التي عانت
طويلاً من قوانين الاحتلال، كما أن أعداداً كبيرة من المؤسسات الأهلية المتخصصة قد أنشئت
بعد عام ١٩٩٣. لعل النشاط الهائل الذي تمتعت به المؤسسات الأهلية دليل على هذا الشوق
غير المحدود لدى فئات المجتمع الفلسطيني والاستعداد للمشاركة في عملية البناء في ظل وجود
سلطة فلسطينية لأول مرة في التاريخ النضالي الوطني الفلسطيني، هذا إضافة إلى تأثير المجتمع
الفلسطيني ونخبه على وجه الخصوص بالثقافة العالمية الجديدة والاتجاهات الحديثة في عمل
مؤسسات المجتمع المدني العالمية، ومحاولة محاكاتها والتواصل معها، كما تطور الاهتمام بأنواع
من التخصصات المدنية والقانونية دون أن تلغى المؤسسات الأهلية والجمعيات التاريخية (٩٧٢) .

بهذا، كان عهد سلطة أوسلو بكل ما فيه من التناقضات والتداخلات السياسية
والحزبية والمؤسساتية ساحة مفتوحة للاستعراض السياسي من خلال البناء المؤسساتي، وميداناً
للتنافس في تشكيل قوة متكاملة من المنظمات الأهلية سعت إليها كل التيارات والفصائل
والفعاليات العاملة على الساحة الفلسطينية.

^{٩٧١} . مجلة فلسطين المسلمة - مجلة شهرية سياسية جامعة تصدر من بريطانيا / العدد الخامس / السنة الثالثة
والعشرون / أيار ٢٠٠٥ م / ص ٦٢، ويمكن الرجوع أيضاً إلى عنوان الشبكة على الانترنت: www.fm-m.com

^{٩٧٢} . بحث منشور على الانترنت بعنوان: المنظمات الأهلية الفلسطينية / للباحثة: عبلة محمود أبو عبلة.

وبرغم التعنت الكبير في إعطاء التراخيص اللازمة من الوزارات والمؤسسات الحكومية في ظل أوصلو إلا أن المجتمع الفلسطيني استطاع أن يقفز فوق حواجز التخذيل من خلال نشاط مجتمعي ينم عن وعي في إدارة الأزمات، وحسن قيادة للمجتمع وتفعيل ما فيه لخدمة من فيه، وهذا ما جعل الحركة الإسلامية في فلسطين تكسر الحصار المفروض عليها سراً وعلانية، وتنشئ تحت عيون المتربصين والساحطين والمعادين شبكة من المنظمات الأهلية متعددة التوجهات ومختلفة الأهداف انطلاقاً من فهمها للنظرية الإسلامية لتحرير فلسطين (٩٧٣).

سجلت منظمات المجتمع المدني - نفسها - الانتهاكات الصارخة بحق المؤسسات المدنية والمنظمات الطوعية الموجودة في فلسطين، والتي قامت سلطة أوصلو بإغلاقها أو مصادرة الدعم القدام لها، أو ما عبر عنه رئيس السلطة محمود عباس في شهر تموز من العام ٢٠٠٧ م من أعمال القانون العسكري وإلغاء القضاء المدني (٩٧٤)، وما تبع إعلان حالة الطوارئ في تلك الفترة من إلغاء كافة التراخيص الممنوحة إلى مؤسسات المجتمع المدني.

يعتبر هذا الأمر نفساً واضحاً لكل القيم الديمقراطية التي تتغني بها سلطة أوصلو عبر رموزها في المحافل المختلفة، وفي حالة هستيرية من العبث بمقدرات الوطن وعلى رأسها المؤسسة الوطنية المدنية.

^{٩٧٣}. انظر في ذلك: حركة المقاومة الإسلامية (حماس) - جذورها - نشأتها - دورها السياسي (١٩٢٠ - ١٩٩٤ م) / خالد نمر أبو العميرين / رسالة ماجستير، بإشراف: د. التيجاني عبد القادر / اقرت عام (١٩٩٤ م) / جامعة الخرطوم - السودان / ص ٢٨ - ٣٣.

^{٩٧٤}. وقد كان ذلك إعلاناً صريحاً لعسكرة المجتمع الفلسطيني والقضاء على الحياة المدنية في المجتمع الفلسطيني على لسان أعلى سلطة رسمية في الدولة، مما اثار منظمات المجتمع المدني، وجعلها تستنفر قواها من أجل كسر فرمان الحكومي الصادر عن محمود عباس حينها، هذا بالإضافة إلى سلسلة من المراسيم الهوجاء التي انتقدها القاضي والداني التي طالت حرية الفرد والأسرة والمجتمع والتشكيلات المجتمعية الموجودة في المجتمع الفلسطيني حتى قبل قدوم سلطة أوصلو، في إشارة إلى العقلية الإقصائية التي تنغرس في أذهان ساسة هذا التيار ومنظريه.

المطلب الخامس

آفاق العمل المدني المسموح به في ظل تطلعات الدول الاستعمارية

بعد تمرير مخطط اتفاق أوسلو، ووجود التشكيلات الوزارية والحكومية التي تبعت ذلك على صعيد السلطة الفلسطينية، بدأت هناك مؤشرات على السماح بانطلاق عمل مدني فلسطين، تحت شعارات رفع مستويات الديمقراطية، والمطالبة بحقوق الإنسان والمواطنة ونحو ذلك من أمور.

لكن، هل سيكون العمل المؤسسي الفلسطيني مسموحاً به في ظل هذا الواقع المعقد على إطلاقه؟

هل ستسمح الدول الاستعمارية، وفي مقدمتها الدولة الصهيونية بميلاد أجسام تعارض السياسة الموضوعية والعامّة للمخطط الاستراتيجي العالمي على مساحة فلسطين الجغرافية المحدودة (٩٧٥) ؟

هل ستسمح السلطة بوجود جسم مضاد لها في ظل الأرض المحصورة وفاقدة المقومات الطبيعية والثروات، التي منحت لها على حد قول نزار قباني في قصيدة له عن الواقع الفلسطيني في بداية أوسلو:

أعطونا وطناً أصغر من حبة أسبرين
يبلغ حتى دون الماء؟ (٩٧٦)

^{٩٧٥}. حيث تبلغ مساحة فلسطين الإجمالية ٢٧ ألف كم ٢.. وانظر في ذلك: المجموعة الإحصائية الفلسطينية (١٩٨٣ م) - العدد الخامس / الدائرة الاقتصادية - منظمة التحرير الفلسطينية / المكتب المركزي للإحصاء - دمشق / طبعة عام (١٩٨٣ م) / ص ٤٣.

هل العقلية الموجودة في سدة الحكم السلطوي تقبل بمشاركة شعبية أو فصائلية

مخالفة لها؟

إن الإجابة على هذه التساؤلات ستكون بالنفي، من باب أن طبيعة التفكير وحجم المخطط والجهات المتابعة والراصدة للحركة في المجتمع الفلسطيني لا يروق لها أن ترى أي شيء من شأنه أن يكون خارج منظومتها الخاصة، وأي عمل شعبي أو أهلي - مهما قلَّ شأنه - يسير في غير الطريق التي تم رسمها في السياسة الاستعمارية العامة.

أثبتت الوقائع والممارسات التي جرت على الأرض الفلسطينية أن العمل المدني شأنه شأن كثير من المجالات الأخرى كان مسموحاً به تحت سقف معين ومحدود، وله ضوابطه الواضحة التي لا يجوز تجاوزها بأي شكل من الأشكال، لوجود خطر حقيقي ناشئ من هذه الأجسام التمثيلية الشعبية والأهلية على المخطط الكبير، إذ إن النار العظيمة تبدأ من الشرر، والغرب تعلم كيف يكون المسلم إذا أفاق، وفقاً لمقولة الشاعر العربي:

لا تحقرن صغيراً في محاصمة
وفي الشرارة ضعف وهي مُحرقَةٌ
إن البعوضة تدمي مقلة الأسد
ولربما أوقدت ناراً على بلد (٩٧٧)

وقبل بيان المسموح والممنوع في العمل المدني الفلسطيني، تجدر الإشارة هنا إلى أن إقامة بريطانيا ومن خلفها دول العالم الاستعمارية للكيان الصهيوني قد اعتمدت على نظام توزيع المتسوطنات الصهيونية بشكل يجبط أي عمل تواصل في المجتمع الفلسطيني، وبشكل

^{٩٧٦}. من قصيدة تاريخية للشاعر العربي: نزار قباني، تحدث فيها عن اتفاق أوسلو وتداعياته، وكانت من القصائد القليلة التي تناول بها الشاعر قباني الجانب السياسي، حيث يعرف في عالم الأدب العربي بأنه شاعر المرأة، والخط مقصود تحت الكلمة.

^{٩٧٧}. مما أحفظه من الشعر، ولم أفق على قائله.

يشل الحركة الاقتصادية الداخلية والجمعية التي يمكن لها أن تنهض بالاقتصاد الفلسطيني (٩٧٨)، وعلى هذا، فالحالة السائدة في المشهد الفلسطيني تدل على وجود تداخلات كثيرة ومتعاقبة لا بد من فهمها لفهم ما يمنع وما يسمح في مجال المنظمات غير الحكومية.

وللوقوف على ملامح المسموح والمنوع في العمل الأهلي والاجتماعي في ظل سلطة أوسلو، فإن الحديث بعمومية يؤدي الغرض هنا، وهو على الشكل الآتي:-

١. السماح بالنشاط العشائري والقبلي (٩٧٩).

السبب في ذلك: كونه ينبع عادة من حاجات موضعية للقبيلة والعشيرة، وينساق وراء المصالح الفتوية لبعض العشائر.

هذا السماح بالعمل على مستوى العشائر يشمل الاجتماعات والنشاطات واللقاءات والعمل الاجتماعي وسائر الأمور التي تتصل بالعشيرة كعشيرة، وبالقبيلة كإطار ناظم للأفراد الذين يتبعون لها، ولكون هذا العمل بعيداً في أحواله وطبيعته عن التأثير في العمل السياسي العام، وإن كان له أثر موضعي؛ فسرعان ما يزول ويندثر.

٢. السماح بالنشاط المهني، وإنشاء المنظمات والتشكيلات المهنية، كالتقانات والاتحادات ونحوها.

حيث نشأت في ظل أوسلو العديد من النقابات، كنقابات العمال، ونقابة المعلمين، ونقابة الأطباء، ونقابة الصيادلة ونحوها.

^{٩٧٨}. انظر في ذلك: مجلة الملف الدوري (٩) / مركز دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا / موضوع الانتفاضة

الفلسطينية / تقرير: مركز الأقصى للإعلام / ص ٢١.

^{٩٧٩}. إذا تم الاخذ بأن العشيرة من مكونات المجتمع المدني.

وقد تم السماح بالحراك لمثل هذه التحركات المدنية في ظل أو سلباً بنطاق معلوم، حيث كانت هذه النقابات المهنية عبارة عن أداة في يد السلطة الحاكمة، نظراً لطبيعة الأشخاص الذين كانوا يترأسونها من أصحاب الميول الفتحاوية، أو الذين تم تعيينهم من خلال حركات نقابية معلومة معروفة في صدارة العمل المهني بصورة أو بأخرى، ليكونوا صورة نقابية في ثوب شعبي، وبجوهر موالٍ للحكومة السلطوية.

للتدليل على ما يطرحه الباحث هنا، فإنه يسوق دليلاً وشاهداً حياً لمسح المجتمع الفلسطيني كله، وتأذى منه الطفل والشيخ والمرأة والشاب على حد سواء، ألا وهو الواقع الذي عاشته فلسطين بعيداً وصول حماس إلى السلطة في بداية العام ٢٠٠٦ م.

فبعد أن استلمت الحركة الإسلامية في فلسطين الوزارات المختلفة، وبرغم فرض الحصار على الشعب الفلسطيني ومثليه المنتخبين، بدأت التجمعات المهنية والنقابات التي تم تشكيلها في ظل حكومات (فتح) السابقة وتنتمي في قيادتها وكوادرها الرئيسيين إليها، تلعب دوراً ملموساً في تأليب الرأي العام على الحركة الإسلامية الموجودة في الحكم، وقد استخدمت وسائل الضغط في هذا المجال، ومستت خطواتهم ضد الحكومة التي لم تكن طرفاً في الأزمة: المرضى والأطفال (٩٨٠)، والمدارس، والتعليم الفلسطيني (٩٨١)، في خطوة ضاغطة باتجاه تقديم الحكومة المسلمة لاستقالته.

٣. السماح المطلق لبعض أوجه العمل المؤسساتي، وهذه المؤسسات كانت تُسهّل لها معاملات التسجيل واستصدار الأوراق القانونية من الوزارات بدون عوائق.

٩٨٠. حيث أصدرت نقابة أطباء قراراً بوقف العمل في المرافق الصحية، الأمر الذي أدى إلى تأخر التطعيم للأطفال لمدة أشهر، وعدم استقبال الحالات المرضية في المستشفيات، والاكتفاء بحالات الطوارئ، الأمر الذي أدى إلى المساس بالحالة الصحية لكثير من المواطنين.

٩٨١. حيث أصدر الاتحاد العام للمعلمين، وهو جهة تمثيلية تمسك فتح بزمامها، قراراً بتعليق الدوام مرحلياً و كلياً في مدارس فلسطين، تحت حجة طلب الرواتب، وكأن الحكومة هي من تمنعهم من الرواتب، فأوقفوا العمل في التدريس في مطلع العام الدراسي وهو أوج العملية التعليمية ليكونوا أداة ضاغطة إضافية على الحركة الإسلامية.

من هذه المؤسسات على سبيل المثال:

١. مؤسسات الدعوة إلى تحرير المرأة (٩٨٢).
٢. مؤسسات العمل التابعة للنصارى (٩٨٣).
٣. مؤسسات التنسيق مع المجتمع الغربي (٩٨٤).
٤. المؤسسات العاملة بنظام التشبيك (٩٨٥) مع الدول العربية المقبولة أو التي تعرف بأنها (معتدلة).
٥. المؤسسات التي تعمل بسقف أو سلو وتسير في إطاره.

٤. السماح غير المشروط بميلاد المؤسسات التي لا تحمل أهداف التوعية الحقيقية والبنائية، أو تلك المؤسسات والمنظمات الأهلية التي تسعى للعمل في أفق ضيق، ونطاق محصور، فهذه كان لا بأس بها، ويغض الطرف عنها في أغلب الأوقات.

٩٨٢. حيث نشأت العديد من المؤسسات التابعة للجان المرأة، ومنظمات حقوق المرأة، واتحادات لجان العمل النسوي، وهي مؤسسات ذات أهداف واضحة في معادتها لقانون الاحوال الشخصية الإسلامي المعمول به في فلسطين والنابع من فقه الأغمام ابي حنيفة النعمان، وتطالب بتحرير المرأة من الظلم الواقع عليها من خلال ممارسات المجتمع لمسلم، أو بتحريرها من معتقدات القرون السابقة (الإسلام).

٩٨٣. حيث توسع العمل المؤسساتي التابع للنصارى برغم قلة عددهم في فلسطين، فافتتحت المؤسسات الأهلية والاجتماعية ومراكز الثقافة والدراسات ونحوها على شكل واسع، لا سيما في مدينتي رام الله وبيت لحم.

٩٨٤. كالمراكز الثقافية المشتركة والتي انتشرت في كثير من المحافظات الفلسطينية، كالمراكز الفرنسية الفلسطينية، والمراكز الفلسطينية الإيطالية، وغيرها من المراكز والمؤسسات الأهلية والاجتماعية على اختلاف توجهاتها.

٩٨٥. والتشبيك في اللغة: المداخلة، فيقال لكل متداخلان أنهما متشابكان، وانظر في ذلك: الموسوعة الفقهية / وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت / ط ١ / الطبعة الأولى (١٩٨٥ م) / ج ١٢ / ص ١٥.

٥. السماح المشروط لبعض المؤسسات بالقيام في ظل تقييد البرامج والأهداف التابعة لها، أو اختزال المناطق الجغرافية التي يطالها عملها.

اعتمدت السلطة على هذا الأسلوب من خلال المقابلات التي كانت تجريها مع الهيئات التأسيسية لهذه المؤسسات في طور التشكيل، ووجود (حوار) حول هذه الأهداف بشكل يصل معه الطرف الحكومي إلى فرض رأيه على الجهة المؤسسة، للعمل في نطاق محدود، سواء على نطاق الجغرافيا أو على مستوى الأهداف.

لو تم التدقيق في هذه المسألة، لكان الرأي أن السلطة الفلسطينية لا مصلحة لها في رفض أي مؤسسة ذات أهداف وطنية أو إسلامية هادفة للتنمية، ونشر الوعي الاجتماعي والمعرفي، ولكن هذا الرفض كان مربوطاً بقرارات متخذة مسبقاً وعلى مستويات عليا ذات صلة بطبيعة المجتمع المدني المراد له أن ينمو في ظل كيان أو سلو.

الحكومة الفلسطينية، ومن ورائها أطراف اللعبة الأخرى لا تقبل أن تقام مؤسسة تقوم بدور ريادي في المجتمع الفلسطيني بقصد التأثير، والسعي إلى التغيير أو رفض التغيير لأي سياسة حكومية تقرها سلطة أو سلو، وبالذات لأن السلطة تعلم أن المؤسسات الأهلية والمنظمات المجتمعية تمارس نوعاً من الرقابة على الأداء الحكومي - أو هكذا يفترض -، ولن تقبل سلطة ثبت أنها احتلست أكثر من ٣٦٥ مليون دولار في عام واحد من وصولها (٩٨٦) من شخصيات السلطة الضالعة بالفساد، أو من باتوا يعرفون باسم (القطط السمان) في المجتمع الفلسطيني.

السلطة تعرف نفسها، وتعرف قيادتها وماذا يفعلون، والدول الاستعمارية كانت تعلم بوجود الفساد في أجهزة السلطة ومؤسساتها، وتقبل به للضغط على هذه الشخصيات

^{٩٨٦}. وهذا ما تم نشره على وسائل الأعلام في ما عرف في حينها بخطوات التصحيح الأعداري لعمل السلطة، حيث ثبت أن هناك مئات ملايين الدولارات الأمريكية الواردة من الدعم الأمريكي والأوروبي قد اختفت، وهو الأمر الذي جرى تأكيده بالوثائق بعد سيطرة حماس على مخبرات السلطة في غزة، حيث نشرت الوثائق بالاسماء والأرقام للاختلاسات ونهب المال العام بأيدي متنفذي السلطة.

بكشفهم عند مخالفة الأوامر، و" إسرائيل " من مصلحتها أن يظل الفساد مستشرياً لأن الشعب الفلسطيني عدو موجود في قلب كيانها المغتصب، وبالتالي، فإن انشغاله بالفساد خير لها من انشغاله فيما يضرها، ولا مصلحة لأحد أن تكشف هذه الأمور، ولو من مؤسسة مدنية صغيرة.

٦. السماح المشروط والمقيد لبعض المؤسسات الإسلامية الهامشية وذات الأثر المحدود بالعمل، لا سيما تلك المؤسسات التي تخفف عن السلطة مسؤولية القيام بواجباتها تجاه الشعب، كمؤسسات رعاية الأيتام والفقراء والحالات الخاصة ونحوها.

٧. الرفض لكل المؤسسات ذات التوجهات الناهضة بالمجتمع في إطار فعلي جاد، ومشاريع التنمية الفعلية، والمشاريع الإنتاجية الفعالة (٩٨٧)، أو المؤسسات ذات الطابع الإسلامي المؤثر.

فقد تم منع العديد من المؤسسات من أخذ التراخيص اللازمة لها للعمل في المجتمع الفلسطيني بحجج واهية، وبغير حجج أحياناً، لكون الحجم المتوقع من عملها في المجتمع على صلة وثيقة بالحالة السياسية، وذا طبيعة تأثيرية تأثرية بالمخططات التوسعية لقيادات السلطة، على صعيد الفساد، أو على صعيد التغول في النفوذ من خلال شرائح المجتمع المختلفة.

في هذا السياق، تم رفض العديد من تراخيص العمل للمنظمات الأهلية التي تعنى بزيادة الوعي الفلسطيني بمخططات الاحتلال، وزيادة الثقافة الفلسطينية في مجال ضرورة المقاومة والتصدي للاحتلال ودسائسه واتجاهاته الممارسة تجاه الشعب الفلسطيني (٩٨٨).

^{٩٨٧}. انظر في فائدة هذه المشاريع وضرورتها في أي مجتمع: الكفاية الانتاجية / رشاد رمزي / الاتحاد الاشتراكي

العربي - مؤسسة الثقافة العمالية / مجموعة المراجع الأساسية (١٩) / دون طبعة / ص ٦ - ١٠.

^{٩٨٨}. وهذا ناجم عن كون المنظمة التي تدير السلطة قد ألغت من ميثاقها كل عبارات العداة للصهيانية، وطبقت هذا

المفوه سلوكاً من خلال قمع العمل المدني الذاهب بهذا الاتجاه، فهي مقيدة بالاتفاقية بشكل يشل حركتها وقدرتها على الرفض.

كما وتم رفض التراخيص اللازمة لعمل بعض المؤسسات ذات الطابع الحزبي المباشر للحركات الإسلامية في وقت تم السماح بها لغيرهم، وبالذات: حركة فتح.

بهذا، يتبين أن نظام أوسلو كان يضع الشروط المتفق عليها وفق اتفاق أوسلو موضع التنفيذ من خلال برامج فلسطينية تتبع لدوائر أمن المؤسسات في قطاع المخابرات والأجهزة الأمنية الفلسطينية، فتسمح لما تريد، وتمنع ما تريد، وإرادتها في هذا الشأن محكومة بسقف إرادة أطراف عالمية وإقليمية معلومة.

يبقى أن يشير الباحث هنا إلى أن بناء المجتمع المدني في أي دولة هو من وظيفة الدولة، فالدول التي تحترم ذاتها، تؤسس لعمل منهجي بان يسهم في نهضة المجتمع ونموه، وتسمح لكل ما هو ارتقائي بأن يظهر (٩٨٩)، وعليها أن تمهد لوجوده، وتدعمه بكل طاقاتها وإمكاناتها، وإن أي تقصير سيلحق بالدولة؛ لكونها المسؤول الأول عن الحالة العامة في المجتمع (٩٩٠).

وبالنظر إلى الواقع الفلسطيني في فترة تطبيق اتفاق أوسلو، فإن شيوع الفساد في الخدمة العامة (٩٩١)، وقلة الوازع الديني - بل وحتى الوطني -، وضياع الأمانة عند المتنفذين في العمل الحكومي في السلطة (٩٩٢)، قد أسهمت في وضع عراقيل كثيرة في وجه التطور

^{٩٨٩}. انظر في ذلك: عولة عادلة (توفير الفرص للجميع) / اللجنة العالمية المعنية بالبعد الاجتماعي للعولة / منظمة العمل الدولية - حنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ٦٢ - ٦٣ حيث تم بيان أهمية مثل هذه المشروعات وضرورة تفعيلها في المجتمع لضمان قدرته الفعلية على النهوض والارتقاء.

^{٩٩٠}. انظر في ذلك: إدارة الإنتاجية / مرشد عملي / جوزيف بروكوبنكو / مكتب العمل الدولي - حنيف / منظمة العمل الدولية ومكتب العمل الدولي، ومنظمة العمل العربية ومكتب العمل العربي / الطبعة العربية الأولى (١٩٩٨ م) / ص ٤٢ - ٤٤.

^{٩٩١}. انظر عن مخاطر ذلك في: مجلة العلوم الجنائية والاجتماعية / معهد الدراسات والبحوث الجنائية والاجتماعية - جامعة الرباط الوطني - الخرطوم / موضوع بعنوان: العولة والفساد / بابكر عبد الله الشيخ / ص ١٠ - ١١.

^{٩٩٢}. لكون الأمانة كل ما عهد به إلى الإنسان.. وانظر في ذلك: الموسوعة الفقهية / وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت / الطبعة الأولى (١٩٨٥ م) / ج ٦ / ص ٢٣٦.

الواجب للمجتمع المدني الفلسطيني، ليواكب حالة النهضة الحقيقية التي يمكن لها أن ترفع سقف
صموده وقدرته.

المطلب السادس

امتلاك الوضع القانوني

للحصول على الأوراق الرسمية الخاصة بالتسجيل في الدوائر الحكومية، فإن لهذا العمل وجهين اثنين، تم التفريق بينهما على أساس الواقع السياسي والفترات الزمنية التي مرت على فلسطين في الآونة الأخيرة، وعلى مدار العشرين سنة الماضية كفترة زمنية لبيان الفارق بين مرحلتين، وهما: مرحلة الاحتلال الصهيوني، ومرحلة سلطة أوسلو.

تسجيل المؤسسات في زمن الاحتلال

قبل ما يعرف باتفاق أوسلو المشؤوم، وقدوم السلطة الوطنية الفلسطينية في العام ١٩٩٣ م إلى غزة وأريحا باعتبارهما بداية التطبيق العملي لهذا المشروع السياسي المسخ، وتوسع امتداد النفوذ لهذه السلطة حتى العام ١٩٩٧ م على المدن الفلسطينية الخاضعة للتصنيفات المعمول بها في اتفاق أوسلو على أنها منطقة (أ) أي منطقة نفوذ سلطة فلسطينية، وتناسيها لبقية المواقع الاستراتيجية والحساسة في الوطن السليب التي أخذت تصنيف (ب) و (ج)، والتي احتفظ بها الاحتلال تحت نفوذه الأمني والسياسي والإداري، كان العمل المؤسساتي يمر بالمراحل التالية في طوره التأسيسي:

١. التقاء مجموعة من الناس على فكرة مؤسسة ما، وتجمعهم من أجل أن يقوموا بإنشاء هذه المؤسسة على الواقع من خلال الخطوات التالية لذلك، فالفكرة هي الخطوة الأولى، والتجمع البشري التأسيسي لتنفيذ هذه الفكرة هو العمل التراكمي التالي لها.

٢. وضع المتطلبات النظرية لوجود المؤسسة (٩٩٣)، من حيث بيان هيئتها التأسيسية، وأهدافها العامة والخاصة، وظروف عملها، والفئات المستهدفة من أنشطتها المختلفة،

^{٩٩٣}. وهو ما يعرف بالنظام الداخلي للمؤسسة أو الهيئة.

لتكون هذه الخطة النظرية الموضوعة على الورق هي مسار العمل الخاص بهذه المؤسسة (٩٩٤)، وتعطي الصورة العامة عن مجالات عملها، والقائمين عليها، وتطلعاتهم المستقبلية.

٣. التقدم بطلب رسمي إلى الجهات المختصة في دولة الاحتلال للحصول على الترخيص اللازم للمؤسسة.

وقد كانت الجهة المختصة بماذا الأمر قبل اتفاق أوسلو هي المؤسسة العسكرية الصهيونية المعروفة ب (الإدارة المدنية)، وهي الجهة صاحبة الاختصاص في العمل المؤسسي، والجهة المخولة بمنح التراخيص للطلابين، إذا قبلت الدولة العبرية بقيام المؤسسة التي يريدون إقامتها.

تجدر الإشارة هنا إلى أن ضباط الإدارة المدنية الصهيونية هم موصولون بشكل مباشر في المخابرات الصهيونية، بل هم جزء حيوي ورئيس فيها، وذلك لما في العمل المؤسسي الفلسطيني من تداخل لا يمكن القفز عنه مع العمل السياسي، والتنسيق بين هذه الجهة التي تسمى (مدنية) والدوائر الاستخباراتية على أعلى مستوياته، لتدارس واقع الشخصيات التي تتقدم بطلبات، وخلفياتها السياسية والحزبية إن وجدت، وميولهم واتجاهاتهم الفردية والجمعية، ليتم اتخاذ الحكم والقرار بشأن المؤسسة المطلوبة بناءً عليه.

٤. الوصول إلى نقطة القرار، وهو القرار الصهيوني ذو الدواعي السياسية والاجتماعية في الآن ذاته، وهذا القرار له سمات محددة من الضروري أن يشار إليها ولو على وجه الاقتضاب:

أ) لا يتعامل الاحتلال مع كل المؤسسات المطلوب ترخيصها بالرفض المباشر، ليعطي تصوراً عن نفسه بأنه يمتاز بالطابع الديمقراطي من جهة، ولكون المتقدمين لإنشاء

^{٩٩٤}. انظر في ذلك: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٩٦ / ٢٠٠٧) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، ص ٦٧ - ٦٩.

المؤسسات ليسوا على درجة واحدة من العدا لليهودية بالضرورة، فمن حيث المبدأ، هناك جهة يهودية مختصة بمنح التراخيص والأوراق القانونية للمؤسسات.

(ب) يتم النظر في كل طلب مقدم على حدة، ويتم ذلك من خلال مراعاة التدقيق الشامل في الواقع الفلسطيني، والمنطقة الجغرافية (المحافظة) أو (المدينة) أو (القرية) أو (المخيم) الذي يتم تقديم المؤسسة لتعمل في نطاقه، مع الأخذ بعين الاعتبار للظروف الموضوعية والشكلية التي تعتري هذا المكان من حيث طبيعته الجغرافية، وطبيعته البشرية، ومدى تغلغل الشرائح السياسية فيه، وحاجة المؤسسة العسكرية اليهودية للعب على الخيارات السياسية في المنطقة أم لا، وهكذا..

(ج) التشخيص الدقيق للميول الفردية والجماعية لدى الفئة التأسيسية التي تتقدم بطلب العمل المؤسساتي، والتفرس فيهم من خلال المعطيات الموجودة عند المخبرات اليهودية، أو من خلال المعلومات التي يتم جمعها من خلال الملفات السرية، أو العملاء، عن كل واحد منهم، ويتم ذلك من خلال الفترة الزمنية التي تعطي لمقدمي الطلب للمراجعة، والتي قد تمتد لعدة أشهر، حتى تقوم الجهات اليهودية ذات العلاقة باستيضاح ملابسات كل شخصية وتوجهاتها، ليتم اتخاذ القرار على ضوء كل صغيرة وكبيرة من هذه المعلومات المجموعة.

(د) الرفض المباشر للمؤسسات التي يشتم الاحتلال فيها الطابع الوطني، أو التوجه الإسلامي الوطني على وجه التحديد (٩٩٥)، لمعرفته بخطورة امتلاك هذه الشريحة نقطة انطلاق مؤسساتية في المجتمع، وبؤرة لاستقطاب الجمهور من خلال عملها وتحركها، وهو الأمر المرفوض بل والمحارب من قبل الاحتلال وزبانيته.

^{٩٩٥}. فقد تم رفض عشرات الطلبات المقدمة إلى الإدارة المدنية بتأسيس وافتتاح مؤسسات أهلية وخدمانية رجحية وغير رجحية من أجل تطوير الواقع الفلسطيني من خلال بعض الجوانب الحيوية، وقد اشتد الرفض قسوة وصلابة وصاحبه سوء معاملة وتهديد في معظم الأحيان، لبيان الاحتلال للجهات التي تتقدم بطلبات ترخيص مؤسساتي أنه لا ولن يتهاون مع هذا النوع من العمل المؤسساتي بل وسيحاربه ويعاديه.

هـ) السماح بإقامة المؤسسات ذات الطابع التدميري بلا رقابة ولا قيود، بل وبدعم وتخفيف في شروط القبول (٩٩٦)، لتكون حرة الحركة في عمل النشاطات، وترويج الأفكار في المجتمع كيف تشاء.

و) السماح بقيام مجموعة من المؤسسات بظروف معينة، حتى ولو خالفت رغبة الإدارة المدنية، وذلك لكونها تتمتع بصفات تخفف عن الاحتلال من واجباته المنصوص عليها في القوانين الدولية تجاه الشعوب التي يتم احتلالها، وهذه المؤسسات يتم السماح لها بالقيام في ظل قيود كثيرة، ومعيقات عديدة، واستهداف غير مباشر في حال السعة، ومباشر حال تأزم المواقف السياسية (٩٩٧).

ز) تعاطي الاحتلال من خلال الحنكة السياسية مع بعض وجهاء المدن والمحافظات والقرى الذين كانوا جزءاً من الهيئات التأسيسية في هذه المؤسسات، فقد تعامل الاحتلال بكل حذر مع العمل المؤسسي، وحاول من خلال خطوات رآها أن يتملق بعض الوجهاء وكبار العشائر وأصحاب النفوذ من أجل أن يبين لهم أنه (احتلال رحيم وشفوق ومتعاون)!! فسمح بقيام عدة مؤسسات - وإن كانت محدودة - لتقوم بدورها تحت رقابة الاحتلال المشددة، ومن خلال الشخوص المتنفذين الذين لا يبدوا للاحتلال معادتهم المباشرة له.

ح) قامت بعض المؤسسات البناءة في ظل الاحتلال الصهيوني من خلال ذكاء بعض المتنفذين في المجتمع الفلسطيني، والتيارات السياسية المعادية للاحتلال، وحنكتهم في التعامل مع متطلبات المرحلة، وتم ذلك من خلال تقديم طلبات التأسيس من خلال أشخاص

٩٩٦. وهذا ما تم مثلاً مع مؤسسات حقوق المرأة، والمؤسسات التبشيرية في شتى المحافظات وعلى اختلاف طبيعة عملها، حيث منحت التسهيلات المطلوبة للعمل منذ وجود الدولة العبرية وقبل قدوم سلطة أوسلو، حيث انتشرت هذه المؤسسات في المحافظات الفلسطينية بسرعة، ومنحت التسهيلات في العمل المؤسسي، كما منح الأعضاء الفاعلون بها (ذكوراً وإناثاً) حق التنقل المأمون بين المناطق المختلفة.

٩٩٧. كسماح الاحتلال بقيام مجموعة من المؤسسات على امتداد فلسطين تتماشى مع طبيعة المجتمع المسلم، كلجان الزكاة ومتطلباتها من المواقع والمرافق، ومؤسسات رعاية الأيتام، وتأهيل المعاقين، ونحوها من المؤسسات ذات الطابع المهني، والتي تم التقدم بطلباتها بعناية ودراسة.

غير حزيين، أو وجهاء عشائر، أو مهنيين وإداريين بطابع صرف، ووضع الأهداف العامة والخاصة بشكل هلامي وفضفاض، وهذا سمح بدخول العمل المؤسساتي النافع في المجتمع الفلسطيني، وأوجد ثغرة في حاجز الرفض الدائم لمثل هذه المؤسسات، لتقدم هذه المؤسسات للمجتمع خدماتها الرائدة والمميزة، ولا زال بعضها مستمراً حتى اليوم.

الحصول على الترخيص المؤسساتي في ظل سلطة أوسلو

بعد قدوم سلطة أوسلو إلى الواقع الفلسطيني، وقيام ما يعرف بدويلة (الحكم الذاتي) التي سلبها الاحتلال كل مقومات وجودها وحيويتها، وجدت المؤسسات الرسمية ذات الطابع الحكومي الفلسطيني التي تعنى بشؤون العمل المؤسساتي، وقد كان ذلك من خلال دريين لا بد من أن يسلكهما العمل المؤسساتي:

الدرب الاول: وهو التقدم بالطلب الرسمي لترخيص المؤسسة بعد استكمال هيئتها التأسيسية ومتطلبات التقديم النظري إلى وزارة الداخلية الفلسطينية، وهي الجهة الأعلى صاحبة الاختصاص في العمل المؤسساتي العام، ولا بد من الحصول على موافقتها على إقامة أي كيان مؤسساتي مهما كان لونه أو طابعه.

وتقوم وزارة الداخلية الفلسطينية بالتدقيق في الطلبات المقدمة من خلال لجانها التخصصية التي تتابع تفاصيل المؤسسات، وتوجهاتها، والظروف المحيطة بها على حد سواء، لتتخذ بعد ذلك القرار الذي تراه بحققها.

من المفيد هنا أن تتم الإشارة إلى أن وزارة الداخلية الفلسطينية في ظل سلطة أوسلو قد لعبت - وبكل أسف - على الوتر الحزبي الضيق، فهذه السلطة قد تم إيجادها كمشروع فتحاوي تشرف عليه منظمة التحرير، فكان التوجه العام والسائد والمعلوم عند وزارة الداخلية - وغيرها من الوزارات - أن الأولوية في العمل المؤسساتي لا بد أن تكون لمؤسسات

حركة فتح، ومن ثم مؤسسات منظمة التحرير، مع التضييق على المخالف، ووضع العراقيل في وجهه، حتى لا تقوى شوكته في المجتمع الفلسطيني (٩٩٨).

لعل من أشنع ما عرفه الواقع الفلسطيني بعد قدوم سلطة أوسلو؛ هو وجود دائرة (أمن المؤسسات) ومصطلح (قانون السلامة الوطنية) داخل الهيكلية التابعة لوزارة الداخلية، والتي لم تكن تتابع ملفات العملاء والمهندسين في المجتمع الفلسطيني (٩٩٩)، بقدر ما كان اهتمامها منصباً على منع أصحاب التوجهات الإسلامية المعروفة من بناء الجسم المؤسساتي الفاعل، ذاك الجسم الذي يخدم المجتمع ويولي طموحاته على مستوى الفرد والأسرة والعموم (١٠٠٠).

الدرب الثاني: الحصول على التراخيص اللازمة من الوزارات ذات الاختصاص التفصيلي، فإذا أجازت الداخلية الفلسطينية ميلاد مؤسسة ما، فإن على الهيئة التأسيسية لها أن تتابع الحصول على التراخيص اللازمة لها من خلال الوزارة المختصة بها.

فالمؤسسات المدنية والأهلية التي تهتم بالمعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة لا بد لها من الحصول على الترخيص الداعم من وزارة الشؤون الاجتماعية، والمراكز الثقافية لا بد لها من الحصول على التراخيص الداعمة والرسمية من وزارة الثقافة، والنوادي الرياضية تحصل على تراخيصها من وزارة الشباب والرياضة، ومؤسسات رعاية الأيتام والفقراء تحصل على الترخيص من وزارة الشؤون الاجتماعية، وهكذا...

٩٩٨. بدا ذلك واضحاً في تشييد الخناق على المنظمات والهيئات والتشكيلات المجتمعية ذات التوجهات الإسلامية في حال مخالفتهم لبعض القوانين، كتأخرهم في فترة إجراء الانتخابات فترات وجيزة، في وقت لم تجر فيه انتخابات لبعض المؤسسات التابعة لفتح من عشر سنوات ويزيد، ولم يتخذ بحقها أي إجراء.

٩٩٩. لأن اتفاقية أوسلو منعت من ملاحقة العملاء.

١٠٠٠. انظر في ذلك: مجلة فلسطين المسلمة / تصدر في لندن / العدد الخامس في السنة الثالثة والعشرون، أيار ٢٠٠٥

م / ص ١٠.

عرف القائمون على العمل المؤسسي الإسلامي ألواناً من التضيق في شروط ومتطلبات قبول ترخيص المؤسسات أو في مجال دعمها ورفدها بمقومات الحياة والاستمرارية، في وقت ظهر الدعم المادي والفني والمعنوي للمؤسسات ذات الطابع المحسوب على السلطة من خلال وزارة الداخلية والوزارات المعنية ودوائر معروفة في (مكتب الرئيس) والميزانية العامة للسلطة، مما أصاب بعضها بالتخمة المادية في ظل نقص العمل وضحالة المستوى المقدم للجمهور، وفي وقت يضيق فيه على أصحاب التجارب الواعدة، والخبرات الرائدة في العمل الخدماتي والمؤسسي، لا لشيء إلا لأهم غير موالين لاتجاه السلطة.

المبحث الثاني

شكل وإشكاليات المجتمع المدني الفلسطيني

المطلب الأول

طبيعة تشكيل المجتمع المدني الفلسطيني

يتمتع المجتمع المدني الفلسطيني بصورة تقليدية في توزيع منظمات وهيئات العمل الموجودة فيه، ويظهر ذلك جلياً في قراءة تفصيلية لطبيعة أشكال نشاط المجتمع المدني ومسمياته العاملة، وتقييم هذه المسميات والتوجهات المتعلقة بها في ظل الفهم الشمولي لما هو مطلوب منها تجاه الشعب، وتجاه الحق الفلسطيني، وتجاه مقارعة الصهاينة، لتجد أن المطلوب من المجتمع المدني الفلسطيني غير متحقق بنسبة تضمن فاعليته ونشاطه المؤثر في الأصعدة المختلفة.

فقد بلغ عدد المؤسسات العاملة في الضفة الغربية وقطاع غزة ضمن منظومة المجتمع المدني: (٩٢٦) منظمة (١٠٠١)، موزعة على المناطق الجغرافية لفلسطين المحتلة (١٠٠٢)، الجزء الأكبر منها (٧٦.٦%) في الضفة الغربية، والباقي (٢٣.٤%) في قطاع غزة (١٠٠٣) .

١٠٠١. كان ذلك حتى العام ٢٠٠٢ م، وقد زاد عددها بعد ذلك بشكل كبير، ولكن طبيعة تقسيماتها لم تختلف اختلافاً جوهرياً عن المعروض في هذا المبحث.

١٠٠٢. لم أعتد على شيء يفيد بعدد المؤسسات الفلسطينية التابعة للمجتمع المدني في عموم فلسطين، فالدراسات الحديثة، وضمن مشروع أو سلو تقييم الدراسات والإحصاءات بناءً على كون فلسطين هي مناطق الاحتلال عام ١٩٧٦ م، دون المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ م، فالرقم الموجود هنا يدل على المؤسسات في الضفة وغزة فقط.

١٠٠٣. انظر في ذلك: النسخة الإلكترونية من كتاب: تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة / إعداد: ياسر شلبي وآخرون / موجودة على الانترنت، وقد تمت هذه الدراسة الخاصة بالتعداد في العام ٢٠٠١ م.

التوزيع المبدئي للنسب المئوية في عدد المنظمات المدنية الإجمالي بين الضفة وغزة مقبول وطبيعي، حيث إن العدد الإجمالي للمنظمات المدنية إذا ما قيس بالتعداد العام للسكان، والتوزيع الجغرافي لهم، يقسم بالنسبة المتوافقة بين الضفة الغربية وقطاع غزة، هذا على صعيد النظرة المتعلقة بالعدد فحسب.

أما على صعيد التوزيع الفعلي لأدوار وتصنيفات المؤسسات والهيئات المدرجة تحت إطار المجتمع المدني الفلسطيني؛ فهي مغايرة لهذا التصور، بل وتكاد تكون لا تصلح لتكون منطلقة من توجهات وحاجات الشعب الفلسطيني، وغير متساوقة مع قوانين الحرية النقابية (١٠٠٤).

وفق الدراسات الموجودة في مراكز الإحصاء وجهود الباحثين في مجال المنظمات الأهلية الفلسطينية حتى بدايات عام ٢٠٠٢ م، كان التوزيع الخاص بالمسميات التابعة للمجتمع المدني الفلسطيني على النحو الآتي:

١. النسبة العظمى من المنظمات غير الحكومية الفلسطينية هي تابعة لتصنيف (الجمعيات الخيرية) حيث كانت هذه المنظمات العاملة في الضفة الغربية وقطاع غزة من الجمعيات الخيرية تمثل شريحة مؤسساتية بلغت نسبتها ٤٠.٤% من إجمالي عدد المنظمات غير الحكومية (١٠٠٥).

يقصد بالجمعيات الخيرية في تصنيفات الباحثين: المؤسسات الأهلية العاملة في مجال تقديم وجوه الخير، بناءً على قاعدة: مانح وممنوح كمؤسسات رعاية الفقراء، ورعاية الأيتام ونحوها.

١٠٠٤. انظر في ذلك: وضع عمال الأراضي العربية المحتلة - تقرير المدير العام - ملحق / مؤتمر العمل الدولي - جنيف، الدورة ٩٦-٢٠٠٧ م / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / ص ٢٧.

١٠٠٥. انظر في ذلك: النسخة الإلكترونية من كتاب: تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة / إعداد: ياسر شلبي وآخرون / موجودة على الانترنت.

بنظرة مبدئية سريعة، فإن هناك تخمة حقيقية في العمل في الجمعيات الخيرية والخدماتية، على حساب منظمات المجتمع المدني المؤثرة الأخرى.

٢. الأندية الشبابية والرياضية وبلغت نسبتها ٣٠.٤% (١٠٠٦).

بالمقارنة مع العدد الكلي للمنظمات الأهلية الفلسطينية، يلحظ أن النسبة العامة للنوادي الرياضية والتجمعات الشبابية تحتل حصة كبيرة، ولكنها على أرض الواقع من أقل المنظمات الأهلية قدرة على التأقلم مع الظرف السياسي والاجتماعي، الأمر الذي أدى إلى تقهقر نشاطاتها في السنوات العشر الماضية بسبب الظروف المعيشية، وقلة ذات اليد، وظروف الاحتلال.

الواضح من قراءة المعطيات الواردة في النوعين الأولين من التشكيلات الخاصة بالمنظمات الأهلية أن المنظمات التقليدية (١٠٠٧) تحظى بالحصة الوافرة من بين المنظمات غير الحكومية الفلسطينية، أي ما تبلغ نسبته: (٧٠.٨%).

وإذا كان (٧٠%) من منظمات المجتمع المدني الفلسطيني على هذا النحو، فإن العلم النظري بطبيعة الأثر المنوط بالمجتمع المدني في مجالات إحداث التنمية والاستقرار والأمن الاجتماعي ورسم السياسات الضاغطة لن يكون متحققاً، نظراً لكون هذه التوجهات من مجالات العمل المحتاجة للدعم المستمر، ومن الهيئات والتشكيلات التي تساهم بتغطية الظروف الموجودة، لا القفز فوق حواجز الفقر، أو تحقيق التنمية في المجالات الرئيسة الهامة مثلاً، فالعاجز لا يقوى على دعم نفسه؛ فضلاً عن إحداث نقلات نوعية في مساندة وإنقاذ الآخرين.

^{١٠٠٦}. انظر في ذلك: النسخة الإلكترونية من كتاب: تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة / موجودة على الانترنت.

^{١٠٠٧}. المنظمات التقليدية: هي المنظمات التي تعتمد أسلوب عمل تقليدي من حيث الإدارة، وهي منظمات تهتم غالباً بالبعد الخيري، أو بأنشطة متعلقة بالمجتمع المحلي كالأندية الشبابية، والجمعيات الخيرية.

٣. (١٠.٢ %) من إجمالي المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة والقطاع هي (مراكز) ثقافية (١٠٠٨).

طبيعة هذه المراكز وتوصيفها: هي تلك المؤسسات التي تقوم لتحقيق فكرة أساسية متعلقة بنشر الوعي والثقافي العامة، في أي جانب تعليمي وتربوي وثقافي، سواء تسمت باسم (مركز ثقافي) (١٠٠٩) أو بمسميات أخرى (١٠١٠).

٤. المنظمات الإغاثية، ويقصد بها المنظمات التي تنشأ لإغاثة شريحة من الناس تحتاج العون بسبب ظروف معينة، وقد تكون هذه المؤسسات كبيرة ممتدة من حيث الأثر والفاعلية (١٠١١)، أو موضعية في إقليم معين أو قرية ما.

بلغت نسبة هذه المنظمات في المجتمع المدني الفلسطيني: (٤.٨ %) من المجموع العام للمنظمات (١٠١٢).

٥. المنظمات العاملة في إطار التنمية..

هي مؤسسات حديثة في غالبها الأعم، نشأت تحت ظروف الوعي المؤسساتي والخبرة في التعامل مع المجتمع، واكتسبت خبرتها من طبيعة العمل المؤسساتي الغربي، الذي انتقل من طور الإغاثة إلى طور التنمية بصورتها: المحدودة والمستدامة.

^{١٠٠٨}. انظر في ذلك: النسخة الإلكترونية من كتاب: تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة / موجودة على الانترنت.

^{١٠٠٩}. مثل المركز الثقافي الإسلامي - الخليل، والمركز الثقافي البريطاني - القدس.

^{١٠١٠}. مثل: منتدى الخليل الثقافي - الخليل، واتحاد الكتاب الفلسطينيين، وبيت الشعر الفلسطيني وبيت الحكمة، ونحوها.

^{١٠١١}. مثل: وكالة الغوث الدولية العاملة في فلسطين وكثير من بلدان العالم.

^{١٠١٢}. انظر في ذلك: النسخة الإلكترونية من كتاب: تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة / على الانترنت.

جاء في مجلة النبا توصيف لهذا النوع من المنظمات غير الحكومية حيث يقول الكاتب: ((وهو نوع جديد من منظمات العمل الأهلي بدأ يتنامى تدريجياً في المجتمعات العربية، يهدف هذا النمط من الجمعيات الأهلية إلى تحقيق التنمية في إطار مجتمع محلي محدد)) (١١٣).

وبلغت نسبة المنظمات التنموية الفلسطينية الموجودة في الضفة الغربية وقطاع غزة: ٤.٩ % من المجموع العام للمنظمات غير الحكومية (١١٤).

بنسبة تقريبية تقديرية، فإن ما نسبته (٥ %) من مجموع المنظمات غير الحكومية الفلسطينية العاملة في مجالات التنمية المستدامة في المنشآت الخاصة بها (١١٥)، أو التنمية الموضوعية المحددة لا يتماشى بصورة نهائية مع التصور الحقيقي الذي يقر بضرورة أن يكون هذا النوع من المنظمات المجتمعية هو الأكبر والأكثر فاعلية، نظراً لوجود الاحتلال على الأرض الفلسطينية، وما أفرزه هذا الوجود من تدمير للبنية الاقتصادية والاجتماعية والنفسية الفلسطينية، الأمر الذي يعني ضرورة أن تكون منظمات المجتمع المدني العاملة في مجالات التنمية الحقيقية، الأكبر عدداً، والأكثر فاعلية في تنسيق الجهود لتوفير مقومات الصمود في الواقع الفلسطيني.

١١٣. مجلة النبا - مجلة شهرية ثقافية عامة / العدد ٧١ / عدد حزيران ٢٠٠٤ م / موضوع بعنوان: أهمية المنظمات الأهلية العربية في التنمية / للباحث: الدكتور كريم أبو حلاوة، وهو كاتب وباحث سوري في الشؤون الإستراتيجية.

١١٤. انظر في ذلك: النسخة الإلكترونية من كتاب: تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة على الانترنت.

١١٥. انظر في تعريف وبيان دور المنشآت المستدامة: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٩٦ / ٢٠٠٧) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، صفحة ١ - ٣.

٦. المنظمات البحثية..

يقصد بها المنظمات الأهلية التي تقوم بمشاريع إعداد الأبحاث أو تسويقها أو تعميمها على المجتمعات المختلفة والمجتمع المحلي (١١٦)، وتدخل فيها تبعاً للمؤسسات الخاصة بالاستقراء والإحصاء المجتمعي غير الحكومي، وإن كانت حزبية (١١٧)، وبلغت نسبتها من مجموع المنظمات الأهلية الفلسطينية: (٣.٥ %) (١١٨).

الملموس فلسطينياً بأن هذه النسبة المئوية لا تدل على حجم الأداء المطلوب من هذه المنظمات في المجالات التنموية المتعلقة بتطوير الإنسان أو البيئة الفلسطينية، فهذه المراكز والهيئات البحثية والمختصة بشؤون قياس الرأي العام وتوجهات الجمهور الفلسطيني ليست على درجة من الكفاءة والموضوعية، وتتبع التوجهات الحزبية أكثر من اعتمادها على سياسات تطويرية تقلب الأرقام والإحصاءات المجموعة إلى أجندة عمل تقدم للجهات ذات الاختصاص (١١٩)، وتدخل في نطاق التنافس بين الجامعات في إظهار نفسها ومدى تقدمها من خلال امتلاكها لمثل هذه المنظمات غير الحكومية.

^{١١٦}. من أهمها: مراكز الأبحاث الخاصة بالجامعات الفلسطينية، كجامعة بيرزيت والنجاح والخليل.

^{١١٧}. مثل مركز البحوث الخاص بحركة حماس في مدينة نابلس، والذي استشهد أثناء قصفه من الطائرات الصهيونية الشهيدين القائدين جمال منصور وجمال سليم وآخرون، ومراكز أبحاث ودراسات تابعة للفصائل الأخرى.

^{١١٨}. انظر في ذلك: النسخة الإلكترونية من كتاب: تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة على الانترنت.

^{١١٩}. وقد ظهر ذلك بوضوح في فترات الخلافات الحزبية بين التيارات السياسية الفلسطينية، كما حصل في فترة تولي محمود عباس للسلطة، حيث اظهرت النتائج قبول الشارع الفلسطيني به، مع انه كان مرفوضاً وقتها من قبل فتح نفسها، لكونه جاء بفرض الرأي الغربي على ياسر عرفات، وللتضييق عليه بعد رفضه لكاتب ديفيد (٢)، كما وظهر أثرها في قياس الرأي الذي سبق الانتخابات التشريعية، حيث لعبت دوراً في تدعيم حركة فتح على حساب حماس من خلال بث الأرقام والمعطيات التي تحبط العاملين في العمل الحركي الإسلامي عن دخول الانتخابات، وذلك تبعاً لما يتم عرضه من أرقام تفيد فشلهم المحقق إذا ما شاركوا في العمل السياسي، وهو ما نفتته الحقيقية على أرض الواقع من خلال الانتخابات التي تمت في مطلع العام ٢٠٠٦ م، وهكذا..

الدور المطلوب من هذه المنظمات غير الحكومية هو تعميم الثقافة النقابية والمؤسسية في المجتمع (١٠٢٠)، وتوظيف الأرقام والإحصائيات الواردة من الأبحاث في مشاريع التنمية وبيان أوجه القصور في العمل، أو أوجه الإشراف والتميز في بعض جوانبه، ليكون ما تقدمه أرضية صالحة لإحداث التغيير التنموي الشامل.

٧. منظمات إعادة التأهيل، والمنظمات الخاصة بالتدريب..

هي مؤسسات ومراكز غير ربحية تقوم من أجل إعادة تأهيل الشرائح التي تختارها من المجتمعات، من خلال برامج خاصة بهم، ويدخل فيها تبعاً، تصنيف المؤسسات الخاصة بالتدريب في شتى المجالات (١٠٢١)، إذا كان بعيداً عن العمل الحكومي أو المصلحة المؤسسية المالية والربح.

بلغت نسبة المنظمات العاملة في مجال التدريب وإعادة التأهيل في الضفة الغربية وغزة: ٢.٧ % من المجموع العام (١٠٢٢).

وفي واقع يمتلئ بالألم، ويعاني فيه الرجل والمرأة من التغيب والتهميش، ويكثر فيه طالبو التأهيل الحقيقي من شرائح المجتمع المختلفة، فإن نسبة (٣ %) تقريباً من المنظمات الأهلية لا تخدم الشعب الفلسطيني، ولا يمكنها تقديم خدماتها لجمهور واسع من المحتاجين، وهو الأمر الذي يغلب عليها من شدة الاحتياج وقلة الموجود.

^{١٠٢٠}. انظر حول هذا الدور: أهمية الثقافة العمالية وأثرها في التنمية وكيفية تسيير أجهزة ومراكز الثقافة العمالية / مكتب العمل العربي - المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل / دورة الجزائر (٣٠ - ٤ - ١٩٧٨ م إلى ١٠ - ٥ - ١٩٧٨ م) / إعداد: فضل علي عبد الله / دون ذكر الطبعة / ص ١٧٨.

^{١٠٢١}. مثل المراكز المتخصصة بتدريب معلمات رياض الأطفال، ومؤسسات تدريب الأم على طبيعة إدارة الأسرة، ومؤسسات تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة، كمؤسسة الأمل لرعاية المكفوفين، ونحوها.

^{١٠٢٢}. انظر في ذلك: النسخة الإلكترونية من كتاب: تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة على الانترنت.

لكن؛ إذا تم جمع أعداد المصايين في الانتفاضات الفلسطينية، مع أعداد السجناء، وأعداد غير المتعلمين، وأضيف إليهم أصحاب الحاجات الخاصة، فإن مشاريع التأهيل الحقيقية للمتعليم وغير المتعلم تحتاج إلى نظرة جديدة، تقفز بالعدد الحالي من المنظمات غير الحكومية العاملة في هذا المجال إلى أضعاف مضاعفة، لتشكل جسماً يحتضن هذه الشرائح المفصلة في المجتمع، بما يخدم نموها وازدهارها، وإدماجها في المجتمع بصورة سوية ومن غير تكلف.

٨. المنظمات الحقوقية، ويطلق عليها أيضاً: المنظمات الدفاعية:

يقصد بها تلك المنظمات الأهلية التي تقوم بمتابعة القوانين المتعلقة بحقوق الأفراد والمؤسسات، وتقوم بتمثيل الجهات التي تعنى بها أمام الجهات المختصة.

يسمي البعض هذه المنظمات بأهها: منظمات التأثير والرأي (Advocacy)، ومن أمثلتها منظمات حقوق الإنسان، والدفاع عن المرأة وحقوقها، ومنظمات حقوق المعاقين، ومنظمات ظهرت مؤخراً تعنى بالدفاع عن حقوق الأطفال الذين ليس لهم مأوى، إضافة إلى منظمات الدفاع عن البيئة ونحوها (١٠٢٣).

المنظمات الحقوقية تأتي في ترتيب المنظمات الأهلية الفلسطينية في المرتبة الأخيرة، حيث تحتل ما نسبته: (٢.٦ %) من المجموع العام للمنظمات غير الحكومية الفلسطينية (١٠٢٤).

وفي حال غياب منظمات المجتمع المدني المسؤولة عن حقوق الإنسان، والدفاع عن البيئة، ومنظمات الدفاع عن المجتمع الفلسطيني في وجه الدمار الذي حاق بالبنية الاقتصادية

^{١٠٢٣}. انظر في ذلك: مجلة النبأ - مجلة شهرية ثقافية عامة / العدد ٧١ / عدد حزيران ٢٠٠٤ م / موضوع بعنوان: أهمية المنظمات الأهلية العربية في التنمية / للباحث: الدكتور كريم أبو حلاوة، وهو كاتب وباحث سوري في الشؤون الإستراتيجية.

^{١٠٢٤}. انظر في ذلك: النسخة الإلكترونية من كتاب: تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة على الانترنت.

فيه (١٠٢٥)، والمطالبة بتطبيق النظام السياسي الصالح والمتزن والمحقق لرغبات الجمهور الفلسطيني المسلم وتوجهاته؛ يعني أن النظام السياسي الفلسطيني – والجهات التنفيذية فيه تحديداً – يعمل في ساحة مغلقة، بعيداً عن النقد والمتابعة، وبعيداً عن عيون المجتمع المدني، لكون هذه المؤسسات والهيئات هي المعنية بالدفاع عن حقوق الأفراد، وإظهار مدى تمتعه بالمواطنة الحقيقية في ظل النظام السياسي، كما أنها الحكم على طبيعة النظام السياسي حقيقة، فغيابها غياب لكثير من أوجه التقدم التي يمكن أن تنهض بالإنسان والأسرة والمجتمع.

إذا اعتبر البعض أن نسبة (٢.٦ %) من منظمات المجتمع المدني الفلسطيني نسبة غير قليلة، فإن هذا الاعتبار في غير موضعه، لكون الغالبية من هذه المنظمات تعمل بسقف محصور ومحدود، وبعيداً عن دور النقابات المعروف في البناء الوطني (١٠٢٦)، من خلال الكفاءات الحزبية الموجودة فيها، ومن أتيح لهم أن يتنفذوا فيها، هذا إذا جاز اعتبارها جميعاً منظمات فاعلة وخدمانية، وهو الأمر غير المتحقق فعلياً، ويمكن قياسه من خلال الواقع المشاهد والمحسوس.

^{١٠٢٥}. انظر بشأن الخسائر الاقتصادية نتيجة تدمير البنى الاقتصادية التحية لفلسطين: مجلة الملف الدوري (٩) / مركز دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا / موضوع الانتفاضة الفلسطينية / تقرير: مركز الأقصى للإعلام / ص ٢٣ - ٢٥.

^{١٠٢٦}. انظر في ذلك: مؤتمر الحوار النقابي – ورقة عمل / دور النقابات في البناء الوطني / حسن محمد علي – أمين مال اتحاد نقابات عمال السودان، وهي ورقة عمل قيمة وشاملة.

المطلب الثاني

منظمات المجتمع المدني في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ م

اختار الباحث أن يكتب في هذا الجانب في مطلب مستقل، نظراً لخلو كثير من المؤلفات الفلسطينية وغير الفلسطينية من المعطيات المرتبطة بالواقع الفلسطيني فيما يخص سكان فلسطين المحتلة في العام ١٩٤٨ م، لكون فلسطين هي فلسطين، كل معلوم، والتسميات التي أوجدها الاحتلال لا بد من إزالتها من مصنفاتنا، حتى تتعمم المفاهيم والمصطلحات السوية في الجيل القادم بحول الله تعالى.

فبعد قدوم رجالات أو سلو لحكم جزء من فلسطين، وهو ما نسبته (١٢ %) من مساحة فلسطين الكلية، أو المناطق الموزعة في الضفة الغربية وقطاع غزة، اقتصر البحث الفلسطيني الرسمي، بل وحتى المؤلفات الفلسطينية والمناهج الدراسية المقررة من سلطة أو سلو (١٠٢٧)، على الأرض الفلسطينية في هذه المناطق، وتناسى الرسميون أن سكان مناطق الخط الأخضر هم فلسطينيون جرى عليهم الاحتلال نفسه، ويعيشون معنا على الأرض نفسها، ويربط بينهم وبين سكان مناطق السلطة دين وحق تاريخي وواقع ومصير مشترك.

وإن كان الباحث يعتبر أن عدم ذكر الفلسطينيين في تلك المناطق خيانة عظيمة لهم، وضرب لهم من الخلف، فإن تهميشهم في المؤلفات الرسمية الفلسطينية يؤصل لدعاوى الاحتلال بكونهم جزءاً من سكان " إسرائيل "، وهذا معناه الاعتراف بـ " إسرائيل " كدولة لها حق على التراب الفلسطيني المغتصب، وهذه خيانة واضحة وعلنية.

وحتى لا يقع الباحث في الخطأ في هذا الجانب، فقد أفرد هذا المطلب للحديث عن منظمات المجتمع المدني الفلسطيني في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ م التي هي جزء لا يتجزأ من

^{١٠٢٧}. كمثال فقط، تذكر المناهج الدراسية الموائى الفلسطينية والمحافظات الفلسطينية، ولا تذكر فيها موائى حيفا ويافا وعكا، بل تقتصر على ميناء غزة، وتذكر محافظات الضفة وغزة دون مدن الخط الأخضر، وعلى هذا فقس.

أرض فلسطين - برغم من لا يرضى -، مع العلم أن إهمالهم من البحوث الفلسطينية الحديثة قد غيب عن الباحث مصادر ومراجع يمكن الاستفادة منها لإثراء البحث في هذه الجزئية.

لكون الفلسطينيين من سكان المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ م عاشوا مرحلة الاحتلال الأولى، وبدأ العسكر الصهيوني يتحكم في مقدراتهم ووجودهم وأرضهم قبل بقية مناطق فلسطين، فإنهم قد بدؤوا بالعمل على مجابهة هذا الوجود الصهيوني من خلال بناء الذات الفلسطينية، والحفاظ على الهوية الفلسطينية المسلمة برغم كل محاولات التهويد والتشريد وفرض سياسات الأمر الواقع.

المنظمات المدنية الفلسطينية الموجودة في تلك المناطق، في الشمال الفلسطيني المحتل، كالناصرية، والجليل، وكفر كنا، وجت، والمثلث، وحيفا ويافا وعكا، ونحوها، أو تلك الموجودة في الجنوب الفلسطيني المحتل في النقب، وكسيفة، وأم الرشراش (١٩٢٨) تعمل بفهم فلسطيني، ووعي فلسطيني، برغم حصولها على التراخيص من الجهات الصهيونية الرسمية (١٩٢٩).

منذ بداية الاحتلال، بدأ الشعور بالحس الوطني المتعلق بأرض فلسطين يزداد داخل المواطن الفلسطيني الذي احتلت أرضه، واستيحت أعضائه، وشرذ أقرباؤه بفعل سياسات التهجير والمجازر التي دأبت القوات الصهيونية على تنفيذها، وبفعل اضطهاد الصهاينة لفلسطيني الداخل (١٩٣٠)، وهذا ما عزز وجود حالة من العمل ضد الاحتلال تحت ستار المجتمع المدني، إضافة إلى وجود منظمات مدنية تلي احتياجات المجتمع ومتطلبات المرحلة الجديدة التي يعيشها.

^{١٩٢٨}. وهو الاسم الحقيقي لما يعرف اليوم بمنطقة "إيلات" في جنوب فلسطين المحتلة.

^{١٩٢٩}. انظر: بحث بعنوان: التجربة السياسية لفلسطيني ١٩٤٨ م - استراتيجية وتكتيك الحزب الشيوعي في معارك وتطور الجماهير العربية في "إسرائيل" / د. أحمد سعد / منتدى الفكر الديمقراطي و المركز القومي للدراسات والتوثيق / ص ٣.

^{١٩٣٠}. انظر في ذلك: من الفكر الصهيوني المعاصر / سلسلة كتب فلسطينية (١١) / من منشورات مركز الابحاث - منظمة التحرير الفلسطينية - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٦٨ م) / ص ١٩٠ - ١٩٢. وانظر كيف اختلف

عرفت المناطق التي احتلت عام ١٩٤٨ م أشكالاً من النشاط الأهلي والمدني، بدءاً بالعمل المنطلق من التجمعات الدينية والإثنية والشعبية، كالمسجد والقبيلة والتحركات الشعبية والحركات الاجتماعية (١٣١)، مروراً بالنوادي الشبابية والرياضية والترفيهية، وانتهاء بمؤسسات العمل المدني في ثوبها المعروف حالياً كهيئات وسطى بين الفرد والدولة، وكمجاميع للدفاع عن الحق الفردي في وجه تغول الصهاينة.

كان للعمل تحت الاحتلال نكهته الخاصة، حيث تلاحمت القوى الشعبية والحزبية من أجل مقارعة العدو المترصد، وتلاقت سياسات الأفراد والجماعات على تعزيز الصمود في وجه الحملات التهوديدية التي يشنها الصهاينة؛ طمعاً في تغيير الواقع وفرض الشروط الجديدة، تبعاً لاختلاف البيئة ومسمياتها والإنسان فيها، الأمر الذي عطل كثيراً من المشاريع الصهيونية، وأبطل مفعول السحر الصهيوني الهادف إلى شراء ذمم المواطنين الفلسطينيين، وتبديل انتماءاتهم وتوجهاتهم (١٣٢).

من الجدير ذكره هنا، أن الحدود الرسمية الفاصلة بين المناطق التي احتلت عام ١٩٤٨ وبين بقية الأرض الفلسطينية لم تكن موجودة لغاية نهايات الثمانينيات من القرن الماضي، الأمر الذي مكّن الفلسطينيين في تلك المناطق من التواصل في العمل والتنسيق الميداني والخبراتي مع إخوانهم الفلسطينيين في المناطق الأخرى، على صعيد تأمين الدعم، أو فتح الخيارات، أو دراسة الخطوات فيما يتعلق بالعمل الأهلي والعمل العام.

خلال سنوات، كان لدى الفلسطينيين المقيمين في تلك المناطق مجموعة من المنظمات غير الحكومية التي تنشط في غير اتجاه، وتسير نحو تحقيق أكثر من هدف، فنشأت

الحال بين تلك الفترة وبين زمن أو سلو، حيث تم شطب الفلسطينيين في تلك المناطق بالكامل من قاموس منظمة التحرير بعد العام ١٩٩١ م.

١٣١. انظر: هوية الإنسان في الوطن العربي (مشروع قراءة جديد) / سعيد التل / روائع مجدلاوي للنشر والتوزيع - الأردن / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / ص ١٤٦ - ١٤٨ .. وكذلك: ٣٥٤ - ٤٠٥.

١٣٢. انظر في ذلك: مجلة القدس / السنة الرابعة / العدد ٣٧ / كانون الثاني ٢٠٠٢ م / ص ١١٣.

المراكز الثقافية، ومراكز تحفيظ وتجويد القرآن الكريم، والجمعيات الخيرية والأهلية، ومنظمات التأهيل والتدريب، ومنظمات نصره المسجد الأقصى (١٠٣٣)، والنوادي الرياضية والشبابية والتعليمية ونحوها، الأمر الذي ساعد على تثبيت الهوية والانتماء بشكل كبير.

وقد تطور المجتمع المدني في الداخل الفلسطيني إلى درجة تأسيس جهات نضال عربية لصد العنصرية الصهيونية الواضحة في التمييز بين المواطن العربي والمستجلبين الصهاينة من أقطار الدنيا.

هذا ما عبر عنه الدكتور أحمد سعد المسؤول في الحزب الشيوعي في الداخل الفلسطيني بقوله: ((ولهذا تناضل الجماهير العربية من أجل ضمان حقها بالمواطنة الكاملة في وطنها الذي لا وطن لها سواه، من أجل المساواة التامة، القومية والاجتماعية والمدنية، ومواجهة ودفن سياسة التمييز والقهر القومي في شتى مجالات الحياة والتطور الذي تمارسها حكومات "إسرائيل" المتعاقبة والحالية)) (١٠٣٤).

وتنشط المنظمات المدنية في تعبئة الجماهير الفلسطينية بمفاهيم تحقيق النهضة والتنمية لواقعهم حتى لا يكونوا أسرى النفوذ الاقتصادي الصهيوني، وليواجهوا مشاكل استهداف الصهاينة للاقتصاد الفلسطيني، وتدميره للبنية الاقتصادية التحتية في مناطقهم السكنية (١٠٣٥).

^{١٠٣٣}. وهي مجموعة من المؤسسات العاملة بتصريح رسمي، ويقوم على أمرها نفر من المثقفين والنشطاء الاجتماعيين، وتعنى بالحفاظ على المسجد الأقصى وقديسته، وضيافة رواده وزواره، ولها نشاطات كثيرة ومتنوعة في المسجد الأقصى نفسه وفي مناطق الداخل الفلسطيني، ومنها على سبيل المثال: مؤسسة الأقصى التابعة للحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني.

^{١٠٣٤}. بحث بعنوان: التجربة السياسية لفلسطيني ١٩٤٨ م / ص ٣.

^{١٠٣٥}. انظر في ذلك: وضع عمال الأراضي العربية المحتلة - تقرير المدير العام - ملحق / مؤتمر العمل الدولي - جنيف، الدورة ٩٦-٢٠٠٧ م / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / ص ١٩ - ٢٦.

وتنشط الجمعيات الثقافية في الداخل الفلسطيني في عقد النشاطات واللقاءات والمحاضرات ونحوها من وسائل الاتصال الجماهيري؛ من أجل رفع الوعي الفلسطيني بالحقوق المسلوقة منه، كما وتقيم التيارات السياسية الفلسطينية على اختلاف مشاربها الفكرية الفعاليات المختلفة لتحقيق الهدف عينه، وتتألق الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني بتوجيهه بوصلة الفلسطيني المسلم نحو المسجد الأقصى (١٠٣٦)، والهوية الإسلامية التي يراد إقصاؤها من الوجود.

ويتصدر لمشروع الوعي الإسلامي، والثقافة والأنشطة المرتبطة بالقدس والأقصى نفر من خيرة أبناء فلسطين، يتقدمهم شيخ الأقصى: رائد صلاح - رئيس الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني، ونخبة من الشخصيات الإسلامية والوطنية الأخرى التي لها أثر كبير في تعميم الحقوق والسعي للمطالبة بها، ورفض التهجين وطأأة الرأس للعدو المعتصب.

يبقى العبء الأكبر في وجه منظمات المجتمع المدني الفلسطيني في الداخل الفلسطيني في مواجهة ظواهر الانحلال التدريجي للنسيج الاجتماعي والاقتصادي الفلسطيني في ظل الاحتلال (١٠٣٧)، والتصدي لسياسات الاحتلال الرامية لتشتيت الكتل الفلسطيني وتمزيقه؛ تمهيداً للتعامل معه بنظام الفرق والتكتلات المتناحرة، على غرار ما يفعله في دعم بعض التوجهات والطوائف في الداخل الفلسطيني المحتل عام ١٩٤٨ م، والتمثل بدعمه للبهائيين والقاديانيين بالعمل بكل حرية، بل وبدعم مباشر من الدولة الصهيونية لكون نشاطهم تصب في مصلحة الصهاينة وتفتت الصف الفلسطيني.

يقول الدكتور محمد شبير في ذلك:

١٠٣٦. وقد كان آخر الفعاليات الرائدة، مشروع مؤسسة الأقصى في الداخل، مشروع النصر الكبرى للمسجد الأقصى المبارك، والتمثل بتسيير حافلات يومية تنقل المواطنين الفلسطينيين من سكان الخط الأخضر (الداخل الفلسطيني) إلى المسجد الأقصى للصلاة فيه، الأمر الذي زاد ارتباط كثير من الفلسطينيين هناك بقبلة المسلمين الأولى.

١٠٣٧. انظر في ذلك: وضع عمال الأراضي العربية المحتلة - تقرير المدير العام - ملحق / مؤتمر العمل الدولي - جنيف، الدورة ٩٦-٢٠٠٧ م / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / ص ٣ - ٧.

... حيث سمح الاحتلال لمؤسسات البهائية والقاديانية بالانتشار في فلسطين المحتلة، ويسر أمامها السبل لإظهارها عالمياً، عن طريق عقد مؤتمر عالمي لها في حيفا، وبرعاية الحكومة الصهيونية، وأطلق الصهاينة لهم حرية نشر افكارهم الخبيثة في وسائل الإعلام المختلفة (١٠٣٨)

وهذا من باب التلاعب على وتر التناقضات الداخلية في المجتمع الفلسطيني، من أعداء الله وقتلة الأنبياء وسدنة الشر والفساد والإجرام (١٠٣٩).

المطلب الثالث

المنظمات المدنية الفلسطينية في خارج الوطن

عانى الشعب الفلسطيني بمجمله من ظروف الاحتلال، والملايين التي تم تهجيرها قسراً عن أوطانها، ومن يُعرفون في المصطلحات الدولية اليوم باسم (اللاجئين) تارة، و (النازحين) تارة أخرى؛ هم جزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني، يعيشون ألمه وأمله، ويتجرعون من مرارة الاحتلال ما يتجرعه إخوانهم في مناطق الاحتلال التي اغتصبها من الشعب الفلسطيني.

فقد قام الشعب الفلسطيني في مختلف مناطق وجوده على امتداد رقعة العالم، من خلال المخيمات المنتشرة في دول الطوق، ومن خلال وجوده في دول العالم الأخرى بمعاودة الشعب الفلسطيني الراح تحت نير الاحتلال؛ من خلال جهد مؤسساتي رائد، وشبكة من

^{١٠٣٨}. وانظر في ذلك: صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية / د. محمد عثمان شبير / دراسات في القضية الفلسطينية من منظور إسلامي / مكتبة الفلاح - الكويت / الطبعة الثانية (١٩٨٩ م) / ص ١٣٩.

^{١٠٣٩}. انظر في ذلك: اليهود أعداء الله وقتلة الأنبياء / الندوة العالمية للشباب الإسلامي - المنطقة الشرقية / لجنة شباب فلسطين / دون طبعة / ص ٣٦ - ٣٧.

المنظمات الأهلية التي تهتم بالواقع الفلسطيني بكل ما فيه، ليكمل دور النقابات والهيئات والمنظمات المدنية الداخلية في البناء الوطني (١٠٤٠).

تقول الباحثة الفلسطينية عبلة أبو عبلة: ((لم يقتصر وجود هذه المؤسسات على المجتمع الفلسطيني تحت الاحتلال، بل امتدت الحركة الاجتماعية المنظمة لتشمل تجمعات الشعب الفلسطيني في الشتات)) (١٠٤١).

فعرفت مخيمات اللاجئين في الشتات المنظمات الأهلية التي ترعى المهجرين والنازحين، والمؤسسات التي تهتم بحق العودة، ومنظمات الرعاية الاجتماعية، وجمعيات التأهيل النفسي والتربوي والفكري، والمراكز الثقافية والعلمية على اختلاف مسمياتها وانتماءاتها (١٠٤٢).

انتصر الفلسطينيون الموجودون في الخارج لمدهم وقراهم المهذمة، والتي طردوا منها بالقوة وتحت نيران السلاح، وفي ذلك يقول الباحثون في الشأن الفلسطيني: ((على المستوى الوطني الفلسطيني، تشكلت عشرات الجمعيات والروابط التي تحمل أسماء المدن والقرى الفلسطينية المدمرة، ولا زالت هذه الجمعيات قائمة في المخيمات وتحديداً في بلدان الشتات)) (١٠٤٣).

^{١٠٤٠}. انظر في ذلك: مؤتمر الحوار النقابي - ورقة عمل / دور نقابات في البناء الوطني / حسن محمد علي - أمين مال اتحاد نقابات عمال السودان، وهي ورقة عمل قيمة وشاملة، تتحدث عن دور النقابات المختلفة في العمل الوطني وأثرها على الساحة السياسية.

^{١٠٤١}. بحث منشور على الانترنت بعنوان: المنظمات الأهلية الفلسطينية / للباحثة: عبلة محمود أبو عبلة.

^{١٠٤٢}. فمن هذه المنظمات على سبيل المثال لا الحصر: منظمة: عائدون والتي تنشط على الأراضي السورية واللبنانية، و لجنة الدفاع عن حق العودة في دمشق، واللجنة العليا للعودة للأرض الموجودة في الأردن.. وجمعية مناصرة فلسطين في البحرين، والجمعية الخيرية لنصرة الأقصى الشريف في اليمن وهيئة نصرة الأقصى في لبنان، وغيرها.. وانظر في ذلك: مجلة فلسطين المسلمة / العدد الخامس / السنة الثالثة والعشرون / ص ٣٤-٣٥

^{١٠٤٣}. بحث منشور على الانترنت بعنوان: المنظمات الأهلية الفلسطينية / للباحثة: عبلة محمود أبو عبلة.

لم يكن لهذه المنظمات غير الحكومية نشاط فيما يتعلق بالناحية الظاهرية المرتبطة بالأسماء فحسب، بل كان لها دور فاعل في دعم الشعب الفلسطيني، وكفالة أيتامه، ودعم الفقراء فيه، وتوجيه الجهود والنشاطات الفكرية والأدبية لأجل تعزيز صموده، وتدعيم تحمّله للمصاعب والمشاق الموجودة أمامه بفعل الصهاينة.

وكان للنخب المثقفة وحملة الشهادات العلمية في المهجر دور بارز في تشكيل العديد من المنظمات المدنية المعنية بالدفاع عن الحقوق الفلسطينية، وتفعيل القضية الفلسطينية، والتواصل مع العالم الغربي بكل شرائحه وطوائفه وتياراته ومنظماته، لتوضيح الحقائق التي طمس الاحتلال نورها فيما يتصل بالشأن الفلسطيني.

في السياق ذاته، عرفت دول العالم نشاطاً من الفلسطينيين الذين يعيشون في المهجر تجاه قضيتهم ووطنهم السليب، ورمزية المسجد الأقصى المبارك (١٠٤٤)، فقامت المؤسسات الأهلية في مشارق الأرض ومغاربها، ذوداً عن حياض القدس والأقصى وأرض الإسراء والمعراج، التي هي جزء من عقيدة كل مسلم، مهما تناءى وجوده عن أرضه (١٠٤٥).

^{١٠٤٤}. مثل جمعية أنصار الخيرية في جمهورية السودان، والتي تقوم بدور رائد في نصره المسجد الأقصى المبارك ودعم الشعب الفلسطيني.

^{١٠٤٥}. مثل: مركز العودة - أثينا، اللجنة الراعية لحق العودة - بوسطن / الولايات المتحدة، ومركز العودة - لندن / بريطانيا، كما وتشكلت لجان للدفاع عن حق العودة في كل من السويد، الدنمارك، اليونان، فرنسا، ألمانيا وبريطانيا وغيرها من المنظمات.

المطلب الرابع

علاقة المؤسسة بالواقع السياسي الفلسطيني

العلاقة النظرية

سبق أن تناول الباحث العلاقة بين المجتمع المدني والجانب السياسي في أي مجتمع (١٠٤٦)، وسيتم التركيز في هذا المطلب - بعون الله - على العلاقة التفصيلية بين المنظمة المدنية الفلسطينية وبين الواقع السياسي.

يرتبط العمل المؤسساتي والعمل في حقل المنظمات الأهلية بالعلوم السياسية بشكل كبير، حتى إنك لا تقوى على التفريق بينهما لا سيما في واقع مثل الواقع الفلسطيني، بما فيه من تداخلات سياسية واجتماعية على المستويات جميعاً.

وإذا كان الفهم الشمولي للعلوم السياسية هو أهما:

إحدى تخصصات العلوم الاجتماعية التي تدرس نظرية السياسة، وتطبيقاتها، ووصف وتحليل النظم السياسية وسلوكها السياسي، وأن هذه الدراسات تكون غالباً ذات طابع أكاديمي التوجه، نظري وبحثي (١٠٤٧)

وأن ((الحقول الفرعية التي تتناولها العلوم السياسية تتضمن: النظرية السياسية، والفلسفة السياسية، والمدنيات: civics، وعلم السياسة المقارن: comparative politics)، والأنظمة القومية وتحليل سياسات بين الأمم cross-national (political analysis والتطور السياسي والقانون الدولي)) (١٠٤٨)؛ فإن علاقة الواقع

^{١٠٤٦}. انظر: الدور السياسي للمجتمع المدني، في الفصل الأول من هذا البحث.

^{١٠٤٧}. موسوعة ويكيبيديا - الموسوعة الحرة على الانترنت WWW.WIKIPEDIA.ORG / موقع

بعنوان: العلوم السياسية.

^{١٠٤٨}. المرجع السابق.

المؤسساتي في فلسطين بالعلوم السياسية تظهر جلية من خلال دورها وأدائها وواقعها، والذي يرتبط بصورة مباشرة بالواقع السياسي العام للشعب الفلسطيني وعلى اختلاف مراحل الصراع مع الاحتلال.

و حين ينادي الساسة والمصلحون الاجتماعيون وأهل الإعلام على اختلاف ألوانهم وأشكالهم ومسمياتهم في هذه الأيام بضرورة تعزيز وجود الحياة المدنية في أي دولة، وتباهي المؤسسات العالمية والهيئات الدولية فيما بينها لإبراز قدرتها على إحياء الطابع المدني في ظل القيادة السياسية التي تقود تلك الدول، في محاولة منها لإبراز النهضة المجتمعية السائدة فيها، فإن هذا السعي المحموم على إبراز الدور الرئيس للمجتمع المدني في الأمم له بواعثه وكوامنه، فهذه الدول بعد سلسلة من الخبرات والتجارب سواء الذاتية أو تجارب الآخرين توصلت إلى نتيجة واحدة، وهي أن التقدم والازدهار، والحياة الآمنة لأي فرد في أي أمة؛ تتم من خلال وجود الدرع الحامي لحقوق الفرد أمام تغول السلطات الحاكمة، وهو ما يعرف اليوم بقوة النفوذ للمجتمع المدني، أو القوة الكامنة في العمل المؤسساتي.

السبب الرئيس في الأمر، هو أن الأمم ربطت بين مفهوم حرية التعبير، والرقي الاجتماعي والمعرفي، وبين استقرار المجتمع المدني في ظل وضوح مفهوم المواطنة السليمة والثابتة للفرد، وفق حقوقه المنصوص عليها في القوانين الدولية، وهو ما يصطلح على تسميته: (المجتمع الديمقراطي).

يرجع ذلك بالضرورة إلى أن وجود المجتمع المدني بصورته الفاعلة، وأخذه لزام المبادرة في ترسيم السياسات الاجتماعية والسياسية في ظل السلطة الحاكمة ضمن آليات تنسيقية واضحة المعالم والصلاحيات والتخصصيات، يضمن الوصول إلى ما يتغنى به بعضهم في هذه الأيام من الحالة (الديمقراطية) والتي تسمى في النظام الإسلامي: حالة الاستقرار المدني والسياسي.

فالأمن الاجتماعي (١٠٤٩) جزء من الأمن العام المفروض توفيره في المجتمع، وتساءل عنه الدولة حال غيابه، لكون الأمن متعلقاً بزوال الخوف وحالة الطمأنينة (١٠٥٠) التي يؤصل لوجود حياة مستقرة.

يقول الأستاذ محمد حلمي متسائلاً: ((ولكن هل هناك وجود لديموقراطية في ظل غياب مؤسسات المجتمع المدني؟؟ أعتقد الإجابة لا، فلا وجود لديموقراطية بدون تطور المجتمع المدني الحالي بجميع أشكاله، سواء كان نقابات أو تجمعات مهنية أو جمعيات، والتي تكون الرابط بين المجتمع و النظام، وتطورها يصاحب تطور الثقافة السياسية لدى الناس)) (١٠٥١).

وقد كتب الباحثون من المعاصرين حول دور المؤسسات الأهلية في الدفاع عن الفرد في أي مجتمع، لا سيما تلك المؤسسات الناشطة الواعية لدورها في المجتمع على صعيد خدمة الجمهور، وعلى صعيد التوجيه المؤثر بالجمهور نحو تحقيق حالة من الاستقرار، يصل إليها المجتمع من خلال تطبيق مجموعة من القيم الثقافية الإيجابية في الحياة السياسية العامة (١٠٥٢).

هذه القيم التي يكون من شأنها أن تسن القوانين النافعة، وتحارب الآفات الاجتماعية والسياسية من خلال نفوذ الدولة، ومن خلال تواصل الفعاليات الاجتماعية مع الدولة لترسيم حاجات المجتمع، ونظمها ضمن القوانين والتشريعات الموضوعية والوضعية التي تلي احتياجات المواطن، ضمن حقه المشروع في المواطنة.

١٠٤٩. look: SOCIAL SECURITY – ANEW CONSENSUS /

INTERNATIONAL LABOUR OFFICE – GENEVA/ F. P (2001) / P.7.

١٠٥٠. الموسوعة الفقهية / وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت / ط ١ / الطبعة الأولى (١٩٨٥ م) /

ج ٦ / ص ٢٣٣.

١٠٥١. مقالة بعنوان: دور المجتمع المدني في النهضة الديمقراطية، للكاتب: محمد حلمي، على الموقع الإلكتروني:

exhaustedcoptic@yahoo.com، الحوار المتعدد - العدد: ١٤٩٦ - ٢٠٠٦ / ٣ / ٢١

١٠٥٢. انظر عن دور القيم في التأسيس للعمل المدني والنقابي: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر

العمل الدولي، الدورة (٢٠٠٧ / ٩٦) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص

التنفيذي، ص ٤٢.

ومن المعلوم بدهاءة أن الحق يضع في حال عدم المطالبة به، والمطالبة بالحق الفردي والشعبي الجماهيري لا بد أن تكون من خلال صورة حضارية تتقدم بها نخب المجتمع من العاملين في حقوله المختلفة، لتصويب المسار السياسي الذي يلقي بظلاله على الحياة بكل تقسيماتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ونحوها.

الخيار الأنسب والأفضل، هو أن تتحرك من رحم المجتمع حركات اجتماعية عاشت همّ المواطن وآلامه وآماله، لتطالب بما يريد كيف ما أراد، ضمن الحق العام وبما لا يחדش الثوابت المعمول بها في الدول، لا سيما المنطلقات العقائدية، وذلك لكون الحركات الاجتماعية تنطلق من خلال الجهد المنظم المتزن نحو وجهة تعرفها، ومارستها من خلال سلوكها في المجتمع وبين الجماهير، فهي خير لسان ينطق مع الدولة باسمهم.

بالنظر إلى الواقع المؤسسي العام، فإن الإنسان يرى أن الصلة بين الحدث السياسي والنواة المؤسسية وثيقة ومتينة، ولها امتداداتها على أكثر من اتجاه، والعلاقة التبادلية بين الاتجاهين تتعمق مع الايام وتأخذ صوراً جديدة بحسب طبيعة الزمان والظرف السياسي وعوامل البيئة والشخص.

ويسعى المجتمع المدني من خلال دوره المجتمعي وسعة نفوذه إلى الوصول إلى ترسيخ مفاهيم عامة في الحياة السياسية حتى تأخذ الحياة طابع الحرية في أشكال التعبير والتفكير والتوسع في الفهم والحركة والعمل، تحت ما بات يعرف ب (عالم ممكن أفضل) (١٠٥٣) التي انتشرت كعنوان لتحرك المجتمع المدني في أكثر من ميدان.

يضرب الباحث لذلك مثلاً، فالنشاط الكبير الذي شهدته المؤسسات الأهلية النقابات العمالية في البرازيل، ومحاولاتها الدائبة لدفع شبح الفقر والعوز عن البرازيليين دفعت

١٠٥٣. انظر في ذلك: مناهضة العولمة- حركة المنظمات الشعبية في العالم / سمير أمين وفرانسوا أوتار / مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ٢٨٥.

بشخصيات من عمق العمل المؤسساتي لتصدر ثورة عامة عارمة، أوصلت قيادات هذا العمل إلى السلطة (١٠٥٤)، والشواهد على هذا الشأن كثيرة في دول العالم الاخرى.

هذا ما أكده الكاتب برهان غليون بقوله: إن التحركات الأهلية والمؤسسية تسيير ((ضمن حراك حضاري يرمي إلى صيانة وتطوير حقوق المواطن والنهوض بالوطن في إطار من الأجندة والأولوية الوطنية الداخلية أساساً)) (١٠٥٥) فهي ذات توجه واضح، وخطوات محسوبة في اتجاه تطوير الواقع بشكل حضاري بعيد عن التطرف والمغالاة والعنف المتبادل.

العلاقة الفعلية التطبيقية

نظراً لطبيعة تأسيس المنظمات غير الحكومية في فلسطين، وما رافق ميلادها على الساحة من ظروف تتعلق بوجود الاحتلال الصهيوني على الأرض الفلسطينية، وما كان ينقدح في ذهن النخب السياسية والاجتماعية المثقفة في تلك الحقبة تجاه قضايا الوطن والمواطن، فإن العلاقة الحقيقية بين المنظمات الأهلية غير الحكومية والحدث السياسي في فلسطين باتت علاقة عضوية لا يمكن فصلها عن واقع العمل المؤسساتي.

فقد كانت المنظمات الأهلية بنقابتها وهيئاتها ومؤسساتها منطلقات حقيقية للفعل السياسي في شتى أنحاء فلسطين، وكانت نشاطاتها الثقافية والتعليمية والتربوية تنطلق من مبدأ

١٠٥٤. حيث قاد هذه التظاهرات (لولا) زعيم النقابات العمالية بالبرازيل، حيث وصل إلى السلطة في الانتخابات عام ٢٠٠٢ من خلال ما كسبه من الدعم الشعبي الذي ترسخ خلال عمله السابق الدؤوب، وانظر في ذلك: المجتمع المدني والصراع الاجتماعي / مؤلف جماعي / مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٩٧م) / ص ١٧٦-١٩٧.

١٠٥٥. من المسؤول عن انهيار آمال الإصلاح والديمقراطية من جديد في الشرق الأوسط / برهان غليون / منشورة بتاريخ ١٥/١٢/٢٠٠٦ م / على الموقع الإلكتروني: <http://www.rezgar.com>

الدفاع عن الوجود؛ في وجه حملة تطهير عرقي تمارسها العصابات الصهيونية المجرمة (١٠٥٦) التي تتفنن في ارتكاب المجازر يوماً بعد يوم.

كما كان لمجهودات المجتمع المدني الفلسطيني في بدايات تشكله على الأرض الفلسطينية دور مهم في تدعيم العمل المقاوم، من خلال دعم وكفالة أسر الشهداء، وأهالي المعتقلين، وإيجاد البيئة الحاضنة لثقافة المقاومة، وتشكيل جبهات الدعم المجتمعية للمقاومين، ورفض سياسات التشريد، وتعميق أواصر التلاقي بين الفلسطيني والفلسطيني، وضبط وعلاج الصراع الاجتماعي في المجتمع (١٠٥٧)، فهذه محطات تاريخية مضيئة، كانت المنظمات شعلتها ونورها.

في بداية تشكل العمل المؤسسي الفلسطيني الحزبي بعد ميلاد منظمة التحرير الفلسطينية، كانت المؤسسات العاملة في إطار المنظمة تعمل بمجموعها تحت يافطة (التحرر الوطني) (١٠٥٨)، وكانت في الحقيقة أدوات وهيئات بيد المنظمة تشارك بها في اللقاءات العالمية والمحلية والإقليمية لطرح القضية الفلسطينية في المحافل والجامع المختلفة، ولكن مفهومها العام كان مصبوغاً باللون الواحد، والتوجه الواحد، والعمل في دائرة واحدة، مما جعلها تفقد مصداقيتها يوماً بعد يوم، حتى أخذت شكل المسميات المفرغة من مضامينها الفعلية، كأدوات من أدوات التأثير والتوجيه والنهضة والتحرر (١٠٥٩).

^{١٠٥٦}. وعلى رأسها عصابتى شتيرن، والبالاخ الصهيونيتين.

^{١٠٥٧}. انظر في ذلك: في الاقتصاد الإسلامي / ص ٨٥، في موضوع ضرورة ضبط الصلاخ الاجتماعي والصراعات الطبقيّة ونحوها وما له من أثر على الفرد والمجتمع.

^{١٠٥٨}. انظر في ذلك: النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو / جميل هلال / مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية - رام الله / الطبعة الثانية (١٩٩٧ م) / ص ٢١٦.

^{١٠٥٩}. لا سيما إذا تمت مقارنتها بالمؤسسات الأهلية التي نشأت في نفس الزمان في العالم الغربي، حيث أبدعت تلك المؤسسات تطوراً وتقدماً وتأصيلاً لمفهوم المواطنة وتجذير الحق العام للمواطن بحياة كريمة، في الوقت الذي بقيت فيه المنظمات الأهلية الفلسطينية التي نشأت في تلك الحقبة في تقوقع مستمر، حتى ذاب القسم الأكبر منها، وما بقي منها صار شعاراً أكثر مما هو ذا مضمون.

وقد كان لبعض هذه المؤسسات وغيرها دور حقيقي في المراحل المختلفة، وذلك من خلال ما قدمته على الصعيد السياسي في مراحل الصراع المختلفة، قبل سلطة أوسلو وبعدها.

يقول بسام الصالحي المسؤول في حزب الشعب الفلسطيني اليساري (١٠٦٠):
وفي الواقع فقد لعبت تلك الأطر والهيئات الاجتماعية دوراً بارزاً بالتعبئة والتنظيم وبلورة الوعي الوطني لدى قطاعات اجتماعية واسعة وخاصة لدى قطاع الطلبة والشباب، والذي انعكس في نفوذ جامعات الوطن، وبأعمال التصادم الشعبي (المظاهرات) مع الاحتلال خاصة في المناسبات الوطنية، وتعزيز الثقافة الوطنية عبر نشر أدبيات الحركة الوطنية الفلسطينية بين قطاعات المجتمع المختلفة، كما لعبت تلك الأطر دوراً هاماً في التحضير للانتفاضة الشعبية الكبرى والتي بدأت مع نهاية عام ١٩٨٧، من خلال المشاركة الشعبية الواسعة وانخراط فئات عمرية مختلفة فيها، إضافة إلى المضمون التحرري الوطني الذي حملته الانتفاضة الأولى ووضوح أهدافها بالتخلص من الاحتلال وإقرار حق شعبنا بالحرية والاستقلال (١٠٦١).

وعدا عن كون المنظمات الأهلية الفلسطينية تميزت في سنوات الاحتلال بدورها الريادي في التنشئة والتوجيه، كان للمنظمات العاملة في الحقل الأهلي سمات مميزة تميزت بها وهي تخوض إلى حوار فعاليات المجتمع الأخرى حربها مع الاحتلال، وهذا ما جعل وجودها في المجتمع الفلسطيني يشكل عاملاً حيوياً في ديمومة الصراع واستمراريته.

فبعد أن أخذت المنظمات الأهلية مفهوم العمل الوطني، وتبنت الأجندة الوطنية في برامجها العملية، أصبحت المؤسسة الفلسطينية جزءاً من الهوية السياسية الفلسطينية، بل عنواناً بارزاً لهذه الحياة السياسية، بما لها من دور فاعل وحضور مؤكد في ميادين الحياة المختلفة، لا

^{١٠٦٠}. وهو واحد من فصائل منظمة التحرير الفلسطينية.

^{١٠٦١}. حول واقع تطور الزعامة الفلسطينية / بسام الصالحي / مركز القدس للإعلام والاتصال - القدس / الطبعة الأولى (١٩٩١م) / ص ٦٠.

سيما في ظل استهداف الحركات والتيارات السياسية مباشرة من قبل الاحتلال، مما جعلها جبهة رديفة للعمل السياسي المقاوم، وبوابة للتحرك السياسي بصورته الشعبية وال جماهيرية.

أدى ميلاد الحركات الإسلامية في فلسطين إلى إضفاء رونق خاص على الواقع السياسي العام في فلسطين، وعلى الواقع المؤسساتي على وجه التحديد، لما لعبته هذه الحركات في توجيه البوصلة الجمعية للشعب الفلسطيني نحو قيم إيجابية سامية، ومفاهيم تتصل بالحياة السياسية والاجتماعية والثقافية بشكلها العام.

وفي حالة التسارع والسبق التي حرص كل تيار سياسي فلسطيني أن يكسبها، أصبحت التيارات السياسية الفلسطينية تحاول زيادة رصيدها الاجتماعي في شرائح المجتمع المختلفة من خلال إقامة المنظمات الأهلية مختلفة التوجهات والمسميات، وهذا ما جعل المجتمع الفلسطيني يشهد في أواسط ثمانينيات القرن العشرين، وبداية التسعينيات فيه؛ طفرة نوعية في العمل المؤسساتي الناضج.

فقد تسابقت التيارات السياسية الإسلامية (١٠٦٢) والعلمانية والماركسية في تلك الحقبة، لإنشاء كمٍّ من المؤسسات تنطلق في تواصلها واحتكاكها مع المجتمع من خلالها، وهذا أكسب الشعب الفلسطيني نضوجاً سياسياً في ظل تلاقي الأفكار، والعصف الفكري الذي احتاح الشارع الفلسطيني إبان النشاط المؤسساتي، سيما وأنه يأتي بعد سنوات من الصراع المفتوح مع الاحتلال، وخبرة تراكمية اكتسبها المجتمع من خلال تياراته السياسية، ونخبه المثقفة والواعية.

١٠٦٢. مع أن حركة حماس والجهاد الإسلامي لم تكن قد انطلقت بعد، ولكن العمل الإسلامي كان على أشده من خلال جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين، والتي كان لها حضور فاعل في المجتمع في بداية الثمانينيات من القرن العشرين.

لم تكن المؤسسة لاعباً سياسياً بوصفها تابعاً لفصيل سياسي موجود على الأرض الفلسطينية فحسب، بل كان حضورها مميزاً وبشكل يفوق بعض التيارات السياسية في ميادين الخدمة العامة، التي دعمت صمود الشعب الفلسطيني في مواجهة آلة الدمار الصهيونية.

ومما لا شك فيه، أن المنظمات الأهلية الفلسطينية في بداياتها كانت محط آمال الشعب الفلسطيني، وكانت العون الحقيقي له في الأزمات والملمات، وذلك من خلال دورها السياسي المغلف بطابع العمل المؤسساتي في الجوانب التالية:

١. قيامها بواجب التوجيه.

ليس أدل على ذلك من ممارسات المنظمات الأهلية في توجيه دفعة الحياة الاجتماعية والثقافية الفلسطينية نحو سياسة البحث عن الحق والذود عنه، وتأصيلها لمفهوم المقاومة، ودعمها لبرامج القوة في الإعداد لكوادر العمل الاجتماعي والسياسي والفني، الأمر الذي أدى إلى وجود تيار مؤسساتي باني لتيارات اجتماعية، تحركت بمفهوم الحركات الاجتماعية المعاصرة، لتغيير ظروف الأمر الواقع التي سعى الاحتلال إلى تكريسها.

وتعمل المؤسسات في المجتمع المدني والأهلي كما يرى " روبرتس تيمونز " عن طريق: ((تحقيق المكتسبات والانجازات وإزالة أسباب الظلم والاضطهاد ودفع الدولة لتبني تشريعات وسياسات وإجراءات تعزز من مكانتها وتزيل الغبن الممارس عليها)) (١٠٦٣) وهي بذلك تحقق لنفسها المكانة التي تخولها المطالبة بالحق العام وتوجيه الرأي العام في المجتمع.

^{١٠٦٣} من الحداثة إلى العولمة / روبرتس تيمونز / المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت / الطبعة الثانية

التوجيه في أبرز وجوهه العامة يهدف إلى رفع مستويات الوعي والثقافة الداعمة للعمل المؤسسي (١٠٦٤)، وزيادة الوعي الشعبي بثقافة المجتمع ودوره (١٠٦٥)، وتوجيه المنتج الفعلي لهذه الثقافة وهذا الوعي في إحداث فعل منسجم مع متطلبات المجتمع وتوجهاته.

^{١٠٦٤}. انظر في ذلك: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٢٠٠٧ / ٩٦) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، ص ٤٢.

^{١٠٦٥}. انظر في ذلك: عولمة عادلة (توفير الفرص للجميع) / اللجنة العالمية المعنية بالبعد الاجتماعي للعولمة / منظمة العمل الدولية - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ٦٥-٦٧.

٢. قيامها بدور الحاضن للعمل المقاوم.

حيث وفرت المنظمات الأهلية الفلسطينية البيئة المناسبة لثبات المجتمع برغم حجم التضحيات التي تكبدها على مستويي: البيئة والإنسان معاً، سواء على صعيد الشهداء أو على صعيد المعتقلين والمصابين والمعاقين والجرحى، أو الدمار الذي لحق بالبنية التحتية الفلسطينية.

وقد كان للخدمات التي وفرتها هذه المؤسسات دور ريادي في تخفيف آلام المجتمع، كما كان لبرامجها الدور المساند في تغذية روح العزة التي أسست للجاهزية الفلسطينية على امتداد سنوات الصراع.

٣. أنها أسست لمفهوم الصراع الممتد بين الأجيال.

الحركة الاجتماعية عبارة عن تيار يسير في أوساط المجتمع المختلفة، وهي بهذا التوصيف تختلف بالكلية عن النشاط الفردي، الذي لا يلبث أن يزول بزوال حامل فكرة ما، أو تخليه عنها بعد أن يتيه المسار.

المؤسسات الأهلية تحركت على مختلف المسارات من أجل إيجاد حالة من الفهم لدور المجتمع في حمل راية التغيير، وبدأت بيث المفاهيم في الأوساط الاجتماعية المختلفة، مما أدى إلى توسع شريحة المؤمنين بالعمل المقاوم، وألغت الكثير من خطط ودسائس العدو التي حاول من خلالها طمس هوية المجتمع، أو التلاعب بمسيرته وقضيته.

وقد شكل تنوع منظمات العمل المدني إلى تعميق صلة الإنسان الفلسطيني بقضيته، حيث لعبت المؤسسات والنقابات والتجمعات الشعبية دوراً بارزاً في تشكيل العقل الفلسطيني، من خلال العمل الثقافي والسياسي والاقتصادي، الأمر الذي أدى إلى ميلاد أجيال تفهم الحق الفلسطيني، وتستعد للتضحية في سبيل استخلاصه من بين شذقي الأفعى الصهيونية.

٤. أنها ساهمت بشكل فعلي في دعم صمود الفلسطيني.

تجلى ذلك بوضوح من خلال دورها اللامع في تعزيز مفاهيم الصبر والثبات والاحتمال، وتقديمها لبرامج ارتقائية بالواقع الفلسطيني من خلال تدريب وتأهيل القطاعات التعليمية والاقتصادية والسياسية، وإيجاد تكامل حقيقي بين هذه الأهداف الاقتصادية والاجتماعية (١٠٦٦)، وتوجيه قطاعات الشعب وأفراده للعمل في الاتجاهات التي يريدها ويحتاجها الشعب الفلسطيني في المراحل التالية، مما شكل رافداً حقيقياً للعمل السياسي الفلسطيني المواجه للاحتلال بكل مجالات الحرب معه.

هذه الأمور بلا ريب من أساسيات العمل السياسي المعاصر، فهي البؤرة الرئيسة في العمل السياسي المقاوم، وهي شرارة التوثب للاستمرار به برغم التضحيات، والمؤسسات المدنية والهئيات والنقابات على اختلاف مسمياتها وأوجه نشاطها ركيزة ثابتة من ركائز المجتمع الفلسطيني في المنافحة عن الحق السليب، والتصدي الفعلي لمؤامرات العدو وحيله (١٠٦٧).

من ثم؛ كان الدور الواضح للمنظمات الأهلية الفلسطينية في المجال السياسي أعلى منه في غيرها من البلدان، نظراً لواقعها الذي تعيشه تحت الاحتلال، وما تشهده أوساط المثقفين فيها من تطورات فكرية واجتماعية وسلوكية متقدمة؛ برغم الحصار والتقتيل والمجازر اليومية.

إضافة إلى ذلك؛ لا يمكن إغفال أن الأعمال الثقافية والاجتماعية والاقتصادية الذي رافقت العمل السياسي كانت رافداً من روافد العمل السياسي، وميداناً آخر من العمل المقاوم، وصورة مشرقة من صور النضوج في توسيع جبهات المقاومة، والتصدي لمشاريع التهويد واقتلاع الفلسطينيين من أوطانهم.

^{١٠٦٦}. انظر في أثر ذلك: عولمة عادلة (توفير الفرص للجميع) / اللجنة العالمية المعنية بالبعد الاجتماعي للعولمة / منظمة العمل الدولية - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ١٠٤.

^{١٠٦٧}. انظر في الدور الحقيقي لمنظمات المجتمع المدني في بناء المجتمعات: مؤتمر الحوار النقابي - ورقة عمل / دور النقابات في البناء الوطني / حسن محمد علي - أمين مال اتحاد نقابات عمال السودان، وهي ورقة عمل قيمة وشاملة.

المطلب الخامس

إشكاليات العمل المؤسسي الفلسطيني

يعاني العمل الاجتماعي الفلسطيني من مشكلات عديدة، ساهمت في تقليص دوره المنوط به في الخدمة والرقى بالمجتمع في مجالاته المختلفة، ومن هذه الإشكاليات ما يتعلق بالأنظمة السياسية السائد، ومنها ما يرجع إلى الأداء الخاص بالمنظمات الأهلية والمنظمات المهنية.

الإشكاليات المتعلقة بالنظام السياسي الفلسطيني.

المجتمع المدني في واقع الأمر رهينة بالنظام السياسي، ومتعلق بالدرجة الأولى بالأنظمة والقوانين التي تسنّ في هذا المجتمع أو ذاك، ودرجة النشاط وسقفه محكومان بالبيئة السياسية التي تسمح أو لا تسمح بوجوده.

حتى يكون البحث موضوعياً، فإن الحكم على المنظمات الأهلية الفلسطينية، ونشاطها في المجتمع المدني الفلسطيني يكون واضحاً وبادياً في ظل مرحلة أوسلو وما بعدها، لكون المرحلة السابقة مقصورة على العمل في ظل الاحتلال المباشر غير المقنن، وما كان يفرضه الاحتلال المباشر من قوانين وفرمانات تقضي على الحياة الاجتماعية والنهضة المؤسساتية في المجتمع الفلسطيني، دون خوف أو تذرّع أو إحراج.

من هنا، سيذكر الباحث الإشكاليات التي بدت واضحة في ظل حكم أوسلو وما تبعه من سنوات (١٠٦٨)، حتى يكون الحكم على المجتمع المدني الفلسطيني في ظل ما يسمى بالحكم الفلسطيني في مناطق السلطة.

^{١٠٦٨}. تجدر الإشارة إلى أن اتفاق أوسلو ينص على أن المرحلة الختامية منه تنتهي في العام ١٩٩٩ م، وما حصل بعدها كان تمديداً لحالة هلامية غير مفهومة الطبيعة والمدلولات.

المشكلة العامة في الواقع المؤسساتي في فلسطين - شأنه شأن بقية الدول العربية - هي تدخل أيدي النظام في سياسات العمل القائم في منظمات المجتمع المدني، ومحاولتها التأثير المستمر والمباشر عليها، حتى تكون جزءاً من الحملة الدعائية للسلطة الحاكمة، أو منبراً آخر يُسبِّح بحمد السلطان ومن لفّ حوله !!

وتدخل النظام الحاكم في العمل المدني الفلسطيني لا يكون بصورة التوجيه المباشر، أو الأمر الصريح الذي يحمل صيغة (إفعل، أو، لا تفعل)، وإنما قد يكون بهذه الصيغة، وقد يكون من خلال التأثير بالدعم المادي على المؤسسات، أو من خلال سنّ التشريعات والقوانين التي تحجم دور المجتمع المدني في العمل.

لهذا؛ تجد الصرخات تنطلق مدوية من كل فلسطين، تنادي بأن ترفع الدولة أيديها من العمل المؤسساتي المدني، حتى تتكامل الأدوار، ويتحقق التقدم المنشود من الشعب وللشعب، وهذا ما قاله أكثر من كاتب ومحلل وباحث (١٠٦٩)، وعزا الباحثون والمتابعون الترهل المؤسساتي إدارياً وأدائياً، وتراجع دور المنظمات الأهلية والمنظمات النقابية؛ إلى تدخل الدولة في شؤون العمل التنظيمي الخاصة بهذه المؤسسات.

يقول الباحث محمد حلمي في أثناء حديثه عن دور المنظمات الأهلية في تشكيل المجتمع، أنه لا يمكن ميلاد عمل مؤسساتي حر في ظل عدم وجود: ((حيادية صارمة في أجهزة الدولة عند التعامل مع المؤسسات)) (١٠٧٠)، وهو ما يشير إلى دور الدولة في إحباط النهوض المؤسساتي المدني، وكبح جماح النهضة القائمة فيه.

١٠٦٩. من خلال متابعتي لمواقع الانترنت خلال فترة كتابتي لهذا البحث، فإن كل نشاط في مجال العمل المدني يطالب في برامج عمله ونشاطاته بأن يكون للمنظمات غير الحكومية هويتها المستقلة، وبعضهم يعبر عن ذلك بشعار العمل غير الحكومي والبعيد عن هيمنة المجال الحكومي، وما غلب ذلك من أمور،

١٠٧٠. مقالة بعنوان: دور المجتمع المدني في النهضة الديمقراطية، للكاتب: محمد حلمي، على الموقع الإلكتروني: exhaustedcoptic@yahoo.com، الحوار المتمدن - العدد: ١٤٩٦ - ٢٠٠٦ / ٣ / ٢١ بتصرف

يسير.

يدل على ذلك، الاستطلاع العام الذي جرى تنفيذه في فلسطين من قبل مؤسسة (بانوراما) حول الاتجاهات نحو القانون والديمقراطية في فلسطين، حيث ثبت بالاستطلاع أن السلطة الفلسطينية - في نظر الشعب الفلسطيني - لا تكتسب للديمقراطية التي تعتبر أساس العمل المدني المعاصر، في مقابل نسبة قليلة رأت اهتمامها بها.

جاء في احد الاستطلاعات التخصصية: ((من جهة أخرى، يعتقد " ٥٤.٤% من المبحوثين أن السلطة الحاكمة لا تولي موضوع الديمقراطية وتطبيقها أي أهمية في سياساتها وقراراتها، فيما يعتبر ٢٣.٤% من المبحوثين أن السلطة تولي أهمية متوسطة للديمقراطية، و فقط ٢٢.٢% من المبحوثين اعتبروا السلطة الحاكمة تولي الديمقراطية أهمية كبيرة)) (١٧١).

هذه القناعات الشعبية الكبرى بوجود نظام فلسطيني تعسفي في ظل أو سلو، تدل على حجم الممارسات غير القانونية والسلوكية المتعلقة بالحالة المدنية، وتوجهات الحركات الشعبية وميولها، وما كان لها من أثر سلبي على المجتمع المدني، وما كان لذلك من أثر على الواقع الفلسطيني العام.

وقد ظهرت الإشكاليات الحقيقية في النظام السياسي الفلسطيني في ظل حكومات فتح المتعاقبة من خلال الأمور الآتية:

أ) على صعيد القوانين والتشريعات.

^{١٧١}. استطلاع بانوراما - المركز الفلسطيني لتعميم الديمقراطية وتنمية المجتمع - مشروع الحكم الصالح / حول الاتجاهات نحو القانون والديمقراطية في فلسطين منشور بتاريخ: 24/08/2004 / بقلم: (مفتاح) المبادرة الوطنية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطية - فلسطين WWW.MIFTAH.ORG ..

١. ما قامت به السلطة من سنّ للتشريعات والقوانين التي تصدر حرية الحركة الاجتماعية في الواقع الفلسطيني، وذلك من خلال المراسيم والتشريعات التي كانت تصدر بين فينة وأخرى - في السماح لبعض التيارات أن تنشط في الساحة الفلسطينية، في مقابل أخرى يتم التضييق عليها، وتحجيم دورها.

٢. سنّ التشريعات التي تحمل مسمى (تنظيم العمل المدني والمؤسسي) وإقرارها في المجلس النيابي الفلسطيني، لتكون بين أيدي الوزارات المختلفة للتطبيق وفق رؤية بعيدة عن واقع المؤسسات ونظرتها لكيفية سن هذه التشريعات باعتبارها صاحبة العلاقة المباشرة بها، في تغييب رسمي لدور العقل الشعبي والمؤسسي في اتخاذ القرار المتعلق بالمواطن والمنظمات المدنية (١٠٧٢).

٣. إقرار التشريعات المتعلقة بالنظام الاجتماعي والمهني الفلسطيني دون استشارة النقابات والتجمعات المؤسسات والحركات الاجتماعية المؤثرة في المجتمع، وهذا وضع المجتمع الفلسطيني تحت الأمر الواقع في كثير من التشريعات التي صدرت دون الرجوع إلى الممثلات التي يجب الرجوع إليها عند اتخاذ مثل هذه القرارات، وهذا يندرج تحت باب الإقصاء - العفوي أو المتعمد - لمنظمات المجتمع المدني، وتغييبها عن دوائر القرار الفلسطيني، بكل ما يعنيه ذلك من تخبط في القرار، وعدم ملاءمته لطبيعة وواقع المنظمات الأهلية أو أدائها وتوجهاتها (١٠٧٣).

١٠٧٢. وهذا يتعلق بغياب الفهم الحقيقي لوجوب الدعم لمنظمات المجتمع المدني في مواجهة الآفات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والتفرد بالحكم انطلاقاً من منظور حزبي عقيم، وانظر في ذلك: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٩٦ / ٢٠٠٧) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، ص ٤٢.

١٠٧٣. وعلى وجه الخصوص إذا ما تمت مقارنة نضوج القائمين على العمل الأهلي بالمستوى الثقافي غير المرضي عند كثير من المسؤولين والوزراء في الحكومات المتعاقبة، الأمر الذي يعني وجود فجوة كبيرة بين صناعات القرار الرسمي وبين من يخوض العمل المدني، وهذا ما يؤدي إلى دمار المجتمع المدني وحفض سقف طموحاته ونشاطاته.

الإشكالية هنا، أن هذه النصوص والتشريعات جاءت إما مقتبسة من أنظمة تشريعية لبعض الدول أو البلدان العربية، يراد إسقاطها على المجتمع المدني الفلسطيني، وتمرير مشاريع تعلقت بجهات داخل المؤسسة الحكومية، ضمن ما يعرف بمملفات الفساد التي ملأت الساحة الفلسطينية، وكان روادها هم صناع القرار في الساحة السياسية من حزب الحكومة، الأمر الذي أفقد المجتمع المدني القدرة على مواجهتها بالطرق الدبلوماسية والحراك السلمي، لكونها أقرت أثناء تغييبه.

٤. تعطيل بعض التشريعات الإيجابية التي تم سنها من دوائر القرار السياسي، والتأجيل المستمر في تطبيقها بدون مبرر، الأمر الذي جعل هذه القرارات بعد ما مرت به من مراحل، مطوية بعيدة عن التحقيق، ولم يلمس المجتمع الفلسطيني أثرها على الواقع العام من قريب أو بعيد.

٥. التأجيل المتكرر (الإهمال) لكثير من القوانين الافتراضية التي تقدم بها المجتمع المدني الفلسطيني للجهات ذات العلاقة، تحت مسميات الأولويات، والقرارات المصيرية، ونحو ذلك من أمور لا يمكن للعقل الاقتناع بها، الأمر الذي أدى إلى تراكم الملفات أمام اللجان الفرعية في المجلس التشريعي الفلسطيني، دون أن يتم إصدار القرارات المناسبة، تلك التي خرجت من رحم المجتمع المدني ومؤسساته وقواه الحية.

٦. عدم التعاطي بإيجابية مع بعض المبادرات التي تقدم بها القطاع الفلسطيني الخاص و، منظمات المجتمع المدني، بخصوص تعزيز الروح الإيجابية في المجتمع المدني الفلسطيني، ودعم الحريات، وتطوير أداء المجتمع من خلال زيادة الوعي والكمّ المعرفي عنده بحقوقه

وواجباته، فكثرت الحبر، وكثر الورق، وتراكت التوصيات والاقتراحات، وقلت في المقابل القرارات الإيجابية المتعلقة بها.

٧. إصدار القرارات الرئاسية (المراسيم) التي تعطل الحياة المدنية، بل وتقضي عليها بالكلية، كالحال عندما قام الرئيس أبو مازن في أواسط العام ٢٠٠٧ م بإصدار العديد من القرارات والمراسيم التي نسفت المجتمع المدني الفلسطيني برمته، وعرضت الحياة الأهلية للخطر، كالمرسوم القاضي بحل جميع المؤسسات غير الحكومية، وإمهاؤها أسبوعاً لتقديم طلبات الترخيص من جديد، في تعدد صارخ على الحق العام في تأسيس المنظمات الأهلية (١٠٧٤) وحقها في العمل حتى في ظل حالات الطوارئ، كما هو معمول به في كل دول العالم، حتى غير المتحضرة منها (١٠٧٥).

٨. عدم اتخاذ الإجراءات القانونية العقابية بحق المؤسسات التي ثبتت بجتهها الاختلاس للمال العام (١٠٧٦)، أو خروجها عن طورها الخدماتي، أو تحصيلها للمال والمنفعة الذاتية، وسعيها إلى استدرار المال الحكومي أو الأهلي لصالح بعض المتنفذين فيها، وهذه الحالة كثير الشواهد، متعددة المواطن، ولكن السلطة التنفيذية لم تتحرك، والسلطة القضائية تغض

^{١٠٧٤}. انظر في ذلك: النقابة العامة لعمال التعليم العام / العمل النقابي للمعلمين وعمال التربية والتعليم / دراسة توثيقية للفترة من ١٩٤٨ م - ٢٠٠٥ م / دون ذكر طبعة / ص ١.

^{١٠٧٥}. ومنها أيضاً ما قام به رئيس الوزراء المستجلب بقرار حكومي غير شرعي " سلام فياض " عندما قرر إغلاق أكثر من ١١٠ منظمات مدنية في أقل من أسبوع بحجج لا تقبل، سيما في ظل تنازع سياسي عرفته فلسطين في تلك الحقبة.

^{١٠٧٦}. فقد ثبت بحق مؤسسة واحدة في مدينة رام الله، تابعة لحزب السلطة، ولا تقدم للمجتمع من الخدمات ما يمكن له أن يذكر أكثر من ٣ مليون دولار في نشاطات ادعت أنها قامت بها وتم كشف الاحتيال والتزوير في أوراقها التي تقدمها، ولم يتم التحرك معها قانونياً بأي خطوة. هذا عدا عن الكثير الكثير من التجاوزات المتعلقة بهذا الموضوع تحديداً.

الطرف عنها لكونها (ملك اليمين)، والسلطة التشريعية ليست في هذا الميدان أصلاً لانشغالها في أمور- تمم ولا تمم -.

ب) على صعيد الدعم والتطوير والتنمية.

لمس الشارع الفلسطيني، وعاشت الحركة الأهلية الفلسطينية في ظل اتفاق أوسلو حالة من الانفصام في الأداء السياسي، هذا الانفصام المدروس والمنهجي الذي سعت من خلاله سلطة الحكم الذاتي إلى تعزيز مكانتها في الشارع الفلسطيني من خلال الحيل السياسية، والتلاعب بموازن القوى، من خلال توجيه - أو عدم توجيه - الدعم للمؤسسات المدنية.

من الشواهد على هذا التلاعب غير القانوني..

١. الدعم المعنوي لبعض المؤسسات..

بدأ الباحث به لما له من أثر على نفسية الشارع الفلسطيني والمؤسسة الفلسطينية على حد سواء، وقد تمثل ذلك بأمور:

أ) التمجيد بعمل بعض المؤسسات دون بعض، في محاباة واضحة في الدعم المعنوي لجهة تلك المؤسسات على حساب غيرها، وإن كانت هذه المؤسسات - مقارنة مع غيرها - لا تقدم إلا الترتير اليسير.

ب) الزيارات المتكررة للوفود الرسمية والحكومية وأعضاء التشريعي ونحوهم لمؤسسات بعينها، والتواصل معها من خلال الحضور إليها والمشاركة في نشاطاتها، مع الاعتذار؛ والتذرع بالانشغال عند دعوتهم من بعض المؤسسات الأخرى.

تجلى ذلك بزيارات من الوفود الرسمية أو من رئيس السلطة نفسه لمؤسسة بعينها أكثر من مرة، وتجاهله أو تجاهلهم - كمسؤولين - لمئات المؤسسات الفعالة في المجتمع، الأمر الذي ترك أثراً سلبياً على أداء المؤسسات ونشاطاتها المختلفة.

(ج) دعوة بعض المنظمات إلى اجتماعات تشاورية وتنسيقية وثقافية، وانتداب بعضهم لسلسلة من الدورات الخارجية، والمشاركات على مستوى العالم، وهميش - بل وإقصاء غيرها - وكأن المجتمع لا يوجد به إلا هذه المؤسسات، أو هذا اللون من العمل المدني.

(د) الوجود بفاعلية في التجمعات الخاصة بالنقابات المهنية أو التخصصية الموجودة على الساحة الفلسطينية من الموالين لفتح وللسلطة الفلسطينية، والوجود فيها بكثافة، مع الإهمال المتعمد لنقابات ومؤسسات ومنظمات أهلية ونقابية أخرى محسوبة على فصائل العمل السياسي الأخرى، أو الاتجاهات المجتمعية المخالفة.

ظهر ذلك بوضوح في الحضور المركز والمكثف للشخصيات الحكومية من الوزراء ورئاسة الوزراء والنواب وحتى الرئاسة في التجمعات الطلابية التابعة لفتح (١٠٧٧) وعدم الحضور المطلق في لفعاليات النقابية للاتجاهات الأخرى، مما عكس حالة عند الشارع الفلسطيني أن هذه الحكومة لا تمثل ولا تعمل ولا تساند ولا تدعم إلا فتح، في وقت تهمش فيه كل قوى المجتمع الأخرى.

٢. على صعيد الدعم المادي.

بدا واضحاً للعيان بأن السلطة الفلسطينية اعتمدت منهجية التفريق بين المجتمع المدني بقواه واتجاهاته المختلفة على أساس المنطلقات الحزبية الضيقة، والنظرة الفصائلية، في تعصب واضح والتفات إلى النفس، وقد تجلى ذلك من خلال الدعم المادي للمنظمات والفعاليات الشعبية والأهلية التي تتبع للسلطة من حيث الولاء، من خلال الأمور التالية: -

^{١٠٧٧}. وتسمى: (حركة الشبيبة الطلابية) في الجامعات والمعاهد والنقابات.

أ) تخصيص الموازنات الرسمية من الميزانية العامة للشعب الفلسطيني لدعم برامج ونشاطات جهات معينة، وإقرار هذا الأمر بكل المرجعيات التي لها علاقة بالأمر، من القانونيين والجهات التشريعية والتنفيذية.

من هذه التجاوزات والخروقات الخطيرة لحق الشعب الفلسطيني على سبيل المثال، ما تم تخصيصه من الموازنة العامة الواردة لحساب (الدولة الفلسطينية) من عائدات الضرائب الداخلية بنحو (٥٠ مليون شيكل) (١٠٧٨) شهرياً يتم إنفاقها على جهات بعينها، منها حركة فتح، والأحزاب المجهرية في الساحة الفلسطينية (١٠٧٩)، مع عدم تخصيص أي شيء لتيارات المجتمع الأخرى، وهذا يؤثر على أدائها المؤسساتي بشكل مباشر.

ب) الإنفاق على المؤسسات والمنظمات الأهلية الفلسطينية التابعة لجهة حزب السلطة من خلال مصادر متعددة، كمراسيم الرئيس التي خصصت مبالغ مالية طائلة لبعض المؤسسات بعينها وبشكل شهري، أو الأوامر الرئاسية بصرف مبالغ لمرة واحدة أو أكثر، بشكل متقطع، أو المؤسسات التي تنال نصيبها من المال العام من خلال (مكتب الرئيس) (١٠٨٠) الذي أصبح عنواناً للتفرقة بين شرائح وتيارات المجتمع في تعامله وكيه بمكيالين (١٠٨١).

١٠٧٨. الشيكول: اسم العملة التي فرض الصهاينة على شعبنا أن يتعامل معها، فهي العملة الرسمية في الدولة الصهيونية، ويساوي في مقابل الدولار تقريباً ما نسبته ١: ٤، حيث يساوي كل دولار أمريكي أربعة شواكل وزيادة.

١٠٧٩. مثل حزب (فدا) الذي يترأسه ياسر عبد ربه، ويعتبر من أقل الأحزاب الفلسطينية حضوراً وأثراً في العمل السياسي، إذ لا يوجد لهذا الحزب حضور فعلي ولا شكلي في الكثير من المحافظات الفلسطينية لا على المستوى الشعبي ولا المؤسساتي. عدا عن غيره من التيارات والفصائل.

١٠٨٠. وهو مؤسسة تبعة للرئيس مباشرة، وكانت الأموال الخاصة التي يقر الرئيس صرفها للجهات المختلفة تصدر وتصرف من قبله.

١٠٨١. وانظر في ذلك: تقرير التنمية البشرية ١٩٩٨-١٩٩٩ / برنامج دراسات التنمية - جامعة بيرزيت - رام الله / ص ٧٨.

ج) الدعم اللوجستي لهذه المؤسسات، وقد كان ذلك يتم من خلال التسهيلات التي تحظى بها بعض المؤسسات على صعيد المعابر والتخفيضات الجمركية وتسهيلات الحركة للآلات والموارد الأساسية في نشاطاتها، مع عدم توفير أي نوع من التسهيلات - إن لم يكن وضع العقبات- في طريق المنظمات الأهلية الأخرى.

صاحب ذلك؛ السماح لبعض المؤسسات باستخدام الموارد العامة للسلطة، والموجودات في المواقع التابعة لها، لتطوير نشاطاتها المدنية الخاصة، وتعزيز وجودها في المجتمع الفلسطيني، وهذا يعني دعمها بمقومات لا يملكها غيرها، ولا يستطيع توفيرها من ليس في هذا الإطار الحركي.

د) توزيع الهبات والآلات والمعدات والمساعدات العينية ذات الصلة التي يتم التبرع بها للشعب الفلسطيني على هذه المؤسسات دون غيرها، كأن المجتمع الفلسطيني اختزل فيها، حتى صار وجود التضخم في الموجودات عند بعض المؤسسات ملحوظاً، في وقت كان فيه كثير من المؤسسات التي تقدم خدماتها للجمهور تفتقر إلى الحد الأدنى منها.

الإشكاليات المتعلقة بالمجتمع المدني

حتى لا يقع اللوم كله على جهة السلطة الحاكمة المتنفذة - مع أنها تتحمل القسط الأوفر منه لدورها الرقابي والتشريعي والقضائي - إلا أن هناك إشكاليات عديدة منشؤها النظام المعمول به في منظمات المجتمع المدني بصورة عامة، يتعلق بنظام العمل، أو بشكل التغيير، أو بشخص العمل، أو نحو ذلك من أمور، أتحدث عن أهمها باختصار وإيجاز:

١. افتقاد الخبرة الإدارية أو التنظيمية (١٠٨٢) .. ويعتبر هذا الأمر المحور الأول في مشاكل هذه الحركات الاجتماعية والمنظمات المدنية.

يظهر هذا الأمر في المجتمع الفلسطيني بسبب ظروف متداخلة، منها محاولة بعض التيارات المجتمعية أو المنظمات الأهلية أن تحدث التغيير عبر أشخاص غير مؤهلين يكون لهم نفوذ ما في المجتمع، ككبار العشائر، أو الوجاهة الاجتماعيين، أو غير أهل التخصص، أو غير أهل الخبرة، الأمر الذي يؤثر سلباً على أداء هذه المؤسسات النقابية المهنية والاجتماعية، لأن الرأس أصل الحراك في الجسد.

وقعت كثير من منظمات المجتمع المدني في هذا الخطأ بسبب حاجتها إلى الدعم المادي أيضاً، فقدمت للقيادة من ليس أهلاً، لمجرد كونه صاحب يد مالية واقتصادية طولى، تدعم المؤسسة، وتؤسس لبرامج جديدة فيها، متناسين أن المال ليس هو المحور الأهم في العمل المؤسسي.

الصورة الأخرى لهذا الخلل الإداري تكمن في افتقاد مختصي الإدارة لمهارات العمل الإداري، وعدم قدرتهم على ترجمة النظريات الإدارية على أرض الواقع، لأن ((دراسة العلوم الإدارية أصبح ورداً يدرس في الجامعات دون أن يساهم في حل المشكلات الإدارية للبلاد التي تعاني من تناثر الكفاءات، وعدم تنظيمها في منظومة يستفاد من طاقاتها، ويأخذ كل واحد مكانه بقدر طاقته وعطائه، وتصبح قدرات الأمة وطاقاتها في نسيج تماسكي يدفع المجتمع إلى الأمام)) (١٠٨٣).

^{١٠٨٢}. للوقوف على مجالات التطور الإداري في العمل، انظر: الموقع الإلكتروني: www.vcn.bc.cal موضوع

بعنوان: developing acivic culture، للكاتب: Ralph nader.

^{١٠٨٣}. إحياء الفروض الكفائية / ص ٦٩.

٢. غياب اللوائح التنظيمية للعمل.. كافتقاد المؤسسة لنظام داخلي رتيب،
ناظم للحركة الميدانية فيها بين اللجان المختلفة والطواقم العاملة والأفراد على اختلاف
مسمياتهم الوظيفية.

غياب المنظومة الإدارية الواضحة يؤدي - بلا شك - إلى تداخل الصلاحيات،
والفوضى في التنفيذ، وهو مقرون بالتواكل المذموم في العمل، وإلقاء اللوم على الآخر، وتحميل
المسؤوليات المتبادلة في ظل العجز المتراكم، والتقصير الواضح.

السبب في ذلك: أن اللوائح الإدارية والتنظيمية للمنظمات الأهلية أو التجمعات
النقابية والمهنية ونحوها يعتبر البوصلة التي تحدد مسار العمل، وتبين المسؤوليات والصلاحيات،
وتحدد الوصف الوظيفي لكل عامل في المؤسسة، فإذا فقدت هذه البوصلة، أصبحت كل دائرة
من دوائر المؤسسة، وكل لجنة فيها، وكل فرد موجود في إطارها يغني على ليلاه، فتضيع
الثوابت، وتتقهقر الأهداف، وتغيب المساءلة^(١٠٨٤).

٣. ارتباط المؤسسة بشخص مؤثر..

المشكلة الجوهرية الأخرى في العمل المؤسساتي الفلسطيني هي أن هذه المؤسسات
قد ترتبطت عضويًا بالمؤسس، أو صاحب النفوذ الفعلي، وبحيث يصير وجودها وحركتها رهناً
بدوره ووجوده وفعالياته، مما أعطى صفة الشخصية الأبوية للمؤسسين في كثير من هذه
المؤسسات، وهو ما عبر عنه البعض بأنه الثقافة الأبوية، والابتعاد عن معايير الإدارة الرشيدة
والمشاركة والمسائلة، ومناهج الإدارة الديمقراطية السليمة^(١٠٨٥).

^{١٠٨٤}. انظر: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٢٠٠٧ / ٩٦) / مكتب
العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، ص ٦٧ - ٦٩.

^{١٠٨٥}. انظر في ذلك: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٢٠٠٧ / ٩٦) /
مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، ص ١٣٨ - ١٣٩.

هذا الأمر يعني بالضرورة غياب الممارسات الإدارية السليمة في العمل المؤسسي، التي من شأنها أن تسوق المجتمع إلى التفاعل مع العمل الأهلي، وتقود المؤسسة عبر توارث الخبرات وتغيير وتطوير النظام الإداري فيها إلى مزيد من التقدم والرفعة، من خلال تحقيق وتعميق العمل بالمسؤوليات الأساسية للإدارة (١٠٨٦)

جاء في الاستطلاع الذي أجراه مركز بانوراما الفلسطيني ما يدل على هذا الأمر، حيث يقول مُعدوا الاستطلاع: ((وعلى هذا المنوال، تعتقد أغلبية كبيرة من العينة بلغت ٦٦.٨% أن المؤسسات الرسمية لا تتبع آلية الإدارة الديمقراطية في عملها)) (١٠٨٧)، وهذا رب البيت للدف ضارب، فكيف بشيمة أهل البيت!؟.

هذا الأمر دعا الباحث الفلسطيني راسم عبد الغني إلى توصيف هذا الارتباط من وجهة نظر ساخرة بأن يقول إن المنظمة الأهلية أصبحت دكاناً لمديرها، حيث يقول: ((ففي الوقت الذي كان المأخذ على هذه المؤسسات على أنها تتبع للقوى السياسية ويطلق عليها "دكاكين للقوى السياسية"، أصبح الحديث الآن يدور عن كونها "دكاكين شخصية" لأفراد، غالبا ما يكون هؤلاء الأفراد المدراء العاميين للمؤسسة)) (١٠٨٨).

٤. من المشكلات الكبرى أيضاً، ارتباط مؤسسة ما بفكرة مرحلية، كأن تبذل الجهود وتصرف الطاقات والأموال على تأسيس ودعم مؤسسة تتبنى فكرة موضعية ومرحلية،

^{١٠٨٦}. انظر في ذلك: إدارة الإنتاجية / مرشد عملي / جوزيف بروكوبنكو / مكتب العمل الدولي - جنيف / منظمة العمل الدولية ومكتب العمل الدولي، ومنظمة العمل العربية ومكتب العمل العربي / الطبعة العربية الأولى (١٩٩٨ م) / ص ١٠٤ - ١٠٦.

^{١٠٨٧}.. استطلاع بانوراما - المركز الفلسطيني لتعميم الديمقراطية وتنمية المجتمع - مشروع الحكم الصالح / حول الاتجاهات نحو القانون والديمقراطية في فلسطين منشور بتاريخ: 24/08/2004 / بقلم: (مفتاح) المبادرة الوطنية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطية - فلسطين WWW.MIFTAH.ORG .

^{١٠٨٨}. الموقع الإلكتروني لشبكة الانترنت للإعلام العربي WWW.AMIN.ORG / مقال بعنوان: الفساد والمؤسسات غير الحكومية في فلسطين للباحث الفلسطيني: راسم عبد الغني / منشور بتاريخ: ٢٤ نيسان ٢٠٠٧ م.

تنتهي هذه الفكرة بعد حين من الزمان، فتجد هذه المؤسسة نفسها بعيدة عن حاجات الجمهور، ونظامها الأساسي لا يتوافق مع رغبات المجتمع، الأمر الذي يعني موتها بموت الفكرة التي قامت لأجلها.

تحصل هذه الحالات غالباً عند الأشخاص غير ذوي الخبرة، ومن الذين يندفعون بشكل عفوي ليكونوا ضمن منظومة العمل المؤسساتي، بعيداً عن الروية ودراسة حالة المجتمع ومتطلباته، وهذا التهور يقودهم في النهاية إلى الوقوف عراة في صحراء بعيدة عن المجتمع المحيط بهم.

تقول مديرة مركز بانوراما في قطاع غزة إيمان أبو رمضان: ((كما قامت بعض المنظمات الأهلية العاملة في قطاعي الشباب والمرأة وذات الخبرة المهنية والمعرفية الراسخة بتشكيل بعض اللجان ذات الطابع الاجتماعي والمطلبي والمتخصص بعيداً عن التحزب والتسييس، وقد حققت تلك اللجان مجموعة من مفاهيم التعبئة والضغط والتأثير والمجتمع المدني وإدارة الحقوق الجماعية والمواطنة والديمقراطية، إلا أن هذه اللجان سرعان ما تحللت مع انتهاء المشروع)) (١٠٨٩).

ولها صورة أخرى، وهي اندفاع البعض نتيجة حدث سياسي أو اجتماعي ما إلى إقامة تجمع مهني أو منظمة طوعية لمعالجة أو تطوير نتائج هذا الحدث مهما كان نوعه، فتتشط بشكل كبير في بداياتها، ثم نتيجة تدافع الأحداث وتراكمها يجد القائمون على هذا المشروع الأهلي أنفسهم قد استنفذوا ما لديهم، وانتهى مفعول العمل الذي يقدمونه للمجتمع، وبذلك ينتهي دور المؤسسة التي نشأت لهذه الفكرة أصالة.

^{١٠٨٩} وقد تم ذلك خلال مقابلة مع مديرة مؤسسة بانوراما في قطاع غزة - إيمان أبو رمضان بتاريخ: ٢٠٠٦/١٢/٢١ م، وفيه غشارة إلى ضعف التخطيط في العمل المؤسساتي برغم المصطلحات التي اختارها مديرة المركز لتعبر بها عن هذا العمل.

٥. من الإشكاليات على هذا الصعيد أيضاً: انشداد القائمين على بعض المؤسسات الأهلية البارزة والنشطة إلى النخبوية والمهنية، والتأفف من التفاعل مع العمل السياسي أو الشعبي بأبعاده الاجتماعية والحقوقية، تحت ذرائع مختلفة، برغم التلاصق والترابط الموجود بين هذه وتلك.

يتمثل ذلك برهبة بعض العاملين في المجتمع المدني من التعامل مع بعض توجهات المجتمع كونها على صلة بحدث معين، أو مرتبطة بموقف اتجاه سياسي معين، فيتأخرون، ويتراجعون عن المشاركة فيها لكيلا يحسبوا على طرف ما، أو حتى يحافظوا على سمعة المؤسسة المهنية بعيداً عن التحاذبات الاجتماعية أو السياسية.

إن هذا الأمر كارثة حقيقية، تُدخل المجتمع المدني في حالة العجز التام عن أداء دوره تحت مبررات واهية، فدور المجتمع المدني أصلاً هو التفاعل مع المجتمع من أجل صالح المجتمع، وحتى يتم الرقي بالمجتمع، إضافة إلى تعارض ذلك مع الفهم الديمقراطي (١٩٩٠) لماهية المجتمع المدني.

إحجام منظمات المجتمع المدني عن إثبات نفسها نتيجة خوفها من دلالات مشاركتها في أي حدث سياسي كبير، أو اجتماعي ذا ثقل، يعني القضاء على التوهج المؤسساتي، ووأد فكرة أن المجتمع المدني هو المدافع عن الحقوق، والساعي إلى تثبيت الحياة الكريمة للمواطن من خلال مفهوم الحقوق والحريات، إذ إن **فاقد الشيء لا يعطيه** (١٩٩١)، وتخلي المؤسسة الأهلية عن دورها يعني افتقادها لعنصر المواجهة مع السلطة الحاكمة، أو موقع من مواقع التأثير الاجتماعي الأخرى، وهذا يفقدها مصداقيتها بالكامل.

^{١٩٠}. انظر في طبيعة العمل الديمقراطي ومتطلباته: مدخل إلى النظرية السياسية في القرآن الكريم / بروفيسور زكريا

بشير إمام / دار هزابر للنشر والتوزيع - الخرطوم / الطبعة الأولى (١٩٩٩ م) / ص ٨٤ - ٨٧.

^{١٩١}. مثل شعبي عربي قديم.

٦. منها كذلك: مشكلة الدعم المادي.. حيث إن كثيراً من المؤسسات والمنظمات الأهلية الفلسطينية تعتمد بالدرجة الأولى على التبرعات والمعونات من جهات داخلية وخارجية للقيام بمهامها ونشاطاتها (١٩٩٢)، في الوقت الذي ينصب فيه الدعم الحكومي باتجاه المؤسسات الموالية للسلطة، ويركز الدعم الكبير على العمل الهامشي، في حالة من التمرد على احتياجات المجتمع ومتطلبات نموه وتقدمه.

جاء في تقرير التنمية البشرية الذي أعدته جامعة بيرزيت في رام الله في العام ١٩٩٨ - ١٩٩٩ م ما يفيد: ((سيطرة بعض المؤسسات التي لا تتجاوز ١٠% على أكثر من ٦٠% من التمويل)) (١٩٩٣) وهذا تأكيد على سوء توزيع الأموال العامة وتوجيهها في إطار سياسي، يخدم السلطة ومن دار في فلكها.

هذا الأمر قد حفر كثيراً من منظمات المجتمع المدني عن قائمة أهدافها التي انطلقت لتحقيقها، وأحدث إزاحة حقيقية في موقفها تجاه قضايا المجتمع، فحاجتها الماسة للدعم المادي ألبها إلى استجداء مصادر الدعم المختلفة، وجعلها فريسة في يد أصحاب الثروات، بل وحتى في يد السلطة الحاكمة، مما أدى إلى تهميش دور كثير من هذه المؤسسات في الساحة الفلسطينية، لكونها مالت إلى تحقيق الربح، وموالاته النظام السياسي الحاكم (١٩٩٤)، وهو ما يلغي فكرة (العمل المدني) من جذورها.

تظهر هذه المشكلة في وقت كان الأصل فيه على المؤسسة التنفيذية في الحكومة والرئاسة أن يقوموا بتنظيم الدعم المادي ومصادر الدعم لمنظمات المجتمع المدني، لكونها الواجهة

^{١٩٩٢}. انظر في ذلك: مجلة الوعد / صادرة عن اتحاد طلبة فلسطين - جمهورية السودان / العدد الأول - السنة الحادية عشرة / موضوع: الشعب الفلسطيني في ظل التحديات / بقلم: همام عبد ربه الديبيري وباهر عبد الفتاح غانم / ص ٤ - ٥.

^{١٩٩٣} تقرير التنمية البشرية ١٩٩٨-١٩٩٩ / برنامج دراسات التنمية- جامعة بيرزيت - رام الله / ص ٧٨.

^{١٩٩٤}. كما حصل مع الاتحاد العام للنساء الفلسطينيات، الذي انتهى به المطاف ليصبح ألعوبة بيد السلطة بسبب حاجته القائلة إلى أي مبلغ مالي ليقوم بنشاطاته، الأمر الذي جعله في ذيل قائمة المنظمات المدنية الفاعلة في المجتمع الفلسطيني.

الحقيقية لتطلعات الشعب، ولكونها تقوم بدور تعجز عنه في كثير من الأحيان السلطة نفسها وهي تمتلك الملايين الكثيرة من الدولارات، فكان الأصل أن تسن التشريعات والقوانين التي تجعل هذه المنظمات الأهلية قابلة للحياة والاستمرار، لا مؤسسات أثقل مد اليد كاهلها وهي تستجدي المجتمع، ومصادر النفوذ الاقتصادي فيه، ليمدوا لها يد العون والمساعدة.

٧. سيادة فلسفة الانعزال والانطواء على الذات في مرحلة الصراع.

فلسفة الانعزال ووجود ارتكاس في فهم الدور الرسالي من بعض الشخصيات المتنفذة، يجعل أصحاب هذا الفهم أحجار عثرة أمام من يريد أن يسلك العمل المدني بجمّة وجاهزية وتوثب، وهم أول من يطيل أمد دراسة وتمحيص المشاريع المقترحة، لتموت قلوب الملدوعين؛ وهي تنتظر الإذن والجواب والدعم والتوجيه.

ومن تمام الضعف الذاتي المقترن بالترهل الإداري الفلسطيني عموماً، انسأقت ثلة من العاملين في الحقل الإسلامي الدعوي بانعزالية لا يقبلها الله، وتقوقع لا يقره عقل ولا نقل، واعتكافات طالت فترتها على القراءة، ودراسة الحال، تاركة الساحة مفتوحة أمام كل مجرم حاقدٍ ليقتمح على الناس عقولهم، وليقودهم إلى حيث أراد.

كما ساعد تحريم العمل المؤسساتي على الدعاة من قبل الاحتلال وأجهزة أمن السلطة (١٩٩٥)، وعدم منح الإسلاميين الفرصة والإذن كغيرهم في إنشاء المؤسسات الأهلية والتنمية الريادية، وتكبييل جهودهم، وتعطيل طاقاتهم، ووأد المشاريع من خلال القتل والاعتقال والاعتقال والاضطهاد والتشريد، في تقلّص فرص العمل الإسلامي أمام العاملين للإسلام في مواجهة التحديات، نتيجة الخوف والرغبة، أو رغبة من البعض في عمل أقل كلفة !!

١٩٥.. انظر في ذلك: مجلة الوعد / ص ٨.

المطلب السادس

القطيعة بين المفكرين والساسة

هذا الأمر أدرجه الباحث بمطلب مستقل لعلاقته المباشرة بالمجتمع المدني وطبيعته في المجتمع الفلسطيني، فمن المعلوم أن المجتمعات العربية عموماً تعيش حالة من القطيعة بين شريحتين مؤثرتين ورئيستين في المجتمع، هما:

١. شريحة الساسة وصناع القرار.

٢. شريحة النخب السياسية والاجتماعية المثقفة.

صورة القطيعة بين الجانبين واضحة في الحال العام للمجتمعات العربية، بسبب التفرد المطلق للسياسيين في اتخاذ القرار، بعيداً عن النخب المثقفة والواعية، التي لها من التخصصية والخبرة ما من شأنه أن يغير القرار، وهو ما لا يقبله العقل السياسي العربي بحال من الأحوال.

فالسياسي العربي -إلا من رحم ربي - أشبه بالطبل الأجوف (١٩٦٦)، تسمعه يصرح كل يوم، ويصرخ ويرفع صوته، ويحدث حوله الجلبة والضجة، ليقول للناس (نحن هنا)، والمثقف العاقل، لا يجب التواجد في بيئة الضجيج، ولا يتحمل أن يكون في وسط تسوده العصبية والصراخ، والرأي المتعنت بلا بينة وبرهان.

خلاصة هذه الحالة، أن السياسي العربي يعتبر نفسه المتصرف بلا رقيب في العمل السياسي، وأنه المثقف والمؤهل والمفكر والمبدع والمتألق في العمل، وأن من حوله هم رعاع لا بد أن يقولوا له: سمعاً وطاعة.

^{١٩٦٦}. والمثال هنا تشبيهي لا للذم والاحتقار.

المثقف الواعي لا يقبل لنفسه أن يكون في مثل هذه الحالة، فيتزوي عن ساحة الحدث، إما مؤثراً للصمت، أو متغيباً في ظلال عمل مجتمعي بعيد عن سطوة وعنجهية السياسي.

إن الشعب الفلسطيني بأمسّ الحاجة اليوم إلى المصالحة التاريخية بين المثقف والسياسي، بين الأكاديمي المتخصص، وصانع القرار، لما في ذلك من تفعيل للطاقات، وصقل للمواهب، وانطلاق بالعمل إلى آفاق أرحب وأشمل وأنفع، ولما في بعد المثقف عن العمل الرسمي من تضييع لكل المكتسبات والمقدرات (١٠٩٧).

فقد شهدت الساحة الفلسطينية خلال سنوات أوصلو حالة من حالات القطيعة الكبرى، تمثلت في كون الساسة مستجلبين من فضيل واحد، ومن لون حزبي يتيم، وممن يقولون لرئيسهم: (سمعاً وطاعة) وهم من غير حملة الشهادات التخصصية، بل من غير أهل الخبرة والقدرة والكفاءة، فذاك الوزير من حملة شهادة الثانوية، وذاك من الراسبين في الصفوف الأساسية الأولى، ومؤهلهم الوحيد للرقى في سدة الحكم كونهم من فتح، وكونهم من فتح فقط.

في تلك الآونة، كان أهل الخبرة والتخصص من النخب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المجتمع الفلسطيني أكثر الشرائح تهميشاً لدورهم، بل كانوا على هامش الهامش، ففي وقت يتكلم فيه الجاهل - وإن علا قدره بحكم الواقع -، يتوارى المثقف من سوء الحال، وقلة ذات اليد.

من الجدير ذكره؛ أن الشعب الفلسطيني من أكثر الشعوب العربية والإسلامية سعياً للثقافة، ونيلاً للدرجات العلمية، ولولا ظروف الحصار والقطيعة بين أوصال الوطن، وحالات التهجير الفعلي للعقول المفكرة والتمكنة، وإغلاق بوابات التعليم العالي في وجه أهل

١٠٩٧. انظر في ذلك: قضية المنهجية في الفكر الإسلامي / ص ٧ - ٨.

فلسطين^(١٠٩٨)، لكان الشعب الفلسطيني من أكثر شعوب الأرض حصولاً على الدرجات العلمية العليا، لما يتوفر لديه من بيئة سياسية مشبعة تصقل شخصيته، وقدرة اجتماعية تفرضها عليه ظروف الاحتلال، ومساهمات فعلية منذ بدايات حياة الإنسان الفلسطيني في مجالات العمل والخبرة والتعامل مع صنوف الحياة ومشاغلها ومشاكلها.

لجأت النخب المثقفة في الشعب الفلسطيني إلى العمل تلقائياً في مجال المجتمع المدني، فغصت المؤسسات المجتمعية بالمتخصصين وأهل العلم والنخب القيادية والثقافية والفكرية، في الوقت الذي خلت فيه مؤسسات الحكومة من هذا القطاع بشكل كبير جداً، الأمر الذي جعل منظمات المجتمع المدني المسموح لها بالعمل تبذع وتتألق في عملها أكثر من الوزارات الرسمية المدعومة بالملايين من الدولارات، بشهادة كل المتابعين للشأن الفلسطيني العام.

الصحيح؛ أن على النخب المثقفة في الشعب الفلسطيني أن تبادر هي بوصفها الأقدر والأجدر بتحمل العبء بأشكاله بخطوة في اتجاه المصالحة مع الدوائر السياسية، والعمل على إحداث اختراق في حالة التغييب لهم في المجتمع من خلال الدور السياسي، الأمر الذي أثر على الوضع السياسي الفلسطيني بشكل جوهري.

فإذا كان للجهد الفردي من مثقف ثقة أثار حقيقي على نهوض الأمم واستيقاظها، فلك أن تتخيل حجم الأثر عندما يزول حاجز الانفصام بين المثقف والسياسي (١٠٩٩) فلا شك أن وجود ثقل حقيقي فاعل في سدة الحكم ينحى بالواقع باتجاه غير الذي يسير فيه، لأن العلم والجهل نقيضان، والليل والنهار متعارضان، ولا سبيل للخروج من هذه الصورة القائمة إلا من خلال دخول النخب الواعية والمثقفة في صلب العمل السياسي، وعدم اقتصرها على دور مجزوء لها في الحقل الاجتماعي.

^{١٠٩٨}. حيث لا يوجد في فلسطين أي مؤسسة علمية رسمية أو غير رسمية لمنح درجة الدكتوراة وما فوقها، الأمر الذي حرم الكثير من متابعة دراستهم، لا سيما ممنوعين من السفر إلى الخارج، وهم نسبة كبيرة، وشريحة لها ثقلها في المجتمع الفلسطيني.

^{١٠٩٩}. انظر في ذلك: قضية المنهجية في الفكر الإسلامي / ص ٨.

وإذا كان المثقفون والمصلحون في الأمة ينادون بضرورة أن يكون هناك ((مصالحة بين الحكومات والشعوب)) (١١٠٠)، فإن الأولى من ذلك، أن تكون هناك مصالحة بين التنفيذين ونخبة هذه الشعوب، فالمتعلم والمثقف هو لسان أمته، وهو خير ترجمان لمتطلباتها وحاجاتها.

الفارق يظهر جلياً في قرار واحد، فقرار واحد من جهة مسؤولة ذات علاقة، قد يكون له من الأثر ما لا يكون لعشرات بل لمئات القرارات من جهات هامشية أو مهمشة في المجتمع، فالحكم نفوذ، والسياسة نفوذ، والمواقع نفوذ، والنفوذ يعني التوسع الأفقي والعمودي بين شرائح المجتمع المختلفة.

ولبيان المفارقة بين زمانين متقارنين فقط، فإن قدوم حماس إلى السلطة، ومن خلال ما قدمته من أسماء للمجتمع الفلسطيني ليقوموا بالعمل الوزاري، قد شكل انعطافة حقيقية في طبيعة العمل الوزاري من حيث الشكل والمضمون، حيث قدمت حماس بعد فوزها في الانتخابات التشريعية عام ٢٠٠٦ م نخبة من حملة الشهادات العلمية العليا (١١٠١)، وبعضهم كان يحمل أكثر من شهادة علمية عليا في نفس الآن (١١٠٢)، وهو ما أوجد فارقاً حقيقياً في نظر المتابعين لطبيعة العمل المترقب لهذا الوجود للنخب المثقفة في دوائر القرار، فيما لو تم السماح لتلك الحكومة بالعمل دون عقبات، وهو ما لم يتم.

١١٠٠. مصطفى مشهور والقضية الفلسطينية / ص ٨١ - ٨٢.

١١٠١. حيث قامت بتقديم مجموعة من حملة درجة البروفيسور والأستاذية، والدكتوراة والماجستير، لملء المناصب الوزارية والإدارية في جسم السلطة.

١١٠٢. ومنهم الدكتور عزيز الدويك - رئيس المجلس التشريعي، حيث يحمل شهادة الدكتوراة وثلاث شهادات في الماجستير في الوقت ذاته في وقت كان سلفه في رئاسة المجلس التشريعي روجي فتوح يحمل درجة (أخ) روجي، كناية عن فقدانه للشهادات العلمية والتخصصية.

يبقى أن يشير الباحث إلى أن هذا الأمر مرتبط أيضاً بموضوع أنماط تنظيم القوى السياسية (١١٠٣)، فشراح المثقفين والعلماء وأهل التخصص تسهم بشكل فعلي في بناء القوة السياسية العامة، والتي هي جزء من علم الاجتماع السياسي المعاصر (١١٠٤).

^{١١٠٣}. انظر: في سوسيولوجيا بناء السلطة (الطبقة / القوة / الصفوة) / د. السيد عبد الحليم الزيات / الطبعة الأولى (١٩٩٠ م) / دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية / ص ١٦٨ - ٢٠١

^{١١٠٤}. انظر: المرجع السابق / ص ١٢٥ - ١٣٦.

المبحث الثالث

علاقة المجتمع المدني الفلسطيني بشرائح المجتمع

في كل مجتمع قطاعات هامة محورية يقوم عليها أصل المجتمع، وهي دليل قوته ونشاطه وتقدمه، وهذه القطاعات لا تختلف من شعب إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى، بل إن ما قد يختلف فيها هو مدى اهتمام الدول بها، وبأي نسبة، وانطلاقاً من أيّ الثوابت والرؤى.

الشعب الفلسطيني يعتمد على قطاعات رئيسة في أدواته، ويركز اهتماماته الرسمية على المستويات الحكومية والحزبية والفصائلية والمؤسسية من أجل الاحتكاك بها والتواصل معها بغرض التأثير الفاعل فيها، كقطاع الشباب، والمرأة، والطفولة.

هذا لا يعني أن هذه الفئات هي الشعب كله، وأن ما عداها غير ذي بال، بل هي القطاعات المركزية في الشعب الفلسطيني، سيما إذا تم النظر إلى النسب المئوية الصادرة عن دوائر الإحصاء المختلفة، والتي تشير بكل وضوح إلى أن هذه القطاعات الثلاث هي الكبرى والمحورية في الشعب الفلسطيني، على صعيد العدد والفاعلية.

سيحدث الباحث في هذا المبحث عن هذه الفئات من خلال ارتباطها بالعمل المدني وارتباط العمل المدني بها، وطبيعة هذه العلاقة التبادلية وأوجهها ومدى فاعليتها، ليكتمل المشهد الفلسطيني بإيجابياته وسلبياته، فيما يتعلق بواقع هذه الشرائح الخاصة في المجتمع المدني الفلسطيني.

السبب في التركيز على هذه الشرائح الثلاث، أنها ستكون بوابة الدخول إلى الفهم التصحيحي في جانب العمل المدني، ومدخلاً حقيقياً للتعامل مع المجتمع الفلسطيني بصورة شمولية معتمدة على الأرقام والحقائق عند بدء رسم الخطة التصحيحية العلاجية لواقع المجتمع المدني الفلسطيني، والتي سيتم ذكرها في الفصل الأخير من هذا البحث بعون الله تعالى.

المطلب الأول

واقع المرأة الفلسطينية في المجتمع المدني الفلسطيني

المرأة في المجتمع الفلسطيني

تعتبر المرأة في أي مجتمع قوة البناء والتأسيس المجتمعي، وهي التي يقع على عاتقها بناء النفسية التربوية والفكرية والاجتماعية لكل أفرادها (١١٥)، بوصفها الأم التي تربي، والزوجة التي تدعم وتؤيد، والبنت صاحبة التوجه والميول.

تشير الإحصائيات الرسمية في فلسطين بأن المرأة الفلسطينية تشكل ما نسبته: (٤٩.٣ %) من الشعب الفلسطيني، بواقع: (٤٩.٣ %) في الضفة الغربية، و (٤٩.٤ %) في قطاع غزة (١١٦)، وهذا معناه أن المرأة عملياً تشكل نصف المجتمع الفلسطيني عدداً.

المرأة الفلسطينية الصابرة المجاهدة تشاطر الرجل عبء الواجب الديني والجهادي، وتعيش معه آلامه وآماله بكل اصطبار، فهي مثال حي للمرأة المسلمة، وعنوان حقيقي للصمود والتحدي.

هذه المرأة التي قدمت روحها رخيصة في سبيل الله، وقدمت أبنائها أمام العالم الخانع قربة لله تعالى (١١٧)، والتي شاركت الرجل المسلم في فلسطين مرحلة الأسر وعذاب القهر، تنطق الأرقام بوصفها لا الأقلام، فمنذ عام ١٩٦٧ م، أقدمت القوات الغاصبة على

١١٥. لهذا قام الباحث بتقديم الحديث عنها على الشباب والطفولة في فلسطين.

١١٦. انظر في ذلك: دراسة مسحية أعدت في مدينة نابلس في فلسطين ونشرها المركز الفلسطيني للإعلام على

الانترنت تحت عنوان: ((المرأة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة.. حقائق وأرقام))..

١١٧. من أمثال والدة الشهيد محمد فرحات في غزة، ووالدة الشهيدين جهاد وطارق دوفش في الضفة الغربية.

اعتقال ما يزيد عن (٥٥٠٠) امرأة وفتاة فلسطينية حرة (١١٠٨)، وقتلت وشردت وجرحت عشرات أضعاف هذا العدد.

بهذا الوصف، تكون المرأة الفلسطينية شريحة أساسية وفاعلة في العمل الفلسطيني بكل أسمائه وأشكاله، وهي صاحبة حضور فعلي في الفعل السياسي والاجتماعي الفلسطيني، ليس على صعيد العدد الكلي فحسب، وإنما على مستوى الأداء في جوانب أخرى تتصل بالواقع السياسي والاجتماعي والنفسي للمجتمع الفلسطيني ككل.

المجتمع المدني النسوي في فلسطين

من المفارقات العجيبة أن يكون للمرأة حظ وافر في الوظائف الموجودة في المنظمات الأهلية، ولا يكون لهذه المنظمات دور في قضايا المرأة بالدرجة الأولى، ففي وقت كانت المرأة الفلسطينية تشغل فيه القسم الأكبر من أعداد العاملين في المنظمات الأهلية الفلسطينية، فإنه ينبغي الاهتمام بدور المرأة وعطائها وتأهيلها، وتوفير سبل تعزيز دورها الريادي في المجتمع الفلسطيني؛ من خلال رصانة الفهم وعمق التوجه والرسالة.

جاء في التعداد العام للمنظمات الأهلية الفلسطينية: ((وأظهرت النتائج أن عدد العاملات من الإناث في المنظمات غير الحكومية الفلسطينية أعلى من عدد العاملين الذكور، فقد بلغت نسبة العاملات من الإناث في جميع المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة والقطاع (٥٤.١ %)، مقابل (٤٥.٩ %) من الذكور)) (١١٠٩) وهذا رقم له دلالاته.

^{١١٠٨}. انظر في ذلك: دراسة عن حالات اعتقال النساء في فلسطين في: المركز الفلسطيني للإعلام، تحت عنوان: (١١٦) أسيرة فلسطينية يحتفلن بيوم المرأة العالمي في زنازين سجون الاحتلال الصهيوني، وفيه أرقام تفصيلية عن الأسيرات وسنوات اعتقالهن والتعذيب والامتهان لهن خلال فترات الاعتقال الوحشي.

^{١١٠٩}. النسخة الإلكترونية من كتاب: تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة / إعداد: ياسر شلي وآخرون / موجودة على الانترنت، وقد تمت هذه الدراسة الخاصة بالتعداد في العام ٢٠٠١ م.

كان للمرأة الفلسطينية حضور فعلي في منظمات المجتمع المدني الفلسطيني في المراحل التاريخية المتعددة، واختلفت نسبة المشاركة والأداء تبعاً لطبيعة الظروف السياسية والاعراف السائدة، ومستويات النضوج المعرفي في شرائح المجتمع المختلفة.

ومع بداية وجود سلطة أوسلو، بدأت المنظمات الأهلية النسوية في محاولة تشكيل الأطر النازمة لعمل عدد من لمنظمات والنقابات، وكان أن وجدت بعض الأجسام التمثيلية للمرأة الفلسطينية عموماً من خلال منظمات ومسميات متنوعة.

فقد عرف المجتمع المدني الفلسطيني ميلاد الاتحاد العام للنساء الفلسطينيات (١١١٠)، والذي كان مقررًا له أن يشمل الأطر النسوية في الضفة وقطاع غزة، وهو الجسم المؤسسي الوحيد الذي حاولت المرأة من خلاله الدخول في معترك الحياة المدنية الفلسطينية كجهة ضغط باتجاه تحصيل الحقوق المدنية، ولجان النساء التي ظهرت بدءاً من عام ١٩٧٨م على الأرض الفلسطينية وهي تتبع للتيارات الفلسطينية بشكل تام، إسلامية وغير إسلامية.

لكن المقصد العام من تشكيل هذا الاتحاد بقي حبراً على ورق، نتيجة الممارسات الخاطئة التي تصرف بها القيادة النسوية العاملة فيه، حيث جنحت للدخول في مشاريع منظمة التحرير، وارتبطت بها بشكل وجودي، الأمر الذي هُتمش شرائح كبرى من الحركة النسائية، وأدى إلى تغييبها عن العمل في هذا الاتحاد، حتى وصل الأمر إلى جمود العمل الكامل في له في السنوات الأخيرة (١١١١).

١١١٠. كان الهدف الرئيس منه أن يكون مؤسسة كبرى، وجهة من جهات الضغط الفلسطينية لصالح توحيد صفوف المرأة الفلسطينية، وبلورة تصوراتها في الحقل السياسي والاجتماعي والاقتصادي، والأبعاد التنموية التي تنشدها، وشهد في بداياته حراكاً على مستوى النشاطات في العمل النسوي، ولكنه ما لبث أن انزوى حتى تلاشى أو يكاد.

١١١١. حتى إن كثيراً من المثقفين الفلسطينيين الموجودين على الأرض الفلسطينية، فضلاً عن الموجودين في الخارج أو غير المثقفين، لم يسمعوا بهذا الاتحاد، ولم يعلموا بوجوده أصلاً، في دلالة على شكلية دوره، وهامشية تأثيره إن لم يكن انعدامها المطلق.

تري الباحثة جاد إصلاح وهي باحثة نسائية متخصصة في الحركة النسائية بعد مشروع أوسلو أن قيام التشكيلات النسوية في فلسطين كان باهتاً ومفرغاً من مضامينه، وكان متحيزاً، يميل إلى صلاته بالسلطة الفلسطينية لتلقي الدعم، الأمر الذي أدى إلى تهميش قطاع كبير من المؤسسات والحركات النسوية، وعلى وجه الخصوص الحركات الإسلامية النسائية التي غيبت عن نشاطات هذه الأطر العامة في الميدان التمثيلي المحلي والدولي.

وفي ذلك تقول:

درستُ الاتحاد العام للنساء الفلسطينيات ولجان النساء التي ظهرت بدءاً من ١٩٧٨ وحركة النساء الإسلاميات، حاولت إيجاد الروابط والنقاط المشتركة بينها، لم يكن للاتحاد العام للنساء الفلسطينيات وجود فعلي في غزة ولا في الضفة الغربية، دخلت كل قيادتها التاريخية مع منظمة التحرير الفلسطينية في ١٩٩٤ بعد عملية أوسلو، وكان الاتحاد رأساً بلا جسد، لأنه عديم الانغراس، حاول بعد أوسلو الارتباط بحركة النساء وتوحيدها، لكنه لم يفلح لحد الساعة في ربط صلات دائمة في الميدان، وتعاون أحيانا مع جمعيات أعمال الإحسان، وعندما نجح في الانصهار باللجان الشعبية؛ طالبت هذه فوراً بانتخابات داخلية لتجديد قيادة اتحاد النساء مما أدى إلى انحباسات مشاحنات، ظل الاتحاد العام للنساء الفلسطينيات بعيداً جداً عن الإسلاميات، مطوراً علاقات مع المنظمات غير الحكومية؛ لا سيما إن تعلق الأمر بالمشاركة في ندوات دولية، واستعمل ما تنتج تلك المنظمات غير الحكومية من معلومات وتأثر بها، وتخلي عن تعبئة نساء العالم العربي من أجل جمع مساعدة للقضية الوطنية في إطار طلب مساعدة لمشاريع لدى البلدان المانحة، كما بدأ في استعمال صلاته الامتيازية بالسلطة الفلسطينية والنخب الحاكمة للحصول على هبات لمؤسساته، وأظهره ذلك كهيئة شبه حكومية، ويتلقى العديد من كادراته أجوره من السلطة الفلسطينية، حتى إنه يمكن القول إنه فقد قيادة الحركة، وأنه ما زال عاجزاً عن تمثيل قاعدة النساء في الداخل والخارج (١١١٢).

^{١١١٢}. جريدة المناضلة عدد ١٤ / من خلال موقعها على الانترنت / جريدة عمالية نسوية شبيبية أممية - تصدر في المغرب العربي / موضوع بعنوان: فلسطين: الحركة النسائية بين القومية والعلمانية والسلفية الإسلامية / للباحثة الفلسطينية: جاد إصلاح / منشور بتاريخ: الثلاثاء ١٢ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٦ م.

بعد ذلك، وجدت محاولات من الحركة النسوية الفلسطينية - غير الإسلامية - لإيجاد تجمعات نسوية ضاغطة على النظام السياسي، وكان أكبرها هو ميلاد (البرلمان السوري للمرأة الفلسطينية) والذي ضم مجموعة من الناشطات في العمل النسوي من العلمانيات والماركسيات، وبدأن تحركهن في المجتمع، ومع الوزارات، والمجالس الحكومية المختلفة - وعلى رأسها المجلس التشريعي - من أجل إقرار القوانين الخاصة بحقوق المرأة وفق اتفاقيات السيداو الدولية (١١١٣).

بدأ هذا الجسم التمثيلي يتحرك في أوساط المجتمع المختلفة في محاولة منه لإيجاد الدعم الشعبي لتحركاته، وقد حضرت شخصياً إحدى اللقاءات التي قام بها البرلمان في العام ١٩٩٧ م في جامعة الخليل لمجموعة من الأطر الطلابية، وعينة من الطلاب والطالبات، وكان الهدف الواضح والمعلن لها نقض الأنظمة المعمول بها في المحاكم الشرعية؛ لصالح ما ورد في اتفاقية السيداو الدولية التي أقرتها الأمم المتحدة.

لكن جهود هذا البرلمان السوري تكلفت بالفشل نتيجة الوعي الاجتماعي والديني عند الشعب الفلسطيني، ورفضه للتخلي عن آخر ما تبقى من الحكم الشرعي معمولاً به

^{١١١٣}. وهي اتفاقية قدمتها المنظمات النسوية الغربية للأنظمة السياسية منذ بداية القرن العشرين، وأقرتها عصبة الأمم، ومن ثم منظمة الأمم المتحدة، ودعت الدول المنضوية فيها إلى ضرورة تطبيقها في الواقع السياسي، برغم التناقض الموجود بينها وبين الدين الإسلامي الذي هو المصدر الرئيس للتشريع بحسب قوانين الدول العربية - في أغلبها، وانظر في ذلك: موقع: لها أون لاين، على الانترنت WWW.LAHAONLINE.COM، وفيه موضوعات كثيرة عن الاتفاقية وبنودها وتعليقات لجان المرأة العلمانية عليها، وكذلك: الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، من خلال موقعها على الانترنت WWW.HRINFO.NET / موضوع بعنوان: توصيات ندوة الإصلاح التشريعي للمجالس المحلية في إطار التمكين السياسي للنساء / منشور بتاريخ ١٣/٣/٢٠٠٧.

في نظام القضاء (^{١١٤})، وبالتالي، فقد هذا البرلمان حضوره، وواجه معارضة كبيرة وشرسة من التيارات النسوية الإسلامية التي وقفت له بالمرصاد (^{١١٥}).

اللافت في الأمر، أن الحركات الإسلامية الكبرى في الساحة الفلسطينية، وعلى رأسها حماس، لم تبادر إلى تكوين جسم تمثيلي للقطاع النسائي الخاص بها، مع أنها تملك من المؤسسات والمنظمات الأهلية النسوية الشيء الكثير، وعندها من القدرات القيادية، والشخصيات الإدارية ما شهد لها به القاصي والداني (^{١١٦})، وهذا يؤخذ عليها بشكل مباشر، لكونها قادرة على توجيه وإدارة جبهة ضغط رسمية، مدعومة من قطاعات واسعة من نساء فلسطين ومؤسساتها.

وقد لمس الباحث توجهاً من الاتجاه الإسلامي في فلسطين نحو هذا التوجه في الفترات المتأخرة، فبعد وصول حماس إلى السلطة في العام ٢٠٠٦ م، عرضت النائبة جميلة الشنطي (^{١١٧}) تصور الحركة الإسلامية الحاكمة في فلسطين لمنظمات العمل النسوي، وشددت في كلمة لها باسم رئيس الوزراء إسماعيل هنية على احترام العمل المؤسساتي ومنظمات

^{١١٤}. وهو قانون الأحوال الشخصية المعمول به في فلسطين والأردن والصادر بتاريخ ١٩٧٦ م، والمعتمد على فقه الإمام أبي حنيفة النعمان، وهو آخر ما ظل في الحكم من مظاهر الدين الإسلامي، حيث بدلت القوانين الشرعية بأخرى وضعية، ولم يبق إلا هذا القانون.

^{١١٥}. ومن أبرز وجوه معارضته، قيام الحركات النسوية الإسلامية بعقد المهرجانات الشعبية، والمؤتمرات والندوات و توزيع النشريات التي تحارب فكرة تعديل القانون الشرعي، وتواصلت هذه اللجان والمؤسسات الإسلامية مع الجماهير من خلال فعاليات متعددة، ووسائل اتصال مجتمعي أخرى، كان لها الدور في وقف التوجه النسوي القاضي بتعديل القوانين، أو خفوت صوته على أدنى حد.

^{١١٦}. وهذا ما دعا (حنان عشراوي) عضو البرلمان الفلسطيني في مقابلة تلفزيونية على تلفزيون فلسطين بعيد الانتخابات الفلسطينية التي تمت بتاريخ ٢٦/١/٢٠٠٦ م إلى إعلان ذهولها من تنظيم الحركة النسوية الإسلامية، وحراكهن الفاعل في تأطير المجتمع لصالح (حماس) في الانتخابات الأخيرة، حتى أطلقت عليهن اسم (جيش حماس).

^{١١٧}. وهي عضو البرلمان الفلسطيني المرشحة عن قائمة التغيير والإصلاح المنبثقة عن حماس، وقائدة عملية تحرير الشبان المسلحين في بيت حانون من المسجد الذي حاصروهم فيه الاحتلال، الأمر الذي أدى إلى استشهاد سيدتين فلسطينيتين، وهرب المسلحين الفلسطينيين من المسجد المحاصر.

المجتمع، وأن الحكومة الجديدة ستوفر الدعم للعمل النسوي البناء في المجتمع بكل مجالاته (١١١٨)، ولكن الحصار الظالم، والمؤامرات الداخلية والخارجية لم تسمح لحماس بأن تنفذ أجندتها العملية في الحكم.

ومع وجود محاولات لقراءة المشهد الإسلامي في العالم العربي، وما قدمته المرأة المسلمة في المنظمات الأهلية من قوة ضاغطة على المستوى السياسي والتأثير في الأحزاب والحركات الاجتماعية، كالحال في مصر، من خلال جمعية المرأة والحضارة في مصر، أو شبكة الاتصالات الإسلامية فيها (١١١٩)، بدأت تحركات ميدانية لتأسيس أشباه هذا الجسم في فلسطين، وذلك في أوائل العام ٢٠٠٦ م، ولكن الظروف لم تسمح بذلك تحت ضغط الواقع السياسي العام، ودخول المنطقة في التجاذبات السياسية المتعاقبة.

المنظمات النسوية الهدامة في فلسطين

تنشط في فلسطين مجموعة من المنظمات المدنية التي تريد التساوق مع أطروحات المجتمع الغربي كما هي، وتروجها في المجتمع الفلسطيني كثقافة مقررة، وحقائق لا شك فيها ولا جدال معها (١١٢٠).

هذه المنظمات التي نشأت نتيجة حالة الانفتاح غير المضبوط باتجاه المجتمعات الغربية؛ وفهمهم المغلوط لطبيعة حقوق المرأة الإنسانية العالمية الموجودة في الغرب (١١٢١)،

^{١١١٨}. انظر في ذلك: الموقع الإلكتروني لمركز شؤون المرأة - غزة على الانترنت WWW.WAC.ORG.PS / موضوع بعنوان: مركز شؤون المرأة يعقد ورشة عمل بعنوان "مستقبل الحركة النسوية في فلسطين"، كلمة النائبة جميلة الشنطي نيابة عن رئيس الوزراء.

^{١١١٩}. انظر في ذلك: موقع الجزيرة نت WWW.ALJAZEERA.NAT - بوابة المعرفة / مقال بعنوان: الحركات الاجتماعية في العالم العربي / عرض: إبراهيم غرايبة منشور في يوم الأربعاء / ١٧/٥/٢٠٠٦ م.

^{١١٢٠}. مثل البرلمان السوري للمرأة الفلسطينية الذي سبق الحديث عنه في المطلب السابق، ومنظمات الدفاع عن المرأة أمام المحاكم (المنظمات الدفاعية والقانونية، ومراكز الدعم الاجتماعي للمرأة ونحوها.

جعلت من بعض النسوة في المجتمع الفلسطيني أدوات تعميم، ووسائل ترويج، وجسوراً لمروور الفكر الغربي إلى المجتمع الإسلامي الفلسطيني، ليتم التواصل مع المرأة الفلسطينية المسلمة بوجوه وأسماء فلسطينية، وبأفكار غربية لا تمت إلى الواقع الفلسطيني أو الدين الإسلامي بصلة.

وقد كانت للباحث مجموعة من اللقاءات والمداولات مع نشاطات في هذا المجال، واجتمع مع العديد من المنظرآت للفكر الغربي في مسائل تتعلق بالثقافة الغربية، وتعميم المطالبة بحقوق المرأة ونحو ذلك من الشعارات.

وقف الباحث على حقيقة أطروحاتهم الفكرية، والتي تمس بعض جوانب التشريع الإسلامي في الجوهر، وبخاصة في مسألة الجندر (١١٢٢)، وقضايا الأحوال الشخصية (١١٢٣) وشروط عمالة المرأة (١١٢٤) ومفاهيم الغرب بخصوص المساواة التامة للمرأة مع الرجل في الحقوق والواجبات والصلاحيات ونحوها (١١٢٥) الأمر الذي يضر المرأة ولا ينتصر لها.

تقف وراء هذه المنظمات المدنية في المجتمع الفلسطيني تيارات اليسار الفلسطيني والتيار العلماني بشكل مباشر، فالناشطات في هذه المنظمات هن النشيطات في التيارات

¹¹²¹ Look: WOMEN IN THE (ECE) REGION – ACALL FOR ACTION / UNITED NATIONS – NEW YORK AND GENEVA / F. P (1995) / P. 25 – 31.

¹¹²² .Look: ABC – OF WOMEN WORKERS RIGHTS AND GENDER EQUALITY / NTERNATIONAL LABOUR OFFICE – GENEVA / F. P (2000) / P. 2 – 3.

¹¹²³ . LOOK:GENDER IN EQUALITY IN THE LABOUR MARKET / OCCUPATIONAL CONCENTRATION AND SEGREGATION / JANET SITANEN AND JENNIFER JARMAN AND ROBERT M. BLAKBURN / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE – GENEVA / F. P (1995) / P. 87 – 120.

¹¹²⁴ Look: ABC – OF WOMEN WORKERS RIGHTS AND GENDER EQUALITY / NTERNATIONAL LABOUR OFFICE – GENEVA / F. P (2000) / P. 5 – 12.

¹¹²⁵ .Look: ABC – OF WOMEN WORKERS RIGHTS AND GENDER EQUALITY / NTERNATIONAL LABOUR OFFICE – GENEVA / F. P (2000) / P. 5.

السياسية العلمانية واليسارية الموجودة في الواقع الفلسطيني، كفتح والجبهة الشعبية، وحزب الشعب، والجبهة الديمقراطية ونحوها.

ونظراً لما تبته هذه المنظمات من فكر يتصادم مع الدين الإسلامي، كان الواجب على الغيورين على مصلحة الشعب الفلسطيني أن يلتفتوا إلى صياغة هوية المرأة الفلسطينية، وتكوين فكرها وسلوكها بما ينسجم مع دينها وتراثها العظيم، وأن ترعاها المنظمات الأهلية والمؤسسات والفعاليات المجتمعية بوصفها صمام أمان المجتمع الفلسطيني ككل، لا أن يتركوها فريسة بين أنياب المجتمع الغربي؛ النافذ في المجتمع الفلسطيني من خلال مؤسساته الخاصة.

وإذا تم الأخذ بالحسبان أن الدعم المادي ينصب بشكل هائل على المنظمات الأهلية الفلسطينية التي تعمل تحت قناع تحرير المرأة وتعزيز حقوقها، والذي وصل حد الخيال (١١٢٦)، فإن هذا الاستهداف الحقيقي للمرأة في عقيدتها وفكرها وعادات شعبها وتقاليده لا بد له من جدار صدّ معاكس، وحاضن فعلي يرتقي بالمرأة سلوكاً وممارسة، لا شعاراً وكلاماً.

فمؤسسات تحرير المرأة - لا أدري من ماذا؟! - تبدأ مع المرأة منذ الطفولة، وتدرج معها في طفولتها المبكرة، ويغرس العمل المؤسسي بفعالياته ونشاطاته المختلفة في خلدها مجموعة من القيم السلبية التي تنمو بنموها، وإذا ترعرعت الفتاة وشبّت؛ فإنهم يزيدون من حجم هذه الأفكار وتركيزها، ويبدؤون ببث الجديد منها، في عملية تراكمية مدروسة، تعطيه في نهاية المطاف امرأة لا تحمل في جوفها مثقال حبة من إيمان، ليتركوها في المجتمع تعيثُ فساداً بجهلها وتعنتها غير المدروس وغير المعقول.

التركيز الأهم ينبغي أن ينصب على الفئات العمرية المتوسطة من الإناث، وهي الفئات التي غالباً ما تقع ضحية المؤسسات المدنية الهدامة، وهي الأجيال الناشئة التي تبلغ من العمر ١٢ - ١٨ سنة، حيث تفيد الدراسات الواردة في هذا الشأن بأن الإناث الفلسطينيات

^{١١٢٦}. حيث علمت من خلال مقابلة مع أحد المختصين في مدينة رام الله أن إحدى هذه المؤسسات تعمل سنوياً براس مال يتجاوز ٧٥ مليون شيكل، وهذا رقم خيالي وفلكي، يمكن له أن ينهض بالمجتمع كله.

اللواتي لم يبلغن من العمر (١٥) عاماً في فلسطين تبلغ نسبتهن: (٣٢ %) من الإناث في المجتمع، فالحديث هنا يتناول ثلث مجتمع الإناث المستهدف وأكثر (١١٢٧).

لبيان أهمية التهديد الفكري والعقائدي للمرأة الفلسطينية من خلال المنظمات غير الحكومية، وعظيم تأثيره في المجتمع تبعاً، يقول الدكتور محمد السيد الوكيل:
إن وحدة الفكر من أهم وسائل توحيد الاتجاه، لأن الجماعة التي تفكر بطريقة واحدة، وتوجه تفكيرها عقيدة واحدة لا بد أن تكون غايتها واحدة، والفكر هو أهم جوانب الإنسان، فالإنسان ليس إنساناً بجسمه، ولا هو إنسان بهيئته وشكله، ولكنه في الحقيقة إنسان بعقله وفكره (١١٢٨).

المنظمات النسوية المدعومة من الغرب تطرح مجموعة من الأفكار التي تمس جوهر العقيدة الإسلامية الغراء، وخصوصاً فيما يخص المرأة، وتدرج في أولوياتها مجموعة من المبادئ التي تستهدف عقل المرأة وكيانها عموماً، لتفرض بعد سلسلة من البرامج والندوات والنشرات المدروسة (١١٢٩)، وعلى لسان شخصيات يتم انتقاؤها خصيصاً لهذه الغاية، مجموعة من الأفكار التي لا تقرها الشريعة، ولا يوافق عليها ديننا العظيم. الغريب أن الشخصيات المنتقاة

١١٢٧. انظر في ذلك: دراسة مسحية أعدت في مدينة نابلس في فلسطين من خلال الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني ونشرها المركز الفلسطيني للإعلام تحت عنوان: ((المرأة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة.. حقائق وأرقام))..

١١٢٨. قواعد البناء في المجتمع الإسلامي / د. محمد السيد الوكيل / دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - مصر / الطبعة الأولى (١٩٨٦ م) / ص ١٩، وهناك كلام جميل يؤيد ما جاء هنا للدكتور جودت سعيد، يتحدث فيه عن طبيعة التغيير الفكري والسلوكي عند المرأة التي تعرضت لهذا النوع من الإعلام، وانظر في ذلك: فقدان التوازن الاجتماعي - مشكلة الزي والملابس - سنن تغيير النفس والمجتمع / د. جودت سعيد / دار الفكر المعاصر - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٩٤ م) / ص ١٨.

١١٢٩. مثل صحيفة صوت النساء الصادرة عن هذه اللجان والمنظمات النسوية في فلسطين، النشريات التعريفية بنظام الجندر، واتفاقية السيدا، وحقوق المرأة وفق النظريات الغربية، ونحو ذلك، وقد وقفت على مجموعة من هذه النشريات والصحف، وتابعت ما يصدر فيها من أفكار لا تتفق مع العقيدة الإسلامية، لا لاسيما فيما يخص قانون الأحوال الشخصية الأردني، المعمول به في فلسطين.

للعب هذا الدور يطلق عليها أوصاف الرفعة المجتمعية من الألقاب والشهادات العلمية التي تجعل لهم قبولاً في المجتمع، لترويج بضاعتهم بشكل أيسر وأسهل (١١٣٠).

مواجهة المنظمات المدنية النسوية السلبية

لا بد للباحث أن يشير هنا إلى ما أورده الدكتور عبد الله الطريقي عن حكم بث هذه الأمور بين المسلمين والمسلمات حيث يقول:

... وباستقراء واقع الثقافة الأجنبية، يتبين أنها لا تخلوا من واحد من ثلاثة أمور: إما نافع، وإما ضار، وإما ما لا نفع فيه ولا ضرر... وأما الضار منها كالفكر الديني بصفة عامة، مما يتعلق بالعقائد والتصورات والعبادات ونحو ذلك، ومثل الفكر الإلحادي كله بنظرياته وفلسفاته، سواء كان ضرره على الدين أو النفس أو العقل أو المال أو العرض، فمثل هذا لا يجوز أخذه أو نشره في بلاد المسلمين، مهما كانت الدوافع، وأياً كانت الوسائل أو الأساليب (١١٣١)...

وفي الكلام بيان وتأصيل.

يقول الشاعر:

ربّوا البنات على الفضيلة إنهما في الموقفين لمن خير وثاق
وعليكمو أن تستين بناتكم نور الهدى وعلى الحياء الباقي (١١٣٢)

^{١١٣٠} من أمثال هؤلاء الدكتورة إلهام المانع، وهي موصوفة بأنها كاتبة وأكاديمية وباحثة يمنية، دعت نساء المؤمنين إلى خلع الحجاب زاعمة أنه لا علاقة بين قطعة قماش وبين عبادة الخالق وان من ينظر إلى المرأة كذلك فهو يشبهها بوعاء جنسي، ويشبه الرجل بالحيوان الجنسي، وانظر في ذلك: موقع العربية نت، www.alarabiya.net، في مقالة بعنوان: "باحثة يمنية تدعو لخلع الحجاب وتطالب المسلمات بالتزام الحشمة"، منشورة بتاريخ ٢٦ أبريل ٢٠٠٦ م.

^{١١٣١} الثقافة والعالم الآخر - الأصول والضوابط - دراسة تاصيلية / د. عبد الله بن إبراهيم بن علي الطريقي / دار الوطن للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض / الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ) / ص ١٠١ - ١٠٢.. وكذلك: المرأة في الإسلام / مرجع سابق / ص ٩ و ص ٣٧.

^{١١٣٢} من كتاب: المرأة في الإسلام - بنتاً وزوجة وأماً / د. ليلى حسن سعد الدين / دار وائل للنشر والتوزيع - الأردن / الطبعة الثانية (٢٠٠٤ م) / وفيه الكثير من القيم الإيجابية والهادفة.

يبين الصحفي الفلسطيني الأستاذ محمد هاشم في تحقيق صحفي له طبيعة الفكر ووسائل نشره وتعميمه على المرأة الفلسطينية فيقول: ((الهجمة الفكرية والثقافية الشرسة التي تدعمها أجهزة إعلامية ينفق عليها بلايين الدولارات، وتقف وراء برامجها عقول مفسدة، ومفكرون لا هم لهم إلا تقويض بنية مجتمعاتنا من أساسها، هذا الأساس الذي تمثل المرأة ركنه الركين)) (١١٣٣).

حرص الإسلام على دحر مظاهر الفتنة والفساد، وطمس بذار الشر والتشكيك التي تفتك بالمجتمع، ووآد المقدمات التي تقود إليها، معرفة منه بمخاطرها الحقيقية والفتاكة، وحفاظاً على نسيج المجتمع المتجانس، لتتربى أجيال المجتمع بشكل سوي في أحضان أسرة متوازنة متكاملة رزينة (١١٣٤)، وبخاصة: في ظل الانحلال التدريجي المتعمد للنسيج الاجتماعي والاقتصادي الفلسطيني بفعل الاحتلال الصهيوني الذي يستهدف المجتمع بكل مكوناته (١١٣٥) .

يقول الشيخ علي الطنطاوي في بيانه لطبيعة الحقوق الممنوحة للمرأة في الغرب تبصيراً للفتاة المسلمة كيلا تخدع:

إن علينا أن نفهم الفتاة العربية، أو الفتاة المسلمة، حقيقة لا نزاع فيها، سمعنا عنها من الثقات، وأينها، رأيتها أنا في أوروبا رأي العين، وهي: أن المرأة في أوروبا ليست سعيدة ولا مكرمة، إنها ممتهنة، إنها قد تكرم مؤقتاً، وقد ترحب المال ما دام لديها - الجمال - فإذا فرغوا من استغلال جمالها، رموها كما ترمى ليمونة امتصَّ ماؤها (١١٣٦).

^{١١٣٣}. دور المرأة المسلمة في العمل السياسي / تحقيق صحفي للأستاذ: محمد هاشم / الطبعة الأولى / مطبعة الاعتصام - الخليل - فلسطين / ص ١٢ .

^{١١٣٤}. انظر في ذلك: تنظيم الإسلام للمجتمع / الإمام محمد أبو زهرة / دار الفكر العربي - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٦٥ م) / ص ٥٨ - ٦٠ .

^{١١٣٥}. انظر في ذلك للتوسع: وضع عمال الأراضي العربية المحتلة - تقرير المدير العام - ملحق / ص ٣ - ٧ .

^{١١٣٦}. موقفنا من الحضارة الغربية / علي الطنطاوي / دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة / الطبعة الثانية (٢٠٠٠ م) / ص ٩٥ - ٩٦ .

لذلك، كان لا بد من قيام عمل مؤسسي ناضج، يتناول اهتمامات المرأة الفلسطينية، والفتاة الفلسطينية، ويوفر لها مكاناً آمناً لتمارس فيه نشاطاتها، وتعبر فيه عن طموحاتها وذاتها، دون المساس بمهويتها الدينية أو الفكرية، وبعيداً عن التشدد والتعصب، حتى يتم الوصول إلى عمل بانٍ مؤثر، يخدم المجتمع، ويحافظ على كيانه متمسكاً موحداً قابلاً للحياة المدنية الحرة، الحياة المدنية الفلسطينية؛ على النمط والطراز الفلسطيني.

نقطة الانطلاق تكون بأن تقود المرأة المرأة، وتقود المرأة المؤسسة العامة التي تخدم بنات جنسها، لما في العمل المؤسسي من آفاق جديدة تقود المرأة في فضاء العمل الناضج الفاعل (١١٣٧).

لا يتم النمو بالهيمنة على المؤسسات النسوية من قبل الذكور، بل بإتاحة المجال أمام المرأة المسلمة أن تثبت جدارتها في الحياة المدنية عبر تشكيل المؤسسة، وتنظيم العمل فيها، وتأهيل الكادر، وتفعيل أوجه النشاط المختلفة، لتكون في المجتمع نخبه من القيادات المسلمات، ورعييل متمكن من الفاعلات على الصعيد المجتمعي والمؤسسي، لديهن القدرة على الثبات في هذا الصخب الداوي، لأنه بغير ذلك يكون المجتمع دائراً في حلقة مفرغة، وساعياً وراء مكانة مجهولة للمرأة، لا تُعرف إلا من خلال الخطب والشعارات.

هذا الأمر نبّه إليه العلماء المعاصرون، وأوجبوا التفكير فيه لصياغة مناهج عملية واقعية قابلة للتطبيق في الواقع، يمكن لها أن ترقى بالمرأة التي هي مفتاح النجاح الحقيقي، حيث

^{١١٣٧}. فالمؤسسة هي ميدان تحقيق الذات، وإثبات القدرات وتفعيلها، وهي ميدان رحب لانطلاق العمل النسوي والجماهيري بصورة فعلية منهجية، وانظر في ذلك: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٩٦ / ٢٠٠٧) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، ص ١٠٧ - ١١٣.

جاء في أقوال العلماء ((وفي هذا السياق؛ نرى من المفيد التذكير بحقيقة أن التنمية الشاملة الحقيقية لكل بلد إنما تمر عبر إدماج المرأة في التنمية)) (١١٣٨).

والمرأة الفلسطينية قادرة على التعاطي مع المتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية (١١٣٩)، وأثبتت قدرتها على التعاطي في الجوانب الأخرى كميادين الثقافة والصحة ونحوها (١١٤٠)، وعلى المفكرين عدم إغلاق الأبواب في وجه نموها المهني والمؤسسي تحت ذرائع متعددة، بل لا بد من إشراك المرأة في ساحة العمل التعاوني (١١٤١)، والمساواة في أسواق العمل بين المرأة والرجل بإطار كفالة أنوثة المرأة وشرفها (١١٤٢) وديمومة التأهيل النسوي في القدرة على التعاملات المالية المختلفة (١١٤٣) ليكون لها دورها في العمل

^{١١٣٨} . تنمية الموارد البشرية العربية / ص ٨٠... وانظر كذلك: المشاركة الاجتماعية والسياسية للمرأة في العالم الثالث / أ. د. محمد سيد فهمي / مطبعة المكتب الجامعي الحديث / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ١٣٥ - ١٣٨، وكذلك: ص ٣٠١ - ٣١٦.

^{١١٣٩} . فقد كانت نسبة مشاركة المرأة الفلسطينية في النشاطات الاقتصادية في فلسطين خلال الفترة من ١٩٧٠ وحتى ١٩٨٠ تعادل (٨.٨ %) من المجموع العام، وقد أخذت هذه النسبة بالازدياد بشكل مطرد، وانظر في ذلك: الخصائص الديموغرافية للشعب العربي الفلسطيني / منشورات دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت / المعهد العربي للتدريب والبحوث الإحصائية / الطبعة الأولى (١٩٨٥ م) / ص ١٢٨.. وانظر في ذلك للاستزادة: وقائع الصراع الاجتماعي السياسي في الأردن في عقد التسعينيات / ناهض حتر / أزمنة للنشر والتوزيع - عمان - الأردن / الطبعة الأولى (٢٠٠٣ م) / ص ١٨ وما بعدها.

¹¹⁴⁰ Look: WOMEN IN THE (ECE) REGION – ACALL FOR ACTION / UNITED NATIONS – NEW YORK AND GENEVA / F. P (1995) / P. 47 - 59.

^{١١٤١} . انظر في ذلك: ديناميكية التعاون كأداة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية / محمد أحمد داؤد / مطبعة دينا الحديثة - الخرطوم / طبعة عام (٢٠٠٢ م) / ص ٢٧٣ وما بعدها.

¹¹⁴² . LOOK:GENDER IN EQUALITY IN THE LABOUR MARKET / OCCUPATIONAL CONCENTRATION AND SEGREGATION / JANET SITANEN AND JENNIFER JARMAN AND ROBERT M. BLAKBURN / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE – GENEVA / F. P (1995) / P. 87 – 120.

¹¹⁴³ . look: ALTERATIVE SCHEMES OF FINANCING TRAINING / EDITED BY: VLADIMIR GASSKOV / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE – GENEVA / F. P (1994) / P. 4.

الاقتصادي البناء على غرار الدور الممنوح للمرأة الغربية (١١٤٤) ولكن وفق ضوابط الشرع الحنيف، وبما لا يخجل بمسؤولياتها تجاه الأسرة (١١٤٥) فهذا مما يؤدي إلى إدماج المرأة في العمل المجتمعي بصورة فاعلة ومؤثرة.

حصل هذا الأمر بصورته المقبولة شرعاً في جمهورية السودان عندما خاضت المرأة نضالات عديدة لتحصل على حقوقها في المشاركة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وهو ما يعبر عنه البعض بمصطلح (الحریم والتحرير) (١١٤٦)، حتى باتت المرأة عضواً فاعلاً في الوزارات والبرلمان والسفارات (١١٤٧) والنقابات والهيئات الحكومية والأهلية (١١٤٨).

المرأة الفلسطينية ليست أقل شأنًا من غيرها، بل لديها من الخبرة والدربة والإمكانات العقلية والتخصصية ما يؤهلها لأن تكون سباقة في هذا الجانب التنموي، لقطاع المرأة بالدرجة الأولى، وللمجتمع ككل في المرتبة الثانية، لا سيما إذا تحقق الربط والتكامل بين

¹¹⁴⁴. look: WOMEN IN THE (ECE) REGION – ACALL FOR ACTION/ P. 43 - 45.

¹¹⁴⁵. look: WOMEN IN THE (ECE) REGION – ACALL FOR ACTION / P.61.

^{١١٤٦}. انظر في ذلك: أثر جهود الإنقاذ في ترقية المجتمع - سلسلة إصدارات الوعد الحق (٣٠) / المركز القومي للإنتاج الإعلامي / الشيخ عبد الجليل النذير الكاروري / دار الفكر - بيروت / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٥١.

^{١١٤٧}. ففي مرسوم رئاسي واحد، قام رئيس الجمهورية السودانية بترقية سبع من النساء إلى رتبة سفير معتمد ليقمن بتمثيل السودان في الدول المختلفة، وقد كان ذلك بتاريخ ٢٠٠٧/٩/٥ م.

^{١١٤٨}. وقد حضرت بعض الأنشطة للاتحاد العام للمرأة السودانية واستمعت إلى بعض الخطابات من القيادات النسوية هناك، ولمست مقدار التقدم الفكري والعملية في مجال إشراك المرأة في العمل السياسي والاجتماعي بشكله المتزن، الذي يعطي للمرأة حرية العمل والإبداع في ضوء ثوابتها ومنطلقاتها الدينية والفكرية الخاصة.

العمل المؤسساتي وبين الغطاء الحكومي الداعم (١١٤٩) وما يعنيه ذلك من إيجاد فرص عمل حقيقية للشابات والفتيات وقطاع المرأة عموماً (١١٥٠).

^{١١٤٩}. انظر في آثار ذلك: ديناميكية التعاون كأداة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية / محمد أحمد داؤد / مطبعة دينا الحديثة - الخرطوم / طبعة عام (٢٠٠٢ م) / ص ١١٢ - ١٧٢.

^{١١٥٠}. انظر: الشباب: سبل الوصول إلى العمل اللائق - التقرير السادس / النهوض بعمالة الشباب - رفع التحدي / مؤتمر العمل الدولي (الدورة ٩٣ / ٢٠٠٥) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٢٩.

المطلب الثاني

دور الشباب في المجتمع الفلسطيني

واقع الشباب الفلسطيني

الشباب هم ركيزة كل مجتمع، وبهم تقاس النهضة، وعليهم تبنى الدول والشعوب مناط تحريرها واستقلالها وارتقائها، ورائحة الجنة في الشباب كما يقال (١١٥١)، فهم عصب الحياة لأي أمة، بهم تصول وبهم تجول، فهم أطباؤها ومهندسوها وجنودها وحرفيوها، وهم شرارة النهضة الثقافية والفكرية والاقتصادية فيها، وهم ثروتها الحقيقية وثورتها (١١٥٢).

اهتمت الأمم منذ نشوئها بفئة الشباب بشكل لا يشكك فيه عاقل، وتسابقت الأمم لنيل رضى هذه الشريحة الحساسة من المجتمع، والتي لو اقتنعت بفكرة ما؛ فستجد في طلبها، معتمدة عزيمته الشباب، وتوثب الشباب، وثورة الشباب، ويا لها من عزيمته وقوة وتوثب وثورة !!

وإذا كان هذا هو حال الشعوب في الأرض قاطبة، فحدث عن استهداف الصهاينة للشباب في بؤرة الصراع العالمي - فلسطين - ولا حرج (١١٥٣)، وعن شباب أرض الرسالات ومهبط الوحي فاقراً العجب العجاب، فهم معقد الآمال والتوجهات، وهم شرارة

١١٥١. انظر: فصول إسلامية / ص ٤١.

١١٥٢. انظر في ذلك: موقع صيد الفوائد على الانترنت، www.saaaid.net في مقالة بعنوان الشباب.. ثروة وثورة، لأم الزهراء، منشورة بتاريخ ٢٧/٤/٢٠٠٦ م... وانظر كذلك: الشباب العربي وتحديات المستقبل / موضوع: دور الشباب في المجتمع / أ. منى شقير / ص ١٤١ - ١٩٠..

١١٥٣. انظر في ذلك: مجلة الملف الدوري (٩) / مركز دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا / موضوع الانتفاضة الفلسطينية / تقرير: مركز الأقصى للإعلام / ص ٢٠... وكذلك: مجلة فلسطين المسلمة / العدد الثامن - السنة الثالثة والعشرون / ٢٠٠٥ م / ص ٥.

الثورة أو الانتكاس، والظفرُ والفلاح لمن يسبق لهم أولاً، وعلى وجه الخصوص: في حالة الغزو الفكري العالمي للأمة الإسلامية، وانتشار مصطلحات ومجالات التطبيع مع الكيان الغاصب بأفراده ومؤسساته (١١٥٤).

إن المجتمع الفلسطيني - كما تشير بذلك مراكز الإحصاء الرسمية للسكان - هو مجتمع حيٌّ بكم الشباب الكبير الذي يحتويه (١١٥٥)، فنسبة الشباب في المجتمع الفلسطيني تفوق بالمقارنة الإجمالية والتفصيلية نسبته في دولة الكيان المسخ، وحتى في الدول الأوروبية، مع ضرورة مراعاة الفارق بالنسبة للمساحة الجغرافية والعدد الإجمالي، والنسبة المئوية فاصل بين.

يكفي أن يشير الباحث إلى أبيات من الشعر أنشدتها المنشد الإسلامي محمد أبو راتب تصف واقع الشباب الفلسطيني الحر المجاهد، حيث يقول فيها:

شباب ذلّوا سبل المعالي وما عرفوا سوى الإسلام ديناً
تعهدهم فأنبتهم نباتاً كريماً طاب في الدنيا عصوناً

ولطبيعة الصراع في أرض الإسراء والمعراج نكهته الخاصة، فهو صراع مقدس بكل ما تحمله الكلمة من مضامين، وهو صراع على العقائد والقيم قبل أن يكون على الأرض والحدود، وعلى مدار سنوات الصراع مع الصهاينة المعتصين كان الشباب الفلسطيني هو حمرة الاشتعال في كل حرب وانتفاضة، لأن معتقداته تدعمها العزيمة، ولأن فكرته تعضدها الحماسة، ولأن رائد العمل الشبابي هو التوثب والجاهزية.

يقول الإمام الشهيد حسن البنا في رسالة وجهها إلى الشباب:

^{١١٥٤}. انظر في ذلك: الأزمة الفكرية المعاصرة / ص ١٥.

^{١١٥٥}. بحث منشور على الانترنت بعنوان: المنظمات الأهلية الفلسطينية / للباحثة: عبلة محمود أبو علبة، حيث تقول إن ٧٤% من المجتمع الفلسطيني تقل أعمارهم عن ٣٠ سنة، وقد توصلت إلى هذه الأرقام بقيامها بجمع المعلومات الإحصائية الموزعة في مراكز الإحصاء الفلسطيني.

أيها الشباب: إنما تنجح الفكرة إذا قوي الإيمان بها، وتوفر الإخلاص في سبيلها، وازدادت الحماسة لها، ووجد الاستعداد الذي يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها، وتكاد تكون هذه الأركان الأربعة: الإيمان، والإخلاص، والحماسة، والعمل من خصائص الشباب، لأن أساس الإيمان القلب الذكي، وأساس الإخلاص: الفؤاد النقي، وأساس الحماسة الشعور القوي، وأساس العمل: العزم الفتي، وهذه كلها لا تكون إلا للشباب، ومن هنا كان الشباب قديماً وحديثاً في كل أمة عماد نهضتها، وفي كل نهضة سر قوتها، وفي كل فكرة حامل رايتها (١١٥٦).

ودعائم النهضة الحقيقية في المجتمعات لا بد أن تمر بمراحل وأطوار، من أهمها: وجود الروح المشبعة بالأمل (١١٥٧)، وهي سمة الشباب من غير نكير.

اهتم الإسلام بتربية الشباب على القيم والمثل العليا حتى قبل أن يصلوا إلى هذه السن، وأوجد عوامل عدة تمنحهم التنشئة السليمة ليكونوا قوة المجتمع، حقيقة وواقعاً لا رقماً ومظهراً (١١٥٨).

أدرك الصهاينة هذه الحقيقة مبكراً، ووعاها حق الوعي، فانبجست من رحمته التنتة لجان مختصة في دراسة الكم الشبابي، والتوزيعات الجغرافية، ومحاور التأثير، ونقاط القوة وجوانب الضعف، وعقدت اللقاءات وورشات العمل التخصصية، ودعمتها الدراسات والتقارير الواردة من أجهزة الاستخبارات التي باتت تعد على الناس ذرات الهواء التي يتنفسونها، لتضع أوراقها على الطاولة للبحث والاستقراء، وتحاك ضدهم المكائد والدسائس.

١١٥٦. مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا / رسالة إلى الشباب / ص ٨١.

١١٥٧. انظر في ذلك: القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري " قوانين النهضة " - ضمن سلسلة: مشروع النهضة - سلسلة أدوات القادة / د. جاسم محمد سلطان / مؤسسة أم القرى للتوزيع والنشر - مصر / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٢٢٧ - ٢٣٦.

١١٥٨. انظر في هذا الصدد: الإسلام وإعداد الشباب / د. عبد الرزاق إسكندر / منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - ليبيا / الطبعة الأولى (١٩٨٦ م) / ص ٣٤ - ٤٠.

هذا الأمر يعني ضرورة وجود عمل رسمي من المجتمع الفلسطيني لاحتواء شبابه، وتفعيل طاقاتهم في الاتجاهات الإيجابية، وعدم تركهم في ميادين الإعلام العربي والغربي ليصنع توجهاتهم وميولهم بعيداً عن متطلبات العمل الوطني، وضرورات الفعل المتعلق بقضيتهم الدينية بالدرجة الأولى.

مشاريع العمل المؤسساتي الشبابي البناء

في ضرورة وجود فعلٍ معاكس تقول الباحثة الفلسطينية عبلة أبو علبة: كما أنه من الضروري والجوهري توجيه المؤسسات نحو العناية بقطاعي الشباب والمرأة، فنسبة ٧٤% من عدد السكان أعمارهم تقل عن ٢٩ سنة، وهذا يعني أنه من الضروري توجيه طاقات هؤلاء الشباب نحو مشاركتهم في القضايا التنموية والإيجابية (١١٥٩)

وهذه نسبة كبيرة مؤكدة من مصادرها في مراكز الإحصاء الفلسطيني.

هذه النسبة بالضرورة تحتم على القائمين بالعمل المؤسساتي أن يلتفتوا إلى هذه الشريحة الحيوية، ويولوها المزيد من الاهتمام على صعيد التخطيط النظري لبرامج البناء والتوجيه الخاصة بهم، وفي مجال التنفيذ لها على شكل برامج وفعاليات متنوعة، تلي احتياجات الشباب الفلسطيني الذي هو رأس الحربة في الصراع مع المحتل.

^{١١٥٩}. بحث منشور على الانترنت بعنوان: المنظمات الأهلية الفلسطينية / للباحثة: عبلة محمود أبو علبة، وقد توصلت إلى هذه الأرقام بقيامها بجمع المعلومات الإحصائية الموزعة في مراكز الإحصاء الفلسطيني.

تبدأ المنهجية العامة لاستثمار الشباب الفلسطيني بتعريفه على دوره الحقيقي في المجتمع، وقدراته المحبوبة، وما ينتظره منه المجتمع، وإطلاعه على قوانين الحريات النقابية (١١٦٠)، وتعريفه بالمشروعات الإنتاجية من خلال بيان مفهومها وأهميتها (١١٦١) ليتم تأسيس منهج عقلي متفتح يمكن أن يبني عليه عمل سليم ناضج في مستقبل الأيام.

ومع أن دور تفعيل واستثمار الشباب هو دور الدولة بمؤسساتها في تنمية وتشجيع وتأهيل الموارد البشرية (١١٦٢) إلا أن المنظمات الأهلية والشبابية لها دورها الفاعل في هذا الاتجاه أيضاً (١١٦٣) ولها تأثيرها المباشر في شرائح كبيرة من الشباب الفلسطيني في مختلف مناطق نفوذها وفعاليتها.

يتطلب الأمر كذلك أن تقوم منظمات المجتمع المدني الواعية بإيجاد فرص جديدة من أجل عمل الشباب (١١٦٤)، ومتابعة قضايا الحد الأدنى من الأجور وحماية العمالة (١١٦٥) للحد من الفقر والبطالة في صفوف الشباب، ولكون العدالة الاجتماعية تتفق مع المساواة أمام

^{١١٦٠} انظر في ذلك: وضع عمال الأراضي العربية المحتلة - تقرير المدير العام - ملحق / مؤتمر العمل الدولي - جنيف، الدورة ٩٦-٢٠٠٧ م / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / ص ٢٧.

^{١١٦١} إدارة الإنتاجية / مرشد عملي / جوزيف بروكوبنكو / مكتب العمل الدولي - جنيف / منظمة العمل الدولية ومكتب العمل الدولي، ومنظمة العمل العربية ومكتب العمل العربي / الطبعة العربية الأولى (١٩٩٨ م) / ص ١٩ - ٣٦.

^{١١٦٢} انظر: تنمية الموارد البشرية العربية / ص ١٠٧ - ١١٨... وانظر كذلك: الشباب العربي وتحديات المستقبل / موضوع: دور المجتمع في احتضان الشباب / أ. حسن بلال التل / ص ٧١ - ٩٩. وفيه إفاضة طيبة.

^{١١٦٣} Look: WOMEN IN THE (ECE) REGION - ACALL FOR ACTION / UNITED NATIONS - NEW YORK AND GENEVA / F. P (1995) / P. 62 - 70.

^{١١٦٤} الشباب: سبل الوصول إلى العمل اللائق - التقرير السادس / النهوض بعمالة الشباب - رفع التحدي / مؤتمر العمل الدولي (الدورة ٩٣ / ٢٠٠٥) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٢٩.

^{١١٦٥} انظر في ذلك: الشباب: سبل الوصول إلى العمل اللائق - التقرير السادس / النهوض بعمالة الشباب - رفع التحدي / مؤتمر العمل الدولي (الدورة ٩٣ / ٢٠٠٥) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٩.

فرص العمل- كما عند الإغريق - (١١٦٦)، وتتيح للشباب فرصة متكافئة مع أقرانه للتقدم للوظائف ومجالات العمل المتنوعة، لما في ذلك من أثر على استقراره النفسي والاجتماعي.

ثمة مسائل أخرى لا بد أن ينبري لها القائمون على المنظمات غير الحكومية في فلسطين، وهي قضايا تتعلق بالنمو السلوكي والإداري والقيمي للشباب الفلسطيني، حتى يكون عضواً منتجاً في مجتمعة، متجانساً مع نسيج المجتمع الذي يعيش فيه، قادراً على بناء علاقات تبادلية مع الأفراد والمؤسسات، بما يحقق له النمو الذاتي، ويحقق للمجتمع التنمية والازدهار.

من هذه القضايا الملحة في هذا الجانب: تأمين قضايا الإسكان للشباب (١١٦٧)، وبخاصة: المقبلين على الزواج منهم، وتنظيم الأعراس الجماعية التي تخفف من العبء المادي وتعين العروسين في مستقبل العمر على أداء دورهما تجاه بعضهما وتجاه المجتمع (١١٦٨)، وتوفير العدالة في فرص نيل التعليم (١١٦٩)، ولا سيما المنح والبعثات والتعليم العالي، على أن يكون هذا التعليم بمراحله المختلفة منطلقاً من فهم الأولويات الفلسطينية، ووفق أجندة واضحة تضمن الاستفادة المجتمعية من الشباب بعد تحصيله للعلم التخصصي في الجانب الذي تم تخصيصه به.

تجدر مراعاة الجوانب المؤثرة في تطوير الشباب الفلسطيني في المجالات المختلفة، كتأهيله للعمل السياسي والفني، والتطوير الإداري (١١٧٠) والنماء على المستوى السلوكي (

١١٦٦. انظر في ذلك: تراتبية القيم / ص ٦٩.

١١٦٧. نشرة بعنوان: الدور الاجتماعي للثقافات / حاج علي إبراهيم / مؤتمر الحوار النقابي - مكتبة اتحاد عام عمال السودان - الخرطوم / ص ٧.

١١٦٨. وقد حضرت واحداً من هذه النماذج في الأعراس في السودان، حيث تم تزويج المئات من العرسان في يوم واحد، مع تقديم هدايا من الدولة ومن المؤسسات عينية ونقدية، وانظر تغطية هذه المهرجانات على سبيل المثال في: صحيفة إحصان / إصدار خاصة بمناسبة زواج البركة السادس / الإصدار السادسة / ٢٦ رجب ١٤٢٨ هـ.

1169. Look: ISLAM – ALLTHE PLEASURE.. NONE OF GUILTY / MUSLIM WOMEN NETWORK (M.W.N) / CAIRO /p .٢ /

١١٧٠. انظر: الموقع الإلكتروني: www.vcn.bc.cal موضوع بعنوان: developing acivic

culture، للكاتب: Ralph nader.

(^{١١٧١}) وإرشاده إلى أنماط الإدارة السديدة، والحوار الاجتماعي وأثره على الواقع المؤسسي والفردية (^{١١٧٢}) إضافة إلى التأهيل الشبائي في القدرة على التعاملات المالية المختلفة، حتى يكون الشاب قادراً على أن يؤثر بفاعلية في العمل الاقتصادي الذي يعدّ ركيزة النماء والاستقرار في المجتمعات (^{١١٧٣}).

ولكون الشباب عنصراً فاعلاً في المجتمع، ويمكن لهم أن يؤديوا الأدوار المنوطة بهم بعزم وتوثب، فإن من الواجب أن يقوم في المجتمع المدني الفلسطيني جهد مؤسسي مركز من أجل إدماج الشباب الفلسطيني في صياغة وتأمين الاستقرار الحقيقي النابع من تحقق الأمن الاجتماعي (^{١١٧٤})، و معايير فهم الأمن الاجتماعي (^{١١٧٥})، وإرشادهم إلى وجوه الوصول إلى ذلك، وكيفية تخطي العقبات الموجودة في هذا السبيل.

بهذه التعبئة الموجهة المنهجية، يمكن لمنظمات المجتمع المدني الفلسطيني أن تكون بوابة تغيير حقيقي في الواقع الفلسطيني، من خلال إيجادها للتغيير في القيمة الكبرى على الأرض، وهي الإنسان الفلسطيني، وعلى وجه الخصوص: الشاب الفلسطيني، حتى لا يقع المجتمع مستقبلاً في مستنقع ((سيادة الاستبداد الفردي)) (^{١١٧٦}) التي عرفها المجتمع الفلسطيني إبان حكم رجالات أوسلو.

^{١١٧١}. الموقع الإلكتروني: WWW.RIYADHEDU.GOV.SA موضوع بعنوان: الأهداف السلوكية / للأستاذ: إبراهيم العبيد.

^{١١٧٢}. تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٩٦ / ٢٠٠٧) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، ص ٣٣ - ٣٥.

¹¹⁷³ .Look: ALTERATIVE SCHEMES OF FINANCING TRAINING / EDITED BY: VLADIMIR GASSKOV / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE - GENEVA / F. P (1994) / P. 4.

¹¹⁷⁴ Look: SOCIAL SECURITY - ANEW CONSENSUS / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE - GENEVA/ F. P (2001) / P.7.

¹¹⁷⁵ . LOOK: FROM PYRAMID TO PILLAR / POPULATION CHANGE AND SOCIAL SECURITY IN EUROPE / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE - GENEVA / F. P (1989) / P. 41 - 69.

^{١١٧٦}. إحياء الفروض الكفائية / ص ٩٤ - ٩٥.

المطلب الثالث

مؤسسات رعاية الطفولة الفلسطينية

واقع الطفولة الفلسطينية

عند الحديث عن أطفال فلسطين، فلا بد للمرء من أن يستحضر في ذهنه واقع هذه الفئة من الشعب، وما تعيشه من كبت وقتل وتشريد وحرمان، وما تفرضه عليها سلطات الاحتلال من إرهاب فكري وحالات نفسية عديدة، لأن فهم هذا الواقع يبين حجم الحرب وضراوتها عند أعداء الطفولة والإنسانية.

الطفولة الفلسطينية التي تزيد نسبتها في المجتمع الفلسطيني عن: (٥٢ %) من مجموع الشعب الفلسطيني (١١٧٧)، والتي يجري إعداد أضحى الخطط لاستهدافها تعيش في واقع مذل، حيث لا ترفيه، ولا ألعاب، ولا مجالات لبناء الذات والتوجه والميول الفردية، بل يقضي الطفل الفلسطيني نهاره وليله تحت قصف الطائرات ودوي المدافع، أو بين أنياب الحديد (١١٧٨).

انظر للإحصائية الجزئية التي أوردتها مراكز حقوق الإنسان عن واقع الطفولة في فترة زمنية قصيرة جداً، لتقيس عليها باقي أيام وشهور وسنوات حياة الطفولة، فقد جاء في التقرير ربع السنوي الثاني لعام ٢٠٠٣ م الذي أعده مركز غزة للحقوق والقانون أن عدد الشهداء من الأطفال الذين لم يكملوا سن " ١٨ " عاماً بلغ " ١٣٠ " شهيداً، بينهم " ١٥ "

^{١١٧٧}. انظر : التقرير السنوي بمناسبة يوم الطفل الفلسطيني / الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني - فلسطين / ٢٠٠٢ م، تحت عنوان: (أطفال فلسطين - قضايا وإحصاءات).

^{١١٧٨}. فقد اعتقل منذ بداية انتفاضة الأقصى من الأطفال دون سن الثامنة عشرة ما يزيد عن (٤٠٠٠) طفل، وانظر في ذلك، الموقع الإلكتروني للمركز الفلسطيني للإعلام: WWW.PALESTIN-INFO.INFO

طفلاً رضيعاً، وأن عدد الجرحى من الأطفال في الفترة التي يشملها التقرير بلغ: " ٢٠٠ " طفل (١١٧٩).

أما الجرحى، فقد بلغ عدد الجرحى من بداية انتفاضة الأقصى وحتى تاريخ ٢٠٠٣/١/٤ م في فلسطين: (٤٢.٥٨٧) جريحاً، منهم (٣٧.٦ %) من الأطفال (١١٨٠)، وهذه أرقام محصورة بين حدين زمنيين، ولك أن تتخيل المأساة إذا ما تم جمع الأرقام الموجودة على اختلاف سنوات الصراع، وما تركتهم له الجراح من حالات إعاقة، وشلل، وضرر نفسي ومعنوي فعلي.

الطفولة الفلسطينية في العمل المدني الفلسطيني

إن شعوب العالم التي تحترم نفسها تخصص أضخم الميزانيات المالية وأكبر المخصصات المادية في ميزانيتها العامة ليتم صرفها وتوجيهها نحو رجال الغد أطفال اليوم، فالمستقبل لا يكتب حروفه إلا أطفال اليوم الذين يجوبون على الأرض حبواً (١١٨١).

من الواجب على منظمات المجتمع المدني الفلسطيني أن تحافظ على الطفولة الفلسطينية باعتبارها مشروع الأمة ككل، وثروة الغد، وأن تقدم لهم أفضل الخدمات والرعاية، وعلى وجه الخصوص؛ في مجالات درء العقاب الجسدي المؤذي ضد الأطفال، والاعتداءات الجنسية عليهم، وتأصيل آليات الحماية القانونية لضحايا سوء معاملة الأطفال، والاستغلال، والإهمال، والآثار النفسية للعدوان الصهيوني والمجازر ونحوها..

^{١١٧٩}. التقرير الربع سنوي - التقرير ربع السنوي الثاني لعام ٢٠٠٣ م ١ يوليو - ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٣ م / مركز غزة للحقوق والقانون / فلسطين - غزة، ويمكن الاطلاع على التقرير من خلال الموقع الإلكتروني للمركز وهو: WWW.GCRL1.ORG

^{١١٨٠}. انظر: التقرير السنوي بمناسبة يوم الطفل الفلسطيني / الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني - فلسطين / ٢٠٠٢ م، تحت عنوان: (أطفال فلسطين - قضايا وإحصاءات) .

^{١١٨١}. انظر: البيريسترويك بعد العاصفة / مجموعة دراسات لبوريس جاكارليتسكي وآخرون / مكتبة مدبولي - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٩١ م) / ص ١٠٠ .

مع أن هناك العديد من المؤسسات التي تطرح مثل هذه البرامج والموضوعات ضمن أجندتها العملية، إلا أن المتابع يلمس مدى غياب التخطيط الفعال في وضع الخطط العلاجية الاستراتيجية والمرحلية لهذه السبلبات المنتشرة بفعل الواقع والظروف السياسية، وما يعيشه الشعب من ظروف استثنائية عن باقي شعوب الأرض.

كما يلمس كذلك بُعد الإسلاميين عن هذا الجانب الحيوي في الفترات السابقة، مع وجود ملامح عمل ناضج في الواقع الحالي على صعيد مؤسسات الطفولة، والمؤسسات الأهلية متعددة الأهداف، وذلك البعد في الفترات السابقة فتح المجال أمام المنظمات العالمية للتدخل في الموضوع من وجهة نظرها (١١٨٢)، وبأسلوبها وطريقتها في التعامل مع أطفال فلسطين المسلمين، وما يعنيه ذلك من وجود إشكالية في المصدر لخاص بتلقي الأطفال لثقافتهم العامة والخاصة مستقبلاً.

من البرامج التي بدأ المجتمع الفلسطيني يسمع عنها في ظل استمرار وتأجج دوامة الصراع، برامج المؤسسات المشبوهة، أو ما بات يعرف في المجتمع الفلسطيني باسم: (نشاطات مؤسسة بذور السلام)، وهي مجموعة من البرامج التطوعية التي تقوم بها بعض المنظمات التي تعمل بنظام التشبيك مع منظمات الكيان الصهيوني الغاصب، وتستهدف الأطفال الفلسطينيين في مشروع التهجين المركز مع المحتل الغاصب.

ليبيان ارتباط هذا الأمر بالغزو الفكري والتطبيع مع الدولة الصهيونية (١١٨٣)،

يقول الدكتور طه العلواني:

١١٨٢. مثل: الحركة العالمية للدفاع عن الأطفال، التي تنشط في فلسطين من خلال مؤسساتها المنتشرة في كل المدن والمحافظات، ولها فعاليات متعددة على صعيد الطفولة الفلسطينية، وانظر في ذلك، الموقع الإلكتروني على الانترنت: الحركة العالمية للدفاع عن الأطفال - فرع فلسطين، موضوع بعنوان: احتتام فعاليات المؤتمر الوطني الرابع لأطفال فلسطين ٢٠٠٦، منشور بتاريخ: 2006/08/24 م.

١١٨٣. انظر في ذلك: الأزمة الفكرية المعاصرة / ص ١٥.

منذ أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، والعالم الإسلامي كلع مقتلع النوافذ والأبواب في وجه الفكر الغربي، والمنهج الغربي، والثقافة الغربية، والعلم الغربي، والحضارة الغربية، والفنون والآداب والأذواق والتقاليد الغربية - بدرجات متفاوتة (١١٨٤) فكيف سيكون الحال بفلسطين ومع أطفال فلسطين، وهم الموجودون في بيئة الضغط المتواصل، والخوف والرعب، ويتنظرون متنفساً يشعرون معه بطفولتهم؟!.

لا يمكن كذلك أن يتم نسيان مشروعات: (الإنماء)، وبرامج (دعم الطفولة المبكرة)، والمخيمات الصيفية الإنجليزية في مختلف بلدات وقرى فلسطين (١١٨٥).

في واقع الاضطهاد الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، فإن هذه البرامج تريد أن تقوم بعملية مسح دماغ فعلي للأطفال حتى لا يتعلقوا بأرضهم وتاريخهم وحقوقهم، من خلال رسم صورة التعايش السلمي بين الذئب والحمل من خلال التطبيع الثقافي (١١٨٦)، ليكبر الصغار وهم يؤمنون بهذه الفكرة المشوهة، والتي لا تمت إلى الواقع الفعلي بأي صلة، ولكنه مكر الليل والنهار، يصفه الباحث بالقول:

حتى الطفولة أعدموا آمالها وأدوا البراءة حطموها الألعابا
فالطفل ينشأ في ضياع كامل وأبوه أعدم في السجون وغابا

من ثم، وجب التنبه إلى تنظيم العمل المدني وتوجيهه نحو شريحة الأطفال، لإيجاد البيئة الآمنة لهم في التلقي الفكري والسلوكي أولاً، ولتطوير مهاراتهم وصقل شخصياتهم

^{١١٨٤}. انظر في ذلك: الأزمة الفكرية المعاصرة / ص ١٣.

^{١١٨٥}. وهذه المشروعات تقوم عليها مجموعة من المنظمات الغربية العاملة في المجتمع الفلسطيني، حيث يتركز نشاطها على الفعاليات الخاصة بالأطفال، ولديها مصادر دعم كبيرة، و عندها من سبل تأمين احتياجاتها المادية والتنسيقية ما يؤمن لها نجاح نشاطاتها في المجتمع الفلسطيني، لا سيما في ظل حكم أو سلو.

^{١١٨٦}. انظر: التطبيع - استراتيجية الاختراق الصهيوني / ص ١٠٣ - ١١١.

المستقبلية بشكل نافع بعد ذلك، وإبعادهم عن مواطن التيه والانحراف عن ميادين بناء الشخصية في العمل أو موارد الإنتاج الأخرى (١١٨٧).

مما يجب التنبيه إليه، والتركيز على إيجاده في الحالة الفلسطينية: مشروعات الدعم النفسي والسلوكي للطفل، وبرامج العمل المؤسساتي الذي يجعل الطفل يقفز فوق حواجز الخوف والرعب التي يعيشها بفعل آلة التدمير والقتل الصهيونية، وما تتركه على نفسيته من أثر سلوكي ونفسي قد يصاحبه إلى مماته.

من المظاهر الصحية التي يجب وجودها في المجتمع الفلسطيني، منظمات الدفاع عن الأطفال، وتأمين الحماية لهم، ومنع تعريضهم للمآسي والويلات والاسترقاق (١١٨٨)، والتنبيه من مخاطر ذلك كله، ورفض العمل الجبري والإلزامي (١١٨٩) التي لا يقرها الدين الإسلامي - قبل رفض النظريات الغربية المعاصرة لها -، ومنع مظاهر عمالة الأطفال السلبية، وتحديد العمل غير المنمي للشخصية أو الذي يחדش كيان الطفل ومستقبله (١١٩٠)، ويؤثر على الشخصية والكيان الإنساني المستقبلي (١١٩١)، كما يجب التنبيه إلى رفض العمل المضني للأطفال، كالعمل في المحاجر وأعمال التشييد والبناء ونحوها (١١٩٢).

¹¹⁸⁷. look: ACTION AGAINST CHILD LABOUR / EDITED BY: NELIEN HASPELS AND MICHELE JANKANISH / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE – GENEVA / F. (2000) / P. (4 – 14).

¹¹⁸⁸. look: SLAVE – THE TRUE STORY OF A GIRL'S LOST CHILDHOOD AND HER FIGHT FOR SURVIVAL / MENDE NAZER AND DAMIEN LEWIS / F (2004) / PAGE 87.

^{١١٨٩}. انظر: مستقبل حال من عمل الأطفال / التقرير العالمي بموجب متابعة إعلان منظمة العمل الدولية بشأن المبادئ والحقوق الأساسية في العمل ٢٠٠٢ م / مكتب العمل الدولي - جنيف / مؤتمر العمل الدولي (الدورة ٩٠ / ٢٠٠٢) / التقرير الأول (بء) / الطبعة الأولى (٢٠٠٢ م) / ص ٣٦ - ٤٠.

^{١١٩٠}. انظر: الحماية الدستورية والقضائية للحقوق الأساسية في العمل / منظمة العمل العربية / مكتب الإعلام بمنظمة العمل العربية / إعداد: د. محمود سلامة جبر / ص ١٠٦ - ١١٠.

^{١١٩١}. انظر في ذلك: مستقبل حال من عمل الأطفال / ص ٩ - ١١.

^{١١٩٢}. انظر: مستقبل حال من عمل الأطفال / ص ٣٥ - ٣٦.

تجدر الإشارة هنا إلى أن ظواهر رقق الأطفال، وبيعهم، والاتجار بهم (١١٩٣) ليست موجودة في المجتمع الفلسطيني، ولا يمكن للمجتمع الفلسطيني بتركيبته الدينية والسياسية والاجتماعية أن يقبل بوجود أو ميلاد هذه الظاهرة السلبية، لكونها تتنافى مع اصل تكوينه الديني والفكري والتربوي.

يبقى الأمل معلقاً في ناصية المنظمات غير الحكومية حتى تتحمل الجانب الخاص بها في هذه المجالات التطويرية بواقع الطفل الفلسطيني، وأن تقف أمام مسؤولياتها تجاه هذه الشريحة الحساسة التي هي هوية المجتمع الفلسطيني المستقبلية، ومنها سيولد القائد والمفكر، والرواد والعلماء، إذا تم استثمارهم بطريقة علمية منهجية سوية، فلقد ((أصبح مطلوباً من هذه المؤسسات دور آخر أكثر تطوراً وتقدماً، من أجل الإسهام في بناء المجتمع الفلسطيني المستقل، والتأسيس للدولة الفلسطينية المستقلة القادمة)) (١١٩٤).

يختتم الباحث هنا بكلام تأصيلي يتعلق بطبيعة البناء الاستراتيجي لمنظمات الرعاية الخاصة بالطفولة والدفاع عنها، حيث يقول الأستاذ الدكتور عبد الحميد أبو سليمان:
إن تحقيق معنى الأمة، وبناء كيانها لا تحقق إلا من خلال بناء المؤسسات السياسية التي تلائم واقعها وقيمها، وتمكن أبناء الأمة من المساهمة في بنائها وتحقيق حاجاتها، فإذا شئنا تصحيح مسيرة الأمة السياسية، ونوعية قياداتها ومؤسساتها، وأسلوب أدائها؛ فإن ذلك يكمن في نوعية الفكر والتربية النفسية والتوعية العقيدية والاجتماعية والسياسية التي نلقنها لأبنائنا وندرهم عليها (١١٩٥).

^{١١٩٣}. ومع أن هذه الظاهرة ليست موجودة في المجتمع الفلسطيني، إلا أنه ينبغي العمل على تأسيس فهم شعبي من خلال المنظمات غير الحكومية لإشاعة هذه القواعد العامة حتى لا يقع فيها الشعب الفلسطيني، مع التنبيه إلى أن طبيعة المجتمع الفلسطيني المسلم المحافظ ترفض هذه الأفكار من حيث المبدأ.

^{١١٩٤}. بحث منشور على الانترنت بعنوان: المنظمات الأهلية الفلسطينية / للباحثة: عبلة محمود أبو عبلة.

^{١١٩٥}. قضية المنهجية في الفكر الإسلامي / ص ٤٣ - ٤٤.

المبحث الرابع

مساعي الصهاينة لتدمير المجتمع المدني الفلسطيني

تدرك المؤسسة العسكرية الصهيونية تمام الإدراك أن الشعب الفلسطيني بقواه الحيّة يشكل أكبر خطر يهدد المشروع الصهيوني التوسعي بجدية واقعية، وأن الشعب الفلسطيني يمثل شوكة تقف في حلقه، وخنجرًا مغروسًا في خاصرته، فليس أمام الكيان الصهيوني إلا أن يسابق الزمن لتحطيم الروح المعنوية لهذا الشعب مستغلًا نفوذه العسكري على الأرض، وطواقمه الاستخباراتية والمعلوماتية ليضرب الشعب الفلسطيني بكل ما أوتي من قوة.

تحت هذا الفهم والسلوك، عمد صناع القرار في الجانب الصهيوني إلى رسم سياسات قمع التأثير المؤسساتي المضاد للفكرة الصهيونية، أو الذي قد يمس أصل وجودهم على الأرض الفلسطينية المغتصبة، وقد أخذ هذا السلوك عدة أشكال، منها:

* بناء المؤسسات التي تدين للصهيونية تحت مسميات فلسطينية أو عامة.

حكومة العدوان تعتمد في هذا الشأن على ثلة من المنتفعين والموالين وأصحاب المصالح التي تلتقي مع فكرهم ولا تعارضها، واستغلال هؤلاء ليكونوا واجهة عمل مدني، ومدراء ومسؤولين عن هذا النوع من العمل المجتمعي.

من ثمّ؛ يُضمن الاستسلام التام من هؤلاء للأوامر والبرامج التي يطلب منهم تنفيذها وتمريضها من الصهاينة عبر مؤسسات يتم بناؤها خصيصاً لهذا الهدف.

* إيجاد طواقم رقابة على المؤسسات الأهلية.

هذه الطواقم التي تتفاخر المنظمات الأهلية غير الحكومية بكونها داعمة وموجهة لسياسات عملها وتقييم أدائها؛ تحتل عملياً صلاحيات واسعة تمكنها من التصرف والحركة وفق ما تشاء، فهي تقر ببتير ما تريد، وتضيف ما تريد، ولن يكون جهدها - في حال كونها وليدة الرؤية والدعم الصهيوني - إلا بتراً لكل فضيلة وخير، وإشاعةً لكل رذيلة وباطل.

لا يشترط أن تأخذ هذه اللجان مسميات الرقابة، بل قد تسمى في المجتمع الفلسطيني باللجان الاستشارية، أو المجالس الداعمة، أو منتديات التخطيط المساندة، أو نحو ذلك من المسميات التي لا تلفت النظر إلى حقيقتها ودورها (١١٩٦).

● اعتماد أسلوب التهديد لأصحاب المؤسسات الأهلية المستقلة.

هناك مؤسسات إعلامية أنشئت لأغراض خاصة بميثاقها التي أشرفت على بنائها وتطويرها، كأصحاب النفوذ، ورؤوس الأموال، والراغبين بالمنافع المادية والإعلامية والشهرة ونحو ذلك - المواقع والمؤسسات والمنظمات التابعة للتجمعات والأحزاب الفلسطينية من بينها بالطبع - فهذه المنظمات واقعة تحت وعيد لا يتوقف، وتهديد لا تتعب كلماته وأشكاله إن هي برجحت النشاطات التي تضر وجود الصهاينة على أرض فلسطين.

عرفت الساحة الفلسطينية تنفيذاً لمثل هذه التهديدات - فقد أغلقت أجهزة العسكر الصهيوني عدداً كبيراً من المؤسسات الأهلية، والجمعيات الخيرية (١١٩٧)، والمراكز الثقافية (١١٩٨)، واعتقلت وأبعدت عدداً كبيراً من المشاركين والفاعلين في هذا القطاع الهام

^{١١٩٦}. وبالذات: لكونها لا تظهر في العمل الجماهيري العام أمام الجمهور، فهي تبقى خلف الستار، بعيداً عن المتابعة والرقابة من قبل المجتمع المدني ذاته، وعن عيون التيارات الإسلامية والوطنية الحقبة وغير المنسجمة مع الأهداف الصهيونية.

^{١١٩٧}. مثل مؤسسة فرح في رام الله، والجمعية الخيرية الإسلامية وجمعية الشبان المسلمين في الخليل.

^{١١٩٨}. مثل: المركز الثقافي الإسلامي في الخليل.

من قطاعات المجتمع (١١٩٩) في جهد متواصل منها لمنع الفعل المؤسسي الباني من الوصول إلى المجتمع بشرائحه المختلفة تحت أي مسمى.

١١٩٩. كما حصل عندما اقدمت الدولة العبرية على إبعاد أكثر من (٤١٥) فلسطينياً إلى مرج الزهور في جنوب لبنان في أواسط الانتفاضة الفلسطينية الأولى التي انطلقت عام ١٩٨٧ م، وانظر في ذلك أيضاً: مجلة فلسطين المسلمة / العدد الثامن - السنة الثالثة والعشرون / ٢٠٠٥ م / ص ٥.

المطلب الأول

الترغيب المادي والمعنوي

شراء ذمم النخب على اختلاف توجهاتها كان سمة بارزة في تعامل العقليات الصهيونية مع العالم العربي والغربي على حد سواء، وهم يتفاخرون ويبرزون من نجحت معه سياسات غسيل الدماغ على المستويات العالمية، ليحثوا غيره على اقتفاء أثره.

يضرب الباحث مثلاً صريحاً على هذا الأمر، وهو تصريح رسمي لشخصية صهيونية معروفة، يقول فيها معلقاً على وجود كتب تعادي الصهيونية في المجتمع المصري: ((وإنني لا أعتب على أدياء مصر الذين يعطفون على " إسرائيل "، كتوفيق الحكيم، ونجيب محفوظ إذا لم يفعلوا شيئاً لمنع هذه الكتب)) (١٢٠٠)، وهو تصريح له دلالاته لمن أراد التبصر والتعمق.

تحدث العلماء الثقات عن نماذج من الذين قام العدو بتلميعهم من خلال وسائله المختلفة ليقوموا بنشر ثقافات الغرب ومعتقداته، وما طه حسين، وقاسم أمين، ورفاعة الطهطاوي الذي ابتعث لباريس خمس سنوات ثم عاد ليقول إن الرقص الذي تتلاصق فيه الأجساد بين الغرباء لا بأس به شرعاً!! (١٢٠١) عنكم ببعيد.

في فلسطين؛ تعرفت الدولة الصهيونية بمؤسستها على دور المؤسسات الأهلية المختلفة، ومواقع العمل الإبداعي فيها، ودرست نفسيات العاملين والإداريين العاملين تحت

^{١٢٠٠}. تهويد عقل مصر / عرفة عبده علي / دار سينما للطباعة والنشر - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٨٩ م) / ص ١٨. وهذا التصريح أدلى به الدكتور ساسون صومخ، أستاذ الأدب العربي في جامعة تل أبيب.
^{١٢٠١}. انظر في ذلك: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي / ص ٦٤ - ٦٩، وهناك مادة علمية وتاريخية لا بد من تعميمها على الناس حتى يعتبروا ويتعظوا.

لوائها، وتغلغت في صفوفها لدراسة واقعها، وقد قادهم هذا الأمر إلى فرض سياسة عامة للتأثير المباشر على هذه المؤسسات عبر عدة أمور، منها: -

١. عدم الموافقة على منح تصاريح عمل للمؤسسات الإعلامية إلا بعد سلسلة من الإجراءات، والتي منها: مقابلة ضباط المخابرات للراغبين بإنشاء هذه المؤسسات، ووضع عقبات كثيرة يتم نصبها أمام القائمين على فكرة هذه المؤسسات، ووعده هؤلاء بدعم مالي وتقني، أو تمرير المستلزمات دون ضرائب أو ما شابهها من مغريات ومرغبات.

وبعد أخذ ورد؛ يُطلب منهم صراحة؛ وبعد سلسلة تمهيدات أن يتعاونوا مع الصهاينة، وذلك عبر أسلوب الإسقاط الفردي، أو التعامل بمبدأ تمرير المصالح المشتركة على أقل تقدير، والذي يصب في ميدان خدمة العدو أولاً وآخرًا.

٢. التأثير على أصحاب المؤسسات المدنية التي تختص بمجال الاتصال بالمجتمع على نطاق واسع (١٢٠٢)، بحيث يتم توجيه آرائهم وإعلامهم وبرامجهم نحو برنامج التطبيع مع العدو، ونشر فلسفة القبول بالأمر الواقع، وذلك عن طريق النشاطات التي تصب في هذا الاتجاه، بعيداً عن أهداف الشعب وحقيقة توجهاته.

الصهاينة يقبلون بالحد الأدنى من شراء الذمم ويعتبرونه خطوة على طريق التطبيع (١٢٠٣)، فهم يقبلون فقط بعدم جنوح هذه المؤسسات إلى جانب دعم المقاومة بمختلف أشكالها، أو إثارة مشاعر الشعب، أو بيان حقوقه المشروعة المسلوبة منه بالقهر والإذلال،

١٢٠٢. انظر كمثال لما أطره هنا ما ثبت عن سفير "إسرائيل" في موريتانيا حيث نشرت الصحف العالمية وثائق وصور تفيد استخدامه للمال والنساء في الإيقاع بالشخصيات المهمة في موريتانيا لتمرير مشاريع الصهيونية في موريتانيا، وما خفي من عمل السفراء والدبلوماسيين والساسة على مستوى العالم كان أخطر وأكبر، وفي التقرير الوارد في العنوان التالي مزيد تفصيل وبيان: www.ALWATANVOICE.COM / صحيفة صوت الوطن موضوع: السفير الإسرائيلي في موريتانيا يستخدم المال والجنس للإيقاع بشخصيات مهمة، بتاريخ ٢٥/٣/٢٠٠٦ م.

١٢٠٣. انظر في ذلك: الأزمة الفكرية المعاصرة / ص ١٥.

ويرضون في الآن ذاته لهذه المؤسسات بما هو عليه حالها اليوم، وبما تبثه من أفكار وبرامج لا تعدو عن التضليل والاستهتار بالفكر الفلسطيني والثقافة الفلسطينية، والتلاعب بالأفكار والمرتكزات العقائدية والتاريخية والحقوقية من خلال النشاط المدني بصوره المختلفة.

تجني الحكومة الصهيونية من هذا الأمر أهدافاً عدة، منها:

- تحييد منظمة أهلية فلسطينية.
 - ضمان مظاهر من الفساد والفتن والعمل العسبي تنتشر في المجتمع الفلسطيني بغير جهد إسرائيلي أو مال إسرائيلي.
 - بناء جسور من العلاقات - ولو كانت خفية - مع أصحاب هذه المؤسسات للتأثير فيهم عند الحاجة.
 - إفساح المجال للعمل المضبوط بالشروط التي يقبل العدو الحد الأدنى منها.
- وقد أثبت الواقع والاستقراء أن العدو قد تعامل بشكل مباشر وغير مباشر على هذا المستوى الحساس، وما النتائج الملموسة واقعاً إلا ثمار تنبيك عن جذور هذه الشجرة الخبيثة تحت الأرض.

المطلب الثاني

أسلوب العصا الغليظة

الترهيب الذي تمارسه الحكومة الصهيونية بحق المنظمات المدنية والهيئات والمؤسسات الفلسطينية حدث عنه ولا حرج، فهي لغة يتقن استخدامها كل جندي وضابط في الكيان الصهيوني.

الترهيب للمؤسسات المدنية جاء تابعاً لتعمية العالم عن الجرائم الكبرى التي ترتكبها الدولة الغاصبة بحق الفلسطينيين ومؤسساتهم والنظام المدني الفلسطيني عموماً، حيث استهدف الصهاينة المنظمات المدنية الواعية التي تنقل من خلال جهودها وأنظمة التشبيك والتواصل الفعال والمفاوضات الجماعية والجمعيّة معاناة الشعب الفلسطيني، والجرائم الصهيونية بحق العالم.

يهدف الاحتلال من ذلك منع بث هذه المظاهر والتقارير والمعلومات إلى الدول (الديمقراطية) في العالم، لتأخذ دولة الاحتلال راحتها في استهداف المجتمع المدني الفلسطيني بعيداً عن ضغط المجتمع الدولي.

والمجتمع المدني الفلسطيني، وإعلاميو المجتمع المدني الفلسطيني هم ضحية هذه الحرب الهوجاء فرسالتهم بالجهد والخبر والنشاط لرفع صوت القضية الفلسطينية يقابل بأعتى آلات القمع والتقتيل: ((ولا يمكن تفسير هذه الاعتداءات إلا ضمن إجراءات قوات الاحتلال للتغطية على جرائمها ضد المدنيين الفلسطينيين وممتلكاتهم، وفرض العزلة الإعلامية على الأراضي الفلسطينية المحتلة)) (٢٠٤).

- ٢٠٤. الموقع الإلكتروني لمركز الإعلام والمعلومات - غزة، WWW.MIC-PAL.INFO، في تقرير بعنوان: ((إخراس الصحافة - تقرير خاص عن الاعتداءات الإسرائيلية على الصحفيين)) في الفترة الواقعة بين ١/١٠/٢٠٠٢ م، وحتى ٣١/٣/٢٠٠٣ م، وكذلك: مجلة فلسطين المسلمة / العدد

الترهيب للمؤسسات الأهلية في طور التأسيس

ليبان حجم وشكل الهجمة المكتومة عن العالم في مجال استهداف المجتمع المدني الفلسطيني على صعيد بناء المؤسسات الأهلية وإنشائها، فإن الحكومة الصهيونية وعبر مكاتبها المختصة قد مارست الترهيب بأشجع صورته، ومن هذه الصور على سبيل المثال لا الحصر:

١. رفض تصاريح التشغيل (الرخصة الرسمية بافتتاح المؤسسات) لمن لا يثبت ولاؤه النسبي أو المطلق للأفكار (السلمية) مع حكومة العدوان.

٢. اعتقال العاملين في مجال المجتمع المدني ممن لا يدينون بدين الباطل ولا يوالونه، أو أولئك الذين يكشفون الحقائق التي لا يريد العدو كشفها من خلال ممارسات وأنشطة المؤسسات ذات الطابع الأهلي (١٢٠٥).

٣. فرض العزلة على المفكرين، ومحاصرة أموالهم ومؤسساتهم الخاصة، مما يهدف في أذهانهم أي فكرة لولادة عمل مدني؛ يمكن لهم أن يكونوا من رواده (١٢٠٦).

بكل أسف، قامت سلطة أوسلو بانتهاج نفس الطريق الذي ينتهجه الاحتلال في هذا الجانب، فقد قامت أكثر من مرة بمنع النشاط الإسلامي من الحديث لوسائل الإعلام،

الثامن / السنة التاسعة عشرة / آب ٢٠٠١ م / تقرير بعنوان: " بشكل متعمد ومقصود: الاعتداءات الإسرائيلية على الصحفيين مستمرة " / ص ١٨.

١٢٠٥. وهذا يتم بشكل يومي في فلسطين، فما من يوم إلا ويعتقل فيه أحد العاملين في الحقل المؤسساتي الفلسطيني، ومن الشواهد للمثال لا الحصر، ما حصل مع الهيئات الأعدارية وطواقم العمل في الجمعية الخيرية الإسلامية وجمعية اشبان المسلمين وجمعية الفحسان الخيرية في الخليل، وجمعية فرح في رام الله، والمؤسسات المدنية في القدس، وغيرها، والسجون تغص بالأسماء اللامعة في العمل الأهلي الفلسطيني في كل سنوات الأسر والحصار.

١٢٠٦. وقد التقيت بعدد كبير منهم داخل السجون الصهيونية في فترات اعتقالها السابقة، وهذا يدل على سياسة منهجية عند الاحتلال في ترصد بؤر القوة والتوثب عند المجتمع الفلسطيني ليستأصل العزيمة والتوقد فيه.

بما في ذلك بشأن المؤسسات المدنية ونشاطاتها التي يقومون بها، أو على صعيد تصدير المواقف الخاصة بالمجتمع المدني من المؤسسات الأهلية الموجودة على الأرض الفلسطينية وخارجها.

لإعطاء صورة عن هذا الموضوع للدلالة فقط لا الحصر، أ طرح هذا الاقتباس من مصدر حقوقي مستقل يعمل في قطاع غزة، حيث جاء في التقرير الربع سنوي لحقوق الإنسان الصادر عن الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني:

... وبتاريخ ٢٠/٨/٢٠٠٣ م أصدر متحدث باسم الشرطة الفلسطينية قراراً بمنع أعضاء من حركة حماس والجهاد الإسلامي من التحدث إلى وسائل الإعلام، مباشرة أو من خلال الهاتف، ويشمل كافة وسائل الإعلام... (١٢٠٧).

٤. إعطاء مقابلات لدوائر المخابرات المختلفة (١٢٠٨)، بحيث يتم إحضار الراغبين ببدء العمل المؤسساتي وإرهابهم والخط من عزائمهم، وتوعدهم بمحاربة المؤسسات التي ينوون إقامتها حتى لو قامت من غير ترخيص رسمي.

الترهيب لمؤسسات المجتمع المدني القائمة

أما على صعيد الترهيب الممارس بحق المؤسسات المدنية القائمة، والتي سبق لها أن حازت على الأوراق الرسمية بأي طريقة في فترات سابقة، فهو يأخذ الطابع السابق وأكثر، فمن بعض صور هذا الإرهاب المنظم:

١٢٠٧. التقرير الربع سنوي - التقرير ربع السنوي الثاني لعام ٢٠٠٣ م ١ يوليو - ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٣ م / مركز غزة للحقوق والقانون / فلسطين - غزة، ويمكن الاطلاع على التقرير من خلال الموقع الإلكتروني للمركز وهو:

.WWW.GCRL1.ORG

١٢٠٨. انظر في ذلك: الموقع الإلكتروني لمركز الإعلام والمعلومات - غزة، WWW.MIC-PAL.INFO، في تقرير بعنوان: ((إخراس الصحافة - تقرير خاص عن الاعتداءات الإسرائيلية على الصحفيين)) في الفترة الواقعة بين ١/١٠/٢٠٠٢ م، وحتى ٣١/٣/٢٠٠٣ م.

١. قيام الآلة العسكرية الصهيونية بهدم المؤسسات المدنية على ما فيها من متاع وآلات، أو قصفها من خلال الطائرات على موجوداتها المختلفة (١٢٠٩)، أو إغلاقها ومنعها من العمل (١٢١٠).

تكرر هذا الأمر في كثير من البلدات الفلسطينية، فقد تعددت شواهد في قطاع غزة، واستمر المسلسل في رام الله ونابلس والخليل وجنين وطولكرم وقلقيلة وغيرها (١٢١١)، واستخدم فيه العدوان الجوي والبري، وساهمت به الدبابات المجتررة من الأرض، وطائرات الموت الناسف من الجو (١٢١٢).

٢. حملات الاستهداف لكوادر العمل المؤسسي، وخصوصاً من أبناء التوجهات المعادية للفكر الصهيوني، والوجود الاحتلالي على الأرض المباركة (١٢١٣)، فوثائق

١٢٠٩. يستخدم الجيش الصهيوني القوة الجوية والبرية لتدمير وقصف المنشآت الإسلامية، وانظر في ذلك: موقع المركز الفلسطيني للإعلام على الانترنت في خبر عن قصف صاروخي لمركز ثقافي، موضوع بعنوان: كتلة الصحفي الفلسطيني: قصف الاحتلال للمؤسسات الثقافية دليل على عجزه، منشور بتاريخ ١١/٦/٢٠٠٧ م وكذلك: موقع منظمة "هيومان رايتس ووتش" على الشبكة الإلكترونية: www.hrw.org/arabic/docs، تقرير بعنوان: (("إسرائيل": هجمات لإسكات الإعلام الفلسطيني)) منشور بتاريخ: ٢٠٠٤/٧/٢ م.

١٢١٠. كما حصل الجمعية الخيرية الإسلامية في الخليل، وجمعية الشبان المسلمين، والمركز الثقافي الإسلامي في الخليل، حيث تكررت إجراءات إغلاقها من الاحتلال عدة مرات، واستمرت بعضها لمدة تتجاوز السنتين، وانظر في ذلك: موقع نداء القدس على الانترنت WWW.QUDSWAY.COM، ووكالات الأنباء الفلسطينية والمحلية الصادرة بتاريخ ٢٦/٤/٢٠٠٣ م، والمصدر: نداء القدس / موقع إلكتروني على الشبكة العنكبوتية متخصص بالآخبار الفلسطينية، خبر بعنوان: قوات الاحتلال تغلق ٣ جمعيات للأيتام بالخليل، منشور بتاريخ ٢٦/٤/٢٠٠٣ م. انظر في ذلك: من الفكر الصهيوني المعاصر / ص ١٩٠ - ١٩٢.

١٢١٢. انظر في ذلك: الموقع الإلكتروني: نداء القدس - التابع لحركة الجهاد الإسلامي على الانترنت WWW.QUDSWAY.COM، خبر بعنوان سلطات الاحتلال تدهم مدرسة جمعية الشبان المسلمين بالخليل، حيث أغلقتها بعد مصادرة محتوياتها وتفجير بوابات المدارس والمرافق فيها، خبر منشور بتاريخ ٢٠٠٥/١٢/٨ م.

١٢١٣. وانظر في ذلك على سبيل المثال: صحيفة القدس - صحيفة فلسطينية يومية تصدر من مدينة القدس في فلسطين، عدد الثلاثاء ٠٥ حزيران ٢٠٠٧ - ١٩ جمادى الأولى ١٤٢٨ العدد ١٣٥٧٧، وفيه حديث عن

حقوق الإنسان والمؤسسات الإعلامية الدولية، ووزارة الإعلام الفلسطينية، ومراكز حقوق الإنسان الفلسطينية والدولية المختلفة تغصّ بأسماء الشخصيات التي تم استهدافها من آلة الدمار الصهيونية، فمنهم المغدور الذي اغتاله الحقد، ومنهم المعاق الذي أقعده الرصاص، ومنهم الأسير الذي يقضي سني حياته مغيباً خلف أسوار الظلم والطغيان.

ساهمت السلطة الفلسطينية في مثل هذا الجانب بصورة أو بأخرى، حيث كانت مظاهرة الفلتان الأمني الموجه التي شهدتها الكثير من مدن ومحافظات فلسطين في الضفة وغزة صورة من صور استهداف النشاط الاجتماعي المدني المؤثر على الساحة الفلسطينية، حيث طالت نار الفلتان الموجه المؤسسات والمتنفذين فيها على حد سواء (١٢١٤).

٣. شل القدرة المالية لهذه المؤسسات (١٢١٥)، وذلك بعد أن يفتح الصهاينة عيونهم على هذه المؤسسات الأهلية، ويرصد مواردها المالية، ويرسل تقاريره إلى الدوائر المعنية في الحكومة الصهيونية، والتي تقوم بدورها بعمل اللازم في هذا المجال، حيث يمنع المنظمات المدنية من العمل من خلال الملاحقة المستمرة للمؤسسة والعاملين فيها، وسلب

استهداف المواطنين والقرصنة الصهيونية بحق رواد العمل المؤسساتي الفلسطيني، والتحركات المطالبة بإطلاق سراحهم من السجون ووقف الحملات ضدهم.

١٢١٤. انظر: مجلة فلسطين المسلمة / العدد الثامن - السنة الثالثة والعشرون / ٢٠٠٥ م / ص ٢٨ - ٣١.

١٢١٥. واستكمالاً لهذا الدور، فقد قامت السلطة الفلسطينية بعد قيامها باتخاذ الإجراءات نفسها بحق عدد من المؤسسات الإسلامية الفاعلة، والتي منها على سبيل المثال لا الحصر: ((جمعية الصلاح الإسلامية (٨ فروع)، جمعية الشباب الإسلامية (١١ فرع)، المجمع الإسلامي (فرعان)، جمعية مركز العلم والثقافة، الجمعية الخيرية الاجتماعية " وغيرها، حيث قامت بتجميد أرصدة هذه المؤسسات، ومنعتها من استخدامها، وانظر في ذلك: التقرير الربع سنوي - التقرير ربع السنوي الثاني لعام ٢٠٠٣ م ١ يوليو - ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٣ م / مركز غزة للحقوق والقانون / فلسطين - غزة، ويمكن الاطلاع على التقرير من خلال الموقع الإلكتروني للمركز وهو:

.WWW.GCRL1.ORG

موجوداتها، الأمر الذي يمنع أي مظهر من مظاهر النهضة التي كان المال عنصراً رئيساً فيها (١٢١٦).

الحديث عن شل القدرة المالية لهذه المؤسسات لا يتعلق بتجفيف منابع الدعم فقط، بل بالاستهداف الدائم والمستمر لهذه المؤسسات المدنية، والمصادرة المستمرة التي ترافق حملات الدهم شبه الدورية عليها، وما يرافقها من استيلاء وسرقة لكل محتوياتها من أجهزة الحاسوب وآلات التصوير والطباعة، والمكتبات والمكاتب ونحو ذلك من أمور، الأمر الذي يؤثر سلباً على الموازنات العامة لهذه المؤسسات (١٢١٧) ويعيقها عن أداء دورها.

١٢١٦. انظر في ذلك: القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري " قوانين النهضة " - ضمن سلسلة: مشروع النهضة - سلسلة أدوات القادة / د. حاسم محمد سلطان / مؤسسة أم القرى للتوزيع والنشر - مصر / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٢٢٧ - ٢٣٦.

١٢١٧. كما حصل مع الجمعيات الخيرية والأهلية في كل من رام الله والخليل ونابلس وجنين وغيرها أكثر من مرة، وقد تركز بشكل كبير في محافظة الخليل، حيث تكررت الاقحامات لمؤسسات المجتمع المدني، وتكررت عمليات المصادرة للمحتويات المؤسسية حتى الأساسية منها، في محاولة لضرب هذه المؤسسة، وانظر في ذلك: موقع نداء القدس على الانترنت WWW.QUDSWAY.COM، خير بعنوان: سلطات الاحتلال تدهم مدرسة جمعية الشبان المسلمين بالخليل، خير منشور بتاريخ ٢٠٠٥/١٢/٨ م. وكذلك: وسائل الإعلام الفلسطينية الصادرة بتاريخ ٢٠٠٣/٤/٢٦ م حيث تحدثت عن نفس الموضوع ضمن الحملة الكبيرة لاستهداف المؤسسات المعروفة في ذلك العام.

المطلب الثالث

مجالات الحصار للدوائر المجتمعية

مجالات الحصار للمجتمع المدني الفلسطيني متعددة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ (سياسة تجفيف منابع، وذلك بضرب المصادر الأساسية للدعم الأهلي والمدني المضاد، والذي تشرف عليه الحركات الإسلامية وبعض المستقلين وبعض أصحاب الميول الوطنية الحققة، ويعتمد الاحتلال هنا إلى توجيه سلاح الإعلام الخاص به لمهاجمة الدول أو المؤسسات الداعمة للعمل الأهلي الفلسطيني واتهامها بأقذع الاتهامات، ليخرجها أمام الرأي العام العالمي، الذي يمسك الاحتلال بزمامه.

لا تقتصر الموارد الداخلية على عنصر المال فحسب، بل العنصر الأساس هو المورد البشري، وقد قامت العقليات الصهيونية بتنفيذ عدة خطوات على هذا الصعيد، منها:

١. سحب الترخيص الرسمي لهذه المؤسسات، وإغلاقها ومنعها من ممارسة عملها بشكل آمن.

٢. الاعتداء على شخصيات المجتمع المدني من رؤساء المؤسسات الأهلية، والشخصيات العاملة في المنظمات المدنية بالضرب والتكيل بهم، كما حصل مع الكثير من رواد العمل المؤسساتي الفلسطيني (١٢١٨).

١٢١٨. كما حصل مع ممثلي مؤسسات المجتمع المدني الذين تظاهروا أكثر من مرة ضد نشاطات الاحتلال في الجدار العنصري الفاصل، أو ضد التحركات العسكرية بحق الاطفال والنساء والشيوخ، وقد طالت هذه الاعتداء شخصيات فلسطينية ومناصري الشعب الفلسطيني من العرب ومن الأجنبي على حد سواء.

أثبتت هذه السياسة نجاحها على مدار السنين، وتمثل ذلك بالعديد من المؤسسات الأهلية المغلقة، أو التي باعها أصحابها نتيجة الإفلاس، أو نتيجة عجزها عن أداء رواتب موظفيها الأساسيين.

ب (محاصرة الموارد المالية الداخلية، وذلك بحصار المنظمة الأهلية، واتهامها المباشر بدعم (الإرهاب) أو التعامل مع جهة معادية، مما يورث في نفوس ضعاف الإيمان وضعاف الوطنية نفوراً من دعمها، أو كفالة برامجها وإنتاجاتها، وهذا يؤدي إلى تراجع في حجم العمل وكيفيته وجودته.

ج (الحصار الداخلي، ويتمثل في دعم المنظمات الأهلية والمؤسسات العاملة في هذا المجال؛ لتقف حجر عثرة أمام نجاح مشروع مؤسسة أهلية بعينها، كأن تقيم (مؤسسة ضرار)، و (جمعية ضرار)، و (مركز ضرار) (١٢١٩)، وهما أن تلفت نظر الناس عن المؤسسات المدنية المنصفة أو ذات الطابع البناء، وتوجيهها إلى المؤسسات الأهلية التي توالي فكرة العدو ولو من بعيد.

د (الاعتقال الدائم لكوادر العمل المدني (١٢٢٠)، والزج بهم في غياهب السجون، لتخلوا الساحة من أهل الاختصاص، أو تكون مشاعاً لكل سائر في هذا الدرب.

هـ (استخدام الوسائل التقنية والإعلامية والعملاء لبث الشبهات والشائعات حول مؤسسات المجتمع المدني المستقلة أو ذات الطابع الإسلامي (١٢٢١)، لجعلها لقمة سهلة

^{١٢١٩}. انظر في ذلك مثلاً ما تقوم به الصهيونية من ضرب للمجتمع الفلسطيني في الداخل من خلال دعمها للطائفة البهائية ودعم مؤسساتها ونشاطاتها، وانظر في ذلك: صراعنا مع اليهود في ظل السياسة الشرعية / ص ١٣٦.

^{١٢٢٠}. كما حصل مع المئات من أعضاء الهيئات الإدارية والعاملين في المؤسسات الأهلية الإسلامية على امتداد المحافظات الفلسطينية، حتى طالت حملات الاعتقال رئيس المؤسسة الأهلية وأذنتها والفراشين فيها على حد سواء.

^{١٢٢١}. انظر في صور تلك الشبهات التي تثار عن المنظمات المدنية الإسلامية مثلاً: حماس - المنطلقات والأهداف / علاء النادي / سلسلة كراسات القدس (٤) / مركز الغلام العربي - القاهرة / الطبعة الأولى / ص ٥٨ - ٦٢.

لأي فم، وبالتالي؛ تصبح مفتقدة للمصداقية بين الناس، مما يؤدي إلى تهميش وإضعاف تأثيرها الجماهيري في الجماهير.

هذه الوسائل الشيطانية إنما استخدمت بحق فئات الشعب الحرة، وقواه التزيهة، وأصحاب العقول المعقولة فيه، لإبعادهم عن مراكز التأثير، وعزلهم عن مواطن النفوذ، وبالتالي إفقادهم للحضور الجماعي على ساحة الأحداث، لكي لا يعلو في زمن الحرب مع العدو إلا جاهل لا يفقه ما يطرح، أو ماجور يسدد سهامه إلى حيث أراد له أسياده، أو مؤسسات تُعد بالعشرات بلا قيمة حقيقية فاعلة على الأرض.

المطلب الرابع

الشائعات التي تستهدف المؤسسات الفلسطينية

هذا السلاح المعتمد رسمياً من قبل الاحتلال يتم من خلال توجيه أجهزته الإعلامية والمندسين في المجتمع الفلسطيني، والموالين لحكومة الاحتلال، بيث الشائعات المختلفة عن مؤسسات المجتمع المدني، وهيئاتها وشخصياتها، والكادر المميز اللامع فيها، من خلال تكرار المحاولات دون يأس ولا قنوط، حيث يقوم الصهاينة ببث الإشاعات بين الفينة والأخرى في محاولة دائمة لزعزعة الاستقرار وضرب الأمان بين أفراد المجتمع الفلسطيني، وتشكيك الناس بالعمل المؤسساتي والتنظيمي، رغم كل الضربات التي توجه له على الصعيد العسكري.

مصدر هذه الإشاعات يأتي من خلال توجيهات الدوائر النفسية وخلفيات علم الاجتماع التابع للاستخبارات والمخابرات الإسرائيلية، بحيث يفيد انتشار هذه الشائعات دولة العدوان في الاستفادة من موضوع الإشاعة لمجال ترقيته (١٢٢٢).

يؤكد هذا الأمر ما تنشره الدراسات التخصصية عن الإعلام الصهيوني وتوجيهه، ومنها ما أورده موقع الشبكة الإسلامية نقلاً عن " قدس برس " تحت عنوان: " الإعلام الإسرائيلي والرقابة الأمنية " إذ تقول:

... ورغم أن دولة " إسرائيل " هي الوحيدة في العالم التي تعتبر نفسها دولة ديمقراطية رسمياً، فإنه يوجد فيها جهاز رقابة من قبل الجيش يعمل على مدار الساعة من خلال

^{١٢٢٢}. قد يكون قصدها قياس الرأي العام الفلسطيني في المسألة المطروحة، وقد يكون التشكيك، وقد يكون الاستفزاز، ونحو ذلك.

القانون لمراقبة جميع المنشورات والتصريحات المطبوعة، بل وحتى التصريحات العسكرية... (١٢٢٣).
٠.

هذه الإشاعات من كثرتها تهدف إلى تشكيك الإنسان الفلسطيني في كل مقدس وعظيم (١٢٢٤)، فتسمعهم تارة يتحدثون عن إحصائيات وهمية عن عدد العملاء، ليوصلوا إلى أذهان السامعين أن نصف المجتمع الفلسطيني أو يزيد هم من العملاء للدولة الصهيونية، ليشك الأخ بأخيه، والأب بابنه، والزوجة بزوجها، وهكذا..

تقول الكاتبة رحاب نصار في مقالة لها عن الغزو الفكري المعاصر: ((ومن أساليب العدو أيضاً: إشاعة الشائعات الباطلة بين الأحزاب والجماعات الإسلامية، لتشعل نار الفتنة بينهم، وتجعل كل جماعة منهم تقذف الأخرى بالكفر، أو بالفسق، أو التبعية، لتضل الأمة وتتفرق بعدها كما تفرقت أحزابها)) (١٢٢٥).

بنفس المستوى يمكنك التحدث عن صور ومجالات أخرى تناولها الشائعات الإسرائيلية، منها على سبيل المثال لا الحصر: -

١. نسبة انتشار التعاطي بالمخدرات من المجتمع الفلسطيني.

٢. لقاءات سرية مزعومة بين جهات فلسطينية وجهات أوروبية وأمريكية وإسرائيلية على مستوى الشخصيات أو المؤسسات.

١٢٢٣. موقع: www. islamweb.net ترجمه: ناهض منصور عن " قدس برس " بتاريخ ٢٥/١٠/٢٠٠٥، وتم نشره في الموقع بتاريخ: ٢٦/٤/٢٠٠٦ م.

١٢٢٤. انظر: دراسات في الصحافة والإعلام / ص ٢١٠.

١٢٢٥. مجلة الرسالة / صادرة عن اللجنة الثقافية في مجلس اتحاد الطلبة في جامعة الخليل / العدد الرابع والخامس / ١٩٩٧ - ١٩٩٨ م / مقالة بعنوان: " الغزو الفكري وخطره على الأمة الإسلامية " للكاتبة: رحاب نصار / ص ٣٤ - ٣٥.

٣. معلومات مغلوبة ومضللة عن نسبة الجريمة، والانتحار، والجرائم الاجتماعية (١٢٢٦).

٤. تزوير أحداث تتعلق بأشخاص إسلاميين ووطنيين، ومؤسسات خدمتية، ووصفها بأبشع الصور والأوصاف.

٥. استهداف رموز العمل الأهلي والمدني بالشائعات التي تمس أعراضهم وأنفسهم، أو اتهمهم بالاختلاسات، والتزوير، ونحو ذلك من أمور.

الهدف الواضح لهذه الأكاذيب المنشورة على أسماع الناس: أن ترسم صورة الإحباط على وجه كل غيور، ولتتخطم المعنويات في زمن صراع الأدمغة، وهي - وربي - كما أقول في قصيدة لي:

يلقون في أذن الحليم مقولة كالمسِّ يسري في العروق فيُعيد

يقول الدكتور حمزة عبد اللطيف مؤكداً على حقيقة وخطر الشائعات:

... والهمس والشائعات من أدوات الدعاية لا الإعلام في أغلب الأوقات، إلا إذا تهاجم الناس في الأمور الصحيحة التي لا يستطيعون أن يصرحوا بها في الصحف أو الإذاعة وغير ذلك، وهاتان الأداتان الخطيرتان - وهما الهمس والشائعات - تعملان في الواقع على بلبله الأفكار، والتأثير في الخاصة والعامة من الناس، وخاصة في الأزمات السياسية وأوقات الحرب، وفي الناس ميل إلى تصديق الشائعات دون محاولة منهم للوقوف على الحقيقة، وقد لا يكتفي أحدهم بتصديق الشائعات حتى يضيف إليها من عنده، ويأتي بعده من يضيف إليها شيئاً آخر،

١٢٢٦. إن تعظيم أمر هذه الأمور، وتعميمها على الجمهور المستمع يعطي السامع صورة سوداء عن الشعب الفلسطيني، وأنه شعب تائه، تسوده الجريمة، ويرتع شبابه في وحل السفور والإسقاط والمخدرات، لتنهط العزائم، وتذوي الإرادات الحية.

وهكذا، وهنا يكمن الخطر كل الخطر من الشائعة مهما كانت بسيطة في أول أمرها.. (١٢٢٧) .

يؤيد المفكرون الإسلاميون وعلى رأسهم الشهيد سيد قطب هذا التوجه، فيقول في كتاب قيم له: ((إن أعداء الجماعة المسلمة لم يكونوا يحاربونها في الميدان بالسيف والرمح فحسب، ولم يكونوا يؤلبون الأعداء عليها ليحاربوها بالسيف والرمح فحسب، إنما كانوا يحاربونها أولاً في عقيدتها !! كانوا يحاربونها بالدس والتشكيك، ونثر الشبهات وتدبير المناورات)) (١٢٢٨) فهذا أمر قديم جديد.

بهذا، يتبين أن الصهاينة قد استنفذ جهده في صد الناشطين الفلسطينيين والنخب السياسية والاجتماعية والثقافة عن العمل المدني، لعلمه بمدى خطورة وتأثير هذا الجانب على المستوى الفلسطيني والإقليمي والدولي.

كان هذا الجهد، سواء من خلال الترغيب، أو التهيب، أو الحصار، أو الشائعات، محاولة جادة من الاحتلال لتدمير النظام المدني غير الحكومي في فلسطين، ومنع مظاهر الاعتماد على الذات، وقتل الدافعية عند شرائح المجتمع المختلفة، ومنع انتشار الفكر الديني، وهيئة الأجواء الفلسطينية للقبول بكل ما يريد الاحتلال من سياسات ومطالب، يفرضها تارة بالإملاءات المعهودة، وتارة من خلال اطروحات فلسطينية الواجهة صهيونية المضمون.

لكن الواقع الموجود على الأرض الفلسطيني يشير بوضوح إلى نضوج الشعب الفلسطيني، وقدرته على تجاوز الكثير من العقبات المفروضة في طريقه، والأشواك المنثورة أمامه حتى يلين ويتراخى، وهذا ما يؤكد النمو الحاصل حالياً في طبيعة وتوجهات المجتمع المدني الفلسطيني، والتي تبشر بالخير في المستقبل القريب بعون الله وتوفيقه.

١٢٢٧ . الإعلام والدعاية / د. عبد اللطيف حمزة / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت / الطبعة الثانية (١٩٧٨ م) / ص ٣٨ .

١٢٢٨ . معركتنا مع اليهود / للشهيد سيد قطب / دار الشروق للنشر والتوزيع - بيروت / طبعة عام (١٩٩٥ م) / ص ٢١ .

الفصل الرابع

إحداث التطور في المجتمع المدني الفلسطيني، وفيه المباحث الأربعة الآتية:

١. التأسيس الإداري المنهجي لمجتمع مدني فلسطيني فاعل.

المطلب الأول: إنشاء المراكز الخاصة بالبحوث والدراسات.

المطلب الثاني: توفير المؤسسات البانية للشخصية القيادية.

المطلب الثالث: توفير الإمكانيات اللازمة.

المطلب الرابع: ضرورة تعزيز الدور الرقابي للمؤسسات.

المطلب الخامس: مجالات الالتفاف على المعوقات.

المطلب السادس: المواجهة المؤسساتية مع الاحتلال وأعدائه.

٢. ملامح الإبداع في عمل المجتمع المدني الفلسطيني.

المطلب الأول: الدور الاستراتيجي لمنظمات المجتمع المدني الفلسطيني.

المطلب الثاني: بناء المنظمات وفق المفهوم الاستراتيجي " نظريات بيتر ج. ريد "

المطلب الثالث: ضرورة تكوين جماعات الضغط في الواقع الفلسطيني، وفيه مسألة:

- الافتراق والتقاطع بين الأحزاب السياسية والتيارات الضغط.

المطلب الرابع: اقتناص الفرص الممكنة.

المطلب الخامس: النهوض من خلال المفاوضة الجماعية.

المبحث الأول

التأسيس الإداري المنهجي لمجتمع مدني فلسطيني فاعل

المطلب الأول

إنشاء المراكز الخاصة بالبحوث والدراسات..

تعتبر المراكز الخاصة بالدراسات المجتمعية والأبحاث، ومراكز استطلاع الرأي العام في أي أمة الركيزة الأساسية التي يتم على ضوء توصياتها رسم السياسات العامة والخاصة لإدارة البلاد، فهي المصدر الرسمي للمعلومات، وهي القراءة الصحيحة للواقع بكل تجلياته.

للأسف، فقد تحقق سبق الصهاينة إلى تفعيل واستثمار هذه المؤسسات الحيوية، وانتشرت في دولة كيانه الغاصب العشرات منها داخل وخارج كيانه الغاصب بتخصيصية واضحة، ومدعومة من قبل الدولة (١٢٢٩)، وما كان ذلك ليتم لولا قناعة الصهاينة بما تحققه هذه المؤسسات من مقدمات رسمية ومؤكدة للتخطيط المستقبلي، فإن ضاع ما مضى، فقد آن الأوان لصحوة الحر المخدر.

هذا يعني بالضرورة أن تنهض جماهير المثقفين في المجتمع الفلسطيني بواجب إنشاء المواقع الرسمية لجمع الأخبار وتوثيقها، وتنسيق الأرقام والإحصاءات المختلفة، وهذا يتطلب مجموعة من الإجراءات المحورية:

^{١٢٢٩}. من أمثلة هذه المراكز الكبرى في دولة الاحتلال في خارج الدولة العبرية: (المركز الأكاديمي الإسرائيلي في القاهرة) الذي ترأسه لأول مرة (د. شيمون شامير)، ومن المراكز المقامة داخل الدولة العبرية: (معهد شيلواح للدراسات الشرق أوسطية والإفريقية) الذي يتبع جامعة تل أبيب، ومركز دراسات الشرق الأوسط التابع لجامعة حيفا، وغيرهما.

١. اجتماع الخبراء وأهل الاختصاص من الأمناء من المثقفين الفلسطينيين من أجل وضع التصور العام والشمولي لعمل هذه المراكز، وأماكن تواجدها وتوزيعها، ومجالات عملها، والسياسات البحثية التي سيتم اعتمادها.

٢. تحديد الشخصيات القيادية الواعية لشغل المناصب الإدارية فيها لضمان استمرارية العمل بالمنهجية السليمة، والتحكم بمجريات الأمور والتأكد من سلامة المعلومات والإجراءات المتبعة، لكون ذلك من نظم الإدارة المنهجية السليمة (١٢٣٠)، وجانباً من جوانب النهوض بالعمل انطلاقاً من فهم دور المؤسسة في تحسين أنماط القيادة الإدارية وطبيعتها (١٢٣١).

٣. تحديد الاحتياجات البشرية لهذه المؤسسات، وترتيب الأوراق لاستثمار كل كفاءة تخصصية يمكن لها أن تخدم في هذا المشروع بخبرة ودراية، ليتم بعد ذلك توزيعهم على المحاور الخاصة بالعمل بشكل مدروس، ووفق الاحتياجات لكل مؤسسة.

يقول الدكتور جاسم سلطان ملخصاً ومجماً: ((عادة ما تبدأ عملية التغيير من نقاط أو قضايا ملحة، حيث تكون رؤية جديدة من التشكل الاجتماعي، أو يبرز تيار يرغب في المغالبة، أو فئة محرومة، أو دين جديد، أو قضية جديدة، كنقطة تبدأ منها عملية الحراك)) (١٢٣٢).

١٢٣٠. انظر في ذلك: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٢٠٠٧/٩٦) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، ص ١٣٨ - ١٣٩.

١٢٣١. انظر: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٢٠٠٧/٩٦) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي، ص ١٠٧ - ١١٣.

١٢٣٢. القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري " قوانين النهضة " - ضمن سلسلة: مشروع النهضة - سلسلة أدوات القادة / د. جاسم محمد سلطان / مؤسسة أم القرى للتوزيع والنشر - مصر / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٨٠.

٤. توفير مصادر الدعم المالي لهذه المؤسسات، وذلك لتغطية نشاطاتها المختلفة، ودعم مشاريعها الخاصة بالبحث واستقراء آراء الناس في المجتمع ولترتيب القضايا الإدارية التي لا يستغني عنها عمل حقيقي.

يتبع ذلك لا محالة، أن تقوم هذه النخب المثقفة والأمينة على عقول البشر وأرواحهم بإنشاء ما يعرف بـ (بنك المعلومات) ومجمعات الأرشيفات الخاصة بالمعلومات الموثقة من مصادرها المعتمدة، بحيث يسهل الرجوع إلى أي معلومة من خلال الأرشفة الصحيحة، والترتيب المدروس، والمنهجية الواضحة في العمل.

هذا الجهد الخاص بمراكز الإحصاء والدراسات المسحية والاجتماعية وبنوك المعلومات يعتبر نقطة تحول فارقة في مسار التفكير المؤسساتي الإسلامي، ومقارعة للعالم المتحضر بإمكانات تكافئه أو تكاد، لأن كل عمل يقوم على العشوائية لا حياة له، وإذا عاش؛ فستكون حياته هزيلة مقيتة.

نبّه العلماء إلى ضرورة اعتماد منهجية مراكز الأبحاث لتخطيط العمل والنهوض به، حيث عدوا ذلك من الواجبات التي على الأمة أن تهتم بها (١٢٣٣).

١٢٣٣. إحياء الفروض الكفائية / ص ٢٦.

المطلب الثاني:

توفير المؤسسات البانية للشخصيات القيادية

يتوجب على النخبة المثقفة في المجتمع أن تبادر إلى إنشاء المراكز التخصصية التي تصدر الكفاءات والطاقات في مجالات العمل المؤسساتي المختلفة، وهذا ما أكد عليه أهل الاختصاص في أكثر من موقع حيث نادوا ب ((ضرورة الإعداد للكوادر البشرية بصفة مستمرة)) (١٢٣٤) ولا شك أن العالم الإسلامي يمتلك من الخبرات والقدرات ما يكفي لذلك، إذا أحسن الاختيار، ووضعت الشروط والوسائل الموضوعية لذلك.

يمكن العمل في هذا الصعيد على محاور عدة:

أ) أن يتم إنشاء مجمع تدريبي تخصصي يشرف عليه أهل الخبرة والكفاءة، تكون مهمته الأولى والرئيسة هي بناء الكادر الأهلي التخصصي في شتى المجالات.

لا يشترط أن يأخذ هذا المجمع اسماً واضحاً، بل يمكن أن يتم العمل فيه من خلال اسم وهمي، أو أسم لا يدل على حقيقة عمله لئلا يتعرض للإغلاق من قبل العدو، كمرکز ثقافي، أو مؤسسة خدماتية، أو جمعية تعاونية، أو ما شابه ذلك من مسميات فضفاضة بعيدة المدلول (١٢٣٥).

ب) الاستفادة من المراكز الثقافية والتخصصية القائمة، والتنسيق المباشر معها من أجل اعتماد سياسات تخصصية في مجال النشاط الاجتماعي وفنونه، كأن تقوم بتدريب

^{١٢٣٤} . موقع: WWW.ISLAMWEB.NET، كتاب للدكتور محمد سيد محمد، بعنوان: ((الإعلام

الإسلامي والتحدي الحضاري المعاصر)) .

^{١٢٣٥} . لكون العيون لا تفتح على مثل هذ المنظمات العامة إذا أحسن اختيار شخوصها وضمان تربيات العمل فيها

بحيث لا تكون ملفتة للنظر.

الشخصيات المنتقاة على إدارة الموارد البشرية (١٢٣٦)، وفنون الاتصال، وعلوم الإدارة، واقتصاد السوق، وإنشاء البنية التحتية للمؤسسة: مثل الإدارة العامة، والتخطيط، والموارد المالية، والحسابات، والشؤون الحكومية، وإدارة الجودة (١٢٣٧)، ونحوها من أدوات النجاح المطلوبة في العمل الأهلي.

ج (التنسيق المباشر مع الوزارات المعنية - لا سيما بعد قيام ما يسمى بسلطة أو سلو - أو الجامعات التي تدرس مساقات تتعلق بالإدارة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والعلوم السياسية. بمختلف صنوفها وأشكالها، من أجل دمج المعنيين في مساقات التخصص العلمي، حتى يكون العلم دقيقاً، والتخصص سليماً، الكفاءة صادرة من مصادرها.

لا يشترط أن يتم هذا الأمر إذا وجدت العراقيل، بل يمكن الاستعاضة عنه بالقيام بمشاريع تأهيل المعنيين من خلال مساقات خاصة خارجية، وورشات عمل تخصصية، ودورات منهجية يعطيها أهل التخصص من الجامعات والمختصين في مواقع مختارة (١٢٣٨)، بحيث يتم الحصول على المراد من التأهيل بصورة غير رسمية، أو باسم مركز ما، أو جهة مجتمعية ما.

يختم الباحث هنا بما يبلور الصورة عن ضرورة إيجاد المحاضن التي تنشئ الفرد تنشئة سليمة، حيث يقول سيد قطب - رحمه الله -: ((إن هذه الأمة لن تصل إلى شيء ذي قيمة إلا أن تربي أرواحها وعقولها وجسومها تربية سليمة، إلا أن يُربي كل فرد منها في محضن هادئ

^{١٢٣٦} انظر في ذلك: قيادة السوق / د. طارق السويدان / ضمن سلسلة الاتجاهات الحديثة في الإدارة (٣) / قرطبة

للإنتاج الفني، وشركة الإبداع الخليجي / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م) / ص ٣٥.

^{١٢٣٧} قيادة السوق / د. طارق السويدان / ضمن سلسلة الاتجاهات الحديثة في الإدارة (٣) / قرطبة للإنتاج

الفني، وشركة الإبداع الخليجي / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م) / ص ٣٥.

^{١٢٣٨} . كما يحصل في تركيا مثلاً، حيث قمت بزيارة إلى العديد من هذه المؤسسات التي تقوم عليها منظمات المجتمع المدني التركي، وتؤدي عملاً جباراً وحيوياً في صياغة الشخصية وبناء الذات، بل بشكل يفوق الواقع الحاصل في النطاق الجامعي، لتوفر الرغبة في القادمين إلى المنظمات غير الحكومية، بعيداً عن ثقل الواجب الدراسي الذي يعيشه معظم الطلبة الجامعيين.

ثابت ذي أهداف مرسومة، إلا أن يصبح كل فرد فيها وحدة سليمة قوية ذات عقيدة، وذات طريقة، وذات ضمير)) (١٢٣٩).

١٢٣٩ . معركتنا مع اليهود / للشهيد سيد قطب / دار الشروق للنشر والتوزيع - بيروت / طبعة عام (١٩٩٥ م) /

ص ٥١ ، موضوع بعنوان: أين الطريق ؟.

المطلب الثالث:

توفير الإمكانيات اللازمة

بما أن الاقتصاد هو عصب المجتمع، والنظام المالي الرتيب هو أساس القيام بهذه المهمة المتعلقة بوجوده، ودعائم النهضة الحقيقية لا بد أن تمر بمراحل وأطوار من أهم مقوماتها وجود القدرة المادية^(١٢٤٠) فمن الضرورة القصوى أن تسعى أجيال الصحوة الإسلامية إلى امتلاك هذا السلاح الفعال الذي تتم محاربتنا من خلاله، وضرب شعبنا به، ليتحقق الفعل المنهجي المعاكس.

فلا بد إذا من البحث عن وسائل التأثير الاقتصادي، وتقديم الحصول عليها على كثير من الأمور الثانوية الأخرى.

لذا؛ لا بد من الجهد الذاتي، واستثمار العلاقة بالآخرين، لأجل توفير مؤسسات المجتمع المدني الفاعلة والبنانية، وتزويدها بالإمكانيات اللازمة لتطوير العمل باستمرار، إذ إن فتح الخيارات يعني وجود أكثر من وسيلة لتنفيذ الأمر، ويبقى الاختيار بحسب العقلية الإدارية التي تتقن فن إدارة الصراع وتوجيهه، لو كانت هذه الجهود الذاتية الموضوعية قليلة الأثر والمردود في بدايتها، لكونها تسهم في المحصلة اختامية في نتاج حقيقي يثري الواقع الفلسطيني ويرفده بما يريد.

حسبك قول الشاعر قديماً:

لا تحقرن صغيراً في محاصمة

إن البعوضة تدمي مقلة الأسد

وفي الشرارة ضعف وهي مؤلمة

ولربما أوقدت ناراً على بلد

^{١٢٤٠}. انظر في هذه المراحل: القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري " قوانين النهضة " - ضمن سلسلة: مشروع النهضة - سلسلة أدوات القادة / د. جاسم محمد سلطان / مؤسسة أم القرى للتوزيع والنشر - مصر / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٢٢٧ - ٢٣٦.

إن الصحوة الإسلامية المعاصرة - فضلاً عن غيرها من التيارات والأفكار - قادرة
تمام القدرة على امتلاك هذا السلاح الفتاك، بشكل مباشر: أي باسمها وهويتها المعروفة بين
الناس، أو بالطرق الملتوية، عن طريق المؤسسات أو الأفراد المناصرين، وغير معروف في الولا، أو
التجار من الأقارب والأهل والعشيرة، ولكن؛ من يقرع الجرس؟ من يقول هاأنذا؟ من يحمل
مشروع النهضة على عاتقه في كل موقع ليكون قدوة تحتذى من قبل غيره؟؟

هذا الدور لا يقوم بعينه إلا الربانيون الرساليون، المحمديون العاملون (١٢٤١)، من
أصحاب القلوب التي يلذعها حب الدين، ويدفعها الشوق لخدمته لتتعلم من كل شيء، فأفاقهم
رحبة، وعقولهم ناضجة، وتجربتهم عريقة، فهم يصلون الليل بالنهار لينسفوا أسوار الواقع،
وليكسروا أغلال الجهل، لا يرجون مالا ولا جاهاً، وإنما همهم رضى ومثوبة ربهم الأكرم.

فكما هو معلوم، لا بد لكل نشاط من دعم مادي، ولا بد لكل آلة إنتاجية من
ثمن، ولا بد لكل مشروع من اقتصاد رديف يوجده ويدعمه، وهذا يتطلب وجود بؤر حقيقية
من الداخل والخارج لميلاد مشروعات النمو الاقتصادي المؤسسي من الداخل بالدرجة الأولى،
لكونه يتعلق ببعدين أساسيين، بعد التنمية الذاتية وتحقيق الدعم المنشود، وبعد تشغيل الأيدي
العاملة الفلسطينية وتخفيف نسبة الفقر والبطالة، وتأمين حاجات المنظمات والعاملين فيها من
مواصلات ونحوه (١٢٤٢)، إضافة إلى توفير فرص عمل لذوي الدخل المحدود (١٢٤٣).

انطلاقاً من فهم دور المنشآت في المجتمع (١٢٤٤)، وأهمية المنشآت اقتصادياً
للمجتمع والجهات المالكة لها (١٢٤٥)، فإن المطلوب هو أن يقوم الجهد غير الحكومي في

١٢٤١. انظر: زاد المهاجر إلى ربه / ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) / تعليق: أشرف عبد المقصود / مكتبة الإمام
البخاري - مصر / الطبعة الثانية (١٤١١ هـ) / ص ٦٩.

١٢٤٢. انظر: نشرة بعنوان: الدور الاجتماعي للنقابات / حاج علي إبراهيم / مؤتمر الحوار النقابي - مكتبة اتحاد عام
عمال السودان - الخرطوم / ص ٥.

١٢٤٣. انظر في ذلك: نشرة بعنوان: الدور الاجتماعي للنقابات / ص ٥.

١٢٤٤. انظر: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / ص ٩٧ - ١٠٧.

فلسطين على استحداث منظومة متكاملة من المشروعات الإنتاجية والاقتصادية والمدرة للدخل ((لغرض الابتكار وتحسين الانتاجية)) (١٢٤٦).

يطلب من العاملين في النقابات والهيئات الفلسطينية الأصيلة والمؤثرة أن يقوموا بدور حقيقي وفاعل في مجال تفعيل الحقل التعاوني الفلسطيني، على مستوى الأفراد والمؤسسات والنقابات على حد سواء، حيث يتم التركيز على التعاون كمبدأ لتنظيم اجتماعي واقتصادي؛ يمكن أن يلحق المجتمع من خلاله بالركب الحضاري (١٢٤٧)، إضافة إلى تدعيم وتطوير مشاريع التعاون الاستهلاكي (١٢٤٨).

يتم ذلك من خلال مد جسور التلاقي مع المجتمع المحلي، وتفعيل الكفاءات الموجودة فيه، وإحداث نقلة نوعية في العلاقة بين المؤسسة والمجتمع الحاضر، ليؤدي ذلك إلى: ... تعزيز قدرات المؤسسات على أداء النشاطات من خلال دور فعال للمجتمع المدني بالدعم... (١٢٤٩)

الأمر الذي يتعلق بالدرجة الأولى بمدى النمو والتطوير الإداري (١٢٥٠) الذي يتم إحداثه في تلك الهيئات والمؤسسات مع ضمان الجمع المتزن بين الموارد البشرية والمالية، بما يحقق معنى الإصلاح الحقيقي المؤثر (١٢٥١).

^{١٢٤٥}. انظر في ذلك: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / ص ٩٧ - ٩٨.

^{١٢٤٦}. انظر: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / صفحة V في المقدمة.

^{١٢٤٧}. انظر: نشرة بعنوان: الدور الاجتماعي للنقابات / ص ٤.

^{١٢٤٨}. انظر: نشرة بعنوان: الدور الاجتماعي للنقابات / ص ٤.

¹²⁴⁹. Look: (ICAE) EVALUATION DISCUSSION PAPER – AUGUST 1994/ UNIVERSALIA – CANADA- PAGE (10).

^{١٢٥٠}. انظر: الموقع الإلكتروني: www.vcn.bc.cal موضوع بعنوان: developing civic

culture، للكاتب: Ralph nader.

^{١٢٥١}. رسالتي إلى الشباب / أ. محمد مهدي عاكف - المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين / دار التوزيع والنشر

الإسلامية - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ١٥.

ينوّه الباحث هنا إلى ضرورة ترسيم سياسات التعامل مع المجتمع المحلي، ورؤوس الأموال فيه، لأن من أهم مميزات المؤسسة الاقتصادية الناجحة اكتساب مودة التعامل معه (١٢٥٢).

ولا يتم تحقيق النجاح في توفير وتأمين هذا النوع من المشروعات الاقتصادية الداعمة إلا من خلال وضع الخطط الاستراتيجية لها، تلك الخطط التي تحقق القفز فوق العوائق المتوقعة أمام وجودها، وتأخذ بعين الاعتبار لواقع السوق، ومستويات التششت في العمل الاقتصادي العام في الساحة الفلسطينية، ومدى نجاح هذا المشروع وإمكانيات تطويره المستقبلي.

يقول الدكتور طارق السويدان في ذلك: ((إن فن البناء الاستراتيجي يبين للمنظمة القدرات التي يجب تأسيسها الآن للاستعداد للمستقبل، وكذلك المجموعات الجديدة من الزبائن المطلوب التأثير عليها الآن للاستعداد للمستقبل، والوسائل التي يجب دراستها واكتشافها، والأولويات الجديدة للتطوير الذي يجب السعي والكفاح من أجلها الآن استعداداً للمستقبل)) (١٢٥٣).

١٢٥٢ . قيادة السوق / د. طارق السويدان / ضمن سلسلة الاتجاهات الحديثة في الإدارة (٣) / قرطبة للإنتاج الفني، وشركة الإبداع الخليجي / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م) / ص ٤٩ .

١٢٥٣ . قيادة السوق / د. طارق السويدان / ضمن سلسلة الاتجاهات الحديثة في الإدارة (٣) / قرطبة للإنتاج الفني، وشركة الإبداع الخليجي / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م) / ص ٤٥ .

المطلب الرابع

ضرورة تعزيز الدور الرقابي للمؤسسات

من المعلوم أن للمؤسسات في المجتمع المدني صلة وثيقة بالواقع العام الفلسطيني، ويتشمل ذلك جلياً من خلال دورها في العمل، وخدماتها العامة، ودورها الذي يجب أن تلعبه على صعيد الإشراف والمتابعة للعملية الدستورية العامة، وما يصدر في فلسطين من تشريعات وقوانين تتعلق بالمواطن والمؤسسة والوطن.

هذا الدور هو دعامة استقامة الحياة السياسية، فالمؤسسات ككيان سياسي له ثقله على الساحة الفلسطينية تمثل رقماً حقيقياً في المعادلة، ولها أثر كبير في تشكيل الرأي العام في المجتمع؛ من خلال مركزها ودورها وحجم تأثيرها.

وقد شهدت فلسطين في السنوات القليلة الماضية صحوة في هذا الاتجاه، لا سيما بعد أن تشكلت حكومة الوحدة الوطنية في العام ٢٠٠٧ م، حيث بدأت ترسم ملامح العمل الحكومي والمؤسسي العام (١٢٥٤)، وهذا الأمر حدا بالتجمعات المؤسساتية، والمراكز المهتمة بالعمل المؤسسي أن تقوم بعقد سلسلة من النشاطات الهادفة إلى تعريف الهيئات الإدارية في المؤسسات العامة والخاصة بدورهم في الرقابة العامة على الأداء البرلماني، وأثر نظرتهم المتوازنة والشمولية على القرار السياسي الفلسطيني (١٢٥٥).

^{١٢٥٤}. نظراً لميلاد نظام سياسي تعددي لأول مرة على الساحة الفلسطينية من خلال التلاقي على القواسم المشتركة للجميع، وهذا له مدلولاته على الواقع النقابي والمؤسسي بدون شك.

^{١٢٥٥}. انظر في ذلك مثلاً: موقع وكالة معاً الإخبارية على الانترنت WWW.MAANNEWS.NET، وموقع وكالة الأنباء الفلسطينية على الانترنت: WWW.WAFA.PS موضوعان منشوران بتاريخ ٦-٦-٢٠٠٧ م بعنوان: اختتام دورة تدريبية في الخليل حول "دور مؤسسات المجتمع المدني في العملية التشريعية"، وتأتي هذه التدريبات كجزء من التدريبات التي تقوم بها مؤسسة الملتقى المدني على مستوى الضفة الغربية والتي تهدف الى تطوير قدرات المؤسسات الأهلية في الرقابة وتفعيل دورها على المستوى المحلي وتطوير العمل الجماعي ما بين مؤسسات العمل الأهلي، ناهيك عن غيرها من المراكز والتجمعات ذات العلاقة.

تبدأ الرقابة العامة من خلال وضوح الدور الرقابي على المنظمة ذاتها، فالمنظمة الأهلية، والنقابة المهنية ونحوها؛ هي تجمع بشري لا بد له من لوائح تنظم عمله ونشاطاته وتوجهاته في المجتمع^(١٢٥٦)، ولا بد له من نظام عمل وهيكلية تنظيمية تشمل المجموع، بدءاً من الرئيس أو المدير العام، وانتهاءً بأصغر موظف في هذا التجمع أو ذاك، وذلك لتتماشى مع الأسس العلمية والمنهجية الذي يجب توافرها في التخطيط العام^(١٢٥٧).

ولكون المنظمة لبنة أساسية في المجتمع، فإن الدور الرقابي عليها يفيد بتأسيس حالة من الانضباط في صفوف المجتمع المختلفة، وتياراته ومؤسساته تبعاً لذلك، ويعزز من قيمة الوعي والثقافة الداعمة للعمل المؤسساتي^(١٢٥٨) من خلال نماذج حية تتحرك في أوساط المجتمع المختلفة.

من الضرورة بمكان، أن يكون الجهد الحقيقي للمنظمات الأهلية والنقابات المختلفة مطروحاً على الرأي العام، فهذا أدعى للقبول، واقرب لتحقيق الرقابة الحقيقية على أداء المنظمة، فعرض النشاطات العامة للهيئات والمؤسسات والنقابات أمر حيوي وضروري، ويؤدي نشرها على العامة إلى زيادة الثقة بينها وبين المجتمع، وتوسيع أواصر التلاقي والتفاعل مع المجتمعات المحلية^(١٢٥٩).

^{١٢٥٦}. انظر: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / ص ٦٧ - ٦٩.

^{١٢٥٧}. ديناميكية التعاون كأداة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية / محمد أحمد داؤد / مطبعة دينا الحديثة - الخرطوم / طبعة عام (٢٠٠٢ م) / ص ١٣١ - ١٣٣.

^{١٢٥٨}. انظر: تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / الملخص التنفيذي، ص ٤٢.

^{١٢٥٩}. انظر في ذلك: كتاب: الجهد الإداري لدورة (٢٠٠١ - ٢٠٠٦ م) / الاتحاد العام لنقابات عمال السودان - الأمانة العامة / المؤتمر الرابع عشر، في الفترة من ١٨ - ٢٠ / ٤ / ٢٠٠٦ م / طبعة عام (٢٠٠٦ م) / وهذا الكتاب تم نشره وتعميمه، وكان يثبت النشاط بأوجهه المختلفة ومجالاته الحيوية في العطاء.

نظراً لتمتع المنظمات غير الحكومية بصفة اعتبارية في الواقع الفلسطيني، فمن الواجب أن يتعد المخططون للعمل المؤسسي عن المثالية السياسية في جمهورية أفلاطون (١٢٦٠)، وأن يتعودوا على المشروعات القائمة على التخطيط الاستراتيجي الفاعل (١٢٦١)، لكون التخطيط بهذه الآلية ((فرصة عظيمة لكل من يستغلها)) (١٢٦٢).

هذا يقتضي أن يكون التخطيط الاستراتيجي لميلاد أي مؤسسة مشتملاً على الضوابط الرقابية على عملها، وأن يوضح آليات ووسائل هذه المراقبة، ومن يقوم بها، حتى تتوضح المطلوبات، ويقف كل شخص في المؤسسة أمام مسؤولياته، ويقوم كل بدوره المنوط به، إن لم يكن خوفاً من الله، فخوفاً من النظام الرقابي الذي يجب اعتماده بحيادية، وشفافية ودون تحيز، لكونه يمثل حقيقة العمل المؤسسي الناضج، والمعول عليها في تصويب مسارات المنظمات الطوعية نحو بوصلة الأداء الحقيقي لها.

الأداء الرقابي على عمل المؤسسة ليس مطلوباً لذاته، بل لكونه عصب التقويم العام في كل منظمة، فبد التقويم يأتي التقويم، ومجهودات الرقابة من الأمانة الموثوق بقدراتهم وكفاءتهم في إجراء التقويم لأداء المؤسسات وطاقمها العامل ومدى تحقيق الاهداف ونحو ذلك، يقدم تقريره إلى الجهات الأمانة المنتفذة، وذات الحق والقدرة في الرقابة والتأثير على مسار المنظمة.

هذه الجهات المنتفذة تقوم في ضوء ما وصل إليها من تقارير رقابية موثقة ومدعمة؛ باتخاذ الإجراءات المستحقة بكل موظف عامل، وتوجيه الأداء، وتصويب الخطأ، وعقاب المقصر، وإثابة المحسن، وتعديل المسار بعد كل مرحلة، مما يحقق النماء الخاص بهذه المنظمة، ويحقق الفائدة المرجوة من وجودها في المجتمع تبعاً لذلك.

^{١٢٦٠}. مدخل إلى النظرية السياسية في القرآن الكريم / بروفييسور زكريا بشير إمام / دار هزابر للنشر والتوزيع -

الخرطوم / الطبعة الأولى (١٩٩٩ م) / ص ٣٣.

^{١٢٦١}. إحياء الفروض الكفائية / ص ١٣٥.

^{١٢٦٢}. قيادة السوق / د. طارق السويدان / ضمن سلسلة الاتجاهات الحديثة في الإدارة (٣) / قرطبة للإنتاج

الفني، وشركة الإبداع الخليجي / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م) / ص ٤٥.

بعد استكمال عمليات الرقابة الداخلية، يمكن للمنظمة العاملة بالنظام ووفق اللوائح القانونية الداخلية، أن تقوم بدور الرقابة الفاعل على الدولة، ويمكن لها أن تنادي بضرورة حصول الرقابة العامة على العمل المؤسسي، وذلك بعد نضوج التصور في نواته الأولى، والتي هي المنظمة الأهلية كوحدة قياسية.

المطلب الخامس:

مجالات الالتفاف على المعينات

اختار الباحث الكتابة في هذا البحث العلمي أصالة لأهميته، وحتى لا يتخذ أحد واقع الأمة وامتلاك العدو لمقدراتها، واحتلاله لأرضها ذريعة تدفعه إلى الركون والتراخي، أو أن يصبح أصماً أبكماً من شدة الضغوطات التي يفرضها الواقع الذي يعيشه.

فالأمة مذ ولدت لم تعرف الهدوء والاستقرار من مكر عدوها المترصد لها، وليقرأ من شاء عن ميلاد الدعوة الإسلامية في عهد حبيينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وفي عهد خلفائه من بعده، وليسمع من فم الزمان والتاريخ مجريات الأمور في عهد الدولة الأموية والعباسية والعثمانية، فالإسلام منذ أنار هذه الأرض اجتمعت عليه خفافيش الظلام تريد حجب نوره، وكتم أشعته، ليضعف ويذبل ويخبو تحت وطأة الضربات والدسائس.

لكن المتابع للتاريخ والمستبصر بمراحلته المختلفة لم ولن يجد مرحلة بقي فيها الإسلام عاجزاً مكبلاً خانعاً لظلم ظلّامه، ولا لعردة طغمة الطغيان؛ وإن تكالبت عليه من المشرق والمغرب، فالإسلام دين حركة، وشريعة عمل، وقرآن متلو للتفاني في نصرته آياته، وهو رسالة دعوة، ودستور صالح للعالمين، وهو الموجه والمحرض على كل فضيلة، والمحارب لكل رذيلة، ومن آمن به فإنه لن يعرف الفتور طويلاً، ولن يصيبه الوهن فيقعه، وليقرأ التاريخ في هذا الشأن من شاء.

فإن الله سبحانه وتعالى قد دعا الأمة إلى المبادرة، وإلى السبق في مجال الفضيلة ونشر معالم الخير، وخدمة الناس، والتنفيس عنهم في الأحزان، والمشاركة معهم في المسرات، حيث قال عز وجل: ((فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ)) (١٢٦٣)، وقال أيضاً: ((سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)) (١٢٦٤) فالمطلوب في باب الخيرات والفضائل المسارعة والسبق.

حديث الحبيب محمد - صلى الله عليه وسلم - ينادي للاغتراف من الخيرات، حيث يقول عليه السلام: " بادروا بالأعمال الصالحة، فستكون فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا " (١٢٦٥)، وفي هذا الحديث - كما في كثير من الأحاديث الأخرى - نداء لكل مسلم أن يشمر عن سواعد الجد؛ ليتحدى الواقع المعبأ بالفتن، لكون هذه الفتن لا تواجهه إلا بالبناء الإيماني المتمثل بعمل الخيرات والاستكثار منها.

الدراسات النفسية تُقسّم لك الناس إلى صنفين، متفائل يعتمد على اليقين والحق، ومتشائم لا يثق بنفسه ناهيك عن غيره، يقول علماء النفس في هذا الصدد: ((ولذلك؛ تجد من الناس من ينظر إلى مستقبله نظرة الثقة والاطمئنان، فهو المتفائل المستبشر الذي يعيش في نور الأمل، أو يرقب الشمس من وراء الغمام، ومنهم من تعكس الحياة على نفسيته ظلاً قائماً، فلا يثق فيها بأحد، ولا يرى شيئاً غير الشر)) (١٢٦٦) .

بعد ذلك، فأنا أشارك من يقول إن واقع العرب أليم، والواقع الفلسطيني تحديداً بائس تحيط به المتعارضات والعقبات، وأتفهم أن العدو لما قد ملك من الخبرة ما يجعله يفهم طبيعة تفكير الإنسان العربي - والفلسطيني تحديداً -، فإنه لن يسمح للفلسطينيين المخلصين

١٢٦٣ . سورة البقرة: الآية: [١٤٨] .

١٢٦٤ . سورة آل عمران / الآية: [١٣٣] .

١٢٦٥ . رواه مسلم .

١٢٦٦ . مشكلات الإنسان في التحليل النفسي / ص ١٠٨ .

بجال أن يمتلكوا سلاحاً فتاكاً كالقوة المؤسساتية، أو إحدى وسائل العمل في المجتمع المدني المؤثرة على أقرب صورة، بل سيحارب ذلك كله، وسيمنع وصول هؤلاء إلى النفوذ المؤسساتي والتواصل الجماهيري من خلال المنظمات الأهلية بعصى موسى أو بعصى فرعون (١٢٦٧)، وستجيش الجيوش والمنتفعين والموالين له لمحاربتهم.

أنفهم هذا كله، وأوقن بأن عدواً سفاحاً مجرماً يريد إغواء أمتنا وتحطيم معنوياتنا وتشويه عقيدتها وثقافتها لا ولن يسمح للدعاة الصادقين بأن يكونوا على منابر الاتصال بالجمهور، فهذا يعني تأثيراً مباشراً على صياغة الرأي العام في فلسطين، فهو يعمل جاهداً لقتل القيادات الفاعلة في الشعب الفلسطيني، وتصفيته جسدياً ومعنوياً (١٢٦٨)، ويعتقل الآلاف من الكفاءات الفكرية والقيادية خلف أسلاك الموت القاهر (١٢٦٩)، ويحاصر العمل، ويجفف منابع المؤسسات، ويتوعد التجار ورؤوس الأموال بكساد تجارتهم، وهكذا..

مع ذلك فإن المسلم الصادق الواعي مطالب بأن يسعى لتوفير مقومات العمل المدني بكل ألوانها وصورها ومسمياتها، فهذا واجب شرعي لنشر الدعوة، والأخذ بيد الناس إلى شاطئ الأمان والسعادة، وليس أمام المسلم ملاذ ولا مبرر إن تراخى وقصّر (١٢٧٠).

ولأن القيادة هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن تصريف الأمور، وإيجاد الروابط المختلفة والمتعددة، ولأنها الجهة صاحبة الاختصاص في بدء العمل ومتابعته وتقييمه وتقويمه، فإن

١٢٦٧. مثل يقال ويعني أن من لم يأتي بالحجة والبرهان فسيكون التعامل معه بالقوة والقهر أجدى، وأصل المثل: ((اللبي ما يبجي بعصى موسى، يبجي بعصى فرعون)).

١٢٦٨. انظر في ذلك مثلاً: الشيخ أحمد ياسين مجدداً / سامي الصلاحات / ضمن سلسلة " فلسطين مواقف وآراء " (٣) / مركز الإعلام العربي - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٦٥ - ٦٨ .. وكذلك: الشيخ الشهيد أحمد ياسين وفقه الجهاد لتحرير فلسطين / د. محمد عمارة / ضمن سلسلة " كراسات القدس (٥) " / مركز الإعلام العربي - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ٣٥ - ٤٠.

١٢٦٩. ففي عام ٢٠٠٧ م، وصل عدد المعتقلين في سجون الاحتلال إلى قرابة (١٢) ألف أسير فلسطيني.

١٢٧٠. لما تقدم ذكره في مبحث التأصيل الشرعي للعمل المدني في هذا البحث.

الحديث المتسلسل هنا منصب بالدرجة الأولى عليها، فهي التي ترعى، وهي التي تقرر، وهي التي تتخذ القرار القابل للتنفيذ.

يكفي ما قدمه فقهاء الأمة وعلمائها في تحديد وصف القيادة، وسماتها ومتطلباتها، فليس كل كبير قائد، وليس كل قائد مخلص، وليس كل قائد مخلص صاحب رؤية وبصيرة بالضرورة (١٢٧١).

هذا العمل الذي تنشده الأجيال من رجالات الصحوة الإسلامية الراشدة، ومن قياداتها التي تثق الجماهير بصلاحتها وصدقها، وانتمائها الحقيقي الأصيل، يتمثل بالأسس التالية:

١. تبني المشروع بكل جوانبه، وجعله على رأس سلم الأولويات، ووضع أجهزة دعوية متكاملة، تؤسس وتدعم وتخطط وتختار، وتضع لكل خطوة خطط العمل والعودة وما يكفل سيرها بعيداً عن عيون ودسائس المحتلين والغادرين.

٢. اصطفاء العناصر الإبداعية من ناشئي المشروع الدعوي وتطويرهم عبر سلسلة من المحاضرات والدورات وورشات العمل التدريبية والتطويرية، أو عبر إرسالهم إلى الجامعات لدراسة التخصصات الإدارية والمعلوماتية والفنية التي تستثمر في القيادة والعمل المؤسسي المنهجي، وتكفل النفقات اللازمة لكل ذلك.

٣. استقطاب الكفاءات الأهلية والمجتمعية والإدارية الموجودة والعاملة على الساحة الفلسطينية، عبر مشروع تشارك فيه الدعوة بكل أجنحتها العاملة، بما يكفل نجاح المشروع من شدة إحكام كل خطة استقطاب فردي.

٤. احتواء الكفاءات العليا في مجالات الدراسات العلمية، والاجتماعية، والصحافة والإعلام، ووجوه العشائر ونحو ذلك، كالحاصلين على الشهادات الجامعية التخصصية العليا من الدكتوراة والماجستير والفنيين الأخصائيين، لأن احتواء مثل هذه الكوادر التخصصية؛ يجعل من

١٢٧١. انظر في ذلك مثلاً: فصول إسلامية / ص ١١٨ - ١٢٢.

السهل اللعب في انتقاء الخيارات، فإذا أغلقت سبيل ما، كان أمام المرء خيارات أخرى للتدريب والتأهيل وبناء الذات من جديد.

٥. الاستفادة من القوانين السائدة، ودراستها بدقة، لاستثمار هذه القوانين أو الثغرات الموجودة فيها لدخول العمل المؤسساتي، فإنه طالما كان لك غطاء قانوني، كان ضرب المؤسسة الأهلية صعباً وغير مبرر، وكلما كان عطاؤك وغطاؤك مدروساً كان إمساك الزلات عليك معقداً.

٦. إرسال المتدربين من أبناء الصحوة الإسلامية إلى المؤسسات الأهلية والمجتمعية لمعرفة ما يجري فيها، ومدخلها في العمل ومخارجها فيه، وكيفية التعامل مع أنظمتها الإدارية ولوائح العمل وإجراءاتها الترتيبية، واكتساب الخبرة والدربة التي لها فضل الشهادة العلمية التخصصية.

٧. استقطاب العاملين في مجال المنظمات الأهلية، وتكريمهم بشكل دائم، سنوياً أو موسمياً، أو في المناسبات الخاصة التي تمس المجتمع المدني ورجالاته، فلذلك أكبر الأثر في نفوس الشخصيات الأهلية والحركات الاجتماعية، ويشكل أرضية صالحة لاجتذابهم إلى صف العمل الإسلامي، واكتسابهم لخدمة أهدافه؛ ولو من مواقعهم وحالهم الموجود.

٨. اعتماد نظام التمويه في بناء مؤسسات أهلية مستقلة، تحمل أسماء معينة بعيدة في مضمونها عن الطابع الإسلامي، يقوم على إدارتها والتحرك فيها أناس لا يُعلم ولاؤهم، مما يسهل عليهم الحصول على الامتيازات الموجودة.

٩. انتداب الشباب المسلم لدراسة الفنون الإدارية والاجتماعية الحديثة خارج فلسطين المباركة، والتعامل مع الأنظمة الإدارية والنظريات الاجتماعية والسلوكية المعاصرة بكل كفاءة، ليعودوا بمشاريع تأتي بصيغة مستقلة، خارجية المصدر، أجنبية الصورة، إسلامية الجوهر بكل ما في الكلمة من معنى.

١٠. توزيع شباب العمل الإسلامي على التخصصات العامة التي تخدم النظام المؤسساتي بشكل غير مباشر، كعلوم الاجتماع، وعلوم السياسة، وعلوم الإنسان، والعلاقات الدولية، وعلم الاتصال، وتخصصات الإدارة المعاصرة ونحوها.

١١. توفير الأساليب الفنية العليا المستحدثة التي تصاحب عرض القيم الإيجابية من خلال المؤسسات الأهلية المختلفة، بحيث يتم عرض برامج هذه المنظمات بقوة مكافئة لغيرها، وندبة حقيقية لفعل الاحتلال.

يقول الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي:

الدعوة ببث الأفكار، وعرض الحقائق على أفراد الناس، في المجالس والمجامع والطرق، وفي كل مكان، وبأسلوب المناسب، والتعبير الموافق لما تقتضيه الحال، من غير دخول في جدل، أو اشتباك مع مخالف، كما فعل جمال الدين الأفغاني، وله جملة واحدة مشهورة يلخص فيها مذهبه هذا، هي: (قل كلمتك وامش).. (١٢٧٢) وهو أسلوب فني في العمل السياسي والمؤسساتي معاً.

١٢٧٢. فصول إسلامية / الأستاذ علي الطنطاوي / دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - السعودية / الطبعة الرابعة)

١٩٩٠ م / ص ٢٤.

المطلب السادس:

المواجهة المؤسساتية مع الاحتلال

يتملك الصهاينة مؤسسات فاعلة على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي، وهذه المؤسسات ببرامج عملها وأجندتها المختلفة تعطي الاحتلال قوة لا يستهان بها على المستوى العالمي.

لضرب مشروع الاحتلال في مقتل، ولتفويت الفرصة عليه وفضح ممارساته وكشف زيف ادعاءاته، لا بد من قيام منظومة مؤسساتية فلسطينية يتصدرها المخلصون في الشعب الفلسطيني، وعلى رأسهم الحركة الإسلامية للاصطدام بمشروع المؤسسات الصهيونية، والمؤسسات العاملة في المجتمع المدني الفلسطيني بغير هويته وثقافته.

إن هذا الاصطدام ضرورة واجبة لازمة، وهي سنة ربانية في الكون، فقد قال تعالى: ((الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)) (١٢٧٣) وقد أكثرت كتب التفسير واستفاضت في بيان المراد من قتال المشرك والعاصي الصائل، ورد بغيهم إليهم، لأن في ذلك استقرار الدين لله، وقمع الفتنة والكفر بين المسلمين (١٢٧٤).

١٢٧٣. سورة النساء/ الآية: ٧٦.

١٢٧٤. انظر في ذلك: أحكام القرآن / لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠ هـ) / تحقيق: محمد الصادق قمحاوي / دار إحياء التراث العربي - بيروت / طبعة عام (١٤٠٥ هـ) / ج ١ / ص ٣٢٥.. وكذلك: تفسير القرآن العظيم / لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) / دار الفكر - بيروت / طبعة عام (١٤٠١ هـ) / ج ٢ / ص ٢٩٢.. وكذلك ما كتبه ابن عابدين في حاشيته: حاشية ابن عابدين / محمد أمين / دار الفكر - بيروت / الطبعة الثانية (١٣٨٦ هـ) / ج ٤ / ص ١٢٣.

يقول الأستاذ الدكتور حسين مطاوع الترتوري: ((وإذا لم نأخذ بزمام المبادرة بالاستفادة من هذا الانفتاح بتحسين الناس مما يثار من أفكار تؤثر عليهم، واستثماره في التأثير في الآخرين إيجاباً، وإيصال فكرة الإسلام النقية للناس وإسعادهم به وإخراجهم من ظلمات الجهل والمعصية إلى نور العلم والإيمان بالله وطاعته فإن الطرف الآخر وهم حزب الشيطان ماضون في طريقهم لا يتوقفون)) (١٢٧٥).

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الإيمان)) (١٢٧٦)، ويكمل الإمام النووي شرحه لهذا الحديث وما يستفاد منه بقوله: ((لا يستقيم إيمان امرئ ما لم يعلم أن إزالة المنكر فريضة إسلامية محكمة)) (١٢٧٧).

شاءت الصحوّة الإسلامية أم أبت هذا الاصطدام وأغمضت عيونها عنه فهو واقع لا محالة، وسيحصل بكل تأكيد (١٢٧٨)، فنواميس الله في هذا الكون غلابة، ومقصود الاصطدام هنا أفصله على النحو الآتي: -

الاصطدام الحقيقي المقصود هو مواجهة الباطل بمؤسساته وجهاً لوجه، بحيث تحصل المواجهة المباشرة التي ترتطم من خلالها الدعوة الإسلامية بجسمها كاملاً مع جسم الباطل، لجان بلجان، وقادة بقادة، وأدمغة بأدمغة، وفكرة بفكرة، وراية براية، وموقع بموقع، وسلاح بسلاح، بحيث تستنفذ الدعوة الإسلامية كل طاقتها في حرب العدوان السافر في الوقت الذي يستخدم

١٢٧٥. من الكلمة المطبوعة للأستاذ بكليتي الشريعة والدراسات العليا بجامعة الخليل، الأستاذ الدكتور حسين مطاوع

الترتوري، بعنوان: ((وسائل تطوير الدعوة والوعظ بما يتلاءم مع روح العصر / ص ٣.

١٢٧٦. رواه الإمام مسلم في باب إيمان كون النهي عن المنكر من الإيمان.

١٢٧٧. كتاب الأربعين النووية / لي زكريا يحيى بن شرف النووي / ضبط وشرح وتخريج: د. مصطفى البغا ومحيي

الدين مستو / دار العلوم الإنسانية - دمشق / ط - / ص ٩٦ - ٩٧ وقد مر الاستشهاد بها سابقاً.

١٢٧٨. انظر في ذلك: تفسير القرطبي / ج ٧ / ص ٣٧٠، وكذلك: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه / ج

فيه العدوان كل قوته وطواقمه وخبرائه، ليلتقي سيف الحق مع سيف الباطل، وتحصل المنازلة العنيفة بينهما، وتتعارك في هذه المنازلة العيون والقلوب والعقول والأيدي قبل السيوف.

يقول الشاعر:

فكيف يرتاح للبلوى أخو شمم وعينه تبصر الأوباش يبغونا
وكيف يسكن ذو حقٍ وقد عبث بحقه عصبة تقفوا الشياطينا
عافت هدى الله وانقادت بعاطفة معصوبة العين لم تعرف موازينا

ويقول الدكتور جاسم سلطان موضحاً: ((وتحتاج كل حركة تغييرية إلى ثلاث شرائح مختلفة، حيث تعبر كل شريحة عن طبيعة المرحلة التي تمر بها الحركة التغييرية، وهذه الشرائح الثلاث هي: شريحة البدء (١٢٧٩)، وشريحة التغيير (١٢٨٠)، وشريحة البناء (١٢٨١))) (١٢٨٢)، وهذه الشرائح الثلاث لا بد أن تشترك في مخطط المواجهة مع المنظمات المعادية، كل بحسب طاقاته وقدراته وميوله.

ويقصد الباحث بالاصطدام الصعب أن يكون الدعاة قد أعدوا عدتهم، وجيشوا جيوشهم، وحملوا الفكرة والمبدأ والغاية رايات ترفرف فوق رؤوسهم، وفي الوقت ذاته الذي يجمع فيه معسكر الكفر جنده تحت ألوية الإلحاد والإباحية والفتن والمصالح بكل أنواعها، وهذا النوع من التصادم يستتفز كثيراً من الإمكانيات، ويتطلب الكثير من الجهود، ولا بد له من إعداد مرهق تشارك فيه الدعوة الإسلامية بلجانها المتلاحمة، ولك أن تتخيل صعوبة هذا التحدي، وضراوة هذه المواجهة.

^{١٢٧٩}. ويقصد بشريحة البدء: الرعيل الأول الذي يطلق شرارة التغيير.

^{١٢٨٠}. ويقصد بها: القوة التنفيذية التي تنجز رؤية البدء وأسس التغيير.

^{١٢٨١}. وهي أوسع الشرائح من حيث العدد والشكل والمضمون، وهي التي تتحرك في أوساط المجتمع لبناء الشرائح الاجتماعية والسياسية والطاقات والكوادر ونحوها.

^{١٢٨٢}. القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري " قوانين النهضة " - ضمن سلسلة: مشروع النهضة -

سلسلة أدوات القادة / د. جاسم محمد سلطان / مؤسسة أم القرى للتوزيع والنشر - مصر / الطبعة الأولى (

٢٠٠٥ م) / ص ٨٠.

أما الأضرار الناتجة عن هذا الاصطدام؛ فهي الخسائر التي ستلحق بكلا الفريقين ولا ريب، والأضرار التي تحيق بالمعسكرين، ففي معسكر العدو؛ سيخسر العدو خسارة فادحة لا مراء فيها ولا مكابرة، حيث ستكشف ألعيبه، وسيظهر بيته الواهي، والضعف الذي لطالما ستره الإعلام الموجه، وسيتعرف الناس إلى وسائل خداعه ومكره، وبالتالي؛ يكون العدو قد خسر أقوى سلاح بين يديه، وخسر جهوداً مضنية بذل لتحقيقها سنوات طوال، وأنفق من أجل تحقيقها بما فيها من مآرب نجسة أموالاً طائلة، وقناطير مقلطرة من الذهب والفضة.

سيخسر العدو كذلك سلاحاً فتاكاً آخر، وهو الانضباع النفسي من كثير من الجماهير بقوته وجبروته، والمثل العربي يقول: ((إذا وقع الجمل كثرت السكاكين)) (١٢٨٣)، وهذا الجانب من الخسارة هو ما يحاول العدو تفاديه بكل سبيل متاح، حتى لا يفقد وزنه الدولي، وتأثيره العالمي، مما سيقود لعصيان عارم على هذا الكيان في كل العالم نتيجة صراع مع دعوة سليمة المعتقدات حتى وإن كانت المساحة الجغرافية للاصطدام بسيطة وليست ذات بال، وسيحكم القياس على أن الجهود الإسلامية لو تلاققت في بعض الأقطار ناهيك عن مجموعها لكان الهلاك والتبوير مصير المشروع الصهيوني بأسره.

أما الخسائر المتوقعة في صفوف الدعوة، فهي مكارم ومفاخر، ولا أسميها خسائر إلا من باب المقارنة الدنيوية البحتة، فالخسائر الدنيوية في صفوف الدعوة تتمثل في استهداف العدو لحملة اللواء، فمنهم من سيتضرج بدمه الزكي، ويلقى ربه شهيداً مراغماً عاش عزيزاً وقضى عزيزاً، ومنهم من ستتناوشه السجون لتلقيه في بطونها القاحلة، ومنهم من سيخسر تجارة مؤقتة، ومؤسسة معينة، وهكذا..

مخطئ من يظن أن الدعوة في هذا النزال ستخسر، قال تعالى: ((بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ)) (١٢٨٤)، فهي بهذه الحرب المؤسساتية المباشرة تكسب

١٢٨٣. وأصل المثل: ((الجمل إذا وقع بتكثر سكاكينه)).

١٢٨٤. سورة الأنبياء / الآية: ١٨.

رص الصفوف، وتضيف إليها ثقة الجمهور، وتدلل على صدق حقوقها الوطنية والإسلامية على هذه الأرض، أمام كل العالم، وتكسب كثيراً حينما ينهار المشروع المؤسساتي المعادي، وإذا خسرت أفراداً معدودين، فقد كسبت جمهوراً ضخماً وعريقاً يمدّها بالرجال والكفاءات حال نجاحها، لا سيما بعد تردي التطبيع السياسي والثقافي محلياً وإقليمياً ودولياً (١٢٨٥) ..

الدليل على ما تقدم، هو أن تسارع الأداء المدني العربي مؤخراً على مستوى النقابات والتجمعات والمؤسسات، قد استطاع نسبياً أن يوجد (توازن الرعب) والقدرة على التأثير المباشر في صياغة الأفكار والتوجهات، ولو إلى حد متواضع (١٢٨٦)، وانتشار حالة من التفهم للموقف الحقيقي السليم من التسوية مع الاحتلال سياسة وفقهاً (١٢٨٧)، والنداءات المتكررة بوجود جسم معادي للسياسات الصهيونية في الشرق الأوسط وعلى مستوى العالم (١٢٨٨)، فكيف لو تم تركيز الجهود الداخلية، وتفهيل منظمات المجتمع المدني الفلسطيني من خلال نظام التشبيك لحراك دولي داعم للقضية الفلسطينية، بما يشكل معسكراً مؤسساتياً عالمياً دضد دعم الصهيونية ودولتها الظالمة؟

^{١٢٨٥}. انظر: التطبيع - استراتيجية الاختراق الصهيوني / ص ٩٠ - ٩٣ .. وكذلك: التطبيع - استراتيجية الاختراق الصهيوني / ص ١٠٣ - ١١١.

^{١٢٨٦}. ومن النماذج على التحركات العربية المدنية على مستوى المنظمات العربية الكبرى، نشاطات النقابات الأردنية والمصرية في رفض التطبيع مع الاحتلال، والتحركات المؤسساتية في العالم ومخيمات الشتات المالبة بحق العودة للفلسطينيين للمهجرين عن بيوتهم وأوطانهم ونحو ذلك.

^{١٢٨٧}. موقفنا من التسوية - بيان المرشد العام للإخوان المسلمين حول أطروحات التسوية للقضية الفلسطينية - المكتب الإعلامي - حركة المقاومة الإسلامية - حماس - فلسطين / الطبعة الأولى (١٩٩١ م) / ص ٣ - ٣٧.

^{١٢٨٨}. انظر في ذلك: انتفاضة الأقصى والاستقلال - تحديات وآفاق / د. عبد العليم محمد / ضمن سلسلة كتاب القدس (٢١) / مركز الإعلام العربي - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٣ م) / ص ١٤٩.

المبحث الثاني

ملامح الإبداع في عمل المجتمع المدني الفلسطيني

المطلب الأول

الدور الاستراتيجي لمنظمات المجتمع المدني الفلسطيني

عمق الفهم للدور المؤسساتي يتطلب من القائمين على هذا اللون من النشاط أفقاً رحباً يتمكنون من خلاله من وضع ملامح العمل المحلي ضمن سياقه المؤدي إلى تحقيق النمو والارتقاء على المستوى البعيد.

حين يقر القاضي والداني بدور المجتمع المدني في التطور والرفعة الشاملة، وحين يقر الجميع بوجود تخطيط استراتيجي دولي يستهدف الشرق الأوسط عموماً، وفلسطين على وجه التحديد (١٢٨٩)، فإن من اللازم أن يقترن العمل بالأولى في ظل الثانية، وأن يحدث التزاوج الحقيقي بين العمل والنظرة الشمولية التي يندرج في إطارها.

حتى يتم الوصول إلى مجتمع مدني فلسطيني فاعل، وصاحب حضور فعلي، وصاحب قدرة على إحداث التغيير السياسي والاجتماعي، فإن العمل العام لا بد أن يكون واضحاً ضمن المحددات الآتية:

٣. أن ينبع العمل لمؤسساتي والنقابي والمدني من وعي سليم بطبيعة الدور المنوط به، وأن تكون منطلقاته واضحة، وذات أبعاد معلومة تتعلق بالخدمة الجماهيرية، والتطوير العام،

^{١٢٨٩}. انظر في ذلك: مبحث التخطيط الاستراتيجي الاستعماري بخصوص فلسطين، في الفصل الثاني من هذا البحث.

في سياق يقود إلى تحقيق النظرة الاستراتيجية للعمل، دون قصور مخلّ بالفهم، أو تفريط في الأهداف بعيدة المدى.

يتحقق ذلك من خلال الوعي الجماهيري بهذا الدور بالدرجة الأولى، والوعي الحزبي الرائد بصفة خاصة، وذلك أن المجتمع هو الذي يفرز التشكيلات المجتمعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهذه التيارات والحركات على اختلاف توجهاتها هي (فرس الرهان) لتحقيق تطلعات وآمال الشعب الفلسطيني، فإذا ارتفع سقف الوعي، ارتفعت تبعاً لذلك الخدمة النوعية في العمل الجماهيري المؤثر على ساحة الأحداث، لا سيما في المعادلة الإقليمية والدولية.

٤. أن يقود النضج الاجتماعي، والوعي السياسي، والفهم الشمولي للواجبات والواقع، النخب الواعية المثقفة، لتقتحم لجّة العمل المدني بشكل مفتوح، دون إحجام أو تردد، لأن وجود هذه النخبة هو الضمانة الحقيقية لقوة العمل البناء، وهو ما من شأنه أن يؤصل لمجتمع مدني مؤسسي ونقابي وسياسي ذا قدرة على إحداث التغيير الكبير الهادف، الذي يؤسس لصورة جديدة ترتقي بالفرد والمؤسسة والمجتمع.

٥. أن تهتم الكوكبة المثقفة الواعية بوضع العمل المدني على الصعيد النظري، وأن تلتفت إلى دورها في رسم السياسات الكبرى، وذلك من خلال مشاركتها الذهنية (في الظل أو في العلن) في تفعيل العمل الاجتماعي والمدني بالخبرة والدربة والتخصص العلمي، الأمر الذي سينعكس على أهداف المؤسسة ومشاريعها تلقائياً، وعلى صعيد كل مؤسسة في المجتمع، وكل حركة اجتماعية أو نقابية فيه، لأن الهدف العام أو الأهداف العامة لأي مؤسسة تعتبر خطوة مرحلية تسهم في الصورة الكلية للعمل الاستراتيجي المضاد للسياسات الغربية والصهيونية والاستعمارية.

إذا أخذ المثقف دوره في رسم السياسات العامة للعمل المدني، وتألفت النخب الواعية في رسم الأهداف العامة للمؤسسات المدنية ومنظمات المجتمع المدني، فإن سقف الإنجاز سيرتفع، وسيكون للمؤسسة دورها في المعادلة الاستراتيجية المتعلقة بفلسطين، بخلاف ما لو كانت أهدافها مرحلية خدمتية موضعية تنسم بالعبثية والارتجال.

مؤسسة صغيرة محدودة في حجم عطائها إجمالاً، تتمتع بالفهم الشمولي، والعمل المنهجي لتحقيق هدف استراتيجي أو أكثر، سيكون التعويل عليها أجدى بكثير وأنفع من التعويل على إحدى المؤسسات الاخطبوطية الكبرى فيما لو كانت أهدافها ضيقة هزيلة، لأن الهدف العام هو المعيار المهم والرئيس في القياس والحكم، لا سيما إذا اقترن بعمل واضح مرتبط بخطة عمل موصلة إلى تحقيقه.

٦. أن يكون الواقع العام للمؤسسات الحزبية مرتبطاً بعيد استراتيجي معلوم عند العاملين في حقل المجتمع المدني، وذلك نابع من كون التيارات السياسية بما تملكه من نفوذ وقدرة مادية وبشرية، وخيارات متعددة في العمل تنتقل بين العنصر البشري والمادي بكل حرية، يمكن لها أن تؤسس جبهة مؤسساتية ذات أهداف استراتيجية (١٢٩٠)، من خلال توزيع الأدوار، وتوسيع دوائر وشعارات النشاطات والفعاليات المجتمعية والجماهيرية، وهو ما يؤهلها لإسهام حقيقي في المعادلة الكبرى.

للحقيقة، فإن في فلسطين نوع من النمو العقلي اللافت، والذي كان للمجتمع المدني فيه لمساته الواضحة، وكان للتيارات السياسية - لا سيما الإسلامية - فيه بصمات معلومة، فالعمل المدني، والقدرات المؤسساتية هي مواطن قوة وتأثير في المجتمع، ومحاور كبرى للتأثير في الرأي العام، وذات كفاءة في تصدير الأفكار من خلال النشاطات المختلفة وتعميمها على المجتمع.

إن دور التيار السياسي والفكري كحاضن من حواضن العمل المدني، وكصاحب باع واضح في المنظمات الأهلية، وكمؤثر في الحركات الاجتماعية والمهنية والنقابية على الساحة الفلسطينية؛ يمثل حجر الزاوية في العمل الاستراتيجي المضاد لسياسات الغرب الاستعماري في المنطقة.

١٢٩٠. كالحال في واقع حركة حماس في فلسطين مثلاً.

الأمر مرهون بالطبع بطبيعة الفكر والثوابت العقائدية والسياسية التي يصدر منها كل تيار، ولكن المتفرد في الواقع السياسي الفلسطيني يعلم مقدار الأمل الموجود في ثنايا العمل المؤسسي المنطلق من أصول حزبية ذات أجندة وطنية أو خالصة تجاه المجتمع على الحد الأدنى، وهو الأمر الذي يجب استثماره وتطويره وتحويره؛ ليكون في الوجهة المناسبة؛ وبالقدر المطلوب من العطاء المرتبط بالفكرة والزمن معاً.

٧. الربط المؤسسي الفاعل.. ويقصد به الباحث العمل على فرض حالة من التشبيك الطوعي بين مؤسسات المجتمع المدني للتلاقى على الحد الأدنى من الثوابت السياسية والاجتماعية البانية، وليكون لكل منظمة أهلية دورها، فمن المعلوم أن لليد قوة، ولكنها لا تصفق وحدها، والعصي إذا اجتمعت يعصب كسرهما:

تأبي الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت آحاداً

المقصود بالتشبيك هنا، ليس ذاك النمط من العمل المشترك من أجل القيام بنشاط فرعي هامشي هنا أو هناك، أو إبراز أن هناك حالة من العمل المؤسسي الجماعي لإظهارها أمام الغرب بجهاته الممولة (١٢٩١)، وإنما أن تكون هناك أرضية فكرية وثقافية تنطلق منها المؤسسات في عملها، مع إعطاء الحرية لكل منظمة أهلية أن تعمل لتحقيقها وفق قدراتها ومشروعها الخاص.

هذا لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال نوع من الاستقرار السياسي الذي يوفر البيئة الآمنة للالتقاء والتشاور، والتناقش وتبادل المعارف والخبرات، هذا في الظرف الطبيعي، أما في الظرف الفلسطيني الذي يفتقر إلى الاستقرار السياسي منذ قرن من الزمان، فإن عليه أن يتعامل مع الواقع الظالم والجائر والمليء بالإرهاب، ولو بثمن ذلك من التضحيات، لتحقيق هذه الأهداف العالية السامقة، لأنه بغير ذلك لن تتحقق نهضة، ولن يبرز فجر التغيير، والتضحية للعظام من شيم العظام.

١٢٩١. كالبنيك الدولي ونحوه.

٨. إحداث النقلة النوعية في ظروف وطبيعة العمل المدني الفلسطيني، وذلك من خلال إحداث قفزة تاريخية في طابع العمل العام، وفتح آفاق جديدة للتواصل مع فعاليات وتكتلات المجتمعات الأخرى، إقليمية كانت أو دولية، وذلك من أجل تعميم الحق الفلسطيني، وترسيخ الثوابت في زمن المتغيرات والمتناقضات، ليبقى الحق مدعوماً بالصوت الذي يطالب به، وهذا نبض الحياة في القضية الفلسطينية.

في الحقيقة، هناك كثير من المؤسسات والهيئات والنقابات على المستوى الفلسطيني بادرت - بشكل فردي - إلى نظام التشبيك الإقليمي والدولي وكان لها جهد في رفع مستويات عطائها لتحقيق أهدافها من خلال البعد في المساحة الجغرافية والمكانية والفئات المستهدفة، وإن كان الغالب الأعظم من هذه المؤسسات هو من المؤسسات التابعة للسلطة الفلسطينية أو لتيار فتح، أو لبعض المنظمات الأهلية الطوعية العاملة في مجال المرأة والطفل وحقوق الإنسان، بسبب الظرف السياسي، ووجود الاحتلال بكل معوقاته وعقباته.

يقول الباحث الفلسطيني عزت عبد الهادي في ورقة عمل قدمها حول المجتمع

المدني الفلسطيني:

إن الحديث عن رؤية استراتيجية تنمية فلسطينية في المرحلة الراهنة بدون الأخذ بعين الاعتبار الواقع الحالي وإفرازاته ونتائجه على المجتمع الفلسطيني، وخاصة استمرار الاحتلال الإسرائيلي لمعظم مناطق والحصار الشامل والمؤسس على قطاع غزة، إذ يبدو منطقياً التأكيد، أنه فقط بعد زوال الاحتلال والعمل من أجل إنجاز تنمية منبثقة عن رؤية ومصممة على المستوى الوطني، تنمية متكاملة ونشطة (١٢٩٢).

^{١٢٩٢}. مركز المعلومات الوطني الفلسطيني على الانترنت / المنظمات غير الحكومية / موضوع بعنوان: رؤية أوسع لدور المنظمات الأهلية الفلسطينية في عملية التنمية "ورقة مفاهيم" إعداد / عزت عبد الهادي.

إلا أن إحداه اختراق في هذا الجانب للتيارات الفكرية والسياسية والحركات الاجتماعية الإسلامية أمر ممكن عقلاً وواقعاً، ويمكن الوصول إليه بطرق رسمية أو ملتوية، إذا تمت قراءة المرحلة وقوانين العمل بها بدقة وعناية.

٩. تأمين خطوط الدعم الاستراتيجية للعمل المدني.

إذ ينبغي على العاملين في المجتمع الفلسطيني أن يراعوا ان الصراع على الأرض كان قديماً، وهو حاصل في الواقع، وسيتمدد في المستقبل، والصراع ليس مرحلياً، وهو بذلك يعتمد على النفس الطويل، والتخطيط الاستراتيجي، أكثر من التكتيكات المرحلية التي تتسم بها كل مرحلة سياسية.

المجاهد في سبيل يحتاج إلى عتاد، والعامل يحتاج إلى غذاء، والمقاتل يحتاج إلى راحة، والعقل بحاجة إلى قوة مخاطبة تستفز له لينهض، كل ذلك يعني أن يقوم العقل الفلسطيني بإيجاد حالة من الاستمرارية في الصراع من خلال التعامل الحكيم مع القطاعات الشعبية المختلفة، والاحتكاك المدرس والمؤثر في الأجيال، ليوحد في كل جيل من يحمل الراية بعده، ومن يكمل مشواره بدون أن تتبدل الوجهة أو القيم الدافعة.

الحركة الأهم التي يقترحها الباحث في هذا السياق، هي أن تقوم المنظمات الأهلية والتيارات السياسية والاجتماعية بجهد داخلي ذاتي مكثف من أجل إعداد الكفاءات القادرة على التخطيط للعمل، ببعديه الرسميين: المرحلي والاستراتيجي، لأن أهم شيء في العمل هو وجود الفكرة، وإذا كانت الفكرة عظيمة سهل تسويقها في المجتمع الفلسطيني، وهو ما يجب التركيز عليه من خلال الكوادر العقلية التأثرية في كل جيل، لا سيما الأجيال الناشئة اليوم.

المطلب الثاني

بناء المنظمات وفق المفهوم الاستراتيجي " نظريات بيتر ج ريد "

بعد جولة في تقييم الواقع الفلسطيني، ومعطياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فإن الباحث يركز على ضرورة أن يتم بناء المجتمع المدني الفلسطيني من جديد، لا من خلال هدم ما هو قائم، وإنما من خلال إعادة تأهيل النظام المدني الفلسطيني بصورة تتناغم مع متطلبات الشعب الفلسطيني وما يتطلبه الصراع مع الاحتلال على المستويات القرية والعيدة.

خير سبيل إلى الوصول لذلك: المثال التناظري لأليستر مانت، الذي يربط فيه بين الدراجة والضفدعة، فكلاهما تسير وتتحرك، ولكن أي مساس بالضفدع سيؤثر على بنيتها العامة، ولو جزئياً، في وقت يمكنك فيه أن تعيد تقطيع الدراجة وتوصلها من جديد دون ضرر (١٢٩٣).

الوضع في المنظمات يشبه الدراجة لا الضفدع، فيمكن أن تجري العديد من الصور والترتيبات المتعلقة بطبيعة وأداء ووجهة منظمات المجتمع المدني الفلسطيني وعلى نظامها الداخلي وفق الرؤية الاستراتيجية، من خلال عمل تواصلية بين النخب قيادة المنظمات والجهات الرسمية.

١٢٩٣. انظر في ذلك: القيادة المتميزة - صياغة استراتيجيات التغيير / بيتر ج. ريد / ترجمة: علا أحمد / مجموعة النيل العربية للنشر ولتوزيع - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٤٥.

في معرض بيانه لطبيعة العلاقة ما بين الرؤية والاستراتيجية للمنظمة، يقول بيتر ريد: بأن أي منظمة تحتاج إلى عاملين هامّين، وهما: ((خلق رؤية للمساعدة في توجيه جهود التغيير، ووضع سياسات واستراتيجيات ونظم لتحقيق تلك الرؤية)) (١٢٩٤).

يجب أن لا ينساق الإنسان إلى التخطيط الاستراتيجي متناسياً متطلبات العمل، ودواعي التخطيط، وأسس التفكير، لأن العمل ككل لا يتجزأ؛ بحاجة إلى صناعة تنسيقية بين مفرداته.

يقول المفكر الغربي بيتر ريد في ذلك: ((وفي معظم برامج التغيير أو الإصلاح يوجد ميل لدى فرق الإدارة لاعتبار التخطيط الاستراتيجي مغرياً بعض الشيء، فله منطقٌ مرضٍ، ويبدو وكأنه يستخلص النظام من قلب الفوضى، وأخشى أن أقول إن ذلك يترتب عليه تخمة في التخطيط، وقدر ضئيل جداً من التفكير الاستراتيجي، مع انعدام العمل الاستراتيجي)) (١٢٩٥).

لا بد لتشكيل المنظمات المستحدثة، أو المنظمات المراد إعادة قولبتها بالنمط الاستراتيجي أن يحتوي جدول محتويات الخطة الاستراتيجية فيها على أمور عدة، أهمها:

- مقدمة توضح كل الأهداف والمصطلحات.
- تحليل موقفي لكل التوجهات والعقبات.
- الرؤية والرسالة.
- مجالات النتائج الرئيسة والأهداف المرتبطة بها.

١٢٩٤. القيادة المتميزة - صياغة استراتيجيات التغيير / ص ٩٩.

١٢٩٥. القيادة المتميزة - صياغة استراتيجيات التغيير / بيتر ج. ريد / ترجمة: علا أحمد / مجموعة النيل العربية للنشر ولتوزيع - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ١١٩.

- الأهداف الاستراتيجية.
- الاستراتيجيات.
- العوامل الرئيسة المشيرة إلى الحاجة أو الضرورة.

١. تخطيط العمل ليشمل المخرجات وأهداف الأداء ذات الصلة بالخطة الاستراتيجية بعيدة وطويلة المدى (١٢٩٦).

هذا النمط من التفكير الإبداعي في التأصيل لقيام وتوجيه العمل في المجتمع المدني هو ما جعل النمط الغربي يسبق النمط العربي، وجعل منظمات المجتمع المدني في أوروبا وأمريكا والغرب عموماً تأخذ أشكالاً حيوية متقدمة، لها إسهاماتها في مجالات صياغة الحياة، وقوانين الدول، وسلوكها تجاه الأفراد.

ومن الأنظمة المعمول بها في أوروبا: نظام التميز الخاص بالمؤسسة الأوروبية لإدارة الجودة، حيث يقول المتابعون: ((يعد نموذج " التميز الخاص بالمؤسسة الأوروبية لإدارة الجودة (EFQM) منهج مصفوفة أداء متوازن، جاهز وعام، يحظى برواج شديد في أنحاء أوروبا في القطاعين: العام والخاص)) (١٢٩٧)، وهو ما لم يستت نتائج بعد سبع سنوات من تطبيقه في بريطانيا على شكل وأداء المنظمات الأهلية والمجتمعية المختلفة.

وفي ربطه بين طبيعة البشر وما يجب أن يكون عليه العمل في الحياة المدنية المنظمة، يقول بيتر ريد:

^{١٢٩٦}. انظر في ذلك: القيادة المتميزة - صياغة استراتيجيات التغيير / ص ٢٠٣ وما بعدها، وفيه إضافة كبيرة واسترسال نافع.

^{١٢٩٧}. القيادة المتميزة - صياغة استراتيجيات التغيير / ص ١٥٩.

نحن البشر؛ بارعون في تصميم التكنولوجيات - بدءاً من رؤوس السهام المصنوعة من حجر الصوان وحتى المركبات الفضائية - إلا أننا لسنا بنفس الدرجة من البراعة في " تصميم " المنظمات، ويعود ذلك جزئياً إلى أننا لا نرى أن المنظمات تحتاج إلى " تصميم " بالمعنى الهندسي، وقد ساد دائماً ميل لتجميع عدد كافٍ من أنماط الأفراد المناسبة، ثم توزيعهم على الأقسام المناسبة، وتزويدهم برؤية ورسالة، وإرساء بعض الإجراءات والنظم المحاسبية؛ فيصبح لدينا منظمة تعمل على أكمل وجه!! ومن الواضح أننا لو صممنا طائرة بهذا الأسلوب، سنجد أنفسنا في مأزق، فالطائرة البوينج (٧٤٧) ليست مجرد نتاج تجميع بعض الأجنحة، والمحركات، وجسم الطائرة ومفاتيح تحكم، وما إلى ذلك، بل تبدأ العملية ب(ماذا) عليا مُعرفة جيداً، الحاجة إلى نقل (س) من الاشخاص، مسافة (س) من الأميال، بتكلفة لا تتجاوز مبلغ (س) من الدولارات، بصورة آمنة قدر الإمكان، مراراً وتكراراً (١٢٩٨).

بهذا فقط، يمكن أن ينقلب حال المنظمات الأهلية الفلسطينية من مرحلة مد اليد لاستجداء الغرب بدعمه وثقافته، إلى مرحلة الاستقلال والتنمية المستدامة (١٢٩٩)، وبهذا يمكن أن نلحق الغرب الذي نسي تماماً مرحلة دعم الأسر الفقيرة، ليستعوض عنها ببرامج العمل البيئي، أو مشروعات الإنتاج الأسري، التي أثبتت نجاعتها في كثير من بلدان العالم الغربي (١٣٠٠).

^{١٢٩٨}. القيادة المتميزة - صياغة استراتيجيات التغيير / بيتر ج. ريد / ترجمة: علا أحمد / مجموعة النيل العربية للنشر ولتوزيع - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ١٢٨ - ١٢٩.

^{١٢٩٩}. عولة عادلة (توفير الفرص للجميع) / اللجنة العالمية المعنية بالبعد الاجتماعي للعولة / منظمة العمل الدولية - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ٦٢ - ٦٣.

¹³⁰⁰. ACTIONPROGRAMMES FOR THE PROTECTION OF HOME WORKERS - TEN CASE- STUDIES FROM AROUND THE WORLD / EDITED BY: URSULA HUWS / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE - GENEVA / (1995) / THE INTRODUCTION - P (8).

إنها النهضة، ودعائم النهضة الحقيقية لا بد أن تمر بمراحل وأطوار، من أهمها:
الروح المشبعة بالأمل، والاعتزاز الشديد بالذات، والعلم الغزير، منظومة قيمية صالحة، وقوة
واستعداد، ومال واقتصاد، وأساسيات النظم والتشكيلات التي سيقوم عليها العمل (١٣٠١).

^{١٣٠١}. انظر في هذه المراحل: القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري " قوانين النهضة " - ضمن
سلسلة: مشروع النهضة - سلسلة أدوات القادة / د. جاسم محمد سلطان / مؤسسة أم القرى للتوزيع والنشر -
مصر / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٢٢٧ - ٢٣٦.

المطلب الثالث:

ضرورة تكوين جماعات الضغط في الواقع الفلسطيني

شهدت منظمات المجتمع المدني اهتماماً واضحاً وقوياً في المشاركة ببلورة نماذج تنموية للمقاومة، سواءً على الصعيد الاقتصادي أو الاجتماعي فيما يعرف بالتنمية المقاومة على اختلاف سنوات ومراحل الصراع، وبما ينسجم مع المصلحة الوطنية العليا للشعب الفلسطيني، كما أن المجتمع الأهلي لا يرى نفسه فقط "مجتمعاً تنموياً"، بل جسماً فاعلاً في عملية النضال الوطني والسياسي، وأن من واجبه إبداء رأيه بما يجري على الساحة الفلسطينية من تطورات بالغة الأهمية والخطورة، كما ويرى المجتمع المدني الفلسطيني أن حق تقرير المصير هو شرط أساسي لأية عملية تنموية سليمة.

لا يتأتى لهذا المجتمع أن يأخذ دوره على مسرح الأحداث إلا إذا تحرك في الواقع الفلسطيني بقوة مؤثرة تحدث التغيير والارتقاء من خلال ضغط مباشر على النظام السياسي الفلسطيني، وإجباره تحت حراك الشارع أو من خلال المفاوضات على أن يقدم الحلول لمشكلات الطبقات المعدمة والفئات المهمشة في المجتمع الفلسطيني.

ولأن الضعيف عاجز عن تغيير واقعه، وهو عن تغيير الواقع العام أعجز، فالسياسة لا تقيم وزناً لمن ارتضى أن يضع نفسه على هامش الأحداث، ولا تأخذ بعين الاعتبار من يتنحى في المحن والشدائد، بل تضع نصب أعينها من يقول (لا)، أو (أريد هذا) أو (لا أقبل) كفتات يجب أخذ رأيها وردود فعلها قبل تقرير أي سياسة.

من هنا، نشأت الحاجة إلى تكوين جهات ضغط تنطلق من المجتمع وباسمه تنطق، تحمل همومه الحياتية واليومية لتضعها على جدول أعمال السياسة في كل محفل، حتى يكون

عملها وحراكها ذا أثر فعلي على الواقع، وحتى يكون للجهد والمال المبذول في هذا الحراك مردود مقبول بنظر الشارع الفلسطيني.

للحقيقة؛ فإن الشارع الفلسطيني قد افتقد هذا النوع من العمل السياسي والاجتماعي رديحاً من الزمن، وكانت كثير من المحطات التاريخية والمصيرية في مسار القضية الفلسطينية متعلقة بوجود نوع من هذا الجهد الضاغط، ليس على صعيد تنمية المجتمع وتطويره فحسب، وإنما في مجال إحقاق حقوقه التاريخية والدينية والوطنية على أرضه وترايه.

يقول الباحث الفلسطيني عزت عبد الهادي: ((كما أن العلاقة ما بين استراتيجية الضغط على صناع القرار، وبناء الوعي الجماهيري والتعبئة الجماهيرية تكاد تكون غائبة، أي أن الربط بين العناصر المختلفة لبرنامج مهني يتعلق بالتعبئة والضغط: (أبحاث السياسات، التشبيك وبناء التحالفات، بناء المرجعيات الجماهيرية، الإعلام، الضغط، البناء المؤسسي) تكاد تكون معدومة)) (١٣٠٢).

إذا قيس الواقع الفلسطيني بغيره من الشعوب والمجتمعات، فإن تأثير جهات الضغط في كثير من دول العالم - لا سيما الغربية منها - قد أدى إلى تغيير منحنى العمل السياسي أكثر من مرة (١٣٠٣)، وأعطى للمجتمعات التي تتحرك فيها جماعات الضغط الفاعلة حقوقاً وحرية لطالما افتقدها الشعب الفلسطيني المبتلى.

^{١٣٠٢}. المنظمات غير الحكومية / عزت عبد الهادي / على الموقع الإلكتروني لمركز المعلومات الوطني الفلسطيني على الانترنت / موضوع بعنوان: رؤية أوسع لدور المنظمات الأهلية الفلسطينية في عملية التنمية "ورقة مفاهيم".
^{١٣٠٣}. وبالذات في المجتمعات الأوروبية وأمريكا، حيث يتعلق الوجود السياسي ويرهن بالجهات الضاغطة، التي باتت عاملاً أساسياً في رسم السياسات المصيرية للدولة.

حتى لا تكون هذه الجهات مفرغة من مضامينها، أو مسميات جوفاء لا أثر لها على الحالة الفلسطينية (١٣٠٤)، فإن من أولى الأولويات أن يتنبه الساسة في المجتمع، ورواد العمل الحزبي، والفاعلون في القطاع المؤسساتي، وأصحاب السبق في المجال النقابي إلى ضرورة العمل من خلال إطار ضاغط قوي، لا من خلال جهد فردي مبعثر، وذلك من خلال أمور عديدة، أذكر أهمها:

١. أن تتكون عند النخب العاملة في هذه الجهات صورة تمكنهم من تحديد مضمون العلاقة ما بين الدولة من جهة، والفرد الفلسطيني من جهة ثانية، والمجتمع المدني من جهة ثالثة، وذلك من خلال فهم عميق، وإجراء حوار موضوعي وجدي وعميق ومتزن حول مجموعة مبادئ من شأنها تنظيم العلاقة ما بين هذه الأطراف.

إن بقاء الفجوة بين هذه الجهات التمثيلية كبيراً يعني تكريس واقع التسلط من النظام السياسي الحاكم، نظراً لافتقار آليات التنسيق، وكيفيات التعاطي مع القضايا المختلفة، في مجال السياسة الاقتصاد والتنمية والحريات ونحوها، وهذا الأمر يطلق يد المتنفذين في النظام السياسي ليفعلوا ما يشاؤون، في ظل غياب الجهات ذات العلاقة.

٢. المساهمة بفعالية في بناء مجتمع مدني قوي وقادر، قائم على أساس الحكم وسيادة القانون، لأن المجتمع المدني لا يمكن له أن يكون فاعلاً بدون تنظيم علاقاته مع السلطة الحاكمة، وخاصة على صعيد الإطار القانوني، وأن تكون هذه المساهمة منطلقة من مصالح وأولويات المجتمع المحلي، وحاجاته التنموية والارتقائية المحورية.

حين يتحدث الباحث عن علاقة الجهات الأهلية التي تريد أن تشكل عامل ضغط على النظام السياسي مع هذا النظام، فإنه يضع ذلك مقيداً بكون هذه العلاقة منطلقة من

^{١٣٠٤}. كما هو الحال في الواقع الفلسطيني القائم، حيث تم تشكيل العديد من التجمعات النقابية وأطر العمل المؤسساتي في فلسطين في أكثر من مسمى، ولكنها ظلت في إطار الإحجام عن التدخل في القضايا الكبرى للشعب الفلسطيني.

حاجات المجتمع، فالحوار لأجل الحوار كارثة، والتفاوض على الأمور العامة مضيعة للوقت والجهد والطاقات، والعمل بعيداً عن تطلعات الشارع الفلسطيني سيزيد البعد بين المواطن والمؤسسات الأهلية لكونها لا تمثله فيما يطمح إليه.

٣. التأثير المستمر بالقوانين والتشريعات، والأنظمة والإجراءات والسياسات العامة لصناع القرار بشكل عام، والتواصل مع القيادات الحزبية لتأمين الضغط البناء والإيجابي، الذي يحقق المصلحة العامة للمواطن والوطن.

يتحقق ذلك من خلال فهم هذه المنظمات أو الاتحادات لطبيعة الظرف السياسي، ومنطوق القانون ومفهومه، والربط بين هذا وذاك من أجل إيجاد حالة من الاستقرار المجتمعي، تضمن حق المواطنة الكاملة، وترقى بالفرد إلى عالم الحرية الفكرية والسياسية والنقائية، والتي تشكل بدايات العمل التنموي المثمر.

لا يكفي هنا أن تتخذ هذه المنظمات والهيئات الأهلية موقف الطاعن المعارض، لأنها بذلك تزيد المشكلات ولا تحلها، بل تكون جزءاً أساسياً من هذه المشكلة، وإنما عليها أن تقدم البرامج والحلول، والصيغ التوافقية بين التيارات السياسية والسياسات المعمول بها، وأن تتحرك بأفق واسع في مجال سنّ القوانين واستصدارها، لتوافق حق المواطن بالعيش الكريم.

٤. التأثير بالرأي العام الأقليمي والدولي، ففي ظل حملة إعلامية مسعورة يشنها الاحتلال الصهيوني والقوى الاستعمارية العالمية، يحتاج الشعب الفلسطيني كأولوية هامة في أجندة العمل الخاصة به إلى جبهة ضاغطة على المجتمع الدولي، والرأي العام العربي والأوروبي والعالمي من أجل نصره الحقوق الوطنية الفلسطينية، وردع العدوان الصهيوني، ووقف الجازر والتشريد والاعتقالات والسجون.

على المنظمات الأهلية أن تنطلق في هذه الناحية مسلحة بوعي ومنطق، وحكمة ودبلوماسية في الخطاب، حتى تستطيع التأثير الإيجابي في شعوب العالم باتجاه الالتفاف على حق الشعب الفلسطيني، ونصرته في قضاياها العادلة، دون أن تضع في اعتبارها أن كل من هو غربي

فهو مجرم، فالشعوب الغربية بعيدة عن الحدث السياسي، وليس أمامها إلا أن تصدق ما يصلها من خلال الإعلام، والسبق هنا لمن جدّ وأبدع.

٥. أن لا يغيب عن نظر المجتمع المدني الراغب في الضغط أن دور المنظمات الأهلية والمؤسسية في متابعة عملية الإصلاح دور مركزي وفاعل، وأقصد به الإصلاح العام في أداء النظام السياسي، وتحقيق المكتسبات الخاصة بالمواطنين ومنظمات المجتمع المدني، لن ذلك يعتبر الخطوة الأولى في الاتجاه السليم (١٣٠٥).

يتمثل ذلك من خلال المتابعة الدقيقة لما يصدر عن الجهات الحاكمة من قوانين تتعلق بالإنسان الفلسطيني، والواقع الفلسطيني العام، وقوانين المجتمع المدني، ليتم بعد ذلك التدخل في الضغط على النظام لتطوير القوانين وتحويلها وفق المصلحة العامة، هذا إذا لم تمكن المنظمات من المشاركة في صنع القرار أصالةً.

لأن الأنظمة تميل بطبيعتها إلى حب فرض العمل التسلسلي المربوط بها، فإن من واجب التيارات والحركات الاجتماعية ومنظمات المجتمع المدني إلى غلّ يد السلطة عن انتهاك القانون، أو التعدي على الملكيات الفردية أو العامة، أو تهميش القوانين المتعلقة بحريات الأفراد والمؤسسات، فالرقابة المطلوبة هي طور تمهيدي لفرض القانون، وللضغط باتجاه تعديل القوانين لتطوير الواقع العام.

٦. أهمية تطوير أوضاع المنظمات والتيارات والحركات الاجتماعية والنقابية الداخلية، وتعزيز بنائها الشورى القائم على التفاهم والسعي للأفضل، وتعزيز مبادئ الحكم السليم فيها لكي تتمكن من الاستجابة للمتطلبات الجديدة التنموية والاجتماعية والسياسية.

^{١٣٠٥}. انظر في ذلك: المنظمات غير الحكومية / عزت عبد الهادي / على الموقع الإلكتروني لمركز المعلومات الوطني الفلسطيني على الانترنت / موضوع بعنوان: رؤية أوسع لدور المنظمات الأهلية الفلسطينية في عملية التنمية "ورقة مفاهيم".

في الإطار ذاته، فإن على المنظمات المختلفة أن تبادر إلى فتح باب العضوية فيها لتستوعب الكفاءات والطاقات الموجودة في المجتمع، ولضمان أن يسري في عروقها دم جديد، وهمة مستحدثة، وهي عوامل هامة في التأثير والضغط ورسم السياسات.

٧. تطوير الوعي المجتمعي، لأن الوعي في المجتمع هو الرهان الحقيقي لاحتضان العمل الموجه من جهات الضغط، وهو الغطاء الشعبي الجماهيري لها في تحركاتها المختلفة.

يتم ذلك من خلال إشراك المجتمع المحلي في نقاش مشاكله بنفسه، وإتاحة الفرصة له للإطلاع على أفكار وآراء النخب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المختلفة، ليصل إلى تقرير وجهته في المسائل المختلفة، مع عدم ترك هذا الجاني حكراً على السلطة الرسمية.

٨. تحويل العمل الأهلي والمجتمعي من عمل إغاثي إلى عمل تنموي، وقلب الواقع من خلال رسم أهداف جديدة، ومستويات جديدة من العطاء، ترتقي بالمجتمع بفكره وواقعه الاقتصادي والنفسي على حد سواء، وهذا يسهم في دفع عجلة التمدن والتطور، ووجود تفاهم تنسيقي بين المنظمات الأهلية والمجتمع الحاضر.

جاء في التعداد العام للمنظمات الأهلية الفلسطينية:

لم يعد الدور التنموي المهم الذي لعبته المنظمات غير الحكومية الفلسطينية مثار جدل وخلاف، فالتجارب والإمكانيات التي راكمتها معظم هذه المنظمات عبر تاريخها الطويل نسبياً يمنحها القدرة على التأقلم مع الواقع السياسي الجديد والاستمرارية، لكن هذا لا يبرر استمرار غياب استراتيجية عمل ناظمة لأنشطتها وبرامجها مستندة إلى تقدير دقيق وواقعي

لحاجات المجتمع بشكل عام، وإمكانيات هذه المنظمات وحاجاتها والقيود المفروضة عليها بشكل خاص، ومدى التوافق بينهما (١٣٠٦).

١٣٠٦. النسخة الإلكترونية من كتاب: تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة / إعداد: ياسر شليبي وآخرون / موجودة على الانترنت، وقد تمت هذه الدراسة الخاصة بالتعداد في العام ٢٠٠١

٠٢

٩. العمل بنظام التشبيك ((Networking)) .

في عالم انتشار المعارف والخبرات، كانت المنظمات الأهلية والنقابات والحركات الاجتماعية تجد نفسها أمام متغيرات متسارعة، وتطور سريع في أدوار العمل المدني والأهلي في مجالاته المتعددة، وهذا الأمر خرج بالمؤسسة من إطار التنافس مع المؤسسات الأخرى - أو هكذا يفترض - إلى طور التنسيق المباشر مع (الغير) المؤسساتي من أجل رفع سقف التنمية وتمكين المجتمع المدني.

نظام التشبيك المعمول به عالمياً، يعني فتح أبواب الاتصال وتبادل المعارف والخبرات، وتنسيق المواقف والخطوات العملية بين مؤسسة وأخرى، سواء على مستوى الوطن أو الإقليم أو على رقعة العالم، وذلك لضمان إبلاغ العالم بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني من خلال التنسيق بين منظمات المجتمع المدني، لكشف الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان، والتأثير بالرأي العام العالمي باتجاه دعم ومساندة الحقوق الوطنية الفلسطينية.

لا يمكن لعامل أن يتصور من جهات الضغط أن يتطور أداؤها وهي محصورة في إطار الذات، تعتمد على (أنا) المتوقعة على نفسها، ومفاهيمها ونظرياتها القيمة، لأن التغيير الإيجابي في مستويات الأحداث يتطلب نمواً في مستويات التفكير وجوانب الأداء، وهذا يتم بصورة حيوية نشطة من خلال زيادة نفوذ جماعات الضغط، وامتلاكها لإيادٍ أخرى في عملية الضغط المثمر، ولبلورة رؤية تنموية ومجتمعية وثقافية متكاملة.

يقول المتابعون:

إن المسألة الجوهرية هنا، تتعلق ببداية تبلور رؤية واضحة حول ضرورة وجود قطاع أهلي منسجم له خصائص وسمات ومصالح خاصة به، بهدف تنظيم علاقته بالقطاع العام والخاص. لن تتمكن المنظمات الأهلية والمجتمع المدني من صياغة متكافئة لشروط التعاقد مع الدولة والقطاع الخاص إذا لم تكن موحدة، وإذا لم تبلور رؤى مشتركة وواضحة لموضوعات

التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وأبعد من ذلك، لموضوعات السياسة بالمعنى الواسع للكلمة (١٣٠٧).

من الإنصاف أن يذكر الباحث هنا حراكاً فلسطينياً بطيئاً للغاية في مسألة التشبيك الداخلي الناظم لعمل الضغط باتجاه تنمية المجتمع وتحقيق المواطنة الكاملة للفرد في مجتمعه.

حيث وجد الباحث في فلسطين مجموعة من المسميات الناظمة لعمل المنظمات الأهلية والنقابات المهنية (١٣٠٨)، ولكنها لم تأخذ دورها على المستوى السياسي، ولم تكن تشكل مجال جهة ضغط على صناع القرار، ولكنها تشكل بداية لتلاقي الجهود، وخطوة في الاتجاه الصحيح.

١٠. أن يتم تشكيل جماعات الضغط هذه وفق احتياجات المجتمع الفلسطيني، ووفق نظام الأولويات فيه، إذ إن المجتمع الفلسطيني يمر بانتكاسات اقتصادية وتنموية ومعرفية وسياسية وبيئية وحضارية، والعمل المفتوح فيها قفزة واحدة سيؤدي إلى بعثرة الجهد وعدم تحصيل النتائج، ولكن العمل المنهجي المتزن سيثمر، وإن أخذ فترة زمنية أطول.

جاء في الدراسات البحثية الفلسطينية:

... ولا شك أنه من الضروري بعد أكثر من خمس سنوات على قيام السلطة الوطنية الفلسطينية صياغة استراتيجية تنمية شاملة تؤسس للمرحلة اللاحقة، وتستجيب للاحتياجات المجتمعية. وتقع المسؤولية الكبرى في صياغة هذه الإستراتيجية على عاتق السلطة الوطنية الفلسطينية وعلى المنظمات غير الحكومية التي راکمت من الخبرة والقدرات ما يسمح لها بالمشاركة الفعالة في عملية البناء والتنمية. ولا بد للمنظمات غير الحكومية (كونها موضوع

^{١٣٠٧}. المنظمات غير الحكومية / عزت عبد الهادي / على الموقع الإلكتروني لمركز المعلومات الوطني الفلسطيني على

الانترنت / موضوع بعنوان: رؤية أوسع لدور المنظمات الأهلية الفلسطينية في عملية التنمية "ورقة مفاهيم".

^{١٣٠٨}. مثل: شبكة المنظمات الأهلية الفلسطينية، والاتحاد العام الفلسطيني للجمعيات الخيرية، والهيئة الوطنية للمنظمات غير الحكومية.

الدراسة هنا) من زيادة درجة ملاءمة برامجها وخدماتها لاحتياجات أكبر قطاع من المجتمع وبأعلى درجة ممكنة من الكفاءة (١٣٠٩).

بذلك، يمكن للمجمع المدني الفلسطيني أن يتحرك بصورة فاعلة من خلال التجمعات النقابية الحقيقية التي تعمل وتتحرك من خلال ((لعبة فريق)) (١٣١٠)، وتبني سياساتها في التغيير على أسس واضحة، تنطلق من خلالها لتحقيق رغبات الشعب وتوجهاته وهي تستند إلى قوتها الناتجة عن التجمعات النقابية والمهنية المؤثرة.

الافتراق والتقاطع بين الأحزاب السياسية والتيارات الضغط

الحقيقة أن ثمة فروقاً بين طبيعة الحزب أو التكتل السياسي وبين جماعات أو تيارات الضغط الموجودة في أي مجتمع، وهذا الفوارق من وجوه، أهمها:

١. أن الهدف العام من وجود تيارات الضغط هو توجيه الرأي على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو نحوهما إلى قضية ما نشأت وعملت جماعات الضغط لتحقيقها، بينما تهدف الأحزاب إلى:

إثارة الاهتمام وتكثيفه وتشجيعه، وإيقاظ روح المسؤولية لدى المواطنين بالنسبة للقضايا التي تعرض لهم وتؤثر في مجريات حياتهم (١٣١١)
مع تقديمه للحلول في المشاكل التي يتعرض لها المجتمع بشكل عام (١٣١٢)، لحث المجتمع على اختيارها لتعديله من خلال مراكز صنع القرار.

١٣٠٩. النسخة الإلكترونية من كتاب: تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة / إعداد: ياسر شلي وآخرون / موجودة على الانترنت، وقد تمت هذه الدراسة الخاصة بالتعداد في العام ٢٠٠١ م.

١٣١٠. قيادة السوق / د. طارق السويدان / ضمن سلسلة الاتجاهات الحديثة في الإدارة (٣) / قرطبة للإنتاج الفني، وشركة الإبداع الخليجي / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م) / ص ٩٢.

١٣١١. الأحزاب السياسية والنظم الانتخابية / أحمد عادل / الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر / طبعة عام (١٩٩٢ م) / ص ٧.

يقول الاستاذ محمد الحنفي:

أما الأحزاب فلا تطرح إلا تصورهما لما يجب أن تكون عليه الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والمدنية، والسياسية، والذي تعمل من أجل الوصول إلى الأجهزة التقريرية، والتنفيذية، حتى تمتلك القدرة على المساهمة في سلطتي التشريع، والتنفيذ، مما يمكنها من أجرأة تصورهما من خلال القوانين، والبرامج الحكومية، حتى تتمكن من تغيير الواقع الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، والمدني، وفق التصور، أو التصورات الحزبية (١٣١٣).

٢. أن الحزب السياسي في مراحل التبادل السلمي للسلطة يقوم بتقديم أسماء شخصياته التي يختارها لتبوء المواقع الحكومية، ويعرضها على الشعب ليدعم ترشيحه لها، بينما يتوارى دور جهات الضغط في تلك الفترة، ولا تقدم مرشحين لها للرياسة والعمل الحكومي ونحوه علناً، وإن كان لها دور خفي في هذا السياق بكل تأكيد.

٣. أن الحزب السياسي يقوم على جملة من الثوابت التي يعممها على المجتمع، ويرتبط بها في مساره السياسي، سواء كان في الحكومة أو المعارضة، أما جهات الضغط، فإنها تعمل بأجندة مصلحة تحقق توجهات هذه الجهات، ولا تكون كمنطلقات ثابتة كشرط ثابت في تكوين أو عمل تلك اللجان.

٤. تعمل الأحزاب السياسية في العلن، من خلال مرجعياتها ومؤسساتها وهيئاتها الحزبية، ولها إطارها العلني الذي يدل عليها، ولها تسجيلها الرسمي في الدوائر الحكومية في

^{١٣١٢}. انظر في ذلك: البعد الاجتماعي للأحزاب السياسية - دراسة في علم الاجتماع السياسي / د. عبد الرضا حسين الطعان / دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد / الطبعة الأولى (١٩٩٠ م) / ص ٣١٩ - ٤١٠.

^{١٣١٣}. الموقع الإلكتروني: الحوار المتمدن / <http://www.rezgar.com> / موضوع بعنوان: العلاقة المتبادلة ما بين الأحزاب السياسية والمنظمات النقابية والجماهيرية / مقالة للاستاذ: محمد الحنفي / منشورة بتاريخ ٢٠٠٧/٥/٨ م.

البلدان المستقرة، ولا يشترط أن يعرف بناء الجسم الضاغظ أو حجمه من خلال الإحصاءات أو الوثائق، كما لا يشترط أن تعرف تركيبته التفصيلية.

٥. أن الأحزاب السياسية لا تشتغل على الملفات التي تشتغل عليها المنظمات النقابية، أو الجماهيرية، نظراً للطابع المطلي لعملها، والذي يختلف عن الطابع السياسي لعمل الأحزاب السياسية (١٣١٤).

كما أن هناك فروقاً في طبيعة وعمل التيارات السياسية والأحزاب عن جهات الضغط (اللوبيز)، فإن هناك قواسم مشتركة بينها، ومنها:

١. أن كلاهما يقوم على مبدأ التنظيم (١٣١٥).

٢. تأثير كل منها على الواقع السياسي، من خلال أداء الأحزاب السياسية على مسرح الأحداث في فترات الانتخابات، أو بعد الوصول إلى الحكم، وأداء جماعات الضغط في استصدار القرارات السياسية المتعلقة بالواقع، ووفق توجه كل منظمة ضغط.

٣. العلاقة التي تربط بين الأحزاب السياسية وجماعات لضغط من حيث الصلة بالجمهور، والانطلاق من بين تشكيلاته المختلفة، فالأحزاب نشأت من بين فئات الشعب وشرائحه، والجهات الضاغطة هي نتاج عملية مدنية أساسها المجتمع نفسه.

٤. نظراً لكون الأحزاب السياسية أعلى مرتبة من جهات الضغط وأوسع من حيث الحجم الكلي والانتشار، فإن هناك علاقة وثيقة بين الأحزاب والجماعات الضاغطة،

^{١٣١٤}. انظر في ذلك للاستزادة الموقع الإلكتروني: الحوار المتمدن / <http://www.rezgar.com>

العلاقة المتبادلة ما بين الأحزاب السياسية والمنظمات النقابية والجماهيرية / مقالة للاستاذ: محمد الحنفي / منشورة بتاريخ ٢٠٠٧/٥/٨ م.

^{١٣١٥}. انظر في أهمية وأشكال التنظيم ما كتبه الأستاذ جمال البنا في: عمال السودان والسياسة / ص ١٨٥ - ١٩٠.

سواء من حيث التنسيق بينهما في المواقف السياسية والاجتماعية والاقتصادية، أو من حيث ترتيب الفعاليات والأنشطة في السر والعلن على حد سواء، للوصول على نقاط تجمع بينهما في مجال النظام السياسي القائم، وسياسات الحكم لديه.

في ذلك يقول الأستاذ أحمد عادل:

كذلك، فإن جماعات المصلحة، مثل رجال الأعمال، أو العمال، أو الزراع، يتطلعون من خلال تشريعات الكونغرس، مثل الدعم، والضرائب المحفزة، وما إلى ذلك، وهم يعتمدون على الرئيس من أجل تعيين مديرين أكفاء متعاطفين معهم، في اللجان التنظيمية القوية، مثل لجان التجارة الاتحادية، والتجارة بين الولايات، وسوق السندات، أو التأثير في اختيار الرئيس لأعضاء المحكمة العليا، ذلك أن الجماعات الاجتماعية تطلب تشريعات مواتية في مجال الصحة والتعليم والإعاشة والحريات المدنية وغيرها (١٣١٦)
ولا يقتصر الأمر على هذه العلاقة بعد الانتخابات، بل يسبقها تمهيد وتأثير حقيقي في الميل لصالح الحزب الذي يكسبهم مجالات عمل أرحب.

٥. ارتباط بعض جهات الضغط أصلاً بالتيارات والأحزاب السياسية (١٣١٧)،
ولو من خلال علاقات سرية مكتومة، حيث إن الأحزاب السياسية تنشط في بناء أجسامها المؤسساتية، وتكدر من أجل التفوق في المجالات النقاوية، وهي البيئة الخصبة لنمو تيارات الضغط، وذلك يعني وجود أواصر مشتركة يمكن تنميتها أو توجيهها من خلال وجود الأحزاب الفاعل في المؤسسات والمنظمات الأهلية والمهنية والنقاوية.

٦. ومن التشابه بين التيارات السياسية والجماعات الضاغطة، أن كلا الفريقين قادر على التأثير من خلال حشد الجماهير حوله، وتحريك الشارع في المجتمع من خلال حراك الكوادر الأساسية والتنظيمية والمؤيدين والمناصرين، وهي سمة مشتركة بين الحزب السياسي وجماعة الضغط.

١٣١٦. الأحزاب السياسية والنظم الانتخابية / ص ١٤٨.

١٣١٧. انظر في ذلك مثلاً: عمال السودان والسياسة / ص ١٠ - ١٥.

المطلب الرابع

اقتناص الفرص الممكنة

يشهد التاريخ أن كثيراً من التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كانت نتيجة تحول مفاجئ، وطفرة في العمل، وحالة غير متوقعة من النمو أو الإبداع حصلت باتجاه من الاتجاهات، كان لها أثر على الواقع العام بصورة جذرية وفاعلة.

لعل هذا الأمر يخرج من دائرة الصدفة؛ ليدخل في مجال اقتناص الفرص، حيث يشير العلماء إلى أن ((الأحداث العظيمة يصنعها اقتناص الفرص، والفرصة: هي اللحظة التي تبدوا فيها عوامل النجاح متوفرة، ولحظة العمل المنتج قائمة، أو هي عبارة عن ظرف مناسب للتقدم)) (١٣١٨).

يدخل البعض اقتناص الفرص في مجال التدافع الحضاري والبشري، ويعطيها ميزة التميز بكونها تنتقل بالجهة أو الفرد المقتنص لها من حالة التأثير إلى حالة التأثير، حيث يقول الدكتور جاسم المطوع في ذلك: ((قانون الفرصة هو جزء من عملية التدافع، وهو يعني الانتقال من مقعد المفعول به إلى مقعد الفاعل)) (١٣١٩).

يحتاج الواقع الفلسطيني بسبب وجود الاحتلال الصهيوني على التراب المحتل إلى هذه المعاني القيمة في العمل، وأن يتنبه المفكرون والرواد فيه إلى هذه الحقيقة بصورتها الفاعلة،

١٣١٨. القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري " قوانين النهضة " - ضمن سلسلة: مشروع النهضة - سلسلة أدوات القادة / د. جاسم محمد سلطان / مؤسسة أم القرى للتوزيع والنشر - مصر / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٢٠١.

١٣١٩. القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري " قوانين النهضة " - ضمن سلسلة: مشروع النهضة - سلسلة أدوات القادة / د. جاسم محمد سلطان / مؤسسة أم القرى للتوزيع والنشر - مصر / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٢٠١.

ليكونوا بحق رجال تغيير، وأصحاب قدرة تأثيرية تعتمد على الفعل المؤثر في مواقفته التي لا يتوقعها العدو، وبصورة لا تخطر على بال من يواليه أو يعمل تحت سقف توجهاته.

المفكرون الاستراتيجيون ينبهون إلى ضرورة التنبيه إلى نقاط ضعف الخصم لاقتناص الفرص، مع تأكيدهم على لزوم الجاهزية الدائمة والمستمرة لاقتناص أي فرصة سانحة، لكون الفرص لا تأتي بمواعيد وظروف محددة

حيث يقول " سان تسو " المنظر الصيني الاستراتيجي المعروف: بعد تمام الاستعدادات لا يتحقق النجاح إلا إذا وجد ضعف في استعدادات الخصم، بمعنى آخر، أننا نمتلك ٥٠ % من أوراق اللعبة أو الصراع والتي تكمن في تمام الاستعدادات، أو إعداد الأوراق، وأما الخمسون في المائة الأخرى فتقع في دائرة ضعف الطرف الآخر، بأن يغفل عن جزئية من الجزئيات، أو عن جانب من الجوانب، فيتم اقتناص هذه الفرصة الناتجة عن غفلة الخصم (١٣٢٠).

يضرب الباحث لذلك صورة واحدة، وهي صورة معلومة في جمهورية السودان، حيث تم استثمار خطوة بناء السكة الحديد من قبل الاحتلال البريطاني لتشكيل بمجموع العمال الموجودين فيها بؤرة تحرك نقابي مؤثر على الساحة، حيث جاء في إحدى نشرات اتحاد عام عمال السودان:

في سنوات الحكم البريطاني للسودان، أنشئت شبكة للسكة الحديد، والتي أصبحت مركزاً لأكبر تجمع عمالي في البلاد (١٣٢١).

^{١٣٢٠}. القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري " قوانين النهضة " - ضمن سلسلة: مشروع النهضة - سلسلة أدوات القادة / د. جاسم محمد سلطان / مؤسسة أم القرى للتوزيع والنشر - مصر / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٢١٢ .

^{١٣٢١}. نشرة بعنوان: نحو تنظيم وطني ديمقراطي / ضمن ملفات مؤتمر الحوار النقابي / مكتبة اتحاد عام عمال السودان - الخرطوم / ص ١ .

وحينما تكون الأمة الإسلامية ضعيفة، متشرذمة متفوقة على نفسها؛ تشغلها همومها الذاتية، ويسودها الجهل بالقيم والأهداف، فإن عدوها الهمجي يؤثر - من باب الحكمة - عدم الاصطدام بها لئلا تلتئم جبهة المسلمين ويتوحدوا ليواجهوا عدوهم المشترك، ولكن الأمة المسلمة إذا امتلكت الشوكة، أو باتت لها قوة - ولو يسيرة - فإن عيون البوم ترصدها وتحدد طبيعتها، ليقوم بضربها في أول فرصة سانحة متاحة.

كذلك حال المريض.. يعلمنا فلسفة الفهم للحياة، فالمريض الموجود على سرير المرض الشديد إذا تحدث، وبدأ يحرك شفاهه بسلاسة، فإن لذلك مدلولاً واضحاً على تحسن حالته الصحية، وإذا كان واقع المريض آخذاً بالذبول، وانتقل من حالة الكلام إلى حالة الصمت والسكوت فإن في ذلك دلالة على تردي الوضع الصحي للمريض، وسيره من سيء إلى أسوأ.

والأمة الإسلامية اليوم كحال المريض الأول، أعيائها المرض ردياً من الزمان، فلملمت جراحاتها، ووضعت على جرحها الراعف بلساً يلجم ألمه ونزيفه، وبدأت تتكلم ويعلو صوتها، وهذا ما فهمه العدو بأنه نمو للإسلام من جديد، في أصالة مستمدة من الماضي العريق، وتجديد يستوعبه الدين، وحضارة يراد لها أن تعود وتسود، برجالها الصيد، ومنهاجها الإلهي المجيد.

يقول سمير عبده في أحد مؤلفاته الخاصة بعلم النفس:

فإذا واجهتك المشاكل فلا تدع لليأس مجالاً بل ضع نظاماً منطقياً لمعالجتها، قسم وقتك مثلاً إلى فترات، وعالج في كل فترة منها وجهاً من وجوه المشكلة، لأنك إذا حاولت معالجة وجوهها كلها دفعة واحدة وفي فترة واحدة، فأنت تحمل نفسك ما لا طاقة لك به، وهذا يزيد في همومك وانفعالاتك، وقد قال أحدهم: "إذا حملت نفسك هم حل جميع مشاكلك زدت في همومك هما جديداً، وإذا حملت نفسك حل جانب منها فقد حلتها جميعاً" (١٣٢٢)

١٣٢٢. مشكلات الإنسان في التحليل النفسي / سمير عبده / منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت / الطبعة الأولى

وهذا معناه أن يحدد الطبيب الداء، ويشرع بعلاجه بدقة وتخصص وتؤدة حتى يزول المرض.

بناءً على ذلك، وجب على المفكرين والرواد في التغيير في الواقع الفلسطيني أن يجهزوا أنفسهم على الدوام، وأن يتفلسفوا في الواقع الفلسطيني، بقوانينه، وظروفه، ومعطياته المختلفة، ليتمكنوا بعد الاستعداد الذاتي من اقتناص أي فرصة سانحة للرقى والتقدم، على مستوى التشكيلات النقابية المتنوعة، أو تشكيل جهات الضغط، أو التوجه بالشعب في لحظة مناسبة نحو تحقيق قفزة نوعية في العمل أو طبيعته أو شكله أو مضمونه.

المطلب الخامس

النهوض من خلال المفاوضة الجماعية

ضمن التعاطي مع حقيقة تكامل الأهداف التربوية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية (١٣٢٣)، وتعزيزاً لوجود النظرة الاستراتيجية المعتمدة على التنمية التعاونية بين الأفراد والمؤسسات من جهة، وبين المؤسسات والدولة من جهة أخرى (١٣٢٤)، فإن أمام المجتمع المدني الفلسطيني فرصة سانحة للتقدم والتطور من خلال العمل بنظام التفاوض الجماعي الهادف والمؤصل.

لا يقصد بالتفاوض الجماعي صورته الروتينية بين الفرد والفرد؛ في إطار تلبية رغبة قاصرة، أو الوصول إلى غاية جزئية محدودة، فهذا هو الوجه الروتيني الطبيعي للمفاوضات الحاصلة من غير تخطيط ولا ترتيب، حيث يقول الأستاذ عبد السلام عياد: والمفاوضات هي وسيلة أساسية يستخدمها الإنسان للحصول على ما يريده من الآخرين، في البيت، في العمل، في السوق، في الشارع.. إلخ، فالزوج يتفاوض مع زوجته حول مصروف البيت... وأنت تتناقش مع رئيسك وزملائك حول أسلوب العمل (١٣٢٥).

لكن المقصود الحقيقي للمفاوضة الجماعية، هو أن تقوم النخب المثقفة، ورواد العمل المدني، من خلال الجهات المؤسساتية التي يمثلونها بعمل جلسات علمية هادفة، يتبادلون من خلالها المعارف، ويقفون على التجارب السابقة للغير أو للذات، تقييماً ودراسة، ويتناولونها

١٣٢٣. عولة عادلة (توفير الفرص للجميع) / اللجنة العالمية المعنية بالبعد الاجتماعي للعولة / منظمة العمل الدولية - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ١٠٤.

١٣٢٤. ديناميكية التعاون كأداة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية / محمد أحمد داؤد / مطبعة دينا الحديثة - الخرطوم / طبعة عام (٢٠٠٢ م) / ص ١١٢ - ١٧٢.

١٣٢٥. المفاوضة الجماعية / أ. عبد السلام عياد / المؤسسة الثقافية العمالية / الطبعة الأولى - دون ذكر السنة / ص ٣

بصورة تجعل منها منطلقات يعتمد عليها في المراحل المستقبلية من خلال الجهد الجماعي العام، وهذا هو لبُّ مفهوم المفاوضة الجماعية (١٣٢٦).

فإذا كان التفاوض بصورته الهشة المفزّمة يمثل أسلوباً من أساليب التعامل البشري؛ كما يراها الأستاذ عبد السلام عياد بقوله:

إن التفاوض حقيقة من حقائق الحياة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها، وهو واقع مرتبط بحياة الإنسان، وكل إنسان منا يعتبر طرفاً في كثير من المواقف التفاوضية الدائمة والمستمرة، ولو تابعنا ما يحدث يومياً من أمور حياتنا لتبين لنا أن كل فرد منا يمكن اعتباره مفاوضاً يتفاوض على شيء ما، حتى دون أن يدري أنه يفعل ذلك (١٣٢٧)

فإن قلب هذا المفهوم من شكله الروتيني إلى جانب من جوانب الإبداع في العمل المدني ممكن، بل واجب؛ لترتب الكثير من الآثار الإيجابية عليه، للفرد والمؤسسة والمجتمع.

المجالات التي يمكن أن تثمر فيها المفاوضة الجماعية عديدة، ولكن ينبغي قبل الحديث عنها أن يتم العمل من خلال نظام التفاوض الجماعي وفق الصورة الآتية؛ ليؤتي أكله على نحو ما يراد منه، ومن هذه الصور:

١. أن يتم التفاوض من خلال رغبة مسبقة من الأطراف المسبقة المشاركة في هذه العملية بإحداث التغيير والتفهم المتبادل للحالات والوقائع، وأن لا يكون مندرجاً في قائمة النشاطات العامة والتنسيقية كحالة روتينية لا يراد لها أن تنمو.

٢. أن تتم هذه المفاوضات من خلال أهل الاختصاص، وصناع القرار الحقيقي من نخب المجتمع المدني الفلسطيني، ومن أهل القدرة على بيان المواقف، ودراسة الأبعاد المختلفة للتصرفات القولية والفعلية على صعيد الفرد والمسؤول والمؤسسة، حتى يكون مستوى التفاهم،

١٣٢٦. انظر: الحماية الدستورية والقضائية للحقوق الأساسية في العمل / منظمة العمل العربية / مكتب الإعلام بمنظمة العمل العربية / إعداد: د. محمود سلامة جبر / ص ٨٣ - ٨٥.

١٣٢٧. المفاوضة الجماعية / أ. عبد السلام عياد / المؤسسة الثقافية العمالية / الطبعة الأولى - دون ذكر السنة / ص

وطبيعة النقاش، متجهاً نحو أفقٍ سامٍ عالٍ، لا حواراً مفرغاً من مضامينه وأشكاله الحقيقية، فالتفاوض إنما يتم للوصول إلى نتيجة، والمتقف، والمختص، والخبير، والشخص الفاعل المؤثر، هم أقدر الناس على الوصول إلى التغيير الحقيقي من خلال التفاوض الجماعي.

٣. أن تعتمد المفاوضات على أسس سليمة، وقواسم مشتركة يلتقي عليها كل الاطراف، وفي الحالة الفلسطينية هناك الآلاف من القضايا المشتركة، والتي تصلح لأن تكون على جدول أعمال أي عمل تفاوضي بين النخب الواعية، كمسائل البطالة والفقر ونشر الوعي ونحوها.

وكلما ارتفع مستوى التفاوض، وارتقت الشخصيات المشتركة فيه، واستطاعت أن تلتقي على جداول الأعمال، كلما كان النفع أعم وأشمل، فالمستويات التي يتم التفاوض من خلالها لها اعتبار، والرؤساء بإمكانهم تأسيس حالة من التلاقي من خلال التفاوض أكثر مما يمكن للمؤسسات أن تصنعه، والمؤسسات بدورها أقدر من الأفراد وهكذا..

يقول الأستاذ عبد السلام عياد: ((وكما أن المفاوضات تحدث بين الأفراد، فإنها تتم أيضاً بين المنظمات المختلفة، سياسية واقتصادية وجماعية... والدول والحكومات تتفاوض أيضاً مع بعضها البعض لحل الخلافات وحسم المشاكل وإنهاء أسباب النزاع)) (١٣٢٨) و يبقى أن يتم وضع أفق لاستثمار هذه المفاوضات ليتحقق المطلوب منها.

ومن القضايا التي يمكن أن تناوّلها المفاوضات الجماعية في الواقع الفلسطيني على سبيل المثال لا الحصر: قضايا زيادة الوعي الشعبي بثقافة المجتمع ودوره (١٣٢٩)، وإبراز

١٣٢٨. المفاوضات الجماعية / أ. عبد السلام عياد / المؤسسة الثقافية العمالية / الطبعة الأولى - دون ذكر السنة / ص

.٤

١٣٢٩. عولة عادلة (توفير الفرص للجميع) / اللجنة العالمية المعنية بالبعد الاجتماعي للعولة / منظمة العمل الدولية

- حنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) / ص ٦٥ - ٦٧.

الترتيبات الطوعية والمؤسسية لتعزيز قدرة المجتمع على التعاملات المالية (١٣٣٠)، وترتيب برامج العمل في جانب الرقابة على الأداء الحكومي، ومناقشة استثمار صناديق الزكاة في إحداث التنمية الاجتماعية الحقيقية من خلال المشاريع الرائدة (١٣٣١)، ونحو ذلك من أمور.

سيطرح الباحث مسألتين اثنتين في هذا الصدد، يمكن استثمارهما بشكل كبير لتحقيق نفع بالغ، وهما: مسألة استثمار الوجود النصراني في فلسطين، ومسألة المرأة الفلسطينية المثقفة من ذوات الاتجاهات الفكرية والعملية التي تتصادم مع التوجه الإسلامي.

فالمسيحيون الموجودون في فلسطين منذ القدم (١٣٣٢)، برغم تضائل عددهم المستمر، يشكلون تياراً في المجتمع الفلسطيني، ولهم حضور في الساحة الخدمية من خلال أدائهم في المؤسسات التابعة لهم، وقد كان لهم العديد من المشروعات المشتركة في فلسطين، والتي كان لها أثر طيب على القضية الفلسطينية برمتها (١٣٣٣).

فمن خلال المفاوضات الجماعية، يمكن بناء جسور حقيقية من الثقة مع النصراني الفلسطينيين الموجودين في بعض المدن الفلسطينية، وزيادة التواصل معهم لتحقيق أهداف وغايات نبيلة، تصب في النهاية في مصلحة القضية الفلسطينية التي هي قضية مشتركة، إضافة

1330. Look: ALTERATIVE SCHEMES OF FINANCING TRAINING / EDITED BY: VLADIMIR GASSKOV / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE – GENEVA / F. P (1994) / P.8

١٣٣١.. انظر في ذلك: أثر جهود الإنقاذ في تزكية المجتمع – سلسلة إصدارات الوعد الحق (٣٠) / المركز القومي للإنتاج الإعلامي / الشيخ عبد الجليل النذير الكاروري / دار الفكر – بيروت / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م) / ص ٦٧ – ٧٣.

١٣٣٢. انظر: المجموعة الإحصائية الفلسطينية (١٩٨٣ م) – العدد الخامس / الدائرة الاقتصادية – منظمة التحرير الفلسطينية / المكتب المركزي للإحصاء – دمشق / طبعة عام (١٩٨٣ م) / ص ١٢٧ – ١٢٨، وهناك جداول وإحصائيات كثيرة وهامة عن القضايا المتعلقة بالمسيحيين في فلسطين يرجع لها للاستزادة.

١٣٣٣. مثل اشتراكهم في الهيئة الإسلامية المسيحية للدفاع عن المقدسات في فلسطين.

إلى ما يمكن تحقيقه في مجال التعاون والتنسيق المشترك بين النقابات والهيئات والمجالس المحلية (١٣٣٤) والهيئات المختلفة.

المسألة الثانية التي يريد الباحث الخوض فيها، هي ضرورة الاعتناء بالكفاءات العلمية من التيارات النسوية الموجودة في الساحة الفلسطينية، لكونها قادرة - إن تحقق تحول فكرها بالاتجاه الإيجابي - على العطاء والتقدم بالمجتمع ككل، وقد تنفع أكثر من نفع جمهور من النسوة المسلمات المتفوقات على الذات.

يكفى مثلاً واستدلالاً واسترشاداً هنا قول الله تعالى: ((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)) (١٣٣٥)، فهل من ربيبات الفكر الغربي من يمكن أن تنقلب انقلاب زوجة فرعون؟

بالطبع نعم.. فالنشيطات الحزبيات، ومتصدرات العمل النسوي في فلسطين هن مسلمات في الأغلب، وإن كان ينقصهن وضوح التصور، ولكن حالهن العام، وتربيتهن في المجتمع الفلسطيني المسلم ستكون عوامل تأثير إيجابية فيهن.

لا يتحقق انقلاب التصور الذاتي من خلال التراشق الإعلامي، والحوار من خلال المناظرات والندوات العامة، بل من خلال جلسات حوارية هادئة بين العلماء والمثقفين - رجالاً ونساءً - مع هؤلاء النسوة من ذوات المؤهلات العلمية العليا، فهن يتميزن بالوعي، والقدرة على خطابهن المستنير من خلال المعطيات والتصورات الناضجة حاصلة.

^{١٣٣٤}. فللنصارى وجود فاعل في بعض المجالس المحلية، مثل بيت لحم، ورام الله، والتنسيق معهم حت من قبل حماس على مستويات عالية وحقيقية وذات جدوى، والمطلوب زيادة وتفعيل هذا الاستثمار للعلاقة من خلال التفاوض الجماعي لتحقيق فعل فلسطين أنضح وأعلى من المستوى المحلي المحصور.

^{١٣٣٥}. سورة التحريم / الآية ١١.

استمالة هؤلاء للصف العملي الحقيقي المنتج؛ سيؤثر على التركيبة النسوية في فلسطين، لا سيما إذا تم حسن اختيار الشريحة المستهدفة، والنخب التي ستفاوض معها للوصول إلى قواسم مشتركة؛ تمهد الطريق أمام التحول الفكري.

قياس تحقق فرضيات البحث

بعد الانتهاء من كتابة هذه الدراسة، فإن الباحث يعرض لقياس موضوعي لمدى تحقق الفرضيات التي تم افتراضها في مقدمة الدراسة، والذي جاء على النحو الآتي:

الفرضية الأولى: أن المجتمع المدني الغربي بما وصل إليه من مكانة مرموقة عبر صراعات تاريخية ونمو تراكمي؛ يشكل عصب الحياة الغربية، ومحور السياسات الداخلية والخارجية فيها.

تحققت هذه الفرضية من خلال بيان الباحث لطبيعة نشأة المجتمع الغربي، وما رافق نموه التاريخي في العالم الغربي من مراحل، وظهر ذلك جلياً في استعراض حال المجتمعات الغربية في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ونحوها، وما وصل إليه المجتمع المدني هناك من مكانة عظيمة في ترسيم السياسات الداخلية والخارجية.

الفرضية الثانية: أن العمل المؤسسي الهادف هو مناط الارتقاء بالمجتمع بكل مكوناته وعناصره، وأن الشعوب والأمم المتحضرة تولي هذا الأمر جانباً مميزاً من سياساتها النظرية والتطبيقية، لكونه ركيزة من ركائز الارتقاء والتطور.

ثبت تحقق هذه الفرضية من خلال بيان القوانين الدولية التي أتاحت حرية الحركة للمجتمع المدني، وأقرت القوانين العديدة التي تحفظ كيانه ودوره، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال استعراض الواقع القانوني للمجتمع المدني، وما تم بيانه من صور نشاط وآليات عمل المنظمات غير الحكومية في العالم الغربي.

الفرضية الثالثة: أن الشعب الفلسطيني قد استطاع هضم متغيرات الواقع برغم سوء الأوضاع فيه، وأنه قفز على جراحاته، واستطاع أن يلحق بقطار التمدن والعمل

المؤسساتي الناضج بشكل يوازي بل ويسبق فيه كثيراً من البلدان العربية والإسلامية الأخرى.

تحققت هذه الفرضية بشكل جزئي، حيث تم بيان واقع المجتمع المدني الفلسطيني، وبيان حال المنظمات غير الحكومية فيه، وكونها موجودة على الأرض، برغم قصور دورها عن المطلوب.

فقد كان لواقع المنظمات غير الحكومية الإسلامية في فلسطين دور فاعل في السبق في تفعيل المجتمع المدني، من خلال ما تم بيانه من أنشطتها وبرامجها، وهو الأمر الذي استدعى التوجه المباشر من الاحتلال للقضاء عليها ومحاصرتها.

لكن فاعلية المجتمع المدني الفلسطيني بصورتها المطلوبة بقيت غير متحققة نتيجة ظروف تراكمية فرضها وجود الاحتلال، وسياسات السلطة، وقصور المهمة عند بعض العاملين في القطاع الأهلي والتقابي.

الفرضية الرابعة: أن القطاع المؤسساتي والأهلي في فلسطين هو حجر الزاوية في المعادلة الفلسطينية، وهو العنصر الأهم في معادلة الصراع، لكون المؤسسة محضناً فعلياً للفرد والأسرة والأجيال، وشرائح المجتمع المختلفة.

تحققت هذه الفرضية أيضاً، وتم بيان وجودها من خلال التركيز على دور منظمات المجتمع المدني الفلسطيني في رعاية المجتمع، وتكفل شرائحه المختلفة، وهو ما تم التأكيد عليه أيضاً من خلال بيان التوزيع الموجود لمنظمات المجتمع المدني الفلسطيني على الاتجاهات والجوانب الخدمائية المتنوعة.

ما تم ذكره في مجال علاقة المجتمع المدني الفلسطيني بشرائح المجتمع الفلسطيني الثلاث (المرأة، الشباب، الطفولة) يدل على ذلك، برغم وجود ترددي في بعض المجالات على صعيد الممارسة.

الفرضية الخامسة: أن المؤسسات الإسلامية في فلسطين تكتسب طابعاً فريداً من السلوك العملي والمهني في العمل المؤسسي، مما يجعل هذه المؤسسات رائدة في مجالات عطاؤها وخدمتها المجتمعية.

تحققت هذه الفرضية من خلال بيان الباحث لما قدمته هذه المنظمات من أداء في تصدير الكفاءات المجتمعية على مدار التاريخ الفلسطيني، وما كان لها من دور في التأثير على شرائح المجتمع المختلفة في ميدان العمل السياسي، والأثر الكبير لها في تأطير الفلسطينيين نحو الخيار الإسلامي، وهو ما أفرز النمو الحاصل في الساحة الفلسطينية في المجالات الإسلامية المتنوعة.

الفرضية السادسة: يحاول الصهاينة الغاشم كل جهده القضاء على شرارة النمو المجتمعي من خلال إخماد هذه الجذوة المتقدة التي تقودها الفعاليات الطليعية في المجتمع المدني على الأرض الفلسطينية، ويسخر كل طاقاته من أجل القضاء على تبشير النهضة بكل أشكالها، لأنها السبب المستقبلي الأقوى لتقويض وجوده، وزعزعة استقراره على أرض فلسطين السلبية.

ظهر تحقق هذه الفرضية من خلال بيان طبيعة الفكر الصهيوني، وخبرته بالواقع الفلسطيني في المجالات المتعددة، وما يمتلكه هذا العدو من ذراع مؤسساتية عالمية سخرها في ضرب القضية الفلسطينية.

كما وتم التأكيد على هذه الفرضية من خلال بيان أوجه استهداف الصهاينة لمنظمات المجتمع المدني الفلسطيني، ومحاولاته المستمرة لاجتثاثها وتقويض نشاطاتها واغتيال واعتقال كوادرها.

الفرضية السابعة: أن نموذج العمل النقابي والمديني الموجود في فلسطين قد ساهم مساهمة فاعلة في تثبيت الهوية الفلسطينية، والوقوف في وجه سياسات التهويد والتجهيل والتلاعب بالعقول والأفكار، من خلال آلة العدو الاستعمارية بكل أسمائها ومضامينها.

تأكدت صحة هذه الفرضية من خلال بيان واقع العمل المدني في مناطق الداخل الفلسطيني المحتل، وما تقوم به المنظمات غير الحكومية هناك من دور بارز في الحفاظ على الإنسان الفلسطيني ومواجهة مخاطر التهويد للمقدسات.

كما وتأكدت صحتها من خلال بيان دور النقابات والمنظمات الأهلية الفلسطينية في العمل السياسي والاجتماعي والاقتصادي على مدار التاريخ المتعلق بالصراع مع الاحتلال، وما كان لخدماتها تجاه الشرائح المتضررة والمعدمة من أثر على صعيد ثبات الشعب وميوله الفردية والجماعية.

الفرضية الثامنة: هناك نضوج فعلي في مستوى التصور النظري للعمل المؤسساتي الفلسطيني، بدأ مع نهاية القرن الماضي، وهو يسير بشكل متسارع في ميدان النهضة على صعيد تطبيق هذه النظريات والسياسات العامة، لتأخذ دورها في أرض الواقع، وقد تطور الفهم النظري أيضاً على مستوى الكادر المؤسساتي، الذي بات قادراً على ترسيم الأهداف وصياغة الوسائل وفتح الخيارات واقتناص الفرص، والإبداع في العمل بكل وجوهه.

ظهر ذلك بوضوح من خلال بيان وجود المجتمع المدني الفلسطيني في ظل الظروف التي يعيشها من حيث الأصل، فوجود المجتمع المدني الفلسطيني دلالة على نضوج العمل الفلسطيني.

وتبينت صحة هذه الفرضية أيضاً من خلال بيان أوجه العمل الإبداعي - وإن كانت فردية في كثير من الحالات - في وجود منظمات عاملة بنظام التشبيك، والمحاولات المستمرة لإيجاد روابط بين المنظمات المدنية، وفاعلية كثير من منظمات المجتمع المدني الفلسطيني الموجودة في الخارج.

الفرضية التاسعة: هناك خلل في التنسيق بين مؤسسات المجتمع يمنعها من أن تشكل جسماً ضاغطاً على الحالة السياسية الفلسطينية، وأن تكون قوة لها وزنها السياسي النابع من حجم ودور كل مؤسسة فيها، وغياب هذا الرابط الحيوي بين هذه المؤسسات قد ساهم في إقصاء كثير منها عن ساحة العمل، وتهميش عدد آخر منها.

تحققت هذه الفرضية أيضاً من خلال أكثر من وجه، حيث تم من خلال مباحث الدراسة التركيز على فشل مشروعات التوحد المؤسساتي والنقابي في فلسطين - كما حصل مع المنظمات النسوية - وعدم وجود الأجسام الجمعية لمنظمات المجتمع المدني الفلسطيني بصورتها الحقيقية.

إضافة إلى ذلك، فإن مما يفيد تحقق هذه الفرضية، خلو الساحة الفلسطينية من جهات الضغط الفاعلة، والاعتماد في العمل المدني على الجهد المؤسساتي الفردي، وقد تم بيان ذلك من خلال الأدوار السالبة التي لعبتها السلطة في التأثير على منظمات المجتمع المدني في أكثر من صورة تم استعراضها.

بهذا، يتبين تحقق الفرضيات التسع التي تم الانطلاق من خلالها في هذه الدراسة بصورة كاملة، مع تحقق الفرضية الثالثة منها بشكل جزئي.

نتائج البحث

بعد استكمال متطلبات هذه الدراسة، خلص الباحث إلى النتائج الرئيسة الآتية:

١. أن المجتمع المدني يمثل صورة مشرقة من نمو العمل الإنساني، وبارقة أمل في الحفاظ على الإنسان والبيئة والمقدرات، وتحقيق جوانب النفع الفردية والعامّة في المجتمعات التي ينشط بها.

٢. أن المجتمع المدني كمفهوم تطبيقي كان موجوداً بصورة فاعلة في المجتمعات الإسلامية الأولى، وتحقق بصورة فاعلة في العهد النبوي، وعصور الخلافة الراشدة وما بعدها، برغم عدم انتهاجه كسلوك مرتبط بالمصطلح المتعارف عليه اليوم.

٣. يشكل المجتمع المدني الغربي عصب الحياة في العالم المعاصر، وله دور فاعل في جوانب الحياة المختلفة، وقد تحقق له بالفعل نمو على صعيد الوجود والأثر، جعل منه عنصراً أساسياً في ترقية المجتمع الغربي.

٤. كان للمجتمع المدني الفلسطيني دور أساسي في تعزيز صمود الشعب الفلسطيني في مراحل الصراع المختلفة مع الاحتلال الصهيوني، وساهم بشكل حقيقي في تثبيت الهوية الفلسطينية، والحفاظ على المصالح العليا للشعب الفلسطيني.

٥. أن النظام السياسي الفلسطيني كان صورة ممجوجة من العمل السياسي على مستوى النظرية والتطبيق، وقد كان لوجود السلطة أثر سالب على نهوض ونمو المجتمع المدني في نطاق الفعل المؤثر، برغم ازدياد عدد المنظمات غير الحكومية في تلك الحقبة.

٦. يستهدف الاحتلال الصهيوني المجتمع المدني الفلسطيني بصورة مستمرة ومباشرة، ويسعى بكل جهده لتقويضه والقضاء عليه، والسماح بنشاط الجهات غير المعادية للوجود الصهيوني على الأرض الفلسطينية على مستوى المنظمات والتيارات والطوائف.

٧. تمثل الحركات الإسلامية في فلسطين، وعلى رأسها حماس، أنموذجاً رائداً في العمل المؤسسي والنقابي، ولها دور حقيقي في تفعيل المجتمع المدني، وتشهد هذه التيارات الإسلامية حالة من النضوج؛ تؤهلها لأن تتقدم بالعمل المدني نحو شطآن الإبداع والتميز.

٨. العمل المدني بصورته العامة من مقتضيات الفهم الإسلامي لعمارة الأرض والاستخلاف فيها، وهو واجب على حملة لواء العقيدة للتقدم نحو تحقيق الغايات الإسلامية؛ من خلال الحفاظ على الذات في إطار العمل العام، والاندماج في صراع المواقف والرؤى والأيدولوجيات.

٩. هناك إمكانية واقعية لنهوض بالعمل المدني الفلسطيني من خلال وضع منهجية متكاملة يتم اعتمادها في ترسيم العمل المدني، ووضع الأنظمة التي يجب عليه أن يتبعها لنموه وازدهاره، وذلك من خلال الفهم الاستراتيجي لدور المنظمات المدنية، والتعامل مع الواقع ومتطلباته من خلالها.

١٠. لن يتحقق النمو الفعلي في الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الفلسطيني، ولن ينتقل إلى طور التنمية الفعلية، إلا من خلال جهد مؤسسي ونقابي وأهلي شامل، يتناول حاجات الشعب، ويبلور آماله، وينطلق لتحقيقها من خلال النضوج الحقيقي، والفهم التكاملي، والمفاوضات الجماعية في إطار تحقيق الغايات النبيلة.

الخاتمة

حمداً لله كما أمر، وصلاةً وسلاماً على خير البشر، وعلى من سار على هداية
وبنور نهجه ائتمر، وبعد،،

وضع الباحث جهده القليل وفكره العليل من أجل أن يخرج هذا البحث العلمي
بصورته الحاضرة، وأن يرى النور بعد جهود طويلة بذلت من أجل أن يتم استكمالته بمباحثه
ومتطلباته المختلفة.

حوى هذا البحث الذي تناول واقع المجتمع المدني الفلسطيني، وصورة أداءه
وحجم نشاطه وآفاقه الحالية، وما لذلك من علاقة مباشرة بالواقع الفلسطيني العام على المستوى
السياسي، مجموعة من المحاور الرئيسة، والقضايا التي يراها الباحث ذات أهمية تلامس المجتمع
الفلسطيني، والمجتمع المدني الفلسطيني على حد سواء.

كان هذا البحث بفصوله الأربعة الرئيسة، ومباحثه ومطالبه المتعددة، جانباً من
جوانب الاهتمام بالقضية الفلسطينية بما لها من أهمية ورمزية في قلوب المسلمين على اختلاف
أقطارهم واطناهم، كونه يمثل صورة حية للواقع الفلسطيني من خلال إبراز دور مؤسساته
ونقابات وفعالياته المجتمعية والأهلية، والتي تمثل مجموعتها تجسيداً حقيقياً لحالة الشعب
الفلسطيني، قصوراً ونضوجاً، تردياً ازدهاراً، وذلك وفق ما يتم تقييمه من الواقع في نظر كل
خبير ومختص.

حاول الباحث تسليط الضوء على واقع وطبيعة المجتمع المدني، وميلاده في
الغرب، وتطوره وتدرجه حتى الواقع الراهن، مستفيداً من ذلك في محاولة رسم الصورة القياسية
بين الواقعيين: الغربي والفلسطيني، في محاولة من الباحث للارتقاء بواقع المجتمع المدني الفلسطيني
إلى افق أوسع، ومجالات أرحب وأشمل.

بعد استكمال الكتابة في هذا البحث، فقد وجد الباحث لزاماً عليه التنبيه بالأمر
الأساسية الآتية:

١. أن المجتمع المدني الفلسطيني يعاني من المظاهر السالبة الموجودة في العمل المدني
عموماً، من حيث التدخل الدائم للسلطة الحاكمة فيه، أو نشوء المنظمات المدنية بدافع غير
مهني، وبأطروحات وأجندة تخدم إما المستويات الحكومية، أو تقوم بغرض الربح المادي.

٢. يتأثر المجتمع المدني الفلسطيني بصورة حقيقية ووهية بالتقلبات السياسية في
الواقع العام، وترخي كل المحريات السياسية عليه طابعاً خاصاً بها، ويتعدى الأمر هذه الصورة،
ليدخل تأثير المجتمع المدني بالمناكفات السياسية الموجودة في العمل الحزبي الفلسطيني بتياراته
المختلفة.

٣. لا زال المجتمع المدني الفلسطيني في بداية نموه، ولا زالت المتطلبات الأساسية
لوجوده تفتقر إلى التبلور الحقيقي في ذهن القائمين على العمل الأهلي والمدني، وهذا ما جعل
الدور العام لمنظمات المجتمع المدني الفلسطيني هامشياً إلى حد بعيد.

٤. هناك بارقات أمل حقيقة تتمثل بالنخب المثقفة والواعية، وأصحاب التخصص
الحقيقي المبني على العمق والشمول، لكونهم نواة جديرة بالاحترام، وأساساً متيناً من أسس
تشكيل ونهوض المجتمع المدني الفلسطيني في المرحلة المقبلة.

٥. تم إدراج مجموعة من عوامل النهوض الفاعل في طبيعة ودور المجتمع المدني
الفلسطيني في المبحث الأخير في هذا البحث، وهي محطات إيجابية - بنظر الباحث - يمكن لها
أن تؤسس لمرحلة جديدة يحتل فيها المجتمع المدني الفلسطيني مكان الصدارة في الحدث العام
أسوة بالواقع الغربي.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا جميعاً يوم لقائه، وأسأله عز
وجل أن يجعل منه منطلقاً لجهد تغييري في الحياة الفلسطينية بما يخدم الشعب الفلسطيني المجاهد،
ويرفع سقف أدائه ونشاطه وصموده في وجه المحتل الغاشم.

والله تعالى ولي التوفيق وعليه الاتكال

الباحث

التوصيات

بعد استكمال البحث بمتطلباته الأساسية، فإن الباحث يوصي بالأمر الآتية: -

أولاً: على الصعيد الحكومي:

- التأكيد على مبدأ الفصل بين السلطات؛ بإعتباره نظام قانوني دستوري متطور وملائم لحياة المجتمع، وقيام الدولة بمهامها المنوطة بها من قبيل توفير الأمن الاجتماعي، وتحقيق العدالة بمفهومها الشامل، ودعم البنية التحتية للمجتمع بكل وجوهها.
- حماية العلماء والمفكرين والنخبة المثقفة في المجتمع الفلسطيني من القوانين التعسفية، وحمائتهم من خلال تأمين ظروف الأمن لهم في كل ظروف الواقع السياسي مهما ارتفعت مستويات تأزمه.
- إعتتماد مبدأ الكفاءة والتزاهة في إسناد المناصب الحكومية والوزارات التي ستشرف وتتصل بالمجتمع المدني ومؤسساته من خلال مواقعها، ووضع نظم لمحاسبتها من قبل هيئات قضائية مستقلة.
- الإسراع بإصدار القوانين المنصوص عليها في الدستور (مثل قانون المجتمع المدني) و تفعيل القوانين الصادرة وغير المفعلة، مع منح منظمات المجتمع المدني حرية أداء واجباتها وأهدافها دون تدخل الجهات الحكومية المختصة بالشكل الذي يعوق أدائها وعملها.
- العدالة في دعم العمل الأهلي الفلسطيني من خلال النظام السياسي الموجود، وأن تقوم الحكومة بafساح المجال لمنظمات المجتمع المدني بمراقبة أدائها بما يتعلق بالخدمات على المستوى المحلي مثل القرية، الناحية، القضاء.

- قبل تشريع أي قانون يعرض مشروع القانون بوسائل الإعلام المختلفة على الجمهور لبيان الرأي فيه، وقيام منظمات المجتمع المدني والجهات الأخرى بعكس رأي الشعب بالمشروع بصيغة توصيات، مع التأكيد على إشراك منظمات المجتمع المدني في إصدار القوانين التي تتعلق بها، مع التواصل بالمتابعة والتقييم لإجراء التعديلات على النصوص القانونية بشكل دوري (سنوياً) وفقاً لما يطرأ من إحتياجات المجتمع أو المنظمات أو ما يبرز بالتطبيق من خلل.
- إصدار قانون يوفر الحصانة لمنظمات المجتمع المدني من الأحكام العرفية (المصادرة والإلغاء وتجميد الأرصدة).

ثانياً: على صعيد المجتمع المدني الفلسطيني عينه:

- القيام ببرامج توعية للشباب والأحداث حول المواطنة، والواجبات والحقوق، وسيادة القانون، وأهداف النهوض بالمجتمع، وتعزيز الثقافة القانونية، وثقافة المجتمع المدني، بين أفراد المجتمع بواسطة مؤسسات الدولة، ومنظمات المجتمع المدني، وإيجاد الدعم اللازم من الحكومة والمنظمات الدولية، وتفعيل دور الإعلام بهذا الإتجاه.
- تفعيل وتطوير عملية إخضاع الموظفين في المنظمات الأهلية لدورات تخصصية على أن يكون الترشيح حسب الإحتياج التدريبي والكفاءة، والمقدرة على الالتزام، وعلى ضوء المستجدات التي تحصل في التخصصات المختلفة، ووفق حاجات المؤسسات الفلسطينية.
- مطالبة منظمات المجتمع المدني بتوثيق نشاطاتها (كتابة وتصويراً) والتي بموجبها يتم تقييم مدى فعاليتها، وأن تقوم بتعميم هذه النشاطات على المجتمع بشكل فعلي ودوري ليتحقق التواصل والشفافية في العمل المدني.
- تكوين قاعدة بيانات تدريب حكومية وأخرى أهلية، لبيان القدر المتحقق والمطلوب من بناء القدرات الفلسطينية في مجال تطوير المجتمع المدني، ورفده بالكفاءات القيادية والتنظيمية المناسبة.

- ضرورة تطوير استراتيجيات العمل المؤسسي في المنظمات الأهلية الفلسطينية، وتوسيع قواعدها الجماهيرية، وضبط أجندتها الوطنية بما يتلاءم واحتياجات الشعب الفلسطيني وأولوياته..
- القيام بجهد أهلي فلسطيني ذاتي من أجل تصويب الواقع المدني، من خلال إعادة هيكلة المنظمات وتوزيعها على الاحتياجات الحقيقية أو المستجدة للشعب الفلسطيني، مع التأكيد على أهمية أن تكون اللوائح الداخلية في هذه المنظمات التي يتم تجديدها محققة لمفاهيم النضوج في العمل الإداري والتخطيط الاستراتيجي.
- توسيع دائرة العمل المدني الفلسطيني المثمر، من خلال القيام بتشكيل جهات الضغط المؤسسية والنقابية، وتكاتف جهود التشكيلات الأهلية لتحقيق أهدافها في المجتمع الفلسطيني من خلال قوة الطرح المستند إلى قوة الحال ووحدة الجهود.
- زيادة أشكال وأنماط التشكيك مع منظمات المجتمع المدني الدولية والإقليمية والعربية، والاستفادة مما لديها في هذا الشأن، وتوفير أسس واضحة لتبادل المعارف والجهود والخبرات والتجارب، بما يعني تقوية الواقع الفلسطيني بمجالاته المختلفة، وإيجاد موطئ قدم جديد للسياسة الفلسطينية من خلال المجتمع المدني الفاعل.
- إشاعة وتعزيز الحالة المدنية الذاتية والداخلية في المؤسسات، وذلك بعقد هيئاتها العمومية لاجتماعاتها كلما سنحت الفرصة وتقييم تجربتها وتجديد كوادرها وتعديل وتحديث برامجها، هذه القاعدة الذهبية التي تشكل للمنظمات الأهلية حصناً منيعاً يتشكل من جسم الهيئات العمومية بمختلف توجهاتهم وقدراتهم ونفوذهم.
- أن تشمل أهداف المؤسسات مجالات عدة اجتماعية، تربوية، ثقافية، فنية وغيرها، وأن يستهدف نشاطها الريف والمخيمات، وبهذا الصدد يجب أن تناقش هذه الإجراءات لتمكين المؤسسات المترامية في أطراف المدينة من القيام بمهامها وواجباتها وتوسيع تقديم خدماتها.

- إنشاء المنظمات المدنية الجديدة وفق النظريات الاستراتيجية، والابتعاد عن هيمنة الكبراء وغير المختصين في كوادرها الإدارية، وتفعيل الرقابة الذاتية، ومشروعات التقييم والتقويم المستمرة لضمان نجاح المؤسسة وديمومة نشاطها.

فهرس الآيات القرآنية

موضعها في القرآن	بداية الآية الكريمة
الإسراء: ٧٠	ولقد كرمنا بني آدم
التين: ٤	ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم
المائدة: ٢	وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا
البقرة: ٢٥١	ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض
المطففين: ١-٣	ويل للمطففين*
البقرة: ٢٠٥	وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل
الروم: ٤١	ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس
المائدة: ٣٣	ويسعون في الأرض فساداً
الذاريات: ٥٦	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
النور: ٥٥-٥٦	وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض
آل عمران: ١٠٣	واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا
آل عمران: ١٠٤	ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير
الأنفال: ٦٠	وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيال
الجمعة: ٢	هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
النحل: ١٢٥	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الحَسَنَةُ	
آل عمران: ١١٠	كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف
الأَنْفَال: ٦٥	يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال
النساء: ٨٤	وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا
الأَنْفَال: ٤٥-٤٦	يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا
الأنبياء: ١٨	بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ
الإسراء: ٨١	قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ
التوبة: ١٢٠	ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا
مخمصة	
التوبة: ٣٦	وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً
التوبة: ٤١	انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا
البقرة: ٢١٦	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ
الصف: ١٠-١١	يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب أليم	
النساء: ٩٥	لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي
الضرر والمجاهدون	
النحل: ٨	والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
محمد: ٣٨	هأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله
التوبة: ١٢١	ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة
البقرة: ٢٦١	مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله
البقرة: ٢٤٥	من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً
الحديد: ٢١	سارعوا إلى مغفرة من ربكم
الواقعة: ١٠-١٢	والسابقون السابقون
التوبة: ٦٠	إنما الصدقات للفقراء والمساكين

البلد: ١٠ - ١٦	فلا اقتحم العقبة
العلق: ١ / موضعين الزمر: ٩ / موضعين	اقرأ باسم ربك الذي خلق قل هل يستوي الذين يعملون والذين لا يعلمون
طه: ١١٤	وقل رب زدني علماً
المجادلة: ١٠	يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات
الأنعام: ٥٠	قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون
المائدة: ٨٢	لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
آل عمران: ١٧٥	إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه
الحج: ٤٠ - ٤١	ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز
الإسراء: ١	سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام
الأنبياء: ٧١	ونجيناها ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين
البينة: ٦	إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم
البقرة: ١٣٨	صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة
آل عمران: ٨٥	ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه
الأنعام: ١٥٣	وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه
المائدة: ٣	اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي
الكهف: ١٠٣ - ١٠٤	قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً
المائدة: ٨	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله
الحجرات: ١٣	يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى

القصاص: ٧٦- ٨٣	إن قارون كان من قوم موسى
العلق: ٦-٧	كلا إن الإنسان ليطغى
الماعون: ٣	ولا يحض على طعام المسكين
المعارج: ٢٤-٢٥	والذين في أموالهم حق معلوم
الذاريات: ١٩	وفي أموالهم حق للسائل والمحروم
الإسراء: ٧٠	ولقد كرمنا بني آدم
الأنبياء: ١٩٧	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
البقرة: ٢٥٦	لا إكراه في الدين
البقرة: ١٤٨	فاستبقوا الخيرات
النساء: ٧٦	الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله
التحریم: ١١	وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون

فهرس الحديث النبوي الشريف

الرقم	بداية الحديث
١	ما من عبد يسترعيه الله رعية
٢	كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته
٣	الدين النصيحة
٤	من رأى منكم منكراً فليغيره / موضعين
٥	من اغترت قدماه في سبيل الله
٦	لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة
٧	صليت مع رسول الله..
٨	الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة
٩	لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد
١٠	أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر
١١	كل ميسر لما خلق له
١٢	لا تحل المسألة إلا لأحد ثلاثة
١٣	كنت أمشي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعليه برد فخراني
١٤	بادروا بالأعمال الصالحة

فهرس الأشعار

الرقم	صدر البيت
١	وآلمني وآلم كلّ حرّ
٢	تكاثرت الظباء على خراشٍ
٣	ففز بعلم تعش حياً به أبداً
٤	ولم أر في عيوب الناس عيباً
٥	وإني وإن كنت الأخير زمانه
٦	يا شعب لا تشك الشقاء
٧	هذا السبيل وما سواه وساوس
٨	خلق الله للخطوب رجالاً
٩	فسنرجع أقوى إيماناً
١٠	إلى البيت المقدس جئت أرجو
١١	إن الخلود لمن يموت مجاهداً
١٢	يقطر السيف حناناً
١٣	أعطونا وطناً أصغر من حبة أسبرين
١٤	لا تحقرن صغيراً في محاصمة
١٥	ربّوا البنات على الفضيلة إنهما
١٦	شباب ذلّوا سبل المعالي
١٧	حتى الطفولة أعدموا آمالها
١٨	يلقون في أذن الحليم مقولة
١٩	فكيف يرتاح للبلوى أخو شتم
٢٠	تأبي الرماح إذا اجتمعن تكسراً

فهرس الآثار والأمثال والحكم

الرقم	بداية الأثر	قائله
١	أيها الناس: إني قد وليت عليكم	أبو بكر الصديق
٢	فإن كمال الإسلام: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	عمر بن الخطاب
٣	من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة	عبد الملك بن مروان
٤	لا يستقيم إيمان امرئ	يحيى بن شرف النووي
٥	نحن نعبأ بالذي يعبأ بنا	بويلوس سيروس
٦	من فمك أدينك	مثل عربي
٧	حتى ولو كان ذلك، لأجرين الماء ولو على بطنك	عمر بن الخطاب
٨	فاقد الشيء لا يعطيه	مثل عربي
٩	إذا وقع الجمل كثرت السكاكين	مثل عربي

ثبت المصادر والمراجع

المصادر

- القرآن الكريم.
- صحيح البخاري / لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦ هـ) / تحقيق: د. مصطفى ديب البغا / دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة (١٩٨٧ م).
- صحيح مسلم / لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) / تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي / دار إحياء التراث العربي - بيروت / ط - .
- السيرة النبوية / لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت ٢١٣ هـ) / تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد / دار الجيل - بيروت / الطبعة الأولى (١٤١١ هـ).
- تفسير البيضاوي / عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي (ت ٧٩١ هـ) / دار الفكر - بيروت / طبعة عام (١٩٩٦ م) / تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
- تفسير الجلالين / محمد بن أحمد وعبد الرحمن بن أبي بكر المحلي والسيوطي / دار الحديث - القاهرة / الطبعة الأولى.
- تفسير القرآن العظيم / لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) / دار الفكر - بيروت / طبعة عام (١٤٠١ هـ)

كتب التراث

- التلقين / لأبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي المالكي (ت ٣٦٢ هـ
/تحقيق: محمد ثالث سعيد الغاني / المكتبة التجارية - مكة المكرمة / الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ)
هـ) .
- أحكام القرآن / لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠ هـ) /
تحقيق: محمد الصادق قمحاوي / دار إحياء التراث العربي - بيروت / طبعة عام (١٤٠٥ هـ)
.
- زاد المهاجر إلى ربه / ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) / تعليق: أشرف عبد
المقصود / مكتبة الإمام البخاري - مصر / الطبعة الثانية (١٤١١ هـ) .
- الدرر / يوسف بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣ هـ) / تحقيق: شوقي ضيف /
دار المعارف - القاهرة / الطبعة الثانية (١٤٠٣ هـ) .
- حادي الأرواح / لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ايوب الزرعي (ت ٧٥١ هـ)
/ دار الكتب العلمية - بيروت / ط - .
- الشرح الكبير / لأبي البركات أحمد الدردير المالكي / دار إحياء الكتب العربية /
مصر .
- شرح كتاب التوحيد / سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب / (ت
١٢٣٣ هـ) / دون ذكر الطبعة / مكتبة الرياض الحديثة - الرياض .
- كتاب الأربعين النووية / لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي / ضبط وشرح
وتخريج: د. مصطفى البغا ومحبي الدين مستو / دار العلوم الإنسانية - دمشق / ط - .

- حاشية ابن عابدين / محمد أمين / دار الفكر - بيروت / الطبعة الثانية (١٣٨٦هـ -) .
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير / شمس الدين محمد عرفة الدسوقي / دار إحياء الكتب العربية - عيسى الحلبي وأولاده / مصر / (ط -) .
- دليل الطالب / مرعي بن يوسف الحنبلي / دار المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - بيروت / الطبعة الثانية (١٣٨٩ هـ -) .
- سبل السلام / محمد بن اسماعيل الصنعاني - الأمير - (ت ٨٥٢ هـ) / دار إحياء التراث العربي - بيروت / الطبعة الرابعة (١٣٧٩ هـ) / تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي .
- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه / لأبي العباس أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت ٨٢٧ هـ) / تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم العاصمي النجدي / منشورات مكتبة ابن تيمية / (ط -) .
- كفاية الأختيار / لأبي بكر بن محمد الحسيني الحصني / دار الخير للطباعة والنشر - بيروت، دمشق / الطبعة الأولى (١٩٩٤ م) / تحقيق: علي عبد الحميد بلطه جي و محمد وهي سليمان .

المراجع

١. . الاتصال والرأي العام - الأسس النظرية والإسهامات العربية / د. عاطف عدلي العبد / دار الفكر العربي - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٩٣ م).
٢. . التجربة السياسية لفلسطيني ١٩٤٨ م - استراتيجية وتكتيك الحزب الشيوعي في معارك وتطور الجماهير العربية في " إسرائيل " / د. أحمد سعد / منتدى الفكر الديمقراطي و المركز القومي للدراسات والتوثيق.
٣. . الاتفاق الفلسطيني الإسرائيلي - الرأي والرأي الآخر / د. حسين أبو شنب / مكتبة مدبولي - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٩٥ م).
٤. . أثر جهود الإنقاذ في ترقية المجتمع / عبد الجليل النذير الكاروري / المركز القومي للإنتاج الإعلامي - سلسلة إصدارات الوعد الحق (٢٠) / دار الفكر - بيروت / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م).
٥. . الأحزاب السياسية والنظم الانتخابية / أحمد عادل / الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر / طبعة عام ١٩٩٢ م.
٦. . أحمد ياسين- أسطورة التحدي / أحمد بن يوسف / المركز العلمي للبحوث والدراسات / الطبعة الأولى.
٧. . إحياء الفروض الكفائية سبيل تنمية المجتمع / د. عبد الباقي عبد الكبير / سلسلة كتاب الأمة (١٠٥) / وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م).

٨. إدارة الإنتاجية / مرشد عملي / جوزيف بروكوبنكو / مكتب العمل الدولي
- جنيف / منظمة العمل الدولية ومكتب العمل الدولي، ومنظمة العمل العربية ومكتب العمل
العربي / الطبعة العربية الأولى (١٩٩٨ م).

٩. الإدارة في المؤسسات الاجتماعية / أ.د. سامية محمد فهمي / دار المعرفة
الجامعية - الاسكندرية / الطبعة الأولى (١٩٨٧ م).

١٠. أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية / أحمد الشقيري - مؤسس منظمة
التحرير الفلسطينية - / دار العودة - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٧٣ م).

١١. أرض الإسرائء دروس في العزة والفداء - ضمن سلسلة كتاب القدس / كتاب
رقم (٢٨) / ناصر الفضالة / مركز الإعلام العربي - مصر / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م).
١٢. الإرهاب الفكري للإعلام / د. نشأت الأقطش / منشورات الوطن - فلسطين
/ الطبعة الثانية (١٩٩٩ م).

١٣. الإرهاب الإسرائيلي / فرانتز شايدل / ترجمة: محمد جديد / منشورات وزارة
الثقافة السورية - دمشق / الطبعة الأولى (١٩٧١ م).

١٤. أساسيات الرأي العام / د. محمد منير حجاب / دار الفجر للنشر والتوزيع -
مصر / طبعة عام (١٩٩٨ م).

١٥. أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي / د. علي خريشة و محمد شريف
الزبيق / دار الاعتصام للنشر والتوزيع - القاهرة / الطبعة الأولى.

١٦. الاستشراق وأبحاث الصراع لدى " إسرائيل " / إبراهيم عبد الكريم / دار
الجليل للدراسات والنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية - عمان / الطبعة الأولى (١٩٩٣
م).

١٧. إسرائيل وسياسة النفي - الصهيونية واللاجئون الفلسطينيون / د. أنور مصالحة / ترجمه للعربية: عزت الغزاوي / صادر عن المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار) - رام الله / الطبعة الأولى (٢٠٠٣ م).
١٨. الإسلام وإعداد الشباب / د. عبد الرزاق إسكندر / منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - ليبيا / الطبعة الأولى (١٩٨٦ م).
١٩. الإسلام والتنمية الاجتماعية / د. محسن عبد الحميد / دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - السعودية / الطبعة الأولى (١٩٨٩ م).
٢٠. الإسلام والعالم / أ. د. إسحق أحمد الفرحان / دار الفرقان للنشر والتوزيع - الأردن / الطبعة الأولى (٢٠٠٣ م).
٢١. الإسلام والمعضلات الاجتماعية الحديثة بأقلام عشرة من علماء الإسلام / دار الكاتب العربي، ودار الشواف للنشر / الطبعة الأولى (١٩٩٢ م).
٢٢. الإسلاميون المتطرفون وكيف يوفرهم الدعم / جودي بارسالو / ترجمة وتصدير: مركز خدمة المتابعات الصحفية / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م).
٢٣. إشكاليات تعثر التحول الديمقراطي في الوطن العربي / عزمي بشارة /: مواطن - المؤسسة الفلسطينية لأبحاث الديمقراطية - رام الله / الطبعة الأولى (١٩٩٨ م).
٢٤. إعادة إعمار فلسطين [القضايا - الخيارات - السياسات - الاستراتيجيات] مجموعة مؤلفين / تحرير: أنطوان زحلان / مركز دراسات الوحدة العربية، والمجلس الاقتصادي الفلسطيني للتنمية وإعادة الإعمار / الطبعة الأولى (١٩٩٧ م).

٢٥. الإعلام والدعاية / د. عبد اللطيف حمزة / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت / الطبعة الثانية (١٩٧٨ م).
٢٦. الإعلام والرأي العام و(القهيلا) / فتحي الأبياري / دار المعرفة الجامعية للنشر - الإسكندرية / الطبعة الأولى (١٩٨٥ م).
٢٧. الاقتصاد الإسلامي / عبد السميع المصري / مكتبة وهبة للنشر والتوزيع - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٨٦ م).
٢٨. الاقتصاد الفلسطيني - تحديات التنمية في ظل احتلال مديد / مجموعة من المؤلفين / حرر الكتاب: جورج العبد / مركز دراسات الوحدة العربية، مؤسسة التعاون الفلسطينية - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٨٩ م).
٢٩. أمريكا والعالم / د. حسين فوزي النجار / مكتبة مدبولي / القاهرة / طبعة عام (١٩٨٦ م).
٣٠. الأمن النفسي - ضمن سلسلة: معالم على طريق الصحوة (٣٠) / د. محمد موسى الشريف / دار الأندلس الخضراء للنشر - جدة / الطبعة الثانية (٢٠٠٣ م).
٣١. الإنتاجية - مفهومها - أهميتها - العوامل لتحسينها - العوائق في طريقها كتاب: إدارة الإنتاجية / مرشد عملي / جوزيف بروكوبنكو / مكتب العمل الدولي - جنيف / منظمة العمل الدولية ومكتب العمل الدولي، ومنظمة العمل العربية ومكتب العمل العربي / الطبعة العربية الأولى (١٩٩٨ م).
٣٢. انتفاضة الأقصى - نموذج حضاري إسلامي للمقاومة / د. سليمان صالح / ضمن سلسلة: كتاب القدس، الكتاب رقم (١٦) / مركز الإعلام العربي للنشر / الطبعة الأولى (٢٠٠٣ م).

٣٣. انتفاضة الأقصى والاستقلال - تحديات وآفاق / د. عبد العليم محمد / ضمن سلسلة كتاب القدس (٢١) / مركز الإعلام العربي - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٣ م).
٣٤. الأهداف النقاوية / محمود فضيل التل / مؤسسة فريدريتش إبيرت - بيروت / الطبعة الأولى.
٣٥. أهمية الثقافة العمالية وأثرها في التنمية وكيفية تسيير أجهزة ومراكز الثقافة العمالية / مكتب العمل العربي - المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل / دورة الجزائر (٣٠ - ٤ - ١٩٧٨ م إلى ١٠ - ٥ - ١٩٧٨ م) / إعداد: فضل علي عبد الله / دون ذكر الطبعة.
٣٦. بانوراما - المركز الفلسطيني لتعميم الديمقراطية وتنمية المجتمع - مشروع الحكم الصالح.
٣٧. البداية والنهاية / لأبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي / مكتبة المعارف - بيروت.
٣٨. البعد الاجتماعي للأحزاب السياسية - دراسة في علم الاجتماع السياسي / د. عبد الرضا حسين الطعان / دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد / الطبعة الأولى (١٩٩٠ م).
٣٩. البيريسترويكا بعد العاصفة / مجموعة دراسات لبوريس جاكارليتسكي وآخرون / مكتبة مدبولي - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٩١ م).
٤٠. تاريخ الأمم والملوك / لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري / دار الكتب العلمية - بيروت / الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ).
٤١. تاريخ التمدن الإسلامي / جرجي زيدان / دار الهلال للطباعة والنشر والتوزيع / الطبعة الأولى (١٩٦٠ م).

٤٢. تاريخ الحركة النقابية العمالية السودانية - نشرة من إعداد رئيس اتحاد عمال السودان / مكتبة اتحاد عام عمال السودان - الخرطوم / منشورة بتاريخ: ٦/٣/٢٠٠٥ م.
٤٣. تاريخ الخلفاء: عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) / مطبعة السعادة - مصر / الطبعة الأولى (١٩٥٢ م) / تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
٤٤. التجربة السياسية لفلسطيني ١٩٤٨ م - استراتيجية وتكتيك الحزب الشيوعي في معارك وتطور الجماهير العربية في " إسرائيل " / د. أحمد سعد / منتدى الفكر الديمقراطي و المركز القومي للدراسات والتوثيق.
٤٥. تحرير فلسطين - الثوابت - المتغيرات - الواجبات / د. السيد عبد الستار المليجي / مركز الإعلام العربي - القاهرة / ضمن سلسلة كتاب القدس (١٩) / الطبعة الأولى (٢٠٠٣ م).
٤٦. تراتبية القيم - أثر الثقافة على السياسة الخارجية للولايات المتحدة / سناء حمد العوض قرافي / هيئة الأعمال الفكرية - شركة مطابع السودان للعملة المحدودة - الخرطوم / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م).
٤٧. التطبيع - استراتيجية الاختراق الصهيوني / غسان حمدان / دار الأمان للطباعة والنشر / الطبعة الأولى (١٩٨٨ م).
٤٨. التعاون الاجتماعي / الشيخ مصطفى الغلاييني / المكتبة العصرية - بيروت / دون طبعة.
٤٩. تعزيز المنشآت المستدامة - التقرير السادس / مؤتمر العمل الدولي، الدورة (٢٠٠٧ / ٩٦) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م) / الملخص التنفيذي.

٥٠. تقرير التنمية البشرية ١٩٩٨-١٩٩٩ / برنامج دراسات التنمية - جامعة بيرزيت - رام الله.
٥١. التقرير الربع سنوي - التقرير ربع السنوي الثاني لعام ٢٠٠٣ م ١ يوليو - ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٣ م / مركز غزة للحقوق والقانون / فلسطين - غزة.
٥٢. التقرير السنوي بمناسبة يوم الطفل الفلسطيني / الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني - فلسطين / ٢٠٠٢ م، تحت عنوان: (أطفال فلسطين - قضايا وإحصاءات).
٥٣. تقوية مؤسسات السلطة الفلسطينية (الملخص التنفيذي) / للمؤلفان: يزيد الصايغ و خليل الشقاقي / تقرير فريق العمل المسقل برعاية مجلس العلاقات الخارجية في السلطة برئاسة مشيل روكارد.
٥٤. تكوين النخبة الفلسطينية منذ نشوء الحركة الوطنية الفلسطينية إلى ما بعد قيام السلطة الوطنية / جميل هلال / الطبعة الأولى (٢٠٠٢ م) / مركز الأردن الجديد للدراسات - عمان.
٥٥. تنظيم الإسلام للمجتمع / الإمام محمد أبو زهرة / دار الفكر العربي - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٦٥ م).
٥٦. التنظيم من أجل العدالة الاجتماعية / التقرير العالمي بموجب متابعة إعلان منظمة العمل الدولية بشأن المبادئ والحقوق الأساسية في العمل / مكتب العمل الدولي - جنيف / مؤتمر العمل الأول - الدورة (٩٢ - ٢٠٠٤ م) / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م) ..
٥٧. تنمية الموارد البشرية العربية / د. إبراهيم قويدر / ضمن سلسلة (اقرأ) رقم [٦٧٢] / دار المعارف للنشر والتوزيع - القاهرة / دون ذكر الطبعة.

- ٥٨ . تمويد عقل مصر / عرفة عبده علي / دار سينا للطباعة والنشر - القاهرة /
الطبعة الأولى (١٩٨٩ م)
- ٥٩ . التوراة (الكتاب المقدس) / العهد القديم.
- ٦٠ . الثقافة المصرية في زمن التطبيع / للدكتور أحمد أبو مطر / منشورات الاتحاد
العام للأدباء والكتاب العرب - عمان / الطبعة الأولى (١٩٩٤ م).
- ٦١ . الثقافة والعالم الآخر - الأصول والضوابط - دراسة تاصيلية / د. عبد الله بن
إبراهيم بن علي الطريقي / دار الوطن للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض / الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ).
- ٦٢ . ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق / د. يوسف القرضاوي / دار الشروق -
القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٠ م).
- ٦٣ . الجهد الإداري لدورة (٢٠٠١ - ٢٠٠٦ م) / الاتحاد العام لنقابات عمال
السودان - الأمانة العامة / المؤتمر الرابع عشر، في الفترة من ١٨ - ٢٠ / ٤ / ٢٠٠٦ م /
طبعة عام (٢٠٠٦ م).
- ٦٤ . حربنا مع " إسرائيل " / الملك حسين / دار النهار للنشر - بيروت / الطبعة
الأولى (١٩٦٨ م).
- ٦٥ . الحركات الاجتماعية في العالم العربي / مجموعة من الباحثين / مركز البحوث
العربية والأفريقية للطباعة والنشر - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٦ م).
- ٦٦ . الحركات الاجتماعية في العالم العربي / عزة خليل / مكتبة مدبولي - القاهرة
/ الطبعة الأولى (٢٠٠٦ م).

٦٧. حركة المقاومة الإسلامية (حماس) - جذورها - نشأتها - دورها السياسي (١٩٢٠ - ١٩٩٤ م) / خالد نمر أبو العمرين / رسالة ماجستير، بإشراف: د. التيجاني عبد القادر / اقرت عام (١٩٩٤ م) / جامعة الخرطوم - السودان.

٦٨. الحركة النقابية العمالية في الأردن / علي عناد خريس، صلاح عبد الكريم الصفدي / دار النشر والتوزيع والتعهدات - الأردن - الطبعة الأولى.

٦٩. الحركة النقابية في العالم / جورج لوفران / ترجمة: إلياس مرعي / منشورات عويدات - بيروت / الطبعة الثالثة (١٩٨٦ م).

٧٠. الحركة الوطنية في القرن العشرين واستشراف المستقبل - ندوة سياسية فكرية / المركز القومي للدراسات والتوثيق و منتدى الفكر الديمقراطي الفلسطيني / ورقة عمل مقدمة من: محمود إسماعيل - أبو إسماعيل، عن جبهة التحرير العربية.

٧١. الحريات النقابية - موجز المبادئ والقرارات الصادرة عن لجنة الحريات النقابية في مجلس إدارة منظمة العمل الدولية / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (١٩٩٦ م) .

٧٢. الحرية النقابية / مكتب العمل الدولي - جنيف / برامج تعليم العمال / مطابع دار الكتاب العربي - مصر / الطبعة الأولى (١٩٥٩ م).

٧٣. الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية د. محسن صالح / مخطوط.

٧٤. حقوق الإنسان - إشكالية التدويل والخصوصية / الملتقى العالمي الثالث حول فكر معمر القذافي - الكتاب الأخضر - / منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر - ليبيا / د. عمر بشير الطويبي / دون طبعة.

٧٥. حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية وقواعد القانون الدولي / د. محمد عبد العزيز أبو سخيلة / دار نشر - / طبعة عام ١٩٨٥ م.
٧٦. حماس - الجذور التاريخية والميثاق / الجذور التاريخية: د. الشهيد عبد الله عزام / الطبعة الأولى (١٩٨٩ م) / دار نشر - .
٧٧. حماس - المنطلقات والأهداف / علاء النادي / سلسلة كراسات القدس (٤) / مركز الغلام العربي - القاهرة / الطبعة الأولى.
٧٨. الحماية الدستورية والقضائية للحقوق الأساسية في العمل / منظمة العمل العربية / مكتب الإعلام بمنظمة العمل العربية / إعداد: د. محمود سلامة جبر.
٧٩. حوار المرحلة مع الشيخ راشد الغنوشي / ياسر الزعاترة / منشورات فلسطين المسلمة - لندن / الطبعة الأولى (١٩٩٦ م).
٨٠. حول واقع تطور الزعامة الفلسطينية / بسام الصالحي / مركز القدس للإعلام والاتصال - القدس / الطبعة الأولى (١٩٩١ م).
٨١. الخصائص الديمغرافية للشعب العربي الفلسطيني / المعهد العربي للتدريب والبحوث الإحصائية / منشورات دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٨٥ م).
٨٢. دراسات في علم الاجتماع الإسلامي / د. عبد الهادي الجوهري / مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٨٣ م).
٨٣. دراسات في الحركة القومية العربية / مجموعة مؤلفين / مركز دراسات الوحدة العربية، وجامعة الأمم المتحدة، ومكتبة المستقبلات العربية البديلة - منتدى العالم الثالث - مكتب الشرق الأوسط / الطبعة الأولى (١٩٨٧ م).

٨٤. دراسة مقارنة بين أسس ربط معاش الشيخوخة في الوطن العربي (مارس ١٩٩٥ م) / المركز العربي للتأمينات الاجتماعية - الخرطوم / إعداد: عباس محمد سعيد عباس / الطبعة الأولى (١٩٩٥ م)

٨٥. دور المرأة المسلمة في العمل السياسي / تحقيق صحفي للأستاذ محمد هاشم / الطبعة الأولى / مطبعة الاعتصام - الخليل - فلسطين.

٨٦. دور المشاريع الصغيرة في الحد من الفقر والبطالة في الأردن / مؤلف جماعي / تحرير: د. موسى شتيوي / المركز الأردني للبحوث الاجتماعية وصندوق التنمية والتشغيل - الأردن / الطبعة الأولى (٢٠٠٢ م).

٨٧. الدولة في الإسلام / د. عبد الحى يوسف / المكتب الإسلامي لإحياء التراث - ودار العواصم للنشر والتوزيع - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م).

٨٨. الديمقراطية في الإسلام / عباس محمود العقاد / نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٩٥ م).

٨٩. الديمقراطية وسيادة القانون / مؤلف جماعي: عبد الكريم الكباريتي وآخرون / تحرير: حسين أبو رمان / دار السندباد للنشر والتوزيع - الأردن / الطبعة الأولى: (١٩٩٧ م) .

٩٠. الدين والبناء الاجتماعي / د. نبيل محمد توفيق السمالوطي / دار الشروق للنشر والتوزيع - جدة / الطبعة الأولى (١٩٨١ م).

٩١. ديناميكية التعاون كأداة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية / محمد أحمد داؤد / مطبعة دينا الحديثة - الخرطوم / طبعة عام (٢٠٠٢ م).

- ٩٢ . رئاسة الجمهورية - الرؤية والإنجاز / عمر محمد عبد الرحيم باسان، المركز القومي للإنتاج الإعلامي - سلسلة إصدارات الوعد الحق (٣٢) / دار الغرير للطباعة والنشر / الطبعة الأولى (٢٠٠٦ م).
- ٩٣ . رحلة الدم الذي هزم السيف / الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي حياته وجهاده / تأليف: د. رفيق سيد احمد / (د.ط).
- ٩٤ . ردود على أطروحات علمانية / منير شفيق / دار الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ودار البراق للنشر والتوزيع - تونس / الطبعة الثالثة (١٩٩٢ م).
- ٩٥ . رسالة الإنسان في الحياة ومقتضياتها / د. عبد الستار نوير / دار الثقافة للنشر والتوزيع - الدوحة / الطبعة الأولى (١٩٨٧ م).
- ٩٦ . رسالتي إلى الشباب / أ. محمد مهدي عاكف - المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين / دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م).
- ٩٧ . السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية.
- ٩٨ . سيكولوجيا التنشئة الاجتماعية / د. صالح محمد علي أبو جادو / دار المسيرة للنشر والتوزيع - الأردن / الطبعة الرابعة (٢٠٠٤ م).
- ٩٩ . شؤون إسرائيلية في أسبوع / تقرير صادر عن مركز دراسات الشرق الأوسط - الأردن / السنة الأولى.
- ١٠٠ . الشباب: سبل الوصول إلى العمل اللائق - التقرير السادس / النهوض بعمالة الشباب - رفع التحدي / مؤتمر العمل الدولي (الدورة ٩٣ / ٢٠٠٥) / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م).

١٠١. الشباب العربي وتحديات المستقبل / سلسلة الحوارات العربية ٢ / ٢٠٠٥ /
مجموعة مؤلفين / منتدى الفكر العربي - الأردن / دار جرير للطباعة والنشر والتوزيع - عمان
/ الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م)
١٠٢. شبهات حول الإسلام / محمد قطب / دار الشروق للنشر والتوزيع - القاهرة
/ الطبعة الثالثة والعشرون (٢٠٠١ م).
١٠٣. الشيخ أحمد ياسين مجدداً / سامي الصلاحيات / ضمن سلسلة " فلسطين
مواقف وآراء (٣) " / مركز الإعلام العربي - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م).
١٠٤. الشيخ الشهيد أحمد ياسين وفقه الجهاد لتحرير فلسطين / د. محمد عمارة /
ضمن سلسلة " كراسات القدس (٥) " / مركز الإعلام العربي - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م).
١٠٥. الصحافة الإسرائيلية والدعاية الصهيونية في مصر / د. سهام نصار / قسم
النشر - دار الزهراء للإعلام العربي - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٩١ م).
١٠٦. الصحافة اليومية والإعلام (الموضوع، التقنية والتنفيذ) الإعلام الحديث في
النظرية والتطبيق - مدخل نظري وعملي إلى علم الإعلام / د. سامي زيان / دار المسيرة
للطباعة والنشر - بيروت / الطبعة الثانية (١٩٨٧ م).
١٠٧. صراع الدولة والقبيلة في الخليج العربي - أزمات التنمية وتنمية الأزمات / د.
محمد جواد رضا / مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٩٢ م).
١٠٨. صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية / ضمن سلسلة دراسات في
القضية الفلسطينية من منظور إسلامي / د. محمد عثمان شبير / مكتبة الفلاح - الكويت /
الطبعة الثانية (١٩٨٩ م).

١٠٩. صناعة الخبر في كواليس الصحف الأمريكية / جون ماكسويل هاميلتون و جورج أ. كرىميسكي / ترجمة: أحمد محمود / دار الشروق للطباعة والنشر - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٠ م).

١١٠. صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية - ضمن سلسلة رسائل إسلامية المعرفة (٥) / أ. د إسماعيل الفاروقي / الدار العلمية للكتاب الإسلامي - الرياض / والمعهد العالمي للفكر الإسلامي / الطبعة الأولى (١٩٨٩ م).

١١١. الضفة الغربية في استراتيجية الحرب الصهيونية / آرييه شيلو / سلسلة دراسات صامد الاقتصادي (٩) / دار الكرمل للدراسات والنشر والتوزيع - الأردن / الطبعة الأولى (١٩٨٥ م).

١١٢. الطعم في المصيدة / شلومو غازيت / ترجمة: عليان الهندي / مؤسسة باب الواد للطباعة والنشر - القدس / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م).

١١٣. ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية / د. حنين توفيق إبراهيم / سلسلة أطروحات الدكتوراة (١٧) / مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٩٢ م).

١١٤. عصرنا - ملامحه وأوضاعه - ضمن سلسلة آفاق حضارية - / د. عبد الكريم بكار / الدار الشامية للطباعة والنشر - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٩٩ م).

١١٥. علم الاجتماع السياسي - دراسة في الرحكات الاجتماعية والسياسية / د. إيمان شومان / دار المعرفة الجامعية للنشر - مصر / الطبعة الأولى (١٩٩٦ م).

١١٦. علم الاجتماع الإسلامي / د. زيدان عبد الباقي / مطبعة السعادة - مصر / الطبعة الأولى (١٩٨٥ م).

١١٧. عندما يسقط القناع - المخبرات المركزية الأمريكية على حقيقتها / فيودور سيرغييف / ترجمة: زياد الملا / مكتب الخدمات الطباعية - دمشق / الطبعة الأولى (١٩٨٦ م) .

١١٨. عولمة عادلة (توفير الفرص للجميع) / اللجنة العالمية المعنية بالبعد الاجتماعي للعولمة / منظمة العمل الدولية - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م)

١١٩. الفتوة - لفتيان المرحلة الثانوية - المادة العسكرية / صلاح الدين دباغ وآخرون / وزارة التربية في الجمهورية العربية السورية - مديرية الكتب المدرسية / مطبعة الإنشاء - دمشق / طبعة عام (١٩٧٠) .

١٢٠. الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية / د. عبد الكريم زيدان / الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية / دار القرآن الكريم للعناية بطبعه ونشر علومه - بيروت، دمشق / الطبعة الأولى (١٩٧٨ م) .

١٢١. فصول إسلامية / الأستاذ علي الطنطاوي / دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة - السعودية / الطبعة الرابعة (١٩٩٠ م) .

١٢٢. فقدان التوازن الاجتماعي - مشكلة الزي والملابس - سنن تغيير النفس والمجتمع / د. جودت سعيد / دار الفكر المعاصر - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٩٤ م) .

١٢٣. الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني (١٩١٨ - ١٩٤٨ م) / د. علي محافظة / المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت / الطبعة الثانية (٢٠٠٢ م) .

١٢٤. الفكر المادي في ميزان الإسلام / د. صابر طعيمة / مكتبة المعارف - الرياض / الطبعة الأولى: (١٩٨٣ م) .

١٢٥. فلسطين تاريخها وقضيتها / مؤسسة الدراسات الفلسطينية / المكتبة الجامعية - نابلس / ط١ (١٩٨٣م).
١٢٦. في سبيل الحرية / فردينانر يروتكا / ترجمة: نصر بن وهاب / دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٥٩م).
١٢٧. في سوسيولوجيا بناء السلطة (الطبقة - القوة - الصفوة) / د. السيد عبد الحليم الزيات / دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية / الطبعة الأولى (١٩٩٠م).
١٢٨. في المجتمع الإسلامي / محمد أبو زهرة / دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع / (ط -) .
١٢٩. في ظلال القرآن / سيد قطب / دار العلم للطباعة والنشر - جدة / الطبعة الثانية عشرة (١٩٨٦م).
١٣٠. القبيلة والسياسة - جدلية الصراع وتوازن المصالح - الحالة الأردنية / تيسير الفارس / دار الحقيقة الدولية للدراسات والأبحاث - الأردن / الطبعة الأولى (٢٠٠٢م).
١٣١. قضايا معاصرة - العلوم الإنسانية / مركز المناهج - وزارة التربية والتعليم - فلسطين / الطبعة الأولى التجريبية / مقرر للصف الحادي عشر الأدبي (الجزء الثاني).
١٣٢. قضية المنهجية في الفكر الإسلامي / أ. د. عبد الحميد أبو سليمان / الدار العالمية للكتاب و المعهد العالمي للفكر الإسلامي / رسائل إسلامية المعرفة (٤) / الطبعة الثانية (١٩٩٥م).
١٣٣. قطاع غزة بعد الانسحاب - دراسة تقييمية للواقع ورؤية مستقبلية / تيسير محيسن / برنامج دراسات التنمية - جامعة بيرزيت - رام الله / الطبعة الأولى (٢٠٠٦م).

١٣٤. القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري " قوانين النهضة " -
ضمن سلسلة: مشروع النهضة - سلسلة أدوات القادة / د. جاسم محمد سلطان / مؤسسة أم
القرى للتوزيع والنشر - مصر / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م).

١٣٥. قواعد البناء في المجتمع الإسلامي / د. محمد السيد الوكيل / دار الوفاء للطباعة
والنشر والتوزيع - مصر / الطبعة الأولى (١٩٨٦ م)

١٣٦. قيادة السوق / د. طارق السويدان / ضمن سلسلة الاتجاهات الحديثة في
الإدارة (٣) / قرطبة للإنتاج الفني، وشركة الإبداع الخليجي / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م).

١٣٧. القيادة المتميزة - صياغة استراتيجيات التغيير / بيتر ج. ريد / ترجمة: علا
أحمد / مجموعة النيل العربية للنشر ولتوزيع - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م).

١٣٨. الكفاية الانتاجية / رشاد رمزي / الاتحاد الاشتراكي العربي - مؤسسة الثقافة
العمالية / مجموعة المراجع الأساسية (١٩) / دون طبعة.

١٣٩. الكلمة المطبوعة للأستاذ بكليتي الشريعة والدراسات العليا بجامعة الخليل،
الأستاذ الدكتور حسين مطاوع الترتوري، بعنوان: ((وسائل تطوير الدعوة والوعظ بما يتلاءم
مع روح العصر.

١٤٠. كيف تؤثر في الناس - السيكولوجية المبسطة - / دون ذكر المؤلف /
منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٨٠ م).

١٤١. لماذا نرفض السلام مع اليهود.

١٤٢. لينين - عن النقابات - / مجموعة من المقالات والخطب / دار التقدم موسكو / ترجمة: إلياس شاهين / الطبعة الأولى (١٩٧٣ م).
١٤٣. مؤتمر الحوار النقابي - ورقة عمل / دور النقابات في البناء الوطني / حسن محمد علي / مكتبة اتحاد عمال السودان - الخرطوم.
١٤٤. المؤسسات العامة والسلطة التنفيذية الفلسطينية (الاشكاليات والحلول) / المحامي معن ادعيس / الطبعة الأولى - رام الله.
١٤٥. مائة سؤال عن الإعلام / طلعت همام / موسوعة الإعلام والصحافة / مؤسسة الرسالة - بيروت ودار الفرقان - عمان / الطبعة الثانية (١٩٨٥ م).
١٤٦. المجتمع المدني في ظل النظام الإسلامي / د. بلال نعيم / دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م).
١٤٧. المجتمع المدني والصراع الاجتماعي / مؤلف جماعي / مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٩٧ م).
١٤٨. المجتمع والتصنيع - دراسة في علم الاجتماع الصناعي / د. حسين عبد الحميد أحمد رشوان / المكتب الجامعي الحديث - الاسكندرية / الطبعة الأولى (١٩٩٦ م).
١٤٩. المجتمع والسياسة - دراسات نظرية وتطبيقية / د. إسماعيل علي سعد / دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية / ضمن سلسلة علم الاجتماع السياسي - ٣ / الطبعة الأولى (١٩٨٣ م).

١٥٠. المجموعة الإحصائية الفلسطينية (١٩٨٣ م) / مكتب الإحصاء المركزي التابع للدائرة الاقتصادية في منظمة التحرير الفلسطينية / العدد الخامس، طبعة عام (١٩٨٣ م) / دمشق.
١٥١. مجموعة من الرسائل للشهيد حسن البنا / المؤسسة الإسلامية - بيروت / د. ط.
١٥٢. المخابرات الإسرائيلية - الوثائق السرية للمخابرات الأمريكية / ترجمة وإعداد: مجدي نصيف / مكتبة مدبولي للنشر - القاهرة / الطبعة الثالثة (١٩٨٨ م).
١٥٣. مدخل إلى الدراسات الإعلامية / د. تيسير المشاركة / بيت المقدس للنشر والتوزيع - رام الله - فلسطين / ط ١ (٢٠٠٢ م).
١٥٤. مدخل إلى النظرية السياسية في القرآن الكريم / بروفيسور زكريا بشير إمام / دار هزابر للنشر والتوزيع - الخرطوم / الطبعة الأولى (١٩٩٩ م).
١٥٥. المدخل إلى علم الاستخبارات - رؤية إسلامية / د. إبراهيم علي محمد أحمد / الدار السودانية للكتب - الخرطوم / الطبعة الأولى.
١٥٦. المدخل إلى وسائل الإعلام (الصحافة - الإذاعة - التلفزيون - السينما - المسرح - أعمار الاتصالات) / د. عبد العزيز شرف / دار الكتاب المصري - القاهرة، ودار الكتاب اللبناني - بيروت / الطبعة الثانية (١٩٨٩ م).
١٥٧. المرأة في الإسلام - بنتاً وزوجة وأماً / د. ليلى حسن سعد الدين / دار وائل للنشر والتوزيع - الأردن / الطبعة الثانية (٢٠٠٤ م).
١٥٨. المزاعم الصهيونية في القدس / فتحي فوزي عبد المعطي / دار المعارف للنشر والتوزيع - مصر / طبعة عام (١٩٦٥ م).

١٥٩. المسؤولية الاجتماعية في الإسلام / ضمن سلسلة منشورات: " الحياة في رحاب الإيمان كما يصورها الكتاب والسنة " / د. سعد المرصفي / مكتبة المعلا للنشر والتوزيع - الكويت / الطبعة الأولى: (١٩٨٨ م).

١٦٠. المسار / محمد أحمد الراشد / الطبعة الأولى / دار نشر -.

١٦١. مستقبل خال من عمل الأطفال / التقرير العالمي بموجب متابعة إعلان منظمة العمل الدولية بشأن المبادئ والحقوق الأساسية في العمل ٢٠٠٢ م / مكتب العمل الدولي - جنيف / مؤتمر العمل الدولي (الدورة ٩٠ / ٢٠٠٢) / التقرير الأول (باء) / الطبعة الأولى (٢٠٠٢ م).

١٦٢. المسجد الأقصى وقفات وعبرات / الشيخ محمد عبد الكريم الشيخ / تقديم: د. عبد الحي يوسف / دار المشكاة، وشركة مطابع السودان للعملة المحدودة - السودان / الطبعة الثانية (٢٠٠٢ م).

١٦٣. المشاركة الاجتماعية والسياسية للمرأة في العالم الثالث / أ. د. محمد سيد فهمي / مطبعة المكتب الجامعي الحديث / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م).

١٦٤. مشكلات الإنسان في التحليل النفسي / سمير عبده / منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٨٢ م).

١٦٥. مشكلة البطالة وأثر برنامج الإصلاح الإقتصادي عليها - دراسة تحليلية تطبيقية / د. علي عبد الوهاب نجا / مطبوعات الدار الجامعية - الاسكندرية / الطبعة الأولى (٢٠٠٥ م).

١٦٦. مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام.

١٦٧. مصطفى مشهور والقضية الفلسطينية /.

١٦٨. معجم المصطلحات الإعلامية / د. كرم شلبي / دار الجليل - بيروت / الطبعة الثالثة (١٩٩٤م).

١٦٩. معركتنا مع اليهود / للشهيد الحي سيد قطب / دار الشروق للنشر والتوزيع - بيروت / طبعة عام (١٩٩٥ م).

١٧٠. المفاوضات الجماعية / أ. عبدالسلام عياد / المؤسسة الثقافية العمالية / الطبعة الأولى - دون ذكر السنة.

١٧١. المفهوم القرآني والتنظيم المدني / دراسة في أصول النظام الاجتماعي / د. التجاني عبد القادر حامد / إصدارات هيئة الأعمال الفكرية / ضمن سلسلة " كراسات فكرية (٣) " / الطبعة الثانية (٢٠٠٥ م).

١٧٢. مقاصد الشريعة / أ. د. محمد الزحيلي / دار المكتبي للنشر - دمشق / الطبعة الأولى (١٩٩٨ م).

١٧٣. المقدسات الإسلامية في فلسطين والمطامع اليهودية الخطيرة / إصدار: الهيئة العربية العليا لفلسطين - بيروت / الطبعة الثانية (١٩٦٨ م).

١٧٤. ملحمة جنين / تحرير: عبد القادر ياسين / ضمن سلسلة: كتاب القدس، كتاب رقم (١١) / مركز الإعلام العربي / الطبعة الأولى (٢٠٠٢ م) ..

١٧٥. من الحداثة إلى العولمة / روبرتس تيمونز / المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت / الطبعة الثانية ٢٠٠٤.

١٧٦. من الفكر الصهيوني المعاصر - ضمن سلسلة كتب فلسطينية (١١) / منشورات مركز الأبحاث - منظمة التحرير - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٦٨ م)
١٧٧. من ينتهك حقوق الإنسان - الإسلام أم الأمم المتحدة؟ / د. أحمد عبد الرحمن / مركز الإعلام العربي - القاهرة / الطبعة الأولى (١٩٩٤ م).
١٧٨. مناهضة العولمة - حركة المنظمات الشعبية في العالم / سمير أمين وفرانسوا أوتار / مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع - القاهرة / الطبعة الأولى (٢٠٠٤ م).
١٧٩. المنظمة المصرية لحقوق الإنسان - من خلال موقعها على الانترنت
١٨٠. موجات الغزو الصهيوني (صراع البقاء و الأجلاء _ ١٨٨٢ - ١٩٩٠ م) / د. أسعد عبد الرحمن و نواف الزرو / دار اللوتس - عمان / الطبعة الأولى (١٩٩٠ م).
١٨١. الموسوعة الفقهية / وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت / ط ١ / الطبعة الأولى (١٩٨٥ م).
١٨٢. الموسوعة الفلسطينية / القسم الثاني - الدراسات الخاصة / المجلد السادس - دراسات القضية الفلسطينية / الطبعة الأولى (١٩٩٠ م) - بيروت.
١٨٣. موقفنا من التسوية - بيان المرشد العام للإخوان المسلمين حول أطروحات التسوية للقضية الفلسطينية - المكتب الإعلامي - حركة المقاومة الإسلامية - حماس - فلسطين / الطبعة الأولى (١٩٩١ م).
١٨٤. موقفنا من الحضارة الغربية / علي الطنطاوي / دار المنارة للنشر والتوزيع - جدة / الطبعة الثانية (٢٠٠٠ م).

١٨٥. نحو استراتيجية وسياسات بعيدة المدى للتنمية الزراعية / علي التوم / مؤتمر القطاع الزراعي في السودان / المؤتمر الاقتصادي القومي.

١٨٦. نحو إطار مفاهيم فلسطيني واضح للتربية المدنية / إصدار: مركز إبداع المعلم - رام الله / الطبعة الأولى (٢٠٠٣ م).

١٨٧. الندوة الفكرية السياسية " خبرات الحركة السياسية الفلسطينية في القرن العشرين " المركز القومي للدراسات والتوثيق / استشراف المستقبل / حركة المقاومة الإسلامية حماس واستشراف المستقبل / ورقة حماس / إعداد المهندس - الشهيد - إسماعيل أبو شنب / غزة / ٢٠٠٠ م.

١٨٨. الندوة الوطنية حول تأهيل الأسرى المحررين وإدماجهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية / منظمة العمل الدولية / المكتب الإقليمي للدول العربية / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م).

١٨٩. النسخة الإلكترونية من كتاب: تعداد المنظمات غير الحكومية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة / إعداد: ياسر شلي وآخرون / موجودة على الانترنت، وقد تمت هذه الدراسة الخاصة بالتعداد في العام ٢٠٠١ م.

١٩٠. نشرة بعنوان: نحو تنظيم وطني ديمقراطي / ضمن ملفات مؤتمر الحوار النقابي / مكتبة اتحاد عام عمال السودان - الخرطوم.

١٩١. نشرة مطبوعة بعنوان: المعاشات والتأمينات الاجتماعية مقارنة بالتكافل الإسلامي / ضمن ملفات: مؤتمر الحوار النقابي (٣١ / ٧ - ٤ / ٨ / ١٩٩٠ م / إعداد: عثمان عبد الهادي إبراهيم).

١٩٢. النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو / جميل هلال / مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية - رام الله / الطبعة الثانية (١٩٩٧ م).

١٩٣. نظرية التنمية السياسية / ريتشارد هيجوت / ترجمة: أ. د. حمدي عبد الرحمن،
ود. محمد عبد الحميد / المركز العلمي للدراسات السياسية - الأردن / الطبعة الأولى (٢٠٠١ م).
١٩٤. النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية - دراسة مقارنة / د.
محمد أحمد مفتي، و د. سامي صالح الوكيل / ضمن سلسلة كتاب الأمة، رقم (٢٥) / رئاسة
المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر / الطبعة الأولى.
١٩٥. نظرية المسؤولية الإدارية - دراسة تأصيلية تحليلية مقارنة / عوابدي عمار /
ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر / الطبعة الأولى (١٩٩٤ م).
١٩٦. النقابات العمالية - تنظيمها ونشاطها في العالم وفي لبنان - درس تحليلي
مقارن / د. عفيف زيناتي / مؤسسة فريدريتش إيبيرت - بيروت / الطبعة الأولى (١٩٧٣ م).
١٩٧. النقابة العامة لعمال التعليم العام / العمل النقابي للمعلمين وعمال التربية
والتعليم / دراسة توثيقية للفترة من ١٩٤٨ م - ٢٠٠٥ م / دون ذكر طبعة.
١٩٨. هذه فلسطين / حسين التريكي / الشركة التونسية للنشر والتوزيع / الطبعة
الأولى (١٩٧١ م).
١٩٩. هوية الإنسان في الوطن العربي " مشروع قراءة جديد " / سعيد التل / روائع
مجدلاوي للنشر والتوزيع - الأردن / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م).
٢٠٠. وثائق حركة المقاومة الإسلامية حماس / من وثائق الانتفاضة المباركة / سلسلة
بيانات الحركة / السنة الأولى للانتفاضة / المكتب الإعلامي لحركة حماس / السلسلة الأولى /
الطبعة الأولى.

٢٠١. وجوب العمل بسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكفر من أنكرها /
للشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز - أحد أتباع الدعوة السلفية وقياداتها في السعودية - /
مطابع الهيئة الملكية - الجبيل - السعودية / الطبعة الأولى.

٢٠٢. ورقة عمل بعنوان: رؤية جديدة لدور فتح، ضمن الندوة الفكرة السياسية التي
تناولت خبرات الحركة السياسية الفلسطينية في القرن العشرين

٢٠٣. ورقة عمل، مقدمة لمؤتمر "التطورات السياسية الفلسطينية في ضوء الانتخابات
التشريعية ٢٠٠٦"، معهد دراسات التنمية. غزة_فلسطين، مارس ٢٠٠٦

٢٠٤. وسائل الإعلام والسياسة الخارجية / سيمون سيرفاتي / ترجمة: محمد مصطفى
غنيم / مطابع المكتب المصري الحديث - مصر / الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية /
الطبعة العربية الأولى (١٩٩٥ م).

٢٠٥. وضع عمال الأراضي العربية المحتلة - تقرير المدير العام - ملحق / مؤتمر العمل
الدولي - جنيف، الدورة ٩٦-٢٠٠٧ م / مكتب العمل الدولي - جنيف / الطبعة الأولى (٢٠٠٧ م)

٢٠٦. وقائع الصراع الاجتماعي السياسي في الأردن في عقد التسعينيات / ناهض
حتر / أزمة للنشر والتوزيع - عمان - الأردن / الطبعة الأولى (٢٠٠٣ م).

٢٠٧. اليهود أعداء الله وقتلة الأنبياء / الندوة العالمية للشباب الإسلامي - المنطقة
الشرقية / لجنة شباب فلسطين / دون ذكر الطبعة.

المراجع الإنجليزية في البحث

- ABC – OF WOMEN WORKERS RIGHTS AND GENDER EQUALITY / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE – GENEVA / F. P (2000) /. WOMEN IN THE (ECE) REGION – A CALL FOR ACTION / UNITED NATIONS – NEW YORK AND GENEVA / F. P (1995) /.
- ACTION AGAINST CHILD LABOUR / EDITED BY: NELIEN HASPELS AND MICHELE JANKANISH / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE – GENEVA / F. (2000) /.
- ACTION PROGRAMMES FOR THE PROTECTION OF HOME WORKERS – TEN CASE-STUDIES FROM AROUND THE WORLD / EDITED BY: URSULA HUWS / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE – GENEVA / (1995) / THE INTRODUCTION.
- ALTERNATIVE SCHEMES OF FINANCING TRAINING / EDITED BY: VLADIMIR GASSKOV / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE – GENEVA / F. P (1994) /.
- application international labour conventions – international labour office – Geneva-first published (2000) –.
- equal remuneration – international labour office – Geneva – (72nd session) – (1986) – first published (1986) .
- FROM PYRAMID TO PILLAR / POPULATION CHANGE AND SOCIAL SECURITY IN EUROPE / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE – GENEVA / F. P (1989) /

- GENDER IN EQUALITY IN THE LABOUR MARKET / OCCUPATIONAL CONCENTRATION AND SEGREGATION / JANET SITANEN AND JENNIFER JARMAN AND ROBERT M. BLAKBURN / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE – GENEVA / F. P (1995) /.
- (ICAE) EVALUATION DISCUSSION PAPER – AUGUST 1994/ UNIVERSALIA – CANADA-
- ISLAM – ALLTHE PLEASURE.. NONE OF GUILTY / MUSLIM WOMEN NETWORK (M.W.N) / CAIRO /
- protecting the least protected: rights of migrant workers and the role of trade unions – (n 103)- international labour office – Geneva – (1996) –.
- SLAVE – THE TRUE STORY OF AGIRL S LOST CHILDHOOD AND HER FIGHT FOR SURVIVAL /MENDE NAZER AND DAMIEN LEWIS / F (2004)
- SOCIAL SECURITY – ANEW CONSENSUS / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE – GENEVA/ F. P (2001) /.
- TOWARDS SOCIALDIALOGUE- TRIPARTITE COOPERATION IN NATIONAL ECONOMIC AND SOCIAL POLICY – MAKING / ANNE TERBILCOCK ETAL / INTERNATIONAL LABOUR OFFICE – GENEVA / FIRST PUBLISHED (1994).

- women , Islam ,and equality – the national council of resistance of Iran - foreign affairs committee – (f. p) – (1995).
- WOMEN IN THE (ECE) REGION – ACALL FOR ACTION / UNITED NATIONS – NEW YORK AND GENEVA / F. P (1995) /.

الصحف والدوريات

- جريدة المناضلة عدد: ١٤ / جريدة عمالية نسوية شبيبية أومية – تصدر في المغرب العربي.
- جريدة الشرق الأوسط – جريدة العرب الدولية.
- جريدة الصباح – العراق / صادرة عن شبكة الإعلام العراقي.
- صحيفة: الوقت.
- صحيفة الاتحاد / الصحيفة الرسمية لحزب الاتحاد الوطني الكردستاني / صحيفة يومية سياسية.
- صحيفة الرياض – السعودية.
- صحيفة القدس – صحيفة فلسطينية يومية تصدر من مدينة القدس في فلسطين.
- صحيفة الوحدة، وهي صحيفة أسبوعية سياسية شاملة صادرة في اليمن من مؤسسة الثورة للصحافة والطباعة والنشر.

- صحيفة صوت النساء فلسطين.
- صحيفة نبض العمال / صحيفة دورية شاملة تعنى بقضايا العمال - السودان / العدد الخامس.
- صحيفة هآرتس الإسرائيلية.
- مجلة (foreign policy) - النسخة العربية / عدد نوفمبر / ديسمبر ٢٠٠٤ م وعدد شهر ١ / ٢ / ٢٠٠٥ م.
- مجلة البيان - مجلة إسلامية شهرية جامعة تصدر عن المنتدى الإسلامي - السنة الثانية والعشرون / العدد ٣٣٨ (جمادى الثانية ١٤٢٨ هـ) يونيو ٢٠٠٧ م.
- مجلة الرسالة / صادرة عن اللجنة الثقافية في مجلس اتحاد الطلبة في جامعة الخليل / العددين الرابع والخامس / ١٩٩٧ - ١٩٩٨ م.
- مجلة الطريق نحو الاستقلال والسلام / مجلة نصف شهرية صادرة عن تحالف السلام الفلسطيني.
- مجلة العلوم الجنائية والاجتماعية / معهد الدراسات والبحوث الجنائية والاجتماعية - جامعة الرباط الوطني - الخرطوم / موضوع بعنوان: العولمة والفساد / بابكر عبد الله الشيخ.
- مجلة القدس - السنة الرابعة / العدد (٣٧) / كانون الثاني ٢٠٠٢ م.
- مجلة المؤتمر - مجلة تصدر في بغداد.
- مجلة الملف الدوري (٩) / مركز دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا.

- مجلة النبأ - مجلة شهرية ثقافية عامة / العدد ٧١ / عدد حزيران ٢٠٠٤ م.
- مجلة الوعد / صادرة عن اتحاد طلبة فلسطين - جمهورية السودان / العدد الأول - السنة الحادية عشرة.
- مجلة فلسطين المسلمة / مجلة شهرية سياسية متزنة / تصدر في بريطانيا، العدد الحادي عشر / السنة التاسعة عشرة / تشرين ثاني ٢٠٠١ م.
- مجلة نيوزويك باللغة العربية - الكويت / العدد ٢٦٠ / ٧ يونيو ٢٠٠٥ م.

مواقع الانترنت في البحث

- . الموقع الإلكتروني: عرب ٤٨
- .الموقع الإلكتروني: المعهد العربي للتخطيط - الكويت
- موقع صحيفة صوت الوطن الإلكتروني
- المركز الفلسطيني للإعلام
- مركز المعلومات الوطني الفلسطيني على الانترنت
- موقع " قدس نت "
- موقع (تقرير واشنطن) على الانترنت
- موقع (نصوص) على الانترنت
- موقع الشبكة الإسلامية
- موقع: الطريق، على الانترنت
- موقع: لها أون لاين، على الانترنت WWW.LAHAONLINE.COM
- الموقع الإلكتروني للباحث والنقابي البارز: محمد الحنفي
- الموقع الإلكتروني (أمان) - المركز العربي للمصادر والمعلومات حول العنف ضد المرأة

- شبكة الانترنت للإعلام العربي (أمين)
- الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان
- الموقع الإلكتروني (موقع جيل الثقافي) على الانترنت
- الموقع الإلكتروني - مكتب برامج الإعلام الخارجي بوزارة الخارجية الأمريكية
- الموسوعة الحرة على الانترنت (ويكيبيديا)
- الموقع الإلكتروني: إسلام أون لاين
- الموقع الإلكتروني: التجديد العربي
- الموقع الإلكتروني: الحوار المتمدن
- الموقع الإلكتروني: شبكة المنظمات الأهلية الفلسطينية، على الإنترنت
- الموقع الإلكتروني: مجلة العصر
- الموقع الإلكتروني: منتدى الدوحة السادس للديمقراطية والتنمية والتجارة الحرة
- الموقع الإلكتروني: ناصرية. نت
- الموقع الإلكتروني التابع لحزب الشعب الفلسطيني على الانترنت

- الموقع الإلكتروني ل(المعهد العربي لحقوق الإنسان - تونس) و (شبكة المنظمات غير الحكومية العربية للتنمية)
- الموقع الإلكتروني لشبكة معاً الإخبارية المستقلة - فلسطين
- الموقع الإلكتروني للدكتور يحيى هاشم فرغل على موقعه على الانترنت:
- الموقع الإلكتروني للشيخ محمد الحسن ولد الددو الشنقيطي
- الموقع الإلكتروني للمبادرة الوطنية الفلسطينية على الإنترنت
- الموقع الإلكتروني لمؤسسة صوت المجتمع - فلسطين
- الموقع الإلكتروني لمركز الإعلام والمعلومات - غزة
- الموقع الإلكتروني لمركز الأهواز للدراسات على الانترنت
- الموقع الإلكتروني لمركز شؤون المرأة - غزة على الانترنت
- الموقع الإلكتروني لمشروع (ثروة) على الانترنت
- الموقع الإلكتروني لمفوضية المؤسسات الخيرية لانجلترا وويلز
- موقع الجزيرة نت
- الموقع الرسمي للبنك الدولي على الإنترنت

- موقع صيد الفوائد
- موقع قدس نت
- الموقع لرسمي لجمهورية مصر العربية على الانترنت.
- موقع مجلة الوعي على الانترنت.
- موقع منظمة " هيومان رايتس ووتش) على الشبكة الإلكترونية
- موقع (مفتاح) على الانترنت، المبادرة الوطنية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطية
- موقع نداء القدس على الانترنت
- موقع وكالة الأنباء الفلسطينية على الانترنت

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
	شكر وتقدير
	الإهداء
	الإطار النظري للدراسة
	المقدمة
	علاقة هذا العنوان بالعلوم السياسية
	أهمية الدراسة
	مشكلة الدراسة
	أهداف الدراسة
	منهج الدراسة
	فرضيات البحث
	حدود البحث
	الدراسات السابقة
	مستخلص الرسالة
	هيكل الدراسة
	الفصل الأول
	نشأة المجتمع المدني ومفهومه
	نشأة المجتمع المدني
	التطور التاريخي لطبيعة المجتمع المدني
	الفكر التأسيسي للمجتمع المدني
	المسميات الخاصة بالمجتمع المدني
	تعريف المجتمع المدني
	تعريف المنظمة الأهلية
	تعريف المنظمات غير الحكومية

تعريف الحركات الاجتماعية

تعريف المنظمات المهنية

جماعات الضغط أو جماعات المصالح

الخلافا حول مضمون المجتمع المدني

سبب الخلف وطبيعته

الاختلاف في اعتبار الأحزاب السياسية

الاختلاف في التشكيلات التقليدية

الاختلاف في التشكيلات الدينية

تشكيل الرأي العام من خلال المجتمع المدني

دور المجتمع المدني

الاختلاف في فهم الدور المنوط بالمجتمع المدني

الدور الفعلي للمجتمع المدني

بين المصطلح والمعنى

المرتكزات العامة لعمل المجتمع المدني

إيجاد وتعميم المبادئ والثقافة الديمقراطية

توفير العدالة الاجتماعية

احترام حقوق الإنسان

الجوانب الفعلية لاهتمامات المجتمع المدني

الدور السياسي

الدور الاقتصادي

الدور التنموي

الدور الصحي

الدور الثقافي

دور المنظمات في تفعيل الكادر البشري وتطويره

التطوير الإداري

التطوير الاجتماعي

على الصعيد المالي والاقتصادي

على الصعيد السلوكي

التأهيل السياسي

المجتمع المدني المعاصر

الوضع القانوني للمجتمع المدني

المجتمع المدني الغربي

المجتمع المدني في العالم العربي

الطبيعة الحالية للمجتمع المدني العربي

بؤادر النمو الفعلي للمجتمع المدني العربي

التأصيل الشرعي والنفسي لمشروع العمل المدني الفلسطيني

التأصيل الشرعي النظري للعمل في النطاق المدني المعاصر

الأدلة الشرعية على جواز العمل من خلال مضمون المجتمع المدني

الأدلة من كتاب الله تعالى:

الأدلة من السنة النبوية المطهرة

التأهيل والإعداد النفسي للتوجه المدني

الفصل الثاني

فلسطين.. الأهمية والواقع

المكانة الجغرافية لفلسطين

الأهمية الإستراتيجية لفلسطين:

مكانة فلسطين في الإسلام

فلسطين بين التاريخ السياسي والتخطيط الاستراتيجي الاستعماري

معيقات المخطط الاستراتيجي العالمي

طبيعة النظام السياسي الفلسطيني

الدولة والنظام السياسي

النظام السياسي قبل عهد أوسلو

النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو

التقييم الغربي لأداء السلطة بمؤسساتها العامة والخاصة
العمل السياسي داخل المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ م
الواقع السياسي بعد فوز حماس ..

مكونات المشهد السياسي الفلسطيني

الحركات الإسلامية في فلسطين

جماعة الدعوة والتبليغ:

حزب التحرير الإسلامي

الدعوة السلفية

الجهاد الإسلامي

جماعة الإخوان المسلمين

حزب النهضة الإسلامي

الحركات الوطنية الفلسطينية

حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين

حزب الشعب الفلسطيني

حزب فدا

جبهة التحرير العربية

أحزاب وطنية أخرى

الديانات والطوائف الأخرى في فلسطين

الوجود النصراني على الأرض الفلسطينية

الطائفة السامرية في فلسطين

الطائفة الدرزية

الطائفة البهائية

المجتمع المدني الصهيوني

طبيعة العدو المغتصب

القدرات المؤسساتية الصهيونية

بناء المؤسسات الذاتية

الإسلاميون وشعارات المجتمع المدني

الإسلاميون والديمقراطية

العدالة الاجتماعية في المفهوم الإسلامي

الإسلام والتنمية

الإسلاميون وحقوق الإنسان

المجتمع المدني في العصور الإسلامية

المؤسسات الإسلامية والمؤسسات الحزبية الإسلامية

دواعي عدم التصريح بالمؤسسات ذات التبعية الحزبية الإسلامية

واقع الشعب الفلسطيني وحاجاته

الوعي النقابي والمؤسساتي

الواقع الاجتماعي

ما يفتقده المجتمع الفلسطيني على الصعيد السياسي

الواقع العلمي والتخصصي

الواقع الاقتصادي

الفصل الثالث

ظروف نشأة وتطور المجتمع المدني الفلسطيني

نشأة المنظمات الأهلية الفلسطينية

العمل الأهلي بين النكبة والنكسة

دور المنظمات المجتمعية الفلسطينية في فترة ما قبل أوسلو

العمل المؤسساتي في ظل سلطة أوسلو

آفاق العمل المدني المسموح به في ظل تطلعات الدول الاستعمارية

امتلاك الوضع القانوني

تسجيل المؤسسات في زمن الاحتلال

الحصول على الترخيص المؤسسي في ظل سلطة أو سلو

شكل وإشكاليات المجتمع المدني الفلسطيني

طبيعة تشكيل المجتمع المدني الفلسطيني

منظمات المجتمع المدني في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨م

المنظمات المدنية الفلسطينية في خارج الوطن

علاقة المؤسسة بالواقع السياسي الفلسطيني

العلاقة النظرية

العلاقة الفعلية التطبيقية

إشكاليات العمل المؤسسي الفلسطيني

الإشكاليات المتعلقة بالنظام السياسي الفلسطيني

على صعيد القوانين والتشريعات

على صعيد الدعم والتطوير والتنمية

الإشكاليات المتعلقة بالمجتمع المدني

القطيعة بين المفكرين والساسة

علاقة المجتمع المدني الفلسطيني بشرائح المجتمع

واقع المرأة الفلسطينية في المجتمع المدني الفلسطيني

المرأة في المجتمع الفلسطيني

المجتمع المدني النسوي في فلسطين

المنظمات النسوية الهدامة في فلسطين

مواجهة المنظمات المدنية النسوية السلبية

دور الشباب في المجتمع الفلسطيني

واقع الشباب الفلسطيني

مشاريع العمل المؤسسي الشبابي البناء

مؤسسات رعاية الطفولة الفلسطينية

واقع الطفولة الفلسطينية

الطفولة الفلسطينية في العمل المدني الفلسطيني

مساعي الصهاينة لتدمير المجتمع المدني الفلسطيني

الترغيب المادي والمعنوي

أسلوب العصا الغليظة

الترهيب للمؤسسات الأهلية في طور التأسيس

الترهيب لمؤسسات المجتمع المدني القائمة

مجالات الحصار للدوائر المجتمعية

الشائعات التي تستهدف المؤسسات الفلسطينية

الفصل الرابع

التأسيس الإداري المنهجي لمجتمع مدني فلسطيني فاعل

إنشاء المراكز الخاصة بالبحوث والدراسات

توفير المؤسسات البانية للشخصيات القيادية

توفير الإمكانيات اللازمة

ضرورة تعزيز الدور الرقابي للمؤسسات

مجالات الالتفاف على المعوقات

المواجهة المؤسساتية مع الاحتلال

ملامح الإبداع في عمل المجتمع المدني الفلسطيني

الدور الاستراتيجي لمنظمات المجتمع المدني الفلسطيني

بناء المنظمات وفق المفهوم الاستراتيجي

" نظريات بيتر ج ريد "

ضرورة تكوين جماعات الضغط في الواقع الفلسطيني

الافتراق والتقاطع بين الأحزاب السياسية والتيارات الضغط

اقتناص الفرص الممكنة

النهوض من خلال المفاوضة الجماعية

قياس تحقق فرضيات البحث

نتائج البحث

الخاتمة

التوصيات

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الحديث النبوي الشريف

فهرس الأشعار

فهرس الآثار والأمثال

ثبت المصادر والمراجع

المصادر

كتب التراث

المراجع

المراجع الإنجليزية في البحث

الصحف والدوريات

مواقع الانترنت في البحث

فهرس المحتويات